

الأربعين

في

إمامة الأئمة الظاهرين

الملا محمد باقر المجلسي

مؤيد الدين محمد باقر المجلسي

الطبعة سنة ١٩٨١م

تأليف

الملا محمد باقر المجلسي



الأجيبون

فِي إِمَامَةِ الْأَئِمَّةِ الظَّاهِرِينَ عليهم السلام

لِلْعَلَمَةِ الْمُحَقِّقِ الْمُتَشَكِّلِ

مُحَمَّدِ طَاهِرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الشَّيْخِ الزِّيَّالِيِّ النَجْفِيِّ الْقَشْبِيِّ

الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٩٨١ هـ



تَحْقِيقُ

السَّيِّدِ مَهْدِيِّ الرَّجَائِي



هوية الكتاب

- اسم الكتاب: الأربعين في إمامة الأئمة الطاهرين
 - المؤلف: الشيخ محمد طاهر القمي الشيرازي
 - المحقق: السيد مهدي الرجائي
 - المطبعة: مطبعة الامير
 - الطبعة: الأولى
 - تاريخ الطبع: ١٤١٨ هـ ق
 - عدد الطبع: ١٠٠٠ نسخة
 - الناشر: المحقق
 - العنوان: قم المقدّسة - ص ب ٧٥٣ - ٣٧١٨٥ - تلفون وفاكس ٧٣٢٠٦٧
- الجمهورية الاسلامية الايرانية

بسم الله الرحمن الرحيم

القارىء العزيز : بين يدك كتاب جليل في باب ، خطير في موضوعه ، دقيق في عرضه ، قوي في حجته ، يتناول قضية هي من أهم القضايا الدينية في الصميم ، وهي قضية الامامة ، والتي احتلت المساحة الكبرى من أصول الاعتقاد ، وليس هناك قضية دينية اختصت بالأهمية والخطورة كهذه القضية ، وذلك لأنّ الأصول الاعتقادية الأخرى ، من التوحيد والعدل والنبوة والمعاد وما يتفرّع عليها ، وان وقع الاختلاف فيها بين المسلمين ، إلا أنّ الاتفاق على كبرياتها حاصل بينهم .
وأما هذه القضية وهي مسألة الامامة ، فقد وقع الاختلاف فيها كبرى وصغرى ، وكان من نتيجة هذا الاختلاف أن افترق المسلمون الى فرقتين كبيرتين ، وانشعب من كلّ منهما فرق أخرى ، وكلّ فرقة تدّعي أنّها أصابت الحقّ فيما ذهب اليه .

الشيعة الامامية :

ثمّ إنّ هذه الفرق على تعددها واختلاف نظراتها يجمعها الاسمان المتباينان الشيعة والسنة ، واسم الشيعة وان كان يشمل عدّة فرق ، إلا أنّه انحصر واختصّ بالشيعة الامامية الاثني عشرية ، وأصبح علماً على هذه الطائفة ، بحيث أصبح المتبادر من اطلاقه هم دون سواهم ممّن تسمّى بهذا الاسم ، وذلك :

أولاً : لما ابنتت عليه أصول عقيدتهم من مشايعة أمير المؤمنين وأولاده عليهم السلام ومتابعتهم منذ عهد الرسالة والى يوم الناس هذا .

وثانياً : لصراحتهم في ابداء عقيدتهم واطهارها ، وان كانت على خلاف ما عليه

سائر الناس .

وثالثاً : لكونهم مستهدفين من قبل خصومهم ، وكانوا في الواجهة يقارعون الحجّة بالحجّة ، والدليل بالدليل ، من دون تخاذل في ابداء عقيدتهم ، أو تهاون في اقامة حجّتهم ، مستعدين كلّ ما خالهم أو ينالهم من صنوف الأذى والظلم من قبل خصومهم ، مستسهلين كلّ عسير في الثبات على هذا المبدأ الذي ساقته اليه الحجج القطعيّة ، عقلها ونقلها ، الأمر الذي أدّى على ثبات مذهبهم راسخاً برغم الهزّات العنيفة ، والضربات القاسية التي تلقّوها من قبل خصومهم عبر التاريخ .

الامامة في نظر الشيعة :

وقد بحث علماء كلّ فرقة مسألة الامامة من جميع جوانبها ، ووضعت من أجلها آلاف الكتب التي تناولت أدقّ تفاصيلها ، وأدلت كلّ فرقة بحجّتها لتبرهن على صحّة مدّعائها ، وكان للشيعة الاماميّة النصيب الأوفى ، وقد حازت قصب السبق في هذا المضمار ، فإنّها عندهم أصل من أصول الدين .

ومنذ اليوم الأوّل لهذه القضية بادر الشيعة الاماميّة الى اثبات دعواهم بالحجّة والبرهان ، وكان سليم بن قيس الهلالي - وهو من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام - هو أوّل من صنّف كتاباً يتناول هذه القضية ، مبرهنناً فيه على أحقيّة ما تذهب اليه الشيعة الاماميّة .

ناهيك بما أثر عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام حول هذا الأمر ، وما حفظه الرواة والمؤرّخون من المسلمين ، ممّا هو مستند الشيعة في اثبات أحقيّة ما ذهبوا اليه . وتواترت المؤلفات والمصنّفات جيلاً بعد جيل ، حتّى زخرت المكتبة الاسلاميّة بمختلف الكتب على اختلاف أحجامها ، وان كانت لم تسلم من محاثلات التعميم والطمس والاختفاء من قبل خصومهم .

ومردّد ذلك الى أنّ مذهب الشيعة لم يكن في يوم من أيّامه على ارتباط بالسلطنة

الحاكمة لتتولّى الدعاية له ، وان كان الحكم قد وصل في بعض الفترات الى بعض الشيعة ، إلا أنه لم يكن هؤلاء الحكّام يمثّلون المذهب ، وأنما كان المذهب قائماً بذاته ، مستقلاً في آرائه ونظراته ، بعكس ما كانت عليه المذاهب الأخرى ، مضافاً الى صراحتهم في عرض أدلّتهم ، وشهادة خصومهم على مدّعاهم .

وخلاصة القول : انّ الشيعة الامامية كانت لهم الريادة في اثبات قضية الامامة من خلال ما كتبوا وصنّفوا عبر تاريخهم المعطّار ، وانّ نظرة عاجلة الى فهارس مصنّفات الشيعة تؤكّد هذه الحقيقة .

شبهة وجوابها :

ولعلّ قائلًا يقول : ما بالنا نشغل أفكارنا بأمر قد أكل الدهر عليه وشرب ؟ ومسألة الامامة والخلافة انتهت بنهاية عهدها ، فلا حاجة تدعونا الى الكتابة والتحقيق حولها ، بل قد يترتب عليه من الآثار السلبية ما يقعدنا عن الاهتمام بقضايانا المعاصرة المهمّة ، والتي نحن فيها أحوج ما نكون الى الالتفات اليها ، مضافاً الى أنّ في ذلك نبشاً للماضي ، واثارة للنعرات الطائفية ، واحداث الشقاق وتعميق هوة الخلاف بين المسلمين .

وجوابنا عن ذلك يتلخّص في أمور ، وهي :

أولاً : أنّ هذه القضية في الدين من الصميم ، وحيث أنّنا من أتباع هذا الدين العظيم ، فلا بدّ من البحث والتحقيق ، لنحدّد بذلك تكليفنا الشرعي بحسب طاقتنا ، ونكون على بصيرة من أمرنا ، فإنّ أماننا معاد وحساب وجنّة ونار ، فإنّ الحقّ تعالى يقول : ﴿ وقفوهم أنّهم مسئولون ﴾ .

وثانياً : أنّ القضايا الدينية حيّة لا تموت ، فإنّ شريعة الاسلام هي خاتمة الشرائع الالهية للعباد ، ولا معنى للتفاضي والتغافل عن أهمّ قضية فيه .

وثالثاً : أنّ الله تعالى يقول : ﴿ الحقّ أحقّ أن يتّبع ﴾ والبحث عن الحقيقة أمر

يفرضه الوجدان والبرهان ، وليس على الباحث عن الحقّ ليتبعه غضاضة ، وان أغضب قوماً أو أساء آخرين ، كما أنه ليس من القضايا ما هو أهمّ من قضايا الدين ومسائله .

ورابعاً: أنّ الباحث العاقل يتبع مؤدّي الدليل ، ورائده في ذلك الحقّ ، فإنّ به تعرف الرجال ، لا أنّه يعرف بالرجال ، ولا ملزم لتقييد النفس بأغلال العصبية والتقليد ، واذ كان بعض الأوائل قد أخطأ ، فما الداعي للسكوت عن أخطائهم ، أو الوقوع فيما وقعوا فيه ، فإنّ تقييم الأشخاص إنّما يتمّ على طبق المعايير الشرعيّة والعقليّة ، واذ كان رائد الجميع هو احقاق الحقّ ، فليس في ذلك اثاره لنعرة طائفيّة ، أو تعميق لهوّة الخلاف .

وخامساً: أنّ ظاهر هذه المقولة براق خلاّب ، قد ينخدع بها البعض ، الآ أنّها في الواقع تنطوي على الدعوة الى اهمال القضايا الدينيّة الحسّاسة ذات الأهميّة ، وقد ينجرّ ذلك الى التشكيك والانكار .

وقد منيت طائفتنا بتشكيك بعض أبنائها ممّن لا يمثّل الطائفة ، وليس رأيه معتمداً فيها ، في بعض الأصول المسلّمة ، استناداً الى نظرات خياليّة خالية عن التحقيق العلمي ، وتمسّكاً بشعارات فارغة ، الأمر الذي أدّى الى احداث الاضطراب في المجتمع المؤمن ، واستغلّها الخصم للكيد للشيعه الاماميّة بمختلف الأساليب .

وصفوة القول : انّ هذه الدعوة لا تنسجم مع الأصول الدينيّة القائمة على الحجّة والبرهان .

دعوة مخلصه :

ومن خلال ما ذكرنا آنفاً تتجلّى أهميّة هذه القضية ، وخطورتها ، وضرورة تعاهدها بالتأكيد والتأييد ، فإنّ في ذلك نصرة للدين ، واعزازاً للحقّ ، ودفعاً للباطل .

ولذا نهيب بالغيارى من العلماء والمؤمنين ، وذوي الأقلام والتحقيق ، وندعوهم بكلّ اصرار واخلاص الى الالتفات الى ضرورة المواصلة والمتابعة في هذا الموضوع ونظائره من القضايا الدينيّة - وكلّ قضايا الدين مهمّة - فإنّ المسؤوليّة ثقيلة ، وكلّكم مسؤول ، وفي ذلك احقاق للحقّ ، وردّ على كلّ من يحاول التشكيك في الحقائق معتمداً على خياله ، ومحق للباطل وقد قال الحقّ تعالى ﴿ ان تنصروا الله ينصركم ويثبتّ أقدامكم ﴾ .

المؤلّف والمؤلّف :

أمّا المؤلّف ، فهو أحد أعلامنا الأبرار الذين صدعوا عن الحقّ ، ولم تأخذهم في الله لومة لائم ، وقد تجلّت فيه الصراحة في القول والقوّة في الحجّة ، والسعة في الاطلاع ، والدقّة في البحث والتحقيق ، وسيأتي التعريف به قريباً .

وأما المؤلّف ، فهو هذا الكتاب المائل بين يديك ، قاريء العزيز : وهو أحد الكتب المهمّة والذي تناول موضوع الامامة بكلّ صراحة ووضوح .

وبمناسبة الحديث عن هذا الكتاب نشير الى أنّه قد تمّ - بتوفيق الله تعالى وعنايته قبل أقلّ من عام - اخراج كتاب يعدّ صنواً لهذا الكتاب ، وهو كتاب الأربعين في اثبات امامة أمير المؤمنين عليه السلام للعلامة الفقيه المحدث الشيخ سليمان الماحوزي البحراني رحمته الله وكان له الأثر الطيّب على نفوس المؤمنين من العلماء وغيرهم ، ونحمد الله تعالى على توفيقه ومنّه .

وهذا الكتاب هو الأخ الثاني لذلك الكتاب ، ويتناول نفس الموضوع ، وعلى نفس المنهج ، واذا كان لكلّ كتاب امتيازاته الخاصّة ، وقد وقف القراء الكرام على ما امتاز به كتاب الشيخ الماحوزي ، فلهذا الكتاب أيضاً ما اختصّ به من الامتيازات .

مزايا الكتاب وخصائصه :

ويمتاز هذا الكتاب عن غيره من سائر الكتب التي تناولت هذا الموضوع بعدة أمور ، يمكننا اجمالها فيما يلي :

أولاً: أشاد بالكتاب وجلالته كل من ذكره أو ذكر المؤلف :

فقد قال المحقق الصفائي الخوانساري في كشف الأستار : كتاب الأربعين ، وهذا الكتاب من جملة كتب العالم الماهر صاحب المناقب والمفاخر ، المولى محمد طاهر بن محمد حسين الشيرازي ثم النجفي ثم القمي ، في اثبات امامة أمير المؤمنين والأئمة الطاهرين عليهم السلام ، ذكر فيه أربعين دليلاً ، وهو كتاب نافع كثير الفوائد ، توجد نسخ منه عندي ، والمحقّ أنّه من طرائف الكتب ، وطرز استدلاله على امامة الطاهرين عجيب من متفرداته (١) .

وقال المحقق الخوانساري في الروضات في حقّه : كتاب لطيف جداً ، فيه نوادر من الأخبار الطريفة .

وقال المحقق التبريزي في مرآت الكتب : وكتابه هذا مشتمل على فاتحة وأربعين دليلاً على خلافة أمير المؤمنين وأولاده الطاهرين عليهم السلام وخاتمة . أمّا الفاتحة ، ففي ذكر النصوص الواردة في كتب أهل السنّة ، وقريب من نصف الكتاب مختصّ بذلك ، والخاتمة في ذكر بعض اعتقادات الأئمة الأربعة لأهل السنّة في الأصول والفروع ، والكتاب يقرب من أربعة عشر ألف بيت ، وهذا الكتاب ليس كسائر الأربعينيات ممّا جمع أربعين حديثاً ، بل هو أربعين دليلاً (٢) .

أقول : وهو كما قال المحقق التبريزي أنّ نصف الكتاب تقريباً يشتمل على فاتحة الكتاب ، ولقد أكثر النقل عن شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي فيما يتعلّق

(١) كشف الأستار ٢ : ٢٤١ .

(٢) مرآت الكتب ٢ : ٢١ .

بمسألة اثبات الامامة والخلافة ومسألة السقيفة وغيرها ، وكذا ما يتعلّق بالفضائل
والمناقب لأهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام .

وقال المحدث النوري في الفيض القدسي في حقّه : ذكر فيه أربعين دليلاً ، وهو
كتاب نافع كثير الفوائد .

وقال المحقّق الطهراني في الذريعة : الأربعةون دليلاً في امامة الأئمّة
الطاهرين عليهم السلام ، جمع في الأربعين هذا أربعين دليلاً في اثبات الامامة ، مبدؤة بفاتحة
في خصوص الأخبار المرويّة في كتب المخالفين بطرقهم في امامة أمير المؤمنين عليه السلام ،
وحصر تلك الأخبار في أنواع ، والنوع السادس منها حديث « من كنت مولاه »
وتعرّض فيه لبعض عقائد العامّة في الفروع والأصول ، وسماه بالأربعين في امامة
الأئمّة الطاهرين ، رأيت في خزانة كتب العلامة المولى محمّد علي الخوانساري في
النجف (١) .

وقال فيه أيضاً : وهو من الكتب الكلاميّة ، وان عبّر عنه في أمل الآمل بكتاب
الأربعين في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام ، الظاهر في أنّه من كتب الحديث ؛ لأنّ فيه
أربعين حديثاً في الفضائل (٢) انتهى .

أقول : ما ذكره أخيراً غير صحيح ، وذلك أنّه غير منحصر بأربعين حديثاً
حسب ، بل يشتمل على مآت الآحاديث في الفضائل والمناقب لأهل البيت عليهم السلام ،
والكتاب مقصور فقط على نقل أربعين دليلاً من الكتاب والسنة والعقل على اثبات
امامة أمير المؤمنين وأولاده المعصومين عليهم السلام .

وقال المؤلّف عن كتابه : جمعت في هذا الكتاب أدلّة قاطعة على امامتهم ، هنّ
خير البراهين ، مفتتحاً بالنصوص الواردة في كتب المخالفين على امامة مولانا

(١) الذريعة ١ : ٤١٩ .

(٢) الذريعة ١ : ٤٣٥ .

ومولى الأنام أمير المؤمنين عليه السلام ، مع الأجوبة الواضحة عن تأويلات المعاندين ، وشبهات المخاصمين ، ومختتماً ببيان عقائد أهل السنّة في الفروع وأصول الدين .
وثانياً : تميّز الكتاب بالبيان الواضح ، مع أنه يتناول أهمّ المسائل الكلاميّة الخلافيّة .

وثالثاً : اشتمل الكتاب على التتبّع الواسع لكثير من المصادر المختلفة ، ولاسيما الكتب السنّيّة ، وحاكمها المؤلّف محاكمة علميّة رصينة ، اعتمدت على الحجج القاطعة والبراهين الصريحة ، وأثبت التناقضات التي وقع فيها علماء السنّة من خلال ما أودعوه كتبهم .

ورابعاً : رصد الكتاب وبصورة تثير العجب كلّ ما أودعه ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة في خصوص مسألة الامامة ، وما يرتبط بها من الأحداث والأشخاص ، وكشف الكتاب عن كثير من مغالطات ابن أبي الحديد ، كما سيفق القارئ الكريم على ذلك .

وخامساً : تميّز الكتاب بالصراحة في ابداء النظر وعلان الحقيقة ، مستنداً في ذلك الى مختلف المصادر السنّيّة الموثوقة عندهم ، وكأنّ لسان حال المؤلّف يقول : هاؤم اقرؤا كتابيه .

وسادساً : ربما يلاحظ على الكتاب كثرة الاستطرادات ، حتّى يخال القارئ أنّ المؤلّف قد خرج عن موضوع البحث ثمّ يعود ، وسيفق القارئ العزيز على ذلك في مباحث الكتاب ، ولئن حسب البعض أنّ ذلك عيباً في التأليف ، إلاّ أنّه يعدّ من حسنات هذا الكتاب ومميّزاته ، وذلك لأهمّيّة موضوع الكتاب وخطورته ، واقتضاء المقام اشباعه بحثاً وتحقيقاً من جميع جهاته .

وأخيراً فهذا الكتاب ثمرة يانعة من ثمرات الولاء لآل محمد عليهم السلام وحرّيّ بكلّ من يقف على هذا الكتاب أن يقرأه كلّه ، ليري أنّ الشيعة الاماميّة على بصيرة من أمرها في ولائها لأولياء الله ، وبراءتها من أعداء الله ، مستندة في كلّ ما تعتقد الى

أقوى الحجج والبراهين .

تبتنا الله جميعاً على القول الثابت ، وجعلنا من المتمسّكين بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها ، ووقفنا لاتباع الحقّ وخدمته والدفاع عنه ، والحمد لله ربّ العالمين .
هذا ما يتعلّق بالكتاب وموضوعه ، وأمّا ما يتعلّق بالمؤلّف فسنعرض بعضاً من أحواله فيما يلي :

اسمه ونسبه :

هو المولى الجليل الشيخ محمّد طاهر بن محمّد حسين الشيرازي النجفي القميّ .
والشيرازي نسبة الى بلدة شيراز ، وكان أصل المترجم منها ، ولعلّ ولادته أيضاً كانت فيها .

والنجفي نسبة الى النجف الأشرف ، وكان منشأه ومراحل تحصيله واكتسابه العلوم والمعارف فيها ، وله اجازة من بعض الأعلام فيها ، كما سيأتي .
والقميّ نسبة الى بلدة قم المقدّسة ، وذلك لأنّه بعد اتمام مراحل تحصيله في النجف الأشرف انتقل الى قم المقدّسة ، وصار زعيماً ومرجعاً فيها ، وحظي بمرتبة شيخ الاسلام وامام الجمعة والجماعة فيها ، وكان رئيساً مطاعاً فيها ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، الى أن قضى نحبه فيها ، فهو شيرازي الأصل نجفي المنشأ قميّ المدفن .

مكانته العلميّة والعملية :

لقد ذكر الرجاليون المترجم في أكثر المعاجم الرجالية ، وأثنوا عليه بحمّل الثناء والاطراء ، وأذعنوا جميعاً بكلماته الجليلة ومقاماته الرفيعة ، وفوزه بالمرتبة العليا من الاخلاص والولاء لأهل البيت عليهم السلام ، والذبّ عن حريمهم ، وابطال شبهه المخالفين والملحدّين من الصوفيّة وغيرهم ، واليك نصّ عباراتهم :

قال العلامة المجلسي تبريزي في البحار: المولى الأجلّ العالم الورع، مولانا محمد طاهر القمي تبريزي (١).

وقال المولى الشيخ محمد الأردبيلي في جامع الرواة بعد ذكر اسمه: مدّ ظله العالی، الامام العلامة، المحقق المدقق، جليل القدر، عظيم المنزلة، دقيق الفطنة، ثقة، ثبت، عين، دين، متصلّب في الدين، لا يحصى مناقبه وفضائله، جزاه الله تعالى أفضل جزاء المحسنين (٢).

وقال المحدث الجليل الحرّ العاملي في أمل الآمل: المولى الأجلّ ... من أعيان الفضلاء المعاصرين، عالم محقق مدقق، ثقة ثقة، فقيه متكلم، محدث جليل القدر، عظيم الشأن (٣).

وقال المحقق الخوانساري في الروضات: كان فاضلاً بارعاً، محققاً متكلماً جليلاً، صالحاً واعظاً متبحراً، من أقران سمينا المجلسي، ومشاهير علماء زمانه، شديد التعصّب على جماعة الصوفيّة وفرق الملاحدة، وعلى التاركين لصلاة الجمعة، والمصنّفين في المنع عنها، اماماً للجمعة والجماعة في محروسة قم المباركة، وشيخاً للاسلام بها، ومطاعاً لقاطبة العوام والحكّام، نافذ الحكم بين الأنام (٤).

وقال المحدث النوري في خاتمة المستدرك: العالم الجليل النبيل عين الطائفة ووجهها ... صاحب المؤلفات الرشيقة النافعة (٥).

وقال أيضاً في الفيض القدسي: العالم الماهر صاحب المناقب والمفاخر ... عين

(١) بحار الأنوار ١٠٠: ١٢٩.

(٢) جامع الرواة ٢: ١٣٣.

(٣) أمل الآمل ٢: ٢٧٧.

(٤) روضات الجنّات ٤: ١٤٣.

(٥) المستدرك ٣: ٤٠٩.

هذه الطائفة ووجهها، صاحب المؤلفات الرشيقه^(۱).

وقال المؤرّخ المدرّس التبريزي في ریحانة الأدب ما هذا لفظه باللغة الفارسیة: از مشاهیر علمای امامیه عهد شاه سلیمان صفوی، واز مشایخ اجازة حرّ عاملی وملاًّ محمد باقر مجلسی، واز وجوه وأعیان علمای عهد خود می باشد، که فقیه متکلم، محقق مدقق، محدث ثقة صالح، وواعظ متبحّر، جلیل القدر، وعظیم الشأن. در قم شیخ الاسلام، ونافذ الأمر، ومطاع تمامی طبقات بود، نماز جمعه می خوانده، وبه تارکین آن انکار شدید داشت، معاند مذاق فلاسفه و صوفیّه بوده، و بین او وملاًّ خلیل قزوینی که نماز جمعه را در زمان غیبت حرام می دانسته جریاناتی واقع شد.

وهمچنین در مسأله تصوّف نیز مکاتباتی بین او ویکی از علمای نامی وقت بعمل آمد، ورساله‌ای در ردّ صوفیّه نوشته، وجمعی از عرفا وعلما را رد کرده است، بلکه گویند که در چند رساله خود سماع، وخرقه پوشی، وپشمینه پوشی، وچلّه نشینی، وعزلت وانقطاع از مردم، وبه زبان آوردن لفظ طریقت وحقیقت، وقول به عشق حقیقی، ومکاشفات عرفانیّه، ونظائر اینها را از بدعتهای مهلکه شمرده است^(۲).

وقال العلامة الأمینی فی الغدیر: أحد الأوحیدین المشارکین فی العلوم، وفدّ من مشایخ الاجازات الذین اتّصلت بهم حلقات الأسانید، ضمّ الی فقهه المتدقّق فلسفة صحیحة عالیة، والی حدیثه الموثوق به أدبه الجمّ، وفضله الکثار، الی عظات بالغة، ونصایح کافیة، وحکم راقیة، وشعر کثیر یزری بعقود الدرر ومنثر الدراری، تدققت المعاجم باطرائه والثناء الجمیل علیه، کان شیخنا المترجم له شیخ الاسلام

(۱) الفیض القدسی ص ۸۰.

(۲) ریحانة الأدب ۴: ۴۸۹.

وامام الجمعة والجماعة بقم المشرفة الى أن توفي بها (١).

وقال المؤرخ كحالة في معجمه : فقيه ، أصولي ، محدث ، متكلم ، ناقد ، أعطي امامة الجماعة ومشيخة الاسلام في قم (٢).

وقد سافر المترجم الى الحج لزيارة بيت الله الحرام والمدينة المنورة ، وله قضايا عجيبة في خلال سفره ، ومباحث متينة في مكة المكرمة .

أما ما شاهده في طريق الحج فقد قال في تضاعيف كتابه هذا : ومن عجيب ما شاهدت حين توجهي الى بيت الله الحرام من طريق البحر ، أن البحر قد هاج وأشرفت السفينة على الغرق ، فاضطرب الملاحون اضطراباً شديداً ، وكانوا يصيحون ويدعون ويتوسلون بالأئمة الاثني عشر عليهم السلام ، مع أنهم كانوا من أهل السنة من المالكية ، ولم يذكروا في وقت الطوفان اسم واحد من أئمتهم ، فسألت مقدمهم ورئيسهم عن سبب ذلك ، فقال : من عادة أهل البحر أنهم يتوسلون عند الطوفان والهيجان بالأئمة الاثني عشر ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

وأما مناظرته في مكة المكرمة فقد قال أيضاً في تضاعيف كتابه هذا : قد اتفق لي صحبة في مكة المشرفة مع بعض فضلاء أهل السنة ، وكان مفتي الحنفية ، وكان يتوهم أنني على مذهبه وعقيدته ، فجرى بيني وبينه مكالمات هذا مضمونها وحاصلها :

قلت له : هل يرجى النجاة للشيعة ؟ وهم يقولون : ليس دليل يدل على عدم جواز اتباع غير الأئمة ، ونحن نعمل بقول جعفر بن محمد الصادق عليه السلام .

فأجاب : بأن جعفر بن محمد كان من المجتهدين الكبار ويجوز أتباعه ، ولكن ما يدعي الشيعة من المسائل بأنه قول جعفر بن محمد غير ثابت .

فقلت له : إن الشيعة يقولون : أنا اذا سألنا الحنفية والشافعية والمالكية والحنبلية ،

(١) الفدير ١١ : ٣٢٠ .

(٢) معجم المؤلفين ١٠ : ١٠٦ .

وقلنا لهم من أين عرفتم أنّ ما تعملون به قول هؤلاء المجتهدين؟ قال كلّ واحد من هذه الطوائف الأربعة: إنّ مشايخنا نقلوا عن مشايخهم، وهكذا الى المجتهد الذي نعمل برأيه، فثبت بالنقل المشهور مذهب المجتهد الذي نعمل برأيه، وهكذا نحن علمنا بالنقل المشهور عن مشايخنا طبقة عن طبقة أنّ ما نعمل به قول جعفر بن محمّد عليه السلام.

فقال: اذا كان هذا فهم من أهل النجاة.

فقلت له: إنّ الشيعة يلعنون الخلفاء الثلاثة، فهل يكفرون بهذا اللعن أم يفسقون؟ فقال: العلماء في ذلك مختلفون.

فقلت: الشيعة يقولون: أنّا كما علمنا بالنقل المشهور مذهب الصادق عليه السلام في أحكام العبادات، هكذا علمنا أنّ مذهبه بغض الخلفاء الثلاثة وعداوتهم.

فقال متغيّراً: هذا خلاف الاجماع، فصدّفته خوفاً وتقيةً، ولم أجترأ أن أقول له: أيّ اجماع انعقد على ترك بغض الخلفاء الثلاثة ولعنهم.

مشايخه وتلامذته:

لم تذكر لنا المعاجم الرجالية تفصيل مشايخه وتلامذته، مع أنّ أرباب التراجم ذكروا أنّه عليه السلام قضى برهة من عمره الشريف في الحوزة المباركة النجف الأشرف، ثمّ انتقل منها الى قم المقدّسة، وصار علماً ورئيساً مطاعاً فيها.

أمّا مشايخه العظام، فهو يروي عن شيخين جليلين، وهما:

١ - السيّد نور الدين بن السيّد علي.

قال المترجم في آخر مقدّمة كتابه حجّة الاسلام في شرح تهذيب الأحكام: قد رويت هذه الكتب الشريفة الرفيعة - أي: الكتب الأربعة - اجازة عن السيّد الجليل النبيل الفاضل الكامل العالم، العلامة الفهامة، التقيّ النقيّ، الرضيّ المرضيّ، السيّد نور الدين بن السيّد علي عاملهما بفضل، عن أخويه امامي الفضل والتحقيق،

أعني: السيّد العالم الأوحد شمس الدين محمّد بن السيّد علي مؤلف المدارك في شرح الشرائع، والفاضل العلامة جمال الدين حسن مصنّف كتاب المعالم، ثمّ عدّ سلسلة طرقة عنها الى مؤلّفي الكتب الأربعة.

٢- الشيخ محمّد بن جابر بن عبّاس العاملي المشغري النجفي.

وهو عالم فاضل، فقيه، محدّث، رجاليّ متبحّر، من تلامذة الشيخ محمّد السبط والميرزا محمّد الرجالي، وله مصنّفات في الرجال وغيرها، وكان أكثر تلمذ المترجم عليه.

قال المترجم نفسه في كتابه المذكور: ورويتها - أي: الكتب الأربعة - اجازة وبعضها قراءة عن الشيخ الفاضل العالم العامل، التقيّ النقيّ، محمّد بن الشيخ الفاضل التقيّ جابر بن عبّاس قدّس الله روحهما، عن أبيه، عن الشيخ الجليل عبد النبيّ بن سعد الجزائريّ رحمته، عن شيخه الجليل السيّد محمّد بن السيّد علي، عن والده، عن الشيخ الجليل النبيل الشهيد الثاني زين الدين أعلى الله درجته، عن شيخه المرحوم المبرور علي بن عبد العالي الميسي.

وعن الشيخ محمّد بن جابر المذكور، عن السيّد الجليل النبيل، الفاضل العالم العامل، شرف الدين علي الفارسي الشولستاني، المقيم في المشهد المقدّس الغروي رحمته، عن شيخه الفاضل التقيّ السيّد فيض الله، عن شيخه الجليل الشيخ حسن بن أبي الحسن التمهيد الثاني، عن الشيخ علي بن عبد العالي الميسي.

وعن الشيخ محمّد بن جابر المذكور، عن السيّد شرف الدين المذكور، عن ميرزا محمّد الاسترابادي صاحب الرجال، عن الشيخ ابراهيم بن الشيخ علي بن عبد العالي الميسي، عن والده المذكور.

وعن الشيخ محمّد المذكور أيضاً، عن الشيخ الجليل محمود بن حسام الدين الجزائري اجازة، عن الشيخ الجليل النبيل بهاء الملة والدين محمّد العاملي، عن والده الشيخ الجليل الحسين بن عبد الصمد الحارثي، عن الشهيد الثاني، عن الشيخ

عبد العالي الميسي ، وهو روى عن الشيوخ المذكورين في السند الأوّل الى مؤلّفني الكتب الأربعة .

وأما تلامذته ومن يروي عنه ، فهما أيضاً شيخان جليلان ، وهما :

١ - العلامة محمّد باقر المجلسي رحمته الله ، وله اجازة مبسوطه منه .

٢ - الشيخ المحدّث الحرّ العاملي ، فقد صرّح بروايته عنه في كتاب أمل الآمل .

ولم نعر على غيرهما ممّن روى عنه ، ولعلّ هناك عدّة كثيرة تلمّذوا عليه ورووا عنه ولكن أرباب التراجم والمعاجم الرجاليّة أهملوا ذكرهم .

اجازته للعلامة المجلسي قدّس سرّهما :

قال العلامة المجلسي رحمته الله في اجازات البحار : صورة اجازة كتبها لنا المولى الأجلّ العالم الورع ، مولانا محمّد طاهر القميّ رحمته الله بخطّه الشريف :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذي أوضّح لنا السبل الى الأحكام ، وجعل الرواية طريقاً لأخذها عن هداة الأنام ، والصلاة والسلام على سيّد أنبيائه وسفرائه المعصومين الكرام .

وبعد ، فإنّ الأخّ في الله ، الجليل النبيل ، العالم العامل ، الفاضل الكامل ، جامع بحار الأنوار ، مروّج آثار الأئمّة الأطهار ، أعني : التقيّ النقيّ الطاهر ، مولانا محمّد باقر ، عصمه الله تعالى من الكبائر والصغائر ، قد طلب منّي اجازة ما صحّ لي اجازته ، ممّا صنّفه ورواه علماؤنا الماضون ، وسلفنا الصالحون ، من الكتب الأربعة المشهورة التي هي دعائم الايمان ، ومرجع الفقهاء في هذا الزمان ، أعني : كتاب الكافي للشيخ ثقة الاسلام محمّد بن يعقوب الكليني ، وكتاب من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القميّ ، وكتابي التهذيب والاستبصار لشيخ الطائفة أبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسي ، أعلى الله تعالى مقامهم ، وأجزل في الجنته اكرامهم ، وغير هذه الكتب من الكتب الاماميّة .

فأجزت له أدام الله اقباله وكثر في العلماء أمثاله ، رواية جميع ما روите عن مشايخي بالقراءة والسماع والاجازة .

فأقول : أتى أروي الكتب الأربعة وغيرها اجازة عن السيّد السند ، الفاضل العالم العامل ، السيّد نور الدين العاملي عليه السلام ، عن امامي الفضل والتحقيق ، أعني : أخيه السيّد العالم الأوحّد شمس الدين محمّد ، وأخيه الفاضل العلامّة جمال الدين حسن ولد المحقّق الشيخ زين الدين عليه السلام ، وهما يرويانها عن شيخهما الجليل والد السيّد نور الدين علي بن أبي الحسن ، عن الشيخ زين الدين المزبور ، عن شيخه الفاضل علي بن عبد العالي الميسي .

عن الشيخ شمس الدين محمّد بن المؤدّن الجزيني ، عن الشيخ ضياء الدين علي بن الشيخ الشهيد محمّد بن مكّي ، عن والده ، عن الشيخ فخر الدين محمّد بن العلامّة جمال الدين الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر ، عن والده ، عن شيخه المحقّق نجم الملة والدين أبي القاسم جعفر بن الحسن بن يحيى بن سعيد ، عن السيّد شمس الدين أبي علي فخّار بن معد الموسوي ، عن الامام أبي الفضل شاذان بن جبرئيل القمي ، نزيل مهبط الوحي ودار هجرة رسول الله صلى الله عليه وآله .

عن الشيخ عماد الدين محمّد بن أبي القاسم الطبري ، عن الشيخ أبي علي الحسن بن الشيخ السعيد أبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسي ، عن والده ، عن الشيخ أبي عبد الله المفيد ، عن أبي القاسم جعفر بن محمّد بن قولويه ، عن محمّد بن يعقوب الكليني صاحب الكافي .

والشيخ المفيد يروي عن محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه مؤلّف من لا يحضره الفقيه ، وهو الوساطة بينه وبين الشيخ الطوسي ، وقد يكون الوساطة أبا عبد الله الحسين بن عبيد الله الغضائري ، وقد يكون غيرها .

وكتب هذه الأحرف بيده الفانية المتمسك بما تركه رسول الله صلى الله عليه وآله من الثقلين ، محمّد طاهر بن محمّد حسين ، في سابع شهر ذي القعدة الحرام ، من شهور السنة

السادسة والثمانين بعد الألف من الهجرة النبوية ، والحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على محمد وآله ، أما اكتفينا بهذا السند لعلوه ، والصلاة على محمد وآله . ولم أعتز على اجازته للحرّ العاملي .

تأليفه القيّمة :

للمترجم تَبَيَّرَ كتب ورسائل قيّمة ، مشحونة بالتحقيقات والمطالب الرشيقة ، وله في جميع العلوم والفنون كتب ورسائل ، ولقد خدم بآثاره التشيع وأهله أحسن الخدمة ، فجزاه الله عن أهله خير الجزاء ، وفيما يلي نذكر ما وصل إلينا من آثاره وكتبه ، وهي :

- ١ - الأربعين في اثبات امامة أمير المؤمنين والأئمة الطاهرين عليهم السلام وهو هذا الكتاب بين يديك ، تقدّم الكلام حوله .
- ٢ - أصول فصول التوضيح .
- ٣ - البرهان القاطع .
- ٤ - بهجة الدارين في الجبر والتفويض والأمر بين الأمرين .
- ٥ - تحفة الأبرار في شرح مونس الأبرار .
- ٦ - تنبيه الراقدين في الموعدة .
- ٧ - توضيح المشربين وتنقيح المذهبين .
- ٨ - جامع صفوي .
- ٩ - الجامع في أصول الفقه والدين .
- ١٠ - حجّة الاسلام في شرح تهذيب الأحكام .
- ١١ - حقّ اليقين في معرفة أصول الدين .
- ١٢ - حكمة العارفين في ردّ شبه المخالفين .
- ١٣ - رسالة السلامية في ترك السلام عليك أيها النبيّ في التشهد .

- ١٤ - رسالة في الخلل .
- ١٥ - رسالة في ذمّ الدنيا .
- ١٦ - رسالة في الردّ على الصوفيّة .
- ١٧ - رسالة في الرضاع .
- ١٨ - رسالة في الزكاة .
- ١٩ - رسالة في السهو والشكّ .
- ٢٠ - رسالة في صلاة الأذكار .
- ٢١ - رسالة في صلاة الجمعة .
- ٢٢ - رسالة في صلاة الليل .
- ٢٣ - رسالة في الفرائض .
- ٢٤ - رسالة في القراءة الأحسن من قراءات القرآن .
- ٢٥ - رسالة في معنى الصلاة .
- ٢٦ - رسالة في موعظة النفس .
- ٢٧ - سفينة النجاة .
- ٢٨ - عطية ربّانيّ وهدية سليبانيّ شرح لاميته .
- ٢٩ - فرحة الدارين في تحقيق معنى العدالة .
- ٣٠ - الفوائد الدينيّة في الردّ على الحكماء والصوفيّة .
- ٣١ - مباحثة النفس .
- ٣٢ - محبّان خدا .
- ٣٣ - معالجة النفس .
- ٣٤ - مفتاح العدالة .
- ٣٥ - المقالات العالية في بيان الفرقة الناجية .
- ٣٦ - مناسك الحجّ .

٣٧ - منهاج العارفين ، شرح رباعياته .

٣٨ - مونس الأبرار في فضائل علي عليه السلام .

٣٩ - وسيلة النجاة .

هذا ما عثرت عليه من تأليفه وآثاره القيّمة ، ولعلّ هناك عدّة كتب ورسائل لم نعتزّ عليها ، وأسأل الله تبارك وتعالى أن يوفّقنا لاحياء سائر آثاره وآثار علمائنا الأبرار ، جزاءً لجزيل خدماتهم المباركة في احياء الشريعة الغراء ، فإنّ هؤلاء الأعلام وأمثالهم رهنوا نفوسهم لخدمة المذهب الحقّ ، وتحملوا المصائب والآلام في الذبّ عن شبهات المخالفين والملحدّين ، وحاموا بجهودهم الطيّبة عن حريم أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام ، فجزاهم الله عن الاسلام وأهله خير جزاء المحسنين ، وحشرهم الله تعالى وإيانا مع موالينا الأئمّة الطاهرين المعصومين .

أشعاره الرائعة :

للمترجم رحمه الله أشعار ورباعيات كثيرة باللغتين العربيّة والفارسيّة ، في المواعظ والنصائح ومدائح أهل البيت عليهم السلام ، تنبئ عن أدبه وولائه واخلاصه لأهل العصمة والطهارة عليهم السلام ، وأنا أذكر هنا نبذة من أشعاره ، وهي :

سلامة القلب نحتني عن الزلل

وشعلة العلم دلّنتني على العمل

طهارة الأصل قادتني الى كرم

كرامتي ثبتت في اللوح في الأزل

قلبي يحبّ عليّاً ذا العلى فلذا

أدعو لأُمّي في الأبيكار والأصل

محبة المرتضى نور لصاحبها

يمشي بها آمناً من آفة الزلل

لزمت حبّ علي لا أفارقه
 وداده من جناني قطّ لم يزل
 أخو النبيّ امامي قوله سندي
 لقوله تابع ما كان من عملي
 أطعت حيدرة ذا كلّ مكرمة
 امام كلّ تقيّ قاصر الأمل
 صرفت في حبّ آل المصطفى عمري
 من مال عنهم اليه قطّ لم أمل
 باب المدينة منجانا وملجانا
 ما انحلّ مشكلنا الآبجّل علي
 لولا محبّة طه للوصيّ لما
 أقي يشاركه في طيب الأكل
 ولاية المصطفى في خمّ قد ثبتت
 بنصّ أفضل خلق الله والرسول
 نصّ النبيّ عليه فوق منبره
 عليه أشهد أهل الدين والدول
 قد نصّ في الدار عند الأقربين علي
 خلافة المرتضى جدّاً بلا هزل
 أنّ الامامة عهد لم تنل أحداً
 سوى المصون من الزلّات والخطل
 أطعت من ثبتت في الكون عصمته
 وعفّ كلّ جهول سيّء العمل

قد رَدَّت الشمس للمولى أبي حسن

روحي فدا المرتضى ذي المعجز الجلل

طوبى له كان بيت الله مولده

كمثل مولده ما كان للرسل

ومن شعره الفارسي قوله :

از گفته مصطفی امام است سه چار

از روی چه گوئی که امام است چهار

نشناسی اگر سه چار حق را ناچار

خواهی بعذاب ایزدی گشت دو چار

دلیل رفعت شأن علی اگر خواهی

باین کلام دمی گوش خویشان میدار

چو خواست مادرش از بهر زادش جای

درون خانه خاصش بداد جا ستار

پس آن مطهره با احترام داخل شد

در آن مقام مقدّس بزاد مریم وار

برون چو خواست که آید پس از چهارم روز

ندا شنید که نامش برو علی بگذار

فدای نام چنین زاده‌ای بود جانم

چنین امام گزینید یا اُولی الأبصار

ومن رباعیاته :

ای مانده ز کعبه محبت مهجور افتاده ز راه مهر صد منزل دور

با حبّ عمر دم مزن از مهر نبی کی جمع توان نمود با ظلمت نور

وله :

با رسیده حدیث صحیح مصطفوی کسی نکرده زامّت بدین حدیث عمل
که هست بعد پیمبر امام هشت و چهار بغیر پیرو آل و ائمّه اطهار
وله :

ای طالب علم دین زمن گیر خبر خود را برسان بشهر علم ای غافل
تا چند دوری در بدر ای خسته جگر شو داخل آن شهر ولیکن از در
وله :

نبی چو وارد خم گشت بر سر منبر نهاد بر سر او تاج وال من والاه
خلیفه کرد علی را بگفته جبار زامّتش بگرفت از برای وی اقرار
ولیک آنکه به بیخ بخ نمود تهنیتش بکرد از پی اقرار خویشان انکار
فتاد بر سر حارث زغیب سنگ قضا چو گشت منکر نصّ غدیر آن غدار
ومن رباعیّاته :

از دوری راه خویشان یادی کن از بی کسی مردن خود یاد آور
آماده زهر سفرت زادی کن در ماتم خود نشین و فریادی کن
وله :

از دوری راه خویشان کن یادی در راه طلب چو خفته ای ای غافل
آماده زهر سفرت کن زادی بر خیز که از قافله دور افتادی
وله :

بر خیز چه خفته ای رفیقان رفتند خندان منشین که جمله یاران عزیز
غافل چه نشسته ای عزیزان رفتند با سوز دل و دیده گریان رفتند
وله :

ای بنده طول امل و حرص و حسد این سر که زیاد نخوت امروز پر است
فرداست که اعضای تو از هم ریزد تا چشم زنی بود پر از خاک لحد
وله :

تا چشم زنی رسیده وقت سفرت فرداست که در جهان نماند اثرت
بر روی زمین خرام و غفلت تا کی از زیر زمین مگر نباشد خبرت
وله :

از وادی معصیت بیا زود گذر

کین مرحله راه است بسی خوف و خطر

گوئی که کنم توبه پس از پیریا

از مرگ جوانان مگرت نیست خبر

وله :

سالک هوس عالم بالا نکند پا بند الم زیبای دل وا نکند
هر دل که زیاد مرگ معمور شود حقد و حسد و حرص در او جا نکند
وله :

خواهی نشود گلشن دل چون بیشه بر کن تو نهال حرص را از ریشه
بر پای درخت امل و حرص و حسد پیوسته زیاد مرگ میزن تیشه

ولادته و وفاته :

لم أعتز على تاريخ ولادته في كتب الرجال وغيرها .

وأما تاريخ وفاته ، فقد اتفق أرباب التراجم أنه توفي بقم المقدسة سنة (۱۰۹۸)
ودفن خلف مرقد زكريا بن آدم طاب ثراه قريباً .

قال في الروضات : وقبره المطهر الطاهر في بقعة الشيوخ المعروفة في مزار قم
المباركة ، خلف مرقد زكريا بن آدم المأمون على الدين والدنيا بفاصلة قليلة زرته
هناك ، وتاريخ وفاته مكتوب على لوح له من الحجر في سخن الجدار الأيمن من
القبلة ، فليلاحظ وليترحم عليه ان شاء الله تعالى .

في طريق التحقيق :

قوبل هذا الكتاب الشريف على نسختين مخطوطتين ، وهما :

١ - نسخة مخطوطة كاملة ، بخطّ النسخ ، وكاتبها محمد رضا بن محمد سعيد الشريف ، في (١٠٩٥) في حياة المؤلف ، وأصل هذه النسخة محفوظة في خزانة مكتبة المرحوم آية الله العظمى النجفي المرعشي قَدْرُهُ برقم (١٥٦٢) وجعلت رمز النسخة « ن » .

٢ - نسخة مخطوطة كاملة ، بخطّ السنغليق ، وكاتبها محمد الفراهاني ، في سنة (١٢٧٤) ، وأصل هذه النسخة محفوظة في خزانة مكتبة الامام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْمَشْهَدِ الْمُقَدَّسِ برقم (٧١٢٠) وجعلت رمز النسخة « ق » .

ولم آل جهدي في استخراج المصادر من الآيات والروايات وغيرها ، وعرضها على الأصول المنقولة عنها ، والمرجوّ من الأفاضل الكرام الذين يراجعون الكتاب أن يتفضّلوا علينا بما لعلنا وقعنا فيه من الأغلاط والاشتباه ، فإنّ الانسان محلّ الخطأ والنسيان ، الآ من عصمه الله تعالى .

وأقدّم ثنائي العاطر والشكر الجزيل لزميلنا الفاضل المحقّق الشيخ محمد علي المعلم القطيفي حفظه الله تعالى لمراجعته الكتاب وتقويم نصوصه .

وأسأل الله تبارك وتعالى أن يوفّقنا ويسدّدنا لنشر سائر آثار أسلافنا الطاهرين ، والحمد لله ربّ العالمين ، والسلام عليكم ورحمة الله .

السيد مهدي الرجائي

١٥ / شهر رمضان / ١٤١٥ هـ

قم المقدّسة . ص ب ٧٥٣ - ٣٧١٨٥

بسم الله الرحمن الرحيم

مرعشي نجفی - قم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي هدانا لهذا ناسبه الحق نصب الأدلة والبراهين
وارشادنا إلى طريق إبطال المبطلين وذلنا على جرادشوار
الدين وأوردنا مشارع المهارع علم اليقين وصلّى الله
على محمد أفضل المرسلين والذابرا را الخيا را الطيبين
الطاهرين أما بعد فإني لما رأيت أفضل ما يتقرب
بإلى الله رب العالمين بعد معرفة الله ومعرفة نبيه سيده
النبيين معرفة الأئمة الاثني عشر لإظهار المعصومين لأن
معرفة عظماء من عظم أصول الدين جمعت في هذا الكتاب أدلة
قائمة على ما ملتم من حجج البراهين مفتحة بالنصوص الواردة
في كتب المحققين على أمانة مولانا ومولى الأمام أمير المؤمنين
مع الإجابة الواضحة وأبيات المعاندين وشبهات
المتخاصمين ومختتمها بيان بعض عقائد أهل السنة في الفروع
وأصول الدين ولائحة الكتاب على أربعين دليلا على ما
ارثني عن صلوات الله عليها جميعا سمية الأربعين فلما
الأئمة الطاهرين وأنا عبد عبد محمد محمد طاهر بن حسين الرضوي
فرجعني سريل قردار المؤمن بعاد الله ان يجعله وسيلة
ان يدخلني في شفاعتهم يوم الدين توكلت على الله وفوضت
امري إلى رب العالمين آمنا الفاتح في النصوص الواردة

يحصل له لأنه تدبيراً قديماً على ذلك ولو فعل جوفن ذلك لم
 يتلذذ به وبتنهيه من أنواع العاصف قد يشيد بنفائنا
 الأول يكون غيرها عند كل ما قل وما يلزمه بل أيضاً في هذا
 القول الخام الأنبياء لأن النبوة لا يثبت إلا بالمعجزة وبالعلم
 بأن المعجزة لا يظهرها الله سبحانه في الكاذب لأن تصديق
 الكاذب عقلاً فيج والقبول عقلاً لا يصد منه تعالى في فعل
 قولهم بأنكار الحسن والقبول العقل لا يتأني تصديق
 الأنبياء لأنه كلما أتت بمعجزة قلنا لنا المعجزة لا تقل على صوتك
 لأن العقل لا يستغفر تصديق الكاذب فربما صدق الله
 بالمعجزة وانت كاذب فلا يصح الاستدلال على صدق أحد من
 الأنبياء ولا الذين يثبتون الشرايع ترعون الله وحسن

تأييد تعالى حسداً لله صلى الله عليه وسلم على عبده والذليل التلم

فعاتقوا الغم من كتابه هذا الكتاب عصر في أوائل يوم

الستة اثناد من شهر ربيع الثاني من شعب

منه خمسين وخمسين بعد الألف من الهجرة النبوية

المصطفى وأنا المذنب الضعيف

ابن محمد سعيد محمد بن الأثر

حامداً لله طيباً

على يد محمد بن الأثر

صاحبه إن كان في السلام
 كوفي صلي الله عليه وسلم
 في شهر ربيع الثاني من شعب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله والبراهين وارشادنا الى الطريق
الطال المبطلين وذلنا على جوارحنا من الدين واوروثنا من اشرار النهار علم اليقين
وضياء الله على محمد افضل المرسلين واله الا بابر الاخبار الطيبين الطاهرين
بعد فانه لما رات افضلنا يتقرب به الى الله رب العالمين فبهم معرفة الله
ومعرفة نبوته سببه النبيين معرفة الله الا عشر الاطهار المعصومين لان
معرفةهم من اعظم اصول الدين جمعت في هذا الكتاب اوله قاطعة على امامتهم
من اركان الدين مقتضى بالنصوص الواردة في كتب النبي لعن على امامته مؤلفا
وسواء الانام امير المؤمنين مع الاجابة الواضحة عن تأولات المعاندين و
شبهات النبي صميم ومختصا ببيان بعض عقايد اهل السنة في الفروع
 واصول الدين والاشتمال للكتاب على اربعين دليلا على امامته الا عشر
صلوات عليهم اجمعين سببه الابرار في امامته الائمة الطاهرين وانا عليه
عبيد محمد بن طاهر بن محمد بن ابي اسحق النخعي فزيد في اسم دار المؤمنين
لعل الله ان يجعله وسيلة ان يدخلني في شفاعتهم يوم الدين فقلت على آله
وفوضت امرى الى قلب العالمين اما الله فحق النصوص الواردة في كتب النبي لعن
على امامته امير المؤمنين مع الاجابة عن شبهة المعاندين وانا النبيين امامنا منقذ
به الشوق من الاغاصيت لان ما لم يكن من هذا الشوق من مناقب الكثر من
ان يكون به الكتاب وقد صنف المصنفون فيها مصنفات كثيرة وبهات
كبره حتى قال السيد الرضي قدس سره لانه سمعت شيئا قد ما في الرواية صم
اصحاب الحديث يقال له ابو حفص عم بن شهاب بن قول انه جمعت من فضائل
على عليه السلام الف فوج يعني بها الاثرين ونقد من عبد ربه

هو في رتبة كنهه ما عدا ما جاز في رتبته من غير ما جاز في رتبته

الحمد لله الذي اوضح لنا السبل الى الاحكام وجعل

الرواية طريقا لا فضا عن حياة الانام والصلوة

والسلام على سيد انبيائه وسفرائه المعصومين الكرام

وبعد فان الاخ في السد اكليل النبيل العالم العامل الفاضل

الكامل جامع بكاره الايام مروج آثار الائمة الاطهار اعني

التقى النقي الطاهر مولانا محمد باقر عظمه الله تعالى من كبار

والصغار قد طلب مني اجازته ما صح لي اجازته ما صنف

ودواه علماءنا الماضون وسلفنا الصالحون من الكتب الاربعة

المشورة التي هي دعائم الايمان ومرجع الفقهاء في فروعها

اعني كتاب الكافي للشيخ ثقة الاسلام محمد بن يعقوب

الكلييني وكتاب من لا يضره الفقيه للشيخ الصدوق

محمد بن علي بن الحسين بن بابويه النقي وكتاب التهذيب ^{والاستبصار}

للشيخ الطائفة ابي جعفر محمد بن الحسن الطوسي اعلى الله تعالى

مقامهم واجزل في الجنة اكرامهم وفيه هذه الكتب من

لكتب الامامية فاجرت له ادايم اقبالا وكثرة في العلاء ^{مثاله} فيه

رواية جميع ما روته عن مشايخي بالقراءة والسام والاجابة

ورد في
المذكور
الرجوع
المذكور
على
على
لا اولى

هذا الكتاب من كتب الفقه الجليل
التي هي دعائم الايمان ومرجع الفقهاء
في فروعها اعني كتاب الكافي للشيخ
ثقة الاسلام محمد بن يعقوب الكلييني
وكتاب من لا يضره الفقيه للشيخ الصدوق
محمد بن علي بن الحسين بن بابويه
النقي وكتاب التهذيب والاستبصار
للشيخ الطائفة ابي جعفر محمد بن
الحسن الطوسي اعلى الله تعالى
مقامهم واجزل في الجنة اكرامهم
وفي هذه الكتب من كتب الامامية
فاجرت له ادايم اقبالا وكثرة في
العلاء مثاله فيه رواية جميع ما
روته عن مشايخي بالقراءة والسام
والاجابة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لهذا سبيل الحقّ ، بنصب الأدلّة والبراهين ، وأرشدنا الى طريق
ابطال المبطلين ، ودلّنا على جوادّ شوارع الدين ، وأوردنا مشارع أنهار علم اليقين ،
وصلى الله على محمّد أفضل المرسلين ، وآله الأبرار الأخيار الطيّبين الطاهرين .

أما بعد ، فاني لما رأيت أفضل ما يتقرّب به الى ربّ العالمين ، بعد معرفة الله
ومعرفة نبيّه سيّد المرسلين ، معرفة الأئمّة الاثني عشر الأطهار المعصومين ؛ لأنّ
معرفةهم من أعظم أصول الدين .

جمعت في هذا الكتاب أدلّة قاطعة على امامتهم ، هنّ خير البراهين ، مفتتحاً
بالنصوص الواردة في كتب المخالفين على امامة مولانا ومولى الأنام أمير
المؤمنين عليه السلام ، مع الأجوبة الواضحة عن تأويلات المعاندين ، وشبهات المخاصمين ،
ومختتماً ببيان بعض عقائد أهل السنّة في الفروع وأصول الدين .

ولاشتمال الكتاب على أربعين دليلاً على امامة الاثني عشر صلوات الله عليهم
أجمعين ، سمّيته الأربعين في امامة الأئمّة الطاهرين ، وأنا عبد عبيدهم محمّد طاهر بن
محمّد حسين الشيرازي ثمّ النجفي ، نزيل قم دار المؤمنين ، لعلّ الله أن يجعله وسيلة أن
يدخلني في شفاعتهم يوم الدين ، توكلت على الله وفوضت أمري الى ربّ العالمين .

أما الفاتحة ، فني

النصوص الواردة في كتب المخالفين على امامة أمير المؤمنين عليه السلام مع الأجوبة عن شبهه المعاندين

وَأَمَّا اِكْتَفِينَا هَاهُنَا بِنَقْلِ هَذَا النُّوعِ مِنَ الْأَحَادِيثِ ؛ لِأَنَّ مَا لَمْ يَكُنْ مِنْ هَذَا النُّوعِ مِنْ مَنَاقِبِهِ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ تَحْوِيَ هَذَا الْكِتَابَ ، وَقَدْ صَنَّفَ الْمُصَنِّفُونَ فِيهَا مَصْنُوعَاتٍ كَثِيرَةً ، وَمَجْلَدَاتٍ كَبِيرَةً .

حَتَّى قَالَ السَّيِّدُ الْمُرْتَضَى قده : إِنِّي سَمِعْتُ شَيْخًا مُقَدِّمًا فِي الرِّوَايَةِ مِنْ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ ، يُقَالُ لَهُ : أَبُو حَفْصِ عَمْرِ بْنِ شَاهِينَ ، يَقُولُ : إِنِّي جَمَعْتُ مِنْ فِضَائِلِ عَلِيِّ عليه السلام أَلْفَ جُزْءٍ يَعْنِي بِهَا الْكَرَارِيسَ (١) .

وَنَقَلَ عَنِ ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ (٢) صَاحِبِ كِتَابِ الْاِسْتِيعَابِ ، أَنَّهُ ذَكَرَ فِضَائِلَ جَلِيلَةٍ لَهُ عليه السلام ، ثُمَّ اعْتَرَفَ بِالْعِجْزِ عَنْ حِصْرِهَا (٣) .

وَنَقَلَ عَنِ الْخَوَارِزْمِيِّ فِي الْأَرْبَعِينَ ، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ لِأَخِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فِضَائِلًا لَا تَحْصَى عِدْدَهَا كَثْرَةً ، فَمَنْ ذَكَرَ فِضِيلَةً مِنْ فِضَائِلِهِ مَقْرَأً بِهَا ، غُفِرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ، وَلَوْ وَافَى الْقِيَامَةَ بِذُنُوبِ الثَّقَلَيْنِ ، وَمَنْ كَتَبَ فِضِيلَةً مِنْ فِضَائِلِ عَلِيِّ ، لَمْ تَزَلْ الْمَلَائِكَةُ تَسْتَغْفِرُ (٤) لَهُ مَا بَقِيَ مِنْ تِلْكَ الْكِتَابَةِ رِسْمًا ، وَمَنْ اسْتَمَعَ إِلَى فِضِيلَةٍ مِنْ فِضَائِلِهِ ، غُفِرَ اللَّهُ لَهُ الذُّنُوبَ الَّتِي اكْتَسَبَهَا بِالِاسْتِمَاعِ ، وَمَنْ نَظَرَ إِلَى كِتَابٍ مِنْ فِضَائِلِهِ ، غُفِرَ اللَّهُ لَهُ الذُّنُوبَ الَّتِي اكْتَسَبَهَا بِالنَّظَرِ (٥) .

وَنَقَلَ عَنِ نَاصِرِ بْنِ أَبِي الْكَوَاكِمِ الْمَطْرُزِيِّ الْخَوَارِزْمِيِّ فِي شَرْحِ الْمَقَامَاتِ ، وَهُوَ

(١) فِي « ق » : الْكَرَارِيسَ .

(٢) فِي « ق » عَنْ عَبْدِ رَبِّهِ ، وَفِي « ن » : عَنْ ابْنِ رَبِّهِ .

(٣) الْاِسْتِيعَابُ ٣ : ٥١ الْمَطْبُوعُ عَلَى هَامِشِ الْاِصَابَةِ . وَالطَّرَافِيفُ ص ١٣٧ .

(٤) فِي « ق » : تَسْتَغْفِرُونَ .

(٥) الْمَنَاقِبُ لِلْخَوَارِزْمِيِّ ص ٣٢ ط ق م .

من أعيان المخالفين ، قال : حدّثنا صدر الأئمة أخطب خطباء خوارزم موفق بن أحمد المكيّ ثمّ الخوارزمي ، ورفع السند الى ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ : لو أنّ الغياض أقلام ، والبحر مداد ، والجنّ حسّاب ، والانس كتاب ، ما أحصوا فضائل علي بن أبي طالب ^(١) .

ونعم ما قال الشاعر الأعجمي :

كتاب فضل تورا آب بحر كافي نيست

که تر کنی سر انگشت و صفحه بشاری

ولظهور فضائله ، ووفور مناقبه ، قد صنّف جماعة من أهل السنّة في فضائله وفضائل أولاده عليه السلام عدّة مصنّفات : صنّف ابن جرير كتاب الغدير ، وابن شاهين كتاب المناقب ، وابن شيبه كتاب أخبار علي وفضائله ، والمجاطح كتاب العلويّة في فضائل ^(٢) بني هاشم علي بني أمية ، والاصفهانى كتاب منقبة المطهّرين ، وما أنزل في القرآن في أمير المؤمنين ، وأبو المحاسن الروياني كتاب الجعفريّات ، والموفق المكيّ كتاب الأربعين في فضائل أمير المؤمنين ، والشيرازي نزول القرآن في شأن أمير المؤمنين ، والمؤدّن كتاب المناقب ^(٣) في فضائل فاطمة ، وابن مردويه كتاب ردّ الشمس في فضائل أمير المؤمنين ، وابن حنبل مسند أهل البيت ، والنطنزي الخصائص العلويّة على سائر البريّة ، وابن المغازلي كتاب المناقب ، والبستي كتاب المراتب ، والبصري كتاب الدرجات ، والخطيب كتاب الحقائق . قد نسب هذه المصنّفات الى هؤلاء المخالفين في كتاب الصراط المستقيم ^(٤) .

(١) المناقب للخوارزمي ص ٣٢ ، والطرائف ص ١٣٩ عن شرح المقامات للخوارزمي ، والصراط المستقيم ١ : ١٥٣ ، والبحار ٤٠ : ٧٣ - ٧٥ .

(٢) كذا في الأصل والمصدر ، ولعلّ الصحيح : فضل

(٣) في الصراط المستقيم : كتاب الأربعين .

(٤) الصراط المستقيم ١ : ١٥٣ ، للعلامة المتكلّم الشيخ زين الدين أبي محمّد علي بن

وقد رأيت عدّة مصنّفات للمخالفين غير ما ذكر، منها: كتاب فصول المهمّة في فضائل الأئمّة لبعض المالكيّة^(١)، وكتاب لأخطب^(٢)، وكتاب لابن طلحة الشافعي^(٣).

كمليحة شهدت لها ضرّاتها والفضل ما شهدت به الأعداء ولا ريب أنّ ظهور فضائل أهل البيت عليهم السلام من الأولياء والأعداء، مع وفور الدواعي على اخفائها، ليس الآبتسخير من الله سبحانه معجزة لهم عليهم السلام.
واعلم أنّ ما ورد في هذا الكتاب من أحاديث المخالفين وأخبارهم، فقد أخذتها من صحيح البخاري، ومسلم، وكتاب الفردوس للدليمي، والمصابيح للبقوي، وكتاب شرح نهج البلاغة للشيخ الفاضل ابن أبي الحديد من علماء المعتزلة، وكتاب رجال المشكاة، وكتاب حياة الحيوان لأبي البقاء محمّد بن موسى بن عيسى الشافعي، وأحكام الماوردي، وكتاب شرح المواقف، وكتاب شرح المقاصد، وكتاب شرح المختصر للعضدي، وشرح صحيح البخاري، وتاريخ أعم الكوفي.
ومن كتب ثقات أصحابنا وهداة مذهبنا رضوان الله تعالى عليهم، منها: كتاب الشافي، تأليف السيّد الجليل، والحبر النبيل، العالم العلامة الفقيه الفهامة، محيي آثار سيّد الأنبياء، السيّد المرتضى علم الهدى.

وكتاب الصراط المستقيم، للشيخ الفاضل الكامل، علي بن محمّد بن يونس، ولم أر كتاباً جامعاً في الامامة مثله، وقد أخذ أحاديثه من كتب كثيرة للخاصّة والعامّة، منها: كتاب الكشّاف للزخشري، ومنهاج محدّثين للنووي، وبغية الطالبين للكنجي

يونس النباطي، المتوفّي سنة (٨٧٧) هـ.

(١) هو الشيخ علي بن محمّد بن أحمد المالكي المكيّ الشهير بابن الصبّاغ، المتوفّي سنة (٨٥٥) هـ.

(٢) وهو الخطيب الخوارزمي المعروف، صاحب كتاب المناقب ومقتل الحسين.

(٣) هو صاحب كتاب مطالب السؤول في مناقب آل الرسول.

الشافعي ، والملل والنحل للشهرستاني ، وكتاب القاضي النعماني ، وبصائر الأنس للكيدري ، والاستيعاب ليوسف بن عبد البرّ ، ومطالب السؤل لابن طلحة ، وكشف معايب المتصوّفة ، ومقتضب الأثر لمحمّد بن عبد الله بن عيّاش ، ونهج الايمان لابن حبر ، وغيرها من الكتب (١) .

ومنها : كتاب العمدة وعيون الأخبار ، تأليف الشيخ الجليل ، العالم الفقيه ، شمس الدين جمال الاسلام ، أبي الحسين يحيى بن الحسن بن علي بن محمّد البطريق الأسدي الحلبي رضي الله عنه ، وهو كتاب في مناقب مولانا وسيّدنا أمير المؤمنين عليه السلام .

وقد استخرج أحاديثه من صحيح مسلم والبخاري ، ومن كتاب الجمع بينهما للحميدي ، ومن كتاب الجمع بين الصحاح الستة : من موطأ مالك بن أنس الأصبحي ، وصحيح مسلم والبخاري ، وكتاب السنن لأبي داود السجستاني ، وصحيح الترمذي ، والنسخة الكبيرة من صحيح النسائي ، من جمع أبي الحسن رزين بن معاوية الأندلسي الملقّب بامام الحرمين ، ومسند أحمد بن حنبل الشيباني ، وتفسير القرآن للأستاذ أبي اسحاق الثعلبي ، ومن مناقب الفقيه الشافعي أبي الحسن علي بن محمّد المعروف بابن المغازلي (٢) .

ومنها : كتاب كشف الغمّة في معرفة الأئمّة ، تأليف الشيخ السعيد الفاضل العلامة ، بهاء الدين علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي تغمّده الله برحمته .

ومنها : كتاب الطرائف ، تأليف العالم الفاضل الموقّق المؤيّد المهتدي أبي محمود الذمّي (٣) .

(١) الصراط المستقيم ١ : ٤ - ٥ .

(٢) العمدة لابن بطريق ص ٢ - ٣ .

(٣) وهو اسم مستعار للعالم الكامل الفاضل صاحب المناقب والفضائل ، السيّد علي بن طاووس الحسيني الحلبي ، المتوفّي سنة (٦٦٤) وكتاب الطرائف في معرفة المذاهب طبع في سنة (١٣٩٩) هـ بتحقيقنا في بلدة قم المقدّسة .

ومنها : كتاب الألفين ، ونهج الحقّ وكشف الصدق ، وكتاب منهاج الكرامة ، تأليف الشيخ الجليل ، والحبر النبيل ، الفاضل العلّامة ، الكامل الفهّامة ، جمال الدين الحسن بن يوسف بن المطهّر الحليّ قدّس الله سرّه ، وغيرها من الكتب .

وقد نقلوا هؤلاء الثقات ما رووه ممّا ذكرناه ها هنا وما لم نذكره من كتب المخالفين ، ونعلم قطعاً أنّ ما نقله هؤلاء الثقات عن كتب المخالفين واستخرجوه ، حقّ وصدق ، وما كذبوا في النقل وما افتروا ؛ لأنّهم مع ثقّتهم وأمانتهم وجلالتهم ، صنّفوا هذه الكتب بين ظهريّ المخالفين والمعاندين ، وأظهروها في حياتهم ، وتحدّثوا بصحّة ما نقلوه كلّ من وقف عليها ، ومضى عليها سنون كثيرة .

ولم يتّهم أحد من المخالف والمؤالف واحداً من هؤلاء المصنّفين ، بكذب وافتراء في النقل ، فعلمنا بمقتضى العادة أنّ ما نقلوه عن كتب المخالف فهو كما نقلوه ، ولا شكّ ولا ريب فيه . وما أنا إذا أشرع في ذكر الأحاديث المقصودة ، وأجعلها أنواعاً :

النوع الأوّل

ما ورد في كتب المخالف من أنّ أمير المؤمنين

علي بن أبي طالب عليه السلام وصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله وخليفته

وما في معناهما من وجوب اتّباعه وفرض طاعته ، من الأحاديث المتفرّقة :

منه : ما في مسند أحمد بن حنبل ، باسناده عن أنس - يعني : أنس بن مالك

قال : قلنا لسلمان : سل النبيّ صلى الله عليه وآله من وصيّته ؟ فقال له سلمان : يا رسول الله من

وصيّك ؟ فقال : يا سلمان من وصيّ موسى ؟ فقال : يوشع بن نون ، قال : فقال ،

وصيّ ووارثي يقضي ديني وينجز مواعيدي علي بن أبي طالب ^(١) .

(١) فضائل الصحابة لأحمد ٢ : ٦١٥ ح ١٠٥٢ ، والعمدة ص ٧٦ ح ٩٢ عن مسند أحمد

بن حنبل وتذكرة الخواصّ لابن الجوزي ص ٤٧ عن فضائل أحمد ، والرياض النضرة لمحبّ

ومنه : ما في تفسير الثعلبي في تفسير قوله تعالى ﴿ وأنذر عشيرتک الأقرين ﴾ ^(١) في سورة الشعراء باسناده عن البراء ، قال : لما نزل ﴿ وأنذر عشيرتک الأقرين ﴾ قال : جمع رسول الله ﷺ بني عبد المطلّب ، وهم يومئذ أربعون رجلاً ، الرجل منهم يأكل المسنة ويشرب العس ^(٢) ، وأمر علياً أن يدخل شاة فأدمها ، ثم قال لهم : أدنوا بسم الله ، فدى القوم عشرة عشرة ، فأكلوا حتى صدروا ، ثم دعا بقعب من لبن ، فجرع منه جرعة ، ثم قال لهم : اشربوا بسم الله ، فشربوا حتى رووا ، فبدرهم أبو لهب فقال : هذا ما سحرکم به الرجل ، فسکت النبي ﷺ يومئذ فلم يتکلم .

ثم دعاهم من الغد على مثل ذلك الطعام والشراب ، ثم أنذرهم رسول الله ﷺ فقال : يا بني عبد المطلّب اني أنا النذير اليکم من الله عزّ وجلّ ، والبشير لما لم يجيء به أحد ، جئتکم بالدنيا والآخرة ، فأسلموا وأطيعوا تهتدوا ، ومن يؤاخيني ويوازرني ويكون وليّي ووصيّي بعدي وخليفتي في أهلي ويقضي ديني ؟ فسکت القوم ، وأعاد ذلك ثلاثاً ، كلّ ذلك يسکت القوم ويقول عليّ : أنا ، فقال : أنت ، فقام القوم وهم يقولون لأبي طالب : أطع ابنک ، فقد أمر عليك ^(٣) .

ومنه : ما في مسند أحمد بن حنبل أيضاً ، باسناده ، عن عباد بن عبد الله الأسدي ، عن علي عليه السلام ، لما نزلت ﴿ وأنذر عشيرتک الأقرين ﴾ دعا رسول الله ﷺ أربعين رجلاً من أهل بيته ، ان كان الرجل منهم آكلًا لياكل جذعة ، وان كان شارباً فزقاً ، فقدّم اليهم فأكلوا حتى شبعوا ، فقال لهم : من يضمن عني ديني

الدين الطبري ٢ : ٢٧٩ ، والطرائف ص ٢٢ عن مسند أحمد بن حنبل ، والبحار ٣٨ : ١٩ .
(١) الشعراء : ٢١٤ .

(٢) العسّ : القدح العظيم .

(٣) العمدة ص ٧٦ - ٧٧ عن تفسير الثعلبي المخطوط ، والطرائف ص ٢٠ - ٢١ عنه ،
واحقاق الحق ٤ : ٦٢ عنه .

ومواعيدي ويكون معي في الجنة، ويكون خليفتي في أهلي، فعرض ذلك على أهل بيته، فقال علي عليه السلام: أنا، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: علي يقضي ديني وينجز مواعيدي (١).

وقد نقل هذا الحديث عن ابن جرير الطبري وابن الأثير الجزري في تاريخهما، بالألفاظ تقارب هذه الألفاظ المذكورة (٢).

ونقل عن كتاب نهاية العقول في دراية الأصول، تأليف فخر الدين عمر الرازي، قال رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الدار وقد جمع بني عبد المطلب: أيكم يباعدني ويوازرنني يكن أخي ووصيي وخليفتي من بعدي، فبايعه علي (٣).

وفيه أيضاً، قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي مشيراً إليه، وأخذ بيده رسول الله صلى الله عليه وآله: هذا خليفتي فيكم من بعدي، فاسمعوا له وأطيعوا (٤).

وفيه أيضاً، قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي: أنت أخي ووصيي وقاضي ديني وخليفتي من بعدي (٥).

وفيه أيضاً، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: هذا خليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا (٦).
ومنه: ما رواه الحافظ محمد بن مؤمن الشيرازي، من علماء الأربعة المذاهب، فيما أورده في كتابه واستخرجه من تفاسير (٧) الاثني عشر، في تفسير قوله تعالى ﴿عم

(١) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢: ٦٥٠ ح ١١٠٨، ومسند أحمد بن حنبل ١: ١١١، والعمدة ص ٨٧ ح ١٠٤.

(٢) تاريخ الطبري ٢: ٦٢ ط الأعلمي، وكامل ابن الأثير ٢: ٦٢ ط دار الفكر.

(٣) احقاق الحق ٤: ٣٥٢ عن كتاب نهاية العقول.

(٤) احقاق الحق ٤: ٢٩٧ عنه.

(٥) احقاق الحق ٤: ٣٣٩ عنه.

(٦) احقاق الحق ٤: ٢٩٧ عنه.

(٧) في «ن»: التفاسير.

يتسائلون * عن النبأ العظيم * الذي هم فيه مختلفون * باسناده الى السدي ، يرفعه ، قال : أقبل صخر بن حرب حتى جلس الى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله هذا الأمر لنا من بعدك أم لمن ؟ قال : يا صخر الأمر بعدي لمن هو مني بمنزلة هارون من موسى ، فأنزل الله تعالى ﴿ عمّ يتسائلون ﴾ يعني : يسألك أهل مكة عن خلافة علي بن أبي طالب ﴿ عن النبأ العظيم ﴾ الذين هم فيه مختلفون ﴿ منهم المصدّق بولايته وخلافته ، ومنهم المكذّب بهما .

ثمّ قال ﴿ كلاً ﴾ وهو ردّ عليهم ﴿ سيعلمون ﴾ سيعرفون خلافته وولايته ، اذ يسألون عنها في قبورهم ، ولا ميّت ^(٢) في شرق ولا غرب ، ولا في برّ ولا بحر ، الاّ ومنكر ونكير يسألانه عن ولاية أمير المؤمنين بعد الموت ، يقولون للميّت : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ ومن امامك ؟ ^(٣) .

ومنه : ما رواه أيضاً هذا الرجل في كتابه في تفسير قوله تعالى ﴿ واذا قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة ﴾ ^(٤) باسناده ، عن علقمة ، عن ابن مسعود ، قال : وقعت الخلافة من الله عزّ وجلّ في القرآن لثلاثة نفر .

ثمّ ذكر آدم وداود ، الى قوله : والخليفة الثالث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ؛ لقول الله تعالى في السورة التي يذكر فيها النور ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ﴾ يعني : علي بن أبي طالب عليه السلام ﴿ ليستخلفنكم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ﴾ آدم وداود ، الى قوله ﴿ ومن كفر بعد ذلك ﴾ بولاية علي بن أبي

(١) في « ن » : يعرفون .

(٢) فلا يبقى ميّت - خ ل .

(٣) الطرائف ص ٩٥ ح ١٣٣ عن تفسير الشيرازي ، واحقاق الحق ٣ : ٤٨٥ عنه .

(٤) البقرة : ٣٠ .

طالب عليه السلام ﴿ فأولئك هم الفاسقون ﴾ ^(١) يعني : العاصين لله ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم ^(٢) .

وروي أيضاً في الكتاب المذكور، باسناده عن أنس بن مالك ، قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن معنى قوله تعالى ﴿ وربك يخلق ما يشاء ﴾ ^(٣) قال : إن الله عزَّ وجلَّ خلق آدم من طين كيف شاء ، ثمَّ قال ﴿ ويختار ﴾ إنَّ الله اختارني وأهل بيتي على جميع الخلق ، فانتجبنا ، فجعلني الرسول ، وجعل علي بن أبي طالب الوصي ، ثمَّ قال ﴿ ما كان لهم الخيرة ﴾ يعني : ما جعلت للعباد أن يختاروا ، ولكنِّي أختار ما أشاء ، فأنا وأهل بيتي صفوة الله وخيرته من خلقه ، ثمَّ قال ﴿ سبحان الله وتعالى عما يشركون ﴾ يعني : تنزيهاً لله عما ^(٤) يشركون به كفار مكَّة ، ثمَّ قال ﴿ وربك ﴾ يعني : يا محمَّد ﴿ يعلم ما تكن صدورهم ﴾ من بغض المنافقين لك ولأهل بيتك ﴿ وما يعلنون ﴾ من الحبِّ لك ولأهل بيتك ^(٥) .

وفي كتاب الأربعين لامامهم أسعد بن إبراهيم بن الحسين بن علي الأرمي ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إذا مات علي وأُخرج من الدنيا ، ظهرت في الدنيا خصال لا خير فيها ، فقيل : ما هي يا رسول الله ؟ فقال : تقلُّ الأمانة ، وتكثر الخيانة ، حتَّى يركب الرجل الفاحشة وأصحابه ينظرون إليه ، والله لتضايق الدنيا بعده بنكبة ، ألا وإنَّ الأرض لا تخل منِّي ما دام علي حيّاً ، علي في الدنيا عوض منِّي بعدي ، علي كجلدي ، علي كلحمي ، علي كعظمي ، علي كدمي في عروقي ، علي أخي ووصي في أهلي وخليفتي في قومي ، ومنجز عداقي ، وقاضي ديني ^(٦) . نقل هذا الحديث عن

(١) النور : ٥٥ .

(٢) الطرائف ص ٩٥ - ٩٦ عنه ، واحقاق الحق ١٤ : ٥٦٥ ، وشواهد التنزيل ١ : ٧٦ .

(٣) القصص : ٦٧ .

(٤) في الطرائف : يعني الله منزّه عما ، وفي الاحقاق : يعني تنزّهاً لله عما .

(٥) الطرائف ص ٩٧ عنه ، واحقاق الحق ٣ : ٥٦٤ عنه .

(٦) راجع احقاق الحق ٦ : ٥٨١ - ٥٩١ .

الكتاب المذكور الفاضل القاشي .

ومنه : ما في مناقب الفقيه ابن المغازلي الشافعي الواسطي عن زرارة^(١) الأنصاري ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله ﷺ : لما كان ليلة أُسري بي الى السماء ، اذا قصر أحمر من ياقوت يتلألأ ، فأوحى اليّ في علي : أنه سيّد المسلمين ، وامام المتّقين ، وقائد الغرّ المحجّلين^(٢) .

وفي كتاب الفردوس للدليمي من علماء المخالفين ، باسناده عن النبي ﷺ قال : يا علي أنّك سيّد المسلمين ، ويعسوب الدين ، وامام المتّقين ، وقائد الغرّ المحجّلين^(٣) .
ومنه أيضاً : عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ : يا أبا برزة إنّ الله ربّ العالمين ، عهد اليّ عهداً في علي بن أبي طالب ، فقال : أنّه راية الهدى ، ومنار الايمان ، وامام أوليائي ، ونور جميع من أطاعني ، يا أبا برزة علي بن أبي طالب أميني غدأ في القيامة ، وصاحب رايتي في القيامة ، بيد علي مفاتيح خزائن رحمة ربّي^(٤) .
وفي الكتاب المذكور ، عن عبد الله بن أسعد^(٥) بن زرارة ، قال : قال رسول الله ﷺ : انتهت ليلة أُسري بي الى سدرة المنتهى ، فأوحى اليّ في علي ثلاثة : أنّه امام المتّقين ، وسيّد المسلمين ، وقائد الغرّ المحجّلين الى جنّات النعيم^(٦) .

(١) في المناقب : محمّد بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة .

(٢) المناقب لابن المغازلي ص ١٠٤ .

(٣) المناقب لابن المغازلي ص ٦٥ ، ولم أعثر عليه في الفردوس المطبوع .

(٤) رواه في حلية الأولياء ص ٦٦ ، والمغازلي في المناقب ص ٤٦ ، والخوازمي في المناقب

ص ٢٤٠ و ٢٤٥ ، ونظم درر السمطين ص ١١٤ ، ولسان الميزان ٦ : ٢٣٧ .

(٥) في النسختين : سعيد ، والصحيح ما أثبتناه .

(٦) رواه الحاكم في المستدرک ٣ : ١٣٧ ، وأبو نعيم في أخبار اصفهان ٢ : ٢٢٩ ،

والخوازمي في المناقب ص ٢٢٩ ، وابن الأثير في أسد الغابة ٣ : ١١٦ ، والطبري في ذخائر

العقبى ص ٧٠ ، وفي رياض النضرة ٢ : ١٧٧ .

ومنه : ما في تفسير الثعلبي عند تفسير قوله تعالى ﴿ واسأل من أرسلنا من رسلنا ﴾ (١) أن النبي ﷺ ليلة أُسري به ، جمع الله بينه وبين الأنبياء ، ثم قال : قل لهم : على ما بعثتم ؟ فقالوا : بعثنا على شهادة أن لا إله إلا الله ، وعلى الإقرار بنبوتك ، والولاية لعلي بن أبي طالب (٢) .

وفي مناقب الفقيه لابن المغازلي في تفسير قوله تعالى ﴿ والنجم اذا هوى ﴾ باسناده عن ابن عباس ، قال : كنت جالساً مع فتية من بني هاشم عند النبي ﷺ اذ انقضَّ كوكب ، فقال رسول الله ﷺ : من انقضَّ هذا النجم في منزله فهو الوصي من بعدي ، فقام فتية من بني هاشم فنظروا ، فاذا الكوكب قد انقضَّ في منزل علي بن أبي طالب عليه السلام ، قالوا : يا رسول الله لقد غويت في حبِّ علي ، فأنزل الله تعالى ﴿ والنجم اذا هوى ﴾ ما ضلَّ صاحبكم وما غوى ﴿ الى قوله ﴿ وهو بالأفق الأعلى ﴾ (٣) .

وفي كتاب الفردوس للدليمي من علماء المخالفين ، باسناده عن عمّار بن ياسر : يا علي ان الله عزَّ وجلَّ زينك بزينة لم يتزيّن الخلائق بزينة هي أحبُّ اليه منها ، وهي زينة الأبرار عند الله الزهد في الدنيا ، وجعلت الدنيا لا تنال منك شيئاً ، ووهب لك حبَّ المساكين ، فجعلك لهم اماماً ، يرضون بك وترضى بهم أتباعاً ، فطوبى لمن أحبك وصدّق فيك الحديث (٤) .

وفي مناقب الخوارزمي ، عن ابن مريم ، قال : سمعت عمّار بن ياسر عليه السلام يقول :

(١) الزخرف : ٤٥ .

(٢) الطرائف ص ١٠١ ح ١٤٧ ، واحقاق الحق ٣ : ١٤٥ عن عدّة مصادر .

(٣) المناقب لابن المغازلي ص ٣١٠ ح ٣٥٣ ، ورواه عن طريق أنس ص ٢٦٦ ح ٣١٣ .

(٤) الفردوس للدليمي ٥ : ٤٠٩ ح ٨٣١٧ ، ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء ١ : ٧١ ، والطبري في ذخائر العقبى ص ١٠٠ ، وفي الرياض النضرة ٢ : ٢٢٨ ، ونظم درر السمطين

سمعت رسول الله ﷺ يقول: يا علي ان الله تعالى زينك بزينة لم يزين العباد بزينة هي أحب اليه منها: زهدك فيها، وبغضها اليك، وحبب اليك الفقراء، فرضيت بهم أتباعاً، ورضوا بك اماماً، فطوبى لمن أحببك وصدق بك، الحديث (١).

وفي الكتاب المذكور عن ابن عباس في حديث طويل في فضائل مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، الى قوله: وخرج رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، فقال علي عليه السلام: أخرج (٢) معك؟ فقال له عليه السلام: لا، فبكى علي، فقال: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، الا أنه ليس بعدي نبي؟ لا ينبغي أن أذهب الا وأنت خليفتي، قال: وقال له: أنت ولي كل مؤمن من بعدي ومؤمنة، الحديث (٣).

وفي الكتاب المذكور في حديث طويل، في وصف ركوبه وزينته يوم القيامة، الى قوله: بيده لواء الحمد، وهو ينادي: أشهد أن لا اله الا الله، وأن محمداً رسول الله، فيقول الخلائق: ما هذا الا نبي مرسل، أو ملك مقرب، أو حامل عرش، فينادي مناد من بطنان العرش: ليس هذا ملكاً مقرباً، ولا نبياً مرسلأ، ولا حامل عرش، هذا علي بن أبي طالب وصي رسول رب العالمين، وامام المتقين، وقائد الغر المحجلين (٤).

وفي مناقب الخوارزمي أيضاً، قال: قال رسول الله ﷺ: ان الله خلق السماوات والأرض، دعاهن فأجبنه، فعرض عليهن نبوتي وامامة (٥) علي بن أبي طالب، وقبلتاها، ثم خلق الخلق وفوض الينا أمر الدين، فالسعيد من سعد بنا، والشقي من

(١) المناقب للخوارزمي ص ١١٦ ط قم.

(٢) في «ن»: «هل أخرج».

(٣) المناقب للخوارزمي ص ١٢٥ ط قم.

(٤) المناقب للخوارزمي ص ٣٦٠، مع اختلاف يسير في الألفاظ.

(٥) في المناقب: وولاية.

شقي بنا ، نحن المحلّون ^(١) لحلاله ، والمحرمون لحرامه ^(٢) .

ومنه : ما ذكره ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ، قال : روى ابن ديزيل ، قال : حدّثنا يحيى بن زكريّا ، قال : حدّثنا علي بن القاسم ، عن سعيد بن طارق ، عن عثمان بن القاسم ، عن زيد بن أرقم ، قال : قال رسول الله ﷺ : ألا أدلكم على ما ان تسالتم ^(٣) عليه لم تهلكوا ، إنّ وليكم الله وامامكم علي بن أبي طالب ، فناصره وصدّقه ، فإنّ جبرئيل أخبرني بذلك ^(٤) .

ثمّ قال الشارح بعد ذكر الرواية : فان قلت : هذا نصّ صريح في الامامة ، فما الذي تصنع المعتزلة بذلك ؟

قلت : يجوز أن يريد أنّه امامهم في الفتوى وأحكام الشريعة ^(٥) لا في الخلافة ^(٦) . أنظر أيها اللبيب الى تحريفات هؤلاء الزايغين عن طريق الصواب ، واشكر على ما هداك ربّ الأرباب .

ومنه : ما في كتاب كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب ، تأليف الشيخ الامام المحافظ أبي عبد الله محمّد بن يوسف بن محمّد الكنجي الشافعي ، باسناده عن أبي برزة ، قال : قال رسول الله ﷺ : إنّ الله عهد الىّ عهداً في علي ، فقلت : يا ربّ بيّنه لي ، فقال : اسمع ، فقلت : سمعت ، فقال : إنّ عليّاً راية الهدى ، وامام أوليائي ، ونور من أطاعني ، وهو الكلمة التي ألزمتها المتّقين ، من أحبّه فقد أحبّني ، ومن أبغضه فقد أبغضني ، فبشّره بذلك ، فجاء علي فبشّره ، فقال : يا رسول الله أنا عبد

(١) في « ق » : المحلّون .

(٢) المناقب للخوارزمي ص ١٣٥ .

(٣) في الشرح : تساءلتم .

(٤) رواه ابن المغازلي في المناقب ص ٢٤٥ ح ٢٩٢ .

(٥) في الشرح : الشرعية .

(٦) شرح نهج البلاغة ٣ : ٩٨ .

الله وفي قبضته ، فان يعذبني فبذنوبي ، وان يتم لي الذي بشرتني به ، فالله أولى بي .
 قال : فقلت : اللهم اجل قلبه ، واجعل ربيعه الايمان ، فقال الله عزوجل : قد
 فعلت به ذلك ، ثم انه رفع اليّ انه سيخصه من البلاء بشيء لم يخص به أحداً من
 أصحابي ، فقلت : يا رب أخي وصاحبي ؟ فقال : ان هذا شيء قد سبق انه مبتلى
 ومبتلى به (١) .

وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد من علماء الجمهور ، ورد هذا الحديث
 بهذه العبارة : ان الله عهد اليّ في علي عهداً ، فقلت : يا رب بيته لي ، قال : اسمع ان
 علياً راية الهدى ، وامام أوليائي ، ونور من أطاعني ، وهو الكلمة التي ألزمتها
 المتقين ، من أحبه فقد أحببني ، ومن أطاعه فقد أطاعني ، فبشره بذلك ، فقلت : قد
 بشرته يا رب ، فقال : أنا عبد الله وفي قبضته ، فان يعذبني فبذنوبي لم يظلم شيئاً ،
 وان يتم لي ما وعدني فهو أولى ، وقد دعوت له فقلت : اللهم اجل قلبه ، واجعل
 ربيعه الايمان بك ، قال : قد فعلت ذلك غير أنّي مختصه بشيء من البلاء لم أخص به
 أحداً من أوليائي ، فقلت : رب أخي وصاحبي ، قال : انه سبق في علمي انه لمبتلى
 ومبتلى به .

ثم قال : ذكره أبو نعيم الحافظ في حلية الأولياء ، عن أبي برزة الأسلمي .
 ثم رواه باسناد آخر بلفظ آخر عن أنس بن مالك : ان رب العالمين عهد اليّ في
 علي عهداً (٢) ، انه راية الهدى ، ومنار الايمان ، وامام أوليائي ، ونور جميع من
 أطاعني ، ان علياً أمني غداً في القيامة ، وصاحب رايتي ، بيد علي مفاتيح خزائن
 رحمة ربي (٣) .

(١) كفاية الطالب ص ٧٣ ط النجف .

(٢) في الشرح ، عهد في علي اليّ عهداً .

(٣) شرح نهج البلاغة ٩ : ١٦٧ - ١٦٨ . وحلية الأولياء ١ : ٦٦ .

ومنه : ما رواه الفاضل القاشي في كتابه الذي ألفه في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ،
تقلاً عن كتب المخالفين ، عن المحافظ أبي نعيم ، من رواية الشعبي ، قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وآله : مرحباً بسيد العرب وامام المتقين ^(١) .

ومنه : ما في كتاب كفاية الطالب ، عن عمار بن ياسر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله
: أوصي من آمن بي وصدقني ، بولاية علي بن أبي طالب ، من تولاه فقد تولاني ،
ومن تولاني فقد تولي الله عز وجل ^(٢) .

ومنه : ما في هذا الكتاب ، عن أبي ذرّ ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : يرد عليّ
الحوض راية علي أمير المؤمنين ، وامام الغرّ المحجلين ، فأقوم فأخذ بيده ، فيبيضّ
وجهه ووجوه أصحابه ، فأقول : ما خلفتموني في الثقلين بعدي ؟ فيقولون : تبعنا
الأكبر وصدقناه ، ووازرنا الأصغر ونصرناه ، وقاتلنا معه ، فأقول : ردّوا روائاً
مرويين ، فيشربون شربة لا يظمأون بعدها أبداً ، ووجه امامهم كالشمس الطالعة ،
ووجوههم كالقمر ليلة البدر أو كأضوء نجم في السماء ^(٣) .

ومنه : ما رواه الامام الفاضل أبو بكر بن مؤمن الشيرازي في رسالة الاعتقاد ،
باسناده عن النبي صلى الله عليه وآله : من أراد منكم النجاة بعدي ، والسلامة من الفتن ،
فليستمسك بعدي بولاية علي بن أبي طالب ، فأنه الصديق الأكبر ، والفاروق
الأعظم ، وهو امام كلّ مسلم بعدي ، من اقتدى به في الدنيا ورد عليّ حوضي ، ومن
خالفه لم يره ولم يرني ، فاختلج دوني وأخذ ذات الشمال الى النار ^(٤) .

وفي رسالته أيضاً : عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : فرض الله عليكم طاعة علي بعدي ،

(١) حلية الأولياء ١ : ٦٦ .

(٢) كفاية الطالب ص ٧٤ .

(٣) كفاية الطالب ص ٧٦ .

(٤) احقاق الحق ٤ : ٣٣١ ، عن رسالة الاعتقاد المخطوط .

كما فرض عليكم طاعتي ، ونهاكم عن معصيته كما نهاكم عن معصيتي ، حبه ايمان ، وبغضه كفر ، أنا وإياه أبوا هذه الأمة^(١) .

وفيها : عن رسول الله ﷺ : انّ وصيِّي وخليفتي وخير من أترکه بعدي ، ينجز موعدي ، ويقضي ديني ، علي بن أبي طالب^(٢) .

ومنه : ما في المناقب ، عن ابن بريده ، قال : قال رسول الله ﷺ : لكلّ نبيّ وصيٍّ ووارث ، وانّ عليّاً وصيِّي ووارثي^(٣) .

ومنه : ما رواه الفقيه الشافعي ابن المغازلي في كتاب المناقب ، والشعبي في تفسيره ، عن أنس بن مالك ، قال : أهدي لرسول الله ﷺ بساط من خندف^(٤) ، فقال لي : يا أنس أبسطه ، فبسطته ، فقال : أدع اليّ العشرة ، فدعوتهم ، فلمّا دخلوا أمرهم بالجلوس على البساط ، ثمّ دعا عليّاً فاجاه طويلاً ، ثمّ رجع فجلس على البساط ، ثمّ قال : يا ربح احملينا ، فحملتنا الريح ، فاذا البساط تدفّ بنا دفاً .

ثمّ قال : يا ربح ضعينا ، ثمّ قال : تدرّون في أيّ مكان أنتم ؟ قلنا : لا ، قال : هذا موضع أهل الكهف والرقيم ، قوموا فسلّموا على اخوانكم ، قال : فقننا رجلاً رجلاً ، فسلّمنا عليهم ، فلم يردّوا علينا ، فقام علي عليه السلام فقال : السلام عليكم يا معشر الصديقين والشهداء ، فقالوا : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ، قال : فقلت : وما بالهم ردّوا عليك ولم يردّوا علينا ؟ فقال : ما بالكم لم تردّوا على اخواني ؟ فقالوا : انا معشر الصديقين والشهداء لا نكلّم بعد الموت الاّ نبيّاً أو وصيّاً ، الحديث^(٥) .

(١) احقاق الحق ٧ : ٢١٦ عنها .

(٢) احقاق الحق ٤ : ٧٣ عنها .

(٣) المناقب لابن المغازلي ض ٢٠١ ح ٢٣٨ .

(٤) في المناقب والطرائف : بهندف .

(٥) المناقب لابن المغازلي ص ٢٣٢ ح ٢٨٠ ، والطرائف ص ٨٣ ، والعمدة ص ٣٧٣ عن المناقب والتفسير .

ومنه : ما في مسند أحمد بن حنبل ، عن ابن عباس في حديث طويل أتينا بموضع الحاجة منه ، قال : وخرج الناس في غزوة تبوك ، فقال علي عليه السلام : أخرج معك ؟ قال : فقال له النبي صلى الله عليه وآله : لا ، فبكى علي عليه السلام فقال : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنك ليس بنبى ، أنه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي ، قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : أنت ولي كل مؤمن بعدي ومؤمنة ^(١) .

ومنه : ما رواه المحافظ أحمد بن موسى بن مردويه ، بسنده عن أم سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وآله ، وكانت أطف نساءه وأشدهن له حباً ، قال : وكان لها مولى يحضنها ورباها ، وكان لا يصلي صلاة إلا سب علياً وشتمه ، فقالت له : يا أبت ما حملك على سب علي ؟ قال : لأنه قتل عثمان وشرك في دمه .

قال له : لولا أنك مولاي ربيتي ، وأنتك عندي بمنزلة والدي ، ما حدثتك بسر رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولكن اجلس حتى أحدثك عن علي وما رأيت ، قد أقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وكان يومي ، وأنا كان يصيبني في تسعة أيام يوم واحد ، فدخل النبي صلى الله عليه وآله وهو متخلل أصابعه في أصابع علي عليه السلام واضعاً يده عليه ، فقال : يا أم سلمة أخرجي من البيت وأخليه لنا .

فخرجت وأقبلا يتناحيان ، وأسمع الكلام ولا أدري ما يقولان ، حتى إذا قلت : قد انتصف النهار ، أقبلت فقلت : السلام عليكم ألمج ؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله : لا تلجي وارجعي مكانك ، ثم تناجيا طويلاً ، فقام عمود الظهر ، فقلت : ذهب يومي وشغله علي ، فأقبلت أمشي حتى وقفت على الباب ، فقلت : السلام عليكم ألمج ؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله : لا تلجي ، فرجعت فجلست حتى إذا قلت : قد زالت الشمس ، الآن يخرج الى الصلاة ، فيذهب يومي ولم أر يوماً قط أطول منه ، فأقبلت أمشي حتى وقفت على الباب ، فقلت : السلام عليكم ، فقال النبي صلى الله عليه وآله : فليجي .

فدخلت وعلي واضح يده على ركبتي رسول الله ﷺ قد أدنى فاه من أذن النبي ﷺ ، وفم النبي ﷺ على أذن علي يتساران ، وعلي يقول : أفأمضي وأفعل ؟ والنبي ﷺ يقول : نعم ، فدخلت وعلي معرض وجهه حتى دخلت وخرج ، فأخذني النبي ﷺ فأقعدني في حجره ، فأصاب مني ما يصيب الرجل من أهله من اللطف والاعتذار .

ثم قال : يا أم سلمة لا تلوميني ، فإن جبرئيل علياً أتاني من الله بما هو كائن بعدي ، وأمرني أن أوصي به علياً من بعدي ، وكنت جالساً بين جبرئيل وبين علي ، جبرئيل عن يميني ، وعلي عن شمالي ، فأمرني جبرئيل أن أمر علياً ما هو كائن بعدي الى يوم القيامة ، فاعذريني ولا تلوميني ، ان الله اختار من كل أمة نبياً ، واختار لكل نبي وصياً ، فأنا نبي هذه الأمة ، وعلي وصي في عترتي وأهل بيتي وأمتي من بعدي . فهذا ما شهدت من علي ، الآن يا أبة^(١) فسبه أو دعه ، فأقبل أبوها يناجي الليل والنهار ويقول : اللهم اغفر لي ما جهلت من أمر علي ، فإن وليّ علي وليي ، وعدوّ علي عدوّي ، وتاب المولى توبة نصوحاً ، فأقبل فيما بقي من دهره يدعو الله أن يغفر له^(٢) .

وفي كتاب مناقب المحافظ أبي بكر أحمد بن موسى بن مردويه ، عن أبي سعيد الخدري ، عن سلمان رضي الله عنه ، قال : قلت : يا رسول الله لكل نبي وصي فمن وصيك ؟ فسكت عني ، فلما كان بعد رأني ، فقال : يا سلمان ، فأسرعت اليه ، قلت : لبيك ، قال : تعلم من وصي موسى ؟ قلت : نعم ، يوشع بن نون ، قال : لم ؟ قلت : لأنه كان أعلمهم يومئذ ، قال : فإن وصي وموضع سرّي وخير من أترك بعدي ينجز عدتي

(١) في المصادر : يا أبتاه .

(٢) الطرائف ص ٢٤ - ٢٦ عن مناقب ابن مردويه ، واحقاق الحق ٤ : ٧٦ عنه ، ومناقب الخوارزمي ص ٨٩ .

ويقضي ديني علي بن أبي طالب (١).

ومنه : ما في هذا الكتاب ، عن سلمان الفارسي ، أنه سمع نبي الله ﷺ يقول : إن أخي ووزيرني وخير من أخلفه بعدي علي بن أبي طالب (٢).

ومنه : ما في هذا الكتاب أيضاً ، عن أبي أيوب الأنصاري ، أن النبي ﷺ مرض مرضة ، فأنته فاطمة تعوده ، فلما رأت ما برسول الله ﷺ من الجهد والضعف ، استعبرت فبكت حتى سال الدمع على خديها ، فقال لها رسول الله ﷺ : يا فاطمة إن لكرامة الله إياك زوجك (٣) من أقدمهم سلماً ، وأكثرهم علماً ، وأعظمهم حليماً ، إن الله تعالى أطلع الى أهل الأرض اطلاعة ، فاخترني منهم ، فبعثني نبياً مرسلأ ، ثم أطلع اطلاعة ، فاختر منهم بعلك ، فأوحى الي أن أزوجه إياك وأتخذة وصياً (٤).

ومنه : ما في هذا الكتاب أيضاً مسنداً ، عن أبي الطفيل ، في حديث طويل سيجيء ان شاء الله ذكر تمامه ، قال علي عليه السلام لأهل الشورى : أنشدكم الله هل تعلمون أن لرسول الله وصياً غيري ؟ قالوا : اللهم لا (٥).

ومنه : ما في كتاب كفاية الطالب للدارقطني ، عن رجاله ، عن أبي هارون العبدي ، قال : أتيت أبا سعيد الخدري ، فقلت له : هل شهدت بدرأ ؟ فقال : نعم ، فقلت : ألا تحدثني بشيء مما سمعته من رسول الله ﷺ في علي وفضله ؟ فقال : بلى أخبرك أن رسول الله ﷺ مرض مرضة نقه منها ، فدخلت عليه فاطمة عليها السلام تعوده ، وأنا جالس عن يمين رسول الله ﷺ ، فلما رأت ما برسول الله ﷺ من

(١) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ٩ : ١١٣ ، وكنز العمال ١٢ : ٢٠٩ ، وأرجح المطالب ص ٢٤ و ٥٨٩ .

(٢) احقاق الحق ٤ : ٥٤ عن مناقب ابن مردويه ، والمناقب للخوارزمي ص ١١٢ ط قم .

(٣) في « ق » : زوجتك .

(٤) المناقب للخوارزمي ص ١١٢ ح ١٢٢ .

(٥) المناقب للخوارزمي ص ٣١٣ - ٣١٥ ، والمناقب لابن المغازلي ص ١١٢ - ١١٨ .

الضعف ، خنقتها العبرة حتى بدت دموعها على خدّها ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله : ما يبكيك يا فاطمة ؟ قالت : أخشى الضيعة يا رسول الله .

فقال : يا فاطمة أما علمت أنّ الله اطّلع الى الأرض اطّلاعة ، فاختر منها أباك ، فبعثه نبياً ، ثمّ اطّلع ثانية ، فاختر منها بعلك ، فأوحى اليّ فأنكحته واتّخذته وصياً ، أما علمت أنّك لكرامة الله اياك زوجك أعلمهم علماً ، وأكثرهم حليماً ، وأقدمهم سلماً ، فضحكت واستبشرت .

فأراد رسول الله صلى الله عليه وآله أن يزيدا مزيد الخير كلّ الذي قسّمه الله لمحّمّد وآل محّمّد ، فقال لها : يا فاطمة لعلّي ثمانية أضرّاس يعني مناقب : ايمان بالله ، ورسوله ، وحكمته ، وزوجته ، وسبطاه الحسن والحسين ، وأمره بالمعروف ، ونهيه عن المنكر .
يا فاطمة أنا أهل بيت أعطينا ستّ خصال لم يعطها أحد من الأوّلين ، ولا يدركها أحد من الآخرين غيرنا ، نبينا خير الأنبياء وهو أبوك ، ووصينا خير الأوصياء وهو بعلك ، وشهيدنا خير الشهداء وهو حمزة عمّ ابيك ، ومنا سبطا هذه الأمتة وهما ابناك ، ومنا مهدي الأمتة الذي يصليّ عيسى خلفه ، ثمّ ضرب على منكب الحسين ، فقال : من هذا مهدي الأمتة ^(١) .

قال صاحب كشف الغمّة : إنّ هذا الحديث أورده المحافظ أبو نعيم في كتاب الأربعين في أخبار المهدي عليه السلام ^(٢) .

ونقل عن محّمّد بن يوسف الكنجي الشافعي ، أنّ هذا الحديث هكذا أخرجه

(١) البيان في أخبار صاحب الزمان عليه السلام للمحافظ الكنجي ص ٥٠٢ . ورواه ابن المغازلي في المناقب ص ١٠١ - ١٠٢ ح ١٤٤ ، وابن صباغ المالكي في الفصول المهمة ص ٢٧٧ ، والمحّب الطبري في ذخائر العقبى ص ٤٤ و ١٣٦ ، والهيتمي في مجمع الزوائد ٩ : ١٦٦ ، والأمرتسري في أرجح المطالب ص ٢٦ .

(٢) كشف الغمّة ٢ : ٤٦٨ ط قم .

الدارقطني صاحب الجرح والتعديل (١).

وفي الصراط المستقيم ، أسند الحافظ الدارقطني ، من أهل السنّة ، فيما جمعه من مسند فاطمة ، أنّ العبدي سأل الخدري عمّا سمع من النبي ﷺ في فضائل علي عليه السلام فقال : دخلت فاطمة على أبيها في مرضه ، فبكت ، فقال : أطلع الله على الأرض الطّلاعة ، فاختر منها أباك ، فبعثه نبياً ، وثانية فاختر بعلك ، فأوحى إليّ أن آخذَه وصياً ، ثمّ قال : أعطينا خصالاً لم يعطها أحد : نبينا خير الأنبياء وهو أبوك ، ووصينا خير الأوصياء وهو بعلك ، وشهيدنا خير الشهداء وهو حمزة عمّ أبيك ، وسبطا هذه الأُمّة ابنك ، ومنا مهدي هذه الأُمّة الذي يصليّ عيسى خلفه ، ثمّ ضرب على منكب الحسين ، وقال : من هذا مهديّ هذه الأُمّة (٢).

وفي كتاب كفاية الطالب ، عن حذيفة بن اليمان ، قال : قالوا : يا رسول الله ألا تستخلف عليّاً ؟ فقال : ان تولّوا عليّاً تجدوه هادياً مهديّاً ، يسلك بكم الطريق المستقيم . قال : هذا حديث حسن عال (٣).

ومنه : ما رواه الفقيه الشافعي أبو الحسن بن المغازلي في كتاب المناقب : باسناده عن سلمان ، قال : سمعت حبيبي محمداً ﷺ يقول : كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله عزّ وجلّ ، يسبح (٤) الله ذلك النور ويقدّسه قبل أن يخلق الله آدم بأربعة عشر ألف عام (٥) ، فلما خلق الله آدم ركب ذلك النور في صلبه ، فلم يزل في شيء واحد حتّى افترقتا في صلب عبد المطلب ، ففيّ النبوة ، وفي عليّ الخلافة (٦).

(١) كشف الغمّة ٢ : ٤٨٢ ، والبيان في أخبار صاحب الزمان للحافظ الكنجي ص ٥٠٣ .

(٢) الصراط المستقيم ٢ : ٢٣٧ - ٢٣٨ .

(٣) كفاية الطالب ص ١٦٣ .

(٤) في « ن » : فسبح .

(٥) في الكفاية : بألف عام .

(٦) المناقب لابن المغازلي ص ٨٨ ح ١٣٠ ، ونحوه في ص ٨٩ ح ١٣١ .

ومنه : رواه الفقيه المذكور باسناده ، عن جابر بن عبد الله ، عن النبي ﷺ ، قال :
 انَّ الله عزَّ وجلَّ أنزل قطعة من نور ، فأسكنها في صلب ابراهيم ، فساقها حتى قسَّمها
 جزئين ، فجعل جزءاً في صلب عبد الله ، وجزءاً في صلب أبي طالب ، فأخرجني نبياً ،
 وأخرج علياً وصياً^(١) .

ومنه : ما رواه الفقيه المذكور في مناقبه ، باسناده عن أبي ذرِّ الغفاري رضي الله عنه ، قال :
 قال رسول الله ﷺ : من ناصب علياً للخلافة بعدي ، فهو كافر وقد حارب الله
 ورسوله ، ومن شكَّ في علي فهو كافر^(٢) .

ومنه : ما رواه في الكتاب المذكور ، باسناده الى نافع مولى ابن عمر ، قال : قلت
 لابن عمر : من خير الناس بعد رسول الله ﷺ ؟ قال : ما أنت وذاك لا أمَّ لك ، ثمَّ
 قال : أستغفر الله خيرهم بعد رسول الله ﷺ من كان يحلَّ له ما كان يحلَّ له ، ويحرم
 عليه ما كان يحرم عليه . قلت : من هو ؟ قال : علي ، سدَّ أبواب المسجد وترك باب
 علي ، وقال له : لك في هذا المسجد مالي ، وعليك فيه ما عليّ ، وأنت وارثي ووصيي ،
 تقضي ديني ، وتنجز عداقي ، وتقتل على سنّتي ، كذب من زعم أنه يبغضك
 ويحبّي^(٣) .

ومنه : ما في المناقب للشافعي ، باسناده الى عبد الله بن مسعود ، قال : قال
 رسول الله ﷺ : أنا دعوة أبي ابراهيم ، قلت^(٤) : يا رسول الله كيف صرت دعوة
 أبيك ابراهيم ؟ قال : أوحى الله عزَّ وجلَّ الى ابراهيم ﴿ اِنِّي جاعلك للناس
 اماماً ﴾^(٥) فاستخفَّ ابراهيم الفرح : قال : يا ربِّ ومن ذريّتي أمّة مثلي ؟ فأوحى

(١) المناقب لابن المغازلي ص ٨٩ ح ١٣٢ .

(٢) المناقب لابن المغازلي ص ٤٦ ح ٦٨ .

(٣) المناقب لابن المغازلي الشافعي ص ٢٦١ ح ٣٠٩ .

(٤) في المناقب : قلنا .

(٥) البقرة : ١٢٤ .

الله : يا ابراهيم اني لا أعطيك عهداً لا افي به ، قال : يا رب ما العهد الذي لا تنفي لي به ؟ قال : لا أعطيك لظالم من ذرّيتك عهداً ، قال ابراهيم عندها : ﴿ واجنبي وبنّي أن نعبد الأصنام * ربّ آثمّن أضللن كثيراً من الناس ﴾ (١) قال النبي ﷺ : وانتهت الدعوة اليّ والى علي ، لم يسجد أحدنا (٢) لضم ، فاتخذني نبياً ، وعلياً وصياً (٣) .

ومنه : ما رواه ابن شيرويه الديلمي في كتاب الفردوس في باب الخاء ، باسناده عن سلمان الفارسي رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : خلقت أنا وعلي من نور واحد قبل أن يخلق الله آدم بأربعة عشر ألف عام (٤) ، فلما خلق الله آدم ركب ذلك النور في صلبه ، فلم نزل في شيء واحد ، حتّى افترقنا في صلب عبد المطلب ، فبيّ النبوة وفي علي الخلافة (٥) .

ومنه : ما في شواهد التنزيل للحاكم أبي القاسم الحسكاني ، باسناده عن ابن عباس في تأويل قوله تعالى ﴿ واتّقوا فتنة لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصّة ﴾ (٦) قال : لما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ : من ظلم علياً مقعدي هذا بعد وفاي ، فكأنما جحد نبوتي ونبوة الأنبياء قبلي (٧) .

قال صاحب الصراط المستقيم بعد نقل هذا الحديث عن شواهد التنزيل : وأسنده ابن السراج في كتابه الى ابن مسعود ، الى النبي ﷺ ، حتّى قيل له : فكيف

(١) ابراهيم ٣٥ - ٣٦ .

(٢) في المناقب : أحد منّا .

(٣) المناقب لابن المغازلي ص ٢٧٦ - ٢٧٧ ح ٣٢٢ .

(٤) في الفردوس : بأربعة آلاف سنة .

(٥) فردوس الأخبار ٢ : ٣٠٥ ح ٢٧٧٦ ط دار الكتاب العربي بيروت .

(٦) الأنفال : ٢٥ .

(٧) شواهد التنزيل للحسكاني ١ : ٢٠٦ - ٢٠٧ ط الأعلمي .

وليت الظالمين؟ وقد سمعته من رسول الله ﷺ، فقال: جلبت عقوبة عملي (١)، لأنني لم أستاذن امامي كما استأذنه جندب وعمار وسلمان، وأنا أستغفر الله وأتوب اليه (٢).

ومنه أيضاً: ما نقله ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة، عن النبي ﷺ: يا علي ان الله قد زينك بزينة لم يزين العباد بزينة أحب اليه منها، هي زينة الأبرار عند الله تعالى: الزهد في الدنيا، جعلك لا ترزأ (٣) من الدنيا شيئاً، ولا ترزأ الدنيا منك شيئاً، ووهب لك حب المساكين، فجعلك ترضى بهم أتباعاً، ويرضون بك اماماً. ثم قال الشارح: رواه أبو نعيم الحافظ في كتابه المعروف بحلية الأولياء، وزاد فيه أبو عبد الله أحمد بن حنبل في المسند: فطوبى لمن أحبك وصدق فيك، وويل لمن أبغضك وكذب فيك (٤).

وفي شرح ابن أبي الحديد أيضاً عن النبي ﷺ: يا أنس أسكب لي وضوءاً، ثم قام فصلّى ركعتين، ثم قال: أول من يدخل عليك من هذا الباب امام المتقين (٥)، وسيّد المسلمين، ويعسوب الدين (٦)، وخاتم الوصيين، وقائد الغر المحجلين.

قال أنس: فقلت: اللهم اجعله رجلاً من الأنصار، وكتمت دعوتي، فجاء علي عليه السلام، فقال ﷺ: من جاء يا أنس؟ فقلت: علي، فقام اليه مستبشراً فاعتنقه، ثم جعل يمسح عرق وجهه، فقال علي: يا رسول الله لقد رأيت منك اليوم تصنع بي

(١) في الصراط: حلّت عقوبته عليّ.

(٢) الصراط المستقيم ٢: ٢٧.

(٣) أي: لا تأخذ.

(٤) شرح نهج البلاغة ٩: ١٦٦ - ١٦٧، باب ذكر الأحاديث الواردة في فضائل علي عليه السلام.

(٥) في الحلية: أمير المؤمنين.

(٦) في النسختين: المؤمنين.

شيئاً ما صنعته بي من قبل؟ قال: وما يعني وأنت تؤدّي عني، وتسمعهم صوتي، وتبين لهم ما اختلفوا فيه.

ثمّ قال ابن أبي الحديد: رواه أبو نعيم الحافظ في حلية الأولياء^(١).

وفي شرح ابن أبي الحديد أيضاً، عن النبي ﷺ: مرحباً بسيد المؤمنين^(٢)، وامام المتقين: فقيل لعلي: كيف شكرك؟ فقال: أحمد الله على ما آتاني، وأسأله الشكر على ما أولاني، وأن يزيدني ممّا أعطاني. ثمّ قال: ذكره صاحب الحلية أيضاً^(٣).

وفي شرحه أيضاً: أدعوا لي سيّد العرب عليّاً، فقالت عائشة: ألسنت سيّد العرب؟ فقال: أنا سيّد ولد آدم، وعلي سيّد العرب، فلما جاء أرسل الى الأنصار، فأتوه، فقال لهم: يا معشر الأنصار ألا أدلكم على ما ان تمسّكتم به لن تضلّوا أبداً؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: هذا علي، فأحبّوه بحبي، وأكرموه بكرامتي، فإنّ جبرئيل أمرني بالذي قلت لكم عن الله عزّ وجلّ. ثمّ قال: رواه الحافظ أبو نعيم في حلية الأولياء^(٤).

وفيه أيضاً: لما أنزل الله ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ بعد انصرافه ﷺ من غزوة حنين، جعل يكثر من سبحان الله أستغفر الله، ثمّ قال: يا علي أنّه قد جاء ما وعدت به جاء الفتح، ودخل الناس في دين الله أفواجا، وأنّه ليس أحد أحقّ منك بمقامي الحديث^(٥).

ومنه: ما رواه ابن المغازلي عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ:

(١) شرح نهج البلاغة ٩: ١٦٩. وحلية الأولياء ١: ٦٣ - ٦٤.

(٢) في الحلية: بسيد المسلمين.

(٣) شرح نهج البلاغة ٩: ١٧٠. وحلية الأولياء ١: ٦٦.

(٤) شرح نهج البلاغة ٩: ١٧٠. حلية الأولياء ١: ٦٣.

(٥) شرح نهج البلاغة ٩: ١٧٤.

يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً لا حساب عليهم ، ثم التفت الى علي عليه السلام فقال :
هم من شيعتك وأنت امامهم (١) .

ومنه : ما رواه باسناده عن ابن عباس رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ :
عليّ مّيّ مثل رأسي من بدني (٢) .

ومنه : ما رواه أيضاً باسناده عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، قال :
حدّثني النبي ﷺ ، قال : أتاني جبرئيل عليه السلام آنفاً ، فقال : تحتموا بالعقيق فأنه أوّل
حجر شهد لله بالوحدانية ، ولي بالنبوة ، ولعلي بالوصية ، ولولديه بالامامة ، ولشيعته
بالجنة (٣) .

وهذا المعنى رواه الموقّق الخطيب الخوارزمي بسنده الى سلمان الفارسي عن
النبي ﷺ بهذه العبارة ، قال لعلي : يا علي تختم باليمين تكن من المقرّبين ، قال : يا
رسول الله وما المقرّبون ؟ قال : جبرئيل ، وميكائيل ، واسرافيل ، قال : فبم أتختم ؟
قال : بالعقيق الأحمر ، فأنه أوّل حجر أقرّ الله بالوحدانية ، ولي بالنبوة ، ولك
بالوصية ، ولوليك بالامامة ، ولحبيّك بالجنة ، ولشيعه ولدك بالفردوس (٤) .

ومنه : ما رواه أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ :
أتاني جبرئيل بدرنوك من درانيك الجنة ، فجلست عليه ، فلما صرت بين يدي ربّي
كلّمني وناجاني ، فما علمت (٥) شيئاً إلاّ علّمته عليّاً ، فهو باب مدينة علمي ، ثمّ دعاه
اليه ، فقال : يا عليّ سلمك سلمي ، وحرّك حرّبي ، وأنت العلم فيما بيني وبين أمتي

(١) المناقب لابن المغازلي ص ٢٩٣ ح ٣٣٥ .

(٢) المناقب لابن المغازلي ص ٩٢ ح ١٣٥ .

(٣) المناقب لابن المغازلي ص ٢٨١ ح ٣٢٦ .

(٤) المناقب للخوارزمي ص ٣٢٦ ط قم .

(٥) في المناقب : فما علّمني .

من بعدي (١).

ومنه : ما في مناقب الخوارزمي باسناده عن المصطفى محمد الأمين سيد الأولين والآخرين صلى الله عليهم أجمعين ، أنه قال لعلي بن أبي طالب : يا أبا الحسن كلم الشمس فاتها تكلمك ، فقال علي عليه السلام : السلام عليك أيها العبد المطيع لله (٢) ، فقالت الشمس : وعليك السلام يا أمير المؤمنين ، وامام المستقين ، وقائد الغر المحجلين ، يا علي أنت وشيعتك في الجنة ، يا علي أول من تنشق عنه الأرض محمد ثم أنت ، وأول من يحيي محمد ثم أنت ، وأول من يكسي محمد ثم أنت ، فانكب علي ساجداً وعيناه تذرغان بالدموع ، فانكب عليه النبي ﷺ فقال : يا أخي وحببي ارفع رأسك ، فقد باهى الله بك أهل سماواته (٣) .

وفي كتاب الخوارزمي أيضاً ، نزل جبرئيل على النبي ﷺ صبيحة الغار فرحاً ، فقال : أراك فرحاً ، قال : كيف لا ؟ وقد قررت عيني بما أكرم الله به أخاك ووصيك وامام أمتك علي بن أبي طالب ، باهى الله بعبادته البارحة ملائكته وحمله عرشه ، فقال : أنظروا الى حجتي في أرضي بعد نبيني وقد بذل نفسه وعفر في التراب خده تواضعاً لعظمتي ، أشهدكم أنه امام خلقي ومولى بريتي (٤) .

ومنه : ما في أربعين الخطيب ، أن النبي ﷺ قال : أتاني جبرئيل وقد نشر جناحيه فاذا مكتوب : لا اله الا الله ، محمد النبي . ومكتوب على الآخر : لا اله الا الله ، علي الوصي (٥) .

ومنه : ما في مناقب خوارزم ، عن النبي ﷺ : اذا كان يوم القيامة امر

(١) المناقب لابن المغازلي ص ٥٠ ح ٧٣ .

(٢) في المناقب : لرَبّه .

(٣) المناقب للخوارزمي ص ١١٣ - ١١٤ ح ١٢٣ ط قم .

(٤) المناقب للخوارزمي ص ٣١٩ .

(٥) المناقب للخوارزمي ص ١٤٨ ح ١٧٢ .

الله ملكين يقعدان على الصراط ولا يجوز أحد على الصراط إلا براءة علي بن أبي طالب ، ومن لم يكن معه براءة أمير المؤمنين كبه الله في النار ، وهو قوله ﴿ وقفوههم انهم مسؤولون ﴾ (١) قيل : وما براءة علي ؟ قال : قول لا اله الا الله ، محمد رسول الله علي ولي الله ووصي رسوله (٢) .

ونقل عن أبي محمد الفحام من علماء المخالفين ، باسناده عن أنس ، قال : انّ النبي ﷺ ركب ذات يوم الى جبل كذا (٣) ، وقال : يا أنس خذ البغلة وانطلق الى موضع كذا تجد علياً جالساً يسبح بالحصى ، فاقرأه مني السلام ، واحمله على البغلة وأت به اليّ ، قال : فلما ذهبت ووجدت علياً كذلك ، فقلت : انّ رسول الله يدعوك ، فلما أتى رسول الله ﷺ قال له : اجلس ، فانّ هذا موضع قد جلس فيه سبعون نبياً مرسلأً ، ما جلس فيه من الأنبياء أحد الا وأنا أكرم على الله منه ، وقد جلس موضع كلّ نبيّ أخ له ، ما جلس من الاخوة أحد أكرم على الله منك ، قال : فرأيت غمامة بيضاء وقد أظلتها ، فجعلنا يأكلان عنقود عنب ، وقال : كل يا أخي فهذه هديّة من الله اليّ ثمّ اليك ، ثمّ شربا ، ثمّ ارتفعت الغمامة ، ثمّ قال : يا أنس والذي خلق ما يشاء لقد أكل من تلك الغمامة ثلاثمائة وثلاثة عشر نبياً وثلاثمائة وثلاثة عشر وصياً ما فيهم نبيّ أكرم على الله منّي ، ولا وصيّ أكرم على الله من علي (٤) .

وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد من علماء الجمهور ، عن علي عليه السلام : أنا من رسول الله ﷺ كالعضد من المنكب ، وكالذراع من العضد ، وكالكفّ من الذراع ، رباني صغيراً ، وآخاني كبيراً ، ولقد علمتم أنّي كان لي منه مجلس سرّ لا

(١) الصاغات : ٢٤ .

(٢) احقاق الحق ٣ : ١٠٥ ، وشواهد التنزيل ٢ : ١٠٧ ، ولم أعر على نصّ الرواية في مناقب الخوارزمي ، نعم روى نحوها في ص ٣٢٠ ح ٣٢٤ .

(٣) في الصراط : الى موضع كذا .

(٤) الصراط المستقيم للبيضاوي ١ : ٢٤٣ مع اختلاف في بعض الألفاظ .

يطلع عليه غيري ، وأنه أوصى اليّ دون أصحابه وأهل بيته ، ولأقولنّ ما لم أقله لأحد قبل هذا اليوم ، سألته مرّة أن يدعو لي بالمغفرة ، فقال : أفعل ، ثمّ قام فصلى ، فلما رفع يده في الدعاء^(١) استمعت اليه ، فاذا هو قائل : اللهمّ بحقّ عليّ عندك اغفر لعلّي ، فقلت : يا رسول الله ما هذا ؟ فقال : أو أحد أكرم منك عليه ، فاستشفعت به اليه^(٢) .

وفي كتاب كفاية الطالب ، قال أبو علي الكوكجي ، عن أبي السري^(٣) ، عن عوانة بن الحكم ، عن أبي صالح ، قال : ذكر علي بن أبي طالب عليه السلام عند عائشة ، وابن عبّاس حاضر ، فقالت عائشة : كان من أكرم رجالنا على رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقال ابن عبّاس : وأيّ شيء يمنع عن ذلك ؟ اصطفاه الله لنصرة رسوله ، وارتضاه رسول الله لاخوته ، واختاره لكريمته ، وجعله أبا ذرّيّته ووصيّه من بعده .

وذكر الخبر صاحب كشف الغمّة بتامه ونحن أخذنا موضع الحاجة منه^(٤) .

ومنه : ما في بشائر المصطفى ، عن يزيد بن قعنب ، قال : كنت جالسا مع العباس بن عبد المطلب عليه السلام ، وفريق من بني عبد العزّى بازاء بيت الله الحرام ، إذ أقبلت فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين عليه السلام ، وكانت حاملاً به لتسعة أشهر ، وقد أخذها الطلق ، فقالت : يا ربّ انّي مؤمنة بك وبما جاء من عندك من كتب ورسل ، وانّي مصدّقة بكلام جدّي ابراهيم الخليل عليه السلام ، وأنّه بنى البيت العتيق ، فبحقّ الذي بنى البيت والمولود الذي في بطني الآ ما يسّرت عليّ ولادتي .

قال يزيد بن قعنب : فرأيت البيت انشقّ عن ظهره ، ودخلت فاطمة فيه ،

(١) في الشرح : للدعاء .

(٢) شرح نهج البلاغة ٢٠ : ٣١٦ ، واحقاق الحقّ ٧ : ٨٧ عنه .

(٣) في الكشف ، عن أبي السري .

(٤) كشف الغمّة ١ : ٣٧٧ ط قم .

وغابت عن أبصارنا، وعاد الى حاله، فرمنا^(١) أن يفتح لنا قفل الباب، فلم يفتح، فعلمنا أن ذلك من أمر الله تعالى، ثم خرجت في اليوم الرابع وعلى يدها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

ثم قالت: أتت فضلت علي من^(٢) تقدمني من النساء؛ لأن آسية بنت مزاحم عبدت الله سرّاً في موضع لا يحب الله أن يعبد فيه الاضطراباً، وإن مريم بنت عمران هزت النخلة اليابسة بيدها حتى أكلت منها رطباً جنياً، وأتت دخلت بيت الله الحرام، فأكلت من ثمار الجنة وأرزاقها، فلما أردت أن أخرج هتف بي هاتف: يا فاطمة سميه علياً فهو علي، والله العلي الأعلى يقول: شققت^(٣) اسمه من اسمي، وأدبته بأدبي، وأوقفته على غامض علمي، وهو الذي يكسر الأصنام في بيتي، وهو الذي يؤذن فوق بيتي، ويقدّسني، ويمجدني، فطوبى لمن أحبه وأطاعه، وويل لمن أبغضه وعصاه.

قالت: فولدت علياً ولرسول الله ﷺ ثلاثون سنة، فأحبه رسول الله ﷺ حباً شديداً، وقال لها: اجعلي مهده بقرب فراشي، وكان ﷺ يلي أكثر تربيته، وكان يطهر علياً في غسله، ويوجره اللبن عند شربه، ويحرك مهده عند نومه، ويناغيه^(٤) في وقت يقظته، ويحمله على صدره ورقبته ويقول: هذا أخي، وولّيي، وناصري، وصفيي، وذخري، وكهفي، وصهري، ووصيي، وزوج كريمي، وأميني على وصيّي وخليفتي، وكان رسول الله ﷺ يحمله دائماً، ويطوف به جبال مكة

(١) في الاحقاق: فعزمتنا.

(٢) في «ن و ق»: على النساء من.

(٣) في الكشف: اشتققت.

(٤) المناغاة، تكليمك الصبي بما يهوي من الكلام، والمرأة تناغي الصبي أي: تكلمه بما يعجبه ويسره. لسان العرب.

وشعابها وأوديتها وفجاجها، صلى الله على الحامل والمحمول^(١).

وفي الجمع بين الصحيحين للحميدي، باسناده عن طلحة بن مصرف، قال: سألت عبد الله بن أبي أوفى، هل كان النبي ﷺ أوصى؟ فقال: لا، قلت: فكيف كتب الوصية^(٢)؟ أو أمر بالوصية؟ فقال: أوصى بكتاب الله.

قال الحميدي: وفي حديث ابن مهدي^(٣) زيادة ذكرها أبو مسعود وأبو بكر البرقاني^(٤)، ولم يخرجها البخاري ولا مسلم فيما عندنا من كتابيها، وهي: قال هذيل بن شرحيل: أبو بكر كان يتأمر على وصي رسول الله ﷺ. وفي حديث وكيع، قلت: فكيف أمر الناس بالوصية؟^(٥).

أقول: انكار ابن أبي أوفى بناء على عناده لأهل البيت. ومما يشهد على عناده قوله «أوصى بكتاب الله» من غير ذكر أهل البيت ﷺ، مع تواتر الروايات في الوصية بها جميعاً، وهو ممن روى الوصية بها جميعاً.

ولا يخفى أن ترك البخاري ومسلم الزيادة التي نقلها الحميدي، أيضاً مبني على التعصب وحبّ التقرب إلى السلاطين، ولاظهارهما أمثال هذه التعصبات وإخراجها كثيراً من الروايات المخالفة لأصول مذهب أهل السنة من كتابيها، عظموها غاية التعظيم، وحكموا بصحة كتابيها، وأوجبوا العمل بما فيها، أعوذ بالله من الغواية، والخروج من طريق الهداية، وسيجيء إن شاء الله في آخر الفاتحة ذكر مثالب هذين الشيخين، وبيان خيانتها وعنادهما لأهل البيت ﷺ.

وفي تاريخ أعم الكوفي من علماء المخالفين وثقاتهم، عدة أخبار تدل على أنه ﷺ

(١) كشف الغمّة ١: ٦٠ عن بشائر المصطفى، وإحقاق الحق ٥: ٥٦ - ٥٧ عنه.

(٢) في العمدة: فكيف كتب على الناس الوصية.

(٣) في «ن»: أبي مهدي.

(٤) في «ن»: البرقوني.

(٥) العمدة لابن بطريق ص ٧٨ - ٧٩ عن الجمع بين الصحيحين، وصحيح البخاري ٤: ٣.

وصي رسول الله ﷺ ، ذكرها في قصة مسيره عليه السلام الى صفين .

قال : وأقام علي عليه السلام بالأنبار يومين ، فلما كان في اليوم الثالث سار بالناس في برية ملساء ، فعطش الناس واحتاجوا الى الماء ، قال : واذا براهب في صومعة ، فدنى منه علي عليه السلام وصاح به ، وقال : هل تعرف بالقرب منك ماء نشرب منه ؟ فقال : ما أعلم ذلك وان الماء يحمل الينا من قرب فرسخين .

قال : فركب علي عليه السلام وأقبل الى موضع من الأرض ، فطاف به ، ثم أشار الى مكان منه ، وقال : احفروا هاهنا ، فحفروا قليلاً ، فاذاهم بصخرة بيضاء كأنها طليت بالذهب ، وهي على مثال الرحى لا يقلبها مائة رجل ، فقال علي عليه السلام : اقلبوها فالما من تحتها ، فاجتمع الناس عليها فلم يقدروا على قلبها .

قال : فنزل علي عليه السلام عن فرسه ، ثم دنى من الصخرة وحرك شفتيه بشيء لم يسمع ، ثم ضرب بيده الى الصخرة ، وقال : بسم الله ، ثم حرّكها ورفعها فرمى بها ناحية ، قال : فاذا بعين من الماء لم ير الناس أعذب منها ، ولا أصفى ولا أبرد من مائها ، فنادى في الناس : أن هلموا الى الماء .

قال : فورد الناس ونزلوا فشربوا وسقوا ما معهم من الظهر ، وملؤوا أسقيتهم ، وحملوا من الماء ما أرادوا ، فلما استكفوا حمل علي عليه السلام الصخرة وهو يحرك شفتيه بمثل كلامه الأول ، حتى ردّ الصخرة الى موضعها .

ثم سار حتى نزل في المنزل الذي أراد ، فاذا ماؤه متغيّر ، فقال علي عليه السلام لأصحابه : أمنكم من يعرف مكان الماء الذي شربتم منه ؟ فقالوا : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : فانطلقوا اليه ، فانّ الماء هاهنا عزيز ، قال : فانطلق القوم الى ذلك الموضع وطلبوا مكان الصخرة ، فلم يقدروا عليه ، فانطلقوا الى الراهب فصاحوا به ، فأشرف عليهم ، فقالوا له : أين هذا الماء الذي بالقرب من ديرك هذا ؟ فقال الراهب : ما بقربي شيء من الماء ، فقالوا : بلى وقد شربنا منه ، وصاحبنا هو الذي استخرج لنا الماء ، قال الراهب : وقد شربتم من ذلك الماء ؟ قالوا : نعم .

قال الراهب : فأنه والله ما بنى هذا الدير إلا من ذلك الماء ، وأنا في هذه الصومعة منذ كذا سنة ما علمت بهذا الماء ، وأنها عين يقال لها : عين راحوما^(١) ، ما أخرجها إلا نبيّ أو وصيّ نبيّ ، ولقد شرب منها سبعون نبياً وسبعون وصياً .

قال : فرجع الناس الى علي عليه السلام فخبّروه بذلك ، فسكت ولم يقل شيئاً .

ثم سار حتى نزل بمدينة هيت ، ورحل منها حتى نزل بموضع يقال له : الأنظار^(٢) ، فبنى هنالك مسجداً ، والمسجد ثابت الى يومنا هذا .

قال : ثم أنه عبر الفرات ، وشقّ البلاد حتى خرج الى بلاد الجزيرة ، ثم سار يريد الرقة حتى نزل بموضع يقال له الشليح^(٣) ، فنزل هناك على شاطئ نهر الشليح .

قال : ونظر اليه راهب كان هناك في صومعة ، فنزل من الصومعة ، وأقبل الى علي ، فأسلم على يده ، ثم قال : يا أمير المؤمنين انّ عندنا كتاباً قد توارثناه عن آبائنا ، يذكرون أنّ عيسى بن مريم كتبه فأعرضه عليك ، فقال علي عليه السلام : نعم فهاتيه .

قال : فرجع الراهب الى موضعه ، وأقبل بكتاب عتيق قد كاد أن يدرس ، فأخذه علي عليه السلام وقبله ، ثم دفعه الى الراهب ، فقال : اقرأه عليّ ، فقرأه الراهب عليّ

علي عليه السلام فاذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، الذي قضى فيما قضى ، وسطر فيما سطر ، أنّه باعث في الأميين رسولاً يعلمهم الكتاب والحكمة ، ويدلهم على سبيل الرشاد ، لا

فظّ ولا غليظ ولا صحّاب^(٤) في الأسواق ، ولا يجزىء بالسيئة سيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، أمته الحامدون الذين يحمدون الله على كلّ حال ، في هبوط الأرض وصعود الجبال ، ألسنتهم مذلّلة بالتسبيح والتقديس والتكبير والتهليل ، ينصر الله

(١) في «ن» : راحوقا .

(٢) في «ق» : الأنظار ، وفي التاريخ : الأقطار .

(٣) في التاريخ : البليخ .

(٤) الصخب : محرّكة شدة الصوت . القاموس .

هذا النبيّ على من ناواه، واذا توقّاه الله اختلف أمّته من بعده، ثمّ يلبثون بذلك ما شاء الله .

ثمّ يمرّ رجل من أمّته بشاطيء هذا النهر، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، يقضي بالحقّ، ولا يرتشي في الحكم، الدنيا أهون عليه من شربة ماء على الظمآن، يخاف الله في السرّ، وينصح في العلانية، لا تأخذه في الله لومة لائم، فمن أدرك ذلك النبيّ فليؤمّن به، فمن آمن به كان له رضوان الله والجنّة، ومن أدرك ذلك العبد الصالح فلينصره، فإنّه وصيّ خاتم الأنبياء، والقتل معه شهادة .

ثمّ أقبل هذا الراهب الى علي عليه السلام، وقال: أيّ مصاحبك لا أفارقك أبداً حتّى يصيبني ما أصابك، قال: فبكي علي عليه السلام، ثمّ قال: الحمد لله الذي ذكر عبده في كتاب الأبرار .

ثمّ قال: سار علي عليه السلام وهذا الراهب معه، وكان يتغذّى ويتعشى مع علي عليه السلام، حتّى صار الى صفّين، وقاتل فقتل رحمه الله، فقال علي عليه السلام لأصحابه: أطلبوه، فطلبوه فوجدوه، فصلّى عليه واستغفر له، وقال: هذا ممّا أهل البيت ^(١).

وفيه أيضاً حكاية طويلة مشتملة على صنوف الفصاحة والبلاغة، متضمّنة لمثالب بني أميّة عن شيخ من الفصحاء يخاطب فيها عبد الملك بن مروان، فن جملة ما ذكره في ذمّ معاوية أنّه قال: فعادى النبيّ صلّى الله عليه وآله وقاتل الوصي ^(٢).
وفيه أيضاً: عن هاشم المرقال صاحب راية أمير المؤمنين عليه السلام في صفّين، رجز من جملته هذا:

أول من صدّقه وصلّى ذاك الوصيّ بالهدى استقبلا
انتهى ما أردنا نقله عن كتاب أعم .

(١) كتاب الفتوح المعروف بتاريخ ابن عمّ الكوفي ٢: ٥٥٥ ط بيروت .

(٢) تاريخ ابن عمّ الكوفي ٢: ٥٦٣ .

وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد من علماء الجمهور ، قال له عمرو بن الحمق : والله يا أمير المؤمنين اني ما أحببتك ولا بايعتك على قرابة بيني وبينك ، ولا ارادة مال تؤتينيهِ ، ولا التماس سلطان ترفع ذكري به ، ولكني أحببتك بخصال خمس : أنك ابن عمّ رسول الله ، ووصيّه ، وأبو الذرّيّة التي بقيت فينا من رسول الله ﷺ ، وأسبق الناس الى الاسلام ، وأعظم المهاجرين سهماً في الجهاد ، الى آخر الخبر (١) .

وفيه أيضاً : وروى عثمان بن سعيد ، عن عبد الله بن بكير ، عن حكيم بن جبير ، قال : خطب علي عليه السلام فقال في أثناء خطبته : أنا عبد الله ، وأخو رسوله ، لا يقوها أحد قبلي ولا بعدي الا كذاب ، ورثت نبي الرحمة ، ونكحت سيّدة نساء هذه الأُمّة ، وأنا خاتم الوصيّين .

فقال رجل من عبس (٢) : من لا يحسن أن يقول مثل هذا ، فلم يرجع الى أهله حتى جنّ وصرع ، فسألوه هل رأيتم به عرضاً قبل هذا ؟ قالوا : ما رأينا قبل هذا عرضاً (٣) .

قال ابن أبي الحديد في شرحه بعد ذكر كلام أمير المؤمنين عليه السلام بعد قتل عثمان في وصف آل محمّد « هم عماد اليقين ، اليهم يفيء الغالي ، وبهم يلحق التالي ، ولهم خصائص حقّ الولاية ، وفيهم الوصيّة والوراثة ، الآن رجع الحقّ الى أهله ونقل الى منتقله » : أمّا الوصيّة ، فلا ريب عندنا أنّ عليّاً عليه السلام كان وصي رسول الله ﷺ ، وان خالف في ذلك من هو منسوب عندنا الى العناد ، ولسنا نعني بالوصيّة النصّ

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣ : ١٨١ .

(٢) عبس : جبل وماء بنجد بديار بني أسد ، ومحلّة بالكوفة . القاموس .

(٣) شرح نهج البلاغة ٢ : ٢٨٧ - ٢٨٨ .

والخلافة، ولكن أمور أخرى (١).

أقول: بعد الاقرار لا وجه لما ذكره؛ لأنّ سنّة الله جرت من قبل بأن يكون الأوصياء هم الخلفاء، فكذا وصيّ نبيّنا؛ لقوله تعالى ﴿ولا تجد لسنة الله تحويلاً﴾ (٢).

وأيضاً كيف يجوز على سيّد الأنبياء وخاتمهم أن يترك الوصيّة بالخلافة التي هي أهمّ الأمور مع العلم بعدم مجيء نبيّ بعده، وكما احتياج الأمة إليه، ويوصي بغير الأهمّ، خصوصاً على مذهب المخالفين، فإنهم يعتقدون أنّ عليّاً عليه السلام لم يكن وصيّاً في متروكات النبيّ ﷺ، بل قال النبيّ ﷺ: ما تركناه صدقة، ويعتقدون أنّ المتولّي على صدقات النبيّ ﷺ كان أبو بكر، ففيما كان وصيّة علي عليه السلام التي كان يباهي بها؟ والصحابة والتابعون يمدحونه بها، ويعدّونها من فضائله في نظمهم ونثرهم؟ ﴿والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم﴾ (٣).

ثمّ أقول: كونه عليّاً وصيّاً لرسول الله ﷺ أمر بيّن واضح، لا يمكن خفاؤه على اللبيب المنصف المتتبع.

وقد نقل عن جماعة من أهل التواريخ: أنّ المأمون الخليفة جمع أربعين رجلاً من علماء أهل المذاهب الأربعة وناظرهم، وأثبت عليهم أنّ علي بن أبي طالب عليه السلام وصيّ رسول الله وخليفته، وأورد النصوص على مدّعه، فاعترف الأربعون بأنّ عليّاً عليه السلام هو المنصوص عليه بالخلافة (٤).

ونعم ما قال المأمون:

(١) شرح نهج البلاغة ١: ١٣٨ - ١٤٠.

(٢) فاطر: ٤٣.

(٣) البقرة: ٢١٣.

(٤) بحار الأنوار ٤٩: ١٨٩ - ٢٠٨ ح ٢ عن عيون أخبار الرضا عليه السلام.

الأم على شكر الوصي أبي الحسن وذلك عندي من عجائب الزمن
 خليفة خير الناس والأول الذي أعان رسول الله في السر والعلن
 ولا يخفى أن التصريح بوصيته عليه السلام وإمامته قد وقع عن كثير من الصحابة
 وغيرهم في أشعارهم ، ونحن نقتصر هاهنا ببعض ما أنشدوه روماً للاختصار .

قال خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين :

إذا نحن بايعنا علياً فحسبنا أبو حسن ممّا نخاف من المحن (١)

وصي رسول الله من دون أهله وفارسه قد كان في سالف الزمن (٢)

وقال خزيمة أيضاً مخاطباً لعائشة بنت أبي بكر :

أعاش خلي عن علي وعييه بما ليس فيه أتمأت والداه
 وصي رسول الله من دون أهله وأنت على ما كان من ذلك شاهده (٣)

وقال عبد الرحمن بن جبل في جملة أبياته :

علياً وصي المصطفى ووزيره وأول من صلى لذي العرش واتقى

وكان أمير المؤمنين ابن فاطم بكم ان عرى خطب أبر وأرفقا (٤)

وقال زفر بن الحارث بن حذيفة الأسدي :

فحوطوا علياً وانصروه فآته وصي وفي الاسلام أول أول (٥)

وقال خزيمة (٦) أيضاً :

ما كنت أحسب هذا الأمر منتقلاً عن هاشم ثم منها عن أبي حسن

(١) في البحار : الفتن .

(٢) بحار الأنوار ٣٢ : ٣٥ و ٣٨ : ٢٧٣ - ٢٧٤ .

(٣) شرح نهج البلاغة ١ : ١٤٦ ، وبحار الأنوار ٣٨ : ٢٣ .

(٤) بحار الأنوار ٣٨ : ٢٧٧ .

(٥) بحار الأنوار ٣٨ : ٢٧٧ .

(٦) في البحار : ومنه قول ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، ثم ذكر الأبيات له .

أليس أول من صلى لقبلكم وأعلم الناس بالقرآن^(١) والسنن
 وآخر الناس عهداً بالنبي ومن جبريل عون له في الغسل والكفن
 ماذا الذي ردكم عنه فنعرفه ها ان يبعثكم من أغبن الغبن^(٢)
 وقيل : ان هذه الأبيات نسبه قوم الى عتبة بن أبي هب بن عبد المطلب .

وقال عبادة بن الصلت في أبيات له يوم السقيفة :

ما بال الرجال أخروا علياً عن رتبة كان له مرضياً
 أليس كان دونهم وصياً

وقال عتبة^(٣) بن أبي سفيان بن عبد المطلب :

وكان ولي الأمر من بعد أحمد عليّ وفي كلّ الموطن صاحبه
 وصيّ رسول الله حقاً وصهره^(٤) وأول من صلى ومن لان جانبه^(٥)

وقال قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري في صفين :

قلت لما بغى العدو علينا حسبنا ربنا ونعم الوكيل
 حسبنا ربنا الذي فتح البصرة بالأمس والحديث طويل
 وعلي امامنا وامام لسوانا أتى به التنزيل
 حين قال النبي من كنت مولاه فهذا مولاه خطب جليل
 أمّا قاله النبي على الأمة حتم ما فيه قال وقيل^(٦)

(١) في البحار : بالآثار .

(٢) بحار الأنوار ٣٨ : ٢٩٣ و ٣٨ : ٢٧٤ ، وفيها في آخر البيت : ها ان يبعثكم من أول الفتن .

(٣) في البحار : عبد الله .

(٤) في البحار : وجاره .

(٥) بحار الأنوار ٣٨ : ٢٧٦ .

(٦) بحار الأنوار ٣٧ : ١٥٠ .

وقال جرير بن عبد الله البجلي ، لما كتب إليه أمير المؤمنين عليه السلام يدعوه الى البيعة، وهو مقيم بثغر همدان من قبل عثمان بن عفان ، في جواب أبيات ابن أخت له يحثه بها على بيعة أمير المؤمنين عليه السلام :

فصلى الملك^(١) على أحمد رسول الملك تمام النعم
وصلّى على الطهر من بعده خليفته القائم المدّعم
عليّاً عنيت وصيّ النبيّ تجالده عنه غواة الأمم^(٢)

وكتب رجل من السكون أبياتاً الى الأشعث بن قيس - وكان مقياً بثغر آذربايجان من قبل عثمان - يحثه على بيعة أمير المؤمنين عليه السلام ، وكان عليه السلام خائفاً منه ، فكتب الأشعث بن قيس الى أمير المؤمنين عليه السلام :

أتانا الرسول رسول الوصيّ علي المهذب من هاشم
وزير النبيّ وذو صهره وخير البريّة والعالم
وقال أيضاً :

أتانا الرسول رسول الوصيّ^(٣) فسرّ بمقدمه المسلمونا
رسول الوصيّ وصيّ النبيّ له الفضل والسبق في المؤمنينا
فكم بطل ماجد قد أذاق منية حشف من الكافرينا^(٤)

قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة : ومما روينا من الشعر المنقول المتضمن كونه عليه السلام وصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله : قول عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، ثم ذكر شعره وشعر جماعة هذه أسماؤهم : عبد الرحمن بن جعيل ، وأبو

(١) في الشرح والبحار : الاله .

(٢) بحار الأنوار ٣٨ : ٢٤ ، وشرح نهج البلاغة ١ : ١٤٧ .

(٣) في البحار والشرح : الأنام .

(٤) بحار الأنوار ٣٨ : ٢٤ ، وشرح نهج البلاغة ١ : ١٤٧ - ١٤٨ .

الهيثم بن التيهان ، وعمر بن حارثة الأنصاري ، ورجل من الأزد ، و غلام من بني ضبة ، وسعيد بن قيس الهمداني ، وزياد بن لبيد الأنصاري ، وحجر بن عدي الكندي ، وخزيمة بن ثابت الأنصاري وكان بدرياً ، وابن بديل بن ورقاء الخزاعي ، وعمر بن أبي حية ، وزحر^(١) بن قيس الجعفي .

ثم قال ابن أبي الحديد بعد الفراغ من ذكر أشعار هؤلاء القوم وأراجيزهم المتضمنة لذكر الوصي : هذه الأشعار وأراجيزهم ، جمعها^(٢) أبو مخنف لوط بن يحيى في كتاب وقعة الجمل ، وأبو مخنف من المحدثين ، وممن يرى صحة الامامة بالاختيار ، وليس من الشيعة ، ولا معدوداً من رجالها .

ومما رويناه من أشعار صفين التي تتضمن تسميته عليه السلام بالوصي ، ما ذكره نصر بن مزاحم بن يسار المنقري في كتاب صفين ، وهو من رجال الحديث ، ثم ذكر أشعاراً متضمنة لذكر الوصي لجماعة ، وهذه أسماؤهم : زحر بن قيس ، الأشعث بن قيس ، أمير المؤمنين عليه السلام ، جرير بن عبد الله البجلي ، النعمان بن عجلان الأنصاري ، عبد الرحمن^(٣) بن ذؤيب الأسلمي ، المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب ، عبد الله بن العباس .

ثم قال : والأشعار التي تتضمن هذه اللفظة كثيرة جداً ، ثم قال : ولولا خوف الملالة والاضجار لذكرنا من ذلك ما يملأ أوراقاً كثيرة . انتهى ما أردنا نقله عن ابن أبي الحديد^(٤) .

ثم أقول : قد روي عن أبي الأسود الدؤلي ، أنه قال : حدثني من سمع أم أيمن

(١) في النسخ : وزجر .

(٢) في الشرح : والأراجيز بأجمعها .

(٣) في النسخ : عبد الله .

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ : ١٤٣ - ١٥٠ .

رضي الله عنها تقول : سمعت في الليلة التي تلت نهار اليوم الذي بويع فيه أبو بكر ، هاتفاً يقول ولا أرى شخصه :

لقد ضعضع الاسلام فقدان أحمد وأبكى عليه فيكم كل مسلم
وأحزنه حزناً تمالوا صحبة الغواة على الهادي الرضي المكرم
وصي رسول الله أول مسلم وأعلم من صلي وزكى بدرهم
أخي المصطفى دون الذين تأمروا عليه وان بزوه فضل التقدم

وتقل عن شيرويه الديلمي ، باسناده رواية حاصل بعضها : أن نخلة صاحت بأختها حين مرّ النبي ﷺ وعلي عليه السلام : هذا محمد سيّد النبيّين ، وهذا علي سيّد الوصيّين ، فنبسم النبي ﷺ ثم قال : يا علي سمّ نخلة المدينة صيحاناً ، فقد صاحت بفضلي وفضلك (١) .

وأنشد ابن حمّاد :

فتكلّم النخل الذي في وسطه بفصاحة فتعجّب الثقلان
من نخلة قالت هناك لأختها هذان أكرم من مشى هذان
هذا ابن عبد الله هذا صنوه هذا علي العالم الرّبّاني
قد صاح هذا النخل ينشر فضلهم ولأجل ذلك سمّي الصيحاني

انتهى ما أردنا نقله ممّا ورد في أمر الوصيّة .

ثمّ أقول : كيف يجوز لسيدّ المرسلين ﷺ أن يترك الوصيّة ويهمل أمر الأمة ؟ مع أنّه تعالى أمره بالاعتداء بهدي الأنبياء بقوله ﴿ فبهدهم اقتده ﴾ (٢) ولا ريب أنّ الأنبياء كلّهم لم يخرجوا من الدنيا من غير وصيّة وتعيين وصي ، فيجب على نبيّنا تأسيّاً بالأنبياء أن لا يخرج من غير وصي .

(١) بحار الأنوار ٤١ : ٢٦٧ ، والمناقب للخوارزمي ص ٣١٢ .

(٢) الأنعام : ٩٠ .

وكيف يجوز للعقلاء أن يجوزوا على سيّد الأنبياء خروجه من الدنيا من غير وصيّ وخليفة؟ مع علمهم بأنه عليه السلام ما كان يخرج من المدينة الى غزوة الأبعد تعيين خليفة، وما كان يترك قرية ولا سرية من غير أمير، ذلك ظنّ الذين لا يوقنون وبالأخرة هم لا يؤمنون .

وكيف يجوز العاقل أن يخرج سيّد البشر من الدنيا بغير وصية؟ مع أمره الناس وتحريضهم حتّى ورد في صحيحي مسلم والبخاري، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ما حقّ مسلم أن يبيت إلاّ ووصيته عنده مكتوبة^(١). ألم يسمع قول الله عزّ وجلّ ﴿أتأمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾^(٢) وإذا ثبتت الوصية، ثبت أن عليّاً عليه السلام هو المخصوص بالوصية دون غيره؛ لعدم القائل بالفصل .

تتمة

في الأخبار المتفرقة الدالة على امامة أمير المؤمنين عليه السلام

ووجوب اتباعه وفرض طاعته

نقل أبو المكارم في الأربعين عن سلمان، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: حقّ عليّ على هذه الأمة كحقّ الوالد على ولده^(٣). وكذا نقل عن الديلمي في الفردوس^(٤).
ونقل عن كتاب الخصائص عن أنس: حقّ عليّ على المسلمين كحقّ الوالد على الولد^(٥).

(١) صحيح البخاري ٣: ١٨٥، وصحيح مسلم ٣: ١٢٤٩ - ١٢٥٠.

(٢) البقرة: ٤٤.

(٣) احقاق الحقّ ٦: ٤٨٨ - ٤٩٢ عن مصادر كثيرة لأهل السنة.

(٤) فردوس الأخبار ٢: ٢١٠ برقم ٢٤٩٥ ط بيروت.

(٥) راجع: مناقب ابن المغازلي ص ٤٨ برقم ٧٠، ولسان الميزان ٤: ٣٩٩، وينايع

المودّة ص ١٢٣.

وفي مفردات أبي القاسم الراغب ، أن النبي ﷺ قال : يا علي أنا وأنت أبوا هذه الأمة ، الحديث (١) .

ودلالة هذه الأخبار على وجوب اتباعه ﷺ ظاهرة ؛ لأنها صريحة في أن الأمة كلها بمنزلة الولد وهو ﷺ بمنزلة الوالد ، ولا ريب أن من حقوق الوالد على الولد أن يتبعه ولا يتقدم عليه ، فعلى هذا يلزم أن يكون كل من تقدم عليه من الأمة ، وكل من قدم غيره عليه ، كان عاقباً ، وقد سُمى الله تعالى في كتابه العاقب ﴿ جباراً شقيئاً ﴾ (٢) .

ونقل عن ابن مردويه باسناده ، عن عقبة بن عامر ، قال : أتيت النبي ﷺ ظهيرة ، فقال لي : ما جاء بك يا جهني في هذا الوقت ؟ قال : قلت : أمر عرض لي ، فقال رسول الله ﷺ : وما ذاك يا جهني ؟ قال : قلت : يا رسول الله ما تقول في هؤلاء القوم الذين يقاتلون معك ؟ منهم من يقول : أبو بكر خير هذه الأمة من بعدك ، ومنهم من يقول : عمر خير هذه الأمة من بعدك ، فان حدث بك حدث اتبعناه ، فقال : اتبعوا من اختاره الله من بعدي ، ومن اشتق له من أسائه ، ومن زوجه الله ابنتي من عنده ، ومن وكل به ملائكته يقاتلون معه عدوه ، قلت : ومن هو يا رسول الله ؟ قال : علي بن أبي طالب (٣) .

وفي مناقب الخوارزمي ، عن ابن مسعود ، قال : قال رسول الله ﷺ : لما خلق الله تعالى آدم ونفخ فيه من روحه عطس آدم ، فقال : الحمد لله ، فأوحى الله : حمدني عبدي ، وعزتي وجلالي لولا عبدان أريد أن أخلقهما في دار الدنيا ما خلقتك ، قال : الهي فيكونان مني ؟ قال : نعم يا آدم ، ارفع رأسك وانظر ، فرفع رأسه ، فاذا مكتوب

(١) مفردات الراغب ص ٧ ط طهران .

(٢) مريم : ٣٢ .

(٣) المناقب لابن مردويه - مخطوط .

على العرش : لا اله الا الله ، محمد نبي الرحمة ، وعلي مقيم الحجّة (١) ، من عرف حقّ علي زكي وطاب ، ومن أنكر حقّه لعن وخاب ، أقسمت بعزّي أن أدخل النار من عصاه وان أطاعني ، وأدخل الجنة من أطاعه وان عصاني (٢) .

ودلالة هذا الحديث على وجوب اتّباعه واضح .

وفي كتاب شرف النبيّ ، عن أمّ سلمة ، قالت : كان رسول الله ﷺ عندي ، فقعدت اليه فاطمة ليلة ومعها علي ، فرفع رسول الله ﷺ رأسه اليها ، فقال : أبشر أبشر يا علي أنت وشيعتك في الجنة (٣) .

وفي فردوس الديلمي ، مسنداً عن علي عليه السلام : يا علي أنت بمنزلة الكعبة تؤتى ولا تأتي ، فان أتاك هؤلاء القوم ، فسلموا لك (٤) هذا الأمر فاقبله منهم ، وان لم يأتوك فلا تأتهم (٥) .

ووجه دلالة هذا الحديث على وجوب اتّباعه والالتيان اليه كالكعبة ظاهر .

وفيه أيضاً مسنداً ، عن علي عليه السلام : يا علي انّ الله عزّ وجلّ قد غفر لك ولذريّتك ولولئك ولأهلك ولشيعتك ولحبيّ شيعتك ، فأبشر ، فانك الأنزع البطين (٦) .

وعن البراء وابن عباس - واللفظ لابن عباس - عن النبيّ ﷺ : عليّ منّي مثل رأسي من بدني (٧) .

(١) في «ن» : الجنة .

(٢) المناقب للخوارزمي ص ٣١٨ ط قم .

(٣) احقاق الحق ٧ : ٣٠٦ عن كتاب شرف النبيّ .

(٤) في الفردوس : فمكّنوا لك .

(٥) فردوس الأخبار ٥ : ٤٠٦ برقم : ٨٣٠٩ .

(٦) احقاق الحق ٧ : ٣٧ - ٣٨ .

(٧) المناقب لابن المغازلي ص ٩٢ برقم : ١٣٥ و ١٣٦ .

وقد روى نحو هذا عمرو بن ميمون عن ابن عباس (١).

وفي سنن أبي داود وصحيح الترمذي، عن أبي جنادة، قال: إن رسول الله ﷺ قال: علي مني وأنا منه، لا يؤدّي عني إلا أنا أو علي (٢).

وروى في الجمع بين الصحاح الستة، عن أبي جنادة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: علي مني وأنا من علي، ولا يؤدّي عني إلا أنا أو علي (٣).

وفي المصاييح، عن حبشي بن جنادة، قال: قال رسول الله ﷺ: علي مني وأنا من علي، لا يؤدّي عني إلا أنا أو علي (٤).

وفي مناقب ابن المغازلي، قال رسول الله ﷺ: علي مني وأنا من علي. وقال ﷺ: لا يؤدّي عني إلا أنا أو علي (٥).

ودلالة هذه الأحاديث على امامته عليه السلام ظاهرة؛ لأننا لا نريد بالامامة (٦) إلا المؤدّي عن الرسول القائم مقامه، فحصر التأدية فيه يفيد بطلان امامة غيره.

وروي عن ابن عبدوس الهمداني، والخطيب الخوارزمي في كتابيهما، باسنادهما عن سلمان، قال: قال رسول الله ﷺ: إن أخي ووزيري وخير من أخلفه بعدي علي بن أبي طالب (٧).

وروى الخطيب في كتاب الأربعين حديثاً مرفوعاً إلى أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: إذا كان يوم القيامة ينادون علي بن أبي طالب بسبعة أسماء: يا

(١) راجع احقاق الحق ٥: ٢٣٥ - ٢٤١.

(٢) صحيح الترمذي ص ٥: ٥٩٤، ومسند أحمد بن حنبل ٤: ١٦٥، والخصائص ص ٢٠.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ٤: ١٤٥، وسنن المصطفى لابن ماجه ١: ٥٧.

(٤) مصاييح الستة ص ٢٠٢، واحقاق الحق ٥: ٢٧٧ عنه.

(٥) المناقب لابن المغازلي ص ٢٢٢ برقم: ٢٦٨، وص ٢٢٧ برقم: ٢٧٢ و ٢٧٣ و ٢٧٤.

(٦) في «ن»: بالامام.

(٧) المناقب للخوارزمي ص ١١٢ ط قم.

صديق ، يا دالّ ، يا عابد ، يا هادي ، يا مهدي ، يا فتى ، يا علي ^(١) .
 وفي الصراط المستقيم : انّ أحمد بن محمد بن سعيد صنّف كتاباً في أنّ قوله تعالى
 ﴿أما أنت منذر ولكلّ قوم هاد﴾ ^(٢) نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام ، وذكرها
 الحسكاني في شواهد التنزيل ^(٣) ، والمرزباني فيما أنزل في علي عليه السلام ، والشعبي في
 تفسيره عن ابن عباس : أنّها لما نزلت وضع النبي صلّى الله عليه وآله يده على صدره ، وقال : أنا
 المنذر ، وأوماً بيده الى منكب علي وقال : أنت الهادي ، يهتدي بك المهتدون من
 بعدي .

وذكرها ^(٤) ابن مردويه في المناقب ، ورواها الشعبي عن علي عليه السلام أيضاً ^(٥) ،
 وعن جابر مسندة ، وعن ابن المسيّب مسندة ^(٦) .

ووجه الدلالة على عصمته وامامته عليه السلام ظاهر .

وروي عن الفقيه الشافعي مسنداً الى عمران بن حصين ، قال : قال
 رسول الله صلّى الله عليه وآله : عليّ منّي وأنا منه ، وهو وليّ كلّ مؤمن بعدي ^(٧) .

وفي كتاب ابراهيم الثقفني باسناده ، عن بريدة الأسلمي ، قال : قال
 رسول الله صلّى الله عليه وآله : ﴿انّ هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرّق بكم
 عن سبيله﴾ ^(٨) سألت الله يجعلها لعلّي ففعل ^(٩) .

(١) المناقب للخوارزمي ص ٣١٨ .

(٢) الرعد : ٧ .

(٣) شواهد التنزيل للحسكاني ١ : ٢٩٣ ط بيروت .

(٤) في الصراط : وذكره ، وكذا بعده : ورواه .

(٥) احقاق الحق ٣ : ٥٣٢ عنه .

(٦) الصراط المستقيم ١ : ٢٧١ - ٢٧٢ .

(٧) المناقب لابن المغازلي ص ٢٢٩ - ٢٣٠ برقم : ٢٧٦ .

(٨) الأنعام : ١٥٣ .

وفي كتاب أخطب خوارزم ، عن النبي ﷺ أنه قال : الصراط صراطان : صراط في الدنيا ، وصراط في الآخرة . فأما صراط الدنيا ، فهو علي بن أبي طالب . وأما صراط الآخرة ، فهو جسر جهنم ، من عرف صراط الدنيا جاز على صراط الآخرة (١٠) .

وقد ورد في هذا المعنى عدّة أحاديث ، وسيجيء ان شاء الله في الدليل السابع على امامة الاثني عشر بعضها .

وروى الفقيه الشافعي في كتاب المناقب مسنداً الى جابر ، قال : بينما رسول الله ﷺ ذات يوم بعرفات وعلي تجاهه ، اذ قال له رسول الله ﷺ : أدن مني يا علي ، خلقت أنا وأنت من شجرة ، وأنا أصلها وأنت فرعها ، والحسن والحسين أغصانها ، فمن تعلق بغصن منها أدخله الله الجنة (١١) .

وفي الفردوس للدليمي : يا علي أدن مني وضع خمسك في خمسي ، خلقت أنا وأنت من شجرة ، أنا أصلها وأنت فرعها ، والحسن والحسين أغصانها ، من تعلق بغصن منها أدخله الله الجنة (١٢) .

وفي الصراط المستقيم نقلاً عن صاحب الوسيلة قول النبي ﷺ : نظرت في الاسراء فاذا على ساق العرش الأمين : محمد رسول الله ، أيّدته بعلي ، ونصرت به . وقال : علي مني بمنزلة رأسي من جسدي .

وقال : من أحب أن يحيي حياتي ، ويموت موتي ، ويتمسك بالقضيب الياقوت الذي خلقه الله ، فليتمسك بعلي بن أبي طالب بعدي (١٣) .

(٩) الصراط المستقيم ١ : ٢٨٤ عن ابراهيم النخعي .

(١٠) معاني الأخبار للصدوق ص ٣٢ ح ١ .

(١١) المناقب لابن المغازلي ص ٩٠ ، برقم : ١٣٣ .

(١٢) المناقب لابن المغازلي ص ٢٩٧ برقم : ٣٤٠ ، وكفاية الطالب ص ٣١٨ .

(١٣) الصراط المستقيم ١ : ٢٠٩ .

وروى الفقيه ابن المغازلي في كتابه ، حديثاً مسنداً الى جابر بن عبد الله ، قال :
أخذ رسول الله ﷺ بعصدي^(١) علي وقال : هذا أمير البررة ، قاتل الكفرة ،
منصور من نصره ، مخذول من خذله ، ثم مدّ بها صوته ، فقال : أنا مدينة العلم وعلي
بأبها ، فمن أراد العلم فليأت الباب^(٢) .

قال صاحب الصراط المستقيم بعد نقل هذا الحديث وحديث آخر في معناه :
ورواه الخطيب ويحيى بثلاثة طرق ، وابن شاهين بأربعة ، والجعابي بخمسة ، وابن
بطّة بستة ، والثقفى بسبعة ، وأحمد بثمانية ، وأخرج صاحب المصاييح وصاحب
المستدرك ، وقال : صحيح الاسناد ولم يخرججه البخاري ومسلم^(٣) .

وروي عن الواحدي في أسباب نزول القرآن ﴿ ومن يتولّ الله ورسوله والذين
آمَنوا ﴾ يعني : علياً ﴿ فإنّ حزب الله ﴾ يعني : شيعة الله ورسوله ووليّيه ﴿ هم
الغالبون ﴾^(٤) يعني : هم العالون .

وفي كتاب الفردوس للدليمي ، عن النبي ﷺ : يا علي أول أربعة يدخلون
الجنة ، أنا وأنت والحسن والحسين ، وذرائنا خلف ظهورنا ، وأزواجنا خلف
ذرّيتنا ، وشيعتنا عن أيّماننا وعن شمائلنا^(٥) .

وفيه أيضاً بأسناده ، عن النبي ﷺ : يا بريدة انّ علياً وليكم بعدي ، فأحبّ علياً
فإنّه يفعل ما يؤمر^(٦) .

ونقل عن علي بن مجاهد في تاريخه مسنداً ، قال : قال النبي ﷺ عند وفاته

(١) في المناقب : بعضد .

(٢) المناقب لابن المغازلي ص ٨٠ برقم : ١٢٠ .

(٣) الصراط المستقيم ٢ : ٢١ .

(٤) المائة : ٥٦ .

(٥) احقاق الحق ٩ : ٢١٧ - ٢٢٢ و ١٨ : ٤٠٥ .

(٦) احقاق الحق ١٥ : ١١٤ .

لعلي عليه السلام : أنت مني بمنزلة يوشع من موسى (١) .

ونقل عن ابن المغازلي عن أنس وغيره ، قال : كنت عند النبي صلى الله عليه وآله ، فأتى علياً مقبلاً ، فقال : أنا وهذا حجة على أمتي الى يوم القيامة (٢) .

وروي عن الخطيب في تاريخه أن النبي صلى الله عليه وآله نظر الى علي ، فقال : أنا وهذا حجة الله على عباده (٣) .

وفي تفسير الثعلبي بسنده ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : مثل علي فيكم - أو قال : في هذه الأمة - مثل الكعبة المستورة أو المشهورة ، النظر اليها عبادة ، والحج اليها فريضة (٤) .

وفيه أيضاً باسناده عن النبي صلى الله عليه وآله : أنا مدينة الجنة وعلي بابها ، فمن أراد الجنة فليأتها من بابها (٥) .

ونقل الفاضل القاشي عن أخطب خوارزم ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه : عليكم بعلي بن أبي طالب ، فإنه مولاكم فأحبوه ، وكبيركم فاتبعوه ، وعالمكم فعظّموه ، وقائدكم الى الجنة فعزّروه ، فاذ دعاكم فأجيبوه ، فاذا أمركم فأطيعوه ، أحبّوه بحبي ، وأكرموه بكرامتي ، ما قلت لكم في علي إلا ما أمرني ربي جلّت عظمته (٦) .

ودلالة كل ما أوردناه هاهنا على وجوب اتباعه عليه السلام ، واضحة لا يخفى على الخبير البصير واللييب الفطن .

(١) راجع احقاق الحق ٤ : ١٦٠ و ٥ : ٢٣٢ و ٧ : ٣٧٩ .

(٢) المناقب لابن المغازلي ص ٤٥ ، برقم : ٦٧ و ص ١٩٧ .

(٣) الصراط المستقيم ٢ : ٧٥ عن تاريخ الخطيب ٢ : ٨٨ .

(٤) المناقب لابن المغازلي ص ١٠٧ برقم : ١٤٩ .

(٥) المناقب لابن المغازلي ص ٨٦ برقم : ١٢٧ .

(٦) المناقب للخوارزمي ص ٣١٦ ط قم .

النوع الثاني

فيما ورد من الأحاديث من طرق المخالفين في

أن علي بن أبي طالب أمير المؤمنين

وقد نقل في كشف الغمّة عن الشيخ السعيد رضي الدين علي بن موسى بن الطاووس قده، أنه جمع في ذلك كتاباً وسماه كتاب اليقين باختصاص مولانا علي عليه السلام بإمرة المؤمنين، ونقل ذلك ممّا يزيد على ثلاثمائة طريق، وأنا أقتصر في هذا الكتاب بما أورده من علماء الجمهور (١).

قال قده: قال المحافظ أبو بكر أحمد بن مردويه، وهو من عظماء علماء الجمهور، وقد رأيت في مدحه من كتاب معجم البلدان لياقوت بن عبد الله الحموي من ترجمة اسكاف ما هذا لفظه: وممن ينسب إليها أبو بكر بن مردويه، ومات باسكاف سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة، وكان ثقة.

وذكر المحافظ أسعد بن عبد القاهر في كتاب رشح الولاء في شرح الدعاء في اسناد الحديث المتضمن لوصف مولانا علي عليه السلام أنه امام المتقين، عن أبي بكر بن مردويه، أنه الامام المحافظ النافذ ملك الحقاظ طراز المحدثين أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه.

وذكر أخطب خطباء خوارزم موقّ بن أحمد المكي في كتاب المناقب، في الفصل التاسع في فضائل شتى، في جملة اسناده الى أبي بكر أحمد بن مردويه ما هذا لفظه: الامام المحافظ، طراز المحدثين أحمد بن مردويه، وهذا لفظ حديثه من كتاب مناقب مولانا علي عليه السلام، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

قال: كان رسول الله صلّى الله عليه وآله في صحن الدار، واذا رأسه في حجر دحية بن خليفة

الكلبي، فدخل علي عليه السلام، فقال، السلام عليك، كيف أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال: بخير. قال له دحية: اني لأحِبُّكَ، وان لك مدحة أُودِيها^(١) اليك، أنت أمير المؤمنين، وقائد الغر المحجلين، أنت سيّد ولد آدم ما خلا النبيين والمرسلين، لواء الحمد بيدك يوم القيامة، تزفّ أنت وشيعتك مع محمّد وحزبه الى الجنان زفاً، قد أفلح من تولّاك، وخسر من تخلّاك محبّوا محمّد محبّوك، ومبغضوا محمّد مبغضوك، لن تنالهم شفاعة محمّد صلى الله عليه وآله، أدن من رسول الله^(٢)، فأخذ رأس النبي صلى الله عليه وآله فوضعه في حجره.

فانتبه صلى الله عليه وآله فقال: ما هذه المهمة؟ فأخبره الحديث، قال: لم يكن دحية الكلبي، كان جبرئيل عليه السلام، سمّك باسم سمّك الله به، وهو الذي ألقى محبّتك في صدور المؤمنين، ورهبتك في صدور الكافرين^(٣).

وعنه عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أنس أسكب لي وضوءاً وماءً، فتوضّأ وصلّى، ثمّ انصرف، وقال: يا أنس أوّل من يدخل عليّ اليوم أمير المؤمنين، وسيّد المسلمين، وخاتم الوصيّين، وامام الغرّ المحجلين، فجاء عليّ حتّى ضرب الباب، فقال: من هذا يا أنس؟ قلت: هذا علي، قال: افتح له، فدخل^(٤).

وعن ابن مردويه يرفعه الى بريدة، قال: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله أن نسلّم على عليّ بيا أمير المؤمنين^(٥).

وبالاسناد عن سالم مولى علي، قال: كنت مع علي في أرض له وهو يحرقها حتّى

(١) في الكشف والمناقب: أرفّها.

(٢) في المصدرين: أدن منّي يا صفوة الله.

(٣) المناقب للخوارزمي ص ٣٢٣ ط قم، وكشف الغمّة ١: ٣٤٠ - ٣٤١، واليقين للسيّد بن طاووس ص ٩ - ١٠ ط النجف.

(٤) كشف الغمّة ١: ٣٤٢، واليقين للسيّد بن طاووس ص ١٠ ب ٢.

(٥) كشف الغمّة ١: ٣٤٢ عنه، واليقين ص ١٠ ب ٣.

جاء أبو بكر وعمر، فقالا: سلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فقيل: كنتم تقولون في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك؟ فقال عمر: هو أمرنا (١).

ومن مناقب ابن مردويه عن عبد الله، قال: دخل علي عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وعنده عائشة، فجلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وبين عائشة، فقالت: ما كان لك مجلس غير فخذي، فضرب رسول الله صلى الله عليه وآله على ظهرها، فقال: مه لا تؤذيني في أخي، فإنه أمير المؤمنين، وسيّد المسلمين، وقائد الغرّ المحجلّين يوم القيامة، يقعد على الصراط فيدخل أوليائه الجنة، ويدخل أعداءه النار (٢).

ومنه، عن أنس، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله في بيت أمّ حبيبة بنت أبي سفيان، فقال: يا أمّ حبيبة اعترلينا فأنا على حاجة، ثمّ دعا بوضوء، فأحسن الوضوء، ثمّ قال له: أوّل (٣) من يدخل من هذا الباب أمير المؤمنين، وسيّد العرب، وخير الوصيّين، وأولى الناس بالناس.

قال أنس: فجعلت أقول: اللهم اجعله رجلاً من الأنصار، قال: فدخل علي، فجاء يمشي حتّى جلس الى جنب رسول الله صلى الله عليه وآله، فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يمسح وجهه بيده، ثمّ مسح بها وجه علي بن أبي طالب، فقال علي: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: أنك تبلّغ رسالتي من بعدي، وتؤدّي عني، وتسمع الناس صوتي، وتعلم الناس من كتاب الله ما لا تعلمون (٤).

ومن المناقب عن أنس، قال: كنت خادماً لرسول الله صلى الله عليه وآله، فبينما أنا يوماً أوضّيه، إذ قال: يدخل رجل وهو أمير المؤمنين، وسيّد المسلمين، وأولى الناس

(١) كشف الغمّة ١: ٣٤٢، عنه، واليقين ص ١١ ب ٤.

(٢) كشف الغمّة ١: ٣٤٢، عنه، واليقين ص ١١ ب ٥.

(٣) في المصدر: إن أوّل.

(٤) كشف الغمّة ١: ٣٤٢، عنه، واليقين ص ١٢ ب ٦.

بالمؤمنين ، وقائد الغرّ المحجلّين ، قال : أنس : اللهم اجعله رجلاً من الأنصار ، فاذا هو علي بن أبي طالب عليه السلام ^(١) .

ومن المناقب أيضاً ، عن أنس بن مالك ، قال : بينا أنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله إذ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : الآن يدخل سيّد المسلمين ، وأمير المؤمنين ، وخير الوصيّين ، وأولى الناس بالنبيّين ، إذ طلع علي بن أبي طالب ، فقال صلى الله عليه وآله : اللهم والي والي .

قال : فجلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله يمسح العرق من جبهته ووجهه ، ويمسح به وجه علي بن أبي طالب ، ويمسح العرق من وجه علي ويمسح به وجهه ، فقال علي : يا رسول الله نزل فيّ نكير ^(٢) ؟

قال : أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لانيبيّ بعدي ، أنت أخي ، ووزير ي ، وخير من أخلف بعدي ، تقضي ديني ، وتنجز مواعيدي ^(٣) ، وتبيّن لهم ما اختلفوا فيه من بعدي ، وتعلّمهم من تأويل القرآن ما لم يعلموا ، وتجاهدهم على التأويل كما جاهدتهم على التنزيل ^(٤) .

ومن المناقب ، عن رافع مولى عائشة ، قال : كنت غلاماً أخدمها ، فكنيت إذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله عندها أكون قريباً أعطيها ، قال : فبينما ^(٥) رسول الله صلى الله عليه وآله عندها ذات يوم ، إذ جاء جاءٍ فدقّ الباب ، قال : فخرجت إليه ، فاذا جارية معها اناء مغطّى ، قال : فرجعت الى عائشة فأخبرتها ، فقالت : أدخلها ، فدخلت ، فوضعتها بين يدي عائشة ، فوضعتها عائشة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله ، فجعل يأكل وخرجت الجارية .

(١) كشف الغمّة ١ : ٣٤٢ عنه ، واليقين ص ١٢ - ١٣ ب ٧ .

(٢) في المصدر : شيء .

(٣) في المصدر : وعدي .

(٤) كشف الغمّة ١ : ٣٤٣ عنه ، واليقين ص ١٣ ب ٨ .

(٥) في المصدر : فبينما .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : ليت أمير المؤمنين وسيد المسلمين وامام المتقين عندي يأكل معي ، فجاء جاء ، فدق الباب ، فخرجت اليه فاذا هو علي بن أبي طالب ، قال : فرجعت فقلت : هذا علي ، فقال النبي : أدخله ، فلما دخل قال له النبي صلى الله عليه وآله : مرحباً وأهلاً ، لقد تمنيتك مرتين ، حتى لو أبطأت علي لسألت الله عزوجل أن يأتي بك ، أجلس فكل معي (١) .

ومن المناقب ، عن أنس بن مالك ، قال : بينا (٢) أنا عند النبي صلى الله عليه وآله اذ قال : يطلع الآن ، فقلت : فذاك أبي وأمي من ذا ؟ قال : سيد المسلمين ، وأمير المؤمنين ، وخير الوصيين ، وأولى الناس بالنبيين ، قال : فطلع علي ، ثم قال لعلي : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى (٣) .

وعن الحافظ ابن مردويه ، عن داود بن أبي عوف ، قال : حدثني معاوية بن ثعلبة الليثي ، قال : ألا أحدثك حديثاً (٤) لم يختلط ؟ قلت : بلى ، قال : مرض أبو ذر ، فأوصى الى علي ، فقال بعض من يعودده : لو أوصيت الى أمير المؤمنين عمر كان أجمل لوصيتك من علي ، فقال : والله لقد أوصيت الى أمير المؤمنين حقاً أمير المؤمنين ، والله أنه للربيع الذي يسكن اليه ، ولو قد فارقكم لقد أنكروتم الناس وأنكروتم الأرض ، قال : قلت : يا أبا ذر أنا لتعلم أن أحبهم الى رسول الله صلى الله عليه وآله أحبهم اليك ، قال : أجل ، قلنا : أيهم أحب اليك ؟ قال : هذا الشيخ المضطهد المظلوم حقّه ، يعني : علي بن أبي طالب (٥) .

وعن أبي ذر من طريق آخر من كتاب المناقب ، قال معاوية بن ثعلبة الليثي :

(١) كشف الغمّة ١ : ٣٤٣ عنه ، واليقين ص ١٤ ب ٩ .

(٢) في الكشف : بينا .

(٣) كشف الغمّة ١ : ٣٤٣ عنه ، واليقين ص ١٤ ب ١٠ .

(٤) في الكشف : بحديث .

(٥) كشف الغمّة ١ : ٣٤٤ عنه ، واليقين ص ١٥ - ١٦ ب ١٢ .

مرض أبو ذرٍّ رضي الله عنه مرضاً شديداً حتى أشرف على الموت ، فأوصى الى علي بن أبي طالب عليه السلام ، فقيل له : لو أوصيت الى عمر بن الخطاب كان أجمل لو صيتك من علي ، فقال أبو ذرٍّ : أوصيت والله الى أمير المؤمنين حقاً حقاً ، وأنه لربي الأرض الذي يسكن اليها ويسكن اليه ، ولو قد فارقتموه لأنكرتم الأرض ومن عليها ^(١) .

وعن المحافظ ابن مردويه ، عن رجاله ، عن أنس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انّ الجنّة مشتاقه ^(٢) الى أربعة من أمّتي ، فهبت أن أسأله من هم ؟ فأتيت أبا بكر ، فقلت : انّ النبي صلى الله عليه وسلم قال : انّ الجنّة مشتاقه الى أربعة من أمّتي ، فأسأله من هم ؟ فقال : أخاف أن لا أكون منهم ، فتعيرني به بنو تيم ، فأتيت عمر ، فقلت له مثل ذلك ، فقال : أخاف أن لا أكون منهم ، فتعيرني به بنو عدي ، فأتيت عثمان ، فقلت له مثل ذلك ، فقال : أخاف أن لا أكون منهم ، فتعيرني به بنو أميّة .

فأتيت علياً وهو في ناضح ^(٣) له ، فقلت له : انّ النبي صلى الله عليه وسلم قال : انّ الجنّة مشتاقه الى أربعة من أمّتي ، فأسأله من هم ؟ فقال : والله لأسألته ، فان كنت منهم حمدت الله عزّ وجلّ ، وان لم أكن منهم لأسألنّ الله أن يجعلني منهم وأودّهم .

فجاء وجئت معه الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فدخلنا على النبي صلى الله عليه وسلم ورأسه في حجر دحية الكلبي ، فلمّا رآه دحية قام اليه وسلّم عليه ، وقال : خذ رأس ابن عمّك يا أمير المؤمنين ، فأنت أحقّ به ، فاستيقظ النبي صلى الله عليه وسلم ورأسه في حجر علي عليه السلام ، فقال له : يا أبا الحسن ما جئتنا الآ في حاجة ، قال : بأبي وأمي يا رسول الله ، دخلت ورأسك في حجر دحية الكلبي ، فقام اليّ وسلّم عليّ ، وقال : خذ برأس ابن عمّك اليك ، فأنت أحقّ به منّي يا أمير المؤمنين ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : فهل عرفته ؟ فقال : هو دحية

(١) كشف الغمّة ١ : ٣٤٤ عنه ، واليقين ص ١٧ ب ١٤ .

(٢) في الكشف : تشناق ، وكذا بعده .

(٣) الناضح : البعير يستقى عليه ، ثمّ استعمل في كلّ بعير وان لم يحمل الماء .

الكلبي ، فقال له : ذاك جبرئيل ، فقال له : بأبي وأمي يا رسول الله أعلمني أنس أنك قلت : الجنة مشتاقا الى أربعة من أمّتي ، فمن هم ؟ فأوماً اليه بيده ، فقال: أنت والله أوّهم ، أنت والله أوّهم ثلاثاً ، فقال : بأبي وأمي فمن الثلاث ؟ فقال له : المقداد ، وسلمان ، وأبوذر^(١) .

وعن السيّد رضي الدين رحمه الله تعالى : ومما نقلت من تاريخ الخطيب مرفوعاً الى ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ليس في القيامة راكب غيرنا ونحن أربعة ، قال : فقام عمه العباس ، فقال : فذاك أبي وأمي أنت ومن ؟ قال : أمّا أنا ، فعلى دابة الله البراق . وأمّا أخي صالح ، فعلى ناقة الله التي عقرت ، وعمّي حمزة أسد الله وأسد رسوله على ناقتي العضاء ، وأخي وابن عمّي علي بن أبي طالب على ناقة من نوق الجنة ، مدبّجة^(٢) الظهر ، رجلها من زمرد أخضر ، مضبّب^(٣) بالذهب الأحمر ، رأسها من الكافور الأبيض ، وذنبها من العنبر الأشهب ، وقوائمها من المسك الأذفر ، وعنقها من لؤلؤ عليها قبة من نور ، باطنها عفو الله ، وظاهرها رحمة الله ، بيده لواء الحمد ، فلا يمرّ بلاء من الملائكة إلا قالوا : هذا ملك مقرب ، أو نبي مرسل ، أو حامل عرش ربّ العالمين .

فينادي مناد من لدن العرش - أو قال : من بطنان العرش - : ليس هذا ملكاً مقرباً ، ولا نبياً مرسلأً ، ولا حامل عرش ربّ العالمين ، هذا علي بن أبي طالب ، أمير المؤمنين ، وامام المتّقين ، وقائد الغرّ المحجّلين الى جنّات ربّ العالمين ، أفلح من صدّقه ، وخاب من كذّبه ، ولو أنّ عبداً عبد الله بين الركن والمقام ألف عام وألف عام حتّى يكون كالشنّ البالي ، ثمّ لقي الله مبغضاً لآل محمّد أكبه الله على منخريه في

(١) كشف الغمّة ١ : ٣٤٥ عنه ، واليقين ص ١٧ - ١٨ ب ١٥ .

(٢) أي : مزينة بالدجاج وهو الثوب الذي سداه ولحمته حرير .

(٣) ضبّب الشيء بالشيء : ألبسه به .

جهنم (١)

ومن مناقب موقّق بن أحمد الخوارزمي ، مرفوعاً الى علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لما أُسري بي الى السماء ، ثمّ من السماء الى سدرة المنتهى ، وقفت بين يدي ربّي عزّوجلّ ، فقال لي : يا محمّد ، قلت : لبيك وسعديك ، قال : قد بلوت خلقي ، فأيهم رأيت أطوع لك ؟ قال : قلت : ربّ عليّاً ، قال : صدقت يا محمّد ، فهل اتّخذت لنفسك خليفة يؤدّي عنك ويعلمّ عبادي من كتابي ما لا يعلمون ؟ قال : قلت : اختر لي ، فانّ خيرتك خيرتي ، قال : قد اخترت لك عليّاً ، فاتّخذه لنفسك خليفة ووصيّاً ، ونخلته علمي وحلمي ، وهو أمير المؤمنين حقّاً ، لم ينلها أحد قبله ، وليست لأحد بعده ، يا محمّد ! علي راية الهدى ، وامام من أطاعني ، ونور أوليائي ، وهي الكلمة التي ألزمتها المتّقين ، من أحبّه فقد أحبّني ، ومن أبغضه فقد أبغضني ، فبشّره بذلك يا محمّد .

فقال النبيّ ﷺ : قلت : ربّ قد بشّرته ، فقال علي : أنا عبد الله وفي قبضته ، ان يعاقبني فبذنوبي لم يظلمني شيئاً ، وان تمّم لي وعدي فالله مولاي . قال : أجل واجعل (٢) ربيعة الايمان به ، قال : قد فعلت ذلك يا محمّد ، غير أنّي محتصّه بشيء من البلاء لم أخصّ به أحداً من أوليائي ، قال : قلت : ربّ أخي وصاحبي ؟ قال : قد سبق في علمي أنّه مبتلى ، لولا علي لم يعرف حزبي ولا أولياء رسلي (٣) .

ومن مناقب الخوارزمي ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ : هذا علي بن أبي طالب ، لحمه من لحمي ، ودمه من دمي ، وهو بمنزلة هارون من موسى الآلآه

(١) كشف الغمّة ١ : ٣٤٥ - ٣٤٦ ، واليقين ص ١٨ - ١٩ ب ١٦ .

(٢) كذا في الكشف واليقين ، وفي «ق» : قال : أجل وقلت : واجعل . وفي المناقب : قال : أجل ، قال : قلت : يا ربّ واجعل .

(٣) المناقب للخوارزمي ص ٣٠٣ ط قم ، وكشف الغمّة ١ : ٣٤٦ ، واليقين ص ٢٣ ب ٢٢ .

لا نبيّ بعدي ، وقال : يا أمّ سلمة اشهدي واسمعي ، هذا علي أمير المؤمنين ، وسيّد المسلمين ، وعيبة علمي ، وبابي الذي أوتي منه ، أخي في الدين ، وخدني ^(١) في الآخرة ، ومعني في السنام الأعلى ^(٢) .

ومن مناقب الخوارزمي ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عبّاس ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله في بيته ، فعدا عليه علي عليه السلام بالغداة ، وكان لا يحبّ أن يسبقه إليه أحد ، فدخل فاذا النبيّ صلى الله عليه وآله في صحن الدار ، وإذا رأسه في حجر دحية الكلبي ، فقال : السلام عليكم ، كيف أصبح رسول الله ؟ فقال : بخير يا أبا رسول الله .

قال : فقال علي عليه السلام : جزاك الله عنّا أهل البيت خيراً ، قال له دحية : انّي أحبّك ، وإنّ لك عندي مدحة أزفّها إليك ، أنت أمير المؤمنين ، وقائد الغرّ المحجلّين ، أنت سيّد ولد آدم ما خلا النبيّين والمرسلين ، لواء الحمد بيدك يوم القيامة ، تزفّ أنت وشيعتك مع محمّد وحزبه الى الجنان زفّاً ، قد أفلح من تولّاك ، وخسر من تخلّاك ، محبّوا محمّد محبّوك ^(٣) ، ومبغضوا محمّد مبغضوك ، لن تنالهم شفاعة محمّد صلى الله عليه وآله ، أدن منّي يا صفوة الله ، فأخذ رأس النبيّ صلى الله عليه وآله فوضعه في حجره .

فانتبه النبيّ صلى الله عليه وآله فقال : ما هذه المهمة ؟ فأخبره الحديث ، فقال : لم يكن دحية الكلبي ، كان جبرئيل سمّك باسم سمّك الله به ، وهو الذي ألقى محبّتك في صدور المؤمنين ، وهيبتك في صدور الكافرين ^(٤) .

وقال صاحب الصراط المستقيم : وأسند السعودي ، وعبّاد الأسيدي - وهما من أهل الخلاف - الى بريدة الأسلمي ، أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أمر أبا بكر وعمر بالسلام على

(١) الخدن بكسر الخاء : الصديق والمحّب ، ومنه قوله تعالى ﴿ ولا تتخذوا أخدان ﴾ .

(٢) المناقب للخوارزمي ص ١٤٢ ح ١٦٣ ، وكشف الغمّة ١ : ٣٤٧ ، واليقين ص ٢٤ ب ٢٣ .

(٣) في الكشف واليقين : محبّك ، وفي المناقب : محبّ محمّد أحبّوك .

(٤) المناقب للخوارزمي ص ٣٢٢ - ٣٢٣ ح ٣٢٩ ، وكشف الغمّة ١ : ٣٤٧ ، واليقين

علي بامرة المؤمنين ، فقالا : وأنت حيّ ، قال : وأنا حيّ .

وفي رواية السبيعي : أنّ عمر قال : عن أمر الله وأمر رسوله ؟ قال : نعم .

وأسند الثقيفي الى الكتاني ، الى المحاربي ، الى الثمالي ، الى الصادق عليه السلام : أنّ بريدة قدم من الشام ، وقد ^(١) بويح لأبي بكر ، فقال له : أنسيت تسليمنا على علي بامرة المؤمنين واجبة من الله ورسوله ؟ قال : أنّك غبت وشهدنا وانّ الله يحدث الأمر بعد الأمر ، ولم يكن ليجمع لأهل هذا البيت النبوة والملك .

وفي رواية الثقيفي والسدي ^(٢) ، أنّ عمر قال : إنّ النبوة والامامة لا تجتمع في بيت واحد ، فقال بريدة : ﴿ أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً ﴾ ^(٣) فقد جمع لهم ذلك ^(٤) . انتهى .

وقد نقل عن كتاب نهاية العقول لدراية الأصول ، تصنيف فخر الرازي عمر الرازي ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : سلّموا على علي بامرة المؤمنين ^(٥) .

أقول مستمداً من الله حسن التوفيق مستهدياً برحمته الى سواء الطريق : إنّ الشيعة مجمعون على أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم خاطب علي بن أبي طالب عليه السلام بامرة المؤمنين ، وسماه به باذن ربّ العالمين ، وما أوردناه هاهنا نقلاً عن المخالفين حجّة عليهم ، وان لا ينفعهم ولا يردّهم عن اتّباع السلف الماضين .

قال علي بن عيسى في كشف الغمّة : أنّي باحثت بعض علمائهم من مدرّسي أحمد بن حنبل فأوردت عليه حديثاً من مسند امامه ، فقال : أحاديث المسند لم يلتزم أحمد فيها الصحّة ، فلا يكون حجّة عليّ ، فأوردت عليه مثل ذلك الحديث من

(١) في المصدر : فرأى قد .

(٢) في النسخ : السري .

(٣) النساء : ٥٤ .

(٤) الصراط المستقيم ٢ : ٥٣ - ٥٤ .

(٥) احقاق الحق ٤ : ٢٧٦ عن نهاية العقول .

صحيح الترمذي ، فطعن في رجل من رجاله ، فقلت له : تعذّر وأمتنع البحث معكم ، فقال : كيف ؟ قلت : لأنكم تطعون فيما نوره نحن وفيما تورّدونه أنتم عن مشايخكم وأمتنكم ، فكيف يتحقّق بيننا بحث ؟!

ثمّ أقول : السبب لعدم وصولهم الى الحقّ مع وضوح الدلائل ووفور البراهين ، سبق شبهة التقليد ، وظنّ تحقّق الاجماع على تحقّق خلافة الثلاثة ، وحبّ اتباع الآباء والأمّهات وأهل البلد ، وحبّ اتباع الملوك ، وحبّ المناصب الدنيويّة المشروطة باتباع الخلفاء الثلاثة ، وحبّ التوسعة وعدم التضيق .

وغير خفيّ على المتتبّع أنّ كثيراً من المحرّمات الثابتة عند أهل البيت عليهم السلام محلّلة عند فقهاءهم الأربعة ، ولا ريب أنّ هذه المذكورات تعمي القلوب وتصمّها ، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله : حبّك للشيء يعمي ويصمّ^(١) : ولا شك أنّ هؤلاء ان جرّدوا أنفسهم عن التقليد واتباع الأهواء ، ونظروا بعين الانصاف الى دلائلنا ، أقرّوا واعترفوا بالحقّ ، وندموا ممّا كانوا فيه من الباطل ، قائلين : الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

تذنيب :

لا يخفى أنّ عمر بن الخطّاب لم يرض بغصب الخلافة فقط ، بل غصب أيضاً الاسم الذي سمّى الله به عليّاً عليه السلام .

قال الزعفراني في شرح المصاييح : إنّ عمر أوّل من سمّى بأمر المؤمنين ، وذلك أنّ لبيد بن ربيعة وعدي بن حاتم لما قدما المدينة ، فأتيا المسجد ، فوجدوا فيه عمرو بن العاص ، فقالا : استأذن لنا على أمير المؤمنين ، فقال : والله لقد أصبنا أنّه لأمر ونحن المؤمنين ، فدخل عمرو على عمر ، وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فقال

عمر : ما هذا ؟ فقال : أنت الأمير ونحن المؤمنون .
وفي شرح صحيح البخاري : أن عمر أول من سمي بأمر المؤمنين ، ولكن لم يذكر
الحكاية .

النوع الثالث

فيما روي عن النبي ﷺ أن علياً مع الحق

والحق معه وما في معناه

منه : ما نقل عن كتاب شرف النبي ، عن رسول الله ﷺ ، في حديث طويل
يخاطب فيه علياً عليه السلام : وإن الحقّ معك ، ليس أحد من الأمة يعدلك ، وإن الحقّ معك
وعلى لسانك وفي قلبك وبين عينيك^(١) . وسيجيء الحديث بتمامه في النوع الذي يلي
هذا النوع .

وفي كتاب الفردوس للدليمي ، باسناده عن النبي ﷺ : يا عمّار إن رأيت علياً
قد سلك وادياً وسلك الناس وادياً غيره ، فاسلك مع علي ودع الناس ، أنّه لن يدلك
على ردى ، ولن يخرجك من الهدى^(٢) .

ومنه : ما أخرجه ابن الأثير في جامع الأصول ، قال : وأخرجه الترمذي ، قال
النبي ﷺ : رحم الله علياً ، اللهم أدر الحقّ معه حيث دار^(٣) .

ومنه : ما في كتاب العقد لابن عبد ربّه ، قال النبي ﷺ : من كنت مولاه فعلي
مولاه ، الى قوله : وأدر الحقّ معه حيث دار^(٤) . وسيجيء تمام الحديث إن شاء الله في

(١) راجع احقاق الحق ٤ : ٤٨٤ - ٤٨٦ .

(٢) رواه الحموي في فرائد السمطين ١ : ١٧٨ ، والقندوزي في ينابيع المودة ص ١٢٨ .

(٣) الصراط المستقيم ١ : ٢٩٨ عن جامع الأصول ، وصحيح الترمذي ٥ : ٥٩٢

برقم : ٣٧١٤ .

(٤) راجع احقاق الحق ٤ : ٤٤١ ، و٦ : ٢٩٠ - ٢٩١ .

النوع الخامس .

وفي كتاب أسماء رجال امامهم للحافظ أبي عبد الله محمد بن اسحاق مندة ، عن الحسن ، عن أبي ليلى الغفاري ، قال : سمعت رسول الله ﷺ : سيكون من بعدي فتنه ، فاذا كان ذلك فالزموا علي بن أبي طالب ، فإنه أول من يراني ، وأول من يصاحبني ^(١) يوم القيامة ، وهو معي في السماء الأعلى ، وهو الفاروق بين الحق والباطل ^(٢) .

ومنه : ما رواه الامام أبو المؤيد الخوارزمي في المناقب ، عن ابن أبي ليلى ، قال : قال رسول الله ﷺ : ستكون بعدي فتنه ، فاذا كان ذلك فالزموا علي بن أبي طالب ، فإنه الفاروق بين الحق والباطل ^(٣) .

ومنه : ما في المناقب أيضاً ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله ﷺ : من فارق علياً فارقي ، ومن فارقتني فارق الله عزوجل ^(٤) .

ومنه : ما في المناقب أيضاً ، عن أبي أيوب الأنصاري ، قال : سمعت النبي ﷺ يقول لعمار بن ياسر : تقتلك الفئة الباغية ، وأنت مع الحق والحق معك ، يا عمار اذا رأيت علياً سلك وادياً ، وسلك الناس وادياً غيره ، فاسلك مع علي ودع الناس ، أنه لن يدلِكَ في ردى ، ولن يخرجك من الهدى ، يا عمار أنه من تقلد سيفاً أعان به علياً على عدوه ، قلده الله تعالى يوم القيامة وشاحاً من درّ ، ومن تقلد سيفاً أعان به عدو علي ، قلده الله تعالى يوم القيامة وشاحاً من نار ^(٥) .

(١) في «ق» : يضافني .

(٢) رواه ابن عبد البر في الاستيعاب ٤ : ١٦٩ ط مصر .

(٣) المناقب للخوارزمي ص ١٠٥ ح ١٠٨ ط قم .

(٤) المناقب للخوارزمي ص ١٠٥ ح ١٠٩ .

(٥) المناقب للخوارزمي ص ١٠٥ ح ١١٠ .

وفي كتاب الشريعة لأبي بكر محمد بن الحسين^(١) الآجري ، وهو تلميذ أبي بكر ولد أبي داود السجستاني ، في الجزء الثالث^(٢) منه ، باسناده الى علقمة بن قيس والأسود بن يزيد^(٣) ، قالوا : أتينا أبا أيوب الأنصاري ، فقلنا له : ان الله أكرمك بمحمد ﷺ اذ أوحى الى راحلته ، فبركت على بابك ، فكان رسول الله ضيفك ، فضيلة فضلك الله بها ، ثم خرجت تقاتل مع علي بن أبي طالب عليه السلام ، قال : مرحباً بكما وأهلاً ، اني أقسم لكما بالله لقد كان رسول الله ﷺ في هذا البيت الذي أنتم فيه . وساق الكلام الى قوله : وقال : يا عمار انه سيكون في أمتي بعدي هناة واختلاف ، حتى يقتل بعضهم بعضاً ، ويتبرأ بعضهم من بعض ، فاذا رأيت ذلك فعليك بهذا الذي عن يميني - يعني : علياً عليه السلام - وان سلك كلهم وادياً وسلك علي وادياً ، فاسلك وادي علي واخل الناس طراً ، يا عمار ان علياً لا يزيلك عن هدى ، يا عمار ان طاعة علي ممن طاعتي ، وطاعتي طاعة الله عزوجل^(٤) .

وفي تاريخ الخطيب ، وفي صفوة التاريخ للقاضي أبي الحسن المرحباني ، عن رسول الله ﷺ : علي مع الحق ، والحق مع علي ، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض يوم القيامة^(٥) .

وفي مناقب ابن مردويه ، عن عبد الرحمن بن أبي سعيد ، قال : كنا جلوساً عند النبي ﷺ في نفر من المهاجرين ، ومرّ علي بن أبي طالب عليه السلام ، فقال : الحق مع

(١) في الطرائف : الحسن .

(٢) في الطرائف : الثاني .

(٣) في النسخ : بريد .

(٤) الطرائف ص ١٠١ - ١٠٢ ، والعمدة لابن بطريق ص ٤٥٠ - ٤٥١ ، كلاهما عن كتاب الشريعة .

(٥) تاريخ بغداد للخطيب ١٤ : ٣٢١ ط السعادة بمصر .

علي عليه السلام مع الحقّ والحقّ معه ٩٥
ذا (١).

وفيه أيضاً: عن عائشة، أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: الحقّ مع علي يزول معه حيث
ما زال (٢).

وفيه أيضاً: عن أبي ذرّ، عن أمّ سلمة، قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّ
عليّاً مع الحقّ والحقّ معه، لن يزولا حتّى يردا عليّ الحوض (٣).

وفيه أيضاً: عن أمّ سلمة، قالت: كان عليّ على الحقّ، من اتّبعه اتّبع الحقّ، ومن
تركه ترك الحقّ، عهداً معهوداً قبل يومه هذا (٤).

وفيه أيضاً: عن عبيد الله بن عبد الله الكندي، كلام طويل في مخاطبة معاوية ابن
عبّاس وسعيداً، ومخاطبتها أيّاه، فقال سعد: فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول
لعليّ: أنت مع الحقّ والحقّ معك، وصدّقته أمّ سلمة، وقالت: في بيتي قاله صلى الله عليه وآله (٥).

وفيه أيضاً عن عائشة: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: الحقّ مع عليّ، وعليّ مع الحقّ،
ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض (٦).

وفيه أيضاً: عن أمّ سلمة، قالت: عليّ على الحقّ، من اتّبعه اتّبع الحقّ، ومن تركه
ترك الحقّ، عهد معهود قبل موته (٧).

وفيه أيضاً: عن أمّ سلمة قالت: والله إنّ عليّ بن أبي طالب لعليّ الحقّ قبل اليوم

(١) كشف الغمّة ١: ١٤٣، عن مناقب ابن مردويه المخطوطة.

(٢) كشف الغمّة ١: ١٤٣ عنه.

(٣) كشف الغمّة ١: ١٤٣ عنه.

(٤) كشف الغمّة ١: ١٤٣ - ١٤٤ عنه.

(٥) كشف الغمّة ١: ١٤٤ عنه.

(٦) كشف الغمّة ١: ١٤٦ عنه، والطرائف ص ١٠٣ ح ١٥٠ عنه.

(٧) كشف الغمّة ١: ١٤٦ عنه.

عهداً معهوداً وقضاءً مقضياً^(١).

وفيه أيضاً: عن ابن اليسر ، عن أبيه ، قال : كنّا عند عائشة ، فقالت : من قتل الخوارج ؟ فقلت : قتلهم علي بن أبي طالب عليه السلام ، إلى قوله : فقالت : ما يمنعني أن أقول الذي سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله ، سمعته يقول : عليّ مع الحقّ والحقّ معه^(٢) .

وفيه أيضاً: عن عليّ عليه السلام ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا عليّ إنّ الحقّ معك ، والحقّ على لسانك وفي قلبك وبين عينيك^(٣) .

وفيه أيضاً: عن رافع أنّه دخل على أمّ سلمة زوجة النبيّ صلى الله عليه وآله ، فأخبرها بيوم الجمل ، فقالت : إلى أين طار قلبك إذ طارت القلوب مطايرها ؟ قال : كنت يا أمّ المؤمنين مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، قالت : أحسنت وأصبت ، أما إنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : يرد عليّ على الحوض وأشياعه والحقّ معهم لا يفارقونه^(٤) .

وفيه أيضاً: عن أبي موسى الأشعري ، قال : أشهد أن الحقّ مع عليّ ، ولكن مالت الدنيا بأهلها ، ولقد سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله يقول : يا عليّ أنت مع الحقّ والحقّ بعدي معك^(٥) .

وفيه أيضاً: عن أبي حيان التيمي ، عن أبيه ، عن عليّ عليه السلام أن النبيّ صلى الله عليه وآله قال : رحم الله عليّاً ، اللهم أدر الحقّ معه حيث دار^(٦) .

وفيه أيضاً: أنّ عائشة لما عقر جملها ودخلت داراً بالبصرة ، فقال لها أخوها محمّد : أنشدك بالله أتذكرين حدّثتي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال : الحقّ لا يزال مع

(١) كشف الغمّة ١ : ١٤٦ عنه .

(٢) كشف الغمّة ١ : ١٤٦ عنه .

(٣) كشف الغمّة ١ : ١٤٦ عنه .

(٤) كشف الغمّة ١ : ١٤٦ عنه .

(٥) كشف الغمّة ١ : ١٤٧ عنه .

(٦) كشف الغمّة ١ : ١٤٧ عنه .

علي وعلي مع الحق لن يختلفا ولن يفترقا؟ فقالت: نعم (١).

وفيه أيضاً: لما أصيب زيد بن صوحان يوم الجمل، أتاه علي عليه السلام وبه رمق، فوقف عليه أمير المؤمنين عليه السلام وهو لما به، فقال: رحمك الله يا زيد فوالله ما عرفتك إلا خفيف المؤونة وكثير المعونة، قال: فرفع إليه رأسه، فقال: وأنت فرحمك الله، فوالله ما عرفتك إلا بالله عالماً، وبآياته عارفاً، والله ما قاتلت معك عن جهل، ولكني سمعت حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: علي أمير البررة، وقاتل الفجرة، منصور من نصره، مخذول من خذله، ألا وإن الحق معه يتبعه، ألا فيلوا معه (٢).

وفيه أيضاً: عن أم سلمة رضي الله عنها، قالت: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: علي مع القرآن والقرآن معه، لا يفترقان حتى يردا علي الحوض (٣).

وفيه أيضاً: عن أم سلمة، قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: علي مع القرآن والقرآن مع علي، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض (٤).

وبالاسناد: لن يفترقا حتى يردا علي الحوض يوم القيامة (٥).

وفيه أيضاً: قال شهر بن حوشب: كنت عند أم سلمة رضي الله عنها، فسلم رجل، فقيل: من أنت؟ قال: أبو ثابت مولى أبي ذر، قالت: مرحباً بأبي ثابت، أدخل، فدخل فرحبت به وقالت: أين طارت قلبك حين طارت القلوب مطائرهما؟ قال: مع علي بن أبي طالب عليه السلام، قالت: وقفت والذي نفس أم سلمة بيده، لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: علي مع القرآن والقرآن مع علي، لن يفترقا حتى يردا علي

(١) كشف الغمّة ١: ١٤٧ عنه.

(٢) كشف الغمّة ١: ١٤٧ - ١٤٨ عنه، والطرائف ص ١٠٣ ح ١٥١ عنه.

(٣) كشف الغمّة ١: ١٤٨ عنه، والطرائف ص ١٠٣ ح ١٥٢ عنه.

(٤) كشف الغمّة ١: ١٤٨ عنه.

(٥) كشف الغمّة ١: ١٤٨ عنه.

المحوض ، ولقد بعثت ابني عمر وابن أخي عبد الله بن أبي أمية ، وأمرتهما أن يقاتلا مع علي من قاتله ، ولولا أن رسول الله ﷺ أمرنا أن نقرّ في حجالنا وفي بيوتنا ، لخرجت حتى أقف في صفّ علي (١) .

أقول : لا يخفى أنّ معنى كون علي عليه السلام مع الحقّ والحقّ معه ، متواتر ودليل على امامته وفرض طاعته ، ووجه الدلالة ظاهر ؛ لأنّ الانسان مأمور باتّباع الحقّ ، فاذا كان الحقّ لم يفارق علياً عليه السلام ولم يزل معه ، وجب اتّباع علي عليه السلام والائتمام به دون غيره ممن لم يؤمن كونه مع الحقّ .

ولا يخفى على البصير المتتبع أنّ علياً عليه السلام لم يرض بامامة أبي بكر ، وقد اعترف علماء النواصب بأنه عليه السلام لم يبايع أبابكر سنّة أشهر ، حتّى انتهى الأمر الى الاكراه ، وأحضر عمر النار ليحرق الدار وفيها علي وسائر أهل البيت وجماعة من بني هاشم ، وسيجيء ان شاء الله تفصيل ما أجملناه ، نقلاً عن أكبر علمائهم .

فلو كان خلافة أبي بكر حقاً ، لكان علي عليه السلام على الباطل في ترك بيعته وهجرته ، والتالي باطل ؛ للحديث المتواتر الدالّ على عدم مفارقتة الحقّ ، فالمدّم مثله .

ان قالوا : صارت خلافته حقاً بالموافقة أخيراً .

قلنا : المخالفة دراية ، والموافقة رواية من أحد الطرفين ، وسيجيء ان شاء الله تعالى تظلماته المنافية للموافقة .

النوع الرابع

فيما ورد من طرق المخالف أنّ النبي ﷺ قال لعلي عليه السلام :

أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لانيبي بعدي

في مسند أحمد بن حنبل باسناده ، عن مخلد بن زيد الهذلي ، أنّ رسول الله ﷺ

آخا بين المسلمين ، ثمّ قال : يا علي أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي ، أما علمت يا علي أنّه يوم القيامة يدعى بي ، فأقوم عن يمين العرش ، فأكسي حلّة خضرة من حلل الجنّة ، ثمّ يدعى بالنبيّين على اثر بعض ، فيقومون سباطين عن يمين العرش ويكسون حلّة من حلل الجنّة .

ألا وائيّ أخبرك يا علي أنّ أمّتي أوّل الأمم ، يحاسبون يوم القيامة ، ثمّ أنت أوّل من يدعى بقربانك ومنزلتك عندي ، ويدفع اليك لوائي وهو لواء الحمد ، فتسير بين السماطين آدم عليه السلام وجميع الخلق ، يستظلّون بظلّ لوائي ، طول سيرته ألف سنة ، سنامه ياقوتة حمراء ، له ثلاث ذوائب من نور : ذؤابة في المشرق ، وذؤابة في المغرب ، والثالثة وسط الدنيا .

مكتوب عليه ثلاثة أسطر ، الأوّل : بسم الله الرحمن الرحيم ، والثاني : الحمد لله ربّ العالمين ، والثالث : لا اله الاّ الله ، محمّد رسول الله ، طول كلّ سطر ألف سنة ، وعرضه سيرة ألف سنة ، فتسير باللواء ، والحسن عن يمينك ، والحسين عن يسارك ، حتّى تقف بيني وبين ابراهيم في ظلّ العرش ، تكسى حلّة خضراء من حلل الجنّة ، ثمّ ينادي مناد من تحت العرش : نعم الأب أبوك ابراهيم ، ونعم الأخ أخوك علي ، أبشر يا علي أنّك تكسى اذا كسيت ، وتدعى اذا دعيت ، وتحى اذا حييت ^(١) .

وفيه أيضاً : باسناده عن عبد الله بن شريحيل ، عن زيد بن أبي أوفى ، في حديث أخذنا منه موضع الحاجة ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله : والذي بعثني بالحقّ نبياً ما ادّخرتك الاّ لنفسي ، فأنت منّي بمنزلة هارون من موسى الاّ أنّه لا نبيّ بعدي ، وأنت أخي ووارثي ، قال : وما أرث منك يا رسول الله ؟ قال : ما ورثت الأنبياء قبلي ، قال : وما ورث الأنبياء قبلك ؟ قال : كتاب الله وسنة نبيّهم ، وأنت معي في قصري

(١) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢ : ٦٦٣ ، والمناقب للخوارزمي ص ١٤٠ - ١٤١ ح ١٥٩ ، والمناقب لابن المغازلي ص ٤٢ - ٤٣ ح ٦٥ ، وكشف الغمّة ١ : ٢٩٤ - ٢٩٥ .

في الجنة الى آخر الحديث (١).

وفيه أيضاً: عن زيد بن أبي أوفى في حديث، أخذنا المقصود منه: وأنت مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي، وأنت أخي ووارثي، قال: وما أرت منك يا نبي الله؟ قال: ما ورثت الأنبياء من قبلي، قال: وما ورثت الأنبياء من قبلك؟ قال: كتاب الله وسنة نبيهم وأنت معي في قصري في الجنة مع ابنتي فاطمة، وأنت أخي ورفيقي، ثم تلا رسول الله ﷺ ﴿ اخواناً على سرر متقابلين ﴾ (٢) المتحابون في الله ينظر بعضهم الى بعض (٣).

وفيه أيضاً: رفعه الى سعيد بن مسيب، قال: حدثنا مصعب بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه سعد، قال: دخلت على سعد، فقلت: حديث حدثتك عنك، فحدثني حين استخلف النبي ﷺ علياً عليه السلام على المدينة، قال: فغضب سعد، وقال: من حدثك به؟ فكرهت أن أحدثه أن ابنه حدثني، فيغضب عليه، ثم قال: إن رسول الله ﷺ والله حين خرج في غزوة تبوك، استخلف علياً عليه السلام على المدينة، فقال علي عليه السلام: يا رسول الله ما كنت أؤثر أن تخرج في وجهي وأنا معك، قال: أو ما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي (٤). وفي الفردوس للدلمي: مسنداً عن أبي سعد بن أبي وقاص وأسما بنت عميس:

(١) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ١: ٥٢٥ برقم: ٨٧١ و ٢: ٦٣٨ برقم: ١٠٨٥، ومستدرک الحاکم ٣: ١٤، والمناقب للخوارزمي ص ١٥٠ - ١٥٢، وتذکرۃ الخواص ص ٢٨.

(٢) الحجر: ٤٧.

(٣) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢: ٦٣٨ برقم: ١٠٨٥.

(٤) مسند أحمد بن حنبل ١: ١٧٧، وفضائل الصحابة له ٢: ٦٣٣، والعمدة ص ١٢٦ ح ١٦٥ عنه، والظرائف ص ٥١ ح ٤٥ عنه.

يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي^(١).

وفيه أيضاً: مسنداً عن عمر: يا علي أنت أول المسلمين اسلاماً، وأنت أول المؤمنين ايماناً، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى^(٢).

وعن سعد بن أبي وقاص، قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي. أخرجه الترمذي ومسلم^(٣).

وفي كتاب شرف النبي، عن أسماء بنت عميس أيضاً بهذه العبارة، إلا أنه فيه: «ليس نبي بعدي» مكان «لا نبي بعدي»^(٤). كذا نقله القاشي من أصحابنا.

وفي الجمع بين الصحيحين للحميدي: في مسند سعد بن أبي وقاص، في الحديث الثامن من المتفق عليه، من عدة طرق، وفي صحيح البخاري من الجزء الخامس، أنّ النبي ﷺ خرج الى تبوك، واستخلف علياً عليه السلام، فقال: أتخلفني في النساء والصبان؟ فقال: ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي^(٥).

ورواه أيضاً البخاري في الجزء الرابع، ورواه مسلم في صحيحه في الجزء الرابع، وأسنداه من عدة طرق، وفي بعض روايتها، أنّ سعيد بن المسيّب قال لسعد بن أبي وقاص: أنت سمعته من النبي ﷺ يقول ذلك لعلي عليه السلام؟ فوضع اصبعيه في أذنيه

(١) رواه أحمد في مسنده ٦: ٤٣٨، والنسائي في الخصائص ص ١٧، والهيثمي في مجمع الزوائد ٩: ١٠٩.

(٢) فردوس الأخبار ٥: ٤٠٦ برقم: ٨٣٠٨ ط دار الكتاب العربي بيروت.

(٣) صحيح الترمذي ٥: ٥٩٩ برقم: ٣٧٣١، وصحيح مسلم ٤: ١٨٧١ ح ١، وراجع مسند أحمد بن حنبل ١: ١٧٠ و ١٧٣ و ٢٣٠، و ٣: ٣٢ و ٥٦ و ٧٤ و ٨٨ و ٩٤ و ٣٣٨.

(٤) راجع: احقاق الحق ٥: ١٨٠.

(٥) الطرائف ص ٥١ - ٥٢ عن الجمع بين الصحيحين، وصحيح البخاري ٥: ١٢٩.

وقال: نعم والآن استكتنا^(١).

ورواه أيضاً مسلم في صحيحه في الجزء الرابع في أوله ، في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام : وقيل للراوي : أنت سمعته يعني من النبي صلى الله عليه وآله ؟ فقال : نعم والآن فصمتنا^(٢).

ورواه الشافعي ابن المغازلي في كتاب المناقب ، أكثر من عشر طرق^(٣).

ورواه أيضاً رزين بن معاوية في الجمع بين الصحاح الست في الجزء الثالث من أجزاء ثلاث الأخير^(٤).

ونقل القاشي من أصحابنا ، عن الأربعين لأبي المكارم الحسن الدامغاني ، أنه نقل عن نزل السائرين للشيخ شرف الدين الدرگزيني ، أن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا علي أنت أول المسلمين اسلاماً ، وأنت أول المؤمنين ايماناً ، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى^(٥).

وعن كتاب شرف النبي ، عن أسماء بنت عميس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي : أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس بعدي نبي^(٦).

وعن كتاب شرف النبي أيضاً : لما قدم علي بن أبي طالب عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله حين فرغ من فتح خيبر ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا علي لولا أن يقول فيك طوائف من أمّتي ما قالت النصارى في المسيح بن مريم ، لقلت فيك قولاً كريماً ، لا تمرّ ببلأ إلا أخذوا من تراب رجلك وفضل طهورك يستشفون به .

(١) الطرائف ص ٥٢ عنهما ، وصحيح مسلم ٤ : ١٨٧٠ ح ٣٠ ، وصحيح البخاري ٤ : ٢٠٨ .

(٢) الطرائف ص ٥٢ ح ٤٨ عنه ، وصحيح مسلم ٢ : ١٩ ط محمد علي صبيح بمصر .

(٣) المناقب لابن المغازلي ص ٢٧ - ٣٧ .

(٤) الطرائف ص ٥٣ عنه .

(٥) فردوس الأخبار للديلمى ٥ : ٤٠٦ برقم ٨٣٠٨ .

(٦) احقاق الحق ٥ : ١٨٠ .

ولكن حسبك أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ، فأنتك تبرأ ذمتي ، وتقاتل على سنتي ، وأنتك في الآخرة وصيبي ، وأنتك على الحوض خليفتي ، فأنتك أول من يكسي معي ، وأنتك أول داخل في الجنة من أمتي ، وأن شيعتك على منابر من نور ، مضيئة وجوههم ، أشفع لهم ويكونون غداً جيرانني ، وأن حربك حربي ، وسلمك سلمني ، وأن سرك سري ، وعلانيتك علانيتي ، أن سريرة صدرك لسريرتي ، وأن ولدك ولدي ، وتنجز عدااتي ، وأن الحق معك وعلى لسانك وفي قلبك وبين عينيك ، والايامن مخالط لحمك ودمك كما خالط لحمي ودمي ، وأنه لن يرد عليّ الحوض مبغضك ، ولا يغيب محبّ لك حتى يرد الحوض معي .

قال : فخرّ علي ساجداً ، ثم قال : الحمد لله الذي أنعم عليّ بالاسلام ، وعلمني القرآن ، وحببني الى خير البرية وخاتم النبيين وسيد المرسلين ، احساناً منه وتفضلاً^(١) .

وقد نقل بعض ثقات أصحابنا - وهو صاحب الطرائف - أن أبا القاسم علي بن الحسن بن الترخي ، وهو من أعيان رجال المخالفين ، صنّف كتاباً سماه ذكر الروايات عن النبي ﷺ أنه قال لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ، وبيان طرقها واختلاف وجوهها^(٢) .

وفي الصراط المستقيم : نقلاً عن صاحب الوسيلة : لما ولد الحسن عليه السلام ، أهبط الله جبرئيل بهته ويقول : علي منك بمنزلة هارون من موسى ، فسمّه باسم هارون شبر ، فقال : لساني عربي ، فقال : سمّه الحسن^(٣) .

(١) رواه ابن المغازلي في المناقب ص ٢٣٧ - ٢٣٩ مع اختلاف يسير في الألفاظ ، والحوارزمي في المناقب ص ١٢٩ .

(٢) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف ص ٥٣ ، المطبوع بتحقيقنا .

(٣) الصراط المستقيم ١ : ٣١٨ .

وأَسَدُ الشيرازي في تفسيره الى السدي ، قال صخر بن حرب للنبي ﷺ : هذا الأمر من بعدك لنا أم لمن ؟ فقال : لمن هو مني بمنزلة هارون من موسى ، الى آخر الخبر^(١) . وقد تقدّم الخبر بتمامه في النوع الأول .

ووجه دلالة هذا الحديث الصحيح الثابت المتواتر بين الخاصّة والعامة على امامة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ظاهر ؛ لأنّه يقتضي حصول جميع منازل هارون لأمر المؤمنين عليّ عليه السلام إلا ما خصّه الاستثناء في الخبر ، وما جرى مجرى الاستثناء من العرف . وقد علمنا أنّ من منازل هارون من موسى عليّ عليه السلام هي : الشركة في النبوة ، وأخوة النسب ، والفضل ، والمحبة ، وفرض الطاعة ، والخلافة له في حال غيبته على أمته ، قال الله تعالى ﴿ وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي ﴾^(٢) فثبت بالحديث خلافة عليّ عليه السلام وفرض طاعته .

النوع الخامس

فيما ورد في تفسير قوله تعالى ﴿ انّما وليكم ورسوله والذين

يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهو راعون ﴾

في تفسير الثعلبي باسناده ، عن عباية بن الربيعي ، قال : بينا عبد الله بن عباس جالس على شفير زمزم يقول : قال رسول الله ﷺ ، اذ أقبل رجل متعمّم بعمامة ، فجعل ابن عباس عليه السلام لا يقول قال رسول الله إلا وقال الرجل : قال رسول الله ، فقال ابن عباس : سألتك بالله من أنت ؟

قال : فكشف العمامة عن وجهه ، فقال : يا أيها الناس من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا جندب بن جنادة البدري أبو ذرّ الغفاري ، سمعت رسول الله ﷺ

(١) الصراط المستقيم ١ : ٢٧٩ .

(٢) الأعراف : ١٤٢ .

بهاتين والآ فصمتا ، ورأيته بهاتين والآ فعميتا ، وهو يقول : علي قائد البررة ، وقاتل الكفرة ، منصور من نصره ، مخذول من خذله ، أما اني صليت مع رسول الله ﷺ يوماً من الأيام صلاة الظهر ، فسأل سائل في المسجد ، فلم يعطه أحد شيئاً ، فرفع يده الى السماء ، فقال : اللهم اشهد اني سألت في مسجد رسول الله فلم يعطني أحد شيئاً .

وكان علي رضي الله عنه راعياً ، فأوماً اليه بخصره اليمنى ، فكان يتختم فيها ، فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خصره ، وذلك بعين النبي ﷺ ، فلما فرغ من صلواته رفع رأسه الى السماء ، وقال : اللهم ان موسى سألك ، فقال : ﴿ رب اشرح لي صدري ﴾ ويسر لي أمري ﴾ واحلل عقدة من لساني ﴾ يفقهوا قولي ﴾ واجعل لي وزيراً من أهلي ﴾ هارون أخي ﴾ أشدد به أزري ﴾ وأشركه في أمري ﴾ فأنزلت عليه قرآناً ناطقاً ﴿ سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون اليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون ﴾ (١) اللهم وأنا محمد نبيك وصفيك ، اللهم اشرح لي صدري ، ويسر لي أمري ، واجعل لي وزيراً من أهلي علياً ، أشدد به ظهري .

قال أبوذر : فما استتم رسول الله ﷺ الكلمة حتى نزل عليه جبرئيل رضي الله عنه تعالى ، فقال : يا محمد اقرأ ، فقال : ما اقرأ ؟ قال : اقرأ ﴿ انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهو راعون ﴾ (٢) .

اعلم أنه قد روى أيضاً في اختصاص هذه الآية بعلي أمير المؤمنين رضي الله عنه ، ابن المغازلي الشافعي في مناقبه عدة روايات (٣) .

(١) القصص : ٣٥ .

(٢) الطرائف ص ٤٧ - ٤٨ عنه ، والعمدة ص ١٢٠ - ١٢١ ح ١٥٨ ، واحقاق الحق ٤ :

٥٩ عنه .

(٣) المناقب لابن المغازلي ص ٣١١ - ٣١٤ .

وروى أيضاً هذا المعنى رزين بن معاوية في الجزء الثالث من أجزاء ثلاثة من الجمع بين الصحاح الستة^(١).

والسدي، وعتبة، وغالب بن عبد الله، والماوردي، والقشيري، والقزويني، والنيشابوري، والفلكي، وأبومسلم الاصفهاني، والزخشي في تفاسيرهم، والواحدي في أسباب نزول القرآن، والسمعاني في فضائل الصحابة، وأبوبكر البهقي في الشعب، وسليمان بن أحمد في المعجم الأوسط، ومحمد بن قتال في التنزيل والروضة، وابن أبي رافع، وذكر أن هذين اماميان، وابن عيَّاش، والثقي، وأبو صالح، ومجاهد، والشعبي، والنظري في الخصائص، وابن البيع، وناصر التيمي، والكلبي^(٢).

وقد بلغ هذا الخبر في الظهور والاشتهار كنور الشمس في وسط النهار، ولا يخفى أمره على أولى الأبصار، وقد زين بنظمه الشعراء الأشعار، منهم حسان بن ثابت شاعر النبي سيّد الأبرار، ومن أبياته هذان البيتان:

فأنت الذي أعطيت اذ كنت راعياً فدتك نفوس القوم يا خير راع
وأنزل فيك الله خير ولاية وثبتها في محكمات الشرائع^(٣)
ومن نظم هذه القصة من الشعراء دعبل الخزاعي والعمري^(٤).

ووجه الدلالة على امامته عليه السلام ظاهر؛ لأن الولي أحد معانيه الأمير والسلطان، وهو المناسب للمقام، دون غيره من الصديق والمحِبِّ والنصير؛ لأن كلمة «أما» تفيد الحصر، والمعنى الذي يجوز أن يكون منحصراً في علي عليه السلام بعد الله عز وجل

(١) الطرائف ص ٤٨ عنه، والعمدة ص ١٢١ عنه.

(٢) الصراط المستقيم للبياضي ١: ٢٦٠ عن جميعهم.

(٣) الصراط المستقيم ١: ٢٦٥.

(٤) راجع: الصراط المستقيم ١: ٢٦٦.

ورسوله ﷺ هو الأول دون الثاني ، وهو المستفاد أيضاً مما رواه الثعلبي من أن نزول الآية بعد دعاء النبي ﷺ وطلبه من الله عزوجل أن يكون علي ﷺ وزيره ﷺ .

ومما رواه ابن المغازلي باسناده ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : مرّ سائل بالنبي ﷺ وفي يده خاتم ، فقال : من أعطاك هذا الخاتم ؟ قال : ذاك الراع ، وكان علي ﷺ يصلي ، فقال النبي ﷺ : الحمد لله الذي جعلها فيّ وفي أهل بيتي ﴿ أنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ﴾ الآية ، وكان علي خاتمه الذي تصدّق به : سبحان من فخري بأبي له عبده (١) .

ووجه دلالة هذه الرواية : أن النبي ﷺ شكر الله تعالى حين سمع باعطاء علي ﷺ الخاتم ، وحمد الله تعالى على نزول الآية فيه وفي أهل بيته ، وهذا يناسب المعنى الأول دون الباقي ، على ما لا يخفى على المتدبّر الفطن .

فان قال قائل : ان الآية أتت بذكر الذين آمنوا بلفظ الجمع ، وهذا عامّ في الذين آمنوا ؛ لأنّ كلاً منهم يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ، فأبي تخصيص حصل لأمر المؤمنين ﷺ ؟

قلنا : ان الله سبحانه قال : ﴿ والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ﴾ ولا نعلم من لدن آدم الى يومنا هذا أن أحداً من المؤمنين تصدّق وهو راكع غير أمير المؤمنين علي ﷺ ، فتخصّص العام بقوله ﴿ وهم راكعون ﴾ وتخصّص أيضاً بالروايات المتواترة الواردة من طريق الخاصّة والعامّة الدالّة على أن المراد بالآية أمير المؤمنين ﷺ .

على أنّه يمكن أن تكون التون في « الذين » للعظمة لا لجمع ، قال الله تعالى ﴿ نحن

نقص عليك أحسن القصص ﴿^(١)﴾ وغيرها من الآيات ، وقد ذكر سبحانه في آية المباهلة أيضاً بلفظ الجمع بقوله ﴿ وأنفسنا وأنفسكم ﴾ ^(٢) لأنه ﷺ نفس الرسول ، لا يشاركه فيه أحد باتفاق الخاصة والعامة ، فإن آية المباهلة مختصة بأمر المؤمنين ﷺ بالاجماع .

وذكر البخاري أن قوله ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم ﴾ ^(٣) نزلت في النبي ﷺ حيث أخذ غوثر سيفه حين نام وقد علّقه بشجرة وهم به .

﴿ فنادته الملائكة ﴾ ^(٤) والمراد جبرئيل ، ومثله ﴿ اذ قالت الملائكة يا مريم ﴾ ^(٥) .

وقد جاء الجمع بمعنى المفرد بغير تعظيم ، ففي تفسير مقاتل ﴿ الذين يقولون لا تتفقوا على من عند رسول الله ﴾ ^(٦) نزلت في ابن أبي سلول ، و ﴿ الذين يظهرون ﴾ ^(٧) نزلت في أوس بن الصامت .

وفي تفسير الزمخشري ، وابن المرتضى وهو من أكابرهم ﴿ الذين قال لهم الناس ان الناس ﴾ ^(٨) نزلت في نعيم بن مسعود بالاجماع ، وقال : أنه قول عكرمة وبجاهد . فان قيل : كيف يمكن أن يكون الخاتم الذي دفعه من الزكاة ؟ مع أنه لا يجوز

(١) يوسف : ٣ .

(٢) آل عمران : ٦١ .

(٣) المائدة : ١١ .

(٤) آل عمران : ٣٩ .

(٥) آل عمران : ٤٢ .

(٦) المنافقون : ٧ .

(٧) المجادلة : ٢ .

(٨) آل عمران : ١٧٣ .

تأخير الزكاة عن وقت وجوبها ولا دفعها في أثناء الصلاة ؛ لأنّ ذلك ينافيها .
قلنا : ان دفع الزكاة لا يجب على الفور ، بحيث لا يجوز الدخول في الصلاة إلا بعد أدائها ، بل ورد جواز التأخير الشهر والشهرين للبسط ، سلّمنا لكن ذلك في الواجبة لا في المندوبة ، فيجوز أن يكون ذلك من الزكاة المندوبة ، وأمّا دفعها في أثناء الصلاة فلا مانع منه ، فإنّ المنافي للصلاة هو الفعل الكثير الماحي صورة الصلاة ، وما نحن فيه ليس كذلك ؛ لأنّه ليس إلاّ مدّ الخنصر ، ويجوز أن يكون الحقّ تعالى عبّر عن صدقته بايتاء الزكاة ، تعظيماً لشأن صدقته من حيث مساواته للزكاة في الثواب .

النوع السادس

فيما قال النبي ﷺ : من كنت مولاه فعلي مولاه

ومن كنت وليه فعلي وليه

روى ابن أبي الحديد المعتزلي في شرحه على نهج البلاغة : بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد في سرية ، وبعث عليّاً عليه السلام في سرية أخرى ، وكلاهما الى اليمن ، وقال : ان اجتمعما فعلي على الناس ، وان افرقتما فكل واحد منكما على جنده ، فاجتمعا وأغارا وسبيا ، وأخذوا أموالاً ، وقتلوا ناساً ، وأخذ علي عليه السلام جارية فاختصّها لنفسه ، فقال خالد لأربعة من المسلمين ، منهم بريدة الأسلمي : اسبقوا الى رسول الله ﷺ ، فاذكروا له كذا ، واذكروا له كذا ، لأمر عددها على علي عليه السلام . فسبقوا اليه ، فجاء واحد من جانبه ، فقال : انّ عليّاً فعل كذا ، فأعرض عنه ، فجاء الآخر من الجانب الآخر ، فقال : انّ عليّاً فعل كذا ، فأعرض عنه ، فجاء بريدة الأسلمي ، فقال : يا رسول الله انّ عليّاً فعل كذا فأخذ جارية لنفسه ، فغضب ﷺ حتّى احمرّ وجهه ، وقال : دعوا لي عليّاً يكرّرها ، انّ عليّاً منّي وأنا من علي ، وانّ حظّه في الخمس أكثر ممّا أخذه ، وهو وليّ كلّ مؤمن من بعدي .

ثمّ قال ابن أبي الحديد : رواه أبو عبد الله أحمد في غير مرّة ، ورواه في كتاب

فضائل علي عليه السلام، ورواه أكثر المحدثين ^(١). انتهى كلامه .

وفي مناقب الخوارزمي ، عن ابن عباس ، عن بريدة الأسلمي ، قال : غزوت مع علي الى اليمن ، فرأيت منه جفوة ، فقدمت على رسول الله صلى الله عليه وآله ، فذكرت علياً فتنقّصته ، فرأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وآله قد تغير ، فقال : يا بريدة ألسنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قلت : بلى يا رسول الله ، فقال : من كنت مولاه فعلي مولاه ^(٢) .

وفي مسند أحمد بن حنبل عن بريدة ، قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وآله في سرية ، قال : فلما قدمنا ، قال : كيف رأيتم صحابة صاحبكم ؟ قال : شكوته أو شكاه غيري ، قال : فرفعت رأسي وكنت رجلاً مكبأباً ، قال : فاذا النبي صلى الله عليه وآله قد احمرّ وجهه ، وهو يقول : من كنت وليه فعلي وليه ^(٣) .

وفي مسند أحمد بن حنبل ، قال عبد الله بن بريدة : حدثني أبي بريدة ، قال : أبغضت علياً بغضاً لم يبغضه أحداً قط ، قال : وأحببت رجلاً من قريش لم أحبه إلا على بغضه علياً عليه السلام ، قال : فبعث ذلك الرجل على خيل ، فصحبته ما صحبته إلا على بغضه علياً عليه السلام ، قال : فأصنبا سيباً ، قال : فكتب الى رسول الله صلى الله عليه وآله : ابعث لنا من يحمّسه .

قال : فبعث الينا علياً عليه السلام ، وفي السبي وصيفة هي أفضل السبي ، قال : فخمّس وقسم ، فخرج ورأسه مغطى ، فقلنا : يا أبا الحسن ما هذا ؟ قال : ألم تروا الى الوصيفة التي كانت في السبي ، فاني قسمت وحمّست ، فصارت في الخمس ، ثمّ صارت في أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله ، ثمّ صارت في آل علي ووقعت بها .

(١) شرح نهج البلاغة ٩ : ١٧٠ - ١٧١ .

(٢) المناقب للخوارزمي ص ١٣٤ ح ١٥٠ ط قم .

(٣) مسند أحمد بن حنبل ٥ : ٣٤٧ ، وفضائل الصحابة ٢ : ٥٨٢ برقم : ٩٨٩ .

قال : فكتب الرجل الى النبي ﷺ ، فقلت : أبعثني مصدقاً ، قال : فجعلت أقرأ الكتاب وأقول : صدق ، قال : فأمسك يدي والكتاب ، قال : أتبغض علياً ؟ قال : قلت : نعم ، قال : فلا تبغضه وان كنت تحبه فازدد له حباً ، فولذي نفس محمد بيده لنصيب علي في الخمس أفضل من وصيفة ، قال : فما كان من الناس أحد بعد قول رسول الله ﷺ أحب الي من علي عليه السلام ، قال عبد الله : فولذي لا اله غيره ما بيني وبين النبي ﷺ في هذا الحديث غير أبي بريدة (١) .

وفي المسند المذكور ، قال : بعث رسول الله ﷺ بعثين الى اليمن ، علي أحدهما علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وعلى الآخر خالد بن الوليد ، فقال : اذا التقيتم فعلي علي الناس ، وان افرقتما فكل واحد منكما على جنده ، قال : فلقينا بني زيد (٢) من أهل بين فاقتلنا ، فظهر المسلمون على المشركين ، فقتلنا المقاتلة ، وسبينا الذرية ، فاصطفى علي امرأة من السبي لنفسه .

قال بريدة : فكتب معي خالد بن الوليد الى رسول الله ﷺ يخبره بذلك ، فلما أتيت النبي ﷺ دفعت الكتاب فقرء عليه ، فرأيت الغضب في وجه رسول الله ﷺ ، فقلت : يا رسول الله هذا مكان العائد بك ، بعثتني مع رجل وأمرتني أن أطيعه ، ففعلت ما أرسلت به ، قال رسول الله ﷺ : لا تقع في علي ، فإنه مني وأنا منه وهو وليكم بعدي (٣) .

وفي صحيح الترمذي ، عن عمران بن حصين ، قال : بعث رسول الله ﷺ جيشاً واستعمل عليهم علي بن أبي طالب ، فمضى في السرية ، فأصاب جارية ، فأنكروا عليه ، وتعاقد أربعة من أصحاب رسول الله ﷺ ، فقالوا : اذا لقينا رسول الله

(١) مسند أحمد بن حنبل ٥ : ٣٥٠ - ٣٥١ .

(٢) في النسخ : بني زبيدة .

(٣) مسند أحمد بن حنبل ٥ : ٣٥٦ .

أخبرناه بما صنع علي ، وكان المسلمون اذا رجعوا من سفر بدأوا برسول الله ﷺ فسلموا عليه ، ثم انصرفوا الى رحالهم .

فلما قدمت السرية سلموا على رسول الله ﷺ وقام أحد الأربعة ، فقال : يا رسول الله ألم تر الى علي بن أبي طالب صنع كذا وكذا ، فأعرض عنه رسول الله ﷺ فقام الثاني ، فقال مثل مقالته ، فأعرض عنه ، ثم قام الثالث فقال مثل مقالتها ، فأعرض عنه ، ثم قام الرابع فقال مثل ما قالوا ، فأقبل رسول الله ﷺ والغضب يعرف في وجهه ، فقال : ما تريدون من علي ؟ ما تريدون من علي ؟ ان علياً مني وأنا منه ، وهو ولي كل مؤمن من بعدي (١) .

وفي المناقب لابن المغازلي ، بسنده عن عمران بن حصين : ان رسول الله ﷺ قال : ما تريدون من علي ؟ ما تريدون من علي ؟ ان علياً مني وهو ولي لكل مؤمن بعدي (٢) .

وفيه أيضاً : بسند آخرهم عمران بن حصين ، قال : قال رسول الله ﷺ : علي مني وأنا منه ، وهو ولي كل مؤمن بعدي (٣) .

وفي فردوس الديلمي : باسناده عن بريدة : يا بريدة ان علياً وليكم بعدي ، فأحب علياً ، فإنه يفعل ما يؤمر (٤) .

وفيه أيضاً : عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ : يا علي أنت ولي كل مؤمن بعدي (٥) .

ونقل القاشي عن الترمذي ، عن عمران بن حصين ، أن النبي ﷺ قال : ان علياً

(١) صحيح الترمذي ٥ : ٥٩٠ - ٥٩١ برقم : ٣٧١٢ .

(٢) المناقب لابن المغازلي ص ٢٢٤ برقم : ٢٧٠ .

(٣) المناقب لابن المغازلي ص ٢٣٠ برقم : ٢٧٦ .

(٤) راجع : احقاق الحق ٤ : ١٤٠ و ٦ : ٨٧ ، مجمع الزوائد ٩ : ١٢٨ .

(٥) راجع : احقاق الحق ٤ : ١٣٦ .

مَنِّي وأنا منه ، وهو وليّ كلِّ مؤمن بعدي (١) .

وعن كتاب نهاية العقول في دراية الأصول لفخر الرازي ، قال النبي ﷺ : هذا وليّ كلِّ مؤمن ومؤمنة (٢) .

وعن كتاب الاستيعاب ، قال رسول الله ﷺ لعلي : أنت وليّ كلِّ مؤمن ومؤمنة (٣) .

أقول : هذه الآثار الدالّة على ولايته وامامته ﷺ قد وردت في غير يوم الغدير . وأما ما ورد في يوم الغدير ، فالذي رواه أصحابنا ، فهو خطبة طويلة جداً ، مشتملة على تصريحات كثيرة بامامته وخلافته وولايته ووصايته ، وتسميته بامرة المؤمنين ، وبامامة ذرّيته الطاهرين المعصومين ، فينبغي أن تأتي هاهنا ببعض تلك التصريحات ونكتفي به للاختصار .

منها : قوله ﷺ بعد ما حمد الله وأثنى عليه : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربّك وان لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾ (٤) الى آخر الآية ، معاشر الناس وما قصرت فيما بلغت ، ولا قعدت عن تبليغ ما أنزله ، وأنا أُبين لكم سبب نزول هذه الآية ، انّ جبرئيل ﷺ هبط اليّ مراراً ثلاثاً يأمرني عن السلام ربّ السلام أقوم في هذا المشهد ، وأعلم كلّ أبيض وأسود أنّ علي بن أبي طالب أخي ووصيّي وخليفتي من بعدي ، الذي محلّه منّي محلّ هارون من موسى الاّ أنّه لا نبيّ بعدي ، وليّكم بعد الله ورسوله ، نزل بذلك آية ﴿ أنّما وليّكم الله ﴾ وقرأ الآية . ثمّ قال بعد كلام : فاعلموا معاشر الناس ذلك وافهموه ، واعلموا أنّ الله قد نصبه

(١) صحيح الترمذي ٥ : ٥٩١ برقم : ٣٧١٢ .

(٢) احقاق الحق ٤ : ١٤١ عنه .

(٣) الاستيعاب ٣ : ٢٨ المطبوع على هامش الاصابة .

(٤) المائدة : ٦٧ .

لكم ولياً واماماً ، فرض طاعته على المهاجرين والأنصار وعلى التابعين باحسان ، وعلى البادي والحاضر ، وعلى العجمي والعربي ، وعلى الحرّ والمملوك ، والصغير والكبير ، وعلى الأبيض والأسود ، وعلى كلّ موجود ، ماضٍ حكمه ، وجائز قوله ، ونافذ أمره ، ملعون من خالفه ، مرحوم من صدّقه ، قد غفر الله لمن سمع وأطاع له .
معاشر الناس أنّه آخر مقام أقوم في هذا المشهد ، فاسمعوا وأطيعوا وانقادوا لأمر الله ربّكم ، فإنّه هو مولاكم وعلي امامكم ، ثم الامامة في ولدي الذين من صلبه الى يوم القيامة^(١) . انتهى ما أردنا نقله من الخطبة ، وسائر عبارات الخطبة في التصريح مثل ما أتينا به .

وأما ما رواه المخالف من حكاية الغدير ، فنه : ما في صحيح الترمذي وفي تفسير الثعلبي عن أبي هريرة ، قال : من صام يوم ثمانى عشر من ذي الحجّة ، كتب الله له صيام ستين شهراً ، وهو يوم غدیر ، لما أخذ النبي ﷺ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام فقال : ألسنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : من كنت مولاه فعلي مولاه ، فقال عمر بن الخطّاب : يخّ يخّ لك يا بن أبي طالب ، أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة ، فأنزل الله تعالى ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾^(٢) .
وفي تفسير الثعلبي أيضاً ، بسنده عن زيد بن أرقم ، قال : نشد علي الناس في المسجد : أنشد الله رجلاً سمع النبي ﷺ يقول : من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وكنت أنا في من كتم فذهب بصري^(٣) .

وبسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري ، أنّ رسول الله ﷺ نزل بحمّ ، فتنحّى الناس عنه ، وأمر عليّاً فجمعهم ، فلما اجتمعوا قام فيهم متوسّداً يد علي بن أبي

(١) بحار الأنوار ٣٧ : ٢٠٦ - ٢٠٨ عن الاحتجاج .

(٢) المناقب لابن المغازلي ص ١٦ عن أبي هريرة نحوه .

(٣) المناقب لابن المغازلي ص ٢٣ برقم : ٣٣ عنه .

طالب، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا أيها الناس أنه قد كرهت تخلفكم عني حتى خيل اليّ أنه ليس شجرة أبغض اليكم من شجرة تليني.

ثم قال: ولكن علي بن أبي طالب أنزله الله مني بمنزلة مني، فرضي الله عنه كما أنا عنه راض، فإنه لا يختار على قربي ومحبي شيئاً، ثم رفع يده، فقال: من كنت مولاة فعلي مولاة، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه.

قال: فابتدر الناس إلى رسول الله ﷺ ليكون ويتضرعون، ويقولون: يا رسول الله ما تنحنينا عنك إلا كراهية أن نثقل عليك، فنعوذ بالله من سخط رسوله، فرضي عنهم عند ذلك^(١).

وفيه أيضاً: في تفسير قوله تعالى ﴿سأل سائل بعذاب واقع﴾ بسنده، قال: وسئل سفيان بن عيينة عن قوله عز وجل ﴿سأل سائل بعذاب واقع﴾ في من نزلت؟ قال: لقد سألتني عن مسألة ما سألتني عنها أحد قبلك، حدث جعفر بن محمد عن آبائه، قال: لما كان رسول الله بغدير خم، نادى في الناس فاجتمعوا، فأخذ بيد علي فقال: من كنت مولاة فعلي مولاة.

فشاع ذلك وطار في البلاد، فبلغ ذلك الحارث بن النعمان الفهري، فأتى رسول الله ﷺ وهو في ملأ من أصحابه على ناقه، حتى أتى الأبطح، فنزل عن ناقته، فأناخها وعقلها وأتى النبي ﷺ فقال: يا محمد أمرتنا أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنتك رسول الله، فقبلناه منك، وأمرتنا أن نصلي خمساً فقبلناه منك، وأمرتنا أن نصوم شهراً فقبلناه، وأمرتنا أن نحج البيت فقبلناه، ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمك، ففضلتنا علينا وقلت من كنت مولاة فعلي مولاة، وهذا شيء منك أم من الله؟ فقال: والذي لا إله إلا هو أنه من أمر الله.

فولى الحارث بن النعمان يريد راحلته وهو يقول: اللهم ان كان ما يقول محمد

حقاً، فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم، فما وصل إليها حتى رماه الله بحجر، فسقط على هامته، فخرج من دبره فقتله، فأنزل الله تعالى (سأل سائل بعذاب واقع * للكافرين ليس له دافع) (١).

وفيه أيضاً: في تفسير قوله تعالى ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك﴾ بسنده عن البراء، قال: لما أقبلنا مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع بغدير خم، فنادانا الصلاة الجامعة، وكسح للنبي ﷺ تحت شجرتين، فأخذ بيد علي فقال: ألسنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ألسنت أولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى، قال: هذا مولى من أنا مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، قال: فلقية عمر، فقال: هنيئاً لك يابن أبي طالب، أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة (٢).

وفيه أيضاً: بسنده عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك﴾ قال: نزلت في علي بن أبي طالب، أمر النبي ﷺ بأن يبلغ فيه، فأخذ النبي ﷺ بيد علي فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه (٣).

وفيه أيضاً رواية أخرى في أن هذه الآية نزلت في علي عليه السلام (٤).

وفي مناقب الفقيه أبي الحسن المغازلي الواسطي الشافعي بسنده، عن ابن امرأة زيد بن أرقم، قال: أقبل نبي الله ﷺ من مكة في حجة الوداع، حتى نزل بغدير الجحفة بين مكة والمدينة، فأمر بالدوحات فقم ما تحتهن من شوك، ثم نادى الصلاة

(١) الطرائف ص ١٥٢ - ١٥٣ ح ٢٣٥، والعمدة ص ١٠١ ح ١٣٥، والغدير ١: ٢٤٠ جميعهم عن تفسير الثعلبي.

(٢) العمدة لابن بطريق ص ١٠٠ ح ١٣٣ عن تفسير الثعلبي.

(٣) العمدة ص ١٠٠ ح ١٣٤ عنه.

(٤) العمدة ص ٩٩ ح ١٣٢ عنه.

الجامعة ، فخرجنا الى رسول الله ﷺ في يوم شديد الحرّ ، وانّ منّا لمن يضع رداءه على رأسه ، وبعضه تحت قدميه من شدّة الحرّ ، حتّى انتهينا الى رسول الله ﷺ فصلّى بنا الظهر ، ثمّ انصرف الينا ، فقال :

الحمد لله نحمده ، ثمّ ذكر من تحميده وتوحيده وشهادته ، الى قوله : أمّا بعد ، أيها الناس فإنّه لم يكن لنبيّ من العمر الأنصف من عمر من قبله ، وانّ عيسى بن مريم لبث في قومه أربعين سنة ، وأنا قد أسرعت في العشرين ، ألا وائي يوشك أن أفارقكم ، ألا وائي مسؤول وأنتم مسؤولون ، فهل بلّغتمكم ؟ فإذا أنتم قائلون ؟ فقام من كلّ ناحية من القوم مجيب يقولون : نشهد أنّك عبد الله ورسوله ، وقد بلّغت رسالته ، وجاهدت في سبيله ، فصدعت بأمره ، وعبدته حتّى أتاك اليقين ، جزاك الله عنّا خير ما جازى^(١) نبيّاً عن أمته .

ثمّ قال ﷺ بعد كلام طويل له : ألا وائي فرطكم وأنتم تبغي ، يوشك^(٢) أن تردوا عليّ الحوض ، فأسألکم حين تأتوني عن ثقلّي كيف خلّفتموني فيها ؟ قال : فأعيل علينا ما ندري ما الثقلان حتّى قام رجل من المهاجرين ، فقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما الثقلان ؟ قال : الأكبر منها كتاب الله سبب طرف بيد الله تعالى وطرف بأيديكم ، فتمسّكوا به ولا تولّوا ولا تضلّوا ، والأصغر منها عترتي ، من استقبل قبلي وأجاب دعوتي ، فلا تقتلوهم ولا تقهروهم ، فائي قد سألت لهم اللطيف الخبير فأعطاني ، ناصرهما لي ناصر ، وخاذلها لي خاذل ، ووليّها لي ولي ، وعدوّها لي عدوّ .

ألا وأنّها لم تهلك أمة من قبلكم حتّى تدين بأهوائها ، وتظاهر على نبوتها ، وتقتل من قام بالقسط منها ، ثمّ أخذ بيد علي بن أبي طالب ، وفرعها وقال : من كنت وليّه

(١) في المصدر : جزی .

(٢) في المصدر : توشكون .

فعلي وليّه، اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، قالها ثلاثاً، الى آخر الخطبة (١).
 وفيه أيضاً: عن البراء بن عازب، قال: كنّا مع رسول الله ﷺ في شفير ونزلنا
 في غدير خمّ، ونودي فينا: الصلاة جامعة، وكسح لرسول الله تحت شجرتين،
 فصلّى الظهر وأخذ بيد علي عليه السلام فقال: ألستم تعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من
 أنفسهم؟ أو قال: ألستم تعلمون أنّي بكلّ مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى، فقال:
 من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، قال: فلقبه عمر،
 فقال: هنيئاً لك يا بن أبي طالب، أصبحت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة (٢).

وفيه أيضاً: عن ابن ميمون، قال: حدّثنا زيد بن أرقم وأنا أسمع، نزلنا مع
 رسول الله ﷺ بوادي يقال لها وادي خمّ، فأمر بالصلاة فصلّاها، قال: فخطبنا
 وظلّل لرسول الله ﷺ بثوب على شجرة من الشمس، فقال النبي ﷺ: أولستم
 تشهدون أنّي أولى بكلّ مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى، قال: فمن كنت مولاه فعلي
 مولاه، اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه (٣).

وفيه أيضاً: بسنده عن أبي الطفيل، قال: جمع على الناس في الرحبة، ثمّ قال:
 أنشد بالله كلّ امرئ مسلم سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خمّ ما سمع لما قام؟
 فقام ثلاثون من الناس، قال أبو نعيم: فقام أناس كثيرة، فشهدوا حين أخذ بيده
 فقال للناس: أتعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: نعم يا رسول الله،
 قال: فمن كنت مولاه فهذا مولاه، اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه (٤).

وفيه أيضاً: عن عطية العوفي، قال: رأيت ابن أبي أوفى وهو في دهليز له بعد ما

(١) المناقب لابن المغازلي ص ١٦ - ١٨ برقم: ٢٣.

(٢) رواه ابن بطريق في العمدة ص ١٠٠ ح ١٣٣ عن تفسير الثعلبي، ولم أعثر عليه في
 المناقب لابن المغازلي.

(٣) احقاق الحق ٦: ٢٢٦.

(٤) احقاق الحق ٦: ٣٢٩ - ٣٣١.

ذهب بصره ، فسألته عن حديث ، فقال : أنكم يا أهل الكوفة فيكم ما فيكم ، فقلت : أصلحك الله أني لست منهم ، ليس عليك مني عار ، قال : أيّ حديث ؟ قلت : حديث في علي يوم غدير خمّ ، فقال : خرج علينا رسول الله ﷺ في حجّته يوم غدير خمّ وهو أخذ بعضد علي ، فقال : يا أيها الناس أستم تعلمون أيّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ فقالوا : بلى يا رسول الله ، قال : فمن كنت مولاه فهذا مولاه (١) .

هذا آخر ما أردنا نقله عن ابن المغازلي ، وقد روى في مناقبه اثنا عشر حديثاً ، وأما اكتفينا بما نقلناه للاختصار .

وروى الحافظ الثقة عند المخالف أبو بكر بن مردويه ، بإسناده الى أبي سعيد الخدري ، أنّ النبي ﷺ يوم دعا الناس الى غدير خمّ ، أمر بما كان تحت الشجرة من شوك فقمّ ، وذلك يوم الخميس ، ثمّ دعا الناس الى علي ، فأخذ بضبعه ، فرفعهما حتّى نظر الناس الى بياض ابطي رسول الله ﷺ ، ثمّ لم يفترقا حتّى نزلت هذه الآية ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً ﴾ .

فقال رسول الله ﷺ : الله أكبر على اكمال الدين واتمام النعمة ورضا الربّ برسالي ، والولاية لعلي ، ثمّ قال : اللهمّ من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهمّ وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله ، فقال حسّان بن ثابت : يا رسول الله ائذن لي أن أقول أبياتاً ، فقال : قل على بركة الله ، فقال حسّان بن ثابت : يا معشر قريش اسمعوا شهادة رسول الله ﷺ :

يناديهم يوم الغدير نبيهم	بجّم فاسمع بالنبيّ منادياً
ألست أنا مولاكم ووليكم	فقالوا ولم يبدو هناك التعاميا
أهلك مولانا وأنت ولينا	ولا تجدن في الخلق للأمر عاصيا

فقال له قم يا علي فانّي رضيتك من بعدي اماماً وهادياً
قال : فلقبه عمر بن الخطّاب بعد ذلك ، فقال : هنيئاً لك يا علي بن أبي طالب ،
أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة .

وهذا الحديث الذي رواه أبو بكر بن مردويه ، رواه أيضاً الشيخ أبو عبد الله
محمود^(١) بن عمران المرزباني ، باسناده في أواخر الجزء الرابع من كتاب سرفات
الشعراء ، الى الآخر الأبيات لحسان^(٢) .

وفي كتاب لابن عبد ربّه في الجزء التاسع والعشرين في فضائل علي بن
أبي طالب عليه السلام قال : وقال النبي ﷺ : من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من
والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله ، وأدر الحقّ معه حيث
دار^(٣) .

وفي الجمع بين الصحاح الستّة^(٤) لرزين العبدري في الجزء الثالث عدّة روايات
في هذا المعنى ، وأتمنا يكتفي ببعضها للاختصار .

منها : ما رواه عن البراء مثل ما تقدّم عن البراء في تفسير الثعلبي^(٥) .

ومنها : ما رواه عن صحيح الترمذي ، عن حصين بن سمرة ، أنّه قال لزيد بن
أرقم : لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً ، حدّثنا بالمحففة ، فخرج رسول الله ﷺ ظهراً
وهو آخذ بيد علي فقال : أيّها الناس أستم تعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟
قالوا : بلى ، قال : فمن كنت مولاه فعلي مولاه ، الحديث .

ومنها : ما رواه عن أبي اسحاق ، قال : سمعت سعيد بن وهب ، قال : نشد علي

(١) في الطرائف : محمّد .

(٢) الطرائف ص ١٤٦ - ١٤٧ عن ابن مردويه .

(٣) الصراط المستقيم ١ : ٣٠٠ عنه .

(٤) الطرائف ص ١٥٣ عنه .

(٥) العمدة ص ١٠٠ ح ١٣٣ عنه .

من كنت مولاة فعلي مولاة ١٢١

الناس ، فقام خمسة أو ستة من أصحاب النبي ﷺ فشهدوا أنّ رسول الله ﷺ قال : من كنت مولاة فعلي مولاة^(١) . وروى أيضاً هذا المعنى بسند آخر^(٢) .

ومنها : ما رواه بسندين عن بريدة الأسلمي ، وقد تقدّم نقلهما عن مسند أحمد بن حنبل^(٣) .

وفي كتاب الاستيعاب : روى بريدة ، وأبو هريرة ، وجابر ، والبراء بن عازب ، وزيد بن أرقم ، كلّ واحد منهم عن النبي ﷺ أنّه قال يوم غدیر خمّ : من كنت مولاة فعلي مولاة ، اللهمّ وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وبعضهم لا يزيد على من كنت مولاة فعلي مولاة^(٤) .

اعلم أنّه ليس في الأخبار خبر أشهر من خبر الغدير ، رواه مسلم ، والحميدي ، ورزين ، والثعلبي ، وابن مردويه ، ورواه أحمد بن حنبل في مسنده بطرق ثمانية ، وابن المغازلي رواه من اثني عشر طريقاً ، وأنّ محمّد بن جرير الطبري صاحب التاريخ أفرد له كتاباً وسماه كتاب الولاية ، وطرقه خمساً وسبعين طريقاً ، وأنّ ابن عقدة أفرد له كتاباً سماه كتاب الولاية ، وطرقه مائة وخمس طرق .

وأنّ ابن المغازلي بعد نقل روايات الغدير قال : هذا حديث صحيح عن رسول الله ﷺ ، وقد روى حديث خمّ نحو مائة نفس منهم العشرة ، وهو حديث ثابت لا أعرف له علّة ، نفرّد عليّ عليه السلام بهذه الفضيلة لم يشركه فيها أحد^(٥) ، كذا نقل عنهم صاحب الصراط المستقيم^(٦) .

(١) مسند أحمد بن حنبل ٥ : ٣٦٦ .

(٢) الخصائص للنسائي ص ٢٢ ، والبداية والنهاية ٧ : ٣٤٦ ، ومجمع الزوائد ٩ : ١٠٤ .

(٣) مسند أحمد بن حنبل ٥ : ٣٤٧ و ٣٥٠ - ٣٥١ .

(٤) الاستيعاب ٣ : ٣٦ المطبوع على هامش الاصابة .

(٥) المناقب لابن المغازلي ص ٢٧ .

(٦) الصراط المستقيم ١ : ٣٠٠ ، والطرائف ص ١٤٢ .

ونقل عن ابن كثير الشامي الشافعي في تاريخه الكبير ، عند ذكر أحوال محمد بن جرير الطبري الشافعي : اني رأيت له كتاباً جمع فيه أحاديث يوم غدیر خمّ في مجلدين ضخمين ، وكتاباً جمع فيه طرق حديث الطير . انتهى كلام ابن كثير .

ونقل عن الشيخ محمد الجزري من أكابر متأخري أهل السنّة رسالة أثبت فيها تواتر هذا الحديث من ثمانين طريقاً .

وقد نقل هذا الخبر جماعة كثيرة من المخالفين غير ما ذكرناهم ، من أهل التفسير والحديث والتاريخ ، منهم : محمد بن اسحاق ، وأبو نعيم الاصفهاني ، وأبو الحسن الدارقطني ، وأبو شاهين المروزي ، وأبو بكر الباقلاني ، وأبو المعالي الجويني ، وأبوسعيد الخركوشي ، وأبو المظفر السمعاني ، وأبو بكر بن شيبه ، وشريك القاضي ، والشعبي ، والزهري ، والجعاني ، والدالكاني ، والنسائي ، والبلاذري ، وأبو يعلى الموصلي ، من عدّة طرق ، وابن بطّة من ثلاثة وعشرين طريقاً ، وغيرهم ممّن لم نذكره (١) .

وقد صنّف علي بن هلال المهلبي كتاب الغدير ، وأحمد بن محمد بن سعيد كتاب من روى خبر غدیر خمّ ، ومسعود كتاباً في رواية هذا الخبر وطرقها ، والرازي صنّف كتاباً فيه أسماء رواة الخبر على حروف المعجم .

وقد نظم مولانا أمير المؤمنين عليه السلام أمر الغدير في بيت من أبياته :

وأوجب لي ولايته عليكم رسول الله يوم غدیر خمّ

ونظم أمر الغدير كثير من الشعراء ، منهم حسّان وقد تقدّم ذكر أبياته ، ودعبل ، وأبو فراس ، وقيس بن عباد الأنصاري ، وعمرو بن العاص ، والزاهي ، والكميت ومن أبياته :

ولم أر مثل ذلك اليوم يوماً ولم أر مثله حقاً أضيماً

(١) راجع فهرست عناوين من روى حديث الغدير الى الطرائف ص ١٤٠ - ١٤١ .

وروي أن ابن الكيث رأى في منامه رسول الله ﷺ وهو يقول: أنشدني قصيدة كانت لأبيك، يعني القصيدة المشتملة على حكاية الغدير، قال: فأنشدته إياها، فلما وصلت إلى « ولم أر مثله حقاً أضيعاً » بكى رسول الله ﷺ بكاءً شديداً، قال: صدق أبوك ولم أر مثله حقاً أضيعاً، ثم انتبه.

أقول: هذا الخبر تجاوز حدّ التواتر، وبلغ الظهور إلى غاية لا يمكن أن يشك فيه شك، أو يكابر فيه مكابر، ولكن المخالفين الذين أخروا من قدمه الله، وقدموا من أخره الله استهانة بأمر الله، لعمى قلوبهم بحبّ الدنيا، وصممها باتّباع الأهواء، يتمسكون في دفع هذا الخبر وغيره من الأخبار الدالة على امامته ﷺ بوجوه لا وجه لها، نعم هم الغرقى في بحار الهواء، والغريق يتشبّث بكلّ حشيشة، يابسة كانت أو خضراء.

فمنها: أن الخبر ورد على سبب خاص، فيتخصّص. وليس بشيء؛ لأنّه على تقدير التسليم لا يتخصّص العامّ بالسبب، وهذا من الأمور المحقّقة في الأصول. ومما يدلّ أيضاً على بطلان هذا القول، استدلال أمير المؤمنين ﷺ بخبر الغدير على استحقاقه الخلافة، واستشهاده من كان حاضراً يومئذ، حتّى شهد بعض وأنكر بعض، ولو كان الأمر كما قالوه لأنكر عليه استدلاله واستشهاده بعض معانديه.

وأيضاً لو كان الأمر كما زعموا، فلم قال امامهم عمر بن الخطّاب: بخّ بخّ لك يا أبا الحسن أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة، مع أنّه كان أعرف بمدلولات الكلام العربيّ، وبمقاصد النبيّ ﷺ من أتباعه، ولو كان في الواقع مخطئاً في الفهم، فلم أقرّه النبيّ ﷺ وأمير المؤمنين ﷺ وسائر الصحابة؟

وأيضاً فلم قصد النعمان بن الحارث الفهريّ النبيّ ﷺ وقال ما قال على وجه الإنكار والاستكبار، فلو كان في الواقع مخطئاً في الفهم لأجابه النبيّ ﷺ بأنّه في أمر خاصّ، ولم يجبه بأنّه في أمر خاصّ من الله مؤكداً بالقسم.

ومنها: أن لفظ المولى والوليّ مشترك، فقد لا يراد به الأولى والسيد المطاع.

وهذا الوجه أيضاً ركيك ، وما ذكرناه في بيان بطلان الوجه الأوّل يبطله .
 ويزيده بياناً : أنّ معاني المولى عشرة : الأولى ، والسيد المطاع ، ومالك الرقّ ،
 والمعنى ، وابن العمّ ، والناصر ، وضامن الجريرة ، والجار ، والحليف . وهذه المعاني
 التسعة ترجع عند الاعتبار الى المعنى الأوّل وهو الأولى ، وهذا هو العباد في معنى
 المولى ، وقد نصّ أهل العربيّة بأنّ المولى يفيد الأولى ، ومنهم أبو عبيدة معمر^(١) بن
 المثنيّ ، وهو مقدّم في علم العربيّة غير مطعون عليه في معرفتها ، قد ذكر في كتابه
 المتضمّن تفسير غريب القرآن المعروف بالمجاز ، في تفسير قوله تعالى في سورة
 الحديد ﴿ ما واكم النار هي مولاكم وبئس المصير ﴾^(٢) يريد جلّ ثناؤه هي أولى
 بكم ، وأنشد بيت لبيد شاهداً له :

فغدت كلا الفرخين تحسب أنّه مولى المخافة خلفها وأمامها
 يريد أنّ الظبية تحيّرت ، فلم تدر أنّ خلفها أولى بالمخافة أم أمامها ، واستشهد
 أيضاً بقول الأخطل في عبد الملك بن مروان :

فأصبحت مولاها من الناس كلّهم وأحرى قريش أن تهاب وتحمدا
 يريد بقوله هذا أنّ ابن مروان أولى بسياسة الأمة وتديرها ، وهو أيضاً خليفة
 مطاع الأمر ، وليس أبو عبيدة من المائلين الى أمير المؤمنين ، بل هو معدود من
 المعاندين^(٣) .

ووافقه أيضاً في ذلك ابن قتيبة في تفسيره^(٤) ، وهو أيضاً من المخالفين .
 وقال الفراء في كتاب معاني القرآن ، في تفسير هذه الآية : أنّ الولي والمولى في لغة

(١) في «ن» : أبو عبيد منعم .

(٢) الحديد : ١٥ .

(٣) العمدة لابن بطريق ص ١١٢ - ١١٣ عن تفسير غريب القرآن ، والغدير ١ : ٣٤٥ .

(٤) العمدة ص ١١٣ ، والغدير ١ : ٣٤٥ نقلاً عن كتاب القرطين ٢ : ١٦٤ .

العرب واحد^(١).

وقال أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري في كتابه المعروف بتفسير المشكل في القرآن، في ذكر أقسام المولى: أن المولى والولي الأولى بالشيء، واستشهد على ذلك بالآية المقدّم ذكرها وببيت لبيد وغيره من الشعر وهو هذا:

كانوا موالى حقّ يطلبون به فأدر كوه وما ملّوا ولا لعبو

وروي في الحديث: أيما امرأة تزوّجت بغير إذن مولاه فنكاحها باطل^(٢) والمعلوم أن المراد بمولاها ولّيها والذي هو أولى الناس بها، والأخطل هو أحد شعراء العرب وممن لا يطعن عليه في معرفة، ولا ميل له الى مذهب الاسلام^(٣).

وقد حكى عن المبرّد أنه قال: الوليّ الذي هو الأحقّ والأولى، ومثله المولى، فتجعل الثلاث عبارات لمعنى واحد^(٤).

ولا يصحّ حمل قوله عليه السلام «من كنت مولاه فعلي مولاه» الأعلى أحد الأولين، كما لا يخفى؛ اذا اشتباه في غير الناصر في أنه لا يمكن أن يكون مراداً.

وأما الناصر، فان أريد به مطلق النصرة من اقامة البراهين والحجج، والهداية، وحفظ الشريعة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واقامة الحدود، وفصل الدعاوي، وغيرها من الأمور الدينيّة، كما كان شأن النبي صلّى الله عليه وآله فيرجع الى المعنيين الأولين. وان أريد به معنى غير ما ذكر، فغير مناسب للمقام، ولا يجوز أن يكون مراداً، لما ذكرنا في بطلان الوجه الأوّل.

ومّا يزيد بياناً لبطلان الوجهين، نزوله صلّى الله عليه وآله في غير محلّ النزول وفي غير وقته،

(١) العمدة ص ١١٣ عنه، والغدير ١: ٣٤٥.

(٢) عوالي اللآلي ١: ٣٠٦.

(٣) العمدة ص ١١٣.

(٤) العمدة ص ١١٣ - ١١٤.

بعد نزول قوله تعالى ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك ﴾ الآية ، ونداؤه بالاجتماع ، وقيامه خطيباً ، وتقديمه قول « أأست أولى بكم ؟ » و « أأست أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ » و « أأست أولى بكل مؤمن ومؤمنة ؟ » وهذه قرينة واضحة على أن المراد بالمولى الأولى والسيد المطاع ، دون سائر معانيه .

ومن القرائن الواضحة أيضاً ما أنشده حسان بن ثابت شاعر النبي ﷺ في ذلك اليوم بعد استئذانه ، فقام والنبي ﷺ وجماعة المسلمين يسمعون ، فأورد ما أنشده ، وقد تقدّم أشعاره ، فقال له النبي ﷺ : لا تزال يا حسان مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك .

ومما يدل أيضاً على ما ذكرناه ، ما تقدّم من أن نزول قوله تعالى ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ الآية ، كان في ذلك اليوم ، ولا ريب أن اكمال الدين وقام النعمة لا يتحقق إلا بأن يكون المراد بالمولى أحد المعنيين الأولين .

ومما يدل أيضاً على ما ذكرناه ، ما تقدّم من أن من صام يوم الغدير ، كتب الله له صيام ستين شهراً .

ومما يدل أيضاً ، ما رواه مسلم عن طارق بن شهاب ، قال : قالت اليهود لعمر : لو علينا نزلت هذه الآية ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ ونعلم اليوم الذي أنزلت فيه لا تخذناه عيداً^(١) . ووجه الدلالة ظاهر .

ومنها : أن علياً لما كان خليفة رابعاً ، أمكن تنزيل النصوص والأوامر على ذلك ، وهذا لا يحتاج الى بيان طائل ، بل هو بالاعراض عنه حقيق ؛ لأنه خلاف مفاد النصوص ، وكيف يجوز أن ينسب الى أفضل الأنبياء وأكمل العقلاء أن ينص على الخلافة لعلي عليه السلام على سبيل الاطلاق ويريد به الخلافة في وقت خاص وهو زمان قتل ثالث الثلاثة ؟ هذا أمر لا يخفى بطلانه ، إلا على من أعمى حب الدنيا قلبه .

(١) صحيح مسلم ٤ : ٢٣١٢ - ٢٣١٣ برقم : ٣٠١٧ كتاب التفسير .

وكيف يجوز على سيّد الأنبياء وزبدة الأصفياء وهادي العقلاء أن ينصّ على خلافة علي عليه السلام وامامته ووصايته ، من غير أن يشرك معه غيره ويريد أنّه الخليفة الرابع ، مع عدم المانع لذكر غيره ؟ ذلك ظنّ الذين لا يوقنون .

على أنّ عليّاً عليه السلام لو كان اماماً رابعاً ، لما جاز له أن يتخلّف عن بيعة أبي بكر ، حتّى يعود الأمر الى الاكراه والاجبار واحضار النار الى باب بيته ، وسيجيء ان شاء الله تعالى بيانه وبيان تظلماته وشكائياته في كثير من مقاماته .

وكيف يجوز أن يكون هذا مراد رسول الله ﷺ ؟ ومع هذا ينازع علي سيّد الزهاد والعباد صلوات الله عليه في الخلافة الخلفاء ، ويتمسك بنصّ الغدير ، ويعتزل عنهم وعن بيعتهم ، ويظهر عدم الرضا بخلافتهم في خطبه .

ومما يدلّ أيضاً على بطلان ما زعموا ، أنّه صلوات الله عليه وآله وليّ أسامة على الثلاثة في مرضه الذي قضى نحبه ، وأمرهم بالخروج معه ، ولعن من تخلّف عن جيش أسامة ، وترك عليّاً عليه السلام عنده في المدينة ، وليس هذا الاّ ليمتّ له أمر الخلافة ، كما لا يخفى على أهل الحدس والفراسة .

ومما يدلّ أيضاً على بطلان هذا الاحتمال ، أنّ النبي ﷺ عزل أبا بكر بأمر الله تعالى ، حين بعثه ليقراً بعض آيات سورة البراءة في الموسم على المشركين ، فبعث بأمر الله عليّاً عليه السلام ليأخذ السورة في أثناء الطريق منه ، ويقراها في الموسم على المشركين ، وقال عليه السلام : لا ينبغي أن يبلغ عني الآ رجل من أهل بيتي ^(١) . وفي رواية أخرى : ولكن لا يبلغ عني غيري أو رجل مني ^(٢) .

فكيف يجوز العاقل أن يعزل النبي ﷺ الخليفة الأوّل وينصب مكانه الخليفة الرابع ؟ بل لا يخفى على اللبيب الفطن أنّ هذا العزل والنصب نصّ على خلافة

(١) مسند أحمد بن حنبل ٣ : ٢٨٣ .

(٢) احقاق الحق ٣ : ٤٣٠ عن تفسير الثعلبي .

علي عليه السلام وعلى بطلان خلافة أبي بكر؛ لأنّ من لا يصلح لتبليغ بعض آيات سورة من الكتاب، كيف يصلح للخلافة المستلزمة لتبليغ جميع الكتاب والأحكام.

وحكاية عزل أبي بكر ونصب علي عليه السلام حديث ثابت متواتر، رواه أحمد بن حنبل بعدة أسانيد في مسنده ^(١)، والبخاري في موضعين من صحيحه في الجزء الأوّل وفي الجزء الخامس ^(٢)، ورواه الثعلبي في تفسيره ^(٣) ورزين بن معاوية في الجمع بين الصحاح الستة من صحيح أبي داود وصحيح الترمذي ^(٤).

ومما يدلّ أيضاً على بطلان هذا الاحتمال، ما رواه أحمد بن حنبل في مسنده باسناده الى أمّ سلمة، أنّها قالت: والذي أحلف به أنّ عليّاً عليه السلام كان أقرب الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وآله، قالت: فاني كنت عند رسول الله صلى الله عليه وآله غداة يوم قبض، فجاء علي مراراً، قالت أمّ سلمة: فأظنّه كان بعثه في حاجة، قالت: فجاء بعد، قالت: فظننت أنّ له اليه حاجة، فخرجنا من البيت فقعدنا عند الباب، وكنت من أدناهم الى الباب، فأكبّ عليه علي عليه السلام فجعل يسارّه ويناجيه، ثمّ قبض صلى الله عليه وآله يومه ذلك، فكان أقرب الناس به عهداً ^(٥).

وما رواه أبو بكر أحمد بن مردويه في كتاب المناقب، باسناده الى علقمة والأسود، عن عائشة، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وهو في بيتي لما حضره الموت: أدعوا لي حييبي، فدعوت له أبا بكر، فنظر رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ وضع رأسه ثمّ قال:

(١) مسند أحمد بن حنبل ١: ١٥٠ و ١٥١، وفضائل الصحابة ٢: ٥٦٢ و ٦٤٠.

(٢) صحيح البخاري ١: ٧٨ و ٦: ٦٤.

(٣) العمدة ص ١٦٣ ح ٢٥٢ عنه، والطرائف ص ٣٩ ح ٣٢ عنه، وحقائق الحق ٣: ٤٣٠ عنه.

(٤) العمدة ص ١٦٥ عن الجمع بين الصحاح الستة، والطرائف ص ٣٨ - ٣٩ عنه.

(٥) راجع: مسند أحمد بن حنبل ٦: ٣٠٠، ومستدرك الحاكم ٣: ١٣٨ - ١٣٩، وذخائر

أدعوا لي حبيبي ، فقلت : ويلكم أدعوا له علي بن أبي طالب ، فوالله ما يريد غيره ، فلما رآه فرَجَّ الثوب الذي كان عليه ، ثم أدخله فيه ، فلن يزل يحتضنه حتى قبض ويده عليه (١) .

وروى أيضاً هذا الحديث جماعة من علماءهم ، منهم : الطبري في كتاب الولاية ، والدارقطني في صحيحه ، والسمعاني في الفضائل ، وموفق بن أحمد خطيب خوارزم ، عن عبد الله بن العباس ، وعن أبي سعيد الخدري ، وعن عبد الله بن حارث ، وعن عائشة . وروى بعضهم في الحديث : أن عمر دخل على النبي ﷺ بعد دخول أبي بكر فلم يلتفت النبي ﷺ وفعل معه من الاعراض عنه كما فعل مع أبي بكر (٢) .

ووجه الدلالة على المقصود : أنه كيف يجوز العاقل أن يترك النبي ﷺ في وقت رحلته عن الدنيا الخليفة الأول ، ويعرض عنه ويسار الخليفة الرابع ، ويدعوه اليه ويحتضنه ؟ ولا يخفى أن الحديث الثاني دال على أنه ﷺ كان ساخطاً على أبي بكر غير راضٍ عنه ، وما كان يحب أن يتكلم معه .

وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، قال سلمان الفارسي رضي الله عنه : دخلت عليه صبيحة يوم قبل اليوم الذي مات فيه ، فقال : ألا تسأل عما كابدته الليلة من الألم والسهر أنا وعلي ، فقلت : يا رسول الله ألا أسهر الليلة معك بدله ؟ فقال : لا ، هو أحق بذلك منك .

ونسب ابن أبي الحديد الى كثير من المحدثين نقل قول علي رضي الله عنه مخاطباً للرسول ﷺ : وفاضت بين نحري وصدري نفسك .

(١) المناقب للخوارزمي ص ٦٨ ح ٤١ عن ابن مردويه .

(٢) راجع : ذخائر العقبى ص ٧٢ ، وكفاية الطالب ص ٢٦٣ ، وتاريخ ابن عساكر ترجمة الامام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ٣ : ١٧ ، ومقتل الحسين للخوارزمي ص ٣٨ .

وفي رواية أخرى: ففاضت نفسه في يدي، فأمرتها على وجهي^(١).
ومما يدل أيضاً على بطلان ما زعموا، قوله تعالى ﴿ أفمن كان على بينة من ربه
ويتلوه شاهد منه ﴾^(٢) وسيجيء ان شاء الله تعالى أن الشاهد التالي
لرسول الله ﷺ هو علي عليه السلام، فلو كان رابع الخلفاء لم يكن تالياً لرسول الله ﷺ.

تزييف الاجماع على خلافة أبي بكر

ومن وجوههم الركيكة: أن هذه الأحاديث والآثار الدالة على امامة أمير
المؤمنين عليه السلام معارضة بالاجماع، وحسن الظن بالصحابة مع كثرتهم، فأنهم أجمعوا
على خلافة أبي بكر، ولو علموا استحقات علي عليه السلام لها لما غصبوه مقامه.

أقول: لله الحمد، ليس للمخالف ما يدل على حجّة الاجماع، فيجوز له أن
يتمسك به ويعارض به الأخبار المتواترة الصريحة الدالة^(٣) على امامة أمير
المؤمنين صلوات الله عليه وعلى ذريته الطاهرين؛ لأن ما تمسكوا به من الأخبار،
مثل « لا تجتمع أمّتي على الخطأ »^(٤) و « لم يكن الله ليجمع أمّتي على خطأ »^(٥) و
« وكونوا مع الجماعة »^(٦) و « يد الله على الجماعة »^(٧) أخبار آحاد لا يجوز التمسك
بها في الأصول، بل لا يجوز لهم أن يتمسكوا في الفروع أيضاً؛ لأن ما تمسكوا
به في حجّة خبر الواحد، مدخول منقوض، كما لا يخفى على من تتبّع الأصول من

(١) شرح نهج البلاغة ١٠: ٢٦٧.

(٢) هود: ١٧.

(٣) في «ق»: الدلالة.

(٤) صحيح الترمذي ٤: ٤٠٥ برقم: ٢١٦٧، ومسند أحمد بن حنبل ٥: ١٤٥.

(٥) سنن ابن ماجه ٢: ١٣٠٣ برقم: ٣٩٥٠.

(٦) صحيح الترمذي ٤: ٤٠٤ برقم: ٢١٦٥.

(٧) صحيح الترمذي ٤: ٤٠٥ برقم: ٢١٦٦ و ٢١٦٧.

أرباب العقول .

وان سلّمنا حجّيتها ، فلا نسلمّ دلالة هذه الأخبار على حجّية أهل كلّ عصر .
فأمّا الحديث الأوّل ، فلا دلالة فيه ؛ لأنّا نقول : هل المراد بلفظ « أمّتي » جميع الأُمَّة
غير مختصّ بعصر دون عصر ؟ كما هو الظاهر من اللفظ ، أو المراد بها البعض ؟ فعلى
التقدير الأوّل فلا دلالة فيه على حجّية اجماع أهل عصر واحد ، وعلى التقدير الثاني
يلزم أن يكون اجتماع كلّ اثنين حجّة ، وهو باطل بالاتّفاق . وان كان المراد بها
جماعة مخصوصة ، فيحتمل احتمالاً ظاهراً أن يكونوا هم أهل البيت ، بقرينة شهادة
آية التطهير بطهارتهم ، ويحتمل أيضاً أن يكونوا هم أهل زمن النبي ﷺ ، فحملها
على جميع أهل عصر تخصيص بلا مخصّص .

وأما الحديث الثاني ، فلا يدلّ على مقصودهم ، وهو عدم اجتماع الأُمَّة على الخطأ ؛
لأنّ مدلول الخبر أنّ الله لا يجمع الأُمَّة على الخطأ ، وبين المعنيين بون بعيد .
وعدم دلالة الحديث الثالث والرابع على مقصودهم ظاهر ؛ لأنّه يحتمل أن يكون
المراد بالجماعة الذين يصلّون جماعة ، كما لا يخفى على من له أدنى بصيرة .

وتمسك الشافعي في حجّية الاجماع بقوله تعالى ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد
ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوّله ما تولّى ونصله جهنّم وساءت
مصيراً ﴾ (١) .

وقيل في وجه الدلالة : إنّ الله تعالى توعدّ على اتّباع غير سبيل المؤمنين ، كما
توعدّ على مشاقّة الرسول التي هي كفر فيحرم ؛ اذ لا يضمّ مباح الى حرام في
الوعيد ، واذا حرم اتّباع غير سبيلهم فيجب اتّباع سبيلهم ؛ اذ لا يخرج عنها ،
والاجماع سبيلهم ، فيجب اتّباعهم وهو المطلوب .

واعترض عليه بوجوه كثيرة ، ذكرها العضدي في شرح المختصر ، والتفتازاني في

شرح الشرح ، من غير تعرّض لجوابها ، وهي هذه : أنّا لا نسلم أنّ « من » للعموم ، ولو سلم فلا نسلم أنّ اتّباع غير سبيل المؤمنين محذور مطلقاً ، بل بشرط الاقتناع بمشاقّة الرسول . ولو سلم ، فغير سبيل المؤمنين هو سبيل الكافرين وهو الكفر .

ولو سلم ، فالمؤمنين عامّ لكلّ مؤمن ، ولو خصّ في كلّ عصر ، فهو عامّ في العالم والمجاهل ، ولو خصّ بأهل الحلّ والعقد ، فلفظ السبيل مفرد لا عموم له .

ولو سلم فيحتمل وجوهاً من التخصيص ؛ لجواز أن يريد سبيلهم في متابعة الرسول ، أو في مناصرته^(١) ، أو في الاقتداء به فيما صاروا مؤمنين وهو الايمان به ، وإذا قام الاحتمال كان غايته الظهور ، والتمسك بالظاهر أنّما يثبت بالاجماع ، ولولاه لوجب العمل بالدلائل المانعة من اتّباع الظنّ ، فيكون اثباتاً للاجماع بما لا يثبت حجّيته الآبه ، فيصير دوراً انتهى .

أقول : ويمكن الجواب عن الآية بوجه آخر : بأنّ المراد بالسبيل الدليل ؛ لمشاركته الطريق في الايصال ، فالتجوّز فيها أولى من الاتفاق على الحكم ؛ اذ لا مناسبة بينه وبين الطريق ، ونقل عن السيّد المرتضى أنّها تدلّ على وجوب اتّباع من علم ايمانه ، لا من يكون باطنه بخلاف ظاهره ، وأنّما يتحقّق ذلك في المعصوم .

واستدلّوا أيضاً بقوله تعالى ﴿ اتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾^(٢) وقوله تعالى ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً ﴾^(٣) وقوله تعالى ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾^(٤) .

وذكروا في وجه الدلالة في الآية الأولى : أنّ الله أوجب اتّباع سبيل من أناب

(١) في «ق» : مناظرته .

(٢) لقمان : ١٥ .

(٣) البقرة : ١٤٣ .

(٤) آل عمران : ١١٠ .

وهم المؤمنون ، والكلام في هذه الآية كالكلام في الآية الأولى . ويرد عليها أكثر ما يرد عليها ، ومما يختص بهذه الآية أنّ الانابة حقيقتها في اللغة هي الرجوع ، وأنما يستعمل في التائب من حيث رجوع عن المعصية ، فحملها على جميع المؤمنين تجوز .
وذكروا في وجه الدلالة في الآية الثانية : أنّ الوسط العدل ؛ لأنّ الوسط من كلّ شيء المعتدل منه ، فلو اتفق الأمة على خطأ لم تكن عدلاً .

والجواب عنها من وجوه :

الأول : أنّه لا يجوز أن يكون المراد بالآية كلّ واحد من الأمة ؛ لأنّه معلوم البطلان ، فإنّ أكثر الأمة غير متّصف بالعدالة ، فالمراد بها : إمّا مجموع الأمة من حيث المجموع ، فليس حينئذ اجماع أهل عصر واحد حجّة . وإمّا المراد بها البعض ، فحملها حينئذ على بعض لا تجوز الاّ بمخصّص ومرجّح ، والراجع حملها على الأئمّة من آل محمّد ﷺ ؛ لما ثبت عصمتهم بأية التطهير ، ومحدث أيّ تارك فيكم الثقلين الحديث (١) .

والثاني : أنّ اتّصاف الأمة بالعدالة لا يقتضي العصمة بحيث يستحيل اتّفاقها على الباطل .

والثالث : أنّ العدل هو المتحرّز عن الكبائر ، فاتّصاف الأمة بالعدالة لا يقتضي الاّ عدم اتّفاق الأمة على الكبائر .

وذكروا في وجه الدلالة في الآية الأخيرة : أنّ اتّصاف الأمة بالخيريّة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، تقتضي أن لا يتفق الأمة على الخطأ .
والجواب عنه على نحو الجواب عن الآية السابقة ، فاليتدبّر .
وتمسك العضدي في حجّة الاجماع بوجهين عقليّين :

(١) سيأتي مصادر حديث الثقلين ، وهو حديث متواتر بين الفريقين .

الوجه الأوّل: أنّهم أجمعوا على القطع بتخطئة المخالف للاجماع، فدلّ (١) على أنّه حجة؛ فإنّ العادة تحكم بأنّ هذا العدد الكثير من العلماء المحقّقين لا يجمعون على القطع في شرعيّ بمجرد تواطء أو ظنّ، بل لا يكون قطعهم إلاّ عن قاطع، فوجب الحكم بوجود نصّ قاطع بلغهم في ذلك، فيكون مقتضاه وهو خطأ المخالف له حقّاً، وهو يقتضي حقيّة ما عليه الاجماع، وهو المطلوب.

ثمّ أورد على نفسه نقضاً، باتّفاق الفلاسفة على قدم العالم، واتّفاق اليهود على أنّ لاني بعد موسى، واتّفاق النصارى على قتل عيسى.

ثمّ أجاب بأنّ اجماع الفلاسفة عن نظر عقليّ، ويعارض السنّة، واشتباه الصحيح بالفاسد فيه كثير. وأمّا في الشرعيّات، فالفرق القاطع والظنيّ بين لا يشبهه على أهل المعرفة والتمييز، واجماع اليهود والنصارى عن الاتّباع لآحاد الأوائل لعدم تحقيقهم، والعادة لا تحيله، بخلاف ما ذكرناه.

أقول: ما ذكره ضعيف، والنقض وارد عليه ولا مفرّ له عنه.

أمّا بيان ضعفه، فإنّا لا نسلم امتناع التواطء، بل الحقّ جوازه، فإنّ العقل لا يستبعد أن يكون هذه (٢) القاعدة ممّا وضعه المنافقون الذين أرادوا في العقبة قتل النبيّ ﷺ، وحالوا بينه وبين أن يكتب للناس وصيّة يرتفع بها عنهم الضلال، ونسبوه الى الهجر والهديان، وقالوا: حسبنا كتاب الله، ثمّ شبّهوا على الناس بالشبهات، كآية ﴿من يشاقق الله﴾ (٣) وأمثالها، فتبعهم في القاعدة ضعفاء الصحابة وسفهائهم، وسكت عنهم العلماء وأولوا الآراء، طمعاً ورغبة وخوفاً وتقية. وقد وقع ذكر المنافقين الذين ذكرناهم في صحاحهم ومسانيدهم، ونحن نذكر في

(١) في «ن»: فندلّ.

(٢) في «ن»: لهذه.

(٣) النساء: ١١٥.

هذا المقام ما وصل الينا من أخبار المنافقين ، ليتّضح ما قلناه لطالبي الدين .

قد ورد في كتاب دلائل النبوة للشيخ أبي بكر أحمد البيهقي ، باسناده عن أبي الأسود ، عن عروة ، قال : لما رجع رسول الله ﷺ قافلاً من تبوك الى المدينة ، حتّى اذا كان ببعض الطريق ، مكر به ناس من أصحابه ، فتأمروا أن يطرحوه من عقبه في الطريق ، فلمّا بلغوا العقبة أرادوا أن يسلكوها معه ، فأخبر رسول الله ﷺ خبرهم ، فقال : من شاء منكم أن يأخذ بطن الوادي فإنه أوسع لكم .

فأخذ النبي ﷺ العقبة ، وأخذ الناس بطن الوادي ، إلا نفر الذين أرادوا المكر به ، لمّا سمعوا بذلك استعدّوا وتلثموا ، وأمر رسول الله ﷺ حذيفة بن يمان وعمّار بن ياسر ، فشيا معه مشياً ، وأمر عمّاراً أن يأخذ بزمام الناقة ، وأمر حذيفة يسوقها .

فبيناهم يسرون اذ سمعوا ركزة القوم من ورائهم قد غشّوه ، فغضب رسول الله ﷺ وأمر حذيفة أن يردّهم ، فرجع ومعه محجن ، فاستقبل (١) وجوه راحلتهم ، فضربها ضرباً بالمحجن ، وأبصر القوم وهو متلثمون ، فرعّبهم الله حين أبصروا حذيفة ، فظنّوا أنّ مكرهم قد ظهر عليه ، فأسرعوا حتّى خلطوا الناس .

وأقبل حذيفة حتّى أدرك رسول الله ﷺ ، فلمّا أدركه قال : اضرب الراحلة يا حذيفة ، وامش أنت يا عمّار ، فأسرعوا ، فخرجوا من العقبة ينتظرون الناس ، فقال النبي ﷺ : يا حذيفة هل عرفت من هؤلاء الرهط أو الركب أحداً ؟ فقال : عرفت راحلة فلان وفلان وفلان ، وكان ظلمة الليل غشيتهم وهم متلثمون ، فقال رسول الله ﷺ : هل علمتم ما شأن الركب وما أرادوا ؟ قالوا : لا يا رسول الله ، قال : فاتّهم مكرّوا ليسيروا معي ، حتّى اذا أظلمت في العقبة طرحوني منها ، قالوا : أفلا تأمر بهم يا رسول الله اذا جاءك الناس ؟ فنضرب أعناقهم ، قال : أكره أن يتحدّث

الناس ويقولوا: إنَّ مُحَمَّدًا قد وضع يده في أصحابه، فسأهم لهم، ثم قال: أكتاهم (١). وفي فردوس الدلمي، باسناده عن عمار، عن النبي ﷺ: يكون في أمّتي اثنا عشر منافقاً لا يدخلون الجنة، فلا يجدون ريحها حتى يلج الجمل في سمّ الخياط، ثمانية منهم تكفيهم الدبيلة، سراج من نار تظهر من أكتافهم حتى تنجم من صدورهم (٢).

وفيه أيضاً: باسناده عن حذيفة بن اليمان، عن النبي ﷺ: يكون في أمّتي دجالون كذابون سبعة وعشرون، منهم أربعة نسوة، وأنا خاتم النبيين (٣).

وفي الجمع بين الصحاح الستة لرزين العبدري في الجزء الثالث، في تفسير قوله تعالى ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ (٤) من صحيح مسلم، عن أبي الطفيل، قال: كان بين رجل من أهل العقبة وبين حذيفة بعض ما يكون بين الناس، فقال: أنشدك الله كم كان أصحاب العقبة؟ قال له القوم: أخبره إذ سألك، قال: كنّا نخبر أمّهم أربعة عشر، فإن كنت منهم فقد كان القوم خمسة عشر، وأشهد بالله أنّ اثني عشر منهم حرب لله ولرسوله في الدنيا والآخرة (٥)، وعذر ثلاثة، قالوا: ما سمعنا منادي رسول الله ﷺ، ولا علمنا بما أراد القوم، قال حذيفة: وقد كان في حرة فثى، فقال: إنّ الماء قليل فلا يسبقي إليه أحد، فوجد قوماً قد سبقوه فلعنهم يومئذ (٦).

وفي تفسير الثعلبي، في تفسير سورة براءة قوله تعالى ﴿ يحذر المنافقون أن تنزل

(١) دلائل النبوة ٥: ٢٥٦ - ٢٥٧.

(٢) صحيح مسلم ٤: ٢١٤٤.

(٣) لم أعثر عليه في الفردوس المطبوع.

(٤) النساء: ١٤٥.

(٥) في صحيح مسلم: في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد.

(٦) صحيح مسلم ٤: ٢١٤٤ ح ١١، كتاب صفات المنافقين.

عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم ﴿^(١) قال الثعلبي : قال الحسن : كان المسلمون يسمّون هذه السورة الحفارة ، حفرت قلوب المنافقين .

قال ابن كيسان : نزلت هذه الآية في اثني عشر رجلاً من المنافقين ، وقفوا لرسول الله ﷺ في العقبة لما رجع من غزوة تبوك ، ليفتكوا به اذا علاها ، ومعهم رجل مسلم يخفيهم شأنهم ، وتتكروا له ليلة مظلمة ، فأخبر جبرئيل رسول الله ﷺ بما قدّروا ، وأمره أن يرسل اليهم من يضرب وجوه رواحلهم ، فضربها حتى نحاهم ، فلما نزل قال : يا حذيفة من عرفت من القوم ؟ قال : لم أعرف منهم أحداً ، فقال رسول الله ﷺ فأنه فلان وفلان وفلان ، حتى عدّهم كلّهم ، فقال حذيفة : ألا تبعث اليهم من يقتلهم ، فقال : أكره أن يقول العرب : لما ظفر بأصحابه أقبل يقتلهم ، بل يكفيناهم الله بالديلة ، قيا : يا رسول الله ما الديلة ؟ قال : شهاب من جهنم يضعه في نباط فؤاد أحدهم ، حتى ترهق نفسه ، وكذلك كان ^(٢) .

قال : وقال الضحّاك : خرج المنافقون مع رسول الله ﷺ الى تبوك ، فكان اذا خلا بعضهم ببعض سبّوا رسول الله ﷺ وأصحابه ، وطعنوا في الدين ، فنقل ما قالوا حذيفة الى رسول الله ﷺ ، فقال : يا أهل النفاق ما هذا الذي بلغني عنكم ، فحلفوا لرسول الله ﷺ ما قالوا شيئاً من ذلك ، فأنزل الله تعالى ﴿ يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا ﴾ ^(٣) .

وفي الجزء الخامس من صحيح مسلم في باب صفات المنافقين ، حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدّثنا أسود بن عامر ، حدّثنا شعبة ، عن قتادة ، عن أبي نضرة ، عن قيس ، قال : قلت لعمار : أرايتم صنيعكم هذا الذي صنعتم في أمر علي ، أرايأ

(١) التوبة : ٦٤ .

(٢) بحار الأنوار ٢١ : ١٩٦ .

(٣) التوبة : ٧٤ .

رأيتموه أو شيئاً عهده اليكم رسول الله ﷺ؟ فقال: ما عهد الينا رسول الله ﷺ شيئاً لم يعهده الى الناس كافة، ولكن حذيفة أخبرني عن النبي ﷺ: في أصحابي اثنا عشر منافقاً، فيهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط، ثمانية منهم تكفيكمهم الدبيلة، وأربعة لم أحفظ ما قال شعبة فيهم^(١). انتهى.

وقد أخرج هذا الحديث أيضاً الحميدي في الجمع بين الصحيحين، وهو الحديث الأوّل من افراد مسلم، ورزين العبدري في الجمع بين الصحاح الستة.

ولا يخفى أنّه يستفاد من كلام عمّار، أنّ اتباعه لأمر المؤمنين عليّاً دون من نازعه في الخلافة، لم يكن بالرأي ولا بنصّ مخصوص، بل بما عهده النبي ﷺ الى الناس كافة في الغدير وغيره، وأشار بقوله «ولكن حذيفة أخبرني» الى آخره، الى أنّ من نازع عليّاً منافق، فأنّه لو لم يكن هذا مراده لم يكن جوابه مطابقاً للسؤال.

ومما يؤيد ما ذكرناه، ما سيجيء من قول النبي ﷺ لعائشة: لقد لقيت من قومك أشدّ ما لقيت منهم يوم العقبة^(٢). ووجه التأييد ظاهر.

ومما يؤيد أيضاً ما سيجيء من قول حذيفة: إنّما كان النفاق في عهد النبي ﷺ فأما اليوم هو الكفر بعد الايمان^(٣). ووجه التأييد أنّ المستفاد من هذا الكلام، أنّه لم يكن نفاق الاّ في زمن النبي ﷺ، ولما توفي النبي ﷺ تبدّل النفاق بالكفر.

ولا شك أنّ من حين وفاته لم يقع من الصحابة ما يصلح أن يكون كفراً، الاّ ايذائهم عليّاً عليّاً و اخراجهم اياه من الولاية والخلافة، وقد قال النبي ﷺ: من نازع عليّاً في الخلافة فهو كافر^(٤). وقد أوردناه من طريق الخالف في الفاتحة،

(١) صحيح مسلم ٤: ٢١٤٣ ح ٩.

(٢) صحيح مسلم ٣: ١٤٢٠ ح ١١١ من كتاب الجهاد والسير.

(٣) صحيح البخاري ٨: ١٠٠ كتاب الفتن.

(٤) راجع مصادر الحديث: احقاق الحق ٧: ٣٣١.

وسيجيء ان شاء الله تعالى في الدليل السادس والعشرين بالنقل المتواتر قوله عليه السلام :
 حبّ علي ايمان وبغضه كفر^(١) .

ومما يؤيده أيضاً : ما نقله الغزالي في الاحياء ، أنّ عمر قال لحذيفة : هل أنا من المنافقين ؟ ولا يخفى على اللبيب أنّ عمر لو لم يكن من المنافقين لم يكن لسؤاله وجه ، فمراده من السؤال : إما أن يعرف أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أظهر نفاقه لحذيفة أو سكت عنه ، أو ليعرف أنّ حذيفة يكتم نفاقه أو يذيعه . وسيجيء ان شاء الله في الدليل الثامن والعشرين عدّة قرائن دالة على نفاق عمر وكفره ، نقلاً من طرق المخالفين ليكون حجة عليهم .

وقال النووي في الشرح : أمّا قوله صلى الله عليه وآله وسلم « في أصحابي » فعناه الذين ينسبون الى صحبتي . وأمّا الدبيلة ، فبدال مهملة ثمّ باء موحّدة مفتوحة ، وقد فسّرها في الحديث بسراج من نار ، ثمّ قال : وروي « يكفيمهم الدبيلة » بحذف الكاف الثانية ، وروي « تكفتمهم » بقاء مثنّاة فوق بعد الفاء من الكفت ، وهو الجمع والستر ، أي : تجمعهم في قبورهم وتسترهم^(٢) . انتهى .

وحديث حذيفة في أهل العقبة أخرجه الحميدي في الجمع بين الصحيحين ، في الحديث الأوّل من افراد مسلم ، وفي الحديث الخامس أيضاً ، وأخرجه العبدري في الجزء الثالث في ثاني كراس من صحيح مسلم ، وفي ذلك أنّ منهم ثمانية لا يدخلون الجحّة حتّى يلبج الجمل في سمّ الحياط^(٣) .

وفي الجزء الثالث من صحيح مسلم ، عن عروة بن الزبير ، أنّ عائشة حدّثته أنّها قالت : يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشدّ من يوم أحد ؟ قال : لقد لقيت من

(١) ينابيع المودة ص ١٢٣ و ٥٥ ومشارك الأنوار للحمزاوي ص ١٢٢ .

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي ١٧ : ١٢٥ .

(٣) صحيح مسلم ٤ : ٢١٤٣ ح ٩ من كتاب صفات المنافقين .

قومك ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة ، الى آخر الحديث (١) .

وفي الجزء الثامن من صحيح البخاري ، باسناده عن حذيفة بن اليمان ، قال : انَّ المنافقين اليوم شرّ منهم على عهد النبي ﷺ ، كانوا يومئذ يسرون واليوم يجهرون (٢) .

وفيه أيضاً باسناده عن حذيفة ، قال : انما كان النفاق على عهد النبي ﷺ ، فأما اليوم هو الكفر بعد الايمان (٣) .

اعلم أن النبي ﷺ وان لم يصرّح لكلّ أحد بأسماء المنافقين لمصلحة هو أعرف بها ، ولكن وضع قواعد معرفتهم ، ومن تلك القواعد ما تواتر عن النبي ﷺ : انّ حبّ علي ايمان وبغضه نفاق (٤) . وسيجيء في الدليل السادس والعشرين الأخبار الواردة في هذا المعنى .

وسنذكر ان شاء الله الأخبار الدالّة على بغض خلفائهم الثلاثة لعلي أمير المؤمنين عليه السلام ، ليظهر لك أنّهم رؤوس المنافقين ، وأعداء دين سيّد المرسلين ، وسيجيء ان شاء الله في الدليل الثامن والعشرين عدّة قرائن دالّة على نفاقهم .

وسيجيء عدّة أحاديث نقلت عن صحاحهم بهذا المضمون عن النبي ﷺ :
سجاء برجال من أمّتي ، فيؤخذ بهم ذات الشمال ، فأقول : يا ربّ أصحابي ؟ فيقال : أنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، لم يزالوا مرتدّين على أعقابهم منذ فارقتهم (٥) .

ولاشكّ أنّ هؤلاء غير المنافقين المذكورين ، لأنّ النبي ﷺ لا يقول للمنافقين أصحابي ، ولا يقال في الجواب : لم يزالوا مرتدّين ؛ لأنّه لا يتصور الارتداد بالنظر

(١) صحيح مسلم ٣ : ١٤٢٠ ح ١١١ من كتاب الجهاد .

(٢) صحيح البخاري ٨ : ١٠٠ ، كتاب الفتن .

(٣) صحيح البخاري ٨ : ١٠٠ ، باب اذا قال عند قوم شيئاً ثم خرج فقال بخلافه .

(٤) راجع مصادر الحديث : احقاق الحق ٧ : ٢١٣ و ٢٤٨ ، و ١٧ : ١٦٣ - ١٦٥ .

(٥) صحيح البخاري ٥ : ١٩١ - ١٩٢ ، باب تفسير سورة المائدة .

اليهم ، فثبت أنهم غير المنافقين ، بل هم الصحابة الذين تبعوا المنافقين طمعاً في الدنيا ورغبة اليها .

ويحتمل أن يكون هذه القاعدة مما وضع في زمن بني أمية الضالّة المضلّة الذين جعلوا سب أمير المؤمنين عليه السلام الذي نطق الكتاب والسنة بفضله ، سنّة بين الناس ، وأحلّوا محاربهته ومقاتلته ، وفائدة هذه القاعدة للمخالفين لأهل البيت عليهم السلام ظاهر ؛ لأنّ بهذه القاعدة أخرجوا الخلافة عن أيدي الأئمّة الطاهرين ، وعملوا بخلاف محكمات الكتاب والسنة ، متمسكين بأنّها مخالفة للاجماع .

وان سلّمنا امتناع التواطىء ، فلا نسلّم امتناع أن يكون مستند آحاد الأوائل منهم الاجتهادات الظنيّة ، ثمّ اشتهر بينهم اشتهاراً حسب من تأخّر عنهم أنّه مجمع عليه .

ولا ريب أنّ جماعة من الصحابة ، باعتراف أهل السنة كانوا يتمسّكون في الشرعيّات بالاجتهادات الظنيّة ، كما زعموا أنّ أبا بكر وعمر وكثير من الصحابة اجتهدوا في أن يخوضوا في أمر الخلافة وتعيين الخليفة ، من غير ورود نصّ ، قبل أن يغسل ويدفن سيّد الأوّلين والآخريّن ، بغير مشورة باب مدينة العلم صلوات الله عليه ، وغيره من أقرباء النبي صلّى الله عليه وآله وعلماء الصحابة وزهادها ، كسلمان وأبي ذرّ ومقداد وعمّار ، وهؤلاء الأربعة اتّفق المخالف والمؤلف على مذهبهم والثناء عليهم .

وانّ أبا بكر اجتهد في التخلّف عن جيش أسامة ، مع أنّ النبي صلّى الله عليه وآله لعن من تخلّف عن جيش أسامة ، وأبا بكر اجتهد في عزل أسامة عن امارته ، وانّ عمر اجتهد في منع الرسول صلّى الله عليه وآله أن يكتب للناس وصيّة يرتفع بها عن الأئمّة الضلال ، ونسب الناطق عن الوحي الى الهجر والهذيان ، وانّ عثمان اجتهد في ضرب عمّار ، واخراج أبي ذرّ حبيب الله وحبيب رسوله ، وايواء مروان الطريد عدوّ الله وعدوّ رسوله ، واجتهادات هؤلاء الخلفاء على خلاف الكتاب والسنة كثيرة ، سنذكرها ان شاء الله في موضعه .

فإذا ظهر بما ذكرناه أنّ جماعة من الصحابة كانوا يعملون في الشرعيّات بالظنون العقلية، بطل جوابه عن النقص باتّفاق الفلاسفة على قدم العالم؛ لأنّه إذا جاز اتّفاق الفلاسفة على الخطأ مع مراعاتهم القواعد المنطقية المحافظة للأذهان، جاز خطأ أهل السنّة العاملين بالاجتهادات الظنيّة بطريق الأولى.

وان سلّمنا أنّهم لم يعملوا في الشرعيّات بالظنون الاجتهادية، فلا نسلم ظهور التمييز بين القاطع وغيره، بل الحقّ أنّ مع غلبة الهواء قد يشتهب القاطع بغيره والمحكم بالمتشابه، وحبك للشيء يعمي ويصمّ، فيمكن أن يشتهب الأمر على جماعة من المتغلبين، ثمّ يشتهر بحيث يحسب من تأخر عنهم أنّه مجمع عليه.

ويلزم العضدي في هذا المقام أحد أمرين: إمّا الاقرار ببطلان دليله، أو الاقرار بأنّ عائشة وطلحة والزبير ومعاوية وكلّ من حارب عليّاً عليه السلام وعثمان في داره، وهم أكثر المهاجرين والأنصار، كانوا مستحقّين لللعن والبراءة؛ لأنّ الاجماع تحقّق على امامتها باعتراف العضدي وغيره من أهل السنّة. وعلى قول العضدي النصّ القاطع على حجّية الاجماع في زمن الصحابة كان واضحاً متميّزاً غير مشتهب.

فعلى قول العضدي محاربوا علي وعثمان خالفوا النصّ الجليّ، ولا ريب أنّ مخالف النصّ الجليّ مستحقّ لللعن والبراءة، فلا بدّ له من الاقرار بعدم النصّ الجليّ على حجّية الاجماع، وهو ابطال دليله، أو الاقرار باستحقاق أكثر الصحابة لللعن والبراءة، وهو ابطال مذهبه.

وأما بيان ضعف جوابه عن النقص باتّفاق اليهود والنصارى، فإنّ ما ذكره من أنّ اجماع اليهود عن الاتّباع لآحاد الأوائل، يمكن اجراؤه في اجماع أهل السنّة، بأن يقال: إنّ آحاد أوائلهم أخطأوا، ثمّ تبعهم المتأخرون لحسن ظنّهم بالأوائل، بل جريان هذا الاحتمال في اجماع أهل السنّة أظهر من وجوه:

أحدها: أنّ اتّباع الهوى في أمة نبيّنا صلّى الله عليه وآله أعظم؛ لأنّهم اختلفوا ثلاثة وسبعين فرقة، زائداً على أمة موسى وعيسى.

وثانيهما : أنّ اتّفاق اليهود على نقل خبر ، وهو من المحسوس ، وكذا اخبار النصارى عن محسوس ، وهو القتل والصلب ، بخلاف المجمعين من أهل السنّة على تخطئة مخالف الاجماع ، فاتّهم لم يتفقوا على أمر محسوس ، ولم يجمعوا على نقل خبر ، بل اتفقوا على حكم غير محسوس ، ولا ريب أنّ الاتّفاق على غير المحسوس أولى بالخطأ من الاتّفاق على المحسوس .

وثالثها : أنّ اليهود والنصارى كلّهم متفقون ولا خلاف فيهم ، بخلاف أمة نبيّنا ، فاتّهم مختلفون في تخطئة مخالف الاجماع ؛ لأنّ الشيعة الامامية مع كثرتهم لم يزلوا مخالفين لأهل السنّة ؛ لأنّ الاجماع عندهم ليس دليلاً منفرداً ، بل الدليل عندهم بعد كتاب الله قول المعصومين عليهم السلام ، بل أهل السنّة أيضاً كلّهم لم يقولوا بتخطئة مخالف الاجماع ؛ لأنّ النّظام من علمائهم خالفهم ، وأحمد الذي أحد أئمّتهم نقل عنه العضدي أنّه قال : من ادّعى الاجماع فهو كاذب ، وتأويل العضدي كلام أحمد ، بأنّ مراده بهذا القول استبعاد بوجود الاجماع لا انكار ، ظاهر البطلان .

وأجاب العضدي عن مخالف الشيعة والنّظام والخوارج ، بأنّهم قليلون من أهل الأهواء ، نشأوا بعد اتّفاق . وضعف كلامه واضح ؛ لأنّه ان سلّمنا أنّ منكري الاجماع قليلون ، فلا يضرّ القلّة ؛ لأنّ الله مدح القلّة وذمّ الكثرة ، واثبات كونهم من أهل الأهواء بمخالفة أهل السنّة ، موقوف على اثبات حجّية الاجماع ، وبعد لم يشبث . ودعوى أنّهم نشأوا بعد اتّفاق ، مكابرة محض .

والوجه الثاني ممّا تمسّك به العضدي على حجّية الاجماع ، وهذه عبارته : أنّهم أجمعوا على أنّه يقدر على القاطع ، وأجمعوا على أنّ غير القاطع لا يقدر على القاطع ، بل القاطع هو المقدّم على غيره ، فلو كان غير قاطع لزم تعارض الاجماعين ، وأنّه محال . انتهى .

أقول : هذا الاستدلال أيضاً باطل ؛ لأنّه لا نسلم تحقّق الاجماع على تقدّم الاجماع على القاطع ؛ لأنّه قد بيّنا في الجواب عن الوجه الأوّل أنّ الأمة في حجّية

الاجماع مختلفون .

ويمكن الجواب عنه بوجه آخر ، وهو أن نقول : القاطع من الكتاب والسنة الذي أجمعوا على تقديم الاجماع عليه ، هل يجري فيه احتمال النسخ أو لا يجري ؟ فعلى الأوّل ليس بقطعي ؛ لأنّ مع احتمال النسخ غايته افادة الظنّ ، فلا يفيد اتّفاقهم على تقديم الاجماع عليه أن يكون الاجماع قطعياً ، ولا يلزم منه تعارض الاجماعين . وعلى الثاني وقوع التعارض محال ؛ لأنّه على هذا التقدير يفيد العلم والقطع ، فلو كان الاجماع المعارض له أيضاً قطعياً مفيداً للعلم ، لزم تحقّق العلم بالنقيضين ، وهو محال . واذا عرفت ما تلوناه عليك ، فاعلم أنا لو سلّمنا ثبوت الاجماع في نفسه ، فالعلم به محال ؛ لأنّ العادة قاضية بأنّه لا يتفق أن يثبت عن كلّ واحد من علماء الشرق والغرب ، أنّه حكم في المسألة الفلانية بالحكم الفلاني ، ومن أنصف من نفسه جزم بأنهم لا يعرفون بأعيانهم فضلاً عن تفاصيل أحكامهم .

هذا ، مع جواز خفاء بعضهم عمداً ؛ لئلاّ يلزم الموافقة ، أو المخالفة ، أو انقطاعه لطول غيبته فلا يعلم له خبر ، أو أسرّوا في مطمورة أو خمولة فلا يعرف له أثر ، أو كذّبه في قوله « رأيت في هذه المسألة كذا » والعبرة بالرأي لا باللفظ ، وإن صدق فيما قال ، لكنّه لا يمكن السماع منهم في آن واحد ، بل في زمان متطاوّل ، فربّما يتغيّر اجتهاد بعض ، فيرجع عن ذلك الرأي قبل قول الآخر به ، فلا يجتمعون على قول في عصر .

وإن سلّمنا العلم بالاجماع ، فنقله الى من يجتمع به ممتنع ؛ لأنّ الآحاد لا تفيد ؛ إذ لا يجب العمل به في الاجماع ، فتعيّن التواتر ، ولا يتصوّر ؛ إذ يجب فيه استواء الطرفين والواسطة ، ومن المحال عادة أن يشاهد أهل التواتر جميع المجتهدين شرقاً وغرباً ، ويسمعوا منهم وينقلوا عنهم الى أهل التواتر ^(١) ، هكذا طبقة بعد طبقة الى

(١) في «ن»: الى التواتر .

أن يتصل بنا ، بل الحقّ أنّ التواتر لا يمكن تحقّقه في الاجماع ؛ لأنّ من شرطه أن يكون الخبر عنه محسوساً ، والاجماع أمر غير محسوس ؛ لأنّه عبارة عن اتّفاق آراء المجتهدين ، فتحقّق التواتر فيه محال .

وأجاب العضيدي في شرح المختصر عن الدليلين بما هذه عبارته : الجواب عن شبهة المقامين واحد ، وهو أنّه تشكيك في مصادمة الضرورة ، فإنّه نعلم قطعاً تواتراً من الصحابة والتابعين ، الاجماع على تقديم الدليل القاطع على المظنون ، وما ذلك إلاّ بشبوته عنهم وبنقله عنهم وبنقله لنا ، فانتقض الدليلان .

أقول : هذا الجواب ظاهر البطلان ، وما ادّعى من التواتر مكابرة محض ، وقول من غير دليل ، بل الدليل على خلافه ظاهر ، والعلم بانتفاء شرائط التواتر على ما بيّن في الدليلين ، وادّعاء الضرورة فيما قام البرهان على خلافه سفسطة .

فاذا عرفت ما تلوناه عليك ، علمت أنّه لا يجوز للمخالفين أن يتمسّكوا بالاجماع ، ويعارضوا به ما تقدّم من الأخبار المتواترة الدالّة على امامة أمير المؤمنين عليه السلام .

وأما عندنا ، فالاجماع حجّة ، ولكن لا لما تمسّك به المخالف ، بل من حيث دخول قول المعصوم عليه السلام في الأقوال ؛ لأنّ على مذهبنا لا بدّ في كلّ زمان من امام حافظ للشريعة ، والمخالف يقول بحجّية الاجماع من هذه الحيشية ، فلا يصحّ له التمسّك بالاجماع أصلاً .

وان سلّمنا امكان تحقّق الاجماع ، وامكان العلم به وثبوت حجّيته ، فلا نسلم تحقّق الاجماع على خلافة أبي بكر ، بل من تتبّع كتب المخالفين وسيرهم ، جزم وقطع بأنّ بني هاشم وخواصّ علي عليه السلام ما تبعوا المتغلّبين في الخلافة الأبعد مدّة قهراً ، وقد تألم وتظلم أمير المؤمنين عليه السلام من الصحابة الغاصبين للخلافة على رؤوس المنابر في عدّة مواطن ، وسيجيء الاشارة الى بعضه ، وسعد بن عباد لم يبايع الى أن قتل في زمن عمر . ومثل هذا الاجماع لا يكون حجّة عند أحد من المسلمين ، بل الاجماع

الذي اعتبره المخالف وعدّه حجة هو اتفاق الآراء والاجتماع على سبيل الرضا .
ومما يدلّ على ما ادّعيناه من أنّ اتفاق الأئمة لم يكن على سبيل الرضا ، بل كان
على وجه القهر والاجبار ، ما رواه ابن أبي الحديد في شرحه ، قال : قيل لابن عبّاس
لما أظهر قوله في العول ^(١) بعد موت عمر ولم يكن قبل يظهره : هلاً قلت هذا وعمر
حيّ ؟ قال : هبته وكان امرءً مهيباً ^(٢) .

واستدعى عمر امرأة ليسألها عن أمر وكانت حاملاً ، فلشدة هيبته ألقت ما في
بطنها ، فأجهضت به جينياً ميتاً ، فاستفتي عمر أكابر الصحابة ، فقالوا : لا شيء عليك
إنما أنت مؤدّب ، فقال له علي عليه السلام : ان كان راقبوك فقد غشوك ، وان كان هذا جهد
رأيهم فقد أخطأوا ، عليك غرة - يعني : عتق رقبة - فرجع عمر والصحابة الى قوله .
وعمر هو الذي شيّد بيعة أبي بكر ، ورقم المخالفين فيها ، فكسر سيف الزبير لما
جرّده ، ودفع في صدر المقداد ، ووطىء في السقيفة سعد بن عباد ، وقال : أقتلوا
سعداً قتل الله سعداً ، وحطم أنف الحباب بن المنذر الذي قال يوم السقيفة : أنا
جذيلها ^(٣) المحكّك وعذيقها المرجّب . وتوعدّ من لجأ الى دار فاطمة عليها السلام من
الهاشميين وأخرجهم منها ، ولولاه لم يثبت لأبي بكر أمر ، ولا قامت له قائمة ^(٤) .

ويدلّ أيضاً على ما ادّعيناه ما رواه أيضاً ابن أبي الحديد في شرحه ، عن البراء
بن عازب ، أنّه قال : لم أزل لبني هاشم محبباً ، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله خفت أن
تتالا قريش على اخراج هذا الأمر عنهم ، فأخذني ما يأخذ الوالهة العجول ، مع ما
نفسى من الحزن لوفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ، فكننت أترددّ الى بني هاشم وهم عند

(١) عول الفريضة وهو : أن تزيد سهامها ، فيدخل النقصان على أهل الفرائض .

(٢) في الشرح : مهيباً .

(٣) الجذيل : تصغير الجذل بالكسر ، وهو في الأصل عود ينصب للجرجى تحتكّ به

فتستشفى .

(٤) شرح نهج البلاغة ١ : ١٧٣ - ١٧٤ طبع سنة ١٣٧٨ هـ ق .

النبي ﷺ في الحجرة ، وأتفقد وجوه قريش .

فإنّي كذلك اذا فقدت أبا بكر وعمر ، واذا قائل يقول : القوم في سقيفة بني ساعدة ، واذا قائل آخر يقول : قد بويح أبو بكر ، فلم ألبث واذا أنا بأبي بكر قد أقبل ومعه عمر وأبو عبيدة وجماعة من أصحاب السقيفة ، وهم محتجزون بالأزر الصنعاية ، لا يمرّون بأحد إلاّ خبطوه وقدّموه ، فمدّوا يده فمسحوها على يد أبي بكر بيايعه ، شاء ذلك أو أبي :

فأنكرت عقلي ، وخرجت أشدّ حتّى انتهيت الى بني هاشم ، والباب مغلق ، فضربت عليهم الباب ضرباً خفيفاً وقلت : قد بايع الناس لأبي بكر بن أبي قحافة ، فقال العبّاس ، تربت أيديكم الى آخر الدهر ، أمّا أنّي قد أمرتكم فعصيتموني ، فكثت أكابد ما في نفسي ، ورأيت في الليل المقداد ، وسلمان ، وأبذرّ ، وعبادة بن الصامت ، وأبا الهيثم بن التّيهان ، وحذيفة ، وعماراً ، وهم يريدون أن يعيدوا الأمر شورى بين المهاجرين .

وبلغ ذلك أبا بكر وعمر ، فأرسلا الى عبيدة ، والى المغيرة بن شعبة ، فسألاهما عن الرأي ، فقال المغيرة : الرأي أن تلقوا العبّاس ، فتجعلوا له ولولده في هذا الأمر^(١) نصيباً ليقطعوا بذلك ناحية علي بن أبي طالب .

فانطلق أبو بكر وعمر وأبو عبيدة والمغيرة حتّى دخلوا على العبّاس ، وذلك في الليلة الثانية من وفاة رسول الله ﷺ ، فحمد أبو بكر الله وأثنى عليه ، وقال : انّ الله ابتعث لكم محمداً ﷺ نبياً ، وللمؤمنين وليّاً ، فمنّ الله عليهم بكونه بين ظهرانيهم ، حتّى اختار الله له ما عنده ، فخلّى على الناس أمورهم ليختاروا لأنفسهم متّفقين غير مختلفين ، فاختاروني عليهم والياً ، ولأموهم راعياً ، فتولّيت ذلك ، وما أخاف بعون الله وتسديده وهناً ولا حيرة ولا جنناً ، وما توفّيقى الآب الله عليه توكلت واليه

(١) في الشرح : هذه الأمرة .

أنيب .

وما أنفك يبلغني عن طاعن يقول بخلاف قول عامة المسلمين ، يتخذكم لجأ فتكونوا حصنه المنيع ، وخطبه البديع ، فإمّا دخلتم فيما دخل فيه الناس ، أو صرفتموهم عمّا مالوا اليه ، فقد جئناك ونحن نريد أن نجعل لك في هذا الأمر نصيباً ، ولمن بعدك من عقبك اذ كنت عمّ رسول الله ﷺ ، وان كان المسلمون قد رأوا مكانك من رسول الله ﷺ ومكان أهلك ، ثمّ عدلوا بهذا الأمر عنكم وعلى رسلكم بني هاشم ، فانّ رسول الله ﷺ منا ومنكم .

فاعترض كلامه عمر ، وخرج الى مذهبه في الخشونة والوعيد ، واتيان الأمر من أصعب جهاته ، فقال : أي والله وأخرى أنا لم نأتكم حاجة اليكم ، ولكن كرهنا أن يكون الطعن فيما اجتمع عليه المسلمون منكم ، فيتفاقم الخطب بكم وبهم ، فانظروا لأنفسكم ولعائمتهم ، ثمّ سكت .

فتكلّم العباس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثمّ قال : انّ الله ابتعث محمّداً نبياً كما وصفت ، وولياً للمؤمنين ، فمنّ الله به على أمته حتى اختار له ما عنده ، فخلّى الناس على أمرهم ليختاروا لأنفسهم ، مصيبين للحقّ ، مائلين عن زيغ الهوى ، فان كنت برسول الله ﷺ طلبت فحقّنا أخذت ، وان كنت بالمؤمنين فنحن منهم ، ما تقدّمنا في أمركم فرطاً ، ولا حللنا وسطاً ، ولا نزحنا شحطاً .

فان كان هذا الأمر يجب لك بالمؤمنين فما وجب ، اذ كنّا كارهين ، وما أبعد قولك أنّهم طعنوا عليك ^(١) من قولك أنّهم مالوا اليك . وأمّا ما بذلت لنا ، فان يكن حقّك أعطيتناه فأمسكه عليك ، وان يكن حقّ المؤمنين ، فليس لك أن تحكم فيه ، وان يكن حقّنا لم نرض منك ببعضه دون بعض ، وما أقول هذا أروم صرفك عمّا دخلت فيه ، ولكن للحجّة نصيبها من البيان .

(١) في «ن» : اليك

وأما قولك ان رسول الله ﷺ منا ومنكم ، فان رسول الله ﷺ من شجرة نحن أغصانها وأنتم جيرانها . وأما قولك يا عمر أنك تخاف الناس علينا ، فهذا الذي قدّمتموه أول ذلك ، وبالله المستعان (١) .

ثم نقل ابن الحديد في موضع آخر من شرحه من تتمة هذا الخبر ، ان البراء قال : فكنت أكابد ما نفسي ، فلما كان بليل خرجت من المسجد ، فلما صرت فيه تذكرت أني كنت أسمع همهمة رسول الله ﷺ بالقرآن ، فامتنعت من بكائي ، فخرجت الى الفضاء فضاء بني بياضة وأجد نقرأ يتناجون ، فلما دنوت منهم سكتوا ، فلما رأيتهم سكتوا انصرفت عنهم ، فعرفوني وما أعرفهم ، فدعوني اليهم ، فأتيتهم ، فأجد المقداد بن الأسود ، وعبادة بن الصامت ، وسلمان الفارسي ، وأبأذرّ ، وحذيفة ، وأبا الهيثم بن التيهان ، واذا حذيفة يقول لهم : والله ليكوننّ ما أخبرتكم به ، ما كذبت ولا كذبت ، واذا القوم يريدون أن يعيدوا الأمر شورى بين المهاجرين .

ثم قال : ايتوا أبي بن كعب ، فقد علم كما علمت ، قال : فانطلقا الى أبي ، فضربنا عليه الباب ، حتى صار خلف الباب ، فقال : من أنتم ؟ فكلمه المقداد ، فقال : ما حاجتكم ؟ فقال له : افتح عليك بابك ، فان الأمر أعظم من أن يجري من وراء حجاب ، قال : ما أنا بفاتح بابي ، وقد عرفت ما جئتم له ، كأنكم أردتم النظر في هذا العقد ، فقلنا : نعم ، فقال : فيكم حذيفة ؟ فقلنا : نعم ، قال : فالقول ما قال ، والله ما أفتح عليّ بابي حتى تجري عليّ ما هي جارية ، ولما يكون بعدها شرّ منها ، والى الله المشتكى (٢) .

وهذا الخبر صريح الدلالة على عدم ورود النصّ على خلافة أبي بكر ، وعلى وقوع البيعة على سبيل القهر والمكر .

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ : ٢١٩ - ٢٢١ .

(٢) شرح نهج البلاغة ٢ : ٥١ - ٥٢ .

ويدلّ أيضاً على ما ادّعيناها ما رواه الحميدي في الجمع بين الصحيحين في سادس حديث من المتفق عليه من مسند أبي بكر، قال: ومكثت فاطمة بعد رسول الله ﷺ ستة أشهر، ثم توفيت، قالت عائشة: وكان لعلي وجه بين الناس في حياة فاطمة، فلما توفيت فاطمة انصرفت وجوه الناس عن علي.

وفي حديث عروة: فلما رأى علي انصراف وجوه الناس عنه، ضرع الى مصالحة أبي بكر، فقال رجل للزهري، فلم يبايعه علي ستة أشهر؟ فقال: لا^(١).

وقال صاحب الصراط المستقيم في جواب من تمسك من المخالفين على امامة أبي بكر، بكثرة القائلين بامامته وعدم منازعة علي عليه السلام: لا اعتبار بكثرة العوام فأنهم كاهوام، بل الاعتبار بالرؤساء وأولي الأحلام الذين هم أساطين الاسلام، وقد كانوا في جانب علي عليه السلام.

فقد ذكر البخاري حديث البيعة، وفيه خالف عنها علي عليه السلام والزبير ومن معها، وأخرج مسلم أنه قيل للزهري: لم يبايع علي ستة أشهر؟ فقال: لا والله ولا واحد من بني هاشم.

وقال نظام الدين الشافعي في شرح الطوالع: مالت طائفة الى علي عليه السلام وهم أكثر أكابرهم، وروى تخلفه عنها البلاذري وهو من ثقاتهم، وابن عبد ربّه، وعمر بن عليّة، والطبري، والواقدي^(٢). انتهى كلامه.

وذكر ابن أبي الحديد في شرحه: قال أبو بكر أحمد بن عبد العزيز: أخبرنا أبو يزيد عمر بن شبة، قال: حدّثنا ابراهيم بن المنذر، عن ابن وهب، عن ابن لهيعة، عن أبي الأسود، قال: غضب رجال من المهاجرين في بيعة أبي بكر بغير مشورة، وغضب علي عليه السلام والزبير، فدخل بيت فاطمة عليها السلام معها السلاح، فجاء عمر في عصابة،

(١) راجع: صحيح مسلم ٣: ١٣٨٠.

(٢) الصراط المستقيم ٣: ١٠٦ ط طهران.

منهم أسيد بن خضير ، وسلمة بن سلامة بن وقش ، وهما من بني عبد الأشهل ، فصاحت فاطمة عليها السلام وناشدتهم الله ، فأخذوا بسيفي علي عليه السلام والزبير ، فضربوا بهما الجدار حتى كسروهما ، ثم أخرجهما عمر يسوقهما حتى بايعا^(١) .

وفي شرحه أيضاً ، قال : قال أبو بكر : وحدثني أبو زيد عمر بن شبة ، قال : حدثنا أحمد بن معاوية ، قال : حدثني النضر بن شميل ، قال : حدثنا محمد بن عمرو ، عن سلمة بن عبد الرحمن ، قال : لما جلس أبو بكر على المنبر كان علي عليه السلام والزبير وناس من بني هاشم في بيت فاطمة عليها السلام ، فجاء عمر اليهم فقال : والذي نفسي بيده لتخرجن الى البيعة ، أو لأحرقن البيت عليكم ؟ فخرج الزبير مصلتاً سيفه ، فأعتقه رجل من الأنصار وزياد بن لييد ، فدق به فبدر السيف ، فصاح به أبو بكر وهو على المنبر : اضرب به الحجر ، قال عمرو بن حماس : فلقد رأيت الحجر فيه تلك الضربة ، ويقال : هذه ضربة سيف الزبير ، ثم قال أبو بكر : دعوهم فسيأتي الله بهم ، قال : فخرجوا اليه بعد ذلك فبايعوه .

قال أبو بكر : وقد روي في رواية أخرى : أن سعد بن أبي وقاص كان معهم في بيت فاطمة عليها السلام ، والمقداد بن الأسود أيضاً ، وأنهم اجتمعوا على أن يبايعوا علياً عليه السلام ، فأتاهم عمر ليحرق عليهم البيت ، فخرج اليه الزبير بالسيف ، وخرجت فاطمة عليها السلام تبكي وتصيح ، فنهت من الناس ، وقالوا : ليس عندنا معصية ولا خلاف في خير اجتمع عليه الناس ، وإنما اجتمعنا لنؤلف القرآن في مصحف واحد ، ثم بايعوا أبابكر ، فاستمر الأمر واطمأن الناس^(٢) .

وذكر الطبري في تاريخه ، قال أتى عمر بن الخطاب منزل علي ، فقال : والله لأحرقنّ عليكم البيت ، أو لتخرجنّ للبيعة ، فخرج عليه الزبير مصلتاً بالسيف ،

(١) شرح نهج البلاغة ٢ : ٥٠ .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢ : ٥٦ .

فضربه فسقط وسقط السيف من يده ، فوثبوا عليه فأخذوه (١) .
 وذكر الواقدي أنّ عمر جاء الى علي عليه السلام في عصابة ، فيهم أسيد بن حضير ،
 وسلمة بن أسلم الأشهلي ، فقال : أخرجوا أو لنحرقها عليكم .
 وذكر ابن خزيمة في غرره ، قال زيد بن أسلم : كنت بمنّ حمل الحطب مع عمر الى
 باب فاطمة عليها السلام حين امتنع علي عليه السلام وأصحابه عن البيعة أن يبائعوا ، فقال عمر
 لفاطمة عليها السلام : أخرجي من البيت والآن أحرقته ومن فيه ، قال : وفي البيت علي
 والحسن والحسين عليهم السلام وجماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله ، فقالت فاطمة عليها السلام :
 تحرق علي ولدي؟! فقال : أي والله أوليخرجنّ ويبايعن (٢) .

وابن عبد ربّه ، وهو رجل مغربيّ من أعيان المخالفين ، في الجزء الرابع من كتاب
 العقد ، عند ذكر الذين تخلفوا عن بيعة أبي بكر ، قال ما هذا لفظه : فأما علي والعبّاس
 والزبير ، فقعدوا في بيت فاطمة ، حتّى بعث اليهم أبو بكر عمر بن الخطّاب ليخرجهم
 من بيت فاطمة ، وقال له : ان أبوا فقاتلهم ، فأقبل بقبس من نار على أن يضرم
 عليهم النار ، فلقيته فاطمة ، فقالت : يا بن الخطّاب جئت لتحرق ديارنا؟ قال :
 نعم (٣) .

وروي ذلك عن مصنّف كتاب أنفاس الجواهر (٤) .
 ومّا يدلّ على ما ادّعيناه ما نقله ابن أبي الحديد في الجزء السادس من شرحه
 على نهج البلاغة ، عن أبي بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في كتاب السقيفة ، في
 خبر طويل ، ونحن نذكر موضع الحاجة ، قال بعد كلام من أحوال أهل السقيفة :

(١) تاريخ الطبري ٣ : ١٩٨ .

(٢) الصراط المستقيم ٢ : ٣٠١ .

(٣) العقد الفريد ٥ : ١٣ ، الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٧ هـ .

(٤) الصراط المستقيم ٢ : ٣٠١ .

واجتمعت بنو هاشم الى علي بن أبي طالب ومعهم الزبير، وكان يعدّ نفسه رجلاً من بني هاشم، كان علي عليه السلام يقول: مازال الزبير منّا أهل البيت حتى نشأ بنوه فصرفوه عنّا.

واجتمعت بنو أمية الى عثمان بن عفّان، واجتمعت بنو زهرة الى سعد وعبد الرحمن، فأقبل عمر الهم وأبو عبيدة، فقال: مالي أراكم ملتائين؟ قوموا فبايعوا أبابكر، فقد بايع له الناس وبايعه الأنصار، فقام عثمان ومن معه، وقام سعد وعبد الرحمن ومن معهم، فبايعوا أبابكر.

وذهب عمر ومعه عصابة الى بيت فاطمة عليها السلام، منهم أسيد بن حضير، وسلمة بن أسلم، فقال لهم: انطلقوا فبايعوا، فأبوا عليه، وخرج الهم الزبير بسيفه، فقال عمر: عليكم الكلب، فوثب سلمة بن أسلم، فأخذ السيف من يده، فضرب به الجدار، ثم انطلقوا به وبعلي ومعها بنو هاشم وعلي يقول: أنا عبد الله وأخو رسول الله صلى الله عليه وآله، حتى انتهوا به الى أبي بكر، فقيل له: بايع، فقال: أنا أحقّ بهذا الأمر منكم: لا أبايكم وأنتم أولى بالبيعة بي^(١)، أخذتم هذا الأمر من الأنصار، واحتججتم عليهم بالقرابة من رسول الله صلى الله عليه وآله، فأعطوكم المقادة، وسلّموا اليكم الامارة، وأنا أحتجّ عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار، فأنصفونا ان كنتم تخافون الله من أنفسكم، واعرفوا لنا من الأمر مثل ما عرفت الأنصار لكم، والآفبوا بالظلم وأنتم تعلمون. فقال عمر: أنك لست متروكاً حتى تباع، فقال له علي عليه السلام: احلب يا عمر حلباً لك شطره، أتشدّد^(٢) له اليوم أمره ليردّ عليك غداً، لا والله لا أقبل قولك ولا أبايه، فقال له أبو بكر: فان لم تباعيني لم أكرهك.

فقال له أبو عبيدة: يا أبا الحسن أنك حديث السنّ، وهؤلاء مشيخة قريش

(١) في الشرح: لي.

(٢) في الشرح: أشدّد.

قومك ، ليس لك تجربتهم ومعرفتهم بالأمر ، ولا أرى أبابكر الأقوى على هذا الأمر منك ، وأشدّ احتمالاً له واضطلاعاً به ، فسلم له هذا الأمر وارض به ، فأنك تعش ويطل عمرك ، فأنت بهذا الأمر خليك وبه حقيق ، في فضلك وقرابتك وسابقتك وجهادك .

فقال علي عليه السلام : يا معشر المهاجرين الله الله ، لا تخرجوا سلطان محمد عن داره وبيته الى بيوتكم ودوركم ، ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقه ، فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أهل البيت أحقّ بهذا الأمر منكم ، أما كان منّا القارىء لكتاب الله ، الفقيه في دين الله ، العالم بالسنة ، المضطلع بأمر الرعيّة ، والله أنّه لفينا ، فلا تتبعوا الهوى فتزدادوا من الحقّ بعداً .

فقال بشر بن سعد : لو كان هذا الكلام سمعته منك الأنصار يا علي قبل بيعتهم لأبي بكر ، ما اختلف عليك اثنان ، ولكنهم قد بايعوا ، وانصرف علي عليه السلام الى منزله ولم يبايع ، ولزم بيته حتى ماتت فاطمة فبايع ^(١) .

وفي شرح ابن أبي الحديد أيضاً ، قال : وروى أبو بكر أحمد بن عبد العزيز ، قال : حدّثني أبو زيد عمر بن شبّة ، قال : حدّثني ابراهيم بن المنذر ، قال : حدّثنا ابن وهب ، عن أبي لهيعة ، عن أبي الأسود ، قال : غضب رجال من المهاجرين في بيعة أبي بكر بعد مشورة ، وغضب علي والزبير ، فدخل بيت فاطمة معها السلاح ، فجاء عمر في عصابة ، فيهم أسيد بن حضير ، وسلمة بن سلامة بن قريش ، وهما من بني عبد الأشهل ، فاقتحما الدار ، فصاحت فاطمة وناشدتها الله ، فأخذوا سيفيها فضربوا بها الحجر حتى كسروهما ، فأخرجها عمر يسوقها حتى بايعا .

ثمّ قام أبو بكر فخطب الناس ، فاعتذر اليهم وقال : انّ بيعتي كانت فلتة وقاله شرّها ، وخشيت الفتنة ، وأيم الله ما حرصت عليها ، ولا سألتها في سرّ ولا علانية

(١) شرح نهج البلاغة لابن الحديد ٦ : ١١ - ١٢ .

قطّ ، ولقد قلّدت أمراً عظيماً مالي به طاقة (١) .

وفي شرحه أيضاً ، قال أبو بكر : حدّثنا أبو زيد عمر بن شبة ، قال : أخبرنا أبو بكر الباهلي ، قال : حدّثنا اسماعيل بن مجالد ، عن الشعبي ، قال : سألت أبا بكر ، فقال : أين الزبير ؟ فقيل : عند علي عليه السلام وقد تقلّد سيفه ، فقال : قم يا عمر ، قم يا خالد بن الوليد ، انطلقا حتّى تأتيا فيهما ، فانطلقا ، فدخل عمر وقام خالد على باب البيت من خارج ، فقال عمر للزبير : ما هذا السيف ؟ فقال : تباع عليّاً ، فاخرطه عمر ، فضرب به حجراً فكسره ، ثم أخذ بيد الزبير فأقامه ، ثم دفعه وقال : يا خالد دونكه أمسكه ، ثم قال لعلي عليه السلام : قم فبايع لأبي بكر ، فتلكأ واحتبس ، فأخذ بيده وقال : قم ، فأبى أن يقوم ، فحمله ودفعه كما دفع الزبير ، فأخرجه .

ورأت فاطمة عليها السلام ما صنع بها ، فقامت على باب الحجر ، وقالت : يا أبا بكر ما أسرع ما أغرتم على أهل رسول الله صلى الله عليه وآله ، والله لا أكلم عمر حتّى ألقى الله (٢) .
ونقل موافقاً لما ذكرناه أبو اسحاق بن راهويه ، أنّ عمر قال لفاطمة عليها السلام : ما هذه الجموع التي تجتمع في بيتك ؟ لئن انتهيت والآ لأحرقنّ البيت ومن فيه ، ثمّ قال ابن راهويه : إنّما كان هذا تغليظاً من عمر .

وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي أيضاً ، قال أبو بكر : وحدّثني أبو زيد عمر بن شبة ، عن رجاله ، قال : جاء عمر الى بيت فاطمة عليها السلام ، في رجال من الأنصار ونفر قليل من المهاجرين ، فقال : والذي نفسي بيده لتخرجنّ الى البيعة ، أو لأحرقنّ البيت عليكم ، فخرج اليه الزبير مصلتاً بالسيف ، فاعتنقه زياد بن لسيد الأنصاري ورجل آخر ، فبدر السيف من يده ، فضرب به عمر الحجر فكسره ، ثمّ أخرجهم بتلابيبهم يساقون سوقاً عنيفاً حتّى بايعوا أبا بكر .

(١) شرح نهج البلاغة ٦ : ٤٧ ، و٢ : ٥٠ .

(٢) شرح نهج البلاغة ٢ : ٥٧ .

قال أبو زيد : وروى النضر بن شميل ، قال : حمل سيف الزبير لما ندر من يده الى أبي بكر وهو على المنبر يخطب ، فقال : اضربوا به الحجر ، قال أبو عمرو بن حماس : ولقد رأيت الحجر وفيه تلك الضربة والناس يقولون : هذا أثر ضربة سيف الزبير (١) .

قال أبو بكر : وأخبرني أبو بكر الباهلي ، عن اسماعيل بن مجالد ، عن الشعبي ، قال : قال أبو بكر : يا عمر أين خالد بن الوليد ؟ قال : هو هذا ، فقال : انطلقا اليهما - يعني علياً عليه السلام والزبير - فأتياني بهما ، فانطلقا ، فدخل عمر ووقف خالد على الباب من خارج ، فقال عمر للزبير : ما هذا السيف ؟ قال : أعدته لأبايع علياً .

قال : وكان في البيت ناس كثير ، منهم المقداد بن الأسود ، وجمهور الهاشميين ، فاخترط عمر السيف ، فضرب به صخرة في البيت فكسره ، ثم أخذ بيد الزبير فأقامه ، ثم دفعه فأخرجه ، وقال : يا خالد دونك هذا ، فأمسكه خالد ، وكان خارج البيت مع خالد جمع كثير من الناس ، أرسلهم أبو بكر ردةً لهما .

ثم دخل عمر فقال لعلي عليه السلام : قم فبايع ، فتلكأ واحتبس ، فأخذ بيده وقال : قم ، فأبى أن يقوم ، فحمله ودفعه كما دفع الزبير ، ثم أمسكها خالد وساقها عمر ومن معه سوقاً غليظاً (٢) ، واجتمع الناس ينظرون ، وامتلات شوارع المدينة بالرجال ، ورأت فاطمة عليها السلام ما صنع عمر ، فصرخت وولولت ، واجتمع معها نساء كثير من الهاشميات وغيرهن ، فخرجت الى باب حجرتها ونادت يا أبا بكر ، ما أسرع ما أغرتم على أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله ، والله لا أكلّم عمر حتى ألقى الله .

قال : فلما بايع علي والزبير ، وهذأت تلك الفورة ، مشى اليها أبو بكر بعد ذلك ،

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦ : ٤٨ .

(٢) في الشرح : عنيفاً .

فشفع لعمر وطلب اليها ، فرضيت عنه (١) .

قال أبو بكر : وحدّثني المؤمّل بن جعفر ، قال : حدّثني محمّد بن ميمون ، قال : حدّثني داود بن المبارك ، قال : أتينا عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، ونحن راجعون من الحجّ في جماعة ، فسألناه عن مسائل ، وكنت أحد من سأله ، فسألته عن أبي بكر وعمر ، فقال : أجيبك بما أجاب به جدّي عبد الله بن الحسن ، فأنه سئل عنها ، فقال : كانت أمنا صديقة ابنة نبيّ مرسل ، وماتت وهي غضبي على قوم ، فنحن غضاب لغضبها .

قلت : قد أخذ هذا المعنى بعض الشعراء الطالبيين من أهل الحجاز ، أنشدنيه النقيب جلال الدين عبد الحميد بن محمّد بن عبد الحميد العلوي ، قال : أنشدني هذا الشاعر لنفسه وذهب عني اسمه :

يا أبا الحفص الهويّنا وما كنت مليئاً بذاك لولا الحمام
أتموت البتول غضبي ونرضى ما كذا يصنع البنون الكرام

يخاطب عمر ويقول : مهلاً ورويداً يا عمر ، أي : ارفق واتّئد ولا تعنف بنا « وما كنت مليئاً » أي : وما كنت أهلاً لأنّ تخاطب بهذا وتستعطف ، ولا كنت قادراً على ولوج بيت فاطمة عليها السلام على ذلك الوجه الذي ولجتها عليه ، لولا أنّ أباه الذي كان بيتها يحترم ويصان لأجله مات ، فطمع فيها من لم يكن يطمع ، ثمّ قال : أتموت أمنا وهي غضبي ونرضى نحن؟! إذاً لسنا بكرام ، فإنّ الولد الكريم يرضى لرضى أبيه وأمّه ، ويغضب لغضبها .

ثمّ قال ابن أبي الحديد : والصحيح عندي أنّها ماتت وهي واجدة على أبي بكر وعمر ، وأنّها أوصت أن لا يصلّي عليها ، وذلك عند أصحابنا من الأمور المغفورة لها ، وكان الأولى بها اكرامها ، واحترام منزلها ، لكنّها خافتا الفرقة ، وأشفقا من

الفتنة ، ففعلا ما هو الأصح بحسب ظنّها ، وكانا من الدين وقوة اليقين بمكان مكين ، لاشكّ في ذلك ، والأمور الماضية يتعدّر الوقوف على عللها وأسبابها ولا يعلم حقائقها^(١) .

أقول : هذا الرجل أصاب في الاقرار بايذاء أبي بكر وعمر لها عليهما السلام ، وخروجها من الدنيا ساخطة عليها ، وأخطأ خطأ عظيماً في الاعتذار .

وكيف يجوز العاقل أن يكون اهانة سيّدة النساء التي أبان النبي صلى الله عليه وآله عظم شأنها بقوله « فاطمة بضعة منّي يؤذيها ما يؤذيها »^(٢) وايذاء سيّد الأتقياء وأمير البررة الأصفياء الذي ورد في شأنه « اللهمّ وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله »^(٣) وقوله « حربك حربتي وسلمك سلمتي »^(٤) وقوله « يا علي لا يحبك الآ مؤمن ولا يبغضك الآ كافر »^(٥) وقوله « الحقّ مع علي وعلي مع الحقّ »^(٦) وقوله « انّي تارك فيكم ما ان تمسّكتم به لن تضلّوا أبداً : كتاب الله ، وعترتي أهل بيتي ، ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض »^(٧) وقوله « مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح »^(٨) وغيرها من الآيات والروايات الدالّة على عصمته عليه السلام ، من الأمور المغفورة لأبي بكر وعمر ؟

(١) شرح نهج البلاغة ٦ : ٤٩ - ٥٠ .

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٤ : ٥ ، ومستدرک الحاكم ٣ : ١٥٩ ، والصواعق المحرقة ص ٨٨ وراجع احقاق الحقّ ١٠ : ١٨٧ - ٢٢٨ .

(٣) تقدّم مصادر حديث الغدير المتواتر بين الفريقين .

(٤) راجع مصادر الحديث الى كتاب احقاق الحقّ ٩ : ١٦١ - ١٧٤ .

(٥) راجع احقاق الحقّ ٤ : ١٠٠ و ٢٨٧ ، ٥ : ٤٣ ، ٧ : ٢٠٩ و ٢١٣ و ٢١٦ .

(٦) راجع احقاق الحقّ ٥ : ٢٨ و ٤٣ و ٦٢٣ - ٦٣٨ ، و ١٦ : ٢٨٤ - ٣٩٧ .

(٧) راجع احقاق الحقّ ٤ : ٤٣٦ - ٤٤٣ ، و ٩ : ٣٠٩ - ٣٧٥ .

(٨) راجع احقاق الحقّ ٩ : ٢٧٠ - ٢٩٣ .

وهل يجوز من له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، أن يكون حبّ أبي بكر وعمر لمصالح الدين أعظم من حبّ أمير المؤمنين وسيد الزاهدين لها؟ حتى تحتاج الى الاهانة والتهديد وسوقهما اياه الى البيعة؟

مع أنّ البخاري نقل في أواخر صحيحه باسناده عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه، فأنه من فارق الجماعة شبراً فمات الآمات ميتة جاهليّة. وفيه أيضاً بسند آخر هذا الحديث (١).

العجب كلّ العجب أنّ ابن أبي الحديد يعدّ هاهنا اهانتها عليّاً وفاطمة رضي الله عنهما، من الأمور المغفورة، مع أنّه قال في الجزء العشرين من شرحه في شرح قوله عليه السلام «يهلك فيّ رجلان: محبّ مفرط، وباهت مفتر» وقوله «يهلك فيّ اثنان: محبّ غال، ومبغض قال» قال: خلاصة هذا القول أنّ الهالك فيه المفرط والمفرط، الى أن قال: وأما المفرط، فمن استنقص به ﷺ، أو أبغضه، أو حاربه، أو أضمر له غلاً.

ولهذا كان أصحابنا أصحاب النجاة والخلاص والفوز في هذه المسألة: لأنهم سلكوا طريقة مقتصدة، قالوا: هو أفضل الخلق في الآخرة، وأعلاهم منزلة في الجنة، وأفضل الخلق في الدنيا، وأكثرهم خصائص ومزايا ومناقب، وكلّ من عاداه أو حاربه أو أبغضه، فأنه عدوّ الله سبحانه، وخالد في النار مع الكفّار والمنافقين، إلا أن يكون ممن قد ثبت توبته، ومات على توبّيه وحبّه.

وأما الأفاضل من المهاجرين والأنصار الذين ولّوا الامامة قبله، فلو أنّه أنكر امامتهم وغضب عليهم، وسخط فعلهم، فضلاً عن أن يشهر عليهم السيف، أو يدعو الى نفسه، لقلنا أنّهم من الهالكين، كما لو غضب عليهم رسول الله ﷺ؛ لأنّه قد ثبت أنّ رسول الله ﷺ قال له: حاربك حربي وسلمك سلمي، وأنّه قال ﷺ: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وقال: لا يحبّك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا

مناقق . ولكن رأيناه رضي امامتهم ، وبياعهم ، وصلى خلفهم ، وأنكحهم ، وأكل من
فيئهم ، فلم يكن لنا أن نتعدى فعله ، ولا نتجاوز ما اشتهر عنه .

ألا ترى أنه لما برأ من معاوية برئنا منه ، ولما لعنه لعنناه ، ولما حكم بضلال أهل
الشام ومن كان فيهم من بقايا الصحابة ، كعمرو بن العاص وعبد الله ابنه وغيرهما ،
حكمتنا أيضاً بضلالهم .

والحاصل أننا لم نجعل بينه وبين النبي ﷺ إلا رتبة النبوة ، وأعطيناها كل ما عدا
ذلك من الفضل المشترك بينه وبينه^(١) ، ولم نطعن في أكابر الصحابة الذين لم يصح
عندنا أنه طعن فيه ، وعاملناهم بما عاملهم هو ﷺ به^(٢) .

أقول : أنظر أيها اللبيب الى هذا الرجل الفاضل كيف ظلّ خابطاً متحيراً ، مقيداً
بقيد التقليد ، لا يجترىء على التبري ممن تقدم على سيد الوصيين ، مع هذه المعرفة
بجالة ﷺ ، ونقله في شرحه عنه ﷺ نقلاً متجاوزاً حدّ التواتر أنه ﷺ كان يتظلم
ويتألم مراراً في خطبه ومكالماته بعد أن ادعى الخلافة لنفسه ، وكره بيعة الثلاثة
كراهة شديدة ، وهجرهم مدة مديدة ، حتى آل الأمر الى احضار النار لاحتراق بيته ،
والجائته الى البيعة ، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم .

ومما يدل أيضاً على ما ادّعيناه ما نقله ابن قتيبة ، وهو من أكبر شيوخ القدرة ،
في المجلد الأول من كتاب السياسة ، أن عمر قال لعلي ﷺ : ان لم تباع نضرب
عنقك ، فأتى علي ﷺ قبر النبي ﷺ باكياً قائلاً : يا بن أم القوم استضعفوني وكادوا
أن يقتلونني^(٣) .

ومما يدل أيضاً على ما ادّعيناه ، ما نقل عن البلاذري من علماء المخالفين ، أن عمر

(١) في الشرح : بينهم .

(٢) شرح نهج البلاغة ٢٠ : ٢٢٠ - ٢٢١ .

(٣) الامامة والسياسة لابن قتيبة ١ : ٢٠ .

لاخراج أهل الدار الى البيعة حصر فاطمة عليها السلام في الباب حتى أسقطت محسناً ، وهذه الحكاية عند الشيعة من المشهورات ^(١) .

ومما يدل أيضاً على ما ادّعيناه ، ما رواه سيّدنا الأجلّ المرتضى في الشافي عن رواة المخالفين من أهل السنّة ^(٢) .

ومنه : ما رواه عن البلاذري الثقة عند العامّة ، بسنده عن ابن عون ^(٣) ، أنّ أبابكر أرسل الى علي عليه السلام يريد على البيعة ، فلم يبايع ، فجاء عمر ومعه قيس ، فلقيته فاطمة عليها السلام على الباب ، فقالت : يا بن الخطاب أترك محرّقاً على بابي ؟ قال : نعم ، الى آخر كلامه ^(٤) .

ومنه : ما رواه البلاذري أيضاً بسنده عن ابن عبّاس ، قال : بعث أبو بكر عمر بن الخطاب الى علي عليه السلام حين قعد عن بيعته ، وقال : اتيتي به بأعنف العنف ، فلمّا أتاه جرى بينهما كلام ، فقال له علي عليه السلام بعد كلامه له : والله ما حرصك على امارته اليوم الا ليؤمرك غداً ، الى آخر كلامه ^(٥) .

ومنه : ما رواه عن ابراهيم بن سعيد الثقفي ، قال : حدّثنا أحمد بن عمرو البجلي ، قال : حدّثنا أحمد بن حبيب العامري ، عن حمران بن أعين ، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام قال : والله ما بايع حتى رأى الدخان قد دخل عليه بيته ^(٦) .

ومنه : ما رواه عن ابراهيم بن عثمان ، عن أبي شيبة ، عن خالد بن مخلد البجلي ، عن داود بن يزيد الأودي ، عن أبيه ، عن عديّ بن حاتم ، قال : أتيت لجالس عند

(١) الصراط المستقيم ٣ : ١٢ عنه .

(٢) الشافي للشريف المرتضى ٣ : ٢٤٠ - ٢٤٥ .

(٣) في الشافي : عن أبي عون .

(٤) الشافي ٣ : ٢٤١ .

(٥) الشافي ٣ : ٢٤٠ - ٢٤١ .

(٦) الشافي ٣ : ٢٤١ .

أبي بكر اذ جيء بعلي عليه السلام، فقال له أبو بكر: بايع، فقال له علي عليه السلام: فان لم أفعل؟ فقال: أضرب الذي فيه عينك، فرفع رأسه الى السماء، ثم قال: اللهم اشهد، ثم مد يده (١).

ومنه: ما رواه أيضاً عن ابراهيم بسنده، عن داود بن يزيد الأودي، عن أبيه، عن عدي بن حاتم، قال: ما رحمت أحداً رحمتي علياً حين أتى به ملتبساً، فقيل له: بايع، قال: فان لم أفعل؟ قالوا اذاً نقتلك، قال: اذاً تقتلون عبد الله وأخا رسوله، الى آخر الخبر (٢).

وعن ابراهيم الثقيفي، عن محمد بن أبي عمير، عن أبيه، عن صالح بن أبي الأسود، عن عقبة بن سنان، عن الزهري، قال: ما بايع علي عليه السلام الا بعد ستة أشهر، وما اجترىء عليه الا بعد موت فاطمة عليها السلام (٣).

ومنه: ما رواه عن ابراهيم بسنده، عن موسى بن عبد الله بن الحسن: أن علياً عليه السلام قال لهم: بايعوا فان هؤلاء خيروني في أن يأخذوا ما ليس لهم، أو أقاتلهم وأفرق أمر المسلمين (٤).

ومنه: ما رواه عن ابراهيم بسنده، عن موسى بن عبد الله بن الحسن، قال: يا أبت أسلم أن تبايع، وقالوا: ما كنا نبايع حتى يبايع بريدة: لقول النبي صلى الله عليه وآله لبريدة: علي وليكم من بعدي، فقال علي عليه السلام: يا هؤلاء ان هؤلاء خيروني أن يظلموني حتى وأبايعهم، وارتدت الناس حتى بلغت الردة أحداً، فاخترت أن أظلم حتى وان فعلوا ما فعلوا (٥).

(١) الشافي ٣: ٢٤٤.

(٢) الشافي ٣: ٢٤٤.

(٣) الشافي ٣: ٢٤٢.

(٤) الشافي ٣: ٢٤٣.

(٥) الشافي ٣: ٢٤٣ - ٢٤٤.

ومنه : ما رواه عن عبد الله بن جبلة الكناني ، عن ذريح المحاربي ، عن أبي حمزة الثمالي ، عن جعفر بن محمد بن علي ، عن آباءه عليهم السلام : أنّ بريدة كان غائباً بالشام ، فقدم وقد بايع الناس أبا بكر ، فأتاه في مجلسه ، فقال : يا أبا بكر هل نسيت تسليمنا على علي بإمرة المؤمنين واجبة من الله ورسوله ؟ فقال : يا بريدة أنت غبت وشهدنا ، وإنّ الله يحدث الأمر بعد الأمر ، ولم يكن الله ليجمع لأهل هذا البيت النبوة والخلافة والملك (١) .

ومّا يدلّ أيضاً على ما ادّعينا : ما نقله ابن أبي الحديد ، عن أبي حيان التوحيد ، عن القاضي أبي حامد ، من المراسلة بين أبي بكر وعمر وبين علي عليه السلام ، ومن المحاورات والمكالمات الواقعة بينهم ، والقصة طويلة ، نكتفي منها بموضع الحاجة ، قال علي عليه السلام في جواب أبي عبيدة رسول أبي بكر وعمر الى علي عليه السلام ، بعد كلام : على أنّي أعلم أنّ التظاهر عليّ واقع ، ولي عن الحقّ الذي سيق اليّ دافع .

ثمّ قال بعد كلام : وفي النفس كلام لولا سابق قول ، وسالف عهد ، لشفيت غيظي بخنصري وبنصري ، وخضت لجنته بأخصي ومفرقي ، ولكنيّ ملجم الى أن ألقى الله تعالى وعنده أحتسب ما نزل بي ، الى آخر كلامه (٢) .

وقال علي عليه السلام لعمر : يا أبا حفص والله ما قعدت عن صاحبك جزعاً على ما صار اليه ، ولا أتيته خائفاً منه ، الى قوله : ولكنيّ تخلفت اعذاراً الى الله ، والى من يعلم الأمر الذي جعله لي رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأتيت وبايعت حفظاً للدين ، وخوفاً من انتشار أمر الله (٣) .

وقال عمر لعلي عليه السلام : وزعمت أنّ التظاهر عليك واقع ، أيّ تظاهر وقع عليك ؟

(١) الشافي ٣ : ٢٢٤ - ٢٢٥ .

(٢) شرح نهج البلاغة ١٠ : ٢٨٢ .

(٣) شرح نهج البلاغة ١٠ : ٢٨٣ .

وأبي حقّ استؤثر به دونك ؟ لقد علمت ما قالت الأنصار أمس سرّاً وجهرّاً ، وما تقلّبت عليه ظهراً وبطناً ، فهل ذكرتك أو أشارت بك ، أو طلبت رضاها من عندك ، وهؤلاء المهاجرون من الذي قال منهم أنّك صاحب هذا الأمر وأوماً إليك أو همهم بك في نفسه ؟ أتظنّ أنّ الناس ضلّوا من أجلك ، أو عادوا كفّاراً زهداً فيك ، أو باعوا الله تعالى بهواهم بغضاً لك .

ولقد جاء في قوم من الأنصار ، فقالوا : إنّ عليّاً ينتظر الامامة ، ويزعم أنّه أولى بها من أبي بكر ، فأنكرت عليهم ، ورددت القول في نحوهم ، حتّى قالوا : أنّه ينتظر الوحي ، ويتوكّف مناجاة الملك ، فقلت : ذلك أمر طواه الله بعد محمّد ﷺ .

ومن أعجب قولك « لولا سابق قول لشفيت غيظي بخنصري وبنصري » وهل ترك الدين لأحد أن يشفي غيظه بيده ولسانه ؟

الى قوله : وأما ما تزعمه من الأمر الذي جعله رسول الله لك ، فتخلّفت اعذاراً الى الله ، والى العارفة به من المسلمين ، فلو عرفه المسلمون لجنحوا اليه ، وأصفقوا عليه ، وما كان الله ليجمعهم على العمى ، ولا ليضربهم بالضلال بعد الهدى ، ولو كان لرسول الله ﷺ فيك رأي وعليك عزم ، ثمّ بعثه الله ، فرأى اجتماع أمته على أبي بكر ، لما سفه آراءهم ، ولا أترك عليهم ، ولا أرضاك بسخطهم ، ولأمرك باتّباعهم والدخول معهم فيما ارتضوه لدينهم .

فقال عليّ عليه السلام : مهلاً ، ثمّ قال بعد كلام : إنّ أخسر الناس صفقة عند الله من استبطن النفاق ، واحتضن الشقاق ، وفي الله خلف عن كلّ فائت ، وعوض عن كلّ ذاهب ، وسلوة عن كلّ حادث ، وعليه التوكّل في جميع الحوادث ، ارجع يا أبا حفص الى مجلسك ناقع القلب ، مبرود الغليل ، فصيح اللسان ، رحب الصدر ، متهلّل الوجه ، فليس وراء ما سمعته منّي إلاّ ما يشدّ الأزر ، ويجمع الألفة ، ويرفع الكلفة ان

شاء الله ، فانصرف عمر الى مجلسه (١) .

ومما يدل أيضاً على ما قلناه ، ما كتبه معاوية الى علي عليه السلام ، وما كتبه علي عليه السلام في جوابه ، وقد أوردت منها موضع الحاجة .

كتب معاوية : أنك كنت تقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتى تباع . يعير بهذا الكلام علياً عليه السلام بأنه لم يبايع طوعاً ، ولا رضي بيعة أبي بكر حتى استكره عليها كالجمل المخشوش اذا لم يعبر على قنطرة أو سبها ، فإنه يكره ويخش لعبر كرهاً . فكتب علي عليه السلام اليه الجواب عن هذا بما في نهج البلاغة ، وهذا اللفظ : وقلت اني كنت أقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتى أباع ، ولعمرو الله لقد أردت أن تدمّ فدمحت ، وأن تفضح فافتضحت ، وما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلوماً ما لم يكن شاكاً في دينه ، أو مرتاباً بيقينه ، وهذه حجتي الى غيرك قصدها ، ولكنني أطلقت لك منها بقدر ما سنع من ذكرها (٢) .

وقد نقل كتاب معاوية وجواب علي عليه السلام عمدة علماء المخالفين ، أعم الكوفي في تاريخه بهذه العبارة : كتب معاوية : أما بعد ، فإن الحسد عشرة أجزاء ، تسعة منها فيك ، وواحد في سائر الناس ، وذلك أنه لم يل (٣) أمور هذه الأمة أحد بعد النبي صلى الله عليه وآله إلا وله قد حسدت ، وعليه تعدّيت (٤) ، وعرفنا ذلك منك في النظر الشزر ، وقولك الهجر ، وتنفسك الصعداء ، وابطائك عن الخلفاء ، تقاد الى البيعة كما يقاد الجمل المخشوش حتى تباع وأنت كاره ، ثم اني لا أنسى فعلك بعثمان بن عفان على قلة الشرح والبيان ، والله الذي لا اله غيره لنظبن قتلة عثمان في البر والبحر

(١) شرح نهج البلاغة ١٠ : ٢٨٤ - ٢٨٥ .

(٢) نهج البلاغة ص ٣٨٧ - ٣٨٨ ، رقم الكتاب : ٢٨ .

(٣) في الفتوح : لم يكن .

(٤) في الفتوح : قد بغيت .

والجبال والرمال حتى تقتلهم أو لنلحقن أرواحنا بالله ، والسلام .

فكتب اليه علي عليه السلام : أما بعد ، فإنه أتاني كتابك تذكر فيه حسدي للخلفاء ، وابطائي عنهم ، والكره لأمرهم ، فلست أعتذر من ذلك اليك ولا الى غيرك ، وذلك أنه لما قبض النبي صلى الله عليه وآله واختلفت الأمة ، قالت قريش : منّا الأمير ، وقالت الأنصار : بل منّا الأمير ، فقالت قريش : محمد منّا ونحن أحقّ بالأمر منكم ، فسلمت الأنصار لقريش الولاية والسلطان ، فأما تستحقها قريش بمحمد عليه السلام دون الأنصار ، فنحن أهل البيت أحقّ بهذا الأمر من غيرنا .

الى قوله : وقد كان أبوك أبوسفیان جاءني في الوقت الذي بايع الناس فيه أبابكر ، فقال لي : أنت أحقّ الناس بهذا الأمر من غيرك ، وأنا يدك ^(١) على من خالفك ، وان شئت لأملأنّ المدينة خيلاً ورجلاً على ابن أبي قحافة ، فلم أقبل ذلك ، والله يعلم أنّ أباك قد فعل ذلك ، فكنت أنا الذي أبيت عليه مخافة الفرقة بين أهل الاسلام ، فان تعرف من حقّي ما كان أبوك يعرفه لي ، فقد أصبت رشدك ، وان أبيت فيها أنا قاصد اليك ، والسلام ^(٢) .

أقول : في هذا الكلام تصريح أيضاً بأنّه عليه السلام كان كارهاً لبيعة الخلفاء ولم يكن راضياً بها ، وتصريح أيضاً بأنّه عليه السلام كان يجوز عنده محاربة أبي بكر لولا خوف الفرقة بين المسلمين ، وهو دليل صريح على بطلان خلافة أبي بكر وأخويه .

ويدلّ أيضاً على ما ادّعيناه ، ما ذكره ابن أبي الحديد في شرحه : ومن كتاب معاوية المشهور الى علي عليه السلام : وأعهدك أمس تحمل قعيدة بيتك ليلاً على حمار ، ويداك في يدي ابنيك الحسن والحسين يوم يبيع أبو بكر الصديق ، فلم تدع أحداً من أهل بدر والسوابق الاّ دعوتهم الى نفسك ، ومشيت اليهم بامرأتك ، وأدليت اليهم

(١) في الفتوح : أو يدك .

(٢) الفتوح لابن أعمم الكوفي ٢ : ٥٥٨ - ٥٥٩ .

بابنيك ، واستصرتهم على صاحب رسول الله ﷺ ، فلم يجيبك منهم الا أربعة أو خمسة ، ولعمري لو كنت محققاً لأجابوك ، ولكنك ادعيت باطلاً ، وقلت ما لا يعرف ، ورمت ما لم يدرك ، ومهما نسيت فلا أنسى قولك لأبي سفيان لما حرّكك وهيّجك : لو وجدت أربعين ذوي عزم لناهضت القوم ، فما يوم المسلمين منك بواحد ، ولا بغيك من الخلفاء بطريف ولا مستبدع (١) .

ويدلّ أيضاً على ما ادّعينا من عدم رضاء علي عليه السلام بخلافة الخلفاء الثلاثة ، خطبته الموسومة بالشقشقية والمقمصة ، وهذه مشهورة معروفة بين الخاصة والعامة ، والخطبة هذه :

والله لقد تقمّصها فلان ، وأنّه ليعلم أنّ محلي منها محلّ القطب من الرحي ، ينحدر عنّي السيل ، ولا يرقى اليّ الطير ، فسدت دونها ثوباً ، وطويت عنها كشحاً ، وطفقت أرتني بين أن أصول بيد جذاء ، أو أصبر على طخية عمياء ، يهرم فيها الكبير ، ويشيب فيها الصغير ، ويكدح فيها مؤمن حتّى يلقى ربّه .
فأريت أنّ الصبر على هاتا أحجى ، فصبرت وفي العين قذى ، وفي الحلق شجى ، أرى ترائي نهباً ، حتّى مضى الأوّل لسبيله ، فأدلى بها الى فلان بعده ، ثمّ تمثّل بقول الاعشى :

شّتان ما يومي على كورها
ويوم حيان أخي جابر
فيا عجباً بينا هو يستقيلها في حياته ، اذ عقدها لآخر بعد وفاته ، لشدّ ما تشطّراً
ضرعها ، فصيرها والله في حوزة خشنا ، يغلظ كلمها ، ويخشن مسّها ، ويكثر
العتار فيها ، والاعتذار منها ، فصاحبها كراكب الصعبة ، ان أشق لها خرم ، وان
أسلس لها تقمّم ، فني الناس لعمرو الله بجنب وشماس ، وتلوّن واعتراض .

فصبرت على طول المدّة ، وشدة المحنة ، حتّى اذا مضى لسبيله ، جعلها في جماعة

زعم أني أحدهم ، فيالله وللشورى ، متى اعترض الريب في مع الأوّل منهم ، حتّى صرت أقرن الى هذه النظائر ، لكنّي أسففت اذ سَفَواً ، وطرت اذ طاروا ، فصنّى رجل منهم لضغنه ، ومال الآخر لصهره ، مع هنٍ وهنٍ ، الى أن قام ثالث القوم نافجاً حضييه ، بين نثيله ومعتلفه ، وقام معه بنو أميّة يخضمون مال الله خضم الابل نبتة الربيع ، الى أن انتكث عليه فتله ، وأجهز عليه عمله ، وكبت به بطنته .

فما راعني الآ والناس اليّ كعرف الضبع اليّ ، ينثالون عليّ من كلّ جانب ، حتّى لقد وطىء الحسنان ، وشقّ عطفائي ، مجتمعين حولي كربيضة الغنم ، فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة ، ومرقت أخرى ، وقسط آخرون ، كأنهم لم يسمعوا كلام الله حيث يقول ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين ﴾ بلى والله لقد سمعوها ووعوها ، ولكّهم حليت الدنيا في أعينهم ، وراقهم زيرجها .

أما والذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة ، لولا حضور الحاضر ، وقيام الحجّة بوجود الناصر ، وما أخذ الله على العلماء ألاّ يقارّوا على كظّة ظالم ، ولا سغب مظلوم ، لألقيت حبلها على غاربها ، ولسقيت آخرها بكأس أوّلها ، ولأفقيتم دنياكم هذه أهون عندي من عطفة عنز .

قالوا : وقام اليه رجل من أهل السواد عند بلوغه الى هذه الموضع من خطبته ، فناوله كتاباً ، فأقبل ينظر فيه ، فلما فرغ من قراءته قال له ابن عبّاس رحمة الله عليه : يا أمير المؤمنين لو اطّردت مقالتيك ^(١) من حيث أفضيت ، فقال : هيهات يابن عبّاس تلك شقشقة هدرت ثمّ قرّت ، قال ابن عبّاس : فوالله ما أسفت على كلام قطّ كأسفي على هذا الكلام ألاّ يكون أمير المؤمنين عليه السلام بلغ منه حيث أراد ^(٢) .

(١) في النهج : خطبتك .

(٢) نهج البلاغة ص ٤٨ - ٥٠ ، رقم الخطبة : ٣ .

قوله « تقمّصها » أي : لبسها كالقميص . وقطب الرحى مسبارها الذي عليه تدور . وسدلت الثوب أرخيته . والكشع الحاصرة . وطويت كشحاً ، أي : أعرضت جانباً . وطفقت أرثني ، أي : جعلت أتفكّر . وصال ، أي : حمل .

ويد حدّاء بالمهملة والمعجمة : مقطوعة أو مكسورة . والطخية : الظلمة و الهرم : شدّة كبر السنّ . والكدح : السعي . وهاتا اسم الاشارة . وأحجى : أولى بالحجى وهو العقل . والقذى وهو ما يتأذى به العين من غبار ونحوه .

والشجى : ما نشب في الحلق من غصّة غبن أو عمّ . والتراث : الميراث . وأدلى بكذا ألقاه . شتّان ما يومي ، أي : بعد بين يومي . وكور الناقة رحلها . هذا الشاعر كان نديماً لحَيّان يقول : بعد بين يوم ركوبي على رحل الناقة مع التعب والمشقة ، وبين يوم مجالستي حيّان مع راحة ونعمة .

والاقالة : فكّ البيع ونحوه ، والاستقالة طلبه . وشدّ الأمر صعب وعظم . وتشطّراً أي أخذ كلّ واحد منهما شطراً أي بعضاً . والحوزة : الطبيعة . والكلم : الجرح . وعثر اذا أصابت رجله في المشي حجراً ونحوه . والصعبة : الناقة التي لم تذلل .

وشنق الناقة بالزمام وأشنق لها اذا أجذبه الى نفسه وهو راكب ليمسكها عن الحركة العنيفة . وحزم أي : شقّ أنفها . وأسلس لها أي : أرخى . وتقحّم في الأمر اذا ألقى نفسه بقوة و منى الناس أي ، ابتلوا . والخطب : الحركة على غير استقامة . والشماس بكسر الشين كثرة نفار الدابة . والتلونّ : اختلاف الأحوال . والاعتراض هو المشي في عرض الطريق .

الشورى مصدر بمعنى المشاورة . وأسف الطائر اذا دنا من الأرض في طيرانه . والصغو والضغن : الحقد ، والذي صغا ومال عنه ^{عائلاً} وتخلّف عن بيعته لضغنه هو سعد بن أبي وقاص ، والذي مال الى عثمان لمصاهرة بينه وبين عثمان هو عبد الرحمن بن عوف زوج أخت عثمان لأمه .

وهنّ على وزن أخ ، كلمة كناية عن شيء ، يريد أنّ ميله الى عثمان لا بمجرد

المصاهرة بل لأشياء آخر . وثالث القوم عثمان . والحضن : الجانب . والنفخ كالنفخ .
والنثيل الروث . والمعتلف موضع الاعتلاف . والمخضم الأكل بجميع الفم ، وقيل :
المضغ بأقصى الأضراس .

والنبتة بكسر النون النبات ، فشبهه عليه السلام عثمان بالبعير ، واستعار وصفه له وهو نفخ
جنبيه بكثرة الأكل والشرب ، وكذا شبهه عليه السلام بني أمية بالأبصرة في أكل مال المسلمين .
وانتكت انتقض قتله ، أي : ما كان يبرمه من الآراء . وأجهز على الجريح قتله
وأسرع . وكبا الفرس سقط لوجهه . والبطنة شدة الامتلاء من الطعام . والروع الخلد
والذهن ، وراعي أفرعني . وانتثال الشيء اذا وقع يتلو بعضه بعضاً . والعطاف
الرداء ، وروي عطفاي ، وعطفا الرجل جانباه .

والرييض والريضة : الغنم برعاتها المجتمعة في مراتبها . ومروق السهو خروجه
من الرمية . والزبرج بكسر الزاي والراء الزينة . والنسمة : الانسان . والمقارة : اقرار
كل واحد صاحبه على الأمر . والكظة : البطنة . والسغب : الجوع . والغارب : أعلى
كتف الناقة ، والضمير في حبلها وغاربها للخلافة .

والعفظة قيل : العطسة من الشاة ، وقيل : هي الحبقة أي : الضرطة . والشقشقة :
اللحمة التي تخرج من فم البعير عند هياجه ، ويقال للخطيب ذو شقشقة اذا كان
صاحب ذربة من الكلام .

أقول : بعض أهل السنة من قلة التتبع حسب أن شكايات أمير المؤمنين عليه السلام
وتظلماته منحصرة في هذه الخطبة ، فأنكروها ونسبوا الى السيد الثقة الصالح
الأمين رضي الدين ، ولم يعرفوا أن عليه السلام تجاوزت حد التواتر ، وصارت من
أجلى الضروريات ، ولم يعلموا أن هذه الخطبة الشريفة مع كونها في الفصاحة في
درجة لا يشبهها كلام بشر من المشهورات .

اعلم أن هذه الخطبة ممن رواه من رجال المخالفين الحسن بن عبد الله بن

مسعود^(١) العسكري في كتاب معاني الأخبار ، وتاريخ الفراغ منه قبل تاريخ ميلاد السيد الرضي ؛ لأنَّ تاريخ الفراغ منه احدى وثلاثين وثلاثمائة ، وتاريخ الميلاد سنة تسع وخمسين وثلاثمائة^(٢) .

وقال الشيخ الفاضل الكامل ثقة الاسلام والمسلمين ميثم بن علي البحراني في شرحه على نهج البلاغة : وقد وجدتها في موضعين ، تاريخها قبل مولد الرضي بمدة ، أحدهما أنها مضمَّنة كتاب الانصاف لأبي جعفر بن قبة تلميذ أبي القاسم الكعبي أحد شيوخ المعتزلة ، وكانت وفاته قبل مولد الرضي . الثاني أني وجدتها بنسخة عليها خطَّ الوزير أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات ، وكان وزير المقتدر بالله ، وذلك قبل مولد الرضي بنيف وستين سنة ، والذي يغلب على ظني أن تلك النسخة كانت قبل وجود ابن الفرات بمدة .

وروي عن مصدِّق بن شبيب النحوي ، قال : لما قرأت هذه الخطبة على شيخي أبي محمد بن الخشاب ، ووصلت الى قول ابن عباس « ما أسفت على شيء قطَّ كأسفي على هذا الكلام » قال : لو كنت حاضراً لقلت لابن عباس : وهل ترك ابن عمك في نفسه شيئاً لم يقله في هذه الخطبة ، فإنه ما ترك لا للأولين ولا للآخرين .

قال مصدِّق : وكانت فيه دعاية ، فقلت له : يا سيدي فلعلها منحولة اليه ، فقال : لا والله اني أعرف أنها من كلامه كما أعرف أنك مصدِّق ، قال فقلت له : انَّ الناس ينسبونها الى الشريف الرضي ، فقال : لا والله ومن أين للرضي هذا الكلام وهذا الأسلوب ؟ فقد رأينا كلامه في نظمه ونثره لا يقرب من هذا الكلام ، ولا ينتظم في سلكه ، على أني قد رأيت هذه الخطبة بخطوط العلماء الموثوق بنقلهم من قبل أن

(١) في الطرائف : سعيد .

(٢) الطرائف ص ١٧٤ عنه .

يخلق أبو الرضيّ فضلاً عنه^(١). انتهى كلامه .

ثمّ اعلم أنّ ابن أبي الحديد بعد ما نقل حكاية مصدّق وابن الخشاب ، قال : قلت : وقد وجدت أنا كثيراً من هذه الخطبة في تصانيف شيخنا أبي القاسم البلخي امام البغداديين من المعتزلة ، وكان في دولة المقتدر قبل أن يخلق الرضيّ بمدة طويلة .

ووجدت أيضاً كثيراً منها في كتاب أبي جعفر بن قبة ، أحد متكلمي الامامية ، وهو الكتاب المعروف بكتاب الانصاف ، وكان أبو جعفر هذا من تلامذة الشيخ أبي القاسم البلخي ، ومات في ذلك العصر قبل أن يكون الرضيّ رحمته الله موجوداً^(٢) .

ومما يدلّ أيضاً على ما ادّعينا ما ذكره ابن أبي الحديد ، قال : وروى الشعبي ، عن شريح بن هاني ، قال : قال علي عليه السلام : اللهم اني أستعديك على قريش ، فاتهم قطعوا رحمي ، ووضعوا انائي ، وصعروا عظيم منزلي ، وأجمعوا على منازعتي .

وروى جابر عن أبي الطفيل ، قال : سمعت علياً عليه السلام يقول : اللهم اني أستعديك على قريش ، فاتهم قطعوا رحمي ، وغصبوني حقّي ، وأجمعوا على منازعتي أمراً كنت أولى به^(٣) .

وروى جابر الجعفي عن محمد بن علي عليه السلام ، قال : قال لي علي عليه السلام : ما رأيت منذ بعث الله محمداً صلوات الله عليه وآله رخاءً ، لقد أخافتني قريش صغيراً ، وأنصبتني كبيراً ، حتى قبض رسول الله صلوات الله عليه وآله ، فكانت الطامة الكبرى ، والله المستعان على ما يصفون^(٤) .

ومما يدلّ أيضاً على ما ادّعينا ، ما في كتاب نزهة الأبرار وغيره من كتب أهل السنة ، أنّ علياً عليه السلام قال : اني لم أزل مظلوماً في صغري وكبري ، فقيل له : قد عرفنا

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني ١ : ٢٥٢ - ٢٥٣ ط طهران .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ : ٢٠٥ - ٢٠٦ .

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤ : ١٠٤ .

(٤) شرح نهج البلاغة ٤ : ١٠٨ .

ظلمهم ايتاك في كبرك ، فما كان ظلمهم ايتاك في صغرك ؟ فقال : انّ عقيلاً كان في عينه وجع ، وكانت الوالدة كلّها أرادت أن تذر في عينه وزوراً امتنع عليها ، وقال : ابدئي بعلي ، فكانت الوالدة تذر في عيني وزوراً من غير وجع (١) .

ومما يدلّ أيضاً على ما ادّعيناه ، ما أخرجه ابن قتيبة في كتابه ، أنّ عليّاً عليه السلام قال للحسن عليه السلام حين نصّ أبو بكر على عمر : ما زلت مظلوماً منذ هلك جدك (٢) . نقله صاحب الصراط المستقيم عنه (٣) .

ومما يدلّ أيضاً على ما ادّعيناه ، ما رواه الشعبي ، عن شريح بن هاني قول علي عليه السلام : انّ عندي من نبيّ الله عهداً ليس لي أن أخالفه ، ولو خرموا أنفي ، فلما بويع لأبي بكر أمسكت يدي ، فلما ارتدّ قوم خشيت تلم (٤) الاسلام ، فبايعت لثلاثاً يبئد الاسلام ، ورأيت ذلك أعظم من فوت ولاية أيام قلائل ، نقله أيضاً صاحب الصراط المستقيم (٥) .

ومما يدلّ أيضاً على ما ادّعيناه ، ما رواه البلاذري من قول علي عليه السلام لعمر لما بايع أبا بكر : احلب حلباً لك شطره ، أشدد له اليوم يرده عليك غداً (٦) .

ومما يدلّ أيضاً على ما ادّعيناه ، قوله عليه السلام : قتت بالأمر حين فشلوا ، وتطلّعت حين تقبّعوا ، ونطقت حين تعتصوا ، ومضيت بنور الله حين وقفوا ، وكنت أخفضهم صوتاً ، وأعلاهم فوتاً ، فظفرت (٧) بعنانها ، واستبددت برهانها ، كالجبل لا تحركه

(١) لم أعثر على كتاب نزهة الأبرار .

(٢) بحار الأنوار ٢٩ : ٦٢٨ عن الامامة والسياسة لابن قتيبة ص ٤٩ .

(٣) الصراط المستقيم ٣ : ١١٤ .

(٤) في الصراط : ثلثة .

(٥) الصراط المستقيم ٣ : ١١١ .

(٦) الصراط المستقيم ٣ : ١١١ عنه .

(٧) في النهج : فظرت .

القواصف ، ولا تزيله العواصف ، لم يكن لأحد في مهمز ، ولا لقائل في معمز ، الذليل عندي عزيز حتى أخذ الحق له ، والقوي عندي ضعيف حتى أخذ الحق منه ، رضينا عن قضاءه ، وسلّمنا لله أمره ، أتراني أكذب على رسول الله ﷺ ، والله لأننا أول من صدّقه ، فلا أكون أول من كذب عليه ، فنظرت في أمري ، فاذا طاعتي قد سبقت بيعتي ، واذا الميثاق في عنقي لغيري ^(١) .

ولا ريب في دلالة هذا الكلام على ذمّ من تقدّم عليه ، وعلى أن وجوب طاعة علي عليه السلام سبقت البيعة ، ولاشك أن أخذ البيعة منه عليه السلام مع سبق وجوب اطاعته ظلم وكفر .

قال ابن أبي الحديد بعد شرح هذا الكلام : فان قيل : فهذا تصرّح بمذهب الامامية . قلت : ليس الأمر كذلك ، بل هو تصرّح بمذهب أصحابنا من البغداديين ؛ لأنهم يزعمون أنه الأفضل والأحقّ بالامامة ، وأنه لولا ما يعلمه الله ورسوله من أن الأصلح للمكلفين تقديم المفضل عليه ، لكان من تقدّم عليه هالكاً ، فرسول الله ﷺ أخبره أن الامامة حقّه ، وأنه أولى بها من الناس أجمعين ، وأعلمه أن في تقديم غيره عليه وصبره على التأخّر عنها مصلحة للدين راجعة الى المكلفين ، وأنه يجب عليه أن يمسك عن طلبها ويغضي عنها لمن هو دون مرتبته ، فامتثل ما أمره به رسول الله ﷺ ، ولم يخرجته تقدّم من تقدّمه عليه من كونه الأفضل والأولى والأحقّ .

وقد صرّح شيخنا أبو القاسم البلخي بهذا ، وصرّح به تلامذته وقالوا : لو نازع عقيب وفاة رسول الله ﷺ وسلّ سيفه ، لحكمتنا بهلاك كلّ من خالفه وتقدّم عليه ، وحكمتنا بهلاك من نازعه حين أظهر نفسه ، ولكنته مالك الأمر وصاحب الخلافة اذا طلبها ، وجب علينا القول بتفسيق من ينازعه فيها ، واذا أمسك منها وجب علينا

(١) نهج البلاغة ص ٨٠ - ٨١ ، رقم الخطبة : ٣٧ .

القول بعدالة من أغضى له عليها ، وحكمه في ذلك حكم رسول الله ﷺ ؛ لأنه قد ثبت عنه في الأخبار الصحيحة أنه قال : علي مع الحقّ والحقّ مع علي يدور حيثما دار . وقال له غير مرّة : حربك حربي وسلمك سلمي . وهذا المذهب هو أعدل المذاهب عندي وبه أقول^(١) . انتهى .

أقول : ما ذكره هذا الزايغ عن الصواب غير موجّه ؛ لأنه اذا سبق وجوب طاعته ﷺ كيف يجوز أن يؤخذ منه البيعة ؟ ولو كان الأمر كما زعم من أن بيعته كانت مصلحة للدين ، لسبق الكلّ في بيعة أبي بكر ، ولما كان يتخلف عنه طرفة عين ، ولما كان يبلغ الأمر الى احراق البيت والتهديد والوعيد ، ولما كان يتظلم ﷺ مراراً على رؤوس الناس ؛ لأنه ﷺ أزهد الزهّاد ، وأعلم العلماء ، وأفضل الفضلاء ، وأشدّ الناس حبّاً لمصالح الدين ، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم .

ومما يدلّ أيضاً على ما ادّعينا من عدم وقوع الاجماع ، ما نقل السيّد الشريف المرتضى ، عن أبي نعيم الفضل بن دكين ، عن عمر بن أبي مسلم ، قال : كتنا جلوساً عند جعفر بن عمرو بن حريث ، فقال : حدّثني والذي أنّ عليّاً ﷺ لم يقيم مرّة على المنبر الآ قال في آخر كلامه قبل أن ينزل : ما زلت مظلوماً منذ قبض الله نبيّه ﷺ^(٢) .

وما نقل ﷺ عن أبي اسحاق ابراهيم بن سعيد الثقفى بسنده ، عن عبد الرحمن بن أبي بكر ، قال : سمعت عليّاً ﷺ يقول على المنبر : قبض رسول الله ﷺ وما في الناس أحد أحقّ بهذا الأمر منّي^(٣) .

وما نقل ﷺ عن ابراهيم الثقفى بسنده ، عن جعفر بن عمرو بن حريث ، عن أبيه ،

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢ : ٢٩٦ - ٢٩٧ .

(٢) الشافي في الامامة للسيّد الشريف المرتضى ٣ : ٢٢٣ - ٢٢٤ .

(٣) الشافي ٣ : ٢٢٣ .

قال : سمعت علياً عليه السلام يقول : ما زلت مظلوماً منذ قبض الله نبيّه الى يوم الناس هذا^(١).

وما نقل أيضاً عن ابراهيم بسنده ، عن المسيّب بن نجبة ، قال : بينما علي عليه السلام يخطب وأعرابي يقول : وامظلمتاه ، فقال عليه السلام : أدن ، فدنا ، فقال : لقد ظلمت عدد المدر والوبر^(٢) . وفي هذا المعنى روى رواية أخرى عن عبّاد^(٣) .

ومما يدلّ أيضاً على ما ادّعيناه ، كلام له عليه السلام لبعض أصحابه وقد سأله : كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحقّ به ؟ فقال عليه السلام : يا أبا بني أسد أنك لقلق الوضين ، ترسل في غير سدد ، ولك بعد ذمامة الصهر وحقّ المسألة ، وقد استعلمت فاعلم ، أمّا الاستبداد علينا بهذا المقام ونحن الأعلون نسباً ، والأشدّون بالرسول نوطاً ، فأنما كانت أثره شحّت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس آخرين ، والحكم الله ، والمعود اليه يوم القيامة الى آخر الخطبة^(٤) .

الشرح : الوضين بطان القتب ، وحزام السرج ، ويقال للرجل المضطرب في أمره : أنّه لقلق الوضين ، وذلك أنّ الوضين اذا قلق اضطرب القتب والهودج والسرج ومن عليه . وترسل في غير سدد ، أي : يتكلّم في غير قصد وفي غير صواب ، والسدد والسداد كالاستقامة والصواب . وذمامة الصهر بالكسر أي : حرمة .

قال ابن أبي الحديد بعد شرح هذه الخطبة : وسألت أبا جعفر يحيى بن محمّد العلوي نقيب البصرة وقت قراءتي عليه عن هذا الكلام ، وكان على ما يذهب اليه من

(١) الشافي ٣ : ٢٢٣ .

(٢) الشافي ٣ : ٢٢٣ .

(٣) الشافي ٣ : ٢٢٤ .

(٤) نهج البلاغة ص ٢٣١ رقم الكلام : ١٦٢ .

مذاهب العلوية منصفاً وافر العقل ، فقلت له : من يعني عليه السلام بقوله « كانت أثرة شحت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس آخرين » ومن القوم الذين عناهم الأسدي بقوله « كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحقّ به ؟ » هل المراد يوم السقيفة أو يوم الشورى ؟ فقال : يوم السقيفة .

فقلت : انّ نفسي لا تسامحني أن أنسب الى الصحابة عصيان الرسول صلى الله عليه وآله ودفع النصّ ، فقال : وأنا فلا تسامحني أيضاً نفسي أن أنسب الرسول صلى الله عليه وآله الى اهمال أمر الامامة ، وأن يترك الناس فوضى سدئ مهملين ، وقد كان لا يغيب عن المدينة الاّ ويؤمر عليها أميراً وهو حيّ ليس بالبعيد عنها ، فكيف لا يؤمر وهو ميت لا يقدر على استدراك ما يحدث .

ثم قال : ليس يشكّ أحد من الناس أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان عاقلاً كاملاً العقل . أمّا المسلمون ، فاعتقادهم فيه معلوم . وأمّا اليهود والنصارى والفلاسفة ، فيزعمون أنه حكيم تامّ الحكمة ، سديد الرأي ، أقام ملّة ، وشرع شريعة ، فاستجدّ ملكاً عظيماً بعقله وتدييره .

وهذا الرجل العاقل الكامل يعرف طباع العرب وغرائزهم وطلبهم بالثارات والذحول ، ولو بعد الأزمان المتطاولة ، ويقتل الرجل من القبيلة رجلاً من بيت آخر ، لا يزال أهل ذلك المقتول وأقاربه يتطلّبون القاتل ليقتلوه ، حتّى يدركوا ثأرهم منه ، فان لم يظفروا عليه قتلوا بعض أقاربه وأهله ، فان لم يظفروا قتلوا واحداً وجماعة من تلك القبيلة به ، وان لم يكونوا رهطه الأذنين ، والاسلام لم يحل طبائعهم ، ولا غير هذه السجية المركوزة في أخلاقهم والغرائز مجالها .

وكيف يتوهم لبيب أنّ هذا العاقل الكامل وتر العرب ، وعلى الخصوص قريشاً ، وساعده على سفك الدماء ، وازهاق الأنفس ، وتقلّد الضغائن ، ابن عمّه الأذنى وصهره ، وهو يعلم أنه سيموت كما يموت الناس ، ويتركه بعده وعنده ابنته ، وله منها ابنان مجريان عنده مجرى ابنين من ظهره ، حنواً عليها ، ومحبة لها ، ويعدل عنه في

الأمر بعده ، ولا ينصّ عليه ولا يستخلفه ، فيحقن دمه ودم بنيه وأهله باستخلافه .
 ألا يعلم هذا العاقل أنه اذا تركه وترك بنيه وأهله سوقة ورعيّة ، فقد عرض
 دمائهم للاراقة بعده ، بل يكون هو عليه السلام الذي قتلهم ، وأشاط ^(١) بدمائهم ؛ لأنهم لا
 يعتصمون بعده بأمر يحميمهم ، وأنما يكونون مضغة للآكل ، وفريسة للمفترس ،
 يتخطفهم الناس ، وتبلغ فيهم الأغراض ، فأما اذا جعل السلطان فيهم والأمر اليهم ،
 فإنه يكون قد عصمهم وحقن دمائهم بالرئاسة التي يصلون بها ويرتدع الناس
 عنهم لأجلها ، ومثل هذا معلوم بالتجربة .

ألا ترى أن ملك بغداد أو غيرها من البلاد لو قتل الناس وترهم ، وأبقى في
 نفوسهم الأحقاد العظيمة عليه ، ثم أهمل أمر ولده وذريّته من بعده ، وفسح للناس
 أن يقيموا ملكاً من عرضهم وواحداً منهم ، وجعل بنيه سوقة كبعض العامة ، لكان
 بنوه بعده قليلاً بقاءهم ، سريعاً هلاكهم ، ولو ثب عليهم الناس ذوو الأحقاد
 والترات من كلّ جهة يقتلونهم ويشردونهم كلّ مشرد ، ولو أنه عين ولدان من أولاده
 للملك ، وقام خواصّه وخدمه وقومه ^(٢) بأمره بعده ، لحقنت دماء أهل بيته ، ولم
 تظل يد أحد من الناس اليهم لنا موسى الملك ، وأبهة السلطنة ، وقوة الرئاسة ،
 وحرمة الامارة .

أفترى ذهب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا المعنى ، أم أحبّ أن يستأصل أهله وذريّته
 من بعده ؟ وأين موضع الشفقة على فاطمة العزيزة عنده الحبيبة الى قلبه ؟
 أتقول : أنه أحبّ أن يجعلها كواحدة من فقراء المدينة تتكفّف الناس ، وأن يجعل
 علياً المكرّم المعظّم عنده ، الذي كانت حاله معه معلومة ، كأبي هريرة الدوسي ،
 وأنس بن مالك الأنصاري ، يحكّم الأمراء في دمه وعرضه ونفسه وولده ، فلا

(١) أشاط بدمائهم : أهدرها ، أو عمل على هلاكها .

(٢) في المصدر : وخوله .

يستطيع الامتناع ، وعلى رأسه مائة ألف سيف مسلول ، تتلظى أكباد أصحابها عليه ، ويودون أن يشربوا دمه بأفواههم ، ويأكلوا لحمه بأسنانهم ، وقد قتل أبناءهم واخوانهم وآباءهم وأعمامهم ، والعهد لم يطل ، والقروح لم تتقرّف (١) ، والجروح لم تندمل .

فقلت له : لقد أحسنت فيما قلت ، الآن لفظه عليه السلام يدلّ على أنّه لم يكن نصّ عليه ، ألا تراه يقول : ونحن الأعلون نسباً ، والأشدون بالرسول نوطاً . فجعل الاحتجاج بالنسب وشدة القرب ، فلو كان عليه نصّ لقال عوض ذلك : وأنا المنصوص عليّ المخطوب باسمي .

فقال : أمّا أتاه من حيث يعلم ، لا من حيث يجهل ، ألا ترى أنّه سأله ، فقال : كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحقّ به ؟ فهو أمّا سأل عن دفعهم عنه وهو أحقّ به من جهة اللحمه والعتره ، ولم يكن الأسدي يتصوّر النصّ ولا يعتقدده ، ولا يخاطر بياله ؛ لأنّه لو كان هذا في نفسه لقال له لم دفعك الناس عن هذا المقام وقد نصّ عليك رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ ولم يقل له هذا ، وأمّا قال كلاماً عاماً لبني هاشم كافة : كيف دفعكم قومكم عن هذا وأنتم أحقّ به ، أي باعتبار الهاشميّة والقربى ، فأجابه بجواب أعاد قبله المعنى الذي تعلق به الأسدي بعينه تمهيداً للجواب ، فقال : أمّا فعلوا ذلك مع أنا أقرب الى رسول الله صلى الله عليه وآله من غيرنا ؛ لأنهم استأثروا علينا .

ولو قال له : أنا المنصوص عليّ ، والمخطوب باسمي في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله لما كان قد أجابه ؛ لأنّه ما سأله هل أنت منصوص عليك أم لا ؟ ولا هل نصّ رسول الله صلى الله عليه وآله بالخلافة على أحد أم لا ؟ وأمّا قال : لم دفعكم قومكم عن الأمر وأنتم أقرب الى يبنوعه ومعدنه منهم ؟ فأجابه جواباً ينطبق على السؤال ويلائمه ، وأيضاً فلو أخذ يصرّح له بالنصّ ويعرّفه تفاصيل باطن الأمر ، لنفر عنه وآتهمه ولم

(١) تقرّف الجرح : طلعت فوّه قشرة ، أي : شارف البرء .

يقبل قوله ، ولم ينجذب الى تصديقه ، وكان أولى الأمور في حكم السياسة وتدبير الناس أن يجيب بما لا نفرة منه ، ولا مطعن عليه فيه ^(١) .

ومما يدل أيضاً على ما ادعينا ، ما نقله ابن أبي الحديد في شرحه ، قال : قال المدائني : وكتب الحسن عليه السلام الى معاوية : من عبد الله الحسن أمير المؤمنين الى معاوية بن أبي سفيان ، أما بعد فإن الله بعث محمداً رحمة للعالمين ، فأظهر به الحق ، وقمع به الشرك ، وأعز به العرب عامة ، وشرف به قريشاً خاصة ، فقال ﴿ وأنه لذكر لك ولقومك ﴾ ^(٢) فلما توفاه الله تنازعت العرب بعده ، فقالت قريش : نحن عشيرته وأولياؤه ، فلا تنازعوا سلطانه ، فعرفت العرب لقريش ذلك ، وجاحتنا قريش لما عرفت لها العرب ، فهيهات ما أنصفتنا قريش الى آخر كلامه عليه السلام ^(٣) .

قال : وكتب الحسن عليه السلام الى معاوية مع حرب بن عبد الله الأزدي : من الحسن بن علي أمير المؤمنين الى معاوية بن أبي سفيان ، سلام عليك ، فإني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو ، أما بعد ، فإن الله جلّ جلاله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ، ومته على المؤمنين ، وكافة للناس أجمعين ، لينذر من كان حياً ويحقّ القول على الكافرين ، فبلغ رسالات الله ، وقام بأمر الله حتى توفاه الله ، غير مقصر ولا وان ، بعد أن أظهر الله به الحق ، ومحق به الشرك ، وخصّ به قريشاً خاصة ، فقال له ﴿ وأنه لذكر لك ولقومك ﴾ .

فلما توفي تنازعت سلطانه العرب ، فقالت قريش : نحن قبيلته وأسرته وأولياؤه ، ولا يحلّ لكم أن تنازعونا سلطان محمد وحقه ، فرأت العرب أن القول ما قالت قريش ، وأن الحجة لهم في ذلك على من نازعهم أمر محمد ، فأنعمت لهم ، وسلّمت

(١) شرح نهج البلاغة لابن الحديد ٩ : ٢٤٨ - ٢٥١ .

(٢) الزخرف : ٤٤ .

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦ : ٢٤ .

اليهم ، ثم حاجنا نحن قريشاً بمثل ما حاجت به العرب ، فلم تنصفنا قريش انصاف العرب لها ، وأتهم أخذوا هذه الأمر دون العرب بالانصاف والاحتجاج .
 فلما صرنا أهل بيت محمد ﷺ وأولياؤه الى محاجتهم ، وطلب النصف منهم باعدونا ، واستولوا بالاجتماع ^(١) على ظلمنا ، ومرأعمتنا ، والعنت منهم لنا ، فالموعد الله وهو الولي النصير .

ولقد تعجبنا لتوئب المتوئبين علينا في حقنا وسلطان نبينا ، وان كانوا ذوي فضيلة وسابقة في الاسلام ، وأمسكنا عن منازعتهم مخافة على الدين ، أن يجد المنافقون والأحزاب في ذلك مغمزاً يثلمونه ، أو يكون لهم بذلك سبب الى ما أرادوا من افساده .

فالיום فليتعجب المتعجب من توئبك يا معاوية على أمر لست من أهله ، لا بفضل في الدين معروف ، ولا أثر في الاسلام محمود ، وأنت ابن حزب من الأحزاب ، وابن أعدى قريش لرسول الله ﷺ ولكتابه ، والله حسبك ، فسترد فتعلم لمن عقبى الدار ، وبالله لتلقين عن قليل ربك ثم ليجزينك بما قدمت يدك ، وما الله بظلام للعبيد .

انّ علياً عليه السلام لما مضى لسبيله - رحمة الله عليه يوم قبض ويوم من الله عليه بالاسلام ويوم بيعت حياً - ولأني المسلمون الأمر بعده ، فأسأل الله أن لا يؤتينا في الدنيا الزائلة شيئاً ينقصنا به في الآخرة مما عنده من كرامته .

وأما حملني على الكتاب اليك الاعذار فيما بيني وبين الله عز وجل في أمرك ، ولك في ذلك ان فعلته الحظّ الجسيم ، والصلاح للمسلمين ، فدع التمادي في الباطل ، وادخل فيما دخل فيه الناس من بيعتي ، فأنت تعلم أنّي أحقّ بهذا الأمر منك عند الله ، وعند كلّ أوّاب حفيظ ، ومن له قلب منيب ، واتفق الله ودع البغي ، واحقن دماء

المسلمين ، فوالله مالك خير في أن تلقى الله من دمائهم بأكثر مما أنت لاقيه به ،
وادخل في السلم والطاعة ، ولا تنازع الأمر أهله ومن هو أحقّ به منك ، ليطفيء الله
النائرة بذلك ، ويجمع الكلمة ، ويصلح ذات البين ، وان أنت أبيت إلاّ التماذي في غيِّك
سرت اليك بالمسلمين ، فحاكمتك حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين .

فكتب معاوية اليه : من عبد الله معاوية أمير المؤمنين الى الحسن بن علي ، سلام
عليك ، فاني أحمد الله الذي لا اله الا هو ، أما بعد ، فقد بلغني كتابك ، وفهمت ما
ذكرت به محمداً رسول الله ﷺ من الفضل ، وهو أحقّ الأولين والآخريين بالفضل
كله قديمه وحديثه ، وصغيره وكبيره ، قد والله بلغ وأدّى ونصح وهدى ، حتى أنقذ
الله به من الهلكة ، وأثار به من العمى ، وهدى به من الجهالة والضلالة ، فجزاه الله
بأفضل ما جزا نبياً عن أمته ، وصلوات الله عليه يوم ولد ويوم بعث ويوم قبض
ويوم يبعث حياً .

وذكرت وفاة النبي ﷺ وتنازع المسلمين الأمر بعده ، وتغلّبهم على أبيك ،
فصرّحت بتهمة أبي بكر الصديق ، وعمر الفاروق ، وأبي عبيدة الأمين ، وحواري
رسول الله ، وصلحاء المهاجرين والأنصار ، فكرهت ذلك لك ، أنك امرئ عندنا
وعند الناس غير الظنين ولا المسيء ولا اللئيم ، وأنا أحبّ لك القول السديد والذكر
الجميل (١) .

ومما يدلّ أيضاً على ما ادّعيناه ، ما رواه ابن أبي الحديد في شرحه عن الكلبي ،
قال : لما أراد علي عليه السلام المسير الى البصرة ، قام فخطب الناس ، فقال بعد أن حمد الله
وصلى على رسوله : انّ الله لما قبض نبيّه استأثرت علينا قريش بالأمر ، ودفعتنا عن
حقّ نحن أحقّ به من الناس كافة ، فرأيت أنّ الصبر على ذلك أفضل من تفريق كلمة
المسلمين ، وسفك دمائهم ، والناس حديثوا عهد بالاسلام ، والدين يمخض مخض

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦ : ٣٣ - ٣٥ .

الوطب ، يفسده أدنى وهن ، ويعكسه أقلّ خلف ، فولي الأمر قوم لم يألوا في أمرهم اجتهاداً ، ثم انتقلوا الى دار الجزاء ، والله ولي تمحيص سيئاتهم ، والعفو عن هفواتهم ، الخطبة (١) .

ومما يدلّ أيضاً على ما ادّعيناه ، ما رواه ابن أبي الحديد في شرحه ، عن أبي الحسن علي بن محمّد المدائني ، عن عبد الله بن جنادة ، قال : قدمت من الحجاز أريد العراق في أوّل اماره علي عليه السلام ، فررت بمكة ، فاعتمرت ، ثمّ قدمت المدينة ، فدخلت مسجد رسول الله ﷺ اذ نودي : الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس ، وخرج علي عليه السلام متقلداً سيفه ، فشخصت الأبصار نحوه ، فحمد الله وصلّى على رسوله .

ثمّ قال : أمّا بعد ، فإنّه لما قبض الله نبيّه ﷺ قلنا : نحن أهله وورثته وعترته وأولياؤه دون الناس ، لا ينازعنا سلطانه أحد ، ولا يطمع في حقنا طامع ، اذ انبرى لنا قومنا ، فغصبونا سلطان نبيّنا ، فصارت الامرة لغيرنا ، وصرنا سوقة ، يطمع فينا الضعيف ، ويتعزّز علينا الذليل ، فبكت الأعين متاً لذلك ، وخشيت الصدور ، وجزعت النفوس ، وأيم الله لولا مخافة الفرقة من المسلمين ، وأن يعود الكفر ويبور الدين ، لكنّا على غير ما كنّا لهم عليه ، فولّى الأمر ولالة لم يألوا الناس خيراً ، ثمّ استخرجتموني أيها الناس من بيتي فبايعتموني ، الخطبة (٢) .

ويدلّ أيضاً على ما قلناه ، قوله عليه السلام المذكور في نهج البلاغة : قد خاضوا بحار الفتن ، وأخذوا بالبدع دون السنن ، وأررز^(٣) المؤمنون ، ونطق الضالّون المكذّبون ، نحن الشعار والأصحاب والحزنة والأبواب ، ولا تؤقّي البيوت الآ من أبوابها ، فمن

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ : ٣٠٨ .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ : ٣٠٧ .

(٣) أرز يأرز بكسر الراء في المضارع أي اتقبض وثبت ، وأرزت الحيّة لاذت ببحرها ورجعت اليه .

أتاها من غير أبوابها سمي سارقاً^(١).

ووجه الدلالة: أنَّ المستفاد من كلامه عليه السلام أنه لا يجوز الاتيان الى غيره وأولاده لأخذ العلم والقضايا والأحكام ، وأنَّ من تركهم وتولَّى الثلاثة وأخذ عنهم ، فهو بمنزلة السارق .

ومما يدلُّ أيضاً على ما ادَّعينا ، خطبته عليه السلام التي خطب بها بعد مبايعة الناس له ، وهي مشهورة رواها أهل التاريخ ، وقد نقلها سيّدنا المرتضى في الشافي عن الواقدي في كتاب الجمل بهذه العبارة : وقد كانت أمور ملتئم فيها ميلة كانت عليكم ، كنتم عندي فيها غير محمودين ، أما والله لو أشاء لقلت ، عفا الله عمّا سلف ، سبق الرجلان ، وقام الثالث كالغراب ، همته بطنه ، يا ويله لو قصَّ جناحه ، وقطع رأسه لكان خيراً له^(٢).

وقد رواها أيضاً ابن عبد ربّه في الجزء الرابع من كتاب العقد ، وأبو هلال العسكري في كتاب الأوائل بهذا اللفظ : وقد كانت أمور ملتئم فيها عن الحقّ ميلاً كثيراً ، وكنتم فيها غير محمودين ، أما أني لو أشاء أن أقول لقت ، عفا الله عمّا سلف ، سبق الرجلان ، وقام الثالث كالغراب ، همته بطنه ، ويله لو قصَّ جناحاه وقطع رأسه لكان خيراً له^(٣).

وفي المجلّد الرابع حديث كتاب كتبه معاوية الى علي بن أبي طالب عليه السلام وجوابه عليه السلام له ، وفي جملة الجواب ما هذا لفظه : وذكرت اباطني عن الخلفاء ، وحسدي آياهم ، والبغي عليهم ، أمّا البغي فعاذ الله أن يكون ، وأمّا الكراهية لهم

(١) نهج البلاغة ص ٢١٥ ، رقم الخطبة : ١٥٤ .

(٢) الشافي ٣ : ٢٢٧ .

(٣) العقد الفريد ٤ : ١٥٧ ، الطبعة الثالثة .

فوالله ما أعتذر الى الناس من ذلك (١).

ودلالة هذا الجواب على ما ادّعيناه ظاهر واضح .

ومّا يدلّ أيضاً على ما ادّعيناه ، ما نقله ابن أبي الحديد في شرحه ، من خطبته التي خطب بها بعد فتح مصر وقتل محمد بن أبي بكر ، والخطبة طويلة نذكر منها محلّ الحاجة ، قال : فلما مضى لسبيله صلى الله عليه وآله ، تنازع المسلمون الأمر بعده ، فوالله ما كان يلقى في روعي ، ولا يخاطر على بالي أن العرب تعدل هذا الأمر بعد محمد صلى الله عليه وآله عن أهل بيته ، ولا أنهم منحوه عني ، فراعني الأئتيال الناس على أبي بكر واجتماعهم اليه ليبايعوه ، فأمسكت يدي ، ورأيت أني أحقّ بمقام محمد صلى الله عليه وآله في الناس بمن تولّى الأمر من بعده .

فلبثت بذلك ما شاء الله حتى رأيت راجعة من الناس رجعت عن الاسلام يدعون الى محق دين الله وملة محمد صلى الله عليه وآله ، فخشيت ان لم أنصر الاسلام وأهله أن أرى فيه تلبساً وهدماً ، يكون المصاب بهما عليّ أعظم من فوات ولاية أموركم التي أنما هي متاع أيام فلائل ، ثم يزول ما كان منها كما يزول السراب ، وكما يتشعّع السحاب فمشيت عند ذلك الى أبي بكر فبايعته ، ونهضت في تلك الأحداث حتى زاع الباطل وزهق ، فكان كلمة الله هي العليا ولو كره الكافرون .

الى قوله : فما كانوا للولاية أحد منهم أشدّ كراهة لولايتي عليهم ، كانوا يسمعون عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله لجاح أبي بكر ، وأقول : يا معشر قريش أنا أهل البيت أحقّ بهذا الأمر منكم ، ما كان فينا من يقرأ القرآن ، ويعرف السنّة ، ويدين بدين الحقّ ، وخشي القوم ان أنا وليت عليهم ألا يكون لهم من الأمر نصيب ما بقوا ، فأجمعوا اجماعاً واحداً ، فصرفوا الولاية الى عثمان ، وأخرجوني منه رجاء أن ينالوها ويتداولوها ، اذ يشسوا أن ينالوا بها من قبلي .

ثم قالوا: هلمّ فبايع والآن جاهدناك، فبايعت مستكراً، وصبرت محتسباً، فقال قائلهم: يا بن أبي طالب أنك على هذا الأمر لحريص، فقلت: أنتم أحرص مني وأبعد، أيّنا أحرص؟ أنا الذي طلبت ميراثي وحقّي الذي جعلني الله ورسوله أولى به، أم أنتم تضربون وجهي ودونه وتحولون بيني وبينه، فبهتوا، والله لا يهدي القوم الظالمين.

اللهمّ انّي أستعديك على قريش، فأنهم قطعوا رحمي، وأضاعوا آيائي، وصغروا عظيم منزلتي، وأجمعوا على منازعتي حقاً كنت أولى به منهم فسلبوني.

ثم قالوا: ألا إنّ في الحقّ أن تأخذه وفي الحقّ أن تمنعه، فاصبر كمدّاً، وامت أسفاً حقناً، فنظرت فإذا ليس معي رافد، ولا ذابّ، ولا ناصر، ولا مساعد إلاّ أهل بيتي، فضننت بهم المنية، فأغضيت على القذى، وتجرّعت ربيقي على الشجى، وصبرت من كظم الغيظ على أمرّ من العلقم، وآلم للقلب من حرّ الشفار.

حتى إذا نعمتم على عثمان أتيتموه فقتلتموه، ثمّ جئتموني لتبايعوني، فأبيت عليكم، فأمسكت يدي، فنازعتموني ودافعتموني، وبسطم يدي فكففتها، ومددتموها فقبضتها، وازدحم عليّ حتى ظننت أنّ بعضكم قاتل بعض، أو أنّكم قاتلي، فقلتم بايعنا لا نجد غيرك، ولا نرضى إلاّ بك، بايعنا لا نفرق ولا نختلف كلمتنا، فبايعتكم ودعوت الناس إلى بيعتي، فمن بايع طوعاً قبلته، ومن أبي لم أكرهه وتركته، فبايعني في من بايعني طلحة والزبير، إلى الخطبة^(١).

ومما يدلّ أيضاً على ما ادّعيناه، ما في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد أيضاً، قال: وروى الزبير بن بكار، قال: روى محمد بن اسحاق أنّ أبا بكر لما بويع افتخرت تيم بن مرّة، قال: وكان عامّة المهاجرين وجلّ الأنصار لا يشكّون أنّ عليّاً عليه السلام هو صاحب الأمر بعد رسول الله ﷺ، فقال الفضل بن العباس: يا معشر

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦: ٩٤ - ٩٧.

قريش وخصوصاً يا بني تيم ، أنكم أنما أخذتم الخلافة بالنبوّة ، ونحن أهلها دونكم ، ولو طلبنا هذا الأمر الذي نحن أهله لكانت كراهة الناس لنا أعظم من كراهتهم لغيرنا ، حسداً منهم لنا ، وحقداً علينا ، وأنا لنعلم أنّ عند صاحبنا عهداً هو ينتهي اليه .

وقال بعض ولد أبي هب بن عبد المطلب :

ما كنت أحسب أنّ الأمر منصرف
عن هاشم ثمّ منها عن أبي حسن
أليس أوّل من صلّى لقبلكم
وأعلم الناس بالقرآن والسنن
وأقرب الناس عهداً بالنبيّ ومن
جبريل عون له في الغسل والكفن
ما فيه ما فيهم لا يمترون به
وليس في القوم ما فيه من الحسن
ماذا الذي ردّه عن فنعلمه
ها انّ ذا غبننا من أعظم الغبن^(١)

ومما يدلّ أيضاً على ما ادّعيناه ، ما أنشده عليه وهو معروف عند المخالف والمؤلف :

فان كنت بالشورى ملكت أمورهم
فليس بهذا والمشيرون غيب
وان كنت بالقربى حججت خصيمهم
فغيرك أولى بالنبيّ وأقرب^(٢)

ومما يدلّ أيضاً على ما ادّعيناه ، ما نقله القاضي المييدي الشافعي في شرحه للديوان المنسوب الى الحضرة العليّة المرتضويّة ، أنّ علي بن أحمد الواحدي روى عن أبي هريرة ، أنّ عليّاً عليه السلام قد أنشد في حضور أبي بكر وعمر وعثمان ، وطلحة والزبير ، وعبد الرحمن ، وفضل بن عباس ، وعمّار بن ياسر ، وعبد الله بن مسعود ، وأبي ذرٍّ ومقداد وسلمان ، هذه الأبيات :

لقد علم الناس بأنّ سهمي
من الاسلام يفضل كلّ سهم

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦ : ٢١ .

(٢) ديوان الامام علي عليه السلام ص ٩ ط بيروت .

وأحمد النبيّ أخي وصهري
 واتي قائد للناس طرّاً
 وقاتل كلّ صنيديد رئيس
 وفي القرآن أزمهم ولائي
 كما هارون من موسى أخوه
 لذاك أقامني لهم اماماً
 فما منكم يعادلني بسهمي
 فويل ثمّ ويل ثمّ ويل
 وويل للذي يشقي شقاها
 عليه الله صلّى ابن عمّي
 الى الاسلام من عرب وعجم
 وجبّار من الكفّار ضخم
 وأوجب طاعتي فرضاً بعزم
 كذلك أنا أخوه ذاك اسمي
 وأخبرهم به بغدير خمّ
 واسلامي وسابقتي ورحمي
 لمجاهد طاعتي ومريد هضمي
 يريد عداوتي من غير جرم

ومما يدلّ أيضاً على ما ادّعيناه ، ما ذكره عمدة المخالفين أعمم الكوفي في تاريخه ، وهو أنّ أبابكر لما أخذ البيعة من الناس ، وفرغ من أمرها ، بعث رسولاً الى علي عليه السلام ليحضر للبيعة ، فحضر عليه السلام وسلّم وجلس .

فقال بعد كلام مقبلاً على المهاجرين : يا هؤلاء انما أخذتم الأمر من الأنصار بالحجة عليهم بالقرابة ؛ لانكم زعمتم أنّ محمداً منكم ، فأعطوكم المقادة ، وسلّموا لكم الأمر ، وأنا أحتجّ عليكم بالذي احتججتم على الأنصار ، نحن أولى بمحمد عليه السلام حياً وميتاً ؛ لاننا أهل بيته ، وأقرب الخلق اليه ، فان كنتم تخافون الله فأنصفونا واعترفوا لنا في هذا الأمر ما عرفته لكم الأنصار .

فقال عمر : أيها الرجل لست بمتروك ، وتبايع كما بايع غيرك ، فقال عليه السلام : اذاً أقبل ما تقول يا عمر ؟ ثمّ قال لأبي عبيدة بعد كلام له : وليس ينبغي لكم أن تخرجوا سلطان محمد عليه السلام من داره وقعر بيته الى دوركم وقعور بيتكم ، ففي بيوتنا نزل القرآن ، ونحن معدن العلم والفقه والسنة ، ونحن أعلم بأمر الخلق منكم ، فلا تتبعوا الهوى ، فيكون نصيبكم الأخرس .

ثمّ قال بشير بن سعد الأنصاري ما حاصله : أن يا أبا الحسن ان كُنّا نسمع منك

هذا الكلام قبل بيعة أبي بكر، ما كان يخالفك أحد، ولكن جلست في بيتك ولم تحضر فظنّ الناس أنّك لا تحتاج الى هذا الأمر، ثمّ قال عليه السلام: وكان يجب عليّ أترك رسول الله صلى الله عليه وآله في بيته لم أجته في حفرته، فأخرج فأنازع الناس بخلافته، ثمّ قال أبو بكر: يا أبا الحسن لو علمت أنّك تنازعني في هذا الأمر لما أردته وما طلبته وقد بايع الناس (١).

ومما يدلّ أيضاً على ما ادّعيناه، ما رواه ابن أبي الحديد في شرحه، عن ابراهيم بن عبدالرحمن بن عوف الزهري، قال: لما بويع أبو بكر واستقرّ أمره، ندم قوم من الأنصار على بيعته، ولام بعضهم بعضاً، وذكروا علي بن أبي طالب، وهتفوا باسمه، وأنّه في داره لم يخرج اليهم، وجزع لذلك المهاجرون، وكثر في ذلك الكلام (٢).

ومما يدلّ أيضاً على ما ادّعيناه، ما رواه أيضاً ابن أبي الحديد في شرحه، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال عند دفن سيّدة النساء عليها السلام كالمناجي به رسول الله صلى الله عليه وآله عند قبره: السلام عليك يا رسول الله، الى قوله: أمّا حزني فسرمد، وأمّا ليلي فسمهد، الى أن يختار الله دارك التي أنت بها مقيم، وستنبؤك ابنتك بتضافر أمّتك على هضمها، فأحفها السؤال، واستخبرها الحال، هذا ولم يطل العهد، ولم يخل منك الذكر، والسلام عليكما سلام مودّع لا قال ولا سمّ، فان أنصرف فلا عن ملالة، وان أقم فلا عن سوء ظنّ بما وعد الله الصابرين (٣).

ووجه دلالته على مظلوميّته عليه السلام ظاهر.

ومما يدلّ أيضاً على ما ادّعيناه، قوله عليه السلام مع ما ذكره ابن أبي الحديد في شرحه، قال عليه السلام: وقال لي قائل: أنّك يابن أبي طالب على هذا الأمر لحريص، فقلت: بل

(١) لم أعر على المنقول من كتاب الفتوح فيه.

(٢) شرح نهج البلاغة ٦: ٢٣.

(٣) شرح نهج البلاغة ١٠: ٢٦٥.

أتم والله أحرص وأبعد، وأنا أخص وأقرب، وأما طلبت حقاً لي وأتم تحولون بيني وبينه؟ وتضربون وجهي دونه، فلما قرعته بالحجة في الملاء الحاضرين هب كأنه بهت لا يدري ما يجيبني به .

اللهم آني أستعديك على قريش ومن أعانهم ، فأنهم قطعوا رحمي ، وصغروا عظيم منزلتي ، وأجمعوا على منازعتي أمراً هو لي ، ثم قالوا : ألا إن في الحق أن تأخذه ، وفي الحق أن تتركه (١) .

الشرح : هذا من خطبة يذكر فيها عليه السلام ما جرى يوم الشورى بعد مقتل عمر ، والذي قال له « أنك على هذا الأمر لحريص » سعد بن أبي وقاص ، مع روايته فيه : أنت مني بمنزلة هارون من موسى . وهذا عجب ، فقال لهم : بل أتم أحرص وأبعد ، الكلام المذكور ، وقد رواه الناس كافة . وقالت الامامية : هذا الكلام يوم السقيفة ، والذي قال له « أنك على هذا الأمر لحريص » أبو عبيدة الجراح ، والرواية الأولى أظهر وأشهر .

وروي « فلما قرعته » بالتخفيف ، أي : صدمته بها .

وروي « هب لا يدري ما يجيبني » كما تقول : استيقظ وانتبه ، كأنه كان غافلاً ذاهلاً عن الحجة فهب لما ذكرتها .

« أستعديك » أي : أطلب أن تعديني عليهم ، وأن تنتصف لي منهم .

« قطعوا رحمي » لم يرعوا قربه من رسول الله صلى الله عليه وآله .

« وصغروا عظيم منزلتي » لم يقفوا مع النصوص الواردة فيه .

« وأجمعوا على منازعتي أمراً هو لي » أي : بالأفضلية أنا أحق به منهم ، هكذا

ينبغي أن يتأول كلامه عليه السلام ، وكذلك قوله « أما طلبت حقاً لي وأتم تحولون بيني

وبينه ، وتضربون وجهي دونه » .

قال : ثم قالوا : ألا إن في الحق أن تأخذه ، وفي الحق أن تتركه ، قال : لم يقتصروا على أخذ حقي ساكتين عن الدعوى ، ولكنهم أخذوه وادّعوا أن الحق لهم ، وأنه يجب عليّ أن أترك المنازعة فيه ، فليتهم أخذوه معترفين بأنه حقيّ ، فكانت المصيبة به أخفّ وأهون .

واعلم أنّه قد تواتر الأخبار عنه عليه السلام بنحو من هذا القول ، نحو قوله « ما زلت مظلوماً منذ قبض الله نبيّه حتىّ يوم الناس هذا » وقوله « اللهمّ أخز قريشاً فانّها منعتني حقيّ وغصبتني أمري » وقوله « وجزى قريشاً عنيّ الجوازي ، فاتهم ظلموني حقيّ واغتصبوا سلطان ابن أمي » وقوله وقد سمع صارخاً ينادي أنا مظلوم ، فقال : هلمّ فلنصرخ معاً ، فانيّ ما زلت مظلوماً . وقوله « وإنه ليعلم أن محليّ منها محلّ القطب من الرحي » وقوله « أرى ترائيّ نهباً » وقوله « أصغيا بانائنا وحملا الناس على رقابنا » وقوله « إن لنا حقاً أن نعطه نأخذه ، وإن تمنعه نركب أعجاز الابل وإن طال السرى » وقوله « ما زلت مستأثراً عليّ مدفوعاً عما أستحقّه وأستوجهه » .

وأصحابنا يحملون ذلك كلّه على ادّعائه الأمر بالأفضليّة والأحقّيّة ، وهو الحقّ والصواب ، فإنّ حملة على الاستحقاق بالنصّ تكفير أو تفسيق لوجوه المهاجرين والأنصار ، ولكنّ الاماميّة والزيديّة حملوا هذه الأقوال على ظواهرها ، وارتكبوا بها مركباً صعباً .

ولعمري أنّ هذه الألفاظ موهمة مغلّبة على الظنّ ما يقوله القوم ، ولكن تصفّح الأحوال يبطل ذلك الظنّ ، ويدرأ ذلك الوهم ، فوجب أن يجري مجرى الآيات المتشابهات الموهمة ما لا يجوز على الباري ، فأنه لا نعمل بها ، ولا نعوّل على ظواهرها ؛ لأننا لما تصفّحنا أدلّة العقول ، اقتضت العدول عن ظاهر اللفظ ، وأنّ تحمل على التأويلات المذكورة في الكتب .

وحدّثني يحيى بن سعيد بن عليّ الحنبليّ المعروف بابن عالية ، من ساكني قطفنا بالجانب الغربيّ من بغداد ، وأحد الشهود المعدّلين بها ، قال : كنت حاضراً عند الفخر

اسماعيل بن علي الحنبلي الفقيه المعروف بـغلام ابن المنى ، وكان الفخر اسماعيل هذا مقدّم الحنابلة ببغداد في الفقه والخلاف ، ويشتغل بشيء في علم المنطق ، وكان حلو العبارة ، وقد رأيته أنا وحضرت عنده ، وسمعت كلامه ، وتوفّي سنة عشر وستمائة .

قال ابن عالية : ونحن عنده نتحدّث اذ دخل شخص من الحنابلة ، قد كان له دين على بعض أهل الكوفة ، فأنحدر يطالبه به ، واتفق أن حضرت زيارة يوم الغدير ، والحنبلي المذكور بالكوفة ، وهذه الزيارة هي اليوم الثامن عشر من ذي الحجّة ، ويجتمع بمشهد أمير المؤمنين عليه السلام من الخلائق جموع عظيمة تتجاوز حدّ الاحصاء .

قال ابن عالية : فجعل الشيخ الفخر يسأل ذلك الشخص ، ما فعلت ؟ ما رأيت ؟ هل وصل مالك اليك ؟ هل بقي لك منه بقية عند غريمك ؟ وذلك الشخص يجاوبه حتّى قال له : يا سيدي لو شاهدت يوم الزيارة يوم الغدير وما يجري عند قبر علي بن أبي طالب من الفضائح والأقوال الشنيعة ، وسب الصحابة جهاراً بأصوات مرتفعة من غير مراقبة ولا خيفة .

فقال اسماعيل : أيّ ذنب لهم ، والله ما جرّأهم على ذلك ، ولا فتح لهم هذا الباب الآصاحب ذلك القبر ، فقال ذلك الشخص : ومن هو صاحب القبر ؟ قال : علي بن أبي طالب ، قال : يا سيدي هو الذي سنّ لهم ذلك ، وعلمهم آياه وطرقهم اليه ؟! قال : نعم والله ، قال : يا سيدي فان كان محقاً فما لنا نتولّى فلاناً وفلاناً ، وان كان مبطلاً فما لنا نتولّاه ، ينبغي أن نبرأ : إمّا منه ، أو منها .

قال ابن عالية : فقام اسماعيل مسرعاً ، فلبس نعليه ، وقال : لعن الله اسماعيل الفاعل ابن الفاعل ان كان يعرف جواب هذه المسألة ، ودخل دار حرمة ، وقمنا ونحن فانصرفنا ^(١) .

أقول : ما ذكره هذا الحنبلي هو الحقّ والصدق ؛ لأنّه من الأمور الضرورية أنّ

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩ : ٣٠٥ - ٣٠٨ .

علياً عليه السلام كان يبغض الثلاثة، ويحكم بضلالهم في حياتهم وبعد مماتهم، وأتبعه في هذه العقيدة أولاده وشيعتهم وخواصهم الى يومنا هذا، وأنصف ابن أبي الحديد في هذا المقام حيث لم ينكر هذه المقالة، ولم يتعرّض لمجوابها.

حكاية عجيبة تناسب المقام: قال في الصراط المستقيم: سمعنا مذاكرة أن ابن الجوزي قال على المنبر: سلوني قبل أن تفقدوني، فسألته امرأة عما روي أن علياً عليه السلام سار في ليلة الى سلمان فجهّزه ورجع، فقال: روي ذلك، قالت: فعثان تم ثلاثة أيام منبوزاً في المزابل وعلي حاضر، قال: نعم، قالت: فقد لزم الخطأ لأحدهما، فقال: ان كنت خرجت من بيتك بغير اذن زوجك فعليك لعنة الله، والآ فعلية، فقالت: خرجت عائشة الى حرب علي عليه السلام باذن النبي صلى الله عليه وآله أو لا؟ فانقطع (١).

ومما يدل أيضاً على ما ادّعينا قوله عليه السلام: أنظروا أهل بيت نبيكم، فألزموا سمتهم، وأتبعوا أثرهم، فلن يخرجوكم من هدى، ولن يعيدوكم في ردى، فان لبدوا فالبدوا، وان نهضوا فانهضوا، ولا تستبقوهم فتضلّوا، ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا، لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وآله، فما أرى أحداً يشبههم منكم، لقد كانوا يصحبون شعناً غبراً، وقد باتوا سجّداً وقياماً، يراوحون بين جباههم وخدودهم، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم، كأنّ بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم، اذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبلّ جيوبهم، ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف، خوفاً من العتاب، ورجاءً للشواب (٢).

وقال ابن أبي الحديد في الشرح: السمّت: الطريق. ولبد الشيء بالأرض يلبد بالضّم لبوداً: التصق بها. يراوحون بين جباههم وخدودهم، تارة يسجدون على

(١) الصراط المستقيم ١: ٢١٨.

(٢) نهج البلاغة ص ١٤٣، رقم الخطبة: ٩٧.

الجباه ، وتارة يضعون خدودهم على الأرض بعد الصلاة تذلاً وخضوعاً . وهملت أعينهم : سألت . ومادوا : تحرّكوا واضطربوا (١) .

ووجه الدلالة : أنّ كلامه ﷺ صريح في أنّ التقدّم على آل محمد ضلال ، والتأخّر عنهم وترك اتّباعهم هلاك ، فثبت بطلان خلافة الثلاثة ؛ لأنّهم تقدّموا على آل محمد ﷺ وتأمّروا عليهم .

ومما يدلّ أيضاً على ما ادّعينا ، قوله ﷺ : واعلموا أنّكم لن تعرفوا الرشد حتّى تعرفوا الذي تركه ، ولن تأخذوا بميثاق الكتاب حتّى تعرفوا الذي نقضه ، ولن تمسّكوا به حتّى تعرفوا الذي نبذه ، فالتمسوا ذلك من عند أهله ، فإنّهم عيش العلم ، وموت الجهل ، هم الذين يخبركم حكمهم عن علمهم ، وصمتهم عن منطقتهم ، وظاهرهم عن باطنهم ، لا يخالفون الدين ، ولا يختلفون فيه ، فهو بينهم شاهد صدق ، وصامت ناطق (٢) .

ووجه الدلالة على المدّعى : أنّه ﷺ اعتبر في الامام المرشد للعباد صفات لم يكن بالاجماع في الثلاثة ؛ لأنّ منها عدم مخالفة الدين ، وعدم الاختلاف في الدين ، ولا شكّ أنّ الثلاثة خالفوا واختلفوا .

ومما يدلّ على ما ادّعينا ، قوله ﷺ : اللهمّ أنّك تعلم أنّه لم يكن الذي كان منافسة في سلطان ، ولا التماس شيء من فضول الحطام ، ولكن لرد المعالم من دينك ، ونظهر الاصلاح في بلادك ، فيأمن المظلومون من عبادك ، وتقام المعطّلة من حدودك ، اللهمّ انّي أوّل من أناب وسمع وأجاب ، لم يسبقني الآرسول الله ﷺ بالصلاة ، وقد علمتم أنّه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والمغانم والأحكام ، وامامة المسلمين البخيل ، فيكون في أموالهم نهمته ، ولا الجاهل فيضلّهم بجهله ، ولا

(١) شرح نهج البلاغة ٧: ٧٧ .

(٢) نهج البلاغة ص ٢٠٥ - ٢٠٦ : رقم الخطبة : ١٤٧ .

الجافي فيقطعهم بجفائه ، ولا الحائف للدول فيتخذ قوماً دون قوم ، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ، ويقف بها دون المقاطع ، ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة^(١) .

الشرح : النهمة : الهمة الشديدة بالأمر ، قد نهم بكذا بالضم فهو منهوم ، أي : مولع به ، حريص عليه . الجفاء : الغلظة . قوله « ولا الحائف للدول » أي : الظالم لها والجائر عليها . والدول جمع دولة بالضم ، وهي اسم المال المتداول به .

وقد قال ابن أبي الحديد في شرحه : وقد روي ولا الحائف للدول بالخاء المعجمة ، ونصب الدول ، أي : من يخاف دول الأيتام وتقلبات الدهر ، فيتخذ قوماً دون قوم ظهرياً^(٢) .

ووجه الدلالة : أنه عليه السلام ذكر للامام صفات لم تكن مجتمعة في غيره وغير أولاده المعصومين عليهم السلام بالاجماع ؛ لأن خلفاء المخالفين على ما نذكره كانوا جاهلين جافين معطلين لكثير من السنة .

ومما يدل على ما ادعينا : قوله عليه السلام في نهج البلاغة : اذا قبض الله رسوله ﷺ ، رجع قوم على الأعقاب ، وغالتهم السبل ، واتكلوا على الولايج ، ووصلوا غير الرحم ، وهجروا السبب الذي أمروا بمودته ، ونقلوا البناء عن رص أساسه ، فبنوه في غير موضعه ، معادن كل خطيئة ، وأبواب كل ضارب في غمزة ، قد ماروا في الحيرة ، وذهلوا في السكره ، على سنة من آل فرعون من منقطع الى الدنيا راكن ، أو مفارق للدين مبين^(٣) .

قال ابن أبي الحديد في الشرح : رجعوا على الأعقاب : تركوا ما كانوا عليه ، قال

(١) نهج البلاغة ص ١٨٩ ، رقم الكلام : ١٣١ .

(٢) شرح نهج البلاغة ٨ : ٢٦٦ - ٢٦٧ .

(٣) نهج البلاغة ص ٢٠٩ ، رقم الخطبة : ١٥٠ .

سبحانه ﴿ ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرَّ الله شيئاً ﴾ (١) .

أقول : بل قوله ﷺ اشارة الى قوله تعالى ﴿ أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ﴾ (٢) .

ثم قال : وغالتم السبل : أهلكتهم اختلاف الآراء والأهواء ، غاله كذا أي : أهلكه ، والسبل : الطرق . والولائج : جمع وليجة ، وهي البطانة يتخذها الانسان لنفسه ، قال سبحانه ﴿ ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة ﴾ (٣) .
« ووصلوا غير الرحم » أي : غير رحم الرسول ﷺ ، فذكرها ﷺ ذكراً مطلقاً غير مضاف للعلم بها ، كما يقول القائل « أهل البيت » فيعلم السامع أنه أراد أهل بيت الرسول ﷺ .

« وهجروا السبب » يعني : أهل البيت أيضاً ، وهذا اشارة الى قول النبي ﷺ :
خلفت فيكم الثقلين : كتاب الله ، وعترتي أهل بيتي ، حبلان ممدودان من السماء الى الأرض ، لا يفترقان حتى يردا عليّ الحوض . فعبر أمير المؤمنين ﷺ من أهل البيت بلفظة « السبب » لما كان النبي ﷺ قال « حبلان » والسبب في اللغة : الحبل .
وعنى بقوله « أمروا بمودته » قوله تعالى ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً الا المودة في القربى ﴾ (٤) . قوله « ونقلوا البناء عن رصّ أساسه » الرصّ مصدر رصت الشيء أرصه ، أي : ألصقت بعضه ببعض ، ومنه ﴿ كأنهم بنيان مرصوص ﴾ (٥) وتراصّ القوم في الصفّ ، أي : تلاصقوا ، فبنوه في غير موضعه ، ونقلوا الأمر عن أهله الى غير أهله .

(١) آل عمران : ١٤٤ .

(٢) آل عمران : ١٤٤ .

(٣) التوبة : ١٦ .

(٤) الشورى : ٢٣ .

(٥) الصفّ : ٥ .

ثمّ ذمهم عليه السلام فقال: « انهم معادن كلّ خطيئة ، وأبواب كلّ ضارب في غمرة »
الغمرة : الضلال والجهل ، والضارب فيها : الداخل المعتقد لها .

« قد ماروا في الحيرة » ما يور اذا ذهب وجاء ، فكأنهم يسبحون في الحيرة ، كما يسبح الانسان في الماء . وذهل فلان بالفتح يذهل « على سنّة من آل فرعون » أي : على طريقة ، وآل فرعون أتباعه ، قال تعالى ﴿ ادخلوا آل فرعون أشدّ العذاب ﴾ ^(١) .
« من منقطع الى الدنيا » لاهمّ له غيرها ، راكن : مغلّد اليها ، قال تعالى ﴿ ولا تركنوا الى الذين ظلموا ﴾ ^(٢) أو مفارق للدين : مباين مزابل .

فان قلت : أيّ فرق بين الرجلين ؟ وهل يكون المنقطع الى الدنيا الأمفارقاً للدين ؟

قلت : قد يكون في أهل الضلال من هو مفارق للدين مباين ، وليس براكن الى الدنيا ولا منقطع اليها ، كما نرى كثيراً من أبحار النصارى ورهبانهم .

فان قلت : أليس هذا الفصل صريحاً في تحقيق مذهب الامامية ؟

قلت : لا بل يحمل ^(٣) على أنّه عنى عليه السلام أعداءه الذين حاربوه من قريش وغيرهم من أفناء العرب في أيام صفّين ، وهم الذين نقلوا البناء ، وهجروا السبب ، ووصلوا غير الرحم ، وآتكلوا على الولايج ، وغالتهم السبل ، ورجعوا على الأعقاب ، كعمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة ، ومروان بن الحكم ، والوليد بن عقبة ، وحبيب بن مسلمة ، وبسر بن أرطاة ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وحوشب ، وذو الكلاع ، وشرحبيل بن السمط ، وأبي الأعور السلمي ، وغيرهم ممّن تقدّم ذكرنا له في الفصول المتعلّقة بصفّين وأخبارها ، فانّ هؤلاء نقلوا الامامة

(١) غافر : ٤٦ .

(٢) هود : ١١٣ .

(٣) في الشرح : نحمله .

عنه ﷺ الى معاوية ، فنقلوا البناء عن رصّ أهله الى غير موضعه .

فان قلت : لفظ الفصل يشهد بخلاف ما تأولته ؛ لأنه قال ﷺ : حتى اذا قبض الله رسوله رجع قوم على الأعقاب ، فجعل رجوعهم على الأعقاب عقيب قبض الرسول ﷺ وما ذكرته أنت كان بعد قبض الرسول بنيف وعشرين سنة .

قلت : ليس يمتنع أن يكون هؤلاء المذكورون رجعوا على الأعقاب لما مات رسول الله ﷺ ، وأضرموا في أنفسهم مشاققة أمير المؤمنين ﷺ وأذاه ، وقد كان فيهم من يتحكك به في أيام أبي بكر وعمر وعثمان ، ويتعرض له ، ولم يكن أحد منهم ولا من غيرهم يقدم على ذلك في حياة رسول الله ﷺ ، ولا يمتنع أيضاً أن يريد برجوعهم على الأعقاب ارتدادهم عن الاسلام بالكلية ، فان كثيراً من أصحابنا يطعنون في ايمان بعض من ذكرناه ، ويعدّونهم من المنافقين .

وقد كان سيف رسول الله ﷺ يجمعهم ويردعهم عن اظهار ما في أنفسهم من النفاق ، فأظهر قوم منهم بعده ما كانوا يضمرونه من ذلك ، خصوصاً فيما يتعلّق بأمر المؤمنين الذي ورد في حقّه : ما كنّا نعرف المنافقين على عهد رسول الله ﷺ إلاّ ببغض علي بن أبي طالب ، وهو خبر محقّق مذكور في الصحاح .

فان قلت : يمتنع من هذا التأويل قوله « ونقلوا البناء عن رصّ أساسه ، فجعلوه في غير موضعه » وذلك لأنّ « اذا » ظرف ، والعامل فيها قوله « رجع قوم على الأعقاب » وقد عطف عليه قوله « ونقلوا البناء » فاذا كان الرجوع على الأعقاب واقعاً في الظرف المذكور ، وهو وقت قبض الرسول ، وجب أن يكون نقل البناء الى غير موضعه واقعاً في ذلك الوقت أيضاً ؛ لأنّ أحد الفعلين معطوف على الآخر ، ولم ينقل أحد وقت قبض الرسول ﷺ البناء الى معاوية عن أمير المؤمنين ﷺ ، وإنما نقل عنه شخص آخر ، وفي اعطاء العطف حقّه اثبات مذهب الامامية صريحاً .

قلت : اذا كان الرجوع على الأعقاب واقعاً في وقت قبض النبي ﷺ ، فقد عتبا بما يجب من وجود عامل في الظرف ، ولا يجب أن يكون نقل البناء الى غير موضعه

واقعاً في تلك الحال أيضاً، بل يجوز أن يكون واقعاً في زمان آخر، إتماً بأن يكون الواو للاستئناف لا للعطف، أو بأن يكون للعطف في مطلق الحدث، لا في وقوع الحدث في عين ذلك الزمان المخصوص.

ثم قال بعد كلام: واعلم أننا نحمل كلام أمير المؤمنين عليه السلام على ما يقتضيه سؤده الجليل، ومنصبه العظيم، ودينه القويم، من الاغضاء عما سلف ممن سلف، فقد كان صاحبهم بالمعروف برهة من الدهر، فأما أن يكون ما كانوا فيه حقهم أو حقه، فتركه لهم رفعاً لنفسه عن المنازعة، أو لما رآه من المصلحة، وعلى كلا التقديرين فالواجب علينا أن نطبق بين أفعاله وأقواله بالنسبة اليهم وبين أولها، فإن بعد تأويل من يتأوله من كلامه، فليس بأبعد من تأويل أهل التوحيد والعدل الآيات المتشابهة في القرآن، ولم يمنع بعدها من الخوض في تأويلها محافظة على الأصول المقررة، فكذلك هاهنا^(١).

ومما يدل أيضاً على ما ادعينا، ما في نهج البلاغة من كلامه عليه السلام: زرعوا الفجور، وسقوه الغرور، وحصدوا الثبور، لا يقاس بال محمد صلى الله عليه وآله من هذه الأمة أحد، ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً، هم أساس الدين، وعماد اليقين، اليهم يفيء الغالي، وبهم يلحق التالي، ولهم خصائص حقّ الولاية، وفيهم الوصيّة والوراثة، الآن اذ رجع الحقّ الى أهله، ونقل الى منتقله^(٢).

قال ابن أبي الحديد بعد كلام له في الشرح: ثم ذكر عليه السلام أنّ لهم خصائص حقّ الولاية، والولاية الامرة. فأما الاماميّة، فيقولون: أراد نصّ النبي صلى الله عليه وآله عليه وعلى أولاده، ونحن نقول: لهم خصائص حقّ ولاية رسول الله صلى الله عليه وآله على الخلق.

ثم قال عليه السلام: وفيهم الوصيّة والوراثة. أما الوصيّة على الخلق، فلا ريب عندنا

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩: ١٣٢ - ١٣٦.

(٢) نهج البلاغة ص ٤٧: رقم الخطبة: ٢.

أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ وَصِيَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَإِنْ خَالَفَ فِي ذَلِكَ مَنْ هُوَ مَنْسُوبٌ عِنْدَنَا إِلَى الْعِنَادِ، وَلِسْنَا نَعْنِي بِالْوَصِيَّةِ النَّصَّ وَالْخِلَافَةَ، وَلَكِنْ أُمُورًا أُخْرَى. وَأَمَّا الْوَارِثَةُ، فَالْإِمَامِيَّةُ يَحْمِلُونَهَا عَلَى مِيرَاثِ الْمَالِ وَالْخِلَافَةِ، وَنَحْنُ نَحْمِلُهَا عَلَى وَرَاثَةِ الْعِلْمِ.

ثُمَّ ذَكَرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ الْحَقَّ رَجَعَ الْآنَ إِلَى أَهْلِهِ، وَهَذَا يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ فِيمَا قَبْلَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ، وَنَحْنُ نَتَأَوَّلُ ذَلِكَ عَلَى غَيْرِ مَا تَذَكَّرَهُ الْإِمَامِيَّةُ، وَقَوْلُ: أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ أَوْلَى بِالْأَمْرِ وَأَحَقُّ لَا عَلَى وَجْهِ النَّصِّ، بَلْ عَلَى وَجْهِ الْأَفْضَلِيَّةِ، فَإِنَّهُ أَفْضَلُ الْبَشَرِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَحَقُّ بِالْخِلَافَةِ مِنْ جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، لَكِنَّهُ تَرَكَ حَقَّهُ لِمَا عَلَّمَهُ مِنَ الْمَصْلَحَةِ، وَمَا تَفَرَّسَ فِيهِ هُوَ وَالْمُسْلِمُونَ مِنْ اضْطِرَابِ الْإِسْلَامِ، وَانْتِشَارِ الْكَلِمَةِ، لِحَسَدِ الْعَرَبِ لَهُ، إِلَى آخِرِ كَلَامِهِ (١).

أَنْظُرْ أَيُّهَا الْبَصِيرُ كَيْفَ أَعْمَاهُمْ التَّقْلِيدُ وَأَصْمَهُمْ، لِأَشْكَ فِي أَنَّهُ لَا يَجُوزُ عَاقِلٌ لَهُ أَدْنَى بَصِيرَةٍ أَمْثَالِ هَذِهِ التَّأْوِيلَاتِ الْبَعِيدَةِ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ «فِيهِمْ خِصَائِصٌ حَقَّ الْوِلَايَةِ» صَرِيحٌ فِي أَنَّ الْإِمَارَةَ كَانَتْ مَخْتَصَّةً بِهِمْ، وَكَيْفَ يَجُوزُ عَاقِلٌ أَنْ يَتْرَكَ خَاتَمَ الْأَنْبِيَاءِ الْوَصِيَّةَ بِالْأَهَمِّ وَهُوَ الْخِلَافَةُ، مَعَ عِلْمِهِ بِعَدَمِ الْعُودِ وَعَدَمِ مَجِيءِ نَبِيِّ بَعْدِهِ، مَعَ كِبَالِ احْتِيَاجِ الْأُمَّةِ إِلَى الْخَلِيفَةِ، وَيُوصِي بِغَيْرِ الْأَهَمِّ.

وَالْعَجَبُ أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى مَذْهَبِهِمْ لَمْ يَكُنْ وَصِيًّا عَلَى مَتْرُوكَاتِ النَّبِيِّ ﷺ أَيْضًا؛ لِأَنَّهُمْ اعْتَقَدُوا أَنَّ مَا تَرَكَ النَّبِيُّ ﷺ كَانَتْ صَدَقَةً، وَالْمَتَوَلَّى عَلَيْهَا كَانَ أَبَا بَكْرٍ، وَزَعَمُوا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَخْبِرْهُ بِأَنَّ مَا تَرَكَهُ صَدَقَةٌ، فَمَا أَدْرِي أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيمَا كَانَ وَصِيَّتِهِ الَّتِي كَانَ يَبَاهِي بِهَا، وَشِعْرَاءِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ يَعِدُّونَهَا مِنْ فِضَائِلِهِ فِي نَظْمِهِمْ وَنَثْرِهِمْ؟ وَحَمَلِ الْوَارِثَةَ عَلَى وَرَاثَةِ الْعِلْمِ لَا وَجْهَ لَهُ؛ لِأَنَّ وَرَاثَةَ الْعِلْمِ عِنْدَ الْمُخَالِفِينَ لَا يَخْتَصُّ بِآلِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالْمَفْهُومُ مِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ اخْتِصَاصَ الْوَارِثَةِ بِهِمْ. وَقَوْلُهُ «رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى أَهْلِهِ» صَرِيحٌ فِي أَنَّ خَلْفَاءَ الْمُخَالِفِينَ لَمْ يَكُونُوا مِنْ أَهْلِ

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ١٣٩ - ١٤٠.

الحقّ، وكيف يمكن أن يتكلّم أمير المؤمنين عليه السلام مع ارتفاع شأنه وعلوّ مكانه وغاية بلاغته، بهذه العبارات الصريحة فيا قلناه، ويريد به المعنى البعيد الذي لا يخطر ببال أحد، إلا من ابتلي بمرض التقليد ﴿ ذلك ظنّ الذين لا يوقنون ﴾ .

وقوله « لكنّه ترك حقّه لما علمه من المصلحة » أقول: المصلحة التي ترك لها حقّه حقن دمه ودماء شيعته، لا ما زعمه الشارح، ويشهد بما قلناه تظلماته على المنابر، وما ورد من أنّ عمر أتى بالنار ليحرق عليهم الدار.

ومما يدلّ أيضاً على بطلان قولهم بتحقيق الاجماع على خلافة أبي بكر، ما رواه الخاصّة والعامة، أنّ أبا بكر قال على المنبر: أقبيلوني لست بخيركم ^(١).

ووجه الدلالة: أنّه اقرار منه بعدم استحقاقه للخلافة، فان كان صادقاً في اقراره، فلا وجه للاجماع على امامة غير المستحقّ. وان كان كاذباً، فلا معنى للاجماع على امامة الكاذب.

ومما يدلّ أيضاً على عدم الاجماع، ما رواه المخالف والموافق عن عمر أنّه قال: كانت بيعة أبي بكر فلتة وقي الله المسلمين شرّها، فن عاد الى مثلها فاقتلوه ^(٢).

ووجه الدلالة: أنّ عمر اعترف بأنّ بيعة أبي بكر كانت فلتة، يعني فجأة عن خطأ لا عن تدبّر، ومع هذا أفتى بكونها شرّاً، وبقتل من عاد الى مثلها، فكيف يجوز تحقّق الاجماع على خلافة أبي بكر؟ مع أنّ الاجماع على الخطأ محال، فلا بدّ للمخالفين أن يلتزموا أحد أمرين: إمّا عدم تحقّق الاجماع على خلافة أبي بكر، أو جهالة عمر وكذبه وعدم قابليّته للخلافة.

(١) راجع: الطرائف ص ٤٠٢.

(٢) صحيح البخاري ٤: ١٧٩، باب رجم الحبلى من الزنا، وسيرة ابن هشام ٢: ٦٥٨،

والصراط المستقيم ٢: ٣٠٢.

قال علي عليه السلام في أثناء خطبته: لم يكن بيعتكم إياي فلتة^(١).

وقال ابن أبي الحديد في شرحه: الفلتة الأمر يقع عن غير تدبّر، وفي الكلام تعريض ببيعة أبي بكر^(٢).

ومما يدلّ أيضاً على ما ادّعيناه، ما في شرح نهج البلاغة في المجلّد التاسع، عن أبي سعد^(٣)، عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: وقع بين عثمان وعلي عليهما السلام كلام، فقال عثمان: ما أصنع ان كانت قريش لا تحبّكم، وقد قتلتم منهم يوم بدر سبعين، كأنّ وجوههم شنوف الذهب، تصرع أنفهم قبل شفاهم^(٤).

ووجه الدلالة: أنّ المستفاد من هذا القول أنّ بيعة قريش الثلاثة لم تكن لمصلحة دينيّة، بل لم تكن إلاّ بغضاً لله ولرسوله ولأمير المؤمنين، ولا ريب في أنّ مثل هذه البيعة باطل، ولا يخفى أنّ المستفاد من مدح عثمان الكفرة الفجرة المقتولين بأيدي البررة، أنّه كان من المبغضين المنافقين، فبطل خلافته، وهو مستلزم لبطلان خلافة أخويه أيضاً؛ لعدم القول بالفصل.

ومما يدلّ أيضاً على بطلان بيعة أبي بكر وأخويه، ما رواه في المصاييح من الصحاح عن حذيفة، قال: كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وآله عن الخير، وكنت أسأله عن الشرّ، مخافة أن يدركني، قلت: يا رسول الله أنا كُنّا في جاهليّة وشرّ، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شرّ؟ قال: نعم، قلت: وهل بعد ذلك الشرّ من خير؟ قال: نعم وفيه دخن، قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يستنّون بغير سنّتي ويهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر، قلت: وهل بعد ذلك الخير من شرّ؟

(١) نهج البلاغة ص ١٩٤، رقم الكلام: ١٣٦.

(٢) شرح نهج البلاغة ٩: ٣١.

(٣) هو أبو سعد زين الكفاة منصور بن الحسين الآبي، وزير مجد الدولة رستم بن فخر الدولة بن ركن الدولة بن بابويه، صاحب كتاب نثر الدرر في المحاضرات.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩: ٢٢ - ٢٣.

قال : نعم دعاة على أبواب جهنم ، الى آخر الحديث (١) .

ووجه الدلالة ظاهر ؛ لأنّ الخبير البصير لا يفهم من هذا الكلام الاّ كون خلافة الخلفاء الثلاثة شرّاً ، وكون خلافة عليّ عليه السلام خيراً بعد شرّ ، ولكن فيه دخن وهو فتنة الناكثين والقاسطين والمارقين .

ومما يدلّ أيضاً على ما ادّعينا ، ما في صحيح البخاري ومسلم بالفاظهما ، عن مالك بن أوس من حكاية ارتفاع عليّ والعبّاس الى عمر ، والحكاية طويلة ، ونحن نأتي هاهنا بموضع الحاجة منها من ألفاظ مسلم ، ذكر الراوي الحكاية الى قول عمر لعليّ والعبّاس : فلما توفيّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال أبو بكر : أنا أولى برسول الله صلى الله عليه وآله ، فجئتما تطلب ميراثك من ابن أخيك ، ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها ، فقال أبو بكر : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ما نورث ما تركناه صدقة ، فرأيتما كاذباً أتماً غادراً خائناً ، والله يعلم أنّه لصادق بارّ أشدّ تابع للحقّ .

ثمّ توفيّ أبو بكر ، وأنا وليّ رسول الله صلى الله عليه وآله ووليّ أبي بكر ، فرأيتما كاذباً غادراً خائناً ، والله يعلم أنّي لصادق بارّ راشد تابع للحقّ ، فولّيتها ، ثمّ جئتني أنت وهذا ، وأنما جميع وأمركما واحد ، فقلتما ادفعها لينا ، الى آخر الحكاية (٢) .

ووجه الدلالة ظاهر ؛ لأنّ في الحكاية تصرّح بعدم رضاء عليّ عليه السلام والعبّاس بخلافة أبي بكر وعمر وبيعتهما ، وتصرّح باعتقادهما .

وقد قال سيّدنا المرتضى في الشافي : وقد روى جميع أهل السير أنّ أمير المؤمنين عليه السلام والعبّاس لما تنازعا في الميراث ، ونخاصا الى عمر ، قال عمر : من يعذرني من هذين ، ولي أبو بكر فقالا : عتق وظلم ، والله يعلم أنّه كان برّاً تقياً ، ثمّ

(١) صحيح مسلم ٣ : ١٤٧٥ برقم : ١٨٤٧ كتاب الامارة ب ١٣ .

(٢) صحيح مسلم ٣ : ١٣٧٧ ، كتاب الجهاد ب ١٥ .

وليت فقالا: عَقَّ وظلم (١).

ولينظر العاقل الى هذا الحديث الذي في كتبهم الصحاح، كيف يجوز لأبي بكر أن يقول: أنا ولي رسول الله ﷺ وكذا عمر؟ مع أن رسول الله ﷺ مات وقد جعلها من جملة الرعايا لأسامة بن زيد.

وكيف استجاز عمر أن يعبر عن رسول الله ﷺ بقوله «تطلب ميراثك من ابن أخيك» مع أن الله تعالى كان يخاطبه بصفاته، مثل ﴿يا أيها النبي﴾ ﴿يا أيها الرسول﴾ ﴿يا أيها المزمّل﴾ ﴿يا أيها المدثر﴾ وينادي غيره من الأنبياء بأسمائهم، ولم يذكره باسمه إلا في أربعة مواطن شهد له فيها بالرسالة لضرورة تخصيصه وتعيينه بالاسم، كقوله ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾ (٢) و ﴿ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾ (٣) و ﴿برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾ (٤) و ﴿محمد رسول الله والذين معه﴾ (٥) ثم إن الله تعالى قال ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً﴾ (٦).

ثم عبر عن أمير المؤمنين وسيدة نساء العالمين ﷺ مع شرف منزلتها وعظم شأنها بقوله «وهذا يطلب ميراث امرأته» وليس هذا الأثر النفاق، كما لا يخفى على الخبير البصير، والمتصف بهذا الصفات بالاجماع لا يستحق الخلافة لكذبها وأثمها وغدرها وخيانتها.

(١) الشافي ٣: ٢٢٧.

(٢) آل عمران: ١٤٤.

(٣) الأحزاب: ٤٠.

(٤) الصف: ٦.

(٥) الفتح: ٢٩.

(٦) النور: ٦٣.

ومّا يدلّ على ما ادّعيناه من عدم تحقّق الاجماع ، ما يدلّ من الأخبار على عدم رضاء عمر ببيعة أبي بكر اعتقاداً ومصالحةً للدين ، بل لم يكن الداعي له الى حضوره السقيفة الا ليجرّ الخلافة الى نفسه ، فاضطرّ بعد اليأس منها الى بيعه أبي بكر طمعاً في عودها اليه .

روى الهيثم بن عدي ^(١) ، عن عبد الله بن عياش الهمداني ^(٢) ، عن سعيد بن جبير ، قال ذكر أبو بكر وعمر عند عبد الله بن عمر ، فقال رجل : كانا والله شمسي هذه الأمة ونوريها ، فقال ابن عمر : وما يدريك ؟ قال الرجل : أو ليس قد اختلفنا ؟ قال ابن عمر : بل اختلفنا لو كنتم تعلمون ، أشهد أنّي كنت عند أبي يوماً ، وقد أمرني أن أحبس الناس عنه ، فاستأذن عليه عبد الرحمن بن أبي بكر ، فقال عمر : دويبة سوء ، وهو خير من أبيه ، فأوحشني ذلك منه ، فقلت : يا أبا عبد الرحمن خير من أبيه ؟ فقال ، ومن ليس بخير من أبيه لا أمّ لك ، ائذن لعبد الرحمن .

فدخل عليه ، فكلمه في الحطيئة الشاعر أن يرضى عنه ، وقد كان عمر حبسه في شعر قاله ، فقال عمر : إنّ في الحطيئة أوداً ^(٣) ، فدعني أقومّه بطول حبسه ، فألح عليه عبد الرحمن وأبي عمر ، فخرج عبد الرحمن ، فأقبل عليّ أبي وقال : أفي غفلة أنت الى يومك هذا عمّا كان من تقدّم أحيمق بني تيم عليّ وظلمه لي ؟ فقلت : لا علم لي بما كان من ذلك ، قال : يا بنيّ فما عسيت أن تعلم ؟ فقلت : والله هو أحبّ الى الناس من ضياء أبصارهم ، قال : إنّ ذلك لكذلك على رغم أبيك وسخطه ، قلت : يا أبا أفلا تجلّي عن فعله بموقف في الناس تبين ذلك لهم ؟

(١) الهيثم بن عدي الطائي الكوفي من رواة الأخبار ، روى عن هشام بن عروة وعبد الله بن عياش ومجالد ، توفي سنة ٢٠٦ .

(٢) كان راوية للأخبار والآداب ، توفي سنة ١٨٥ .

(٣) في الشافي : إنّ الحطيئة لبذيء .

قال: وكيف لي بذلك مع ما ذكرت أنه أحبّ إلى الناس من ضياء أبصارهم، اذن يرضخ^(١) رأس أليك بالجدل، قال ابن عمر: ثمّ تجاسر والله فجسر، فما دارت الجمعة حتّى قام خطيباً في الناس فقال: يا أيها الناس انّ بيعة أبي بكر كانت فلتة وقي الله شرّها، فمن دعاكم إلى مثلها فاقتلوه^(٢).

وروى الهيثم بن عدي، عن مجالد بن سعيد^(٣)، قال: غدوت يوماً إلى الشعبي وأنا أريد أن أسأله عن شيء بلغني عن ابن مسعود أنّه كان يقوله، فأتيته وهو في مسجد حيّه، وفي المسجد قوم ينتظرونه، فخرج فتعرّفت إليه وقلت له: أصلحك الله كان ابن مسعود يقول: ما كنت محدثاً قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلاّ كان لبعضهم فتنة.

قال: نعم كان ابن مسعود يقول ذلك، وكان ابن عبّاس يقوله أيضاً، وكان عند ابن عبّاس دفاثن علم يعطيها أهلها، ويصرفها عن غيرهم، فبينما نحن كذلك إذ أقبل رجل من الأزد، فجلس إلينا، فأخذنا في ذكر أبي بكر وعمر، فضحك الشعبي وقال: لقد كان في صدر عمر ضبّ^(٤) على أبي بكر، فقال الأزدي: والله ما رأينا ولا سمعنا برجل قطّ كان أسلس قياداً لرجل، ولا أقول فيه بالجميل^(٥) من عمر في أبي بكر.

فأقبل عليّ الشعبي وقال: هذا ممّا سألت عنه، ثمّ أقبل على الرجل وقال: يا أخا الأزد فكيف تصنع بالفتنة التي وقي الله شرّها، أترى عدوّاً يقول في عدوّ يريد أن يهدم ما بنى لنفسه في الناس أكثر من قول عمر في أبي بكر، فقال الرجل: سبحان الله

(١) الرضخ: كسر الرأس بالحجر.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ٢٨ - ٢٩، والشافي ٤: ١٢٧ - ١٢٨.

(٣) مجالد بن سعيد بن عمر الهمداني الكوفي، مات سنة ١٤٤.

(٤) الضبّ: الحقد والغیظ، وجمعه ضباب.

(٥) في الشافي: ولا أقوله بالجميل.

أنت تقول ذلك يا أبا عمرو! فقال الشعبي: أنا أقوله، قاله عمر بن الخطاب على رؤوس الأشهاد، فلمه أو دع، فهض الرجل مغضباً وهو يهمهم في الكلام بشيء لم أفهمه.

قال مجالد: فقلت للشعبي: ما أحسب هذا الرجل الآسينقل عنك هذا الكلام الى الناس ويبتّه فيهم، قال: اذن والله لا أحفل به، وشيء لم يحفل به عمر حين قام على رؤوس المهاجرين والأنصار أحفل به أنا؟ أذيعوه أنتم عني أيضاً ما بادلکم^(١).
وروى شريك بن عبد الله النخعي، عن محمد بن عمرو بن مرة، عن أبيه، عن عبد الله بن سلمة، عن أبي موسى الأشعري، قال: حججت مع عمر، فلما نزلنا وعظم الناس خرجت من رحلي أريده، فلقيني المغيرة بن شعبة، فراقفتني، ثم قال: أين تريد؟ فقلت: أمير المؤمنين، فهل لك؟ قال: نعم، فانطلقنا نريد رحل عمر، فأنا لني طريقنا اذ ذكرنا تولي عمر وقيامه بما هو فيه، وحياطته على الاسلام، ونهوضه بما قبله من ذلك، ثم خرجنا الى ذكر أبي بكر، فقلت للمغيرة: يالك الخير لقد كان أبو بكر مسدداً في عمر، لكأنه ينظر الى قيامه من بعده، وجدّه واجتهاده وعنانه في الاسلام.

فقال المغيرة: لقد كان ذلك، وان كان قوم كرهوا ولاية عمر ليزووها عنه، وما كان لهم في ذلك من حظ، فقلت له: لا أبا لك ومن القوم الذين كرهوا ذلك لعمر؟ فقال المغيرة: لله أنت كأنك لا تعرف هذا الحي من قريش، وما خصوا به من الحسد، والله لو كان هذا الحسد يدرك بحساب لكان لقريش تسعة أعشاره والناس كلهم عُشر، فقلت: مه يا مغيرة، فان قريشاً بانت بفضلها على الناس.

فلم نزل في ذلك حتى انتهينا الى رحل عمر، فلم نجد، فسألنا عنه، فقيل: قد خرج أنفاً، فضينا نقفوا أثره، حتى دخلنا المسجد، فاذا عمر يطوف بالبيت، فطفنا

معه ، فلما فرغ دخل بيني وبين المغيرة ، فتوكأ على المغيرة وقال : من أين جئنا ؟ فقلنا خرجنا نريدك يا أمير المؤمنين ، فأتينا رحلك فقيل لنا : خرج الى المسجد ، فاتبعناك ، فقال : اتبعكما الخير .

ثم نظر المغيرة اليّ وتبسّم ، فرمقه عمر فقال : ممّ تبسّمت أيها العبد ؟ فقال : من حديث كنت أنا وأبو موسى فيه آنفاً في طريقنا اليك ، قال : وما ذاك الحديث ؟ فقصصنا عليه الخبر ، حتّى بلغنا ذكر حسد قريش ، وذكر من أراد صرف أبي بكر عن استخلاف عمر ، فتنفس الصعداء ثمّ قال : ثكلتك أمك يا مغيرة وما تسعة أعشار الحسد ، بل وتسعة أعشار العشر وفي الناس كلّهم عشر العشر ، بل وقريش شركاؤهم أيضاً فيه ، وسكت ملياً وهو يتهادي بيننا .

ثمّ قال : ألا أخبركما بأحسد قريش كلّها ؟ قلنا : بلى يا أمير المؤمنين ، قال : وعليكما ثيابكما ، قلنا : نعم ، قال : وكيف بذلك وأنتما ملبسان ثيابكما ، قلنا : يا أمير المؤمنين وما بال الثياب ؟ قال : خوف الاذاعة منها ، قلنا له : أتخاف الاذاعة من الثياب أنت وأنت من ملبس الثياب أخوف ، وما الثياب أردت ؟ قال : هو ذاك .

ثمّ انطلق ، فانطلقنا معه حتّى انتهينا الى رحله ، فخلّى أيدينا من يده ، ثمّ قال : لا ترياً^(١) ودخل ، فقلت للمغيرة : لا أبا لك لقد عثرنا بكلامنا معه وما كنّا فيه ، وما نراه حسبنا الا ليذاكرنا ايّاه ، قال : فأنا لكذلك اذ أخرج اذنه الينا ، فقال : أدخلا ، فدخلنا ، فوجدناه مستلقياً على بردعة^(٢) الرحل فلما رأنا تمثّل بقول كعب بن زهير .

لا تفش سرّك الا عند ذي ثقة أولى وأفضل ما استودعت أسراراً

صدراً رحيباً وقلباً واسعاً قلنا ألا تخاف متى أودعته اظهارة

فعلمنا أنّه يريد أن نضمن له كتمان حديثه ، فقلت أنا له : يا أمير المؤمنين ألزمتنا

(١) أي : لا تبرحاً .

(٢) البردعة بالفتح : المجلس الذي يلتقى تحت الرحل .

وخصنا وصلنا، قال: بماذا يا أبا الأشعريين؟ قلت: بإفشاء سرك وأن تشركننا في همتك، فنعم المستشاران نحن لك، قال: أنكما كذلك، فاسألأعما بدلكما، ثم قام الى الباب ليغلقه، فاذا الآذن الذي أذن لنا عليه في الحجرة، فقال: امض عتاً لا أم لك، فخرج وأغلق الباب خلفه، ثم أقبل علينا فجلس معنا، وقال: سلا تخبرا.

قلنا: نريد، أن يخبرنا أمير المؤمنين بأحسد قريش الذي لم تأمن ثيابنا على ذكره لنا؟ فقال: سألتما عن معضلة وسأخبركما، فليكن عندكما في ذمة منيعة وحرز ما بقيت، فاذا متّ فشانكما وما شئتما من اظهار أو كتمان، قلنا: فإن لك عندنا ذلك.

قال أبو موسى: وأنا أقول في نفسي: ما يريد الآ الذين كرهوا استخلاف أبي بكر له كطلحة وغيره، فأنهم قالوا لأبي بكر: أتستخلف علينا فظاً غليظاً، وإذا هو يذهب الى غير ما في نفسي، فعاد الى التنفس، ثم قال: من تريانه؟ قلنا: والله ما ندري الآ ظناً، قال: ومن تظنّان؟ قلنا: عساك تريد القوم الذين أرادوا أبا بكر على صرف هذا الأمر عنك.

قال: كلاً والله، بل كان أبو بكر أعقّ، وهو الذي سألتما عنه، كان والله أحسد قريش كلّها، ثم أطرق طويلاً، فنظر المغيرة الى ونظرت اليه، وأطرقنا ملياً لا طراقه، وطال السكوت متاً ومنه، حتى ظنننا أنه قد ندم على ما بدا منه.

ثم قال: والهفاه من ضئيل بني تيم بن مرّة، لقد تقدمني ظالماً، وخرج اليّ منها آتماً، فقال المغيرة: أما تقدّمه عليك يا أمير المؤمنين ظالماً فقد عرفناه، كيف خرج اليك منها آتماً؟ قال: ذاك لأنه لم يخرج اليّ منها الآ بعد بأس منها، أما والله لو كنت أطعت يزيد بن الخطّاب وأصحابه لم يتلمّظ^(١) من حلاوتها بشيء أبداً، ولكنني قدّمت وأخرت، وصعدت وصوّبت، ونقضت وأبرمت، فلم أجد الآ الاغضاء على ما نشب به منها، والتلهّف على نفسي، وأمّلت انابته ورجوعه، فوالله ما فعل حتى

(١) تلمّظ: تتبّع بقيّة الطعام في فمه وأخرج لسانه ففسح به شفثيه.

نغربها بشماً^(١) .

قال المغيرة : فما منعك منها يا أمير المؤمنين وقد عرّضك لها يوم السقيفة بدعائك إليها ، ثم أنت الآن تنقم وتتأسّف ؟ فقال : ثكلتك أمك يا مغيرة ، أنّي كنت أعدّك من دهاة العرب ، كأنك كنت غائباً عمّا هناك ، إنّ الرجل ما كرتي فاكرتي ، وألفاني أحذر من قطة ، أنّه لمّا رأى شغف الناس به ، واقبالهم بوجوههم عليه ، أيقن أنّه لا يريدون به بدلاً ، فأحبّ لمّا رأى من حرص الناس عليه وميلهم اليه ، أن يعلم ما عندي ، وهل تنازعني نفسي إليها ؟ وأحبّ أن يبيلوني باطماعي فيها ، والتعريض لي بها ، وقد علم وعلمت لو قبلت ما عرضه عليّ لم يجب الناس الى ذلك ، فألفاني قائماً على أخصي ، مستوفزاً حذراً ، ولو أجبته الى قبولها لم يسلم الناس اليّ ذلك ، واختبأ ضغنأ عليّ في قلبه ، ولم آمن غائلته ولو بعد حين .

مع ما بدا لي من كراهة الناس لي ، أما سمعت نداءهم من كلّ ناحية عند عرضها عليّ : لا تريد سواك يا أبا بكر أنت لها ، فرددتها اليه عند ذلك ، فلقد رأيت التمع وجهه لذلك سروراً .

ولقد عاتبني مرّة على كلام بلغه عنيّ ، وذلك لمّا قدم عليه بالأشعث أسيراً ، فنّ عليه وأطلقه ، وزوجه أخته أمّ فروة ، فقلت للأشعث وهو قاعد بين يديه : يا عدوّ الله أكفرت بعد اسلامك ، وارتددت ناكصاً على عقبيك ، فنظر اليّ نظراً علمت أنّه يريد أن يكلمني بكلام في نفسه ، ثمّ لقيني بعد ذلك في سكك المدينة ، فقال لي : أنت صاحب الكلام يابن الخطّاب ؟ فقلت : نعم يا عدوّ الله ولك عندي شرّ من ذلك ، فقال : بسّ الجزء هذا لي منك ، قلت : وعلام تريد منّي حسن الجزء ؟ قال : لأنفتي لك من اتّباع هذا الرجل ، والله ما جرّأني على الخلافة عليه الاّ تقدّمه عليك وتخلّفك عنها ، ولو كنت صاحبها لما رأيت منّي خلافاً عليك ، قلت : لقد كان ذلك فما تأمر

(١) النغر: الامتلاء . والبشم: التخمة .

الآن ؟ قال : أنه ليس بوقت أمر ، بل وقت صبر ومضى ومضيت .

ولقي الأشعث الزبرقان بن بدر ، فذكر له ما جرى بيني وبينه ، فنقل ذلك الى أبي بكر ، فأرسل اليّ بعتاب مؤلم ، فأرسلت اليه : أما والله لتكفّنّ أو لأقولنّ كلمة بالغة بي وبك في الناس ، تحملها الركبان حيث ساروا ، وان شئت استدمنا ما نحن فيه عفواً ، فقال : بل نستديمه ، وأنها لصائرة اليك بعد أيام ، فظننت أنه لا يأتي عليه جمعة حتى يردّها عليّ ، فتغافل ، والله ما ذكرني بعد ذلك حرفاً حتى هلك .

ولقد مدّ في أمدها عاصراً على نواجذه حتى حضره الموت وآيس منها ، فكان منه ما رأيتم ، فاكتمنا ما قلت لكما عن الناس كافة وعن بني هاشم خاصة ، وليكن منكما بحيث أمرتكما اذا شئتما على بركة الله ، فقمنا ونحن نعجب من قوله ، فوالله ما أفسينا سرّه حتى هلك (١) .

ووجه دلالة هذه الأخبار على ما ادّعينا ، أنّ الاستفادة منها أنّ بيعة عمر لأبي بكر لم يكن مبنياً على دليل شرعيّ ، ولا منوطاً برأي واعتقاد ، بل حمله على ما فعل حبّ الرئاسة والرغبة في الحكومة والسياسة ، وروى هذه الرواية سيّدنا الشريف المرتضى في الشافي ، وابن أبي الحديد في شرحه ، نقلاً عنه وعن الطبري .

ومما يدلّ أيضاً على ما ادّعينا ، ما نقله ابن أبي الحديد في شرحه على نهج البلاغة ، قال : ومن كلام له عليه السلام في وقت الشورى : لن يسرع أحد قبلي الى دعوة حقّ ، وصلّة رحم ، وعائدة كرم ، فاسمعوا قولي ، وعوا منطقي ، عسى أن تروا هذا الأمر من بعد هذا اليوم تنتضي فيه السيوف ، وتخان فيه العهود ، حتى يكون بعضكم أئمة لأهل الضلالة ، وشيعة لأهل الجهالة (٢) .

الشرح : هذا من جملة كلام قاله عليه السلام لأهل الشورى بعد وفاة عمر ، وقد ذكرنا

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢ : ٣٠ - ٣٤ ، والشافي ٤ : ١٢٩ - ١٣٥ .

(٢) نهج البلاغة ص ١٩٦ ، رقم الكلام : ١٣٩ .

من حديث الشورى فيما تقدّم ما فيه كفاية ، ونحن نذكرها هنا ما لم نذكره هناك ، وهو من رواية عوانة ، عن اسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي في كتاب الشورى ومقتل عثمان ، وقد رواه أيضاً أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في زيادات كتاب السقيفة .

قال : لما طعن عمر جعل الأمر شورى بين سنّة نفر : علي بن أبي طالب ، وعثمان بن عفّان ، وعبد الرحمن بن عوف ، والزيبر بن العوام ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن مالك ، وكان طلحة يومئذ بالشام ، وقال عمر : إنّ رسول الله ﷺ قبض وهو عن هؤلاء راضٍ ، فهم أحقّ بهذا الأمر من غيرهم ، وأوصى صهيب بن سنان مولى عبد الرحمن بن جذعان ، ويقال : إنّ أصله من حيّ من ربيعة بن نزار يقال لهم : عنزة ، فأمره أن يصلّي بالناس حتّى يرضى هؤلاء القوم رجلاً منهم .

وكان عمر لا يشكّ أنّ هذا الأمر صائر الى أحد الرجلين علي وعثمان ، وقال : ان قدم طلحة فهو معهم ، والّا فلتختر الخمسة واحداً منها .

وروى أنّ عمر قبل موته أخرج سعد بن مالك من أهل الشورى ، وقال : الأمر في هؤلاء الأربعة ودعوا سعداً على حاله أميراً بين يدي الامام ، ثمّ قال : ولو كان أبو عبيدة بن الجراح حيّاً لما تخالجتني فيه الشكوك ، فان اجتمع ثلاثة على واحد ، فكونوا مع الثلاثة ، وان اختلفوا فكونوا مع الجانب الذي فيه عبد الرحمن .

وقال لأبي طلحة الأنصاري : يا أبا طلحة فوالله لطلال ما أعزّ الله بكم الدين ، ونصر بكم الاسلام ، اختر من الاسلام خمسين رجلاً ، فأت بهم هؤلاء القوم في كلّ يوم مرّة ، فاستحثوهم حتّى يختاروا لأنفسهم وللأمة رجلاً منهم .

ثمّ جمع قوماً من المهاجرين والأنصار ، فأعلمهم ما أوصى به ، وكتب في وصيّته أن يوليّ سعد بن مالك الكوفة ، وأبا موسى الأشعري ؛ لأنّه كان عزل سعداً عن سخطة ، فأحبّ أن يطلب ذلك الى من يقوم بالأمر من بعده استرضاءً لسعد .

قال الشعبي : فحدّثني من لا أتهمه من الأنصار - وقال أحمد بن عبد العزيز

المجوهري : هو سهل بن سعد الأنصاري - قال : مشيت وراء علي بن أبي طالب عليه السلام حيث انصرف من عند عمر ، والعبّاس بن عبد المطلب يمشي في جانبه ، فسمعتة يقول للعبّاس : ذهبت ممّا والله ، فقال : كيف علمت ؟

قال : ألا تسمعه يقول : كونوا في الجانب الذي فيه عبد الرحمن ؛ لأنّه ابن عمّه ، وعبد الرحمن نظير عثمان وهو صهره ، فاذا اجتمع هؤلاء ، فلو أنّ الرجلين الباقيين كانا معي لم يتغنيا عني شيئاً ، مع أنّي لست أرجو الاّ أحدهما ، ومع ذلك فقد أحبّ عمر أن يعلمنا أنّ لعبد الرحمن عنده فضلاً علينا ، لعمر الله ما جعل الله ذلك لهم علينا ، كما لم يجعله لأولادهم على أولادنا ، أما والله لئن عمر لم يميت لأذكرنه ما أتى الينا قديماً ، ولأعلمته سوء رأيه فينا ، وما أتى الينا حديثاً ، ولئن مات وليموتنّ ليجتمعنّ هؤلاء القوم على أن يصرفوا هذا الأمر عتّا ، ولئن فعلوها وليفعلنّ ليروني حيث يكرهون ، والله ما بي رغبة في السلطان ، ولا حبّ الدنيا ، ولكن لاظهار العدل ، والقيام بالكتاب والسنة .

ثمّ قال بعد كلام : قال الشعبي : وأدخل أهل الشورى داراً ، فأقبلوا يتجادلون عليها ، وكلّهم بها ضنين وعليها حريص : إمّا لدنيا ، وإمّا لآخرة . فلمّا طال ذلك قال عبد الرحمن : من رجل منكم يخرج نفسه من هذا الأمر ويختار هذه الأئمة رجلاً منكم ، فاني طيبة نفسي أن أخرج منها وأختار لكم ؟ قالوا ، قد رضينا ، الأّ علي بن أبي طالب ، فأنّه أتهمه ، وقال : أنظر وأرى ، فأقبل أبو طلحة عليه ، وقال : يا أبا الحسن ارض برأي عبد الرحمن ، كان الأمر لك أو لغيرك ، فقال علي عليه السلام : اعطني يا عبد الرحمن موثقاً من الله لتؤثرنّ الحقّ ولا تتبّع الهوى ، ولا تميل الى صهر ولا ذي قرابة ، ولا تعمل الاّ لله ، ولا تألو هذه الأئمة أن تختار لها خيرها .

قال : فحلف له عبد الرحمن بالله الذي لا اله هو لأجتهدنّ نفسي ولكم وللأئمة ولا أميل الى هوى ولا الى صهر ولا ذي قرابة . قال : فخرج عبد الرحمن ، فكث ثلاثة أيّام يشاور الناس ، ثمّ رجع واجتمع الناس ، وكثروا على الباب لا يشكّون

أنه يبايع علي بن أبي طالب ، وكان هوى قريش كافة ما عدا بني هاشم في عثمان ، وهوى طائفة من الأنصار مع علي عليه السلام ، وهوى طائفة أخرى مع عثمان وهي أقل الطائفتين ، وطائفة لا يبالون أيهما يبيع .

قال : فأقبل المقداد بن عمرو والناس مجتمعون ، فقال : أيها الناس اسمعوا ما أقول ، أنا المقداد بن عمرو ، أنكم ان بايعتم علياً سمعنا وأطعنا ، وان بايعتم عثمان سمعنا وعصينا ، فقام عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي فنادى : أيها الناس أنكم ان بايعتم عثمان سمعنا وأطعنا ، وان بايعتم علياً سمعنا وعصينا ، فقال له المقداد : يا عدو الله وعدو رسوله وعدو كتابه ، ومتى كان مثلك يسمع له الصالحون ؟ فقال له عبد الله : يابن الحليف العسيف ومتى كان مثلك يجترىء على الدخول في أمر قريش ؟

فقال عبد الله بن سعد بن أبي سرح : أيها الملأ ان أردتم ألا تختلف قريش فيما بينها فبايعوا عثمان ، فقال عمار بن ياسر : ان أردتم ألا تختلف المسلمون فيما بينهم فبايعوا علياً ، ثم أقبل على عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، فقال : يا فاسق يا بن الفاسق أنت ممن يستنصحه المسلمون أو يستشيرونه في أمورهم ، وارتفعت الأصوات ، ونادى منادٍ لا يدري من هو - فقريش تزعم أنه رجل من بني مخزوم ، والأنصار تزعم أنه رجل طوال مشرف على الناس - لا يعرفه أحد منهم : يا عبد الرحمن افرغ من أملك ، وامض على ما في نفسك فإنه الصواب .

قال الشعبي : فأقبل عبد الرحمن على علي بن أبي طالب عليه السلام فقال : عليك عهد الله وميثاقه ، وأشد ما أخذ الله على النبيين من عهد وميثاق ، ان بايعتك لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة أبي بكر وعمر ، فقال علي عليه السلام : طاقتي ومبلغ علمي وجهد رأيي ، والناس يسمعون ، فأقبل على عثمان فقال له مثل ذلك ، فقال : نعم لا أزول عنه ولا أدع شيئاً منه .

ثم أقبل على علي ، فقال له ثلاث مرّات ولعثمان ثلاث مرّات ، في كلّ ذلك يجيب

على عليه السلام مثل ما كان أجاب به ، ويجيب عثمان بمثل ما كان أجاب به ، فقال : أبسط يدك يا عثمان ، فبسط يده فبايعه ، وقام القوم فخرجوا وقد بايعوا ، إلا علي بن أبي طالب عليه السلام فإنه لم يبايع .

قال : فخرج عثمان على الناس ووجهه متهلل ، وخرج علي عليه السلام وهو كاسف البال مظلم ، وهو يقول : يا بن عوف ليس هذا بأول يوم تظاهرتم علينا ، من دفعنا عن حقنا والاستئثار علينا ، وأنها لسنة علينا ، وطريقة تركتموها .

فقال المغيرة بن شعبة لعثمان : أما والله لو بويع لغيرك لما بايعناه ، فقال له عبد الرحمن بن عوف : كذبت والله لو بويع غيره لبايعته ، وما أنت وذلك يا بن الدبابة ، والله لو وليها غيره لقلت له مثل ما قلت الآن ، تقرّباً إليه وطمعاً في الدنيا ، فاذهب لا أبالك ، فقال المغيرة : لولا مكان أمير المؤمنين لأسمعتك ما تكره ، ومضيا . قال الشعبي : فلما دخل عثمان رحله ، دخل اليه بنو أمية حتى امتلأت بهم الدار ، ثم أغلقوها عليهم ، فقال أبو سفيان بن حرب : أ عندكم أحد من غيركم ؟ قالوا : لا ، قال : يا بني أمية تلقّفوها تلقّف الكرة ، فوالذي يحلف به أبو سفيان ما من عذاب ، ولا حساب ، ولا جنة ، ولا نار ، ولا بعث ، ولا قيامة ، قال : فاتهره عثمان وساءه بما قال وأمر باخراجه .

ثم قال بعد كلام : قال عوانة : فحدثني يزيد بن جرير ، عن الشعبي ، عن شقيق بن مسلمة ، أن علي بن أبي طالب عليه السلام لما انصرف الى رحله ، قال لبني أبيه : يا بني عبد المطلب ان قومكم عادوكم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله كعداوتهم النبي صلى الله عليه وآله في حياته ، وان يطع قومكم لا تؤمروا أبداً ، والله لا ينيب هؤلاء الى الحق الا بالسيف .

قال : وعبد الله بن عمر بن الخطاب داخل اليهم قد سمع الكلام كله ، فدخل فقال : يا أبا الحسن أتريد أن تضرب بعضهم ببعض ، فقال : أسكت ويحك فوالله لولا أبوك وما ركب مني قديماً وحديثاً ، ما نازعني ابن عقان ولا ابن عوف ، فقام عبد الله فخرج .

قال : وأكثر الناس في أمر الهرمزان وعبيد الله بن عمر وقتله آياه ، وبلغ عثمان ما قال فيه علي بن أبي طالب عليه السلام ، فقام فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس إنّه كان من قضاء الله أنّ عبيد الله بن عمر بن الخطاب أصاب الهرمزان وهو رجل من المسلمين ، وليس له وارث إلاّ الله والمسلمون ، وأنا امامكم وقد عفوت ، أفتعفون عن عبيد الله ابن خليفتمكم بالأمس ؟ قالوا : نعم ، فعفى عنه ، فلما بلغ ذلك عليّاً عليه السلام تضاحك ، وقال : سبحان الله لقد بدأ بها عثمان أيعفو عن حقّ امرىء ليس بواليه ، تالله إنّ هذا هو العجب ، قالوا : فكان ذلك أوّل ما بدا من عثمان ممّا نقم عليه .

قال الشعبي : وخرج المقداد من الغد ، فلقى عبد الرحمن بن عوف ، فأخذ بيده وقال : ان كنت أردت بما صنعت لوجه الله ، فأثابك الله ثواب الدنيا والآخرة . وان كنت أنّما أردت الدنيا ، فأكثر الله مالك ، فقال عبد الرحمن : اسمع رحمك الله اسمع ، قال : لا أسمع والله وجذب يده من يده ، ومضى حتّى دخل على علي عليه السلام فقال : قم فقاتل حتّى نقاتل معك ، قال علي عليه السلام : فبمن أقاتل رحمك الله ، وأقبل عمّار بن ياسر ينادي :

يا ناعي الاسلام قم فانه قد مات عرف وبدأ نكر

أمّا والله لو أنّ لي أعواناً لقاتلتهم ، والله لئن قاتلهم واحد لأكوننّ له ثانياً ، فقال علي عليه السلام : يا أبا اليقظان والله لا أجد عليهم أعواناً ، ولا أحبّ أن أعرضكم لما لا تطيقون ، وبقي علي عليه السلام في داره وعنده نفر من أهل بيته ، وليس يدخل اليه أحد مخافة عثمان .

قال الشعبي : واجتمع أهل الشورى على أن تكون كلمتهم واحدة على من لم يبايع ، فقاموا الى علي عليه السلام فقالوا : قم فبايع عثمان ، قال : فان لم أفعل ؟ قالوا : نجاهدك ، قال : فمشى الى عثمان حتّى بايعه وهو يقول : صدق الله ورسوله ، فلما بايع أتاه عبد الرحمن بن عوف ، فاعتذر اليه وقال : إنّ عثمان أعطانا يده ويمينه ولم تفعل

أنت ، فأحييت أن أتوثق للمسلمين فجعلتها فيه ، فقال : ايهاً عنك ، أنما أثرته بها لتناولها بعده ، دقّ الله بينكما عطر منشم^(١) .

قال الشعبي : وقدم طلحة من الشام بعد ما بويج عثمان ، فقيل له : ردّ هذا الأمر حتى ترى فيه رأيك ، فقال : والله لو بايعتم شرّكم لرضيت ، فكيف وقد بايعتم خيركم ، قال : ثمّ عدا عليه بعد ذلك وصاحبه حتى قتلاه ، ثمّ زعما أنّها يطلبان بدمه . قال الشعبي : فأما ما يذكره الناس من المناشدة ، وقول علي عليه السلام لأهل الشورى : أفيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله كذا ، فإنه لم يكن يوم البيعة ، وأنما كان بعد ذلك بقليل ، دخل علي عليه السلام على عثمان وعنده جماعة من الناس : منهم أهل الشورى ، وقد كان بلغه عنهم هنات وقوارص ، فقال لهم : أفيكم أفيكم ؟ كلّ ذلك يقولون : لا ، قال : لكنّي أخبركم عن أنفسكم ، أما أنت يا عثمان ففررت يوم حنين ، وتولّيت يوم التقى الجمعان ، وأما أنت يا طلحة فقلت : ان مات محمّد لتركضنّ بين خلاخيل نسائه ، كما ركض بين خلاخيل نساتنا ، وأما أنت يا عبد الرحمن فصاحب قراريط ، وأما أنت يا سعد فتدقّ عن أن تذكر .

قال : ثمّ خرج ، فقال عثمان : أما كان فيكم أحد يردّ عليه ؟ قالوا : ما منعك من ذلك وأنت أمير المؤمنين ، وتفترقوا .

قال عوانة : قال اسماعيل : قال الشعبي : حدّثني عبد الرحمن بن جندب ، عن أبيه جندب بن عبد الله الأزدي ، قال : كنت جالساً بالمدينة حيث بويج عثمان ، فجئت وجلست الى المقداد بن عمرو ، فسمعته يقول : والله ما رأيت مثل ما أتى الى أهل هذا البيت ، وكان عبد الرحمن بن عوف جالساً ، فقال : وما أنت وذاك يا مقداد ؟

قال المقداد : أتى والله أحبهم لحبّ رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأني لأعجب من قريش

(١) منشم : امرأة عطّارة من خزاعة ، فتحالف قوم فأدخلوا أيديهم في عطرها على أن يقاتلوا حتى يموتوا ، فضرب ذلك مثلاً لشدة الأمر .

وتطاولهم على الناس بفضل رسول الله ﷺ ثم انتزاعهم سلطانه من أهله ، قال عبد الرحمن ، أما والله لقد أجهدت نفسي لكم ، قال المقداد : أما والله لقد تركت رجلاً من الذين يأمرون بالحقّ وبه يعدلون ، أما والله لو أنّ لي على قريش أعواناً لقاتلتهم قتالي أياهم بيدر وأحد ، فقال عبد الرحمن : ثكلتك أمك لا يسمعنّ هذا الكلام الناس ، فاني أخاف أن تكون صاحب فتنة وفرقة .

قال المقداد : إنّ من دعا الى الحقّ وأهله وولاة أمر لا يكون صاحب فتنة ، ولكن من أقحم الناس في الباطل ، وآثر الهوى على الحقّ ، فذلك صاحب الفتنة والفرقة ، قال : فتربّد وجه عبد الرحمن ، ثمّ قال : لو أعلم أنّك أيّاي تعني لكان لي ولك شأن ، قال المقداد : أيّاي تهتّد يا بن أمّ عبد الرحمن ، ثمّ قام فانصرف .

قال جندب بن عبد الله : فاتّبعتّه وقلت له : يا عبد الله أنا من أعوانك ، فقال : رحمك الله إنّ هذا الأمر لا يغني فيه الرجلان ولا الثلاثة ، قال : فدخلت من فوري ذلك على علي عليه السلام ، فلمّا جلست اليه ، قلت : يا أبا الحسن والله ما أصاب قومك بصرف هذا الأمر عنك ، فقال : صبر جميل والله المستعان .

فقلت : والله أنّك لصبور ، قال : فان لم أصبر فماذا أصنع ؟ قلت : أيّاي جلست الى المقداد بن عمرو وأنفاً وعبد الرحمن بن عوف ، فقالا كذا وكذا ، ثمّ قام المقداد فاتّبعتّه ، فقلت له كذا فقال لي كذا ، فقال لي علي عليه السلام : لقد صدق المقداد فما أصنع ؟ فقلت : تقوم في الناس فتدعوهم الى نفسك وتخبرهم أنّك أولى بالنبي ﷺ وتسألهم النصر على هؤلاء المظاهرين عليك ، فان أجابك عشرة من مائة شددت بهم على الباقيين ، فان دانوا لك فذاك ، والّا قاتلتهم وكننت أولى بالعدر ، قتلت أو بقيت ، وكننت أعلى عند الله حجّة .

فقال : أترجو يا جندب أن يبايعني من كلّ عشرة واحد ، قلت : أرجو ذلك ، قال : لكنّي لا أرجو ذلك لا والله ولا من المائة واحد ، وسأخبرك أنّ الناس أنّما ينظرون الى قريش ، فيقولون : هم قوم محمّد وقبيله ، وأمّا قريش بينها فتقول : إنّ

آل محمد يرون لهم على الناس بنبوته فضلاً ، فيرون أنهم أولياء هذا الأمر دون قريش ودون غيرهم من الناس ، وأنهم ان ولّوه لم يخرج السلطان منهم الى أحد أبداً ، ومتى كان في غيرهم تداولته قريش بينها ، لا والله لا يدفع الناس الينا هذا الأمر طائعين أبداً .

فقلت : جعلت فداك يابن عمّ رسول الله لقد صدعت قلبي بهذا القول ، أفلا أرجع الى المصنّ ، فأوذّن الناس بمقاتلك ، وأدعو الناس اليك ؟ فقال : يا جندب ليس هذا زمان ذلك .

قال : فانصرفت الى العراق ، فكنت أذكر فضل علي عليه السلام على الناس ، فلا أعدم رجلاً يقول لي ما أكره ، وأحسن ما أسمعه قول من يقول : دع عنك هذا وخذ فيما ينفعك ، فأقول : انّ هذا ممّا ينفعني وينفعك ، فيقوم عنيّ ويدعني .

وزاد أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري : حتّى رفع ذلك من قولي الى الوليد بن عقبة أيّام ولينا ، فبعث اليّ فحبسني حتّى كلّم فيّ ، فخليّ سبيلي .

وروى الجوهري ، قال : نادى عمّار بن ياسر ذلك اليوم : يا معشر المسلمين أنا قد كنّا وما كنّا نستطيع الكلام ، قلّة وذلّة ، فأعزّنا الله بدينه ، وأكرمنا برسوله ، فالحمد لله ربّ العالمين ، يا معشر قريش الى متى تصرفون هذا الأمر عن أهل بيت نبيّكم ، تحوّلونه هاهنا مرّة وهاهنا مرّة ، ما أنا آمن أن يزعجه الله منكم ويضعه في غيركم ، كما نزعتموه من أهله ووضعتموه في غير أهله .

فقال له هاشم بن الوليد بن المغيرة : يابن سميّة لقد عدوت طورك ، وما عرفت قدرك ، ما أنت وما رأيت قريش لأنفسها ، أنك لست في شيء من أمرها وامارتها ، فتنحّ عنها ، وتكلّمت قريش بأجمعها ، فصاحوا بعمّار وانتهروه ، فقال : الحمد لله ربّ العالمين ، وما زال أعوان الحقّ أذلاءً ، ثمّ قام فانصرف ^(١) .

ومما يدل أيضاً على ما ادّعيناه، ما رواه أبو بكر أحمد بن مردويه في كتابه، وهو من أعيان المخالفين وثقاتهم، ورواه أيضاً المسمى عندهم صدر الأئمة أخطب خطباء خوارزم موفق بن أحمد المكي ثم الخوارزمي في كتاب الأربعين، قال: عن الامام الطبراني، حدّثنا سعيد الرازي، قال: حدّثنا محمد بن حميد، قال: حدّثنا زافر بن سليمان، قال: حدّثنا الحارث بن محمد، عن أبي الطفيل عامر بن واثلة، قال: كنت على الباب يوم الشورى، فارتفعت الأصوات بينهم، فسمعت علياً عليه السلام يقول: بايع الناس أبابكر وأنا والله أولى بالأمر وأحقّ به منه، فسمعت وأطعت مخافة أن يرجع القوم كفّاراً يضرب بعضهم رقاب بعض بالسيف، ثمّ بايع أبو بكر لعمر وأنا أولى بالأمر منه، فسمعت وأطعت مخافة أن يرجع الناس كفّاراً، ثمّ وأنتم تريدون أن تبايعوا عثمان، اذن لا أسمع ولا أطيع.

وفي رواية أخرى رواها ابن مردويه أيضاً، وساق قول علي بن أبي طالب عليه السلام عن مبايعتهم لأبي بكر وعمر، كما ذكره في الرواية المتقدّمة سواء، إلاّ أنّه قال في عثمان: ثمّ أنتم تريدون أن تبايعوا عثمان، اذن لا أسمع ولا أطيع، إنّ عمر جعلني في خمسة نفر أنا سادسهم، لا يعرفون لي فضلاً في الصلاح، ولا يعرفونه لي، كأنّما نحن فيه شرع سواء، وأيم الله لو أشاء أن أتكلّم لتكلّمت، ثمّ لا يستطيع عربهم ولا عجمهم^(١) ولا المعاهد منهم ولا المشرك ردّ خصلة منها.

ثمّ قال: أنشدكم الله أيّها الخمسة أمنكم أخو رسول الله صلّى الله عليه وآله غيري؟ قالوا: لا، قال: أمنكم أحد له عمّ مثل عمّي حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله غيري؟ قالوا: لا، قال: أمنكم أحد له أخ مثل أخي الزين بالجناحين يطير مع الملائكة في الجنّة؟ قالوا: لا، قال: أمنكم أحد له زوجة مثل زوجتي فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله سيّدة نساء هذه الأمّة؟ قالوا: لا.

(١) في الطرائف: عربيّكم ولا عجميّكم.

قال : أمنكم أحد له سبطان مثل ولدي الحسن والحسين سبطي نبي هذه الأمة
ابني رسول الله ﷺ غيري ؟ قالوا : لا ، قال : أمنكم أحد قتل مشركي قريش
غيري ؟ قالوا : لا ، قال : أمنكم أحد صلى الى القبلتين قبلي ؟ قالوا : لا ، قال : أمنكم
أحد غسل رسول الله ﷺ غيري ؟ قالوا : لا ، قال : أمنكم أحد سكن المسجد يَمُرُّ
فيه جنباً غيري ؟ قالوا : لا ، قال : أمنكم أحد ردّت عليه الشمس بعد غروبها حتّى
صلى العصر غيري ؟ قالوا : لا .

قال : أمنكم أحد قال له رسول الله ﷺ حين قرب اليه الطير فأعجبه : اللهم
اثنني بأحبّ خلقك اليك حتّى يأكل معي من هذا الطير ، فجئت وأنا لا أعلم ما كان
من قوله ، فدخلت ، فقال : والي يا ربّ والي يا ربّ غيري ؟ قالوا : لا ، قال : أفيكم
أحد كان أقتل للمشركين عند كلّ شديدة تنزل برسول الله ﷺ غيري ؟ قالوا : لا .
قال : أفيكم أحد أعظم غناءً عن رسول الله ﷺ متى حين اضطجعت على
فراشه ووقيته بنفسي وبذلت مهجتي غيري ؟ قالوا : لا ، قال : أفيكم أحد يأخذ
الخمس غيري وغير زوجتي فاطمة ؟ قالوا : لا ، قال : أفيكم أحد كان له سهم في
الخاصّ وسهم في العامّ غيري ؟ قالوا : لا .

قال : أفيكم أحد يطهره كتاب الله غيري حتّى سدّ النبي ﷺ أبواب المهاجرين
جميعاً وفتح بابي حتّى قام اليه عمّاه حمزة والعبّاس ، وقالوا : يا رسول الله سدّدت
أبوابنا وفتحت باب علي ؟ فقال النبي ﷺ : ما أنا فتحت بابه ولا سدّدت أبوابكم ،
بل الله فتح بابه وسدّ أبوابكم ؟ قالوا : لا .

قال : أفيكم أحد تمّ الله نوره من السماء حين قال ﴿ وآت ذا القربى حقّه ﴾ ؟
قالوا : اللهم لا ، قال : أفيكم أحد ناجى رسول الله ﷺ ستّة عشر مرّة غيري حين
نزل جبرئيل ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم
صدقة ﴾ أعمل بها أحد غيري ؟ قالوا : اللهم لا ، قال : أفيكم أحد ولي غمض
رسول الله ﷺ غيري ؟ قالوا : لا ، قال : أفيكم أحد آخر عهده برسول الله ﷺ

حين وضعه في حفرة غيره؟ قالوا: لا (١).

وفي رواية أخرى عن صدر الأئمة عندهم موقّق بن أحمد المكي يرويه عن فخر خوارزم محمود الزمخشري ، باسناده الى أبي ذرّ ، زيادة في مناشدة علي بن أبي طالب عليه السلام لأهل الشورى ، وهذه لفظها : ناشدتم الله هل تعلمون معاشر المهاجرين والأنصار أنّ جبرئيل أتى النبي صلى الله عليه وآله فقال : يا محمد لا سيف الآذو الفقار ولا فتى الآ علي ، هل تعلمون كان هذا؟ قالوا : اللهم نعم .

قال : فأنشدكم الله هل تعلمون أنّ جبرئيل نزل على النبي صلى الله عليه وآله فقال : يا محمد إنّ الله تعالى يأمرك أن تحبّ عليّاً ، وتحبّ من يحبه ، فإنّ الله يحبّ عليّاً ويحبّ من يحبّ عليّاً؟ قالوا : اللهم نعم .

قال : فأنشدكم الله هل تعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : لما أسري بي الى السماء السابعة رفعت الى رفارف من نور ، ثمّ رفعت الى حجب من نور ، فوعد النبي صلى الله عليه وآله الجبّار لا اله الا هو أشياء ، فلما رجع من عنده نادى مناد من وراء الحجب : نعم الأب أبوك ابراهيم ، ونعم الأخ أخوك علي ، فاستوص به ، أتعلمون معاشر المهاجرين والأنصار كان هذا؟ فقال من بينهم أبو محمد يعني عبد الرحمن بن عوف : سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وآله والآ فصمتنا .

قال : هل تعلمون أنّ أحداً كان يدخل المسجد جنباً غيري؟ قالوا : اللهم لا ، قال : فأنشدكم الله انّ أبواب المسجد سدّها وترك بابي؟ قالوا : اللهم نعم ، قال : هل تعلمون أنّي كنت اذا قاتلت عن يمين رسول الله صلى الله عليه وآله قال : أنت متّي بمنزلة هارون من موسى الاّ أنّه لا نبيّ بعدي؟ قالوا : اللهم نعم .

قال : فهل تعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله حين أخذ الحسن والحسين ، جعل

(١) الطرائف في معرفة المذاهب للسيد بن طاووس ص ٤١١ - ٤١٣ ، والمناقب للخوارزمي ص ٢٢٤ ، والمناقب لابن المغازلي ص ١١٢ ، وينابيع المودة ص ١١٤ .

رسول الله ﷺ يقول : هي يا حسن ، فقالت فاطمة : ان الحسين أصغر وأضعف ركناً منه ، فقال لها رسول الله ﷺ : ألا ترضين أن أقول أنا : هي يا حسن ، ويقول جبرئيل : هي يا حسين ، فهل لأحد منكم مثل هذه المنزلة ؟ نحن الصابرون ليقضي الله في هذه البيعة أمراً كان مفعولاً .

ثم قال : وقد علمت موضوعي من رسول الله ﷺ ، والقراة القرابية ، والمنزلة الخصيصة ، وضعتني في حجره وأنا وليد ، فضمتني الى صدره ، ويكفني في فراشه ، ويمسني جسده ، ويشمتني عرقه ، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمني ، وما وجد في كذبة في قول ولا خطأ في فعل .

ولقد قرن الله به من لدن كان فطياً أعظم ملك من ملائكته ، يسلك به طريق (١) المكارم ، ومحاسن المعالم ليله ونهاره ، ولقد كنت أتبعه أتباع الفصيل اثر أمه ، يرفع لي كل يوم علماً من أخلاقه ، ويأمرني بالاعتداء به ، ولقد كان يجاور كل سنة بجراء ، فأراه ولا يراه غيري ، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول الله ﷺ وخديجة وأنا ثالثهما ، أرى نور الوحي والرسالة ورائحة النبوة .

ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه ﷺ ، فقلت : يا رسول الله ما هذه الرنة ؟ فقال : هذا الشيطان قد آيس من عبادته ، أنت تسمع ما أسمع ، وترى ما أرى ، الا أنك لست بنبي لكناك وزير وانك لعلى خير .

ولقد كنت معه لما أتاه الملائ من قريش ، فقالوا له : يا محمد أنك قد ادّعت عظيمًا لم يدعه أبائك ، ولا أحد من بيتك ، ونحن نسألك أمراً ان أجبتنا اليه وأريتناه علمنا أنك نبي ورسول ، وان لم تفعل علمنا أنك ساحر كذاب ، فقال لهم رسول الله ﷺ : وما تسألون ؟ قالوا : تدعو لنا هذه الشجرة حتى تنقطع (٢) بعروقها وتقف بين

(١) في الطرائف : سبيل .

(٢) في الطرائف : تنقلع .

يديك ، فقال ﷺ : ان الله على كل شيء قدير ، فان فعل الله ذلك لكم تؤمنون وتشهدون بالحق؟ قالوا : نعم ، قال عليه الصلاة والسلام : فاني سأريكم ما تطلبون ، واني لأعلم أنكم ما تفيئون الى خير ، وان فيكم من يطرح في القلب ، ومن يحزب الأحزاب .

ثم قال : يا أيها الشجرة ان كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر ، وتعلمين اني رسول الله ، فانقلعي بعروقك حتى تقفي بين يدي باذن الله ، فوالذي بعثه بالحق لانقلعت بعروقتها وجاءت ولها دوي شديد ، وقصف كقصف أجنحة الطير حتى وقفت بين يدي رسول الله ﷺ وألقت بعضها الأعلى على رسول الله ﷺ وبعض أغصانها على منكبي ، وكنت عن يمينه ﷺ .

فلما نظر القوم الى ذلك ، قالوا علواً واستكباراً : فرها فليأتيك نصفها ويبقى نصفها ، فأمرها بذلك ، فأقبل اليه نصفها كأعجب اقبال وأشدّها دويّاً ، وكادت تلتف برسول الله ﷺ ، فقالوا كفراً وعتواً : فر هذا النصف فليرجع الى نصفه كما كان ، فأمره فرجع .

فقلت : أنا لا اله الا الله ، اني أول مؤمن بك يا رسول الله ، وأول من آمن بأن الشجرة فعلت ما فعلت بأمر الله ، تصديقاً لنبوتك ، واجلالاً لكلمتك ، فقال القوم كلهم : بل ساحر كذاب عجيب السحر حقيق فيه ، فهل يصدّقك في أمرك الا مثل هذا يعنوني ، واني لمن القوم الذين لا يأخذهم في الله لومة لائم سيّما الصديقين ، وكلامهم كلام الأبرار ، عماد الليل ، ومنار النهار ، متمسكون بحبل الله القرآن ، يحيون سنة الله وسنن رسوله ، لا يستكبرون ، ولا يعلون ، ولا يفسدون ، قلوبهم في الجنان ، وأجسادهم في العمل (١) .

ومما يدل أيضاً على ما ادّعينا ، ما رواه أبو بكر بن مردويه باسناده ، عن أبي ذر

(١) الطرائف ص ٤١٣ - ٤١٦ عن الخوارزمي .

ومقداد وسلمان ، قالوا : كُنَّا قَعُوداً عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا مَعَنَا غَيْرُنَا ، اِذْ اَقْبَلَ ثَلَاثَةَ رَهْطٍ مِنَ الْمَاهِجِرِينَ الْبَدْرِيِّينَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : تَفْتَرِقُ أُمَّتِي بَعْدِي ثَلَاثَ فِرَقٍ : فِرْقَةٌ أَهْلُ حَقٍّ لَا يَشُوبُونَهُ بَيَاطِلٌ ، مِثْلَهُمْ كَمِثْلِ الذَّهَبِ كُلَّمَا فُتِنْتَهُ بِالنَّارِ اِزْدَادَ جُودَةً وَطَيِّباً ، وَامَامُهُمْ هَذَا لِأَحَدِ الثَّلَاثَةِ ، وَهُوَ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ اِمَاماً وَرَحْمَةً . وَفِرْقَةٌ أَهْلُ بَاطِلٍ لَا يَشُوبُونَهُ بِحَقٍّ ، مِثْلَهُمْ كَمِثْلِ خَبْثِ الْحَدِيدِ ، كُلَّمَا فُتِنْتَهُ بِالنَّارِ اِزْدَادَ خَبْثاً ، وَامَامُهُمْ هَذَا لِأَحَدِ الثَّلَاثَةِ . وَفِرْقَةٌ أَهْلُ ضَلَالَةٍ مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ ، لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ ، وَامَامُهُمْ هَذَا لِأَحَدِ الثَّلَاثَةِ .

قال : فسألته عن أهل الحقّ وامامهم ، فقالوا : هذا علي بن أبي طالب امام المتقين ، وأمسك عن الاثنتين ، فجهدت أن يسميها فلم يفعل ^(١) .

وروى هذا الحديث أيضاً أخطب خطباء خوارزم ، وأبو الفرج المعافا بن زكريّا شيخ البخاري .

ووجه الدلالة : أنه يدلّ على اختلاف الأئمة بعد النبي ﷺ ، وإنّ أهل الحقّ من كان علي عليه السلام امامه ، فبطل ما ادّعوه من الاجماع على امامة أئمة الضلالة .

ومّا يدلّ أيضاً على ما ادّعيناها ، ما نقله ابن أبي الحديد في شرحه ، قال : قال أبو بكر : وحدثني علي بن سليمان النوفلي ، قال : سمعت أبيّاً يقول : ذكر سعد بن عبادة يوماً عليّاً بعد يوم السقيفة ، فذكر أمراً من أمره - نسيه أبو الحسن - يوجب ولايته ، فقال له ابنه قيس بن سعد : أنت سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا في علي بن أبي طالب عليه السلام ثمّ تطلب الخلافة ويقول أصحابك : منّا أمير ومنكم أمير ، لا كلّمك والله من رأسي بعدها كلمة أبداً ^(٢) .

ومّا يدلّ أيضاً على ما ادّعيناها ، ما نقله ابن أبي الحديد في شرحه ، قال : قال :

(١) اليقين في امرة أمير المؤمنين ص ١٨٢ ب ١٨٥ ، وبحار الأنوار ٢٨ : ١٠ ح ١٦ .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦ : ٤٤ .

أبوبكر : وحدثنا أبو زيد عمر بن شبة باسناد رفعه الى ابن عباس ، قال : أتيت لأماشي عمر في سكة من سكك المدينة يده في يدي ، فقال : يا ابن عباس ما أظن صاحبك إلا مظلوماً ، فقلت في نفسي : والله لا يسبقني بها ، فقلت : يا أمير المؤمنين فاردد اليه ظلامته ، فانزع يده من يدي ، ثم مر بهم ساعة ، ثم وقف فلحقته ، فقال لي : يا ابن عباس ما أظن القوم منهم من صاحبك إلا أنهم استصغروه ، فقلت في نفسي : هذه شر من الأولى ، فقلت : والله ما استصغره الله حين أمره أن يأخذ سورة البراءة من أبي بكر (١) .

وفيه أيضاً رواية أخرى في هذا المعنى ، قال : قال أوبكر : وأخبرنا أبو زيد عمر بن شبة ، قال : حدثنا محمد بن حاتم ، عن رجاله ، عن ابن عباس ، قال : مر عمر بعلي وأنا معه بفناء داره ، فسلم عليه ، فقال له علي : أين تريد ؟ الى قوله فقال علي عليه السلام : قم معه ، فمشيت الى جانبه ، فشبك في أصابعي ومشينا قليلاً حتى خلفنا البقيع ، قال : يا ابن عباس أما والله إن صاحبك هذا لأولى الناس بالأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله إلا أنا خفناه على اثنين ، قال ابن عباس : فجاء بكلام لم أجد بداً من مسألته عنه ، فقلت : ما هما يا أمير المؤمنين ؟ قال : خفناه على حدائث سنه ، وحبّه بني عبد المطلب (٢) .

ومما يدل أيضاً على ما ادّعيناها : ما نقله ابن أبي الحديد من كتاب تاريخ بغداد ، أن عمر سأل ابن عباس كيف علياً ؟ قال : يمسح بالدلو ويقرأ القرآن ، قال : ألقى في نفسه شيء من الخلافة يزعم أن النبي صلى الله عليه وآله جعلها له ، قلت : نعم ، قال : أراد في مرضه أن يصرح باسمه ، فنعت اشفاقاً وحيطة على الاسلام ، وعلم رسول الله صلى الله عليه وآله أنني علمت ما في

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦ : ٤٥ .

(٢) شرح نهج البلاغة ٦ : ٥٠ - ٥١ .

نفسه فأمسك (١).

ومما يدل أيضاً على ما ادّعينا: ما نقله ابن أبي الحديد في الجزء التاسع من شرحه، عن الواقدي في كتاب الشورى، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: شهدت عتاب عثمان لعلي رضي الله عنه، فقال له في بعض ما قاله: نشدتك الله أن تفتح للفرقة باباً، فلعهدي بك وأنت تطيع عتيقاً وابن الخطاب طاعتك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولست بدون واحد منها، وأنا أمسّ بك رحماً، وأقرب اليك صهراً، فان كنت تزعم أن هذا الأمر جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد رأيناك حين توفي نازعت ثم أقررت، فان كانا لم يركبا من الأمر جدداً، فكيف أذعنت لهما بالبيعة وبخعت بالطاعة؟ وان كانا أحسنا فيما وليا، ولم أقصر عنها في ديني وحسبي وقرابتي، فكن لي كما كنت لهما.

فقال علي رضي الله عنه: أما الفرقة فعاذ الله أن أفتح لها باباً، وأسهل اليها سبيلاً، ولكني أنهاك عما ينهك الله ورسوله عنه، وأهديك الى رشدك. وأما عتيق وابن الخطاب، فان كانا أخذوا ما جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم لي، فأنت أعلم بذلك والمسلمون، ومالي ولهذا الأمر وقد تركته منذ حين. فأما ألا يكون حقي بل المسلمون فيه شرع، فقد أصاب السهم الثغرة. وأما أن يكون حقي دونهم، فقد تركته لهم، طبت به نفساً، ونقضت يدي عنه استصلاحاً.

وأما التسوية بينك وبينها، فلست كأحدهما أتتها وليا هذا الأمر، فظلفا أنفسهما (٢) وأهلها عنه، وعمت فيه وقومك عوم السابح في اللجة، فارجع الى الله أباعمرو، وانظر هل بقي من عمرك الآكظمء الحمار، فحتى متى والى متى، ألا تنهي سفهاء بني أمية عن أعراض المسلمين وأبشارهم وأمواهم، والله لو ظلم عامل من عمالك حيث تغرب الشمس، لكان ائمه مشتركاً بينه وبينك.

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٢: ٢٠ - ٢١.

(٢) أي: كفا أنفسهما.

قال ابن عباس ، فقال عثمان : لك العتبي ، وافعل واعزل من عمالي كل من تكرهه ويكرهه المسلمون ، ثم افترقا ، فصدّه مروان بن الحكم عن ذلك ، وقال : يجترىء عليك الناس ، فلا تعزل أحداً منهم ^(١) .

ومما يدل أيضاً على ما ادّعيناه : ما نقله في الفاتحة في النوع الثالث ، عن أبي ذرّ ، وبعض عبارة الحديث هذه ، قال : قلت : يا أباذرّ أتأنا لنعلم أنّ أحبّهم الى رسول الله ﷺ أحبّهم اليك ، قال : أجل ، قلنا : أيّهم أحبّ اليك ؟ قال : هذا الشيخ المضطهد المظلوم حقّه ، يعني علي بن أبي طالب ^(٢) .

ومما يدل أيضاً على ما ادّعيناه : اتّفاق أهل النقل على تخلف سعد بن عبادَة وولده عن بيعة أبي بكر وعمر ، الى أن قتل أو مات في خلافة عمر .

وقد روى أصحابنا عن كتاب جرير الطبري ، عن أبي علقمة ، قلت لابن عبادَة : وقد مال الناس الى بيعة أبي بكر ، قال : فقلت : ألا تدخل فيما دخل فيه المسلمون ؟ قال : اليك عنيّ ، فوالله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : اذا أنا متّ يضلّ الأهواء ، ويرجع الناس على أعقابهم ، فالحقّ يومئذ مع علي وكتاب الله بيده ، فقلت له : هل سمع هذا الخبر غيرك من رسول الله ﷺ ؟ قال : أناس في قلوبهم أحقاد وضغائن ، قلت : بل نازعتك نفسك أن يكون هذا الأمر لك دون كلّهم ، فحلف أنّه لم يهّمّ بها ولم يردّها ، وأنهم لو كانوا بايعوا عليّاً ﷺ كان أوّل من يبايع سعد .

ونقل أهل السير أنّ سعد لم يبايع حتّى قتل .

قال أهل السنّة : بال سعد في جحر فرمته الجنّ بسهمين فقتل ، وسمع قائل ينشد :

سعد بن عبادَة

قد قتلنا سيّد الخزرج

ولم نخطيء فؤاده

ورميناه بسهمين

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩ : ١٥ - ١٦ .

(٢) احقاق الحق ٨ : ٦٧٩ عن مناقب ابن مردويه .

وقال المعتبرون من أهل السير: انّ خالد بن الوليد قتله حين كان سعد في قري غثان من الشام، طلباً لرضا عمر، ولقّوا هذا الشعر، ونسبوا قتله الى الجنّ خوفاً من فتنة الأنصار، وقال شاعر الأنصار:

يقولون سعد شقّت الجنّ بطنه ألا ربّما حقّقت فعلك بالغدر
وما ذنب سعد أنّه بال قائماً ولكن سعداً لم يبايع أبابكر
وأنشده ابنه قيس:

وقالوا دهى سعداً من الجنّ عارض غداً هالكاً منه وذا لكذابها
أتعتصب الجنّ النفوس فمن رأى بعينه ميتاً قد عراه اغتصابها
وتقل أن عمر لقي خالداً وعاتبه في قتل مالك بن نويرة، فقال: ان كنت قتلتها لهنات بيني وبينه، فقد قتلت سعداً لهنات بينكم وبينه، فأعجب عمر قوله وضمه وقبّله (١).

ومما يدلّ أيضاً على ما ادّعيناه: ما نقله ابن أبي الحديد في شرحه، قال: كان فروة بن عمرو ممّن تخلف عن بيعة أبي بكر، وكان ممّن جاهد مع رسول الله ﷺ وقاد فرسين في سبيل الله وكان يتصدّق من نخله بألف وسق في كلّ عام، وكان سيّداً، وهو من أصحاب علي عليه السلام وممّن شهد معه يوم الجمل (٢).

وفيه أيضاً: خالد بن سعيد بن العاص، هو الذي امتنع من بيعة أبي بكر، قال: لا أبايع إلاّ عليّاً عليه السلام (٣).

ومما يدلّ أيضاً على ما ادّعيناه: ما حكاه أبو عمر الزاهد في كتاب اليواقيت، عن رجاله، قالوا: دخل أحمد بن حنبل الى الكوفة، وكان فيها رجل يظهر الامامة،

(١) الصراط المستقيم ٣: ١٠٩.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦: ٢٨ - ٢٩.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦: ٣٢.

فسأل الرجل عن أحمد : ماله لا يقصدني ؟ فقالوا له : إنَّ أحمد ليس يعتقد ما تظهره ، فلا يأتيك إلاَّ أن تسكت عن اظهار مقالاتك له ، قال فقال : لا بدَّ من اظهاري له ديني ولغيره ، وامتنع أحمد من المجيء اليه .

فلما عزم على الخروج من الكوفة قالت له الشيعة : يا أبا عبد الله أتخرج من الكوفة ولم تكتب عن هذا الرجل ؟ فقال : ما أصنع به لو سكت عن اعلانه بذلك كتبت عنه ، فقالوا : ما نحبَّ أن يفوتك مثله ، فأعطاهم موعداً على أن يتقدّموا الى الشيخ أن يكتّم ما هو فيه ، وجاءوا من فورهم الى المحدث وليس أحمد معهم ، فقالوا : إنَّ أحمد عالم بغداد ، فان خرج ولم يكتب عنك ، فلا بدَّ أن يسأله أهل بغداد : لم لم تكتب عن فلان ؟ فتشهر ببغداد وتلعن ، وقد جنناك نطلب حاجة ، فقال : هي مقضية ، فأخذوا منه موعداً ، وجاءوا الى أحمد وقالوا : قد كفيناك قم معنا ، فقام : فدخلوا على الشيخ ، فرحّب بأحمد ، ورفع مجلسه ، وحدثه ما سأل فيه أحمد من الحديث .

فلما فرغ أحمد مسح القلم وتهيأ للقيام ، قال له الشيخ : يا أبا عبد الله لي اليك حاجة ، قال له أحمد : مقضية ، قال : ليس أحبَّ أن تخرج من عندي حتى أعلمك مذهبي ، فقال أحمد : هاته ، فقال له الشيخ : اني أعتقد أنّ أمير المؤمنين صلوات الله عليه كان خير الناس بعد النبي ﷺ واني أقول : أنّه كان خيرهم ، وأنّه كان أفضلهم وأعلمهم ، وأنّه كان الامام بعد النبي ﷺ .

قال : فماتمّ كلامه حتى أجابه أحمد ، فقال : يا هذا وما عليك في هذا القول ، قد تقدّمك في هذا القول أربعة من أصحاب رسول الله ﷺ : جابر ، وأبو ذرّ ، والمقداد ، وسلمان ، فكاد الشيخ يطير فرحاً بقول أحمد ، فلما خرجنا شكرنا أحمد ودعونا له (١) .

ومما يدلّ أيضاً على ما ادّعيناه : ما نقله بعض علمائنا عن ابن قتيبة من علماء المخالفين ، أنه نسب ثمانية عشر من الصحابة الى الرفض ، وعدّ منهم سلمان الفارسي . ومما يدلّ أيضاً على ما ادّعيناه : ما نقله بعض علمائنا ، عن ابن قتيبة من أكابر أهل السنّة ، أنه ذكر أنه لم يبايع أبابكر من أصحاب رسول الله ﷺ ثمانية عشر رجلاً وكانوا رافضة : علي بن أبي طالب ، وأبوذرّ ، وسلمان ، ومقداد ، وعمّار ، وخالد بن سعيد بن العاص ، وأبو بريدة الأسلمي ، وأبيّ بن كعب ، وخزيمة ذو الشهادتين ، وأبو الهيثم بن التّيهان ، وسهل بن حنيف ، وأبو أيّوب الأنصاري ، وحذيفة بن اليمان ، وقيس بن سعد ، وعبد الله بن عبّاس .

ومما يدلّ أيضاً على عدم الاجماع : ما نقله ابن أبي الحديد في شرحه في المجلّد التاسع ، قال : روى أحمد بن عبد العزيز الجوهري في كتاب السقيفة ، عن محمّد بن قيس الأسدي ، عن المعروف بن سويد ، قال : كنت بالمدينة أيام بوبع عثمان ، فرأيت رجلاً في المسجد جالساً ، وهو يصفق باحدى يديه على الأخرى والناس حوله ، ويقول : واعجبا من قريش ! واستثنّاهم بهذا الأمر على أهل هذا البيت ، معدن الفضل ، ونجوم الأرض ، ونور البلاد ، وإنّ فيهم لرجلاً ما رأيت رجلاً بعد رسول الله ﷺ أولى منه بالحقّ ، ولا أقضى بالعدل ، ولا آمر بالمعروف ، ولا أنهى عن المنكر . فسألت عنه ، فقيل : هذا المقداد ، فتقدّمت اليه وقلت : أصلحك الله من الرجل الذي تذكر ؟ فقال : ابن عمّ نبيك رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب .

قال : فلبثت ما شاء الله ، ثمّ أتيت لقيت أباذرّ رضي الله عنه فحدّثته ما قال المقداد ، فقال : صدق ، قلت : فما يمنعكم أن تجعلوا هذا الأمر فيهم ؟ قال : مه لا تقل هذا ، أيّاكم والفرقة والاختلاف (١) .

ومما يدلّ أيضاً على أنّ بيعة أبي بكر كانت خطأً وخدعة ، قول سلمان

للمهاجرين والأنصار: كرديد ونكرديد، وقد فسّر بالعربيّة معنى كلامه: أصبتم سنّة الأوّلين وأخطأتم أهل بيت نبيكم. ودلالة هذا الكلام على اعتقاده بكون بيعة أبي بكر خطأ واضح.

وما ذكره قاضي القضاة في تفسير كلام سلمان، بأنّ المراد به أصبتم الحقّ وأخطأتم المعدن؛ لأنّ عادة الفرس أن لا تزيل الملك عن بيت الملك. من ضعيف الكلام وسخيفه؛ لأنّ سلمان كان أعرف بالله وأتقى من أن يريد من المسلمين أن يسلكوا سنن الأكاسرة والجبابرة، ويعدلوا عمّا شرعه لهم نبيهم ﷺ.

قال ابن أبي الحديد في شرحه: قال سلمان: كرديد ونكرديد، يفسّره الشيعة فيقول: أسلمتم وما أسلمتم.

وهذه العبارة التي نقلناها عن سلمان، فهي مشهورة معروفة عنه غير مختصّ بنقل علمائنا، بل الذي مختصّ بنقل علمائنا عنه ﷺ فهي عبارات كثيرة صريحة واضحة دالّة على ظلم من تقدّم على علي أمير المؤمنين عليه السلام غير قابلة للتأويل بوجه من الوجوه.

وذكر ابن أبي الحديد في شرحه، قال أبو بكر: وأخبرنا أبو زيد عمر بن شبّة، قال: حدّثنا علي بن أبي هاشم، قال: حدّثنا عمر بن ثابت، عن حبيب بن أبي ثابت، قال: قال سلمان يومئذ: أصبتم ذا السنن منكم، وأخطأتم أهل بيت نبيكم، لو جعلتموها فيهم ما اختلف عليكم اثنان ولأكلتموها رغداً^(١).

ونقل صاحب الصراط المستقيم عن سبط بن الجوزي الحنبلي في كتاب الرجال، أنّ جماعة من الصحابة سألوه لمن الأمر بعد رسول الله ﷺ؟ فقال:

ما كنت أحسب هذا الأمر منصرفاً عن هاشم ثمّ منها عن أبي حسن أليس أوّل من صلّى لقبلتهم وأعرف الناس بالأحكام والسنن

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ٤٩.

ما فيهم من صنوف الخير يجمعها وليس في القوم ما فيه من الحسن (١) فانصرفوا عنه الى السقيفة ، فلما أخبرها قال : كردن ونيك نكردن .

فظهر مما تلوناه أنّ عليّاً عليه السلام والعبّاس وبني هاشم وخيار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، مثل سلمان وأبي ذرّ والمقداد وعمّار وسعد وولده وأقربائه ، لم يكونوا راضين بخلافة أبي بكر وأخويه ، بل ان بايع بعضهم بايع على القهر والاكراه ، فلا ينفع رضاء غيرهم وبيعتهم ، وان كانوا الأكثرين .

وهؤلاء الصحابة ممن أجمع المخالف والموافق على فضلهم والثناء عليهم ، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله : يا سلمان أنت منّا أهل البيت ، وقد آتاك الله العلم الأوّل والآخر ، والكتاب الأوّل والكتاب الآخر (٢) . وقال : رواه الديلمي في الفردوس .

واستدلّ صاحب الفتوحات من علماء الحنابلة بهذا الحديث على عصمة سلمان ، وهذه عبارته على ما نقل عنه صاحب مجالس المؤمنين : ولما كان رسول الله صلى الله عليه وآله عبداً مخلصاً ، أي : خالصاً قد طهّره الله وأهل بيته تطهيراً ، وأذهب عنهم الرجس وكلّما يشينهم ، فإنّ الرجس هو القذرة عند العرب ، على ما حكاها الفرّاء ، قال تعالى ﴿ انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً ﴾ (٣) فلا يضاف اليهم الاّ مطهّر ، ولا بدّ أن يكون كذلك ، فإنّ المضاف اليهم هو الذي لا يشينهم ، فما يضيفون لأنفسهم الاّ من حكم له بالطهارة والتقديس .

فهذا شهادة من النبي صلى الله عليه وآله لسلمان الفارسي بالطهارة والحفظ الالهي والعصمة : حيث قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله : سلمان منّا أهل البيت ، وشهد الله لهم بالتطهير وذهاب الرجس عنهم ، واذا كان لا يضاف اليهم الاّ مطهّر مقدّس ، وحصلت له

(١) راجع : الصراط المستقيم ١ : ٢٣٧ .

(٢) اختيار معرفة الرجال ١ : ٥٤ و ٦٤ .

(٣) الأحزاب : ٣٣ .

العناية الالهية بمجرد الاضافة ، فما ظنك بأهل البيت في نفوسهم ، فهم المطهرون بل عين الطهارة^(١) انتهى .

فان قيل : قول محيي الدين بعضمة أهل البيت دليل على كونه امامياً ؟
قلنا : الأمر ليس كما توهمت ، بل الذي يدلّ على كون الانسان امامياً هو القول بوجود العصمة ، لا بوجود العصمة ، وقد صرّح به ابن أبي الحديد في شرحه ، وفي كتاب المصاييح في باب جامع المناقب من الصحاح : أنّ النبي ﷺ قال لأبي بكر مشيراً إلى سلمان ورجلين آخرين : لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك^(٢) .
وفيه أيضاً : أنّ النبي ﷺ قال واضعاً يده على سلمان : لو كان الايمان في الثريا لناله رجال من هؤلاء^(٣) .

وفي رسالة الاعتقاد لأبي بكر بن مؤمن الشيرازي في تفسير قوله تعالى ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين ﴾^(٤) عن عبد الله بن عباس ﴿ من يطع الله ﴾ يعني : في فرائضه ﴿ والرسول ﴾ يعني : في سنته ﴿ فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين ﴾ يعني : محمداً ﷺ ﴿ والصدّيقين ﴾ يعني : علي بن أبي طالب عليه السلام وهو أوّل من صدّق الرسول ﷺ ﴿ والشهداء ﴾ يعني : علي بن أبي طالب ، وجعفر الطيّار ، وحمزة ، وحسناً ، وحسيناً ، وهم سادات الشهداء ﴿ والصالحين ﴾ يعني سلمان ، وأباذر ، وصهيب ، وبلال ، وحباب ، وعمّار ﴿ وحسن أولئك رفيقاً ﴾ يعني : في الجنة ﴿ وكان الله عليماً ﴾ يعني : انّ منزل علي وفاطمة والحسن والحسين متّحد مع مكان

(١) مجالس المؤمنين للقاضي الشهيد التستري ١ : ٢٠٥ .

(٢) صحيح مسلم ٤ : ١٩٤٧ برقم : ٢٥٠٤ .

(٣) صحيح مسلم ٤ : ١٩٧٣ ح ٢٣١ .

(٤) النساء : ٦٩ .

رسول الله ﷺ في الجنة (١).

وروى الديلمي في الفردوس عن النبي ﷺ : ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق من أبي ذرٍّ شبيهه عيسى بن مريم (٢).

وفي المصاييح في باب جامع المناقب من الحسان ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق من أبي ذرٍّ (٣).

ومن الحسان عن أبي ذرٍّ ، قال : قال لي رسول الله ﷺ : ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق ولا أوفى من أبي ذرٍّ شبهه عيسى بن مريم عليه السلام (٤). وفيه أيضاً من الصحاح ، عن علقمة ، قال : قدمت الشام ، فصلّيت ركعتين ، ثم قلت : اللهم يسّر لي جليساً ، فأتيت قوماً فجلست اليهم ، فإذا شيخ قد جاء حتى جلس الى جنبي ، قلت : من هذا ؟ قال : أبو الدرداء ، قلت : أتّي دعوت الله أن ييسّر لي جليساً صالحاً فيسّرك لي ، فقال : من أنت ؟ قلت : من أهل الكوفة ، قال : أو ليس عندكم ابن أمّ عبد صاحب النعلين والوسادة والمطهرة ؟ وفيكم الذي أجاره الله من الشيطان على لسان نبيّه يعني عمّاراً ؟ أو ليس فيكم صاحب السرّ الذي لا يعلمه غيره يعني حذيفة ؟ (٥).

وفي المصاييح أيضاً في باب جامع المناقب ، في رواية أخرى من الحسان : واهتدوا بهدي عمّار (٦).

(١) احقاق الحق ٣ : ٥٤٢ عن رسالة الاعتقاد .

(٢) سنن ابن ماجة ١ : ٥٥ برقم : ١٥٦ .

(٣) سنن الترمذي ٥ : ٦٢٨ برقم : ٣٨٠١ .

(٤) سنن الترمذي ٥ : ٦٢٨ برقم : ٣٨٠٢ .

(٥) مسند أحمد بن حنبل ٦ : ٤٤٩ - ٤٥١ .

(٦) سنن الترمذي ٥ : ٦٢٧ برقم : ٣٧٩٩ .

وفي رواية أخرى من الحسان ، عن خيثمة بن أبي سبرة ، قال : أتيت المدينة ، فسألت الله أن ييسر لي جليساً صالحاً ، فيسر لي أباهريرة ، فجلست إليه ، فقلت له : اني سألت الله أن ييسر لي جليساً صالحاً فوقفت لي ، فقال : من أين أنت ؟ قلت : من أهل الكوفة ، جئت ألتمس الخير وأطلبه ، فقال : أليس فيكم سعد بن مالك ، الى قوله : وحذيفة صاحب سر رسول الله ﷺ وعمار الذي أجاره الله من الشيطان على لسان نبيه ﷺ وسلمان صاحب الكتابين يعني الانجيل والقرآن (١) .
ومن الحسان عن علي عليه السلام قال : استأذن عمار على النبي ﷺ فقال : اءذنوا له ، مرحباً بالطيب المطيب (٢) .

ومن الحسان عن عائشة ، قالت : قال رسول الله ﷺ : ما خير عمار بين امرين الا اختار أشدهما (٣) .

ومن الحسان عن أنس ، قال : قال رسول الله ﷺ : ان الجنة لتشتاق الى ثلاثة : علي ، وعمار ، وسلمان (٤) .

وفي صحيح الترمذي عن النبي ﷺ أن الله تبارك وتعالى أمرني بحب أربعة ، وأخبرني أنه يحبهم ، وهم : علي ، والمقداد ، وسلمان ، وأبوذر (٥) .

هذا ما أردنا نقله من كتب المخالفين من الآثار الدالة على عدم رضاء علي عليه السلام وجماعة من خيار الصحابة وعلماهم بخلافة الثلاثة ، وعلى كونهم معذورين في ترك المحاربة . وأما الآثار من طريقنا في هذا المعنى ، فكتيرة جداً متجاوزة حد التواتر ، ونحن نكتفي ها هنا بقليل منها :

(١) سنن الترمذي ٥ : ٦٣٣ برقم : ٣٨١١ .

(٢) سنن الترمذي ٥ : ٦٢٦ برقم : ٣٧٩٨ .

(٣) سنن الترمذي ٥ : ٦٢٧ برقم : ٣٧٩٩ .

(٤) سنن الترمذي ٥ : ٦٢٦ برقم : ٣٧٩٧ .

(٥) سنن الترمذي ٥ : ٥٩٤ برقم : ٣٧١٨ .

روى أصحابنا عن أبان بن عثمان^(١)، قال : قلت لمولانا الصادق جعفر بن محمد عليه السلام : هل كان في أصحاب رسول الله أحد أنكر على أبي بكر فعله وجلسه مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ قال : بلى يا أبان كان الذي أنكر على أبي بكر فعله وجلسه مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله اثنا عشر رجلاً من المهاجرين والأنصار ، منهم : خالد بن سعيد بن العاص وكان من بني أمية ، و سلمان الفارسي ، وأبوذرّ الغفاري ، والمقداد بن الأسود الكندي ، وعمار بن ياسر ، وبريدة الأسلمي ، وكان من الأنصار : قيس بن سعد بن عبادة ، وأبوالهيثم بن التّيهان ، وسهل بن حنيف ، وخزيمة بن ثابت ذوالشهادتين ، وأبى بن كعب ، وأبو أيوب الأنصاري .

قال : لما صعد أبو بكر المنبر تشاوروا بينهم ، فقال بعضهم لبعض : والله لنأتيه ولنزلته عن منبر رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقال آخرون منهم : والله ان فعلتم هذا أعنتم على أنفسكم ، وقال الله تعالى ﴿ ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة ﴾^(٢) فانطلقوا بنا الى أمير المؤمنين عليه السلام نستشيره ونستطلع رأيه .

قال : فانطلق القوم بأجمعهم الى أمير المؤمنين عليه السلام ، فقالوا له : يا أمير المؤمنين تركت حقاً أنت أحقّ به منه ، ولقد أردنا أن نأتي الرجل وننزله عن منبر رسول الله صلى الله عليه وآله ، فكرهنا أن نحدث شيئاً دون مشاورتك ، فقم انّ الحقّ معك وأنت أحقّ به وأولى منه ؛ لأننا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : علي مع الحقّ والحقّ مع علي ، علي يميل مع الحقّ كيفما مال .

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : وأيم الله لو فعلتم ذلك اذاً لما كنتم الاّ حرباً^(٣) ، ولكنكم كالملح في الزاد ، وكالكحل في العين ، وأيم الله لو فعلتم ذلك لأتيتموني شاهرين

(١) في الاحتجاج : أبان بن تغلب .

(٢) البقرة : ١٩٥ .

(٣) في «ق» : حزباً .

سيوفكم مستعدّين للحرب والقتل لما أتوني وقيل لي: تباع والآقتلنا .
 فلم أجد بداً أن أمنع القوم من نفسي ، وذلك أن رسول الله ﷺ أوعد إليّ قبيل وفاته ، فقال : يا أبا الحسن انّ الأمة من بعدي ستغدر بك ، وتتقض فيك عهدي ، فانك مني بمنزلة هارون من موسى ، وانّ الأمة من بعدي بمنزلة هارون ومن اتّبعه ، وبمنزلة السامري ومن اتّبعه ، فقلت له : يا رسول الله فما تعهد إليّ اذا كان ذلك ؟ فقال ﷺ : ان وجدت أعواناً فبادر اليهم وجاهدهم ، وان لم تجد أعواناً فكفّ يدك واحتقن دمك تلحق بي مظلوماً .

فلما قبض النبي ﷺ اشتغلت بغسله وتكفينه والفرّاح من شأنه ، ثم آليت ثلاثاً أن لا أردي برداء الآ للصلاة حتّى أجمع القرآن ، اذ هو أحقّ وأولى . ثم أخذت بيد فاطمة وابنيّ الحسن والحسين ، فدرت على أهل بدر وأهل السابقة ، فأنشدتهم حتّى ودعوتهم الى نصرتي ، فما أجابني منهم الآ أربعة رهط : سلمان ، والمقداد ، وعمار ، وأبوذرّ ، ولقد راودت في ذلك أهل بيتي ، فأبوا عليّ الآ السكوت ، لما علموا وغارة في صدور القوم ، وبغضهم لله ولرسوله ولأهل بيت نبيّه ، فانطلقوا بأجمعكم الى الرجل ، فاعرفوه ما سمعتم من رسول الله ﷺ ليكون ذلك أوكد للحجّة ، وأبلغ للعقوبة ، وأبعد لهم من رسول الله ﷺ يوم القيامة اذا وردوا عليه .

فانطلق القوم بأجمعهم حتّى أحدقوا بمنبر رسول الله ﷺ وكان يوم الجمعة ، فلما صعد أبو بكر المنبر ، قال المهاجرون للأنصار : قوموا أنتم تكلموا ، فقال الأنصار للمهاجرين : بل قوموا أنتم تكلموا ، فانّ الله تعالى أدناكم في كتابه ، فقال عزّ وجلّ ﴿ لقد تاب الله على النبيّ والمهاجرين والأنصار ﴾ (١) فقال عليّؑ : وأيّ ذنب كان للنبيّ ﷺ حتّى تاب الله عليه ، أمّا تاب الله على أمته .

فأول من تكلم من المهاجرين خالد بن سعيد بن العاص ، فقام قائماً ، فحمد الله

وأثنى عليه ، وصلى على النبي ﷺ ، فقال : يا معشر قريش قد علمتم وعلم خياركم أن رسول الله ﷺ قال لنا ونحن محتوشوه في بني قريظة ، وقد قتل علي عدّة من رجالهم وأولي القوم منهم ، فقال : يا معشر قريش اني موصيكم بوصيّة فاحفظوها ، ومودعكم أمراً فلا تضيّعوه ، ألا وانّ عليّاً امامكم من بعدي وخليفتي فيكم ، بذلك أوصاني جبرئيل عن ربّي تبارك وتعالى ، ألا وان لم تحفظوا وصيّتي فيه ولم توازروه ولم تتصروه اختلفتم في أحكامكم ، واضطرب عليكم أمر دينكم ، ووليّ عليكم أشراركم ، بذلك أخبرني جبرئيل عن ربّي تبارك وتعالى ، ألا وانّ أهل بيتي هم الوارثون لأمري ، القائمون بأمر أمّتي ، اللهم من أطاعني في أهل بيتي وحفظ فيهم وصيّتي ، فاحشره في زمرتي ، ومن عصاني في أهل بيتي ، وضيع فيهم وصيّتي ، اللهم فاحرمهم الجنّة التي عرضها كعرض السماء والأرض .

فقام اليه عمر بن الخطّاب ، فقال له : أسكت يا خالد ، فلست من أهل المشورة ، ولا ممن يعنني برأيه ، فقال له : بل أسكت أنت يا بن الخطّاب ، فإنك والله لا تنطق بغير لسانك^(١) ، وتعتصم بغير أركانك ، وأنك لجبان في الحروب ، لئيم العنصر ، مالك في قريش من مفخر ، ثمّ جلس ينكت ثناياه باصبعه .

ثمّ قام سلمان الفارسي رضي الله عنه وقال : يا أبا بكر الى من تسند أمرك اذا نزل بك الأمر ؟ والى من تفرع اذا سئلت عمّا لا تعلم ؟ وفي القوم من هو أعلم منك ، وأقرب من رسول الله ﷺ قرابة منك ، قدّمه رسول الله ﷺ في حياته ، وأعزّه الينا قبل وفاته ، فتركتهم قوله ، وتناسيت وصيّته ، فعمّا قليل تنتقل عن دنياك ، وتصير الى آخرتك ، وقد علمت أنّ علي بن أبي طالب صاحب هذا الأمر بعد رسول الله ﷺ ، فلو رددت هذا الأمر الى أهله لكان لك في ذلك النجاة من النار ، على أنّك قد سمعت كما سمعنا ، ورأيت كما رأينا ، فلم يرد على ما أنت عليه وأنت له فاعل ، وقد منحتك

(١) في الاحتجاج : فإنك تنطق على لسان غيرك .

نصحي ، وبذلت لك ما عندي ، فان قبلت ذلك وقفت ورشدت ، ثم جلس .
 وقام اليه أبو ذرّ الغفاري رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : يا
 معشر قريش قد علمتم وعلم خياركم أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال لنا : الأمر من بعدي لعلي
 بن أبي طالب ، ثم الأئمة من ولد الحسين ، فتركتم قوله ، وتناسيتم وصيته ، واتبعتم
 أمر الدنيا الفانية ، وتركتم أمر الآخرة الباقية ، وكذلك الأمم كفرت بعد إيمانها ،
 وجحدت بعد برّها ، فكفرتم وحاذتموه حذو القذّة بالقذّة ، ومثل النعل بالنعل ، فعما
 قليل تذوقون وبال أمركم ، وما قدّمت أيديكم ، وما الله بظلام للعبيد ، ثم جلس .

وقام اليه المقداد رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : يا معشر
 قريش قد علمتم وعلم خياركم أنّ أهل بيت نبيكم أقدم سابقة منكم ، وأكثر عناءً
 عن مصاحبتكم نبيكم ، فاعطوهم ما جعله الله ورسوله لهم ، ولا تترتدوا على
 أذاركم فتنقلبوا خاسرين ، ثم جلس .

وقام بريدة الأسلمي رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر النبي صلى الله عليه وسلم فضلى عليه ،
 ثم قال : يا أبا بكر أنسيّت أم تناسيت أم خادعتك نفسك ، أما علمت أنّ النبي صلى الله عليه وسلم
 أمرنا بالسلام على أخيه وابن عمّه سبع سنين في حياته بامرة المؤمنين ، وكان يتهلّل
 وجهه لما يراه من طاعتنا لابن عمّه ، فلو أعطيتموه الأمر من بعده ، فأنّه لكان لكم
 في ذلك النجاة ، ألا واني سمعت رسول الله والآفصمتا وهو يقول : بينا أنا واقف على
 الحوض أسقي منه أمّتي ، اذ يؤخذ بطائفة من أصحابي ذات الشمال الى النار فأقول :
 أصحابي أصحابي ، فيقول جبرئيل عليه السلام : أنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فتتوا
 أمّتك ، وظلموا أهل بيت نبيك ، فأقول : بعداً بعداً وسحقاً سحقاً الى النار . ورأيت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أيها الناس هذا أخي ووصيي وخليفتي من بعدي ، وخير
 من أخلفه ، فوازره وانصروه ولا تخلفوا عنه ، فأنّه لا يدخلكم في ضلاله ، ولا
 يخرجكم من هدى ، ثم جلس .

وقام اليه قيس بن سعد بن عبادة ، فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر النبي صلى الله عليه وسلم ثم

قال : يا أبا بكر اتق الله ولا تكن أول من ظلم محمداً في أهل بيته ، وردّ هذا الأمر الى من هو أحقّ به منك ، تحطّ أوزارك ، وتقلّ ذنوبك ، وتلقى رسول الله ﷺ وهو عنك راض ، أحبّ اليك من أن تلقاه وهو عليك ساخط ، ثمّ جلس .

وقام اليه خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين ، فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر النبي ﷺ فصلّى عليه ، ثمّ قال : يا أبا بكر ألتست تعلم ويعلم المهاجرين والأنصار أنّ رسول الله ﷺ كان يقبل شهادتي وحدي ولا يريد معي غيري ، فقال له مغضباً : نعم أشهد بما تشهد ، فقال : معاشر قريش : اشهدوا عليّ أنّي أشهد على رسول الله ﷺ أنّه قال : هذا علي امامكم بعدي وخليفتي فيكم ، فقدّموه ولا تتقدّموه ، فان قدّمتموه سلك بكم طرائق الهدى ، وان تقدّمتموه سلكتم طرائق الضلالة والردى ، وهو باب حطّة المبتلى به ، مثله فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجى ، ومن تخلف عنها هوى ، ثمّ جلس .

وقام أبو الهيثم بن التيهان ، فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر النبي ﷺ ثمّ قال : يا معاشر قريش اشهدوا عليّ أنّي أشهد على رسول الله ﷺ وقد رأيتّه في هذه الحجرة - يعني : حجرة فاطمة عليها السلام - آخذاً بيد علي بن أبي طالب وهو يقول : أيها الناس هذا علي أخي وابن عمّي ، وكاشف الكرب عن وجهي ، ومن اختاره الله تعالى بعلاً لابنتي ، الشاكّ في علي كالشاكّ في الله ، والتابع لعلي كالتابع سنّة رسول الله ﷺ فاتبعوه يهدكم الى الذي تختلفون فيه من الحقّ ، ثمّ جلس .

وقام اليه سهل بن حنيف ، فحمد الله وأثنى اليه ، وذكر النبي ﷺ فصلّى عليه ، ثمّ قال : يا معاشر قريش اشهدوا عليّ أنّي أشهد على رسول الله ﷺ وقد رأيتّه في هذا المكان ، وهو يقول : أيها الناس هذا امامكم بعدي ووصيّ في حياتي وبعد وفاتي ، وقاضي ديني ومنجز وعدي ، وأوّل من يصفحني على حوضي ، فطوبى لمن اتّبعه ونصره ، والويل لمن تخلف عنه وخذله ، ثمّ جلس .

وقام اليه أبي بن كعب ، فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر النبي ﷺ فصلّى عليه ،

فقال : وما أقول لكم أكثر مما قاله غيري ، أني رأيت النبي ﷺ خرج الينا كهينة المغضب ، وهو آخذ بيد علي عليه السلام ثم قال : أيها الناس من كنت مولاه فعلي مولاه وامامه وحجة الله عليه ، أيها الناس ان الله عزوجل خلق السماوات وخلق لها سكناً وأهلاً ، وجعل لأهلها حرساً ، ألا وان حرس أهل السماوات النجوم ، فاذا هلك النجوم هلك من في السماء ، أيها الناس ان الله خلق الأرض وجعل لها سكناً وأهلاً ، وجعل لأهلها حرساً ، ألا وان حرس أهل الأرض أهلي بيتي ، فاذا هلك أهل بيتي هلك من في الأرض ، ثم جلس .

وقام اليه أبو أيوب الأنصاري ، فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر النبي ﷺ فصلّى عليه ، ثم قال يا معشر المهاجرين والأنصار أما سمعتم الله عزوجل يقول : ﴿ ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً ﴾ (١) وقال تعالى ﴿ انا اعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها ﴾ (٢) أفتريدون أيتاماً أقرب من أيتام رسول الله ﷺ بالأمس ، مات جدّهم واليوم غضبتموهم حقهم ، ثم خنقت أبا أيوب العبرة لا يستطيع كلاماً .

وأفحم أوبكر على المنبر ، لا يحير كلاماً ولا جواباً ، فقام اليه عمر وقال : أنزل منها يا لكع اذا كنت لا تقوم بحجة ، فلم أقت نفسك في هذا المقام؟! والله لقد هممت أن أخلعها منك وأجعلها في سالم مولى أبي حذيفة ، ثم أخذ بيده وانطلق الى منزله ، وبقوا ثلاثة أيام لا يدخلون مسجد رسول الله ﷺ .

فلما كان اليوم الثالث جاءهم خالد بن الوليد ، فقال : ما جلوسكم ؟ فقد طمعت والله فيه بنو هاشم ، وجاءهم سالم ومعه ألف رجل ، وجاءهم معاذ ومعه ألف رجل ، فخرجوا شاهرين سيوفهم يقدمهم عمر ، حتى وقفوا بمسجد رسول الله ﷺ وأمير

(١) النساء : ١٠ .

(٢) الكهف : ٢٩ .

المؤمنين عليه السلام جالس في نفر من أصحابه ، فقال عمر : يا أصحاب علي لئن ذهب رجل يتكلم بالأمس لآخذن الذي فيه عيناه ، فقام اليه خالد بن سعيد بن العاص ، فقال : يابن صهّاك الحبشيّة بأسيافنا تهدّدونا ؟ أم بجمعكم تفرعوننا ؟ والله ان أسيافنا أحدّ من أسيافكم ، وأنا لأكثر منكم وان كنّا قليلين ، فانّ حجّة الله فينا ، والله لولا أنّي أعلم طاعة امامي أولى لي لشهرت سيفي ولجاهدتكم في الله الى أن أبلي عذري ، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : أجلس يا خالد ، فقد عرف الله مقامك ، وشكر لك فعالك ، فجلس .

وقام سلمان ، فقال ، الله أكبر الله أكبر ، سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله والأفصمتنا ، وهو يقول : بينا أخي وابن عمّي جالس في مسجدي من أصحابه يشب جماعة من كلاب أهل النار يريدون قتله وقتل من معه ، فلست أشكّ إلا أنّهم هم .

فهمّ به عمر ، فوثب أمير المؤمنين عليه السلام وأخذ بجامع ثوبه ، ثمّ جلد به الأرض ، وقال : والله يابن صهّاك لولا كتاب من الله سبق ، وعهد من رسول الله تقدّم ، لأريتك أيتنا أقلّ جنداً وأضعف ناصراً ، ثمّ التفت الى أصحابه ، فقال لهم : انصرفوا رحمكم الله فوالله لا دخلت هذا المسجد إلا كما دخله أخواي موسى وهارون ، اذ قال له أصحابه ﴿ اذهب أنت وربك فقاتلا أنا هاهنا قاعدون ﴾ ^(١) والله لا دخلت إلا لزيارة رسول الله صلّى الله عليه وآله أو لقضية أقضيها ، فأنه لا يجوز لحجّة أقامها رسول الله صلّى الله عليه وآله أن يترك الناس في حيرة .

قال أبان : قال الصادق عليه السلام : فوالله ما دخله إلا كما قال عليه السلام ^(٢) .

ومتما يدلّ أيضاً على ما ادّعيه أن عليّاً عليه السلام كان معذوراً في ترك محاربة أبي بكر وعمر وعثمان ، ولم يكن تركه المحاربة لأجل استحقاتهم للخلافة ، ما روي أن الناس

(١) المائدة : ٢٤ .

(٢) الاحتجاج للشيخ الطبرسي : ١ - ١٨٦ - ٢٠١ ، وجمار الأنوار : ٢٨ - ١٨٩ - ٢٠٣ .

قالوا: ماله ما تنازع أبابكر وعمر وعثمان، كما نازع طلحة والزبير وعائشة، فخرج مرتدياً، ثم نادى بالصلاة جامعة، فلما اجتمع أصحابه قام خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا معشر الناس بلغني أنّ قوماً قالوا: ماله ما تنازع أبابكر وعمر وعثمان كما نازع طلحة والزبير وعائشة، وإنّ لي في سبعة أنبياء أسوة:

أولهم: نوح عليه السلام، قال الله تعالى مخبراً عنه ﴿فدعاً ربّه أني مغلوب فانتصر﴾ (١) فان قلت: ما كان مغلوباً فقد كذبت القرآن، وإن كان ذلك كذلك، فالوصي أعذر. والثاني: ابراهيم الخليل خليل الرحمن عليه السلام حيث يقول ﴿واعترلكم وما تدعون من دون الله﴾ (٢) فان قلت: أنّه اعترلهم من غير مكروه، فقد كفرتم. وإن قلت: رأى المكروه منهم فاعترلهم، فالوصي أعذر.

وابن خالته لوط عليه السلام إذ قال لقومه ﴿لو أنّ لي بكم قوّة أو آوي الى ركن شديد﴾ (٣) فان قلت: أنّه كانت له بهم قوّة، فقد كفرتم. وإن قلت: لم يكن له قوّة، فالوصي أعذر.

ولي ييوسف أسوة إذ قال: ﴿ربّ السجن أحبّ اليّ ممّا يدعونني اليه﴾ (٤) إن قلت: أنّه دعي لغير مكروه يسخط الله فقد كفرتم، وإن قلت: أنّه دعي الى ما يسخط الله عزّ وجلّ فاختر السجن، فالوصي أعذر.

وموسى بن عمران عليه السلام إذ يقول ﴿ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي حكماً وجعلني من المرسلين﴾ (٥) فان قلت: أنّه فرّ منهم من غير خوف، فقد كفرتم. وإن قلت: أنّه فرّ منهم خوفاً، فالوصي أعذر.

(١) القمر: ١٠.

(٢) هود: ٨٠.

(٣) مريم: ٤٨.

(٤) يوسف: ٣٣.

(٥) الشعراء: ٢١.

وهارون عليه السلام اذ قال ﴿ ابن أمّ انّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين ﴾ ^(١) فان قلت: أنّهم لن يستضعفوه ولم يشرفوا على قتله ، فقد كفرتم . وان قلت : أنّهم استضعفوه وأشرفوا على قتله ، فالوصيّ أَعذر .

ومحمد صلى الله عليه وآله اذ هرب الى الغار ، فان قلت : أنّه هرب من غير خوف أخافوه ، فقد كفرتم . وان قلت : أنّهم أخافوه فلم يسعه الاّ الهرب ، فالوصيّ أَعذر ، فقال الناس : صدق أمير المؤمنين ، وهذا هو الحقّ والعذر الواضح ^(٢) .

ومّا يدلّ أيضاً زائداً على ما قدّمناه من طرق المخالف على أنّه عليه السلام كان معذوراً في ترك المحاربة ، ما رواه الحميدي في الجمع بين الصحيحين في مسند عائشة في الحديث التاسع عشر من المتفق عليه من عدّة طرق ، قالت : انّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لها : يا عائشة لولا أنّ قومك حديثوا عهد بجاهليّة - وفي حديث آخر : حديثوا عهد بكفر . وفي رواية : حديثوا عهد بشرك - وأخاف أن تنكر قلوبهم لأمرت بالبيت فهدم ، فأدخلت فيه ما أخرج منه ، وأزقتة بالأرض ، وجعلت له بايين : باباً شرقياً ، وباباً غربياً ، فبلغت به أساس ابراهيم ^(٣) .

وقد تقدّم هذا الحديث نقلاً عن الفردوس . ووجه الدلالة ظاهر بين لا يحتاج الى البيان .

وما رواه ابن أبي الحديد في شرحه في تفسير قوله « يا علي ان القوم سيفتنون بأموالهم ، ويمتّون بدينهم على ربّهم ، ويتمتّون رحمته » الى آخره ^(٤) .

(١) الأعراف : ١٥٠ .

(٢) علل الشرائع ص ١٤٨ - ١٤٩ ح ٧ ، والاحتجاج ١ : ٤٤٧ - ٤٤٨ .

(٣) صحيح مسلم ٢ : ٩٦٨ - ٩٦٩ ، كتاب الحجّ ب ٦٩ .

(٤) نهج البلاغة ص ٢٢٠ ، رقم الكلام : ١٥٦ .

قال: قد روى كثير من المحدثين عن علي عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال له: إن الله قد كتب عليك جهاد المفتونين، ثم ذكر كلاماً طويلاً، إلى قوله فقلت: يا رسول الله لو بيّنت لي قليلاً، فقال: إن أمتي ستفتن من بعدي، فتتأول القرآن، وتعمل بالرأي، وتستحلّ الحمر بالبيذ، والسحت بالهدية، والربا بالبيع، وتحرف الكتاب عن مواضعه، وتغلب كلمة الضلال، فكن جليس بيتك حتى تقلدها، فاذا قلدها جاشت عليك الصدور، وقبّلت لك الأمور، تقاتل حينئذ على تأويل القرآن، كما قاتلت على تنزيله، الحديث (١).

علة عدم مبايعة القوم لعلي عليه السلام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله

أقول: قد تبين بما قدّمناه بطلان الاجماع على خلافة أبي بكر، فما بقي في المقام الآخر التعجّب والاستبعاد في اتفاق أكثر الصحابة على بيعه أبي بكر، وترك النصّ الجليّ على خلافة علي عليه السلام المستلزم للنفاق والارتداد.

ومما يرفع هذا التعجّب ما نقله سيّدنا المرتضى رحمته الله عن أبي جعفر بن قبة في كتابه المعروف بالانصاف ما حاصله: إنّ الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله لم يكونوا بأسرهم دافعين للنصّ وعاملين بخلافه، مع علمهم الضروريّ به، وأنما بادر قوم من الأنصار لما قبض الرسول صلى الله عليه وآله إلى طلب الامامة، واختلف كلام رؤسائهم بينهم، واتصلت حالهم بجماعة من المهاجرين، فقصدوا السقيفة عامدين إلى ازالة الأمر عن مستحقّه والاستبداد به، وكان الداعي لهم إلى ذلك والحامل لهم عليه رغبتهم في عاجل الرئاسة، والتمكّن من الحلّ والعقد.

وانضاف إلى هذا الداعي ما كان في نفس جماعة منهم من الحسد لأمر المؤمنين عليهم السلام، لتقدّمه واختصاصه بالفضائل الباهرة والمناقب الظاهرة، والعداوة

له عليه السلام لقتل من قتل من آبائهم ، واغتنموا الفرصة حيث رأوا تشاغل بني هاشم بمصيبتهم ، وعكوفهم على تجهيز نبيهم ﷺ ، فحضروا السقيفة ، ونازعوا في الأمر ، وقفوا على الأنصار ، وجرى بينهم ما هو مذكور .

فلما رأى الناس فعلهم وهم وجوه الصحابة ومن يحسن الظنّ بمثله ، ويدخل الشبهة بفعله ، توهم أكثرهم أنهم لم يلتبسوا بالأمر ، ولا أقدموا على ما أقدموا عليه ، الألعذر يسوغ لهم ذلك ويجوزّه ، فدخلت عليهم الشبهة ، واستحكمت في نفوسهم ، ولم ينعموا النظر في حلّها ، فمالوا ميلهم ، وسلّموا لهم ، وبقي العارفون بالحقّ والثابتون عليه غير متمكّنين من اظهار ما في نفوسهم ، فكلم بعضهم ووقع منهم النزاع ما قد انتابه الرواية ، ثمّ آل الأمر عند الضرورة الى الكفّ والامسك ، واظهار التسليم مع ابطان الاعتقاد للحقّ ، ولم يكن في وسع هؤلاء القوم الأتقل ما سمعوه وعلموه من النصّ الى اخلافهم ومن يأمنوه على نفوسهم وتواتر به الخبر عنهم ، انتهى .

أقول : هذه الرواية وان كانت متضمّنة لمبادرة الأنصار الى طلب الامامة في السقيفة ، ولكن السيّد المرتضى في موضع من الشافي قال : انّ ما كان من الأنصار من حضور السقيفة وجذب الأمر الى جهتهم لم يكن منهم ابتداءً ، بل المعروف في الرواية أنّ نفر من المهاجرين قد اجتمعوا للخوض في باب الامامة ، فبلغ الأنصار أنّ المهاجرين قد اجتمعوا للخوض في باب الامامة ، فصاروا الى السقيفة لا للمباغلة والمجادبة ، وأنما حضروا للتدبّر والمشاورة (١) .

ثمّ اعلم أنّ سيّدنا المرتضى نقل عن أبي جعفر بن قبة ، بعد ما نقل عنه ما ذكرناه ، أنّ وجه دخول الشبهة عليهم أنهم لما سمعوا الرواية عن الرسول الله ﷺ قول الأئمة من قريش ، ظنّوا أنّ ذلك اباحة للاختيار ، وإنّ الأخذ بهذا القول العامّ أولى من الأخذ بالقول الخاصّ المسموع في يوم الغدير وغيره . انتهى كلام ابن قبة .

ويحتمل أن يكون وجه الشبهة ما ذكره سيّدنا المرتضى ، أنّه لما وقعت الفتنة ، واختلفت الكلمة ، ووقع بمن حضر السقيفة من المهاجرين والأنصار ما وقع ، للعلل والأسباب التي ذكرنا بعضها ، ورأى الناس صنيعهم ، اعتقد كثير منهم مع العلم بالنصّ أنّ القوم الذين راموا الأمر وعقدوها لأحدهم ، لم يفعلوا ذلك إلاّ بعهد من الرسول ﷺ وخاصّ اليهم ، وقول منه تأخّر عمّا علموه من الناس وكان كالناسخ له ، وذهب عليهم أنّه لو كان في ذلك عهد في النصّ الظاهر الذي عرفوه ، لما جاز أن يكون خاصّاً ، وإنّ النسخ في مثله لا يقع ؛ لأنّه موجب للبداء ، الى غير هذا من الوجوه المبطلّة لهذه الشبهة ، الى آخر كلامه .

ثمّ اعلم أنّ من أسباب اشتباه الأمر على الناس ما وضعوه من أنّ النبوّة والامامة لا يجتمعان في بيت واحد .

وقد روى سيّدنا المرتضى ، عن عبد الله بن جبلة الكناني ، عن ذريح المحاربي ، عن أبي حمزة الثمالي ، عن جعفر بن محمد بن علي عن آبائه عليهم السلام أنّ بريدة كان غائباً بالشام ، فقدم وقد بايع الناس أبا بكر ، فأتاه في مجلسه ، فقال : يا أبا بكر هل نسيت تسليمنا على علي عليه السلام بأمره المؤمنين واجبة من الله ورسوله ؟ فقال : يا بريدة أنت غبت وشهدنا ، وإنّ الله يحدث الأمر بعد الأمر ، ولم يكن الله ليجمع لأهل هذا البيت النبوّة والخلافة والملك ^(١) .

وروى الشيخ الطبرسي من علمائنا في كتاب الاحتجاج ، عن سليم بن قيس الهلالي ، عن سلمان الفارسي في حكاية طويلة من ذكر احضار علي عليه السلام ، ونذكر هاهنا موضع الحاجة منها ، ثمّ قال علي عليه السلام : يا معاشر المهاجرين والأنصار أسمعتم رسول الله ﷺ يقول يوم غدیر خمّ كذا وكذا ، وفي غزوة تبوك كذا وكذا ؟ فلم يدع شيئاً قاله فيه عليه السلام علانية إلاّ ذكره ، فقالوا : نعم .

فلما أن خاف أبو بكر أن ينصروه بأدرهم ، فقال : كلما قلت سمعنا بأذاننا ، ووعته قلوبنا ، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول بعد هذا : أنا أهل بيت اصطفانا الله تعالى وأكرمنا واختار لنا الآخرة على الدنيا ، وإن الله تعالى لم يكن ليجمع لنا أهل البيت النبوة والخلافة .

فقال علي عليه السلام : أما أحد من أصحاب رسول الله ﷺ شهد هذا معك ؟ قال عمر : صدق خليفة رسول الله ﷺ قد سمعنا هذا منه كما قال ، وقال أبو عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبي حذيفة ومعاذ بن جبل : صدق قد سمعنا ذلك من رسول الله ﷺ ، فقال لهم : بشروا وفيتم بصحيفتكم الملعونة التي تعاقدتم عليها في الكعبة ، ان قتل الله محمداً أو أماته أن تزيلوا هذا الأمر عنا أهل البيت ، الى آخر الحكاية (١) .

وقد تقدّم في هذا المعنى خبر عن قطب الراوندي في شرح نهج البلاغة ، وهو : أن عمر لما نصّ على ستة أنفس استصلحهم للخلافة بعده ، قال : ان اختلفوا فالحق في القوم الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف ، فقال العباس لعلي بن أبي طالب عليه السلام : ذهب الأمر منا ؛ لأنّ عبد الرحمن كانت بينه وبين عثمان مصاهرة وأمور ، فوجب أنّه لا يختار عليه أحداً ، فقال علي عليه السلام للعباس : أنا أعلم ذلك ولكن أدخل معهم في الشورى لأنّ عمر قد استصلحني الآن للإمامة ، وكان من قبل يقول : إنّ رسول الله ﷺ قال : إنّ النبوة والإمامة لا يجتمعان في بيت واحد ، وإنّي أدخل في ذلك ليظهر أنّه كذب نفسه لما روى أولاً (٢) .

وقد نقل ابن أبي الحديد في شرحه كلاماً طويلاً مشتملاً على وجوه وجيهة في رفع الاستبعاد والتعجب في ترك الصحابة النصّ على علي عليه السلام والعمل على خلافه ،

(١) الاحتجاج ١ : ٢١٣ - ٢١٤ .

(٢) الصراط المستقيم ٣ : ١١٩ عنه .

عن أبي جعفر يحيى بن أبي زيد ، وما ذكره هاهنا مختصر من كلامه ، ولم نذكر من كلامه ما كان مخالفاً لعقائد الامامية .

قال : انّ القوم لم يكونوا يذهبون في الخلافة الى أنّها من معالم الدين ، وأنّها جارية بجرى العبادات الشرعيّة ، كالصلاة والصوم ، ولكنّهم كانوا يجرونها بجرى الأمور الدنيويّة ، مثل تأمير الأمراء ، وتدبير الحروب ، وسياسة الرعيّة ، وما كانوا يتحاشون ^(١) في أمثال ذلك من مخالفة نصوصه عليه السلام إذا رأوا المصلحة في غيرها .

ألا تراه كيف نصّ على اخراج أبي بكر وعمر في جيش أسامة ولم يخرجنا ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يخالف وهو حيّ في أمثال ذلك ، ألسنت تعلم أنّه نزل في غزاة بدر منزلاً على أن يحارب قريشاً فيه فخالفته الأنصار ، وهو الذي أخذ الفداء من أسارى بدر ، فخالفه عمر . وقد كان قال لأبي هريرة : أخرج فناد في الناس من قال : لا اله الا الله مخلصاً بها قلبه دخل الجنة ، فخرج أبوهريرة فلقى عمر بذلك ، فدفعه في صدره حتّى وقع على الأرض .

وقد أطبقت الصحابة اطباقاً واحداً على ترك كثير من النصوص ، كاسقاطهم سهم ذوي القربى ، واسقاطهم سهم المؤلّفة قلوبهم ، وهذان الأمران أدخل في باب الدين منها في باب الدنيا ، وقد عملوا بآرائهم أموراً لم يكن لها ذكر في الكتاب والسنة ، ولقد كان أوصاهم في مرضه ، فقال : أخرجوا نصارى نجران من جزيرة العرب ، فلم يخرجهم حتّى مضى صدر من خلافة عمر ، وعملوا في أيام أبي بكر بآرائهم ^(٢) في ذلك ، وهم الذين هدموا المسجد بالمدينة ، وحولوا المقام بمكة ، وعملوا بمقتضى ما يغلب في ظنونهم من المصلحة ، ولم يقفوا مع موارد النصوص حتّى اقتدى بهم الفقهاء من بعد ، فرجّح كثير منهم القياس على النصّ ، حتّى

(١) في الشرح : يبألون .

(٢) في الشرح : برأيهم .

استحالت الشريعة ، وصار أصحاب القياس أصحاباً للشريعة جديدة .

قال النقيب : وأكثر ما كانوا يعملون بأرائهم فيما يجري مجرى الولايات والتأمير والتدبير ، وتقرير قواعد الدولة ، وما كانوا يقفون مع نصوص الرسول صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتدابيراته إذا رأوا المصلحة في خلافها .

ثم نقل عن النقيب كلاماً في بيان رغبة الناس عن علي عليه السلام ، الى قوله : فأصفق الكلّ اصفاقاً واحداً على صرف الأمر عنه لغيره ، واحتج رؤسائهم وقالوا : خفنا الفتنة ، وعلمنا أنّ العرب لا تطيعه وتتركه ، وتأولوا عند أنفسهم النصّ ولا ينكر النصّ ، وقالوا : أنّه النصّ ، ولكن الحاضر يرى ما لا يرى الغائب ، والنصوص قد تترك لأجل المصلحة الكلّية ، وأعانهم على ذلك مسارعة الأنصار وادّعاؤهم الأمر ، واخراجهم سعد بن عبادة من بيته وهو مريض لينصبوه خليفة فيما زعموا ، واختلط الناس ، وكثر الخبط ، وكادت الفتنة أن يضطرم نارها ، فوثب رؤساء المهاجرين فبايعوا أبابكر وكانت فلتة ، كما قال قائلهم .

وزعموا أنّهم أطفؤا بها نائرة الأنصار ، فمن سكت من المسلمين وأغضى ولم يتعرّض ، فقد كفاهم أمر نفسه ، ومن قال سرّاً أو جهراً : إنّ فلاناً قد كان رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكره ، أو نصّ عليه ، أو أشار اليه ، أسكتوه في الجواب بأننا بادرنا الى عقد البيعة مخافة الفتنة ، واعتذروا عنده : إمّا بأنّه حديث السنن ، أو تبغضه العرب ؛ لأنّه وترها وسفك دماءها ، أو لأنّه صاحب زهو وتيه ، أو كيف تجتمع النبوة والخلافة في مغرس واحد ؟

بل قالوا في العذر ما هو أقوى من هذا وأكد ، قالوا : أبوبكر أقوى على هذا الأمر منه ، لاسيّما وعمر يعضده ويساعده ، والعرب تحبّ أبابكر ويعجبها لينه ورفقه ، وهو شيخ مجربّ الأمور ، لا يحسده أحد ، ولا يحقد عليه أحد ، ولا يبغضه أحد ، وليس بذى شرف في النسب ، فيشمخ على الناس بشرفه ، ولا بذى قربى من الرسول صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيدلّ بقربه .

وقالوا: لو نصبنا علياً لارتدّ الناس عن الاسلام، وعادت الجاهليّة كما كانت، فأيا أصلح في الدين؟ الوقوف على النصّ المفضي على ارتداد الناس ورجوعهم الى الأصنام والجاهليّة، أم العمل بمقتضى الأصلح واستبقاء الاسلام، واستدامة العمل بالدين، وان كان فيه مخالفة النصّ.

قال: وسكت الناس عن الانكار: لأنهم كانوا خرقاً^(١)، فمنهم من هو مبغض شائى لعلي عليه السلام، فالذي تمّ من صرف الأمر عنه هو قرّة عينه ويرد فواده، ومنهم ذو الدين وصحة اليقين، إلاّ أنّه لما رأى كبراء الصحابة قد اتفقوا على صرف الأمر عنه، ظنّ أنّهم إنّما فعلوا ذلك لنصّ سمعوه من رسول الله ﷺ ينسخ ما كان قد سمعه من النصّ على أمير المؤمنين عليه السلام، لاسيّما ما رواه أبو بكر من قول النبي ﷺ «الأمّة من قريش» فانّ كثيراً من الناس توهموا أنّه ناسخ للنصّ الخاصّ، وأنّ معنى الخبر أنّكم مباحون في نصب امام من قريش من أيّ بطون قريش كان، فأنّه يكون اماماً. ومنهم فرقة أخرى - وهم الأكثرون - أعراب وجفافة وطغام، وأتباع كلّ ناعق، يميلون مع كلّ ربح، فهؤلاء مقلّدون لا يسألون ولا ينكرون ولا يبحثون، وهم مع أمرائهم ولا يتهمونهم، ولو أسقطوا عنهم الصلاة الواجبة لتركوها، فلذلك أحقّ النصّ، وخفي ودرس، وقويت كلمة العاقدين لبيعة أبي بكر، وقواها زيادة على ذلك اشتغال علي وبنو هاشم برسول الله ﷺ واغلاقتهم بابهم عليهم، وتخليتهم الناس يعملون ما شاؤوا وأحبّوا، ولكنهم أرادوا استدراك ذلك بعد ما فات، وهيئات الفائت لا رجعة له.

وأراد علي عليه السلام بعد ذلك نقض البيعة بعد وقوعها، فلم يتمّ له ذلك، وكانت العرب لا ترى الغدر، ولا تنقض البيعة، صواباً كان أو خطأً، وقالوا: لكنّا قد بايعنا، فكيف السبيل الى نقض البيعة بعد وقوعها.

(١) في الشرح: متفرّقين.

وقال النقيب : ومما جرأ عمر على بيعة أبي بكر ، والعدول عن علي عليه السلام ، مع ما كان يسمعه من الرسول صلى الله عليه وآله في أمره ، أنه كان أنكر مراراً على الرسول صلى الله عليه وآله أموراً اعتمدها ، فلم ينكر عليه الرسول صلى الله عليه وآله انكاره ، بل رجع في كثير منها إليه ، وأشار عليه بأمر كثيرة ، نزل القرآن فيها بموافقته ، فأطمعه ذلك في الاقدام في اعتماده على كثير من الأمور التي كان يرى فيها المصلحة مما هي على خلاف النصّ .

وذلك نحو انكاره الصلاة على عبد الله بن أبي المنافق ، وانكاره فداء أسارى بدر ، وانكاره عليه تبرج نسائه للناس ، وانكاره قضية الحديبية ، وانكاره أمان العباس لأبي سفيان بن حرب ، وانكاره أمره عليه السلام بالنداء من قال لا اله الا الله دخل الجنة ، وانكاره أمره عليه السلام بذبح النواضح ، وانكاره على النساء بحضرة رسول الله صلى الله عليه وآله هيتهن له دون رسول الله صلى الله عليه وآله ، الى غير ذلك من أمور كثيرة يشتمل عليها كتب الحديث . ولولم يكن الا انكاره لقوله عليه السلام في مرضه « ايثوني بدواة وكتف أكتب لكم ما لا تضلون بعدي » لكفى ، وأعجب الأشياء أنه قال ذلك اليوم « حسبنا كتاب الله » فافترق الحاضرون من المسلمين في الدار ، بعضهم يقول : القول ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله ، وبعضهم يقول : القول ما قال عمر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وقد كثرت اللغظ وعلت الأصوات : قوموا عني فما ينبغي لني أن يكون عنده هذا التنازع .

فمن بلغت قوته وهيمته الى هذا كيف ينكر منه أن يبايع أبابكر لمصلحة رآها ، يعدل عن النصّ ، ومن الذي ينكر عليه ذلك ، وهو في القول الذي قاله للرسول صلى الله عليه وآله في وجهه غير خائف من الانكار^(١) ، ولا أنكر عليه أحد لا رسول الله ولا غيره ، وهو أشد من مخالفة النصّ في الخلافة وأقطع وأشنع .

قال النقيب : على أن الرجل ما أهمل أمر نفسه ، بل أعدّ أعداراً وأجوبة ، وذلك لأنه قال لقوم عرضوا له بحديث النصّ : إن رسول الله صلى الله عليه وآله رجع عن ذلك باقامته

أبا بكر في الصلاة مقامه ، فأوهمهم أنّ ذلك جارٍ مجرى النصّ عليه بالخلافة ، وقال في يوم السقيفة : أيكم يطيب نفساً أن يتقدّم قدمين قدّمها رسول الله ﷺ في الصلاة ثمّ أكّد ذلك بقوله لأبي بكر وقد عرض عليه البيعة : أنت صاحب رسول الله في المواطن كلّها ، شدّتها ورخائها ، رضيك لديننا ، أفلا نرضيك لدينانا .

وأرضاه عمرو بن العاص ، فروى حديثاً افتعله واختلقه على رسول الله ﷺ ، قال : سمعته يقول : إنّ آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء إنّما وليي الله وصالح المؤمنين ، فجعّلوا ذلك كالناسخ لقوله ﷺ « من كنت مولاه فعلي مولاه » .

قلت للنقيب : أيصحّ النسخ في مثل هذا ؟ أليس هذا نسخاً للشيء قبل تقضيّ وقت فعله ؟ فقال : سبحان الله من أين تعرف العرب هذا ؟ وأنتي لها أن تتصوّره ؟ فضلاً عن أن تحكم بعدم جوازه ، فهل يفهم حدّاق الأصوليين هذه المسألة ؟ فضلاً عن حمق العرب ، هؤلاء قوم ينخدعون بأدنى شبهة ، وهم أصحاب جهل وتقليد لا أصحاب تفضيل ونظر .

قال : ثمّ أكّد حسن ظنّ الناس بهم أنّهم طلقوا أنفسهم عن الأموال ، فزهّدوا في متاع الدنيا وزخرفها ، وسلكوا سلوك^(١) الرفض لزينتها والرغبة عنها ، والقناعة بالظفيف النزر منها ، وأكلوا الحشن ، ولبسوا الكرايس ، ولما ألقت اليهم الدنيا أفلاذ كبدها ، وقرّوا الأموال على الناس ، وقسموها بينهم ، ولم يتدنّسوا منها بقليل ولا كثير ، فالت اليهم القلوب ، وأحبّتهم النفوس ، وحسنت فيهم الظنون .

وقال من كان في نفسه شبهة منهم أو وقفة في أمرهم : لو كان هؤلاء قد خالفوا النصّ لهوى أنفسهم لكانوا أهل الدنيا ، ولظهر عليهم الميل إليها والرغبة فيها ، والاستئثار بها ، وكيف يجمعون على أنفسهم بين مخالفة النصّ وترك لذات الدنيا ومآربها ، فيخسروا الدنيا والآخرة ، وهذا لا يفعله عاقل ، والقوم عقلاء ذووا

(١) في الشرح : مسلك .

ألباب وآراء صحيحة ، فلم يبق عند أحد شكٌّ في أمورهم ، ولا ارتياب بفعلهم ، وثبتت العقائد على ولايتهم وتزويهم ، وتصويب أفعالهم ، ونسوا لذة الرئاسة ، وإن أصحاب الهمم العالية لا يلتفتون الى المأكَل والمشرب والمنكح ، وإنما يريدون الرئاسة والحكم ونفوذ الأمر ، كما قال الشاعر :

وقد رغبت عن لذة المال أنفس وما رغبت عن لذة النهي والأمر

قال : والفرق بين الرجلين وبين الثالث ، ما أصيب به الثالث ، وقتل تلك القتلة ، وخلعه الناس وحصروه وضيّقوا عليه ، بعد أن توالى انكارهم أفعاله ، وجهوه في وجهه وفسّقوه ، وذلك لأنّه استأثر هو وأهله بالأموال ، وانغمسوا فيها واستبدّوا بها ، فكانت طريقته وطريقتهم مخالفة لطريق الأوّلين ، فلم تصبر العرب على ذلك . ولو كان عثمان سلك طريق عمر في الزهد ، وجمع الناس ، وردع الأمراء والولاة عن الأموال ، وتجنّب استعمال أهل بيته ، ووقّر أعراض الدنيا وملاذّها وشهواتها على الناس ، زاهدًا فيها ، تاركًا لها ، معرضًا عنها ، لما ضرّه شيء قطّ ، ولا أنكر عليه أحد قطّ ، ولو حوّل الصلاة من الكعبة الى بيت المقدس ، بل لو أسقط عن الناس احدى الصلوات الخمس ، واقتنع منهم بأربع ، وذلك لأنّ همم الناس مصروفة الى الدنيا والأموال ، فاذا وجدوها سكتوا ، واذا فقدوها هاجوا واضطربوا .

ألست ترى رسول الله ﷺ كيف قسم غنائم هوازن على المنافقين ، وعلى أعدائه الذين يتمنون قتله وموته ، وزوال دولته ، فلما أعطاهم أحبّوه إمّا كلّهم أو أكثرهم ، ومن لم يحبّه منهم بقلبه جامله وداراه ، وكفّ عن اظهار عداوته ، والاجلاب عليه .

ولو أنّ عليًّا عليه السلام صانع أصحابه بالمال وأعطاه الوجوه والرؤساء ، لكان أمره الى الانتظام والاطراد أقرب ، ولكنّه رفض جانب التدبّر الدنيويّ ، وآثر لزوم الدين ، وتمسك بأحكام الشريعة ، والمملك أمر آخر غير الدين ، فاضطرب عليه أصحابه ، وهرب كثير منهم الى عدوّه .

وقد ذكرت في هذا الفصل خلاصة ما حفظته عن النقيب أبي جعفر ، ولم يكن امامي المذهب ، ولا كان يبرأ من السلف ، ولا يرتضى قول المسرفين من الشيعة ، ولكنه كلام أجراه على لسانه البحث والمجدل بيني وبينه ^(١) . انتهى كلامه .

ومما يرتفع به للتعجب والاستبعاد في اتفاق أكثر الصحابة على ترك العمل بالنص مخالفتهم للنبي ﷺ في حياته في زمن الشدة وزمن الرخاء .

أما في الشدة ، فأنهم فارقوه وخذلوه واختاروا أنفسهم عليه في غزوة أحد وحنين وخيبر ، وقد تضمن الكتاب بعض ذلك ﴿ ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاعت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ﴾ ^(٢) ونقل أنهم كانوا في تلك الحال نحو عشر آلاف ، فلم يتخلف منهم الا أقل من عشرة أنفس ، وروي سبع أنفس ، وهم : علي بن أبي طالب عليه السلام ، والعباس ، والفضل بن العباس ، وربيعة ، وأبوسفيان بن الحرث بن عبد المطلب ، وأسامة بن زيد ، وعبيدة بن أمّ أيمن .

وأما مخالفة أصحابه له في الرخاء والأمن ، فقد تضمن الكتاب ذلك ﴿ واذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوا قائماً قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة ﴾ ^(٣) ونقل أنهم اذا سمعوا بوصول تجارة تركوا الصلاة معه ، ولم يلتفتوا الى حرمة ربهم ولا حرمة نبيهم ولا صلاتهم ، وباعوا ذلك كله بمشاهدة تجارتهم ، أو طمع في مكسب منها ، فكيف يستبعد من هؤلاء أن يخالفوا نبيهم بعد وفاته في طلب الملك والخلافة .

وأيضاً من مخالفتهم للنبي ﷺ في حال الرخاء ، أنهم خالفوه في مرض موته

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٢ : ٨٢ - ٩٠ .

(٢) التوبة : ٢٥ .

(٣) الجمعة : ١١ .

وآخر أيام عمره، حيث أراد منهم أن يأتوه بدواة ولوح ليكتب لهم ما يبعدهم عن الضلالة، فحالوا بينه وبين مراده، ونسبه الثاني من خلفاء المخالف إلى الهجر والهديان، وقال: حسبنا كتاب الله. وروى المخالفون هذه الحكاية في صحاحهم ومسانيدهم، وسيجيء أن شاء الله تفصيل هذه الحكاية مع عدة حكايات في مخالفة أبي بكر وعمر لرسول الله ﷺ.

ومما يرفع التعجب في مخالفة أكثر الصحابة لقول النبي ﷺ وتركهم النص الجلي ما رواه المخالفون في صحاحهم، وهذا لفظ مسلم في المجلد الثالث من صحيحه، في حديث عائشة، قالت بعد كلام طويل: فقام رسول الله ﷺ وهو على المنبر، فاستعذر من عبد الله بن أبي بن سلول، قالت: فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر: يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغ أذاه في أهل بيتي، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلا معي.

فقام سعد بن معاذ الأنصاري، فقال: أنا أعذرك منه يا رسول الله، إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من اخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك.

قالت، فقام سعد بن عباد، وهو سيد الخزرج، وكان رجلاً صالحاً، ولكنه احتملته^(١) الحمية، فقال لسعد بن معاذ: كذبت لعمر و الله لا تقتله، ولا تقدر على قتله، فقام أسيد بن خضير وهو ابن عم سعد بن معاذ، فقال لسعد بن عباد: كذبت لعمر و الله لنقتله، فأنك منافق تجادل عن المنافقين، فتار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا، ورسول الله ﷺ قائم على المنبر، فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت، الخبر^(٢).

(١) في الصحيح: اجتهلته.

(٢) صحيح مسلم ٤: ٢١٣٣ - ٢١٣٤، كتاب التوبة ب ١٠.

أقول : اذا جاز على الأنصار أن يخالفوا نبيهم في حياته لأغراضهم الذميمة ، وحميتهم الجاهلية ، فكيف لا يجوز عليهم المخالفة بعد مماته ؟!

ومما يرفع التعجب أيضاً ، ما ذكره الحميدي في الجمع بين الصحيحين ، في مسند أنس بن مالك ، في الحديث الحادي والعشرين من المتفق عليه ، قال : انّ ناساً من الأنصار قالوا يوم حنين ، حين أفاء الله على رسوله من أموال هوازن ما أفاء ، فظنق رسول الله ﷺ يعطي رجلاً من قريش المائة من الابل ، فقالوا : يغفر الله لرسوله ، فيعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم (١) .

وقال الحميدي في الحديث المذكور : في حديث هشام بن زيد عن أنس ، أنّ الأنصار قالت : اذا كانت الشدة نحن ندعى لها ، وتعطي الغنائم غيرنا (٢) .

قال ابن شهاب عن أنس ، فحدّث ذلك رسول الله ﷺ فعرفهم في حديث ذكره أنّه فعل ذلك تألفاً لمن أعطاه ، ثمّ يقول في رواية الزهري عن أنس ، أنّ النبي ﷺ قال للأنصار : أنكم ستجدون اثرة شديدة ، فاصبروا حتّى تلقوا الله ورسوله على الحوض ، قال : أنس ، فلم يصبروا (٣) .

أنظر أيها اللبيب المنصف في هذه الأحاديث المتفق على صحّتها عندهم ، وفكّر فيما بلغوا اليه من تقييح ذكر الأنصار من سوء معاملتهم ومصاحبتهم لنبيهم ﷺ في حياته بمحضته ، وقلة احترامهم ، وترك الموافقة له ، لأغراض جاهلية ، وأحقاد دينوية ، فما التعجب في مبايعة هؤلاء الأنصار وأمثالهم من المهاجرين بمثل هذه الآراء السقيمة والأغراض الذميمة لأبي بكر في السقيفة ، ونبذ عهد نبيهم وراء ظهورهم .

(١) صحيح مسلم ٢ : ٧٣٣ ، كتاب الزكاة ب ٤٦ .

(٢) صحيح مسلم ٢ : ٧٣٦ .

(٣) صحيح مسلم ٢ : ٧٣٤ .

ومما يرفع أيضاً التعجب في اتفاق أكثر الصحابة على مخالفة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتخلّفهم عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أنا نلاحظ حال أهل زماننا، ففراهم غافلين جاهلين، مائلين الى الدنيا والى أهلها، راغبين عن الآخرة وأهلها الا قليلاً نادراً، فنعلم أنّ حال أهل كلّ زمان كحال أهل زماننا^(١)، فلا نتعجب حينئذ في ترك أكثر أهل زمن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيعة علي سيّد العقلاء والزهاد الذي طلق الدنيا ثلاثاً، وكان يزهدهم في الدنيا، ويرغبهم الى الآخرة، ويلومهم في حبّ حبيبتهم الغدّارة، ويأمرهم أن يقنعوا بالقليل، وأن لا يطلبوا فوق الكفاف، ويحتّمهم على ترك العادات والشهوات، ويحذرهم عن التلهي والفاكحات؛ اذ لا مشابهة بينه عَلَيْهِ السَّلَامُ وبين هؤلاء من أرباب الجهالات، بل كانوا أشباه أبي بكر وأمّثاله، فبايعوه وانقادوا له.

وأما القليلون الذين كانوا أشباه علي أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، كسلمان وأبي ذرٍّ ومقداد وعمار، وصلحاء بني هاشم، فبايعوه وأطاعوه، وداروا معه حيث دار، وكانوا مظلومين مغضوبين مقهورين مخذولين، ولكن لم يضّرهم خذلان الخاذلين، وكيف يضّرهم؟ وقد قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحقّ، لا يضّرهم من خذلهم، أخرجهم مسلم وأبوداود والترمذي^(٢).

ونعم ما قال الخليل بن أحمد النحوي، حين سأله أبو زيد النحوي الأنصاري، قال: سألت الخليل بن أحمد، فقلت: لم هجر الناس عليّاً عَلَيْهِ السَّلَامُ وقرباه من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قرياه، وموضعه من المسلمين موضعه، وعناه في الاسلام عناه؟ فقال: بهر والله نوره أنوارهم، وغلبهم على صفو كلّ منهل، والناس الى أشكاهم أميل، أما سمعت الأوّل حيث يقول:

وكلّ شكل بشكله ألف
أما ترى الفيل يألف الفيلا

(١) في «ق»: حال أهل كلّ زماننا كذلك.

(٢) صحيح مسلم ٣: ١٥٢٣ برقم: ١٩٢٠.

ومما يرفع أيضاً التعجب في اجتماع أكثر الأمة على الباطل ، الآيات الدالة على مدح القليل وذم الكثير ، وهي كثير ، منها قوله تعالى ﴿ لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث ﴾ (١) وقوله تعالى ﴿ ولكن أكثر الناس لا يشكرون ﴾ (٢) وقوله تعالى ﴿ ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ﴾ (٣) وقوله تعالى ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ (٤) وقوله تعالى ﴿ وان تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله ﴾ (٥) وقوله تعالى في قصة موسى عليه السلام ﴿ ان هؤلاء لشردمة قليلون ﴾ (٦) .
ومما يرفع أيضاً هذا التعجب ، قوله تعالى ﴿ أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ﴾ (٧) .

ومما يرفع أيضاً هذا التعجب ، اجتماع الصحابة على قتل عثمان الآ قليلاً منهم ، فنقول للمخالف : ان اجتماع هؤلاء على قتل عثمان كان خطأً أو صواباً ؟ فان كان الأوّل ، فلا تعجب في اتفاق أكثر الصحابة على خلافة أبي بكر . وان كان الثاني ، فبطل خلافته ، وبطلان خلافته مستلزم لبطلان مذهب المخالف ، لا يخفى أن أهل السير من الخاصّة والعامة صرّحوا باتفاق الصحابة من المهاجر والأنصار على قتل عثمان .

وقد قال أعم الكوفي من علماء المخالفين في تاريخه : ان عثمان كان الناس عليه بين خاذل له ومحرض عليه ، ما منهم من نصره بيده ولا نهى عنه ، وحصر أربعين يوماً

(١) المائدة : ١٠٠ .

(٢) البقرة : ٢٤٣ وغيرها .

(٣) هود : ١٧ وغيرها .

(٤) الأعراف : ١٨٧ وغيرها .

(٥) الأنعام : ١١٦ .

(٦) الشعراء : ٥٤ .

(٧) آل عمران : ١٤٤ .

في جوف داره ليس له جمعة ولا جماعة (١). انتهى .
ولا يخفى أنه كان من قاتليه عمّار الذي سمّاه النبي ﷺ الطيّب المطيّب (٢) ، وقد روى المخالف عدّة روايات في مناقبه .

منها : أن النبي ﷺ قال : يدور الحقّ مع عمّار حيث ما دار . وهذه الرواية من المشهورات ، وفي تاريخ أعمم الكوفي ، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، من جملة مناظرة صارت بين عمّار وعمرو بن العاص في صفين ، أنه قال عمرو : فما ترى في قتل عثمان ؟ فقال - يعني عمّار - : قد خيرتك كيف قتل عثمان ؟ قال عمرو : لعلي قتله ، قال عمّار : بل الله قتله ، قال عمرو : فهل أنت في من قتله ؟ قال عمّار : أنا مَن قتله وأنا اليوم أُقاتل مع من قتله لاراد ان قتل الدين فقتل (٣) . انتهى .

أقول : لا يخفى على الخبير البصير المستبّع أنّ الاتفاق الذي تحقّق على قتل عثمان لم يتحقّق مثله على خلافة أبي بكر ، ومع هذا حكموا بصواب بيعة أبي بكر وعلى خطأ قتل عثمان ، فتأمّل فإنّ هذا من أعجب الأمور .

ومّا يرفع أيضاً هذا التعجّب ، تخلف بني اسرائيل عن هارون ، وعبادتهم العجل في غيبة موسى ، مع رجاء عوده اليهم وخوف مؤاخذته أيّاهم ، وفي قول النبي ﷺ لعلي عليه السلام : أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي (٤) . إشارة الى تخلف الناس عن علي عليه السلام كما تخلف بنو اسرائيل عن هارون .

ومّا يرفع أيضاً هذا التعجّب ، اتفاق بني اسرائيل على قتل الأنبياء ، حتّى نقل أنّ في يوم واحد قتل مائة واثني عشرة نبياً .

(١) الفتوح ٣ : ٧٦ .

(٢) سنن الترمذي ٥ : ٦٢٦ برقم : ٣٧٩٨ .

(٣) الفتوح لابن أعمم الكوفي ٣ : ٧٧ .

(٤) راجع مصادر الحديث الى كتاب احقاق الحقّ ٥ : ١٢٣ - ٢٣٤ و ١٦ : ١ - ٩٧ .

ومما يرفع أيضاً هذا التعجب ، اتفاق أولاد يعقوب عليه السلام مع طهارة مولدهم وتولددهم في الاسلام وتربيتهم في حجر نبي الله ، على قتل أخيهما الصغير يوسف الصديق ، مع كمال حسنه وجماله ، حسداً عليه ، فما التعجب في اتفاق أكثر أولاد المشركين الذين قست قلوبهم بعبادة الأصنام ، وشرب الخمر ، وقتل النفوس ، وقطع الرحم ، وارتكاب سائر الكبائر الموبقة والعظام المهلكة ، على بيعة أبي بكر حسداً وبغضاً ؛ لأنّ علياً عليه السلام كان قاتلاً لآبائهم وأبنائهم وقراباتهم ، وطمعاً في الوصول الى شهواتهم ومراداتهم ، كانوا يعرفون أنّ علياً عليه السلام يحول بينهم وبين ما يريدون من اللذات القبيحة .

ومما يرفع أيضاً هذا التعجب ، اتفاق أهل العقبة على قتل سيّد المرسلين ، فاذا أمكن اتفاق هؤلاء على مثل هذا الأمر الخطير ، لم لا يمكن اتفاقهم على غصب الخلافة ؟

ومما يرفع أيضاً هذا التعجب ، اتفاق الناكثين والقاسطين والمارقين مع كثرتهم على محاربة خليفة سيّد المرسلين ، مع ظهور الحجج والبراهين على امامته ، وفرض طاعته ، ووجوب مودّته .

ومما يرفع أيضاً هذا التعجب ، روايات وردت عن النبي صلّى الله عليه وآله في بيان حال أمته بعده ، منها : ما رواه الحميدي في مسند سهل بن سعد ، في الحديث الثامن والعشرين من المتفق عليه ، قال : سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول : أنا فرطكم على الحوض ، من ورد شرب ، ومن شرب لم يظمأ أبداً ، وليردّ عليّ أقوام أعرفهم ويعرفوني ، ثمّ يحال بيني وبينهم .

قال أبو حازم : فسمع النعمان بن أبي عياش وأنا أحدثهم هذا الحديث ، فقال : هكذا سمعت سهلاً يقول ؟ قال : فقلت : نعم ، قال : وأنا أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته يقول : أنّهم أمّتي ، فيقال : أنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول : سحقاً

سحَقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي ^(١).

ومن ذلك ما رواه الحميدي أيضاً في الجمع بين الصحيحين ، في الحديث الستين من المتفق عليه ، من مسند عبد الله بن عباس ، قال : ألا وأنه سيءاء برجال من أمتي ، فيؤخذ بهم ذات الشمال ، فأقول : يا رب أصحابي ؟ فقال : أنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول كما قال العبد الصالح ﴿ وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم - الى قوله - العزيز الحكيم ﴾ ^(٢) قال : فيقال لي : أنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم ^(٣).

ومن ذلك ما رواه الحميدي أيضاً في الجمع بين الصحيحين ، في الحديث السابع والستين بعد المائة من المتفق عليه ، من مسند أبي هريرة ومن طرق ، فمنها : عن عطاء بن يسار ، عن أبي هريرة ، قال : قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : بينا أنا قائم فاذا زمرة حتى اذا عرفتهم يخرج رجل بيني وبينهم ، فقال : هلموا ، قلت : الى أين ؟ قال : الى النار والله ، قلت : ما شأنهم ؟ قال : أنهم ارتدوا على أدبارهم ، فلا أراه يخلص منهم الاً مثل همل النعم ^(٤).

وفي أواخر صحيح البخاري في باب ما جاء في قول الله ﴿ واتقوا فتنة ﴾ ^(٥) الآية ، باسناده عن ابن أبي مليكة ، قال : قالت أسماء : عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : أنا على حوضي أنتظر من يرد عليّ ، فيؤخذ بناس من دوني ، فأقول : أمتي ، فيقال : لا تدري مشوا على القهقري ^(٦).

(١) صحيح مسلم ٤ : ١٧٩٣ ، كتاب الفضائل ب ٩ ، وصحيح البخاري ٧ : ٢٠٨ .

(٢) المائة : ١١٧ - ١١٨ .

(٣) صحيح مسلم ٤ : ٢١٩٤ - ٢١٩٥ ، كتاب الجنة ب ١٤ .

(٤) صحيح البخاري ٧ : ٢٠٨ .

(٥) الأنفال : ٢٥ .

(٦) صحيح البخاري ٨ : ٨٦ ، كتاب الفتن .

وفيه أيضاً بسنده عن عبيد الله ، قال : قال النبي ﷺ : أنا فرطكم على الحوض ، ليرفعن إلي رجال منكم حتى إذا أهويت لأناولهم اختلجوا دوني ، فأقول : أي رب أصحابي ، فيقول : لا تدري ما أحدثوا بعدك (١) .

وفيه أيضاً هذا المعنى عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد ، والنعمان بن أبي عياش (٢) .

وفي كتاب الفردوس : يا معشر بني هاشم أنه سيصيبكم بعدي جفوة ، فاستعينوا عليها بارقاء (٣) الناس (٤) .

وفي كتاب المناقب للحافظ ابن مردويه من أعيان المخالفين ، باسناده إلى ابن عباس ، قال : خرجت أنا وعلي عليّ ﷺ والنبي ﷺ في الحبان بالمدينة ، فررنا بمديقة ، فقال علي ﷺ : ما أحسن هذه يا رسول الله ، فقال : حديقتك في الجنة أحسن منها ، حتى مررنا بسبع حدائق ، فقال النبي ﷺ : حدائقك في الجنة أحسن منها ، ثم ضرب بيده على لحيته ورأسه وبكى ، حتى علا بكأوه ، قيل : ما يبكيك يا رسول الله ؟ فقال : ضغائن في صدور قوم لا يبدو لكم إلا بعدي ، وقيل : حتى يفقدوني .

ورواه ابن مردويه من طريق آخر ، وزاد فيه : أن علياً ﷺ قال للنبي ﷺ : في سلامة من ديني ؟ قال : نعم في سلامة من دينك (٥) .

(١) صحيح البخاري ٨ : ٨٧ .

(٢) صحيح البخاري ٨ : ٨٧ ، الباب الأول من كتاب الفتن .

(٣) في الفردوس : بأرزاق .

(٤) فردوس الأخبار للدليمي ٥ : ٣٨٤ برقم : ٨٢٣٦ .

(٥) مستدرک الحاكم ٣ : ١٣٩ ، وتاريخ بغداد ١٢ : ٣٩٨ ، ومناقب الخوارزمي ص ٦٥ ط قم ، وفضائل الصحابة ٢ : ٦٥١ ، وتذكرة الخواص ص ٥١ ، وكفاية الطالب ص ٧٢ ، وذخائر العقبى ص ٩٠ ، وميزان الاعتدال ٢ : ٣٣١ ، ومجمع الزوائد ٩ : ١١٨ ، ونور الابصار

وقد روى هذا الحديث أيضاً ابن أبي الحديد في شرحه . وفيه عند تفسير قوله « يا علي ان القوم سيفتنون بأموالهم ، ويمتّون بدينهم على ربهم ، ويتمنون رحمة » (١) وقد روى كثير من المحدثين عن علي عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال له : ان الله قد كتب عليك جهاد المفتونين ، ثم ذكر كلاماً طويلاً ، الى قوله : فقلت : يا رسول الله لو بينت لي قليلاً ، فقال : ان أمتي ستفتن من بعدي ، فتتأول القرآن ، وتعمل بالرأي ، وتستحلّ الخمر بالبيذ ، والسحت بالهدية ، والربا بالبيع ، وتحرف الكتاب عن مواضعه ، وتغلب كلمة الضلال ، فكن جليس بيتك حتى تقلدها ، فاذقلدها جاشت عليك الصدور وقلبت لك الأمور ، تقاتل حينئذ على تأويل القرآن ، كما قاتلت على تنزيله الحديث (٢) .

أقول : ان هذا الحديث صريح في أن الضلال غلب على الناس في خلافة الشيخين . وفي صحيح مسلم في المجلد الثالث منه حديث روى عن سعيد بن أبي بردة ، عن أبيه ، عن النبي صلى الله عليه وآله ، وهذا موضع الحاجة منه : فرفع رأسه الى السماء ، فقال : النجوم أمنة للسماء ، فاذا ذهبت النجوم أتى أهل السماء ما يوعدون ، وأنا أمنة لأصحابي ، فاذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون (٣) .

وفي الجمع بين الصحيحين ، وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، عن عثمان بن سعيد ، عن عبد الله الغنوي ، أن علياً عليه السلام خطب بالرحبة ، فقال : أيها الناس أنكم قد آيتم الآن أقولها ورب السماء والأرض ، ان من عهد النبي الأمي اليّ : ان الأمة ستغدركم بعدي (٤) .

للسبلنجي ص ٧٢ ، وأرجح المطالب ص ٦٦٣ .

(١) نهج البلاغة ص ٢٢٠ ، رقم الكلام : ١٥٦ .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩ : ٢٠٦ .

(٣) صحيح مسلم ٤ : ١٩٦١ برقم : ٢٥٣١ ، كتاب الفضائل ب ٥١ .

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤ : ١٠٧ .

وفي الجمع بين الصحيحين ، وفي صحيح البخاري في الجزء الثامن ، في باب قول النبي ﷺ : لتبتعن سنن من قبلكم ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ ، قال : لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي ما أخذ القرون قبلها ، شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع ، فقيل : يا رسول الله كفارس والروم ؟ قال ومن الناس الأولئك (١) .

وفي جامع الأصول : أنه كان للمشركين شجرة يسمونها ذات أنواه (٢) ، يعلقون عليها أسلحتهم ، فقال المسلمون للنبي ﷺ : اجعل لنا ذات أنواه ، فقال : هذا مثل قول قوم موسى عليه السلام ﴿ اجعل لنا الهأ كما لهم آلهة ﴾ والذي نفسي بيده لتركب سنن من كان قبلكم . أخرجه الترمذي ، وزاد فيه رزين : حذو النعل بالنعل ، والقذّة بالقذّة ، حتى ان كان فيهم من أتى أمه يكون فيكم ، فلا أدري أتعبدون العجل أم لا (٣) .

وأسد أخطب الخوارزمي قول النبي ﷺ لعلي عليه السلام : اتق الضغائن التي لك في صدور من لا يظهرها إلا بعد موتي ، أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ، ثم بكى عليه السلام وقال : أخبرني جبرئيل أنهم يظلمونه ويمنعونه حقّه ، ويقاتلونه ويقتلون ولده ، ويظلمونهم بعده ، وأخبرني أن ذلك يزول إذا قام قائلهم ، وعلت كلمتهم ، واجتمعت الأمة على محبتهم ، وكان الشافي لهم قليلاً ، الحديث (٤) .

وفي الجمع بين الصحيحين في الحديث الحادي والعشرين من المتفق عليه من مسند أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله ﷺ : لتبتعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع ، حتى لو دخلوا حجر صبّ لتبعتموهم ، قلنا : يا رسول الله

(١) صحيح البخاري ٨ : ١٥١ ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة .

(٢) في الجامع : ذات أنواط .

(٣) جامع الأصول ١٠ : ٤٠٨ - ٤٠٩ برقم : ٧٤٧١ .

(٤) المناقب للخوارزمي ص ٦٥ .

اليهود والنصارى؟ قال: فن؟ (١).

ومَّا يرفع هذا التعجُّب ما في الجمع بين الصحيحين للحميدي في مسند أبي الدرداء من صحيح البخاري، قالت أمُّ الدرداء في الحديث: دخل عليَّ أبو الدرداء وهو مغضب، فقلت: ما أغضبك؟ فقال: والله ما أعرف من أمر محمد شيئاً إلاَّ أنهم يضلُّون جميعاً (٢).

وما في الكتاب أيضاً في الحديث الأوَّل من صحيح البخاري من مسند أنس بن مالك، عن الزهري، قال: دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك؟ فقال: لا أعرف شيئاً ممَّا أدركت إلاَّ هذه الصلاة، وهذه الصلاة قد ضيَّعت (٣).

وما في فردوس الديلمي باسناده عن النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا عائشة إنَّ أوَّل من يهلك من الناس قومك هذا الحيِّ من قريش، هم صلب الناس، فاذا هلكوا هلك الناس (٤). وما فيه أيضاً عن النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا عائشة لولا قومك حديثو عهد بالكفر لنقضت الكعبة، وجعلت لها باين شرقياً وغربياً، باب يدخل الناس فيه، وباب يخرجون منه، وبلغت به أساس إبراهيم (٥).

وما في كتاب جامع العلوم لقدوة الحفاظ أبو عبد الله محمد بن معمر في الحديث الخامس والثلاثين من مسند براء من رواية البخاري، عن زهير، عن علاء بن المسيَّب، عن أبيه، قال: قلت للبراء بن عازب: طوبى لك أنت ممَّن رضي الله عنه

(١) صحيح مسلم ٤: ٢٠٥٤، كتاب العلم ب ٣، و جامع الأصول ١٠: ٤٠٩ برقم: ٧٤٧٢.

(٢) صحيح البخاري ١: ١٥٩، كتاب الأذان برقم: ٣١.

(٣) صحيح البخاري ١: ١٣٤ كتاب المواقيت برقم: ٧.

(٤) لم أعر عليه في الفردوس المطبوع.

(٥) صحيح مسلم ٢: ٩٦٨ - ٩٧٢.

وبايع تحت الشجرة ، قال : ابن أخي أنك لا تدري ما أحدثنا بعده .

وقال في الصراط المستقيم : أسند اسحاق بن ابراهيم الى سلمة ، الى محمد بن اسحاق ، الى عمرو بن عبيد ، الى الحسن ، الى العوفي ، قال أبي بن كعب : والله ما زالت هذه الأمة مكبوبة على وجوهها منذ قبض رسول الله ﷺ ، الحديث .

وفي شرح ابن أبي الحديد عن حبيب بن ثعلبة بن يزيد ، قال : سمعت علياً عليه السلام يقول : أما ورب السماء والأرض ثلاثاً أنه لعهد النبي الأمي اليّ : لتغدرنّ بك الأمة من بعدي (١) .

انتهى الكلام في بطلان الوجه الخامس من وجوه المخالفين في معارضة الأحاديث الدالة على امامة أمير المؤمنين عليه السلام ، ومن وجوههم التي عارضوا بها ما ذكرناه من النصوص على امامة أمير المؤمنين عليه السلام ، ما حسبه دليلاً على خلافة الثلاثة ، ونذكرها بعبارة صاحب المواقف .

قال فيه بعد ما أورد النصوص على أمير المؤمنين عليه السلام : هذه النصوص معارضة بالنصوص الدالة على امامة أبي بكر ، وهي من وجوه :

الأول : قوله تعالى ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض ﴾ (٢) وأقلّ الجمع ثلاثة ، ووعد الله حقّ ، ولم يوجد الآ خلافة خلفاء الأربعة التي وعد الله بها .

الثاني : قوله تعالى ﴿ قل للمخلفين من الأعراب ستدعون الى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون ﴾ (٣) وليس الداعي محمّداً ؛ لقوله تعالى ﴿ سيقول

(١) شرح نهج البلاغة ٦ : ٤٥ .

(٢) النور : ٥٥ .

(٣) الفتح : ١٦ .

المُخَلَّفون ﴿ الى قوله ﴿ لن تتبعونا ﴾ ^(١) ولا عليّاً؛ لأنّه لم يتفق له قتال لطلب الاسلام ولا من بعده؛ لأنّه عندنا ظلمة وعندهم كفّار، فلا يليق بهم قوله ﴿ فان تطيعوا يؤتكم الله أجراً حسناً ﴾ فهو أحد الخلفاء الثلاثة، ويلزم خلافة أبي بكر لعدم القائل بالفصل.

الثالث: لو كانت امامة أبي بكر باطلة لما كان معظماً ممدوحاً عند الله، لكنّه معظم وأفضل الخلق بعده.

الرابع: كانت الصحابة وعلّيّ يقولون له: يا خليفة رسول الله، وقد قال تعالى فيهم ﴿ أولئك هم الصادقون ﴾ ^(٢).

الخامس: لو كانت الامامة حقّ عليّ ولم تعنه الأُمَّة لكانوا شرّ الأمم، لكنّه خير أُمَّة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

السادس: قوله عليه السلام: اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر. وأقلّ مراتب الأمر الجواز.

السابع: قوله عليه السلام: الخلافة بعدي ثلاثون سنة، ثمّ يصير ملكاً عضواً.

الثامن: أنّه عليه السلام استخلف أبا بكر في الصلاة وما عزله كما مرّ، فيبقى بعده اماماً فيها، فكذا في غيرها اذ لا قائل بالفصل، ولذلك قال عليّ عليه السلام: قدّمك رسول الله في أمر ديننا أفلا تقدّمك في أمر دنيانا ^(٣) انتهى.

أقول: أمّا الجواب عن الأوّل، فبأنّ هذا الاستخلاف والتمكين في الدين لم يكونا في أيام النبيّ صلّى الله عليه وآله حين قع الله أعداءه، وأعلى كلمته، ونشرت رأيته، وأظهرت دعوته، وأكمل دينه، ونعوذ بالله أن نقول: إنّ الله تعالى لم يمكّن دينه لنبيّه صلّى الله عليه وآله في

(١) الفتح: ١٥.

(٢) الحجرات: ١٥، والحشر: ٨.

(٣) المواضع مع شرحه ٨: ٣٦٣ - ٣٦٥.

حياته ، وليس التمكين هو كثرة الفتوح والغلبة على البلدان ؛ لأن ذلك يوجب أن دين الله تعالى لم يتمكن الى اليوم ، لعلنا ببقاء ممالك الكفر كثيرة لم يفتحها المسلمون .

ولأنه أيضاً يوجب أن الدين تمكّن في أيّام معاوية ومن بعده من بني أمية ، أكثر من تمكّنه في أيّام النبي ﷺ وأبي بكر وعمر ؛ لأنّ بني أمية فتحوا بلاداً كثيرة لم تفتح في زمن النبي ﷺ والخلفاء .

قال مقاتل : نزلت صدّ المسلمين عام الحديبية ، فقالوا : لو دخلنا مكة آمنين فنزلت ، وعنى بالأرض مكة ، وبتمكين الدين الاسلام ، وبتبديل الخوف من أهل مكة أمناً ، هذا قول مقاتل وهو من أكبر شيوخهم . وقال ابن حنبل : ما رأيت أعلم بالتفسير من مقاتل بن سليمان ، وقال الشافعي : الناس عيال على مقاتل في التفسير ، وعلى زهير في الشعر ، وعلى أبي حنيفة في الكلام .

ثم إنّ المراد بالاستخلاف هاهنا ليس هو الامامة والخلافة ، بل المراد فيه قفوهم في أثر من مضى من الفرق ، وجعلهم عوضاً منهم وخلفاً ، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ عسى ربّكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فننظر كيف تعملون ﴾ (١) وقوله ﴿ وربك الغني ذو الرحمة ان يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء ﴾ (٢) .

وقال شارح الطوابع : لا يدلّ الاستخلاف على الرئاسة العامة ، بل قد يكون المراد توريثهم بلاد الكفر لجميع المهاجرين ؛ لقوله ﴿ هو الذي جعلكم خلائف في الأرض ﴾ (٣) ولم يرد بذلك الامامة والتوريث والتمكين والأمن ، لا تخصيص للخلفاء بها ؛ فإنّ الله تعالى علّق ذلك على الايمان وعمل الصالحات ، وهما حاصلان

(١) الأعراف : ١٢٩ .

(٢) الأنعام : ١٣٣ .

(٣) فاطر : ٣٩ .

لكثير .

ويمكن أن يقال : انَّ الآيَةَ مشروطة بالايان ، فيجب على من ادّعى تناولها لأبي بكر وعمر وعثمان أن يبيّن ايمانهم بغير الآيَةِ ، وروى ابن جريج عن مجاهد : أنَّ المراد بالاستخلاف استخلاف جميع الأُمَّة .

وقال سيّدنا المرتضى في الشافي بعد الرواية عن ابن جريج : وروى ابن عبّاس وغيره قريب من ذلك ، وقد تأوّل هذه الآيَةَ علماء أهل البيت عليهم السلام وحملوها على وجه معروف ، فقالوا : هذا التمكين والاستخلاف وابدال الخوف بالأمن أنما يكون عند قيام المهدي عليه السلام . وأسند الشيرازي وأبو عبيدة من أهل المذاهب الأربعة الى ابن مسعود نزولها في خلافة علي عليه السلام .

والجواب عن الثاني على وجهين :

أحدهما : أن ننازع في اقتضاها داعياً يدعو المخلفين غير النبي ﷺ ونبيّن أنّ الداعي لهم فيما بعد كان الرسول .

والوجه الآخر : أنّ نسلّم أنّ الداعي غيره ، ونبيّن أنّه لم يكن أبابكر وعمر ، على ما ظنّه أهل السنّة ، بل كان أمير المؤمنين عليه السلام .

فأمّا الوجه الأوّل ، فواضح ؛ لأنّ قوله تعالى ﴿ سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئاً ان أراد بكم ضرراً أو أراد بكم نفعاً بل كان الله بما تعلمون خبيراً ﴾ بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبداً وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظنّ السوء وكنتم قوماً بوراً ﴿^(١) أنما أراد به الذين تخلفوا عن الحديبية بشهادة أهل النقل والمفسرين ، وقد ادّعى سيّدنا المرتضى في الشافي اجماع أهل النقل واطباق المفسرين عليه .

ثم قال تعالى ﴿ سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى معانم لتأخذوها ذرونا تتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلك قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون الا قليلاً ﴾ (١).

وأما التمس هؤلاء المخلفون بشهادة أهل النقل أن يخرجوا الى غنيمة خيرة، فمنعهم الله تعالى من ذلك، وأمر نبيه ﷺ بأن يقول لهم: لن تتبعونا الى هذه الغزاة؛ لأن الله تعالى كان حكم من قبل بأن غنيمة خيرة لمن شهد الحديبية، وأنه لاحظ فيها لمن لم يشهدا، وهذا هو معنى قوله تعالى ﴿ يريدون أن يبدلوا كلام الله ﴾ وقوله ﴿ كذلك قال الله من قبل ﴾.

ثم قال تعالى ﴿ قل للمخلفين من الأعراب ستدعون الى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون ﴾ وأما أراد أن الرسول ﷺ سيدعوكم فيما بعد الى قتال قوم أولي بأس شديد، مثل حنين، وتبوك، وثقيف، وهوازن وغيرها، فمن أين يجب أن يكون الداعي هؤلاء غير النبي ﷺ مع ما ذكرنا من الحروب التي كانت بعد خيرة. وقد نقل سيدنا المرتضى في الشافي عن ابن المسيب، أنه روى عن الضحاک في قوله تعالى ﴿ ستدعون الى قوم أولي بأس شديد ﴾ الآية، قال: هم ثقيف، وروى عن هيثم عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير قال: هم هوازن يوم حنين، وروى عن الواقدي عن معمر، عن قتادة، قال: هم هوازن وثقيف (٢).

وقوله تعالى ﴿ لن تتبعونا ﴾ على ما يبتأ تفسيره لا يدل على أن الداعي غير النبي ﷺ وان سلمنا أن المراد به ما فهمه أهل السنة من الاخبار بعدم اتباع المخلفين بعد الدعوة أبداً، فلا يدل أيضاً على مطلوبهم؛ لأن الاخبار بعدم اتباع المخلفين بعد الدعوة لا ينافي أن يكون الداعي هو النبي ﷺ.

(١) الفتح: ١٥.

(٢) الشافي ٤: ٣٩.

والوجه الثاني : وهو ان نسلّم فيه أنّ الداعي للمخلفين هو غير النبي ﷺ ، فنبين أيضاً أنّه لا يمتنع أن يعني بهذه الآية أمير المؤمنين عليه السلام ؛ لأنّه قد قاتل بعده أهل الجمل وصفين وأهل النهروان ، وبشّر النبي ﷺ بأنّه يقاتلهم .
وأما قول صاحب المواقف « ليس الداعي عليّاً ؛ لأنّه لم يتفق لعلي قتال لطلب الاسلام » فجوابه : أنّ اسلام محاربي أمير المؤمنين عليه السلام ممنوع ؛ لأنّهم عندنا كانوا كفّاراً بوجوه :

منها : أنّ من حاربه كان مستحلاً لقتله مظهراً به ، ونحن نعلم أنّ من أظهر استحلال شرب جرعة خمر فهو كافر بالاجماع ، واستحلال دم المؤمن فضلاً عن أكابرههم وأفاضلهم أعظم من شرب الخمر واستحلاله ، فيجب أن يكونوا من هذا الوجه كفّاراً .

ومنها : أنّ النبي ﷺ قال له عليه السلام بلا خلاف بين أهل النقل : يا علي حاربك حربي وسلمك سلمي (١) . ونحن نعلم أنّه لا يريد الاّ التشبيه بينها في الأحكام ، ومن أحكام محاربي النبي ﷺ الكفر بلا خلاف .

ومنها : أنّه قال له أيضاً بلا خلاف : اللهمّ وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله . وقد ثبت عندنا أنّ العداوة من الله لا تكون الاّ من الكفّار الذين يعادونه ، دون فساق أهل الملّة .

ومنها : ما اتفق عليه أهل النقل وأخرجه البخاري من قول النبي ﷺ في أهل حرورا : يرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية (٢) .

وأخرج الفراء في مصابحه قول النبي ﷺ لعلي وفاطمة والحسنين : أنا حرب

(١) المناقب لابن المغازلي ص ٥٠ برقم : ٧٣ .

(٢) صحيح البخاري ٨ : ١٧٨ كتاب التوحيد .

لن حاربههم (١). وحرب النبي كفر .

ان قالوا : لو كانوا كفاراً لسباهم أمير المؤمنين عليه السلام .

قلنا : معارض بفعل النبي صلى الله عليه وآله بأهل مكة .

ان قالوا : لا يعلم بقاء المخلفين الى زمان علي عليه السلام حتى يتم كونهم مدعوين .

قلنا : ولا يعلم بقاؤهم الى زمان أبي بكر أيضاً ، على أن قوله « ستدعون » يحتمل

كون الداعي هو الله بايجاب القتال عليهم وذئبهم عن أهل دينهم ، ولو سلم كون

أبي بكر داعياً لم يلزم كونه اماماً ؛ لما أخرجه البخاري في صحيحه من قول

النبي صلى الله عليه وآله : ان الله ينتصر لهذا الدين بالرجل الفاجر (٢) .

فلعلّه دعاهم الى حقّ ولم يكن على حقّ ، والطاعة لله فيه لا لداعيه ، وان كان

على حقّ لم يلزم أن يكون رئيساً اماماً ؛ اذ يتعيّن على كلّ مدعوّ الى الصواب

الاجابة (٣) ، سواء كان الداعي اماماً أم لا ، فسقط الاحتجاج .

وأما الجواب عن الثالث ، فبالمنع من كون أبي بكر معظماً ممدوحاً عند الله ، وكونه

أفضل الخلق ، وما تمسك به صاحب المواقف وغيره في أفضليّة أبي بكر من الآيات

فلا دلالة لها ، ومن الأخبار فلا أصل لها ، وسأذكر شبههم بعبارة صاحب المواقف ،

وأجيب عنها بما وقّفي الله به .

وأما الجواب عن الرابع ، فبالمنع من قول علي عليه السلام والصحابة لأبي بكر « يا

خليفة رسول الله » وان سلمنا فلا نسلم كونه على سبيل الاختيار ، بل الحقّ أنه ان

قاله أحد من غير أهل النفاق وأرباب الطمع قاله خوفاً وتقيّة ، كما قال الصلحاء لبني

أميّة وبني مروان وبني العباس : أمير المؤمنين وخليفة الله .

(١) مصابيح السنّة ٤ : ١٩٠ برقم : ٤٨١٧ .

(٢) صحيح البخاري ٥ : ٧٥ .

(٣) في «ق» : الى صواب لاجابة .

وأما الجواب عن الخامس ، فإنّ هذه الآية لا تتناول جميع الأمة ؛ لأنّ ما اشتملت عليه من الأوصاف من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها ليس موجوداً في جميع الأمة .

فان قيل : هي متوجّهة الى الجميع ، كان علمنا بأنّ أكثرهم لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر دافعاً لقوله ، وان اعترف بتوجّهها الى البعض .

قيل : فما المانع أن يكون الدافع للنصّ وهم أكثر الأمة ممن لم يتوجّه اليه الآية .
فان قيل : فأبى فضل يكون لهذه الأمة على الأمم قبلها اذا كان أكثرها قد ضلّ وخالف النبيّ ﷺ ويجب أن يكون أمة موسى أفضل .

قيل له : أمّا لفظة « خير » فهي عندنا وعندك تنبئ عن الثواب والفضل ، وليس يمتنع أن يكون من لم يخالف النصّ من الأمة أكثر ثواباً وأفضل عملاً من الأمم المتقدّمة ، ألا ترى أنّ أمتنا بلا خلاف أقلّ عدداً من أمم الكفر ، على أنّ قوماً من الأمة باتفاق أهل النقل ارتدّوا بعد رسول الله ﷺ ، وطوائف من العرب بزعم أهل السنّة رجعوا عن أديانهم حتّى قوتلوا على الردّة ، ولم يكن هذا في أمة موسى وعيسى ، ولم يوجب ذلك أن يكون أمة موسى وعيسى خيراً من أمتنا ، فظهر أنّه لا اعتبار بالردّة ، بل الاعتبار بالفضل وزيادة الخير على الأعمال ، وأيضاً أصحاب موسى وعيسى لم يجتمعوا على قتل خليفة نبيّهم ، وأكثر أصحاب نبيّنا اتفقوا على قتل عثمان ، وهو بزعم النواصب خليفة رسول الله ﷺ ، فظهر أنّه لا اعتبار بالردّة ، بل الاعتبار بالفضل وزيادة الثواب .

وأما الجواب عن السادس ، فإنّ أوّل ما فيه أنّه خبر واحد لا يفيد علماً ، ومسألة الامامة علميّة ، ورواية عبد الملك بن اللخمي مطعون فيها بأنّه كان فاسقاً جريئاً على الله بالقتل ، وهو قاتل عبد الله بن يقطر رسول الحسين عليه السلام الى مسلم بن عقيل ، بعد رمي ابن زياد له ، وكان مروانياً يتولّى القضاء لبني أميّة ، شديد النصب

والانحراف عن أهل بيت النبوة، كذا ذكر في الصراط المستقيم^(١).

وقال سيدنا المرتضى في الشافي: أنه رواية عبد الملك بن عمير، وهو ممن تبع بني أمية، وممن تولّى القضاء لهم، وكان شديد النصب والانحراف عن أهل البيت، وروي أنه كان يميّز على أصحاب الحسين عليه السلام وهم جرحى فيجهز عليهم، فلما عوتب على ذلك قال: إنما أردت أن أريحهم^(٢).

ولو كان صحيحاً لاحتجّ به أبو بكر في السقيفة؛ لأنه أقطع من قوله «الأئمة من قريش» ولتمسك به أبو بكر حين أنكر عليه طلحة في النصّ على عمر، وأيضاً لو كان صحيحاً لكان حاجزاً عن مخالفة الرجلين وموجباً لموافقتها في جميع أقوالهما وأفعالهما، وقد رأينا كثيراً من الصحابة خالفها وأظهروا خلافها، وعلى مقتضى الخبر خلافها محذور ممنوع.

على أن ذلك لو اقتضى النصّ بالامامة لوجب أن يكون ما رويوا عنه عليه السلام «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» موجباً لامامة الكلّ، ورويوا أيضاً أنه عليه السلام قال: اهتدوا بهدي عمّار وتمسكوا بعهد ابن أمّ عبد. ولم يكن في شيء من ذلك نصّ بامامتها.

وأيضاً الأمر بالافتداء كالمجمل؛ لأنه لم يبيّن في أيّ شيء يقتدى بهما، ولا على أيّ وجه، ولفظة «بعدي» محتملة ليس فيها دلالة على أنّ المراد بعد وفاقي دون بعد حال أخرى من أحوالي، ولذا قال بعض أصحابنا: إن سبب هذا الخبر أنّ النبي صلى الله عليه وآله كان سالكاً طريقاً، فسئل عنه وكان الشيخان خلفه، فقال في الجواب: اقتدوا بالذين من بعدي. وهذا وإن كان غير مقطوع به، فلفظ الخبر يحتمله كاحتماله لغيره،

(١) الصراط المستقيم ٣: ١٤٥.

(٢) الشافي ٢: ٣٠٨.

وأين الدلالة على النص (١).

وفي رواية «أبا بكر وعمر» بالنصب على النداء، فعناه: يا أبا بكر وعمر اقتدوا بالذين من بعدي، وهما كتاب الله وعترتي، فأنه حثّ عليهما ونفي الضلال عند التمسك بهما، ورواه أهل المذاهب في الجمع بين الصحاح، وسنن أبي داود، وصحيح مسلم، والترمذي، ورواه ابن عبد ربّه، والثعلبي، وابن حنبل، وابن المغازلي، وسيجيء تفصيل هذا الخبر (٢).

ان قالوا: لفظه «اقتدوا» جمع، فلو كان ذلك نداءً لهما لم يصحّ الجمع فيهما. قلنا: جاز اطلاق الجمع على الاثنين، كما جاز على الواحد، على أننا لا نسلم أنه حال الخطاب لم يكن معهما ثالث وأقله الراوي، وأيضاً يجوز أن يكون المراد بالخطاب جميع الأمة، ووجه الاختصاص النداء بهما تأكيد الحجّة عليهما؛ لعلمه عليه السلام أنّهما يليان الأمر بعده ظلماً.

وأما الجواب عن السابع، فإنّ أوّل ما فيه أنّه خبر واحد، ولا يثبت به الخلافة، والثاني أنّ فيه اختلافاً؛ لأنّ النبي ﷺ قبض سنة عشر من الهجرة لليلتين بقيتا من صفر، وعلي عليه السلام سنة أربعين من الهجرة لتسع بقين من شهر رمضان، فهذه ستّة أشهر وثلاث عشر ليلة زائدة، وفي رواية أنّ النبي ﷺ قبض لاثني عشر خلت من ربيع الأوّل سنة احدى عشرة، فهذه نقيضة ولا يجوز ذلك في اخباراته عليه السلام، ولو فرضنا صحّته كانت المدّة بكما لها لعلي عليه السلام، وقد نطقت بخلافته دونهم الآيات المحكمات والروايات المتواترات.

فان قيل: سفينة راوي هذا الحديث وزّع الثلاثين على الخلفاء الأربعة.

(١) راجع الشافي ٢: ٣٠٩ - ٣١١.

(٢) سنن الترمذي ٥: ٥٦٩ برقم: ٣٦٦٢، ومسند أحمد بن حنبل ٥: ٣٨٢ و٣٨٥ و٣٩٩.

قلنا : نعم ولكن لم يسنده الى النبي ﷺ ، ولو سلم التوزيع لم يدل على الجواز ، ويكون النبي ﷺ قد أخبر عن الواقع لا عن الجائز .

وأما الجواب عن الثامن ، فإنّ خبر الصلاة أولاً خبر واحد ، ثمّ إنّ الأمر بها والاذن فيها وارد من جهة عائشة ، وليس بمنكر أن يكون الاذن صدر من جهةها لا من جهة الرسول ﷺ ، وقد قال أصحابنا إنّ قول النبي ﷺ على ما أتت به الرواية لما عرف تقدم أبي بكر في الصلاة وسمع قراءته : أنكّن كصويجات يوسف . وخروجه ﷺ متحاملًا من الضعف ، معتمداً على أمير المؤمنين ﷺ والفضل بن العباس الى المسجد ، وعزله لأبي بكر عن المقام ، واقامة الصلاة بنفسه ، يدلان على أنّ الاذن في الصلاة كان من عائشة لا من الرسول ﷺ .

وقد قال بعض المخالفين : إنّ السبب في قوله ﷺ « أنكّن كصويجات يوسف » أنّه ﷺ لما أُوذن بالصلاة ، قال : مرّوا بأبكر ليصليّ بالناس ، فقلن له : إنّ أبابكر رجل أسيف لا يحتمل قلبه أن يقوم مقامك ، فلو أمرت عمر أن يصليّ بالناس ، فقال ﷺ عند ذلك : أنكّن كصويجات يوسف .

وهذا ليس بشيء ؛ لأنّ النبي ﷺ لا يجوز أن يكون أمثاله الاً وفقاً لأغراضه ، وقد علمنا أنّ صويجات يوسف لم يكن منهنّ خلاف على يوسف ، ولا مراجعة له في شيء أمرهنّ به ، وأنما افتتن بأسرهنّ بحسنه ، وأرادت كلّ واحدة منه مثل ارادة صاحبته ، فأشبهت حالهنّ حال عائشة في تقديمها أباها للصلاة للتجمل والشرف بمقام رسول الله ﷺ ، ولما يعود بذلك عليها وعلى أبيها من الفخر وجميل الذكر .

قال في الصراط المستقيم : قد روى جماعة أنّ النبي ﷺ قال : مروا بعض القوم أن يصليّ بالناس ، فقالت عائشة لبلال : قل لأبي يصليّ ، وقالت حفصة : مروا أبي يصليّ ، فأفاق النبي ﷺ فقال : أنكّن كصويجات يوسف ، وأورده الغزالي في الاحياء .

وعن الباقر ﷺ : أنّه أخره آخر الصفوف وصلىّ ، ثمّ قال : ما بال القوم تقدّموا

بغير أمري حسداً لأهل بيتي ، ملأ الله أجوافهم ناراً ، فعاد بالتوبيخ عليهنّ ، وهو دليل أنّ الأمر منهنّ ^(١) .

ونقل عن ابن طاووس أنّه سأل عيسى بن المستفاد الكاظم عليه السلام عن الصلاة ، فقال : لما ثقل النبي صلى الله عليه وآله دعا علياً عليه السلام ووضع رأسه في حجره ، فأغمي عليه ، فحضرت الصلاة فأذن لها ، فخرجت عائشة وقالت : يا عمر صلّ بالناس ، فقال : أبوك أولى ، قالت : صدقت ولكنه ليّن وأكره أن يواثبه الناس ^(٢) ، فقال : بل يصلي وأنا أكفيه من يثب عليه ، مع أنّ محمّداً مغمى عليه لا أراه يفيق منها ، والرجل مشغول به - يعني : علياً - فبادر بالصلاة قبل أن يفيق ، فان أفاق خفت أن يأمر علياً بها ، فقد سمعت مناجاته منذ الليلة ، وفي آخر كلامه الصلاة الصلاة .

فخرج أبو بكر ليصلي ، فلم يكبر حتى أفاق النبي صلى الله عليه وآله ، فخرج متكئاً على العباس وعلي عليه السلام ، فصلى ، ثمّ حمل الى المنبر ، واجتمع أهل المدينة حتى خرجت العواتق ، فبين باك وصائح ومسترجع وصارخ ، فخطب على جهد ، وكان في خطبته : خلّفت فيكم كتاب الله ، فيه النور والبيان ، وخلّفت فيكم العلم الأكبر علم الدين ونور الهدى ، ألا هو حبل الله فاعتصموا به ولا تتفرّقوا عنه ، ألا وإنّه كرز الله اليوم وما بعد اليوم ، من أحبّه وتولّاه اليوم وما بعد اليوم ، فقد أوفى بما عاهد عليه الله ، ومن عاداه اليوم وما بعد اليوم جاء يوم القيامة أعمى وأصمّ ، لا حجة له عند الله ، ألا ومن أمّ قوماً امامة عمياء وفي الأمة من هو أعلم منه فقد كفر ^(٣) انتهى .

وكيف يأمر النبي صلى الله عليه وآله أبا بكر بالصلاة ، وقد أنفذه في جيش أسامة لما خاف منه ومن جماعته أن يبدّلوا أمره .

(١) الصراط المستقيم ٣ : ١٣٣ - ١٣٤ .

(٢) في الصراط : القوم .

(٣) الصراط المستقيم ٣ : ١٣٥ .

ان قالوا: لم يكن أبوبكر فيه .

قلنا: نقل عن الواقدي باسناده عن عروة ، قال : كان فهم أبوبكر ، وروي عن عمر بن دينار مثله ، وقد اشتهر قول أسامة : أمرني النبي ﷺ على أبي بكر . ولا يعتبر بمن حمل نفسه من المخالفين على أن يدعي أن الرسول ﷺ لما خرج الى المسجد لم يعزل أبابكر عن الصلاة وأقرّه في مقامه ؛ لأنّ هذا من قائله غلط فضيع ، من حيث يستحيل أن يكون النبي ﷺ وهو الامام المتبع في سائر الدين متبعا مأموماً في حال من الأحوال ، وكيف يجوز أن يتقدّم على النبي ﷺ غيره في الصلاة ؟ وقد دلت الدلالة على أنه لا يتقدّم فيها الا الأفضل على الترتيب المعروف . ومن الدليل على عزل أبي بكر ، اختلافهم في أن النبي ﷺ لما صلى بالناس ابتداء من القرآن من حيث ابتداء أبوبكر أو من حيث انتهى .

ومما يدل أيضاً على عدم الاذن في الصلاة أنّهم لم يذكروا في رواياتهم أنّ رسول النبي ﷺ الى أبي بكر للاذن في الصلاة من كان ؟ ويؤيده أيضاً ما تضمنته رواياتهم من أنّ أبابكر لما أتمته الرسالة بالصلاة أشار الى عمر أن يصلي ، فان كان عرف أنّ الرسالة من النبي ﷺ ما جاز له أن يخالفه ، ويبعد عن نفسه دليل خلافته .

على أنّنا لا نعلم لو تجاوزنا عن جميع ما ذكرناه وجهاً ، يكون منه خبر الصلاة شبهة في النص ؛ لأنّ الصلاة ولاية مخصوصة في حالة مخصوصة لا تعلق لها بالامامة ؛ لأنّ الامامة تشتمل على ولايات كثيرة من جملتها الصلاة ، ثم هي مستمرة في الأوقات كلّها ، فأبي نسبة مع ما ذكرناه بين الأمرين ؟ ولو كان التقدّم في الصلاة دليلاً على خلافته لاحتجّ به أبوبكر عند منازعته الأنصار .

وسيجيء ان شاء الله رواياتهم المتضمنة لعدم استخلاف النبي ﷺ أحداً المناهية لكون الاذن في التقدّم للصلاة استخلافاً ، وكيف يستلزم التقدّم في الصلاة الخلافة ؟ مع جوازه لكلّ برّ وفاجر عند أهل السنّة ، والخلافة عندهم لا يجوز الا لأهل العدالة .

على أنه لو كانت الصلاة دالّة على النصّ، لم يخل من أن يكون دالّة من حيث كانت تقديماً في الصلاة، أو من حيث اختصاصها بحال المرض، فإن دلّت من الوجه الأوّل وجب أن يكون جميع من قدّمه الرسول عليه السلام في طول حياته للصلاة أئمة للمسلمين، وقد علمنا أنه عليه السلام قد ولّى الصلاة جماعة لا يجب شيء من هذا فيهم، وإن دلّت من الوجه الثاني، فالمرض لا تأثير له في إيجاب الامامة.

ولو دلّ تقديمه في الصلاة في حال المرض على الامامة لدلّ التقديم في حال الصحة، ولو كان للمرض تأثير لوجب أن يكون تأميره أسامة بن زيد، وتأكيده أمره في حال المرض، مع أن ولايته يشمل على الصلاة وغيرها موجباً للامامة، لأنّه لا خلاف أن النبي صلى الله عليه وآله كان يقول الى أن فاضت نفسه الكريمة صلوات الله عليه: انفذوا جيش أسامة، ويكرّر ذلك ويردّه.

فان قيل: لم تدلّ الصلاة على الامامة من الوجهين اللذين أفدتموهما، لكن من حيث كان النبي صلى الله عليه وآله مؤتماً بأبي بكر في الصلاة ومصلياً خلفه.

قلنا: قد مضى ما يبطل هذا الظنّ، فكيف يجعل ما هو مسحيل في نفسه حجّة؟ على أن الرسول صلى الله عليه وآله عند مخالفتنا قد صلّى خلف عبد الرحمن بن عوف، ولم يكن ذلك موجباً له الامامة، وخبر صلاة عبد الرحمن بن عوف أثبت عندهم وأظهر من صلاته خلف أبي بكر؛ لأنّ الأكثر يعترف بعزله عن الصلاة عند خروجه، وهو رواية البخاري ومسلم، ونقل أيضاً عن الواقدي والشاذكوني وعن أبي حنيفة عن ابراهيم النخعي (١).

ومّا يدلّ على بطلان ما حسبه نصّاً زائداً على ما قدّمنا رواياتهم المشهورة الدالّة على أن النبي صلى الله عليه وآله توفي من غير استخلاف، نقل البخاري في أواسط صحيحه عن ابن عمر، قال: حضرت أبي حين أصيب، فأثنوا عليه وقالوا: جزاك الله خيراً.

فقال : راغب وراهب ، قالوا : أتخلف ؟ فقال : أتحمّل أمركم حياً وميتاً لوددت أنّ حظّي منها الكفاف لا عليّ ولا لي ، فان أستخلف فقد استخلف من هو خير منّي يعني أبا بكر ، وان أترككم فقد ترككم من هو خير منّي رسول الله ﷺ الحديث (١) .
وفي حديث آخر أيضاً عن ابن عمر ، قال : ثمّ قلت له : انّي سمعت الناس يقولون مقالة ، فأليت أن أقولها لك ، زعموا أنّك غير مستخلف ، وأنّه لو كان لك راعي ابل أو راعي غنم ، ثم جاءك وتركها رأيت أن قد ضيّع ، فرعاية الناس أشدّ ، قال : فوافقه قولي ، فوضع رأسه ساعة ثمّ رفعه اليّ ، فقال : انّ الله عزّ وجلّ يحفظ دينه ، وانّي لئن لا استخلف فانّ رسول الله ﷺ لم يستخلف ، وان أستخلف فانّ أبا بكر قد استخلف ، الحديث (٢) .

وفي المصاييح : سئلت عائشة من كان رسول الله ﷺ مستخلفاً لو استخلف ؟ قالت : أبو بكر ، فقيل : ثمّ من بعد أبي بكر ؟ قالت : عمر ، فقيل : ثمّ من بعد عمر ؟ قالت : أبو عبيدة بن الجراح (٣) .
ويدلّ أيضاً على عدم الاستخلاف ما ذكره ابن أبي الحديد من علماء الجمهور وغيره من أهل السير ، أنّه قيل لأبي قحافة يوم وليّ الأمر ابنه : قد وليّ ابنك الخلافة ، فقرأ ﴿ قل اللهمّ مالك الملك تؤتي الملك من تشاء ﴾ (٤) ثمّ قال : لم ولّوه ؟ قالوا : لسنّه ، قال : فأنّا أسنّ منه (٥) .

ومما يدلّ أيضاً على عدم النصّ قول أبي بكر : أقيلوني أقيلوني لست بخيركم . لأنّه ان كان نصّ لما كان للاستقالة وجه . وقول عمر : بيعة أبي بكر كانت فلتة ، فن

(١) صحيح البخاري ٨ : ١٢٦ كتاب الأحكام ، وصحيح مسلم ٣ : ١٤٥٤ برقم : ١٨٢٣ .

(٢) صحيح مسلم ٣ : ١٣٥٥ كتاب الامارة ب ٢ .

(٣) مصاييح السنّة ٤ : ١٧٨ برقم : ٤٧٨٤ .

(٤) آل عمران : ٢٦ .

(٥) شرح نهج البلاغة ١ : ٢٢٢ .

عاد الى مثلها فاقتلوه . ووجه الدلالة : أنه لو كان نصّ لما كانت البيعة فلتة يستحقّ فاعلها القتل ، بل كانت واجبة بفعلها الثواب .

ومما يدلّ أيضاً على عدم النصّ ما نقله ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة في خبر طويل رواه براء بن عازب ، قال : فانطلق أبو بكر وعمر وأبو عبيدة والمغيرة حتّى دخلوا على العباس ، وذلك في الليلة الثانية من وفاة رسول الله ﷺ ، فحمد أبو بكر الله وأثنى عليه وقال : انّ الله ابتعث لكم محمداً ﷺ ، الى قوله : فخلّى على الناس أمورهم ليختاروا لأنفسهم متفقين غير مختلفين ، فاختروني عليهم والياً لأموهم راعياً^(١) . وقد تقدّم الخبر بطوله في بحث ابطال الاجماع .

ويناسب المقام الاتيان بما ذكره الغزالي وهو حجة الاسلام عندهم ، في كتاب سرّ العالمين ، في المقالة الرابعة في ترتيب الخلافة والمملكة ، قال : اختلف العلماء في ترتيب الخلافة وتحصيلها لمن آل أمرها اليه ، منهم من زعم أنّها بالنصّ ، ودليلهم قوله تعالى ﴿ قل للمخلفين من الأعراب ستدعون الى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله أجراً حسناً وان تتولّوا كما تولّيتم من قبل يعدّ بكم عذاباً أليماً ﴾^(٢) وقد دعاهم أبو بكر الى الطاعة بعد رسول الله ﷺ فأجابوا .

وقال بعض المفسّرين في قوله تعالى ﴿ واذا أسرّ النبي الى بعض أزواجه حديثاً ﴾^(٣) قال في الحديث : انّ أبا بكر هو الخليفة من بعدي يا حميراء ، وقالت امرأة : اذا فقدناك فالى من نرجع ؟ فأشار الى أبي بكر ، ولأنّه أمّ بالمسلمين على بقاء رسول الله ﷺ ، والامامة عماد الخلافة .

(١) شرح نهج البلاغة ١ : ٢٢٠ .

(٢) الفتح : ١٦ .

(٣) التحريم : ٣ .

هذه جملة ما يتعلّق به القائلون بالنصوص ، ثمّ تأوّلوا وقالوا: اذ لو كان عليّ أول الخلفاء لانسحب عليهم ذيل الفناء ، ولم يأتوا بفتوح ولا مناقب ، ولا يقدر في كونه رابعاً للخلفاء ، كما لا يقدر في نبوة رسول الله ﷺ اذا كان آخراً .

والذين عدلوا عن هذه الطريقة زعموا أنّ هذا تعلق فاسد جاء على زعمكم وأهويتكم ، وقد وقع الميراث في الأحكام والخلافة ، مثل داود وسليمان وزكريّا ويحيى ، قالوا: كان لأزواجه ثمن الخلافة فهذا تعلقوا . وهذا باطل ؛ اذ لو كان ميراثاً لكان العباس أولى .

لكن أسفرت الحجة وجهها ، وأجمع الجباهير على متن الحديث من خطبته في يوم غدیر خمّ باتفاق الجميع ، وهو يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه ، فقال عمر: يخّ يخّ يا أبا الحسن لقد أصبحت مولاي ومولى كلّ مولى ، فهذا تسليم ورضاً وتحكيم .

ثمّ بعد هذا غلب الهوى بحبّ الرئاسة ، وحمل عمود الخلافة وعقود البنود ، وخفقان الهوى ، في قعقة الرايات ، واشتباك ازدحام الخيول وفتح الأمصار ، سقاها كأس الهوى ، فعادوا الى الخلاف الأوّل ، فنبذوه وراء ظهورهم ، واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون .

ولما مات رسول الله ﷺ قال وقت وفاته: ايتوني بدواة وبياض لأزيل عنكم اشكال لأمر ، وأذكر لكم من المستحقّ لها بعدي ؟ قال عمر: دعوا الرجل فإنه ليهجر وقيل ليهذر .

فاذن بطل تعلقكم بتأويل النصوص ، فعدتم الى الاجماع ، وهذا منقوض أيضاً ، فإنّ العباس وأولاده وعليّاً عليه السلام وزوجته لم يحضروا حلقة البيعة ، وخالفكم أصحاب السقيفة في مبايعة الخزرجي ، ودخل محمّد بن أبي بكر على أبيه في مرض موته ، فقال: يا بني ائت بعنك عمر لأوصي له بالخلافة ، فقال: يا أبت أكنت على حقّ أو باطل ؟ فقال: على حقّ ، فقال: أوص بها لأولادك ان كان حقاً أولى فقد مكنتها بك لسواك ، ثمّ خرج الى عليّ وجرى ما جرى .

وقوله على منبر رسول الله ﷺ « أقبيلوني أقبيلوني لست بخيركم » أفقاله هزلاً أو جدّاً أو امتحاناً؟ فان كان هزلاً، فالخلفاء منزّهون عن الهزل. وان قاله جدّاً، فقد نقض الخلافة. وان قاله امتحاناً، فزعنا ما في صدورهم من غلّ، فاذا ثبت هذا فقد صارت اجماعاً منهم وشورى بينهم (١).

تذنيب

في ذكر بعض ما يدلّ على عدم الاعتماد والوثوق بالأحاديث المنقولة في كتب النواصب على خلاف عقائد الامامية

اعلم أنّ رواة أحاديثهم: إمّا كفّار، أو فسّاق، فلا يجوز الاعتقاد عليهم؛ لقوله تعالى ﴿ ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ﴾ (٢) ولقوله ﴿ ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسّكم النار ﴾ (٣).

وأما قلنا أنّ رواتهم إمّا كفّار أو فسّاق؛ لأنهم مالوا الى الدنيا، ودخلوا بني أمية في ولاياتهم، ورووا لهم ما أحبّوا، حتّى وصلوا الى حاجتهم، فمنهم من سبّ عليّاً وحاربه، ومنهم من اعتزل عن بيعته ورغب في محاربتة، ومنهم من خذل الحسين عليه السلام أحد الثقلين، ومنهم من حاربه، ومنهم من حارب عثمان وقاتله، وهم جلّ المهاجرين والأنصار.

ويلزم أهل السنّة في أمر عثمان أحد الأمرين: إمّا أن يقولوا بامامة عثمان، وبفسق من حاربه من المهاجرين والأنصار، وبعدم الوثوق بنقلهم وروايتهم (٤)، أو يقولوا

(١) سرّ العالمين للغزالي ص ٢٠ - ٢٢.

(٢) الحجرات: ٦.

(٣) هود: ١١٣.

(٤) في «ق»: رواياتهم.

بطلان امامة عثمان وعدم فسق محاربيه .

والعجب كلّ العجب أنّ النواصب جمعوا بين امامة عثمان ، وحسن الثناء على قاتليه ، والرواية عنهم والوثوق بهم ، وكذا جمعوا بين امامة أمير المؤمنين عليه السلام وبين حبّ من سبّه وحاربه ، ورووا عنهم ووثقوا بهم واعتمدوا عليهم .

ونقل في الصراط المستقيم عن عبد الله الهروي منهم في كتاب الاعتقاد ، الصحابة كلّهم عدول ونساء هم ، فمن تكلم فيهم بتهمة أو تكذيب فقد توثّب على الاسلام بالابطال (١) .

وعن الغزالي في الأصل التاسع من الاحياء : اعتقاد أهل السنّة تزكية جميع الصحابة (٢) .

فبعد القوم زكوا من أخبر الله تعالى ونبيّه بنفاقهم ، وقد دلّت الكتاب والسنّة على وجود المنافقين في صحابة الرسول صلّى الله عليه وآله وروت الشيعة والسنّة أنّ حذيفة كان يعرف المنافقين بتعريف النبيّ صلّى الله عليه وآله ، وقد تقدّم عدّة روايات تدلّ على أنّ عند الحوض يرد على النبيّ صلّى الله عليه وآله أقوام من أصحابه ثمّ يحال بين النبيّ وبينهم ولا يشفع لهم ، وفي هذه الروايات شهادة من النبيّ صلّى الله عليه وآله بضلالة أقوام من صحابته ، فكيف يزكّي النواصب كلّ الصحابة؟! على أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله أمر عليّاً عليه السلام بقتل الناكثين والقاسطين والمارقين .

وفي الجمع بين الصحيحين من المتفق عليه : اذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار (٣) .

وهذا دليل على أنّ القاسطين والناكثين والمارقين كافرون من أهل النار ؛ لأنّهم

(١) الطرائف ص ٣٧٤ عن كتاب الاعتقاد .

(٢) احياء علوم الدين ١ : ٩٣ .

(٣) صحيح مسلم ٤ : ٢٢١٤ كتاب الفتن .

لو كانوا مسلمين لزم أن يكون قاتلوهم من أتباع علي عليه السلام من أهل النار، وهو خلاف الاجماع.

قال الكرمانى فى شرحه على الصحيح عند رواية مروان: فان قلت: كيف روى مروان ذلك وهو لم يسمع رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يكن بالحديبية؟ قلت: هو من مراسيل الصحابة، وهو معتبر اتفاقاً.

أنظر أيها اللبيب كيف اتفقوا على العمل بمراسيل أمثال مروان، وهو الذى طرده رسول الله صلى الله عليه وآله مع أبيه الحكم، ولوكالته لعثمان أوقع الفساد بين المسلمين، ولما قتل عثمان لم يبايع علياً عليه السلام والتحق بمعاوية، وفى عدة مقامات حارب أمير المؤمنين عليه السلام الذى دعا له رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه. وقال له صلى الله عليه وآله: حريك حربى ^(١). وسيجيء الأخبار فى هذا المعنى متجاوزاً حدّ التواتر. وقال صلى الله عليه وآله مخبراً عن عصمته وأحقّيته: علي مع الحقّ والحقّ مع علي ^(٢).

وقال صلى الله عليه وآله: انى تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلّوا أبداً، كتاب الله وعترتى أهل بيتى ^(٣).

وقد روى مسلم فى الجزء الرابع من صحيحه، باسناده عن النبي صلى الله عليه وآله: من خلع يداً من طاعة لى الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية ^(٤). فبمقتضى هذا الحديث مات مروان ميتة جاهلية، فالحكم بصحة أحاديثه وأحاديث أمثاله ليس الآ معاندة لأهل البيت عليهم السلام.

(١) راجع احقاق الحق ٩: ١٦١ - ١٧٤ و ٦: ٤٤٠ - ٤٤١.

(٢) راجع: احقاق الحق ٥: ٦٢٣ - ٦٣٨ و ١٦: ٣٨٤ - ٣٩٧.

(٣) راجع: احقاق الحق ٤: ٤٣٦ - ٤٤٣ و ٩: ٣٠٩ - ٣٧٥ و ١٨: ٢٦١ - ٢٨٩.

(٤) صحيح مسلم ٣: ١٤٧٨ برقم: ١٨٥١ كتاب الامارة.

والعجب كلّ العجب أنّهم مع الحكم بصحة مراسيل مروان ، مع ظهور الأدلّة على كفره ، طرحوا مسانيد جابر الجعفي لحبّه واتّباعه لأهل البيت عليهم السلام .
نقل مسلم في أوائل صحيحه ، أنّ جابر كان يقول عندي سبعون ألف حديث عن أبي جعفر عن النبي صلى الله عليه وآله (١) .

ونقل عن الحميدي أنّه قال : حدّثنا سفيان ، قال : كان الناس يحملون عن جابر قبل أن يظهر ما أظهر ، فلما أظهر ما أظهر أنّهم الناس في حديثه وتركه بعض الناس ، فقيل له : وما أظهر ؟ قال : الايمان بالرجعة (٢) .

تأمل أيها البصير في هؤلاء النواصب وانحرافهم عن أهل البيت عليهم السلام كيف عدّوا الايمان بالرجعة أعظم من محاربة أمير المؤمنين عليه السلام ، مع أنّ محاربتة عليه السلام على ما بيّناه كفر ونفاق ، والقول بالرجعة هو المتواتر عن أهل البيت ، المطهّرين عن الرجس ، المعصومين من الاثم عليهم السلام ، وموافق لكتاب الله تعالى قال عزّ وجلّ ﴿ ويوم نحش من كلّ أمة فوجاً ﴾ (٣) الآية وقال ﴿ ربّنا أمّتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين ﴾ (٤) .

وأيضاً من عجائب هؤلاء النواصب أنّهم ذكروا في كتب رجالهم أنّ عمر بن سعد - هو الذي قاتل الحسين عليه السلام - وهو ثقة . أنظر أيها البصير أيّ ذنب أعظم من قتل سيّد شباب أهل الجنّة ، ومن أين يحصل الوثوق بقول من باع الدين بالدنيا الفانية ؟ ولا يخفى أنّ هذه الأقوال الشنيعة والعقائد السخيفة نشأت من حبّ الدنيا ، وحبّ التقرّب الى الملوك ، وغير خفيّ على المتتبّع أنّ مذهب ملوك بني أميّة وبني

(١) صحيح مسلم ١ : ٢٠ .

(٢) صحيح مسلم ١ : ٢٠ .

(٣) النمل : ٨٣ .

(٤) غافر : ١١ .

العَبَّاس كان عداوة أهل البيت عليهم السلام خوفاً على دنياهم الدنيّة .

وقد كتب معاوية الى عمّاله أن اقتلوا شيعة علي وكلّ من يذكر مناقبه ، وأمر الناس بوضع الأحاديث في مناقب شيوخهم الثلاثة ومناقبه ، وكان يرسلها الى عمّاله ويأمرهم بأن يأمرؤا معلّمي الأطفال ليعلموهم أيّاه ، وبأمثال هذه الحيل كان ينشر الأحاديث الموضوعة ، وقد كان يعطي على وضع الأحاديث أموالاً كثيرة وعطايا جليلة .

وسيجيء نقلاً عن ابن أبي الحديد من علماء الجمهور ، أنّ معاوية بذل لسمرّة بن جندب أربعائة ألف درهم ليروي قوله تعالى ﴿ ومن الناس من يعجبك قوله ﴾ ^(١) الآية نزلت في علي عليه السلام وقوله ﴿ ومن الناس من يشري نفسه ﴾ ^(٢) الآية نزلت في ابن ملجم ^(٣) .

وقد استمرّ في بني أميّة وبني مروان وضع الحديث الى زمن بني العبّاس ، واشتبه الأمر على الناس ، ولم يقدرؤا على الفرق والتمييز بين الصحيح والموضوع الآ في قليل ثمّ انتخب جماعة من مشايخهم من هذه الأحاديث ما أرادوا على وفق اشتهاهم واشتهاء ملوكهم وسمّوها صحاحاً .

ويؤيد ما ذكرناه ما ذكر في الصراط المستقيم من معايب البخاري ومسلم ، وكتابنها الأحاديث الصحيحة في مناقب أهل البيت عليهم السلام والأخبار المتضمّنة لمعايب أئمّتهم الثلاثة .

قال : قال ابن البيّع في معرفة أصول الحديث ، وهذه عبارته : احتجّ البخاري بأكثر من مائة رجل من الجهولين وصحّ عند العلماء أنّه روى عن ألف ومائتي رجل

(١) البقرة : ٢٠٤ .

(٢) البقرة : ٢٠٧ .

(٣) شرح نهج البلاغة : ٤ : ٧٣ .

من الخوارج الملعونين ، ذكر منهم صاحب المصالت جماعة .
 وقال له ابن حنبل : لم سميت كتابك صحيحاً وأكثر رواته خوارج ؟ فقرر مع
 الغريري سماع كل كراس بدائق ، فلهذا لم ترفع روايته الآ عن الغريري .
 وحبسه قاضي بخارا أيام حياته لما قال له : لم رويت عن الخوارج ؟ قال : لأنهم
 ثقات لا يكذبون (١) .

ومن حماقته أنه عمم حديث الرضاع في غير المكلفين من الخيل والحمر والبقر
 والغنم ، وأفتى بذلك في بخارا ، حتى أخرجه علماء زمانه منها ، كذا نقل عن شرح
 الهداية في فقه الحنفية ، وكتاب معدن الحقائق شرح كنز الدقائق من كتب أهل السنة ،
 وكتاب الكافي من كتبهم ، وحاصل فتوى البخاري ثبوت الرضاع بين صبيين
 ارتضعا من ثدي بقره أو شاة .

وأما شاع كتابه مع كمال حماقته وعدم تميزه ؛ لتظايره بعداوة أهل البيت ، فلم
 يرو خبر الغدير مع بلوغه في الاشتهار الى حد لا يمكن فيه الانكار ، وكتب حديث
 الطائر مع كونه مشهوراً في الخاصّ والعامّ على مرور الأيام ، وجد آية التطهير مع
 اجماع المفسرين على نزولها فيهم من غير نكير ، إلا ما كان من عكرمة المخارجي
 والكذاب الكلبي وثالثهما البخاري .

ولم ينقل من حديث الراية أوله ، بل قال : لأعطين الراية غداً رجلاً ، وترك أوله ،
 أن النبي ﷺ بعث أبا بكر فرجع يؤتب أصحابه ويؤتبونه ، ثم عمر فرجع يجب
 أصحابه ويجبونه ، حتى ساء النبي ﷺ فقال : لأعطين الراية رجلاً يحب الله
 ورسوله ويحبه الله ورسوله كزار غير فرار ، روى ذلك أحمد ، والطبري ، وابن بطّة ،
 والترمذي ، وابن ماجه ، والتعلي ، وأبو يعلى ، والبيهقي ، والواحدي .

ولم يرو حديث سدّ الأبواب ، وقد رواه ثلاثون رجلاً من الصحابة ، منهم : سعد

بن أبي وقاص ، وابن عباس ، وابن أرقم ، وجابر الأنصاري ، وحذيفة ، والمخدري ، ومعاذ ، وابن عمر ، وأبو رافع ، وأمّ سلمة ، وبريدة ، وذكره أبو نعيم في الحلية ، وأبو يعلى في المسند ، والمخطيب في تاريخه ، والبلاذري في تاريخه ، والترمذي في جامعه ، وابن بطّة في ابنته ، وأحمد في فضائله ، والنطنزي في خصائصه ، وابن ميمون^(١) في املائه ، وشعبة في أماليه ، والبيهقي في كتابه ، والخركوشي في شرف النبي .

ولم يذكر ما نقلته رواتهم من قول الأوّل : أيّ سماء تظنّني الحديث . ولا خبر الكلاله ، ولا خطبة الاستقالة ، ولا بدايع عثمان ، ولا حديث ماء الحوآب^(٢) .

ثمّ نقل عن الشيخ محمّد بن يوسف الكنجي الشافعي في الجزء الثاني^(٣) من كتابه بغية الطالبين : أنّ البخاري ومسلماً كتبا أخباراً جمّة في فضائل أهل البيت عليهم السلام صحيحة على شرطيهما .

١- زيد بن أرقم : عليّ أوّل من أسلم ، أخرجه ابن حنبل في المناقب ، والترمذي في الجامع ، والجاحظ^(٤) ، والمحاكم في المستدرک وقال : صحيح الاسناد ولم يخرجاه .

٢- أخرج المحاكم في المستدرک قوله عليه السلام : أنا الصديق الأكبر صلّيت قبل الناس بسبع سنين لا يقولها بعدي الآكاذب ، قال : وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

٣- أخرج في المستدرک قوله عليه السلام : أنا الهادي والنبي المنذر ، قال : وهذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه .

(١) في الصراط : وابن ميمونة .

(٢) الصراط المستقيم ٣ : ٢٢٦ - ٢٢٨ .

(٣) في الصراط : الثامن .

(٤) في «ن» و«ق» : المحافظ .

٤- أخرج حديث الفرخ المشويّ، وقال: صحيح الاسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

٥- أخرج قول النبي ﷺ لسلمان: من أحبّ علياً فقد أحبّني، ومن أبغض علياً فقد أبغضني، وقال: صحيح الاسناد على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه .

٦- أخرج قول النبي ﷺ: من أحبّ أن يحيى حياتي، ويموت موتي، ويسكن جنّة الخلد التي وعدني ربّي، فليتولّ علي بن أبي طالب، فإنّه لم يخرجكم من هدى، ولن يدخلكم في ظلالة، وقال: صحيح الاسناد ولم يخرجاه .

٧- أخرج قول النبي ﷺ: أنت وليّ في الدنيا والآخرة، وقال: صحيح الاسناد ولم يخرجاه .

٨- أخرج حديث الغدير، وقال: صحيح الاسناد على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه .

٩- أخرج قول بريدة الأسلمي: تنقّصت علياً عند النبي ﷺ فغضب وقال: ألسنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قلت: بلى، قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه، قال: وهذا صحيح الاسناد على شرطيهما ولم يخرجاه .

١٠- أخرج الترمذي وأبو حاتم وابن حنبل قول النبي ﷺ: علي منّي وأنا منه، وهو وليّ كلّ مؤمن بعدي، وأخرجه في المستدرک، وقال: صحيح الاسناد على شرط مسلم ولم يخرجه .

١١- أخرج ابن حنبل حديث سدّ الأبواب غير باب علي عليه السلام وأخرجه في المستدرک وقال: صحيح الاسناد ولم يخرجاه .

١٢- أخرج المحاكم في المستدرک قول النبي ﷺ: علي سيّد العرب، قال: وهو صحيح الاسناد ولم يخرجاه .

١٣- عبد الله بن أسعد، قال النبي ﷺ: أوحى اليّ ثلاثاً في علي: أنّه سيّد المسلمين، وامام المتّقين، وقائد الغرّ المحجلّين، قال في المستدرک: صحيح الاسناد

ولم يخرجاه .

١٤ - روى جماعة ، منهم : أبوبكر ، والحميدي ^(١) ، وعمرو بن مرّة ، وابن مسعود ، وعمرو بن العاص ، والأسدي ، وعمران ^(٢) بن الحسين ، ومعاذ ، وأبو هريرة ، وابن الفرات ، وعائشة ، من طرق عدة قول النبي ﷺ : النظر الى وجه علي عبادة ، قال في المستدرک : صحيح الاسناد ولم يخرجاه .

١٥ - قال النبي ﷺ لفاطمة : أما ترضين أنّ الله اطلع الى الأرض ، فاختار منها رجلين : أحدهما أبوك ، والآخر بعلك ، أخرجه في المستدرک ، وقال : صحيح الاسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

١٦ - لفّ النبي ﷺ عليّاً وزوجته وولديه عند نزول آية التطهير ، وقال : هؤلاء أهل بيتي ، أخرجه الترمذي والقزويني ، والحاكم في المستدرک وقال : أخرجه في المستدرک ، وقال : صحيح الاسناد ولم يخرجاه .

١٧ - أنا مدينة العلم وعلي بابها ، أخرجه في المستدرک ، وقال : صحيح الاسناد ولم يخرجاه ^(٣) .

وهنا أخبار لم يصرّح الكنجي بأنّها لم يذكرها ، منقولة من كتب القوم أعرضنا عنها ، فهذه الأحاديث ان كانت لم تصل الى الشيخين مع شهرتها ، فهو دليل قصورها ، فكيف يرجّحون كتابيها ويلهجون بذكرها على غيرها؟! وان وصلت اليها ، فتركا روايتها ونقلها ، كان ذلك من أكبر أبواب التهمة والانحراف ^(٤) انتهى .
أقول : حيث تركا أمثال هذه الروايات الواضحات صدق عليها ﴿ انّ الذين

(١) في الصراط : والخندي .

(٢) في الصراط : وعمر .

(٣) المستدرک على الصحيحين للحاكم ٣ : ١٠٧ - ١٤٢ .

(٤) الصراط المستقيم ٣ : ٢٣٢ - ٢٣٤ .

يكتُمون ما أنزلنا من البَيِّنَات ﴿١﴾ وخرجا بعنادهما عن دائرة الثقات .
والعجب كلَّ العجب أنَّهما تركا كثيراً من معائب أئمَّتهم ، خوفاً من اتِّضاع قدرهم ،
ولم يتركا ذكر الروايات الموضوعة في معائب الأنبياء .

ففي الحديث التاسع والثمانين بعد المائة من المتَّفَق عليه من الجمع بين الصحيحين ،
عن النبي ﷺ : أنَّ موسى عليه السلام لطم ملك الموت على عينيه ، فقلعها لما جاء لقبضه (٢) .
وفي الحديث الحادي عشر منه بعد المائتين : أنَّ ابراهيم عليه السلام لما تطلَّب الخلق منه
الشفاعة يقول : كذبت ثلاث كذبات ، اذهبوا الى غيري (٣) . ونحوه في السابع
والعشرين بعد المائتين . ولو أنَّ أحداً نقل عن شيخهم كذباً ، لطعنوا في روايته ،
وسارعوا الى تكذيبه ، أفما كان للأنبياء أسوة بالشيخين ؟

ومما يدلُّ على ما قلناه من عدم الاعتماد على رواتهم وفقهائهم ، ما ذكره ابن أبي
الحديد من علماء الجمهور في شرحه على نهج البلاغة ، قال : ذكر شيخنا أبو جعفر
الاسكافي أنَّ معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار
قبيحة في علي عليه السلام ، تقتضي الطعن فيه ، والبراءة منه ، وجعل لهم على ذلك جعلاً
يرغب في مثله ، فاختلفوا ما أرضاه ، منهم : أبو هريرة ، وعمرو بن العاص ، والمغيرة
بن شعبة ، ومن التابعين عروة بن الزبير .

وروى الزهري أنَّ عروة بن الزبير حدَّثه ، قال : حدَّثتني عائشة ، قالت : كنت
عند رسول الله ﷺ اذ أقبل العباس وعلي ، فقال : يا عائشة انَّ هذين يموتان على
غير ملتي ، أو قال : ديني .

وروى عبد الرزاق عن معمر ، قال : كان عند الزهري حديثان عن عروة عن

(١) البقرة : ١٥٩ .

(٢) صحيح مسلم ٤ : ١٨٤٢ .

(٣) صحيح مسلم ١ : ١٨٥ .

عائشة في علي ، فسألته عنها يوماً ، فقال : ما تصنع بهما ومحدثهما ، الله أعلم بهما ، أني لآتمهما في بني هاشم . قال : فأما الحديث الأول ، فقد ذكرناه . وأما الحديث الثاني ، فهو أن عروة زعم أن عائشة حدثته ، قالت : كنت عند النبي ﷺ إذ أقبل العباس وعلي ، فقال : يا عائشة ان سرك أن تنظري الى رجلين من أصحاب النار ، فانظري الى هذين قد طلعا ، فنظرت فاذا العباس وعلي بن أبي طالب .

وأما عمرو بن العاص ، فروي عنه الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما مسنداً متصلاً بعمرو بن العاص ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ان آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء ، إنما وليي الله وصالح المؤمنين .

وأما أبو هريرة ، فروي عنه الحديث الذي معناه أن علياً خطب ابنة عدو الله أبي جهل في حياة رسول الله ﷺ ، فأسخطه فخطب على المنبر ، وقال : لاها الله لا تجتمع ابنة ولي الله وابنة عدو الله أبي جهل ، ان فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها ، فان كان علي يريد ابنة أبي جهل ، فليفارق ابنتي ليفعل ما يريد ، أو كلاماً هذا معناه ، والحديث مشهور من رواية الكرايسي .

فقلت : هذا الحديث أيضاً مخرج في صحيحي مسلم والبخاري عن المسور بن مخرمة الزهري .

وقد ذكر المرتضى في كتابه المسمى بتزيه الأنبياء والأئمة : أنه رواية الحسين الكرايسي ، وأنه مشهور بالانحراف عن أهل البيت عليهم السلام وعداوتهم والمناصبه لهم ، فلا تقبل روايته .

ثم قال بعد كلام له : ثم نعود الى حكاية كلام شيخنا أبي جعفر الاسكافي ، قال أبو جعفر : روى الأعمش ، قال : لما قدم أبو هريرة العراق مع معاوية عام الجماعة ، جاء الى مسجد الكوفة ، فلما كثر من استقباله من الناس جثا على ركبتيه ، ثم ضرب صلته مراراً وقال : يا أهل العراق أتزعمون أني أكذب على الله وعلى رسوله ، وأحرق نفسي بالنار ؟ والله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : ان لكل نبي حراماً ،

وأنّ حرّمي المدينة ، ما بين عير الى ثور ، فمن أحدث فيها حدثاً ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، وأشهد أنّ عليّاً أحدث فيها أحداثاً ، فلمّا بلغ معاوية قوله ، أجازّه وأكرمه وولاه أمانة المدينة .

ثمّ قال بعد كلام له : قال أبو جعفر : وأبو هريرة مدخول عند شيوخنا ، غير مرضيّ الرواية ، ضربه عمر بالدرة ، وقال له : قد أكثرت من الرواية ، وأحسبك أن تكون كاذباً على رسول الله .

وروى سفيان الثوري ، عن منصور ، عن ابراهيم التيمي ، قال : كانوا لا يأخذون عن أبي هريرة إلاّ ما كان من ذكر جنة أو نار .

وروى أبو أسامة ، عن الأعمش ، قال : كان ابراهيم صحيح الحديث ، فكنت اذا سمعت الحديث أتيتّه فعرضته عليه ، فأتيتّه يوماً بأحاديث أبي صالح عن أبي هريرة ، فقال : دعني من أبي هريرة ، أنّهم كانوا يتركون كثيراً من حديثه .

وقد روي عن علي عليه السلام أنّه قال : ألا إنّ أكذب الناس - أو قال : أكذب الأحياء - على رسول الله صلى الله عليه وآله أبو هريرة الدوسي .

وروى أبو يوسف ، قال : قلت لأبي حنيفة : الخبر يجيء عن رسول الله صلى الله عليه وآله يخالف قياسنا ما تصنع به ؟ قال : اذا جاءت به الرواة الثقات عملنا به وتركنا الرأي ، قلت : ما تقول في رواية أبي بكر وعمر ؟ فقال : ناهيك بهما ، فقلت : علي وعثمان ، فقال : كذلك ، فلمّا رأني أعدّ الصحابة ، قال : الصحابة كلّهم عدول ما عدا رجلاً ، ثمّ عدّ منهم أبا هريرة ، وأنس بن مالك .

وروى سفيان الثوري ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن عمر بن عبد الغفّار ، أنّ أبا هريرة لمّا قدم الكوفة مع معاوية ، كان يجلس بالعشيات بباب كنده ، ويجلس الناس اليه ، فجاء شابّ من أهل الكوفة فجلس اليه ، فقال : يا أبا هريرة أنشدك الله أسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي بن أبي طالب : اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه ؟ قال : اللهمّ نعم ، قال : فأشهد بالله أنّك قد واليت عدوّه وعاديت وليّه ، ثمّ

قام عنه .

وروا أن أبا هريرة كان يؤاكل الصبيان في الطريق ، ويأكل معهم ، وكان يخطب وهو أمير المدينة فيقول : الحمد لله الذي جعل الدين قياماً ، وأبا هريرة اماماً ، يضحك الناس بذلك ، وكان يمشي وهو أمير المدينة في السوق ، فاذا انتهى الى من يمشي امامه ضرب برجله الأرض ، ويقول : الطريق الطريق قد جاء الأمير يعني نفسه .

قلت : قد ذكر ابن قتيبة هذا كله في كتاب المعارف في ترجمة أبي هريرة ، وقوله فيه حجة : لأنه غير متهم عليه .

قال أبو جعفر : وكان المغيرة بن شعبة يلعن علياً لعناً صريحاً على منبر الكوفة ، وكان بلغه عن علي في أيام عمر أنه قال : لئن وليت لأرجمن المغيرة بأحجار ، يعني : واقعة الزنا بالمرأة التي أشهد عليه فيها أبو بكر ، ونكل زياد عن الشهادة ، فكان يبغضه لذلك ولغيره من أحوال اجتمعت في نفسه .

وقد تضافرت الرواية عن عروة بن الزبير أنه كان يأخذه الرمع عند ذكر علي عليه السلام فيسبه ، الخبر .

ثم قال : ومن المحدثين من يبغضه ويروي فيه الأحاديث المنكرة ، منهم حريز بن عثمان ، كان يبغضه وينتقصه ويروي فيه أخباراً ، ثم نقل ما يدل على ذمه ، ثم ذكر جماعة من المحدثين المبغضين لأمر المؤمنين عليهم السلام وذكر مثالهم وكفرهم والحادهم ، منهم مروان وسمرة بن جندب (١) .

وقال أيضاً ابن أبي الحديد في شرحه على نهج البلاغة : قال شيخنا أبو جعفر الاسكافي ، ووجدته أيضاً في كتاب الغارات لابراهيم بن هلال الثقفي : وقد كان بالكوفة من فقهاؤها من معاندي علياً عليه السلام ويبغضه مع غلبة التشيع على الكوفة ،

فنهـم مرّة الهمداني ، ثمّ بيّن عداوة جماعة منهم ، وهم : الأسود ، ومسروق بن الأجدع ، وشرح ، والشعبي ، وأبووائل شقيق بن سلمة ، وأبو بردة بن أبي موسى الأشعري ، وأبو عبد الرحمن السلمي القاري .

وقال : كان عبد الله بن عكيم عثمانياً ، وكان سهم بن طريف عثمانياً ، وكان قيس بن أبي حازم يبغض عليّاً ، وكان سعيد بن المسيّب منحرفاً عنه ، وكان الزهري من المنحرفين عنه ، وكان عمر بن ثابت ^(١) عثمانياً من أعداء علي ومبغضيه ، وكان المكحول من المبغضين له عليّاً ، ثمّ ذكر ما يدلّ على بغض حمّاد بن زيد وشبابه بن سوار .

ثمّ قال : وقال شيخنا أبو جعفر الاسكافي : كان أهل البصرة كلّهم يبغضونه ، وكثير من أهل الكوفة ، وكثير من أهل المدينة ، وأمّا أهل مكّة فكّلهم كانوا يبغضونه قاطبة ، وكانت قريش كلّها على خلافه ، وكان جمهور الخلق مع بني أميّة ، ثمّ قال : وروى أبو عمر النهدي قال : سمعت علي بن الحسين عليهما السلام يقول : ما بمكّة والمدينة عشرون رجلاً يحبّنا ^(٢) .

ومما يدلّ زائداً على ما قدّمناه على عدم جواز الاعتداد على فقهاءهم والوثوق برواتهم ، ما ذكره في الصراط المستقيم من مذاهم ومثالهم ، قال عليه السلام : من فقهاء الجمهور ورواتهم عبد الله بن عمر ، قعد عن بيعة علي عليه السلام ونصرته ، وتمسك بيزيد وبيعته .

في الحديث الحادي والثمانين من الجمع بين الصحيحين : لما خلع أهل المدينة يزيد ، جمع أهله وحشمه وقال : سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول : ينصب لكلّ غادر لواء يوم

(١) في الشرح : زيد بن ثابت .

(٢) شرح نهج البلاغة ٤ : ٩٦ - ١٠٤ .

القيامة ، واني لا أعلم أغدر ممن بايع رجلاً ثم نصب له القتال (١) .

وفي الحديث الخامس والخمسين منه : أنه كتب الى عبد الملك بن مروان يبايعه (٢) .

وفي الحديث الخامس والستين بعد المائة من المتفق عليه : لما سمعت عائشة عنه أن الميت ليعذب ببيكاء الحي ، فقالت : نسي أو أخطأ ، أما قال النبي ﷺ في يهودية ماتت أنه يبكي عليها وأنها لتعذب (٣) . فهذا طعن منها فيه ان كانت صادقة والآ فففيها .

ومنه : في الحديث الثاني عشر بعد المائة من المتفق عليه ، أن ابن عمر قال : اعتمر النبي ﷺ في رجب ، فبلغها فقالت : ما اعتمر في رجب وما اعتمر قط يوماً عمرة إلا وأنا معه (٤) . فكيف جاز لها أن تقول ذلك ، ولعله اعتمر فيه بمكة قبل تزويجها ، فهذا طعن في ابن عمر أو فيها .

ومنهم : عائشة التي أكثروا الرواية عنها ، مع نقلهم في صحاحهم نقضها وما يوجب رد قولها ، ففي الحديث الثاني والثمانين من المتفق عليه : كنت ألعب بالبنات وكانت لي صواحب يلعبن معي ، فاذا دخل النبي ﷺ امتنعن ، فيشير لهن فيلعبن معي . والبنات : اللعب . ونحوه في حديث جرير (٥) .

وقد روت هي في الحديث السادس من المتفق عليه من عدة طرق انكار النبي ﷺ لعمل الصور والأمر بابطالها ، فكيف يرضى بجعلها في منزله ؟ وقد رووا

(١) صحيح مسلم ٣ : ١٣٦٠ - ١٣٦١ كتاب الجهاد ب ٤ .

(٢) صحيح البخاري ٨ : ١٢٢ ، والموطأ ٢ : ٢٥٠ .

(٣) صحيح مسلم ٢ : ٦٤٣ ، والموطأ ١ : ١٨٢ .

(٤) صحيح مسلم ٢ : ٩١٦ .

(٥) صحيح مسلم ٤ : ١٨٩٠ - ١٨٩١ .

عنه في صحاحهم أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب ولا صورة ولا تمثال^(١).
 أفكان يؤثر لعب عائشة باللعب على دخول الملائكة بيته الذي أُسس على
 العبادات ونفي المنكرات، وكيف يمتنع النبي ﷺ من دخول الكعبة حتى يجنب عنها
 الصور، كما ذكره في الجمع بين الصحيحين في الحديث التاسع عشر من أفراد
 البخاري، ويجمع لعائشة النساء يلعبن معها، أو يريد لعبها بلعبتها.

وفي الجمع بين الصحيحين في الحديث الخامس والعشرين من المتفق عليه، أن عائشة
 تفرّجت على الحبشة، وهم يلعبون في المسجد بالحراب^(٢). وقد صان النبي ﷺ
 المسجد عن انشاد الضوالم، وقال لا ردّها الله اليك إنّ المساجد لم يبن لهذا^(٣).

ومن ذلك الحديث: إنّ أبابها دخل عليها في أيام منى وعندها جاريتان تدفّقان،
 والنبي ﷺ متعشّ بثوبه، فنهراها وقال: مزار الشيطان عند رسول الله، فنهاه
 النبي ﷺ عن ذلك^(٤).

كيفية حسن من القوم تصحيح ذلك عن نبيهم الذي هو أكمل العقلاء وأفضل
 الفضلاء؟ وكيف جعل النبي ﷺ بيوتاً أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه - كما جاء
 في القرآن - محلاً للعب والغناء، وأبو بكر ينهى عن المنكر، فيردّه النبي ﷺ عن
 نهيه، وإذا كان النبي ﷺ لا ينطق عن الهوى بل بوحى يوحى، فردّ النهي عن
 المنكر من ربّ السماء، وكيف ساع لأبي بكر النهي عن ذلك؟ وقد كان له برسول الله
 أسوة حسنة، وهل ذلك إلاّ تقديم بين يدي الله ورسوله.

وقد ذكر الحميدي في الحديث الرابع بعد المائة من المتفق عليه عن عائشة من

(١) صحيح مسلم ٣: ١٦٤ - ١٦٦، وصحيح البخاري ٧: ٦٤ - ٦٦.

(٢) صحيح مسلم ٢: ٦٠٩.

(٣) صحيح مسلم ١: ٣٩٧.

(٤) صحيح مسلم ٢: ٦٠٨ - ٦٠٩، وصحيح البخاري ٣: ٢٢٨.

طرق عدّة، قالت: سحر النبي ﷺ حتى كان يخيل إليه أنه فعل الشيء وما فعله (١). فكيف صحّحوا ذلك وقد صانه الله بألطافه، وقال ﴿ فسيكفيكمهم الله ﴾ (٢) وكان يعلم الناس التحرّس من السحر، ولو جاز عليه ذلك التنفيذ، جاز أن ينقص من الشريعة أو يزيد، وفي ذلك اسقاطه أو اسقاط مذهب الاسلام عند أعدائه من الأنام.

ومنهم: مقاتل، قال الجزري: كان كذاباً باجماع المحدثين، وقال وكيع: كذاب، وقال السعدي: كان حسوداً، وقال البخاري: كان مقاتل لا شيء ألبتّة، وقال الساجي: كذاب متروك، وقال الرازي: متروك الحديث، وقال النسائي: من الكذّابين المعروفين بوضع الحديث على رسول الله ﷺ أربعة: ابن أبي يحيى بالمدينة، والواقدي ببغداد، ومقاتل بخراسان، وابن سعيد بالشام.

ومنهم: أبو حنيفة، قال الغزالي: أجاز أبو حنيفة وضع الحديث على وفق مذهبه، وقال: اشعار البدن مثله، وقد روت عائشة: أن النبي ﷺ أشعر بدنة، وقال: لو تزوّج انسان أمّه على عشرة دراهم لم يكن زانياً، ولو لفتّ ذكره بحريرة وأدخله فرج امرأة لم يكن زانياً، ولو غاب عن امرأته عشرين سنة، ثمّ قدم وبها جبل كان منه. ومنهم: هشام السنّي، زعم أن شرب النبيذ سنّة وتركه مروّة، فجعل ترك السنّة مروّة، وأنّ الروح التي في عيسى غير مخلوقة، فأراد قاضي الري أن ينكل به فهرب. ومنهم: محمّد بن سيرين، كان مؤدّباً للحجاج على ولده، وكان يسمعه يلعن عليّاً فلا ينكر عليه، فلما لعن الناس الحجاج خرج من المسجد، وقال: لا أطيق أسمع شتمه.

ومنهم: سفيان الثوري، كان في شرطة هشام بن عبد الملك.

(١) صحيح مسلم ٤: ١٧١٩، وصحيح البخاري ٧: ٨٨.

(٢) البقرة: ١٣٧.

ومنهم : الزهري ، قال سفيان بن وكيع : أنه كان يضع الأحاديث لبني مروان ، وكان مع عبد الملك يلعن علياً ، روى الشاذكوني أنه قتل غلاماً له .

ومنهم : سعيد بن المسيّب فقيه الحجاز ، روى أبو معشر أنه تأبى من حضور جنازة علي بن الحسين عليه السلام ، وهو ابن ناقل هذا الدين ، ومحمود عند سائر المسلمين ، وقال : صلاة ركعتين أحبّ إليّ من حضور علي بن الحسين .

ومنهم : خالد الواسطي ، روى أن الجنة والنار يخريان .

ومنهم : منصور بن المعتمر ، وكان شرطياً لهشام بن عبد الملك .

ومنهم : سعيد بن جبير ، كان على عطاء الخيل في زمن ^(١) الحجاج ، وتخلّف عن

الحسين عليه السلام .

ومنهم : الحسن البصري ، خرج مع ابن الأشعث ، وتخلّف عن الحسين عليه السلام ،

وخرج في جند الحجاج الى خراسان ، وقال في عثمان : قتله الكفار وخذله المنافقون ، فنسب جميع المهاجرين والأنصار الى النفاق .

ومنهم : مسروق بن الأجدع ^(٢) ومرة الهمدانيان ، لم يخرجوا مع علي عليه السلام الى

صقّين ، بل أخذوا عطاءهما منه وهربا الى قزوين ، وكان مسروق يلي الجسر بالبصرة لعبيد الله بن زياد .

ومنهم : أبو موسى الأشعري ، روي عن حذيفة بن اليمان أنه شهد عليه بالنفاق .

ومنهم : المغيرة بن شعبة ، شهد عليه ثلاثة بالزنا ، فلقّن عمر الرابع فتدلجح حتى رفع الحدّ عنه .

ومنهم : أبوهريرة ، وضرب عمر بن الخطاب رأسه بالدرة وقال : أراك قد

أكثر الرواية ، ولا أحسبك إلاّ كذاباً ، وقال له : يا عدوّ الله وعدوّ الاسلام أخت

(١) في الصراط : زمرة .

(٢) في الصراط : الجذع .

ماله وغرمه اثني عشر ألف درهم. وقال فيه علي عليه السلام: أكذب رجل على رسول الله هذا الغلام الدوسي .

وروى أحمد بن مهدي ، عن نعيم ، عن أبي حازم ، عن أبي صالح ، قال : سبّ أبوهريرة مسلماً ، فقال له النبي صلى الله عليه وآله : انّ فيك لشعبة من الكفر ، فسأل النبي صلى الله عليه وآله أن يستغفر له ، فلم يعلم أحد أنّه استغفر له ، وحلف لا يسبّ مسلماً ، وكان بعد ذلك يلعن علياً عليه السلام .

وفي المعارف : كان يلاعب الصبيان ، ويقرعهم برجليه ويؤاكلهم ، ويركب الحمار وفي رأسه حلية من ليف ، ويقول : الطريق جاء الأمير .

وفي نزهة الأبصار ، قيل له : ياأباهريرة ، يا سارق الذريرة ، هذا الشقيّ خذل علياً ولحقّ بمعاوية .

وفي ربيع الأبرار : أنّه كان يقول : اللهمّ ارزقني ضرساً طحوناً ، ومعدة هضوماً ، ودبراً نثوراً . وروى الثوري عن منصور ، عن ابراهيم ، أنّهم كانوا لا يأخذون عن أبي هريرة إلا ما كان من ذكر جنة أو نار .

قال صاحب المصالت : وكانت عائشة تكذّبه ، فقال : أسكتي غيرت فضائل علي . وقال أبوحنيفة : كلّ الأصحاب أخذ عنهم الحديث ما خلا أنس وأبوهريرة ، وأعطى اربعمائة ألف درهم على وضع اربعمائة حديث ، وقدم العراق مع معاوية ، فقال : أشهد أنّ علياً أحدث في المدينة ، وقد قال النبيّ : من أحدث فيها فعليه لعنة الله . وقال له رجا : شهدت قول النبيّ صلى الله عليه وآله لعلي « اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه » ؟ قال : نعم ، قال : فبرئ الله منك اذ عاديت وليّه وواليت عدوّه . وتولّى خلافة معاوية بين يدي بسر بن أرطاة .

وروى الحميدي في الحديث السادس والثلاثين بعد المائتين ، أنّه غسل يديه في الوضوء الى ابطيه ، فقيل له في ذلك ، فروى عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال : تبلغ الحلية من

المؤمن حيث يبلغ الوضوء^(١). وهذا تلاعب منه بدين الله؛ إذ لا يعلم أحد يعمل به من خلق الله، فاذا جعلوا هذا الحديث صحيحاً متفقاً عليه بين الأئمة الناقلين، فقد خطأوا جميع المسلمين، وسيجيء ان شاء الله عدّة مثالب لأبي هريرة.

ومنهم: كعب الأحبار، ضربه أبوذرّ بمحجنه فشحّه وقال: ما خرجت اليهودية من قلبك.

وقال ابن أبي الحديد في شرحه: وروى جماعة من أهل السير أنّ عليّاً عليه السلام كان يقول: إنّ كعب الأحبار كذاب، وكان كعب منحرفاً عن علي عليه السلام^(٢).

ومنهم: النعمان بن بشر الأنصاري، قال ابن أبي الحديد: أنّه كان منحرفاً عنه عليه السلام وعدوّاً له^(٣).

ومنهم: ابراهيم النخعي، تخلف عن الحسين عليه السلام وخرج مع الأشعث، وفي جيش عبيد الله بن زياد الى خراسان.

ومنهم: أنس بن مالك، ذكر الحميدي في الجمع بين الصحيحين في الحديث الخامس عشر بعد المائة من المتفق عليه: أنّ أنساً سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الساعة، فقال: إنّ آخر هذا لم يدركه الهرم حتّى تقوم الساعة. وفي حديثين آخرين عنه نحو ذلك^(٤) فكيف يسمع مع قوله تعالى ﴿يسألونك عن الساعة أيّان مرساها قل إنّما علمها عند ربّي لا يجلبها لوقتها الآهو﴾^(٥) ﴿إلى ربك منتهاها﴾^(٦) ﴿إن الله

(١) صحيح مسلم ١: ٢١٩ برقم: ٢٥٠.

(٢) شرح نهج البلاغة ٤: ٧٧.

(٣) شرح نهج البلاغة ٤: ٧٧.

(٤) صحيح مسلم ٤: ٢٢٦٩ - ٢٢٧٠ كتاب الفتن ب ٢٧.

(٥) الأعراف: ١٨٧.

(٦) النازعات: ٤٤.

عنده علم الساعة ﴿^(١)﴾ مع روايتهم عن نبيهم أنه أخبر بدولة بني أمية وبني هاشم والمهدي، وغيرهم مما يقتضي كون القيامة أبعد من أعمار شتى ^(٢).

ومنهم: أبو مسعود، وقد روى ابن أبي الحديد أحاديث تدلّ على ذمّه، وقال: كان أبو مسعود الأنصاري منحرفاً عنه عليه السلام ^(٣).

ومنهم: ابن مسعود، وقد روي عن حذيفة وعمّار أنه ممّن نخس برسول الله صلّى الله عليه وآله ليلة العقبة، وقال ابن أبي الحديد في شرحه: قال نصر: فأجاب عليّاً عليه السلام الى السير جلّ الناس إلا أنّ أصحاب عبد الله بن مسعود أتوه وفيهم عبيدة السلماني وأصحابه، فقالوا: أنا نخرج معكم ولا نترك عسكركم ونعسكر على حدة، حتّى ننظر في أمركم وأمر أهل الشام، فمن رأيناه أراد ما لا يحلّ أو بد لنا منه بغى كنا عليه.

ثمّ قال: وأتاه آخرون من أصحاب عبد الله بن مسعود منهم ربيع بن الخثيم، وهم يومئذ أربعائة رجل، فقالوا: يا أمير المؤمنين أنا قد شككنا في هذا القتال على معرفتنا بفضلك، ولا غنا بنا ولا بك ولا بالمسلمين عمّن يقاتل العدو، فولّنا بعض هذا الثغور نكمن، ثمّ نقاتل عن أهلنا، فوجّه علي عليه السلام بالربيع بن خثيم على ثغر الري ^(٤). وخذلان هؤلاء عليّاً عليه السلام دليل على ذمّ أستاذهم ابن مسعود.

ومنهم: أبو اسحاق السبيعي، خرج الى قتال الحسين عليه السلام.

ومنهم: الشعبي، خرج مع ابن الأشعث وتخلّف عن الحسين عليه السلام، وأسند الشاذكوني أنه سرق من بيت المال مائة درهم في خفيّه، وإنّ شريحاً ومسروقاً كانوا لا يؤمّنون على دعائه.

(١) لقمان: ٣٤.

(٢) الصراط المستقيم ٣: ٢٤١ - ٢٥٢.

(٣) شرح نهج البلاغة ٤: ٧٦.

(٤) شرح نهج البلاغة ٣: ١٨٦.

وأَسَدُ العَطَّارِ الى بهلول ، الى أَبِي حنيفة ، قال : دخلت على الشعبي وبين يديه شطرنج ونبيد . وروى أبو بكر الكوفي عن المغيرة : أَنَّ الشعبي كان يهون عليه أن تقوم الصلاة ، وهو يلعب بالشطرنج والورد . وروى الفضل بن سليمان ، عن النضر بن محارب ، أَنَّهُ رأى الشعبي يلعب بالشطرنج ، فاذا مرَّ عليه من يعرفه أدخل رأسه في قطيفته .

ومنهـم : سفيان الثوري ، روي أَنَّهُ قيل له : كيف تروي عن أبي مریم وهو يسكر ؟ فقال ، أَنَّهُ لا يكذب في الحديث .

ومنهـم : خالد الحذاء ، روي عنه أبو عاصم النبيل أَنَّهُ أوَّل من وضع العشور .
ومنهـم : حمَّاد بن زيد ، روي عنه : أَنَا لَترى عليّاً بمنزلة العجل الذي اتَّخذه بنو اسرائيل ، ثمَّ قال : وقد ذكر علماءهم وفقهاؤهم أَنَّ عَامَّة من تَعَلَّق بهم علم الحديث مبتدعة ، فقالوا : من قدرية المدينة : محمَّد بن اسحاق ، وعبد الرحمن بن اسحاق ، ومحمَّد بن أبي ذؤيب ، وابراهيم الأسلمي ، وشريك بن عبد الله ، وعطاء بن يسار . ومن أهل مكَّة : عبد الله بن أبي نجیح ، وهشام بن حجر ، وابراهيم بن نافع . ومن الشام : مكحول ، وثور ، وغيلان .

ومن البصرة : قتادة ، ومعبد ، وعون ، وسعيد ، وعمرو بن عبيد ، وهشام ، وهبَّام وعباد بن منصور ، وعباد بن أبي مسيرة ، والحسن بن واصل ، ويزيد الرقاشي ، وهارون الأعور ، وحمَّاد الایحّ ، وعمر الأبیحّ ، وروح ، وأبو هليل ، وصالح التاجي ، والربيع ، والسَّمان ، وعبد الواحد ، وعتبة ، وعثمان ، وأبو عبيدة ، وعبد الوارث ، وسقيف ، وأبو قطيف ، وعَبَّاد بن صهيب ، والمنهال ، وابن غالب ، فهؤلاء رواة حديثهم قد رموهم بالبدعة والضلالة .

وممن نسب من أهل الكوفة الى الرضا : سلمان ، وأبو ذرّ ، والمقداد ، وعسَّار ، وجابر بن عبد الله ، والحُدري ، والبراء ، وعمران بن حصين ، وحذيفة ، وذو الشهادتين ، وعبد الله بن جعفر ، وابن عبَّاس ، وحبشي ، وأبو رافع ، وأبو جحيفة ،

وزيد بن أرقم، ومجاهد، وابن المسيّب، وسويد، والحارث، وعلقمة، والربيع، وأويس القرني، والأشتر، ومحمد بن أبي بكر، وابنه القاسم.

فهؤلاء عندهم رافضة، وحديث العراق متعلق بهم، وقد اقتدى بهم جماعة لا تحصى من أكابر أهل العراق، سمى الطبري منهم نحو مائة وخمسين، من أرادهم وقف عليهم في كتابه المسترشد، قال: وجماعة كثيرة لم نذكرهم

ونسبوا من أهل الكوفة قوماً إلى البدعة، منهم: سفيان الثوري، وأبو بكر بن عيَّاش، ويعلى بن عمرو، ويحيى بن اليمان. ومن واسط: عشيم بن بشير، وخالد بن عبد الله، وعباد بن العوام، ومحمد بن يزيد، ومحمد بن الحسن، وجعفر بن أيّاس، والأصغ بن بريد، وعمران بن أبي عطاء، وأبو الحكم، ويعلى بن مسلم، وأيوب بن مسكين، وسفيان بن حسين. ومن البصرة: يحيى بن سعيد القطان (١).

فصل:

ومَن كان يطعن على عليّ عليه السلام من أهل الكوفة: مسروق ومرة الهمدانيّان، وعمرو بن شرحبيل (٢)، وأبو عبد الرحمن السلمي، وعبد الله بن عقبة، وهمام النخعي، وسويد بن حازم، وأبو وائل الأسدي، وعبد الله الجهني، وعلي بن عبدالله، وأبو بكر وأبو بردة ابنا أبي موسى الأشعري، وعبد الله الأنصاري، وعامر الشعبي، ويزيد التيمي، ثمّ عدّ الطبري جماعة أعرضنا عن ذكرها خوف الاطالة بها.

ونسب الى الرفض من أهل البصرة: علي بن جذعان التيمي، وأبو الأسود الدؤلي، وحرب بن أبي الأسود، والجارود الهذلي، وربيعي الهذلي، وعبد الله بن يحيى، وأبو يعقوب، وحارثة بن قدامة السعدي، وعمّار بن أبي عمّار، ويونس بن

(١) الصراط المستقيم ٣: ٢٥٣ - ٢٥٥.

(٢) في الصراط: وعمر بن بشر الحنبلي.

ابراهيم ، وجعفر بن سليمان ، ونوح بن قيس الطاخي ، وأبو الوليد الجهمضي ، وعميرة الضبي .

ومن أهل مصر والشام : مشرح بن هاعان ، وجبرئيل بن عاهان ، وعلي بن رباح ، وأبو راشد ، وأبو مسلم الخولاني ، وأبو يحيى الغساني .

ونسب الى الارحاء من أهل مكة : طلق بن حبيب ، وعبد العزيز بن أبي رواد ، وعبد المجيد .

ومن الكوفة : ذرّ الهمداني ، ومسعر الهلالي ، وحمّاد الأشعري ، ومالك البجلي ، وعمرو الجملي ، وأبو جحيفة ، وزهير الجعفي ، ومحمد الضرير ، وأبو يحيى الحماني ، وحمّاد ، وأبو يوسف القاضي ، وخالد الطحّان ، ومحمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة . ومن الخوارج : أبو الشعثا ، وأبو الوليد . ومن البصرة : محمد بن الاشعث ، ومسلم بن بشار ، وأبو الحوراء السعدي ، والحسن وسعيد ابنا أبي الحسن ، وجماعة آخر .

فهؤلاء أجلة علمائهم وفقهائهم من أهل الأمصار ، لانعلم أحداً سلم من عيبيهم : إمّا داخل مع بني أمية ، أو مبتدع ، أو قدرّي ، أو رافضيّ ، أو مرجئيّ ، أو مارقيّ ، فكيف يقتدون بمن فيهم يطعنون ، وقد اقتدوا في بيعة أبي بكر بمن حلّ عقدة عثمان وحصره وقتله . ورووا أنّ أوّل من بايع أبا بكر عمر ، ثمّ قال : كانت فلتة .

فانظر الى هذه المناقضات ، تارة بينون ، وتارة يهدمون ، ورجالهم الذين أخذوا عنهم دينهم بنقلهم كذابون ، وبزعهم مدلسون ، وقد شرحنا طرفاً من أحوالهم وطرفاً من أقوالهم .

وأسند الشاذكوني أنّ شعبة قال : أخذت من أربعائة شيخ ثلاثمائة وثمانية وتسعون يدلسون الأرجلين ، أبو عون ، وعمر بن مرّة .

وروي أنّ سفیان الثوري سئل عن ابن المهاجر ، فقال : ضعيف ، وعن سمّك بن حرب ، فقال : ضعيف ، وعن طارق ، فقال : ضعيف ، ثمّ قال : لو سألتوني عن عامّة

الذين أخذتم عنهم ، ما زكيت كذا وكذا منهم ^(١) . انتهى .

ومتما يرشدك الى معرفة سبب الاختلاف في أقوال الصحابة وأحكامهم ، المستلزمة لعدم الوثوق بنقلهم وروايتهم ، قول علي عليه السلام في جواب سليم بن قيس حين سأله عن سبب الاختلاف ، فقال : اسمع الجواب : في أيدي الناس حقّ وباطل ، وقد كذب على النبي صلى الله عليه وآله في حياته حتى قام خطيباً ، وقال : كثرت الكذابة عليّ ، فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوء مقعده من النار .

فرواية الأحاديث أربعة : رجل منافق لا يتأتم أن يكذب ، ولو علم الناس ذلك منه لم يصدّقه ، ولكن قالوا : صاحب رسول الله وراه وسمع منه . ورجل سمع من النبي صلى الله عليه وآله ولم يحفظ ، فأوهم ولم يتعمد ، ولو علموا أنه أوهم لم يقبلوه ، ولو علم هو أنه وهم لرفضه . ورجل سمع منه المنسوخ دون الناسخ ، ولو علم هو والناس أنه المنسوخ لرفضه . ورجل لم يكذب عمداً ولا أوهم ولا جهل ، بل حفظ ما سمع على جهته ، ولم يزد فيه ، ولم ينقص منه ، ولكن لم يعلم ما عنى الله ورسوله به .

وكنت رجلاً أدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وأدور معه ، اذا سألته أجابني ، واذا سكت ابتدأني ، فأنزلت آية الأقرانها وكتبها بخطي ، ودعا الله لي أن يفهمني ، فانسيت من كتاب الله ما علّمني منذ وضع يده على صدري ، وأخبرني أن الله أخبره أنه استجاب له ^(٢) .

فظهر ممّا نقلناه عدم الوثوق بقول كلّ صحابيٍّ أو تابعيٍّ ، كما زعمه أهل السنّة ، فان رووا رواية لم يكن لها شاهد من كتاب وأحاديث أهل البيت ، فالجواب فيه التوقّف ، فلو وجدناها مخالفة لروايات أهل البيت عليهم السلام ، فالجواب حينئذ العمل برواية أهل البيت عليهم السلام ؛ لاجماع أهل الاسلام على عدم نفاقهم وكذبهم ، ولشهادة

(١) الصراط المستقيم ٣ : ٢٥٦ - ٢٥٧ .

(٢) الصراط المستقيم ٣ : ٢٥٨ ، ونهج البلاغة ص ٣٢٥ برقم : ٢١٠ .

الله تعالى بطهارتهم بآية التطهير، ولشهادة الرسول بحقيقتهم، وبعدم ضلال من تمسك بهم، بقوله: علي مع الحقّ والحقّ مع علي ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض (١).
 وبقوله: أيّ تارك فيكم ما ان تمسّكتم به لن تضلّوا أبداً، كتاب الله وعترتي أهل بيتي (٢).
 وبقوله: مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجي ومن تخلف عنها هلك (٣).
 وبقوله: أنا مدينة العلم وعلي بابها (٤).
 وبقوله: أنا وعلي حجّة الله على العباد (٥).
 وغيرها من الآيات والروايات الدالّة على التمسك بهم.

والعجب كلّ العجب أنّ أهل السنّة تركوا أهل بيت نبيهم ﷺ، مع أنّ الله تعالى أوجب محبتهم على العباد بقوله ﴿قل لا أسألكم عليه أجرأ إلاّ المودة في القربى﴾ (٦).
 والرسول ﷺ أوصى فيهم باعتراف أهل السنّة، واتبعوا غيرهم في كلّ عصر، حتّى اتفقوا على وجوب اتباع أحد الأربعة: مالك، وأبي حنيفة، والشافعي، وأحمد بن حنبل، مع أنّهم اعترفوا بأنّ علوم هؤلاء ينتهي الى أهل البيت عليهم السلام.

وقد نقل عن شيخهم الكبير المتأخّر محمّد الجزري في كتابه الذي صنّفه باسم سلطان شاهرخ: وثبت عندنا أنّ كلّاً من الامام مالك والامام أبي حنيفة صحب الامام أبا عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام، حتّى روينا عن الامام أبي حنيفة أنّه قال: ما رأيت أفقه منه، وقد دخلني منه من الهيبة ما لم يدخلني من المنصور، وصحب جعفر الصادق والده محمّد الباقر، وصحب الباقر والده زين العابدين، وصحب زين العابدين والده الحسين الشهيد سيّد شباب أهل الجنّة، وصحب

(١) راجع: احقاق الحقّ ٥: ٦٢٣ - ٦٣٨ و ١٦: ٣٨٤ - ٣٩٧.

(٢) راجع: احقاق الحقّ ٩: ٣٠٩ - ٣٧٥ و ١٨: ٢٦١ - ٢٨٩.

(٣) راجع: احقاق الحقّ ٩: ٢٧٠ - ٢٩٣ و ١٨: ٣١١ - ٣٢٢.

(٤) راجع: احقاق الحقّ ٤: ٣٧٦ - ٣٧٧ و ٥: ٤٦٩ - ٥٠١.

(٥) راجع: احقاق الحقّ ٤: ٢٨٧ و ٥: ٤٣.

(٦) الشورى: ٢٣.

الحسين والده أمير المؤمنين علياً عليه السلام.

وفي كتاب رجال المشكاة: أن جعفر بن محمد من سادات أهل البيت، سمع منه الأعلام نحو: يحيى بن سعيد، وابن جريج، ومالك بن أنس، والثوري، وابن عيينة، وأبو حنيفة. فينتهي علم أئمتهم الأربعة إلى الصادق عليه السلام؛ لأنّ أبا حنيفة ومالكاً من تلامذته بلا واسطة، والشافعي من تلامذة مالك، وأحمد بن حنبل من تلامذة الشافعي. ونسبجيء ان شاء الله تعالى في الخاتمة معائب هؤلاء الأربعة الدالّة على أنّهم لم يكونوا صالحين للرئاسة العامّة، ونعم ما قال الشاعر:

إذا شئت أن ترضى لنفسك مذهباً وتعلم أنّ الناس في نقل أخبار
فدع عنك قول الشافعي وأحمد ومالك والمرويّ عن كعب الأخبار
ووال أناساً قوهم وحدثهم روى جدنا عن جبرئيل عن الباري (١)
ومما يدلّ زائداً على ما ذكرناه على عدم الوثوق بقول كلّ صحابيٍّ، وضعف قول
أهل السنّة «كلّ صحابيٍّ عدل لا يجوز سبهم ولعنهم، وان أحدثوا وأبدعوا وظلموا»
وعلى أنّ ما رووه عنه عليه السلام «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» وأمثاله
ضعيف موضوع، ما أورده ابن أبي الحديد في شرحه على نهج البلاغة، وهو كلام
طويل وأنا أورده جميعاً ها هنا لعظم منافعه وكثرة فوائده.

قال: وقال عليه السلام لعبّار بن ياسر رضي الله عنه وقد سمعه يراجع المغيرة بن شعبة كلاماً: دعه
يا عبّار، فأنّه لم يأخذ من الدين إلّا ما قاربه من الدنيا، وعلى عمد لبس على نفسه
ليجعل الشبهة عاذراً لسقطاته (٢).

الشرح: أصحابنا غير متّفقين على السكوت عن المغيرة، بل أكثر البغداديّين
يفسّقونه، ويقولون فيه ما يقال في الفاسق، ولما جاء عروة بن مسعود الثقفي إلى

(١) الصراط المستقيم ٣: ٢٠٧.

(٢) نهج البلاغة ص ٥٤٧ برقم ٤٠٥.

رسول الله ﷺ عام الحديبية نظر اليه قائماً على رأس رسول الله ﷺ مقلداً سيفه فقال (١): من هذا؟ قيل: هذا ابن أخيك المغيرة، قال: وأنت هاهنا يا غدر، والله اني الى الآن ما غسلت سوءتك.

وكان اسلام المغيرة من غير اعتقاد صحيح، ولا اناة ونية جميلة، كان قد صحب قوماً في بعض الطرق فاستغفلهم، فقتلهم وأخذ أموالهم، وهرب خوفاً أن يلحق فيقتل، أو يؤخذ ما فاز به من أموالهم، فقدم المدينة فأظهر الاسلام، وكان رسول الله ﷺ لا يردّ على أحد اسلامه، أسلم عن علة أو عن اخلاص، فامتنع بالاسلام واعتصم، وحمي جانبه.

ذكر حديثه أبو الفرج على بن الحسين الاصفهاني في كتاب الأغاني، قال: كان المغيرة يحدّث حديث اسلامه، قال: خرجت مع قوم من بني مالك ونحن على دين الجاهلية الى المقوقس ملك مصر، فدخلنا الاسكندرية، وأهدينا للملك هدايا كانت معنا، فكنت أهون أصحابي عليه، وقبض هدايا القوم، وأمر لهم بجوائز، وفضّل بعضهم على بعض، وقصّر بي فأعطاني شيئاً قليلاً لا ذكر له، وخرجنا فأقبلت بنو مالك يشترون هدايا لأهلهم وهم مسرورون، ولم يعرض أحد منهم عليّ مواسة.

فلما خرجوا حملوا معهم خمراً، فكانوا يشربون منها فأشرب معهم، ونفسي تأبى أن تدعني معهم، وقلت: ينصرفون الى الطائف بما أصابوا وما حباهم به الملك، ويخبرون قومي بتقصيره بي وازدرائه ايتاي، فأجمعت على قتلهم، فقلت: اني أجد صداعاً، فوضعوا شراهم ودعوني، فقلت: رأسي يصدّع، ولكن اجلسوا فأسقيكم، فلم ينكروا من أمري شيئاً، فجلست أسقيهم وأشرب القدر بعد القدر، فلما دبّت الكأس فيهم اشتهاوا الشراب، فجعلت أصرف لهم وأترع الكأس،

(١) في الشرح: فقيل.

فأهدتهم الخمر حتى ناموا ما يعقلون ، فوثبت اليهم فقتلتهم جميعاً ، وأخذت جميع ما كان معهم وقدمت المدينة ، فوجدت النبي ﷺ بالمسجد وعنده أبو بكر ، وكان بي عارفاً ، فلما رأيته قال : ابن أخي عروة ؟ قلت : نعم قد جئت أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : الحمد لله ، فقال أبو بكر : من مصر أقبلت ؟ قلت : نعم ، قال : فما فعل المالكيون الذين كانوا معك ؟ قلت : كان بيبي وبينهم بعض ما يكون بين العرب ، ونحن على دين الشرك ، فقتلتهم وأخذت أسلحتهم ، وجئت بها الى رسول الله ﷺ ليخمسها ، فأتانا هي غنيمة من المشركين . فقال رسول الله ﷺ : أما اسلامك فقد قبلته ، ولا تأخذ من أموالهم شيئاً ولا تخمسها ؛ لأن هذا غدر ، والغدر لا خير فيه ، فأخذني ما قرب وما بعد ، فقلت : يا رسول الله إنما قتلتهم وأنا على دين قومي ، ثم أسلمت حين دخلت اليك الساعة ، فقال ﷺ : الاسلام يجب ما قبله ، قال : وكان قتل منهم ثلاثة عشر انساناً ، واحتوى على ما معهم ، فبلغ ذلك ثقيفاً بالطائف فتداعوا للقتال ، ثم اصطلحوا على أن حمل عمي عروة بن مسعود ثلاث عشرة دية .

قال : فذلك معنى قول عروة يوم الحديبية : « يا غدر أنا الى الأمس أغسل سوءك ، فلا أستطيع أن أغسلها » فلهذا قال أصحابنا البغداديون : من كان اسلامه على هذا الوجه وكانت خاتمته ما قد تواتر الخبر به ، من لعن علي بن أبي طالب على المنابر الى أن مات على هذا الفعل ، وكان المتوسط من عمره الزنا^(١) والفجور ، واعطاء البطن والفرج سؤالهما ، وممالأة الفاسقين ، وصرف الوقت الى غير طاعة الله ، كيف تتولاه ؟ وأي عذر لنا في الامساك عنه وأن لا نكشف للناس فسقه .

وحضرت عند النقيب أبي جعفر يحيى بن محمد العلوي البصري في سنة احدى عشرة وستائة ببغداد وعنده جماعة ، وأحدهم يقرأ في الأغاني لأبي الفرج ، فمر ذكر

المغيرة بن شعبة وخاض القوم ، فذمه بعضهم ، وأثنى عليه بعضهم ، وأمسك عنه آخرون .

فقال بعض فقهاء الشافعية^(١) ممن كان يشتغل بطرف من علم الكلام على رأي الأشعري : الواجب الكفّ والامسك عن الصحابة وعمّا شجر بينهم ، فقد قال أبو المعالي الجويني : إنّ رسول الله ﷺ نهى عن ذلك ، وقال : أيّاكم وما شجر بين صحابتي . وقال : دعوا لي أصحابي ، فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً لما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه . وقال : أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم . وقال : خيركم القرن الذي أنا فيه ثمّ الذي يليه ثمّ الذي يليه .

وقد ورد في القرآن التناء على الصحابة وعلى التابعين ، وقال رسول الله ﷺ : وما يدريك لعلّ الله اطلع على أهل بدر ، فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم . وقد روي عن الحسن البصري أنّه ذكر عنده الجمل وصفين ، فقال : تلك دماء طهر الله منها أسيافنا ، فلا نلطح بها ألسنتنا .

ثمّ إنّ تلك الأحوال قد غابت عنّا ، وبعدت أخبارها على حقائقها ، فلا يليق بنا أن نخوض فيها ، ولو كان واحد من هؤلاء قد أخطأ لوجب أن يحفظ رسول الله ﷺ فيه ، فن المروّة أن يحفظ رسول الله ﷺ في عائشة زوجته ، وفي الزبير ابن عمّته ، وفي طلحة الذي وقاه بيده .

ثمّ ما الذي ألزمننا وأوجب علينا أن نلعن أحداً من المسلمين أو نبرأ منه؟! وأيّ ثواب في اللعنة والبراءة؟ إنّ الله تعالى لا يقول يوم القيامة للمكلف : لم لم تلعن؟ بل يقول له : لم لعنت؟ ولو أنّ انساناً عاش عمره كلّهُ لم يلعن ابليس لم يكن عاصياً ولا آثماً ، وإذا جعل الانسان عوض اللعنة أستغفر الله كان خيراً له .

ثمّ كيف يجوز للعامّة أن تدخل أنفسها في أمور الخاصّة؟ وأولئك قوم كانوا أمراء

(١) في الشرح: الشيعة .

هذه الأمة وقادتها، ونحن اليوم في طبقة سافلة جداً عنهم، فكيف يحسن بنا التعرّض لذكرهم؟ أليس يقبح من الرعيّة أن تخوض في دقائق أمور الملك وأحواله وشؤونه التي تجري بينه وبين أهله وبني عمّه ونسائه وسراريّه، وقد كان رسول الله ﷺ صهراً لمعاوية، وأخته أمّ حبيبة تحته، فالأدب أن تحفظ أمّ حبيبة وهي أمّ المؤمنين في أخيها.

وكيف يجوز أن يلعن من جعل الله تعالى بينه وبين رسوله مودّة؟ أليس المفسّرون كلّهم قالوا: هذه الآية أنزلت في أبي سفيان، وهي قوله تعالى ﴿عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودّة﴾ (١) فكان ذلك مصاهرة رسول الله ﷺ لأبسفيان وتزويجه ابنته، على أن جميع ما تنقله الشيعة من الاختلاف بينهم والمشاجرة لم يثبت، وما كان القوم الآكبيّ أمّ واحدة، ولم يتكدر باطن أحد منهم على صاحبه قطّ، ولا وقع بينهم اختلاف ولا نزاع.

فقال أبو جعفر رحمه الله: قد كنت منذ أيام علّقت بخطّي كلاماً وجدته لبعض الزيديّة في هذا المعنى، نقضاً وردّاً على أبي المعالي الجويني فيما اختاره لنفسه من هذا الرأي، وأنا أخرجه اليكم لأستغني بتأمّله عن الحديث على ما قاله هذا الفقيه، فاني أجد المأّ ينعني من الاطالة في الحديث، لاسيّما اذا خرج مخرج الجدل ومقاومة الخصوم، ثمّ أخرج من بين كتبه كراساً قرأناه في ذلك المجلس واستحسنه الحاضرون، وأنا أذكر هاهنا خلاصته:

قال: لولا أنّ الله تعالى أوجب معاداة أعدائه، كما أوجب موالاته أوليائه، وضيّق على المسلمين تركها اذا دلّ العقل عليها، أو صحّ الخبر عنها بقوله سبحانه ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو

أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم ﴿^(١)﴾ وبقوله تعالى ﴿ ولو كانوا يؤمنون بالله والنجي وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياء ﴾ ﴿^(٢)﴾ وبقوله سبحانه ﴿ لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم ﴾ ﴿^(٣)﴾ لاجماع المسلمين على أن الله تعالى فرض عداوة أعدائه ، وولاية أوليائه .

وعلى أن البغض في الله واجب ، والحب في الله واجب ، لما تعرّضنا لمعاداة أحد من الناس في الدين ، ولا البراءة منه ، ولكانت عداوتنا للقوم تكلفاً ، ولو ظننا أن الله عزّ وجلّ يعذّرنا اذا قلنا : يا ربّ غاب أمرهم عنّا ، فلم يكن لخوضنا في أمر قد غاب عنّا معنى ، لاعتمدنا على هذا العذر وواليّناهم ، ولكنّا نخاف أن يقول سبحانه لنا : ان كان أمرهم قد غاب عن أبصاركم ، فلم يغب عن قلوبكم وأسماعكم ، قد أتتكم به الأخبار الصحيحة التي يمثلها ألزمت أنفسكم الاقرار بالنبى ﷺ وموالاته من صدّقه ، ومعاداة من عصاه وجحدّه ، وأمرتم بتدبير القرآن وما جاء به الرسول ، فهلاًّ حذرتم من أن تكونوا من أهل هذه الآية القائلين غداً ﴿ ربّنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلّونا السبيلا ﴾ ﴿^(٤)﴾ .

فأمّا لفظة اللعن ، فقد أمر الله تعالى بها وأوجبها ، ألا ترى الى قوله ﴿ أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ﴾ ﴿^(٥)﴾ فهو اخبار معناه الأمر ، كقوله ﴿ والمطلّقات يتربّصن بأنفسهنّ ثلاثة قروء ﴾ ﴿^(٦)﴾ وقد لعن الله تعالى العاصين بقوله ﴿ لعن الذين

(١) المائدة : ٨١ .

(٢) المجادلة : ٢٢ .

(٣) الممتحنة : ١٣ .

(٤) الأحزاب : ٦٧ .

(٥) البقرة : ١٥٩ .

(٦) البقرة : ٢٢٨ .

كفروا من بني اسرائيل على لسان داود ﴿^(١) وقوله ﴿ انّ الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعدّ لهم عذاباً مهيناً ﴾^(٢) وقوله ﴿ ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً ﴾^(٣) وقال الله تعالى لابليس ﴿ وانّ عليك لعنتي الى يوم الدين ﴾^(٤) وقال ﴿ انّ الله لعن الكافرين وأعدّ لهم سعيراً ﴾^(٥).

فأمّا قول من يقول: أيّ ثواب في اللعن وانّ الله لا يقول للمكلف: لم لم تلعن؟ بل قد يقول له: لم لعنت؟ وآته لو جعل مكان لعن الله فلاناً اللهم اغفر لي لكان خيراً له، ولو أنّ انساناً عاش عمره كلّ لم يلعن ابليس لم يؤخذ بذلك. فكلام جاهل لا يدري ما يقول، اللعن طاعة ويستحقّ عليها الثواب اذا فعلت على وجهها، وهو أن يلعن مستحقّ اللعن لله وفي الله، لا في العصيّة والهوى.

ألا ترى أنّ الشرع قد ورد بها في نفي الولد، ونطق بها القرآن، وهو أن يقول الزوج في الخامسة ﴿ أنّ لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ﴾^(٦) فلو لم يكن الله تعالى يريد أن يتلفّظ عباده بهذه اللفظة وآته قد تعبّدهم بها، لما جعلها من معالم الشرع، ولما كرّرها في كثير من كتابه العزيز، ولما قال في حقّ القائل ﴿ وغضب الله عليه ولعنه ﴾^(٧) وليس المراد من قوله « ولعنه » إلا الأمر لنا بأن نلعنه، ولولم يكن المراد بها ذلك لكان لنا أن نلعنه؛ لأنّ الله تعالى قد لعنه.

أفيلعن الله تعالى انساناً ولا يكون لنا أن نلعنه، هذا ما لا يسوغ في العقل، كما لا

(١) المائدة: ٧٨.

(٢) الأحزاب: ٥٧.

(٣) الأحزاب: ٦١.

(٤) ص: ٧٨.

(٥) الأحزاب: ٦٤.

(٦) النور: ٧.

(٧) النساء: ٩٣.

يجوز أن يمدح الله انساناً الآ ولنا أن نمدحه ، ولا يذمه الآ ولنا أن نذمه ، وقال تعالى ﴿ هل أتيتكم بشرّاً من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله ﴾ (١) وقال ﴿ ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً ﴾ (٢) وقال عزّ وجلّ ﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة غلّت أيديهم ولعنوا بما قالوا ﴾ (٣).

وكيف يقول القائل : إنّ الله تعالى لا يقول للمكلف : لم لم تلعن ؟ ألا يعلم هذا القائل أنّ الله تعالى أمر بولاية أوليائه ، وأمر بعبادة أعدائه ، فكما يسأل عن التولي يسأل عن التبرّي ، ألا ترى أنّ اليهودي اذا أسلم يطالب بأن يقال له : تلقّظ بكلمة الشهادتين ، ثمّ قل برئت من كلّ دين يخالف دين الاسلام ، فلا بدّ من البراءة ؛ لأنّ بها يتمّ العمل ، ألم يسمع هذا القائل قول الشاعر :

تودّ عدوّي ثمّ تزعم أنّي صديقك إنّ الرأي عنك لعازب

فودّة العدوّ خروج عن ولاية الولي ، واذا بطلت المودّة لم يبق الآ البراءة ؛ لأنّه لا يجوز أن يكون الانسان في درجة متوسطة مع أعداء الله تعالى وعصاته ، بالآ يودّهم ولا يبرأ منهم باجماع المسلمين على نفي هذه الوساطة .

وأما قوله « لو جعل عوض اللعنة أستغفر الله لكان خيراً له » فأنّه لو استغفر من غير أن يلعن ، أو يعتقد وجوب اللعن ، لما نفعه استغفاره ولا قبل منه ؛ لأنّه يكون عاصياً لله تعالى ، مخالفاً أمره في امساكه عنّ أوجب الله تعالى عليه البراءة منه ، واطهار البراءة ، والمصرّ على بعض المعاصي لا تقبل توبته واستغفاره عن البعض الآخر .

وأما من يعيش عمره ولا يلعن ابليس ، فان كان لا يعتقد وجوب لعنه فهو كافر ،

(١) المائدة : ٦٠ .

(٢) الأحزاب : ٦٨ .

(٣) المائدة : ٦٤ .

وان كان يعتقد وجوب لعنه ولا يلغنه فهو مخطيء ، على أن الفرق بينه وبين ترك لعنه رؤوس الضلال في هذه الأمة ، كمعاوية والمغيرة وأمثالها ، أن أحداً من المسلمين لا يورث عند الامسك عن لعن ابليس شبهة في أمر ابليس ، والامسك عن لعن هؤلاء وأضرابهم يثير شبهة عند كثير من المسلمين في أمرهم ، وتجنّب ما يورث الشبهة في الدين واجب ، فلماذا لم يكن الامسك عن لعن ابليس نظيراً للامسك عن أمر هؤلاء .

قال : ثمّ يقال للمخالفين : أرايتم لو قال قائل : قد غاب عنا أمر معاوية والحجاج بن يوسف ، فليس ينبغي أن نخوض في قصّتها ولا أن نلغنها ونعاديها ونبرأ منها ، هل كان هذا الآكقولكم : قد غاب عنا أمر معاوية والمغيرة بن شعبة وأضرابها ، فليس لخوضنا في قصّتهم معنى .

وبعد فكيف أدخلتم أيها العامة والحسوية وأهل الحديث أنفسكم في أمر عثمان وخضتم فيه ؟ وقد غاب عنكم ، وبرئتم من قتلته ولعنتموه ، وكيف لم تحفظوا أبابكر في محمد ابنه ؟ فانكم لعنتموه وفسقتموه ، ولا حفظتم عائشة أمّ المؤمنين في أخيها محمد المذكور ، ومنعتمونا أن نخوض وندخل أنفسنا في أمر علي والحسن والحسين ومعاوية الظالم له ولها ، المتغلب على حقّه وحقوقها ، وكيف صار لعن ظالم عثمان من السنة عندكم ويلعن ظالم علي والحسن والحسين تكلفاً؟! وكيف أدخلتم العامة أنفسها في أمر عائشة ؟ فبرئتم ممن نظر اليها ومن القائل لها : يا حميراء ، وأما هي حميراء ولعنته بكشفه سترها ، ومنعنا نحن عن الحديث في أمر فاطمة وما جرى لها بعد وفاة أبيها .

فان قلت : ان بيت فاطمة انما دخل ، وسترها انما كشف ، حفظاً لنظام الاسلام ، وكيلا ينتشر الأمر ويخرج قوم من المسلمين أعناقهم من ربة الطاعة ولزوم الجماعة .

قيل لكم : وكذلك ستر عائشة أنما كشف ، وهو دجها أنما هتك ؛ لأنّها نشرت (١) حبل الطاعة ، وشقّت عصا المسلمين ، وأراقت دماء المؤمنين (٢) من قبل وصول علي بن أبي طالب عليه السلام الى البصرة ، وجرى لها مع عثمان بن حنيف وحكيم بن جبلة ومن كان معها من المسلمين الصالحين من القتل وسفك الدماء ما تنطق به كتب التواريخ والسير ، فاذا جاز دخول بيت فاطمة لأمر لم يقع بعد ، جاز كشف ستر عائشة على ما قد وقع وتحقّق .

فكيف صار هتك ستر عائشة من الكبائر التي يجب معها التخليد في النار ، والبراءة من فاعله ، ومن أوكد عرى الايمان ، وصار كشف بيت فاطمة والدخول عليها منزلها ، وجمع حطب بيابها ، وتهدّدها بالتحريق من أوكد عرى الدين ، وأثبت دعائم الاسلام ، وما أعزّ الله به المسلمين وأطفأ به نار الفتنة ، والحرمتان واحدة ، والستران واحد .

وما محبّ أن نقول لكم : انّ حرمة فاطمة أعظم ، ومكانها أرفع ، وصيانتها لأجل رسول الله صلّى الله عليه وآله أولى ، فاتّما بضعة منه ، وجزء من لحمه ودمه ، وليست كالزوجة الأجنبية التي لا نسب بينها وبين الزوج ، وأنما هي وصلة مستعارة ، وعقد يجري مجرى اجارة المنفعة ، وكما يملك رقّ الأمة بالبيع والشراء .

ولهذا قال الفرضيون : أسباب التوارث ثلاثة : سبب ، ونسب ، وولاء . فالنسب القرابة ، والسبب النكاح ، والولاء ولاء العتق ، فجعلوا النكاح خارجاً عن النسب ، ولو كانت الزوجة ذات نسب لجعلوا الأقسام الثلاثة قسمين .

وكيف تكون عائشة أو غيرها في منزلة فاطمة ؟! وقد أجمع المسلمون كلّهم من يحبّها ومن لا يحبّها منهم أنّها سيّدة نساء العالمين .

(١) أي : قطعت .

(٢) في الشرح : المسلمين .

قال : وكيف يلزمننا اليوم حفظ رسول الله ﷺ في زوجته ، وحفظ أم حبيبة في أخيها ، ولم تلزم الصحابة أنفسها حفظ رسول الله ﷺ في أهل بيته ، ولا ألزمت الصحابة أنفسها حفظ رسول الله ﷺ في صهره وابن عمه عثمان بن عفان ، وقد قتلوهم ولعنوهم ، ولقد كان كثير من الصحابة يلعن عثمان وهو خليفة ، منهم عائشة كانت تقول : أقتلوا نعتلاً لعن الله نعتلاً ، ومنهم عبد الله بن مسعود .

وقد لعن معاوية علي بن أبي طالب وابنيه حسناً وحسيناً وهم أحياء يرزقون بالعراق ، وهو يلعنهم بالشام على المنابر ، ويقنت عليهم في الصلوات ، وقد لعن أبوبكر وعمر سعد بن عبادة وهو حي ، وبرثا منه ، وأخرجاه من المدينة الى الشام ، ولعن عمر خالد بن الوليد لما قتل مالك بن نويرة ، وما زال اللعن فاشياً في المسلمين اذا عرفوا من الانسان معصية تقتضي اللعن والبراءة .

قال : ولو كان هذا أمراً معتبراً ، وهو أن يحفظ زيد لأجل عمرو فلا يلعن ، لوجب أن تحفظ الصحابة في أولادهم ، فلا يلعنوا لأجل آبائهم ، فكان يجب أن يحفظ سعد بن أبي وقاص ، فلا يلعن ابنه عمر بن سعد قاتل الحسين عليه السلام ، وأن يحفظ معاوية ، فلا يلعن يزيد صاحب وقعة الحرّة وقاتل الحسين عليه السلام ومخيف المسجد الحرام بمكة ، وأن يحفظ عمر بن الخطاب في عبيد الله ابنه قاتل الهرمزان ، والمحارب علياً عليه السلام في صفين .

قال : على أنه لو كان الامساك عن عداوة من عادى الله من أصحاب رسول الله ﷺ من حفظ رسول الله ﷺ في أصحابه ورعاية عهده وعقده لم نعادهم ولو ضربت رقابنا بالسيوف ، ولكن محبة رسول الله ﷺ لأصحابه ليست كمحبة الجهال الذين يضع أحدهم محبته لصاحبه موضع العصية ، وإنما أوجب رسول الله ﷺ محبة أصحابه لطاعتهم لله ، فاذا عصوا الله وتركوا ما أوجب محبتهم ، فليس عند رسول الله ﷺ محابة في ترك لزوم ما كان عليه من محبتهم ، ولا تغطرس في العدول عن التمسك بمواليتهم .

فلقد كان ﷺ يحب أن يعادي أعداء الله ولو كانوا عترته ، كما يحب أن يوالي أولياء الله ولو كانوا أبعد الخلق نسباً منه ، والشاهد على ذلك اجماع الأمة على أن الله تعالى قد أوجب عداوة من ارتدّ بعد الاسلام ، وعداوة من نافق وان كان من أصحاب رسول الله ﷺ ، وأن رسول الله ﷺ هو الذي أمر بذلك ودعا إليه ، وذلك أنه ﷺ قد أوجب قطع السارق ، وضرب القاذف ، وجلد البكر اذا زنا ، وان كان من المهاجرين أو الأنصار .

ألا ترى أنه قال : لو سرقت فاطمة لقطعتمها ، فهذه ابنته الجارية مجرى نفسه ، لم يحابها في دين الله ، ولا راقبها في حدود الله ، وقد جلد أصحاب الافك ، ومنهم مسطح بن أثانة وكان من أهل بدر .

قال : وبعد ، فلو كان محلّ أصحاب رسول الله ﷺ محلّ من لا يعادى اذا عصى الله سبحانه ولا يذكر بالقيح ، بل يجب أن يراقب لأجل اسم الصحبة ، ويفضى عن عيوبه وذنوبه ، لكان كذلك صاحب موسى عليه السلام المسطور ثناؤه في القرآن لما أتبع هواه ، فانسخ مما أوتي من الآيات وغوى ، قال سبحانه ﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ﴾ (١) ولكان ينبغي أن يكون محلّ عبدة العجل من أصحاب موسى عليه السلام هذا المحلّ ؛ لأنّ هؤلاء كلّهم قد صحبوا رسولاً من رسل الله سبحانه .

قال : ولو كانت الصحابة عند أنفسها بهذه المنزلة لعلمت ذلك من حال أنفسها ؛ لأنهم أعرف بمحلّهم من عوامّ أهل دهرنا ، واذا قدّرت أفعال بعضهم ببعض دلّتك على أنّ القصّة كانت على خلاف ما قد سبق الى قلوب الناس اليوم ، هذا علي وعمّار ، وأبو الهيثم بن التّيهان ، وخزيمة بن ثابت ، وجميع من كان مع علي عليه السلام من المهاجرين والأنصار ، لم يروا أن يتغافلوا عن طلحة والزبير حتّى فعلوا بهما وبين

معهما ما يفعل بالشرأة في عصرنا .

وهذا طلحة والزبير وعائشة ، ومن كان معهم وفي جانبهم ، لم يروا أن يسكروا عن علي ، حتى قصدوا له كما يقصد للمتغلبين في زماننا .

وهذا معاوية وعمرو لم يريا علياً بالعين التي يرى بها العامي صديقه وجاره ، ولم يقصرا دون ضرب وجهه بالسيف ولعنه ولعن أولاده وكل من كان حياً من أهله وقتل أصحابه ، وقد لعنها هو أيضاً في الصلوات المفروضات ، ولعن معها أبا الأعور السلمي ، وأبا موسى الأشعري ، وكلاهما من الصحابة .

وهذا سعد بن أبي وقاص ، ومحمد بن مسلمة ، وأسامة بن زيد ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وعبد الله بن عمر ، وحسان بن ثابت ، وأنس بن مالك ، لم يروا أن يقدوا علياً عليه السلام في حرب طلحة ، ولا طلحة في حرب علي ، وطلحة والزبير باجماع المسلمين أفضل من هؤلاء المعدودين ؛ لأنهم زعموا أنهم قد خافوا أن يكون علي عليه السلام قد غلط وزل في حربها ، وخافوا أن يكونا قد غلطا وزلا في حرب علي عليه السلام .

وهذا عثمان قد نفي أباذر إلى الربذة ، كما يفعل بأهل الحنا والريب ، وهذا عمار وابن مسعود تلقيا عثمان بما تلقياه به لما ظهر لهما بزعمهما منه وما وعظاه لأجله ، ثم فعل بهما عثمان ما تنهى اليكم ، ثم فعل القوم بعثمان ما قد علمتم وعلم الناس كلهم . وهذا عمر يقول في قصة الزبير بن العوام لما استأذنه في الغزو : ها أتى ممسك بباب هذا الشعب أن يتفرق أصحاب محمد في الناس فيضلوهم ، وزعم أنه وأبو بكر كانا يقولان : ان علياً والعباس في قصة الميراث زعماهما كاذبين ظالمين فاجرين ، وما رأينا علياً عليه السلام والعباس اعتذرا ولا تنصلا ، ولا نقل أحد من أصحاب الحديث ذلك ، ولا رأينا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أنكروا عليها ما حكاه عمر عنها ونسبه اليها .

ولا أنكروا أيضاً على عمر قوله في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أنهم يريدون

اذلال الناس ويهمون به ، ولا أنكروا على عثمان دوس بطن عمار ، ولا كسر ضلع ابن مسعود ، ولا على عمار وابن مسعود ما تلقيا به عثمان ، كانكار العامة اليوم الخوض في حديث الصحابة ، ولا اعتقدت الصحابة في أنفسها ما يعتقده العامة فيها ، اللهم الآ أن يزعموا أنهم أعرف بحق القوم منهم .

وهذا علي وفاطمة عليهما السلام والعباس ما زالوا على كلمة واحدة يكذبون الرواية « نحن معاشر الأنبياء لا نورث » ويقولون : أنها مختلقة .

قالوا : وكيف كان النبي صلى الله عليه وآله يعرف هذا الحكم غيرنا ويكتمه عنا ؟ ونحن الورثة ، ونحن أولى الناس بأن يؤدّى هذا الحكم اليه .

وهذا عمر بن الخطاب يشهد لأهل الشورى أنهم النفر الذين توفّي رسول الله صلى الله عليه وآله وهو عنهم راض ، ثم يأمر بضرب أعناقهم ان أخروا فصل حال الامامة ، هذا بعد أن تلهم وقال في حقهم ما لو سمعته العامة اليوم من قائل لوضعت ثوبه في عنقه سحباً الى السلطان ، ثم شهدت عليه بالرفض واستحلّت دمه ، فان كان الطعن على بعض الصحابة رفضاً ، فعمر بن الخطاب أرفض الناس وامام الروافض كلهم .

ثم ما شاع واشتهر من قول عمر « كانت بيعة أبي بكر فلتة وقي الله شرّها ، فن عاد الى مثلها فاقتلوه » وهذا طعن في العقد ، وقدح في البيعة الأصليّة .

ثم ما نقل عنه من ذكر أبي بكر في صلاته ، وقوله عن عبد الرحمن ابنه « دويبة سوء وهو خير من أبيه » ثم عمر القائل في سعد بن عباد ، وهو رئيس الأنصار وسيدها : أقتلوا سعداً ، قتل الله سعداً ، اقتلوه فأنه منافق . وقد شتم أباهيرة ، وطعن في روايته ، وشم خالد بن الوليد ، وطعن في دينه ، وحكم بفسقه وبوجوب قتله ، وخون عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان ، ونسبها الى سرقة مال النبي واقتطاعه .

وكان سريعاً الى المساءة ، كثير الجبه والشم والسب لكل أحد ، وقل أن يكون في

الصحابة من سلم من معرّة لسانه أو يده ، ولذلك أبغضوه وملّوا أيامه مع كثرة الفتوح فيها ، فهلّا احترم عمر الصحابة كما تحترمهم العامّة ؛ إمّا أن يكون عمر مخطئاً ، وإمّا أن تكون العامّة على الخطأ .

فان قالوا : عمر ما شتم ولا ضرب ولا أساء إلاّ الى عاص مستحقّ لذلك .

قيل لهم : فكأنّا نحن نقول : أنا نريد أن نبرىء ونعادي من لا يستحقّ البراءة والمعادة ، كلاً ما قلنا هذا ، ولا يقول هذا مسلم ولا عاقل ، وأمّا غرضنا الذي اليه نجري بكلامنا هذا أن نوضّح أنّ الصحابة قوم من الناس لهم ما للناس وعليهم ما عليهم ، من أساء منهم ذمناه ، ومن أحسن منهم حمدناه ، وليس لهم على غيرهم من المسلمين كبير فضل إلاّ بمشاهدة الرسول ومعاصرتة لا غير ، بل ربّما كانت ذنوبهم أفحش من ذنوب غيرهم ؛ لأنّهم شاهدوا الأعلام والمعجزات ، فقربت اعتقاداتهم من الضرورة ونحن لم نشاهد ذلك ، فكانت عقائدنا محض النظر والفكر ، وبعرضيّة الشبه والشكوك ، فمعاصينا أخفّ لأنّا أعذر .

ثمّ نعود الى ما كنّا فيه ، فنقول : وهذه عائشة أمّ المؤمنين ، خرجت بقميص رسول الله ﷺ ، فقالت للناس : هذا قميص رسول الله لم يبل ، وعثمان قد أبلى سنّته ، ثمّ تقول : أقتلوا نعتلاً قتل الله نعتلاً ، ثمّ لم ترض بذلك حتّى قالت : أشهد أنّ عثمان جيفة على الصراط غدأ ، فن الناس من يقول : روت في ذلك خبراً ، ومن الناس من يقول : هو موقوف عليها ، وبدون هذا لو قاله انسان اليوم يكون عند العامّة زنديقاً . ثمّ قد حصر عثمان ، حصرته أعيان الصحابة ، فما كان أحد ينكر ذلك ، ولا يعظمه ولا يسعى في ازالته ، وأمّا أنكروا على من أنكروا على المحاصرين له ، وهو رجل كما علمتم من وجوه أصحاب رسول الله ﷺ ، ثمّ من أشرفهم ، ثمّ هو أقرب اليه من أبي بكر وعمر ، وهو مع ذلك امام المسلمين ، والمختار منهم للخلافة ، وللإمام حقّ على رعيّته عظيم ، فان كان القوم قد أصابوا ، فاذن ليست الصحابة في الموضع الذي وضعتها به العامّة . وان كانوا ما أصابوا ، فهذا هو الذي نقول من أنّ الخطأ جائز على

آحاد الصحابة ، كما يجوز على آحادنا اليوم .

ولسنا نقدح في الاجماع ، ولا ندعي اجماعاً حقيقياً على قتل عثمان ، وإنما نقول : ان كثيراً من المسلمين فعلوا ذلك ، والمخصم يسلم أن ذلك كان خطأ ومعصية ، فقد سلم أن الصحابي يجوز أن يخطيء وبعصي ، وهو المطلوب .

وهذا المغيرة بن شعبة ، وهو من الصحابة ، أدعى عليه الزنا ، وشهد عليه قوم بذلك ، فلم ينكر ذلك عمر ، ولا قال هذا محال وباطل ؛ لأن هذا صحابي من صحابة رسول الله ﷺ لا يجوز عليه الزنا ، وهلاً أنكر عمر على الشهود وقال لهم : ويحكم هلاً تغافلت عنه لما رأيتموه يفعل ذلك ، فإن الله تعالى قد أوجب الامساك عن مساوىء أصحاب رسول الله ﷺ ، وأوجب الستر عليهم ، وهلاً تركتموه لرسول الله ﷺ في قوله « دعوا لي أصحابي » .

ما رأينا عمر إلا قد انتصب لسماع الدعوى ، واقامة الشهادة ، وأقبل يقول للمغيرة : يا مغيرة ذهب ربعك ، يا مغيرة ذهب نصفك ، يا مغيرة ذهب ثلاثة أرباعك ، حتى اضطرب الرابع ، فجلد الثلاثة .

وهلاً قال المغيرة لعمر : كيف تسمع في قول هؤلاء وليسوا من الصحابة وأنا من الصحابة ، ورسول الله ﷺ قد قال « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » ما رأينا قال ذلك ، بل استسلم لحكم الله تعالى .

وها هنا من هو أمثل من المغيرة وأفضل ، قدامة بن مظعون ، لما شرب الخمر في أيام عمر ، فأقام عليه الحد ، وهو رجل من عليية الصحابة ، ومن أهل بدر ، والمشهود لهم بالجنة ، فلم يردّ عمر الشهادة ، ولا درأ عنه الحدّ لعلّه أنه بدري ، ولا قال قد نهى رسول الله ﷺ عن ذكر مساوىء الصحابة .

وقد ضرب عمر أيضاً ابنه حدّاً فمات ، وكان ممن عاصر رسول الله ﷺ ولم تمنعه معاصرتة له من اقامة الحدّ عليه .

وهذا علي بن أبي طالب يقول : ما حدثني أحدٌ بحديث عن رسول الله ﷺ إلا استحلّفته

عليه ، أليس هذا اتهاماً لهم بالكذب ، وما استثنى أحداً من المسلمين إلا أبا بكر على ما ورد في الخبر ، وقد صرح غير مرة بتكذيب أبي هريرة ، وقال : لا أحد أكذب من هذا الدوسي على رسول الله ﷺ ، وقال أبو بكر في مرضه الذي مات فيه : وددت أني لم أكشف بيت فاطمة ولو كان أغلق على حرب ، فندم ، والندم لا يكون إلا عن ذنب .

ثم ينبغي للعاقل أن يفكر في تأخر علي ﷺ عن بيعة أبي بكر ستة أشهر الى أن ماتت فاطمة ، فان كان مصيباً فأبو بكر على الخطأ في انتصابه في الخلافة . وان كان أبو بكر مصيباً ، فعلي على الخطأ في تأخره عن البيعة وحضور المسجد .

ثم قال أبو بكر في مرض موته أيضاً للصحابة : فلما استخلفت عليكم خيركم في نفسي - يعني : عمر - فكلكم ورم لذلك أنفه ، يريد أن يكون الأمر له ، لما رأيتم الدنيا قد جاءت ، أما والله لتتخذن سنائر الديباج ونضائد الحرير . أليس هذا طعن في الصحابة ، وتصريحاً بأنه قد نسبهم الى الحسد لعمر لما نصّ عليه بالعهد .

ولقد قال له طلحة لما ذكر عمر للأمر : ماذا تقول لرئك اذا سألك عن عبادته ، وقد وليت عليهم فظاً غليظاً ؟ فقال أبو بكر : أجلسوني أجلسوني ، بالله تخوفني ، اذا سألتني قلت : وليت عليهم خير أهلك ، ثم شتمه بكلام كثير منقول ، فهل قول طلحة إلا طعن في عمر ؟ وهل قول أبي بكر إلا طعن في طلحة .

ثم الذي كان بين أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود من السباب ، حتى نفي كل واحد منها الآخر عن أبيه ، وكلمة أبي بن كعب مشهورة منقولة « ما زالت هذه الأمة مكبوبة على وجهها منذ فقدوا نبيهم » وقوله « ألا هلك أهل العقيدة ، والله ما آسى عليهم وإنما آسى على من يضلون من الناس » .

ثم قول عبد الرحمن بن عوف « ما كنت أرى أن أعيش حتى يقول لي عثمان يا منافق » وقوله « لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما وليت عثمان شسع نعلي » وقوله « اللهم انّ عثمان قد أبى أن يقيم كتابك فافعل به وافعل » .

وقال عثمان لعلي عليه السلام في كلام دار بينهما : أبوبكر وعمر خير منك ، فقال علي عليه السلام : كذبت أنا خير منك ومنها ، عبدت الله قبلهما وعبدته بعدهما .

وروى سفيان بن عيينة ، عن عمر بن دينار ، قال : كنت عند عروة بن الزبير ، فتذاكرناكم أقام النبي صلى الله عليه وآله بمكة بعد الوحي ؟ فقال عروة : أقام عشراً ، فقلت : كان ابن عباس يقول : ثلاث عشرة ، فقال : كذب ابن عباس . وقال ابن عباس : المتعة حلال ، فقال له جبير بن مطعم : كان عمر ينهى عنها ، فقال : عديّ نفسه من هاهنا ضللت ، أهدتكم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وتحدثني عن عمر . وجاء في الخبر عن علي عليه السلام : لولا ما فعل عمر بن الخطاب في المتعة ما زنا إلا شقيّ ، وقيل : ما زنا إلا شقي ، أي : قليلاً .

فأما سبّ بعضهم بعضاً ، وقدح بعضهم في بعض في المسائل الفقهيّة ، فأكثر من أن يحصى ، مثل قول ابن عباس وهو يردّ على زيد مذهبه القول في الفرائض : ان شاء - أو قال : من شاء - باهلته ، انّ الذي أحصى رمل عالج عدداً أعدل من أن يجعل في مال نصفاً ونصفاً وثلاثاً ، هذان النصفان قد ذهبوا بالمال ، فأين موضع الثلث ؟ .
ومثل قول أبي بن كعب في القرآن : لقد قرأت القرآن وزيد هذا غلام ذو ذؤابتين يلعب بين صبيان اليهود في المكتب .

وقال علي عليه السلام في أمّهات الأولاد وهو على المنبر : كان رأيي ورأي عمر ألاّ بيعن ، وأنا أرى الآن بيعهنّ ، فقام اليه عبيدة السلماني فقال : رأيك في الجماعة أحبّ إلينا من رأيك في الفرقة .

وكان أبوبكر يرى التسوية في قسم الغنائم ، وخالفه عمر وأنكر فعله .
وأنكرت عائشة على أبي سلمة بن عبد الرحمن خلفه على ابن عباس في عدّة المتوفّي عنها زوجها وهي حامل ، وقالت : فرّوج يصقع مع الديكة .
وأنكرت الصحابة على ابن عباس قوله في الصرف ، وسفّهوا رأيه حتى قيل : أنّه تاب من ذلك عند موته .

واختلفوا في حدّ شارب الخمر حتى خطأ بعضهم بعضاً .

وروى بعض الصحابة عن النبي ﷺ أنه قال : الشؤم في ثلاثة : المرأة ، والدار ، والفرس . فأنكرت عائشة ذلك وكذبت الراوي ، وقالت : أنه إنما قال ﷺ ذلك حكاية عن غيره .

وروى بعض الصحابة عنه ﷺ أنه قال : التاجر فاجر . فأنكرت عائشة ذلك وكذبت الراوي وقالت : إنما قاله ﷺ في تاجر دلس .

وأنكر قوم من الأنصار رواية أبي بكر « الأئمة من قريش » ونسبوه الى افتعال هذه الكلمة .

وكان أبو بكر يقضي بالقضاء ، فينقضه عليه أصاغر الصحابة ، كبلال وصهيب ونحوهما ، وقد روي ذلك في عدة قضايا .

وقيل لابن عباس : انّ عبد الله بن الزبير يزعم أنّ موسى صاحب الخضر ليس موسى بنى اسرائيل ، فقال : كذب عدوّ الله ، أخبرني أبي بن كعب ، قال : خطبنا رسول الله ﷺ وذكر كذا ، بكلام يدلّ على أنّ موسى صاحب الخضر هو موسى بنى اسرائيل .

وباع معاوية أواني ذهب وفضّة بأكثر من وزنها ، فقال له أبو الدرداء : سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن ذلك ، فقال معاوية : أمّا أنا فلا أرى به بأساً ، فقال أبو الدرداء : من عذيري من معاوية ، أخبره عن الرسول ﷺ وهو يخبرني عن رأيه ، والله لا أساكنك بأرض أبداً .

وطعن ابن عباس في أبي هريرة ، عن رسول الله ﷺ : اذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يدخلنّ يده في الاناء حتى يتوضأ . وقال : فاصنع بالمهراس (١) .

وقال عليّ ﷺ لعمر وقد أفتاه الصحابة في مسألة وأجمعوا عليها : ان كانوا

(١) المهراس : اناء مستطيل منقور يتّضأ فيه .

راقبوك فقد غشوك ، وان كان هذا جهد رأيهم فقد أخطأوا .

وقال ابن عباس : ألا يتقي الله زيد بن ثابت ، يجعل ابن الإبن إينا ، ولا يجعل أب الأب أباً .

وقالت عائشة : أخبروا زيد بن أرقم أنه قد أحبط جهاده مع رسول الله ﷺ .
وأنكرت الصحابة على أبي موسى قوله : إن النوم لا ينقض الوضوء ، ونسبته إلى الغفلة وقلة التحصيل ، وكذلك أنكرت على أبي طلحة الأنصاري قوله : ان أكل البرد لا يفطر الصائم ، وهزئت به ونسبته الى الجهل .

وسمع عمر عبدالله بن مسعود وأبي بن كعب يختلفان في صلاة الرجل في الثوب الواحد ، فصعد المنبر وقال : اذا اختلف اثنان من أصحاب الرسول الله ﷺ ، فعن أي فتياكم يصدر المسلمون ، لا أسمع رجلين يختلفان بعد مقامي هذا الا فعلت وصنعت .

وقال جرير بن كليب : رأيت عمر ينهى عن المتعة ، وعليّ عليّ يأمر بها ، فقلت : انّ بينكما لشرّاً ، فقال عليّ عليّ : ليس بيننا الا الخير ، ولكن خيرنا أتبعنا لهذا الدين .
قال هذا المتكلم : وكيف يصحّ أن يقول رسول الله ﷺ : « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » ولا شبهة أنّ هذا يوجب أن يكون أهل الشام في صفين على هدى ، وأن يكون أهل العراق أيضاً على هدى ، وأن يكون قاتل عمّار بن ياسر مهتدياً ، وقد صحّ الخبر الصحيح أنّه قال له : تقتلك الفئة الباغية ، وقال في القرآن : ﴿ فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله ﴾ (١) فدلّ على أنّها موصوفة بالمقام على البغي ، مفارقة لأمر الله ، ومن يفارق أمر الله لا يكون مهتدياً .

وكان يجب أن يكون بسر بن أبي أرطاة الذي ذبح ولدي عبيد الله بن عباس الصغيرين مهتدياً ؛ لأنّ بسرّاً من الصحابة أيضاً ، وكان يجب أن يكون عمرو بن

العاص ومعاوية اللذان كانا يلعبان علياً عليه السلام أديار الصلاة وولديه مهتدين ، وقد كان في الصحابة من يزني ويشرب الخمر ، كأبي محجن الثقفي ، ومن يرتد عن الاسلام كطليحة بن خويلد ، فيجب أن يكون كل من اقتدى بهؤلاء في أفعالهم مهتدياً .

قال : وإنما هذا من موضوعات متعصبة الأموية ، فإن لهم من ينصرهم بلسانه ، ويوضعه الأحاديث اذا عجز عن نصرهم بالسيف .

وكذا القول في الحديث الآخر وهو قوله « القرن الذي أنا فيه » ومما يدل على بطلانه أن القرن الذي جاء بعده بخمسين سنة شرّ قرون الدنيا ، وهو أحد القرون التي ذكرها في النص ، وكان ذلك القرن هو الذي قتل فيه الحسين عليه السلام ، وأوقع بالمدينة ، وحوصرت مكة ، ونقضت الكعبة ، وشربت خلفاؤه والقائمون مقامه والمنتصبون في منصب النبوة الخمر ، وارتكبوا الفجور ، كما جرى ليزيد بن معاوية ، ويزيد بن عاتكة ، وللوليد بن يزيد ، وأريققت الدماء الحرام ، وقتل المسلمون ، وسبي الحرير ، واستعبد أبناء المهاجرين والأنصار ، ونقش على أيديهم كما ينقش على أيدي الروم ، وذلك في خلافة عبد الملك وامرة الحجاج ، واذا تأملت كتب التواريخ وجدت الخمسين الثانية شرّاً كلها لا خير فيها ، ولا في رؤسائها وأمرائها ، والناس برؤساهم وأمرائهم ، والقرن خمسون سنة ، فكيف يصحّ هذا الخبر ؟ .

قال : فأما ما ورد في القرآن من قوله ﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين ﴾ ^(١) وقوله ﴿ محمد رسول الله والذين معه ﴾ ^(٢) وقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ان الله اطّلع على أهل بدر . ان كان الخبر صحيحاً ، فكله مشروط بسلامة العاقبة ، ولا يجوز أن يخبر الحكيم مكلفاً غير معصوم بأنه لا عقاب عليه ، فليفعل ما شاء .

(١) الفتح : ١٨ .

(٢) الفتح : ١٩ .

قال هذا المتكلم : ومن أنصف وتأمل أحوال الصحابة وجدهم مثلنا ، يجوز عليهم ما يجوز علينا ، ولا فرق بيننا وبينهم إلا بالصحة لا غير ، فإن لها منزلة وشرفاً ، لكن لا الى حدّ يمنع على كلّ من رأى الرسول أو صحبه يوماً أو شهراً ، أو أكثر من ذلك أن يخطيء ويزلّ ، ولو كان هذا صحيحاً ما احتاجت عائشة الى نزول براءتها من السماء ، بل كان رسول الله ﷺ من أول يوم يعلم كذب أهل الافك ؛ لأنّها زوجته ، وصحبته له أكد من صحبة غيرها .

وصفوان بن المعطل أيضاً كان من الصحابة ، فكان ينبغي ألاّ يضيق صدر رسول الله ﷺ ، ولا يحمل ذلك الهمّ والغمّ الشديدين اللذين حملهما ويقول : صفوان من الصحابة ، وعائشة من الصحابة ، والمعصية عليها ممتنعة .

وأمثال هذا كثير ، وأكثر من الكثير لمن أراد أن يستقرىء أحوال القوم ، وقد كان التابعون يسلكون بالصحابة هذا المسلك ، ويقولون في العصاة منهم مثل هذا القول ، وأما اتّخذهم العامّة أرباباً بعد ذلك .

قال : ومن الذي يجترىء على القول بأنّ أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام لا تجوز البراءة من أحد منهم وان أساء وعصى بعد قول الله تعالى للذين شرّفوا برؤيته ﴿ لئن أشركت ليحبطنّ عملك ولتكوننّ من الخاسرين ﴾ بعد قوله ﴿ قل انّي أخاف ان عصيت ربّي عذاب يوم عظيم ﴾ ^(١) وبعد قوله ﴿ فاحكم بين الناس بالحقّ ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله انّ الذين يضلّون عن سبيل الله لهم عذاب شديد ﴾ ^(٢) الآ من لا فهم له ولا نظر معه ولا تمييز عنده .

قال : ومن أحبّ أن ينظر الى اختلاف الصحابة ، وطعن بعضهم في بعض ، وردّ بعضهم على بعض ، وما ردّ به التابعون عليهم واعترضوا به أقوالهم ، واختلاف

(١) الزمر : ٦٥ .

(٢) ص : ٢٦ .

التابعين أيضاً فيما بينهم ، وقدح بعضهم على بعض ، فليُنظر في كتاب النظام .
قال الجاحظ : كان النظام أشدّ الناس انكاراً على الرافضة ، لطعنهم على الصحابة ، حتّى اذا ذكر الفتيا وتقلّ الصحابة فيها ، وقضايهم بالأمر المختلفة ، وقول من استعمل الرأي في دين الله ، انتظم مطاعن الرافضة وغيرها وزاد عليها ، وقال في الصحابة أضعاف قولها .

قال : وقال بعض رؤساء المعتزلة : غلط أبي حنيفة في الأحكام عظيم ؛ لأنّه أضلّ خلقاً ، وغلط حمّاد أعظم من غلط أبي حنيفة ؛ لأنّ حمّاداً أصل أبي حنيفة الذي منه تفرّع ، وغلط ابراهيم أغلظ وأعظم من غلط حمّاد ؛ لأنّه أصل حمّاد ، وغلط علقمة والأسود أعظم من غلط ابراهيم ؛ لأنّها أصله الذي عليه اعتمد ، وغلط ابن مسعود أعظم من غلط هؤلاء جميعاً ؛ لأنّه أوّل من بدر الى وضع الأدیان برأيه ، وهو الذي قال : أقول فيها برأبي ، فان يكن صواباً فن الله ، وان يكن خطأً فني .

قال : واستأذن أصحاب الحديث على ثمامة بخراسان حيث كان مع الرشيد بن المهدي ، فسألوه كتابه الذي صنّفه على أبي حنيفة في اجتهاد الرأي ، فقال : لست على أبي حنيفة كتبت ذلك الكتاب ، وأما كتبت على علقمة والأسود وعبد الله بن مسعود ؛ لأنهم الذين قالوا بالرأي قبل أبي حنيفة .

قال : وكان بعض المعتزلة أيضاً اذا ذكر ابن عبّاس استصغره ، وقال : صاحب الذؤابة يقول في دين الله برأيه .

وذكر الجاحظ في كتابه المعروف بكتاب التوحيد : أنّ أباهريرة ليس بثقة في الرواية عن رسول الله ﷺ قال : ولم يكن عليّ عليه السلام يوثقه في الرواية ، بل يتهمه ويقدح فيه ، وكذلك عمر وعائشة .

وكان الجاحظ يفسق عمر بن عبد العزيز ، ويستهزىء به ويكفره ، وعمر بن عبد العزيز وان لم يكن من الصحابة ، فأكثر العامّة يرى له من الفضل ما يراه لواحد من الصحابة .

وكيف يجوز أن نحكم حكماً جزماً أنّ كلّ واحد من الصحابة عدل ، ومن جملة الصحابة الحكم بن أبي العاص ، وكفّك به عدوّاً ومبغضاً لرسول الله ﷺ ، ومن الصحابة الوليد بن عقبة الفاسق بنصّ الكتاب ، ومنهم حبيب بن مسلمة الذي فعل ما فعل بالمسلمين في دولة معاوية ، وبسر بن أبي أرطاة عدوّ الله وعدوّ رسوله .

وفي الصحابة كثير من المنافقين لا يعرفهم الناس ، وقال كثير من المسلمين : مات رسول الله ﷺ ولم يعرفه الله سبحانه كلّ المنافقين بأعيانهم ، وأما كان يعرف قوماً منهم ، ولم يعلم بهم أحداً إلاّ حذيفة فيما زعموا ، فكيف يجوز أن نحكم حكماً جزماً أنّ كلّ واحد ممّن صحب رسول الله ﷺ أو رآه أو عاصره عدل مأمون لا يقع منه خطأ ولا معصية ؟ ومن الذي يمكنه أن يتحجّر واسعاً كهذا التحجّر ، أو يحكم هذا الحكم ؟

قال : والعجب من الحشويّة وأصحاب الحديث اذ يجادلون على معاصي الأنبياء ، ويشبتون أنّهم عصوا الله تعالى ، وينكرون على من ينكر ذلك ، ويطعنون فيه ، ويقولون : قدرّي معتزليّ ، وربّما قالوا : ملحد مخالف لنصّ الكتاب ، وقد رأينا منهم الواحد والمائة والألف يجادلون في هذا الباب ، فتارة يقولون : إنّ يوسف قعد من امرأة العزيز مقعد الرجل من المرأة ، وتارة يقولون : إنّ داود قتل أوريا لينكح امرأته ، وتارة يقولون : إنّ رسول الله ﷺ كان كافراً ضالاً قبل النبوة ، وربّما ذكروا زينب بنت جحش وقصة الفداء يوم بدر .

فأما قدحهم في آدم عليه السلام ، وإثباتهم معصيته ، ومناظرتهم من ينكر^(١) ذلك ، فهو دأبهم وديدتهم ، فاذا تكلم واحد في عمرو بن العاص ، أو في معاوية وأمثالها ، ونسبهم الى المعصية وفعل القبيح ، احمرّت وجوههم ، وطالت أعناقهم ، وتنازرت أعينهم ، وقالوا : مبتدع رافضيّ ، يسبّ الصحابة ويشتم السلف .

(١) في الشرح : يذكر .

فان قالوا: أما اتبعنا في ذكر معاصي الأنبياء نصوص الكتاب .

قيل لهم : فاتبعوا في البراءة من جميع العصاة نصوص الكتاب ، فإنه تعالى قال ﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادّ الله ورسوله ﴾ (١) وقال ﴿ فان بغت احداها على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله ﴾ (٢) وقال ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾ (٣).

ثمّ يسألون عن بيعة علي عليه السلام هل هي صحيحة لازمة لكلّ الناس ؟ فلا بدّ من بلى، فيقال لهم : فاذا خرج على الامام الحقّ خارج ، أليس يجب على المسلمين قتاله حتى يعود الى الطاعة ؟ فهل يكون هذا القتال الآ البراءة التي نذكرها ؛ لأنّه لا فرق بين الأمرين ، وأما برئنا منهم لأننا لسنا في زمانهم ، فيمكننا أن نقاتل بأيدينا ، فقصارى أمرنا الآن أن نبرأ منهم ونلعنهم ، وليكون ذلك عوضاً من القتال الذي لا سبيل لنا اليه .

قال هذا المتكلم : على أنّ النظام وأصحابه ذهبوا الى أنّه لا حجّة في الاجماع ، وأنّه يجوز أن تجتمع الأمة على الخطأ والمعصية وعلى الفسق ، بل على الردّة ، وله كتاب موضوع في الاجماع يطعن فيه في أدلّة الفقهاء ويقول : أنّها ألفاظ غير صريحة في كون الاجماع حجّة ، نحو قوله ﴿ جعلناكم أمة وسطاً ﴾ (٤) وقوله ﴿ كنتم خير أمة ﴾ (٥) وقوله ﴿ ومن يتبع غير سبيل المؤمنين ﴾ (٦).

وأما الخبر الذي صورته « لا تجتمع أمّتي على الخطأ » فخير واحد ، وأمثلة دليل

(١) المجادلة : ٥ .

(٢) الحجرات : ٩ .

(٣) النساء : ٥٩ .

(٤) البقرة : ١٤٣ .

(٥) آل عمران : ١١٠ .

(٦) النساء : ١١٥ .

للفقهاء قولهم: إنَّ الهمم المختلفة والآراء المتباينة، إذا كان أربابها كثيرة عظيمة، فإنه يستحيل اجتماعهم على الخطأ، وهذا باطل باليهود والنصارى وغيرهم من فرق الضلال.

هذه خلاصة ما كان النقيب أبو جعفر عليه السلام علَّقه بخطه من الجزء الذي أقرأناه ^(١). انتهى ما أردت بيانه في الفاتحة.

فها أنا أشرع في ذكر الأربعين دليلاً على امامة الأئمة الاثني عشر الهادية المهديَّة عليهم السلام، ورأيت المناسب أن أفتح الأدلة بذكر تاريخ ولادة الأئمة ووفاتهم، وبيان مواضع قبورهم، فاخترت ما ارتجزه السيّد الحسيب النسيب ذو المجدين، السيّد حسين بن شمس الحسيني رحمته الله:

قال أبو هاشم في بيانه	ولفظه يخبر عن جنانه
الحمد لله على الايمان	بالمصطفى والآل والقرآن
لقد حداني من له أطيع	لنظم تاريخ له أذيع
فهاك تاريخ النبي المصطفى	وآله المطهّرين الخلفا
فولد النبيّ عام الفيل	بمكّة والحرم الجليل
وفاته حادي عشر هجرته	بطيبة وهي محلّ تربته
ومولد الوصيّ أيضاً في الحرم	بكعبة الله العليّ ذي الكرم
من بعد عام الفيل في الحساب	عشر وعشرين بلا ارتياب
وفاته بالهجرة المعروفة	عام أربعين قبره بالكوفة
ومولد الزكيّ نجل الزهرة	بطيبة ثاني عام الهجرة
وقبره بها على يقين	نعم وفيها مولد الحسين
وعمره ثمان وأربعونا	فصح أنّ الموت في الخمسينا

لثالث من هجرة الشفيح
بكر بلا تزوره الوفود
ثامن ثلاثين لدى البيان
وفي البقيع قبره يقينا
وقبره بها بغير ريبة
مولده وفاته الرابع عشر
وهذه رواية قوية
ثالث ثمانين سني الهاجر
ومائة معدودة سنينا
مجاوراً لجده الشفيح
ثامن عشرين على استواء
ثالث ثمانين بها المنية
من أرض بغداد بلا مرء
مدينة الرسول دار الهجرة
ثالث ومائتين الوفاة يقينا
ثوى بطوس قبره وفخره (١)
لخامس التسعين في الرواية
مدينة الرسول خير داع
والقبر في الزورا بغير مين
ميلاده مدينة التهامي

ومولد الحسين في ربيع
حادي وستين قضى الشهيد
ومولد السجّاد في شعبان
وفاته في الخمس والتسعين
وباقر العلم ولد بطيبة
في سبع الخمسين من شهر صفر
بعد تمام المائة الهجرية
وطيبة ميلاد نجل الباقر
وفاته ثمان وأربعينا
وقبره بجانب البقيع
ومولد الكاظم بالأبواء
ومائة من قبلها هجرية
وقبره في جانب الزوراء
ومولد الرضا سليل الزهرة
مولده ثامن وأربعينا
معدودة منذ سني الهجرة
ومولد الجواد بعد المائة
ميلاده بأفضل البقاع
والقبض عشرين ومائتين
ثم علي هادي الأنام

(١) وفي الصراط المستقيم مكان هذا البيت كذا:

وقبره في سنا باد طوسا

حلّ بها مقدساً تقديساً

وفاته في الرابع الخمسينا
مدينة المصحب بالسكينة
والقبض ستين ومائتين
كذلك والده عظيم الفخر
خمس وخمسين ومائتان
ونرجس الأم بقول الأكثر
مشفوعة بالصلوات الفاخرة
راجي عفو الله في الدارين
وآله خلاصة العباد^(١)

ثاني عشر مائتي سنينا
والعسكري ميلاده المدينة
ثاني ثلاثين ومائتين
في سر من رأى مكان القبر
ومولد المهدي في شعبان
في سر من رأى بدار العسكري
تمت تواريخ الهداة الطاهرة
نظم الفقير المذنب الحسين
ثم شفاعة النبي الهادي

الدليل الأول

[لا بدّ في كلّ زمان من عالم ربّاني مؤيّد من عند الله]

أنا نعلم أنّ الذي جعل الأرض مهاداً، والجبال أوتاداً، وخلقنا أزواجاً، وجعل
نومنا سباتاً، وجعل الليل لباساً، وجعل النهار معاشاً، وبنى فوقنا سبعاً شداداً،
وجعل سراجاً وهّاجاً، وأنزل من المعصرات ماءً ثجاجاً، لنخرج به حبّاً ونباتاً،
وجنّات أنفاً، له رضا وسخط واردة وكراهة، فلا بدّ في كلّ زمان من عالم ربّانيّ
مؤيّد من عند الله، معبر عن رضاه وسخطه واردة وكراهته.

لا يقال: إنّ كتاب الله كفي في بيان رضاه وسخطه.

لأنّنا نقول: لا يخفى على اللبيب المنصف أنّ كتاب الله مشتمل على المجملات
والمتشابهات، والناسخ والمنسوخ، ولا يعلم من تأويلها ولا يعرف من تفسيرها إلاّ
يسير.

واختلف المفسّرون في تفاسيرهم ، وتمسّك أهل البدع بمتشابهاته في بدع آرائهم ، قال الله تعالى ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب فيه آيات محكمات هنّ أمّ الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة ﴾ (١) فليس كتاب الله حسبنا ، كما زعم الثاني من خلفاء المخالفين وأتباعه .

ولا يقال : إنّ العلم بجميع الأحكام وان لم يكن بدون وجود امام مؤيد ، ولكن الظنّ بجميع الأحكام ممكن بأخبار الآحاد والقياس والاستحسان .

لأنّنا نقول : لا يجوز العمل بالظنون ؛ لقوله تعالى ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم ﴾ (٢) وقوله تعالى ﴿ إنّ الظنّ لا يغني من الحقّ شيئاً ﴾ (٣) وقوله تعالى ﴿ وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ (٤) ولأنّ العمل بالظنّ تقديم بين يدي الله ورسوله ، وعمل بغير اذن الله تعالى ، وقد قال الله تعالى ﴿ لا تقدّموا بين يدي الله ورسوله ﴾ (٥) وقال تعالى ﴿ الله أذن لكم أم على الله تفترون ﴾ (٦) .

ولأنّ الحكم بمقتضى الظنّ حكم بغير ما أنزل الله ، وقد قال الله تعالى ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ (٧) وأكّدها بآية أخرى ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ﴾ (٨) وأكّدها بآية ثالثة ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله

(١) آل عمران : ٧ .

(٢) الاسراء : ٣٦ .

(٣) النجم : ٢٨ .

(٤) البقرة : ١٦٩ .

(٥) الحجرات : ١ .

(٦) يونس : ٥٩ .

(٧) المائدة : ٤٤ .

(٨) المائدة : ٤٥ .

فأولئك هم الفاسقون ﴿^(١) كل ذلك لعلمه تعالى بخروج عباده عن طاعته ، وعدم امتثالهم أوامره .

وان جوزنا العمل بالظنون ، فلا يمكن الاستغناء بها عن الامام المعصوم المحافظ للشريعة ؛ لأن أخبار الآحاد وان افاد بعضها الظن ولكنّها قليلة .

وأما القياس ، فلا يفيد غالباً الظن ، بل التحقيق أنّه لا يفيد الظن أصلاً ؛ لأن مبنى شرعنا على الفرق بين المتأثلات ، كإيجاب الغسل بالماء دون البول ، وكلاهما خارج من أحد السبيلين ، وغسل بول الصبيّة ، ونضح بول الصبي ، وقطع سارق القليل دون غاصب الكثير ، وحدّ القذف بالزنا دون الكفر ، وتحريم صوم أول شوال وإيجاب صوم آخر شهر رمضان . وعلى الجمع بين المختلفات ، كإيجاب الوضوء من الأحداث المختلفة ، وإيجاب الكفارة في الظهر والافطار ، وتساوي العمد والخطأ ، ووجوب القتل بالزنا والرّدّة ، فاذا كان كذلك امتنع حصول الظن من القياس المبني على اشتراك شيئين في الحكم لاشتراكهما في الوصف .

ومثله الاستحسان في عدم افادته الظن ، وكيف يفيد الظن بالحكم وقد قال تعالى ﴿وعسى أنّ تجبوا شيئاً وهو شرّ لكم﴾ ^(٢) وأجاد من قال ردّاً على الحنفية والحنبلية العاملين به : من استحسن فقد شرع ، يعني : من أثبت حكماً بأنّه مستحسن عنده من غير دليل من قبل الشارع ، فهو الشارع لذلك الحكم ، وقد ورد من طرق المخالف عدّة أخبار في النهي عن العمل بالرأي والقياس .

وقد روى الخطيب في تاريخه ، والديلمي في فردوسه ، من عدّة رجال الى عوف بن مالك ، الى النبي ﷺ أنّه قال : تفرق أمتي على بضع وسبعين فرقة ، أعظمها فتنه

(١) المائدة : ٤٧ .

(٢) البقرة : ٢١٦ .

على أمتي قوم يقيسون الأمور برأيهم، ويحرمون الحلال، ويحلون الحرام (١).
وفي الفردوس أيضاً عن أنس وأبي هريرة، قالوا: قال النبي ﷺ: تعمل هذه الأمة برهة بكتاب الله، وبرهة بسنة نبيه، ثم تعمل بالرأي، فإذا عملوا به فقد ضلوا وأضلوا (٢).

وفي ابانة ابن بطّة، ومسند الهذلي، عن ابن عباس: أيّاكم والرأي. وعنه: لو جعل الله الرأي لأحد لجعله لرسوله بل قال ﴿ وأن احكم بما أنزل الله ﴾ (٣) ولم يقل بما رأيت (٤).

وروى الجاحظ وغيره في كتاب الفتيا قول أبي بكر: أيّ سماء تظلني، وأي أرض تقلني، اذا قلت في كتاب الله برأيي. وقول عمر: أيّاكم وأصحاب الرأي، فاتهم أعداء السنن، أعيّتهم الأحاديث أن يحفظوها، فقالوا بالرأي، فضلوا وأضلوا. وقال: أيّاكم والمكانلة، قالوا: وماهي؟ قال: المقايسة (٥).

وقال ابن مسعود: يذهب فقهاؤكم وصلحاؤكم، ويتخذ الناس رؤساء جهالاً، يقيسون الأمور بأرائهم.

وقال الشعبي: ان أخذتم بالقياس أحللتهم الحرام وحرّمتهم الحلال.
وقال مسروق: لا أقيس شيئاً بشيء، أخاف أن تزلّ قدمي بعد ثبوتها، كلّ هذا نقل عنهم صاحب الصراط المستقيم (٦).

وفي كتاب الفردوس للدليمي، باسناده عن النبي ﷺ: يا عليّ أيّاك والرأي،

(١) فردوس الأخبار ٢: ٩٨ برقم: ٢١٧٦.

(٢) فردوس الأخبار ٢: ٩٧ برقم: ٢١٧٤.

(٣) المائدة: ٤٩.

(٤) الصراط المستقيم ٣: ٢٠٨.

(٥) الصراط المستقيم ٣: ٢٠٨.

(٦) الصراط المستقيم ٣: ٢٠٨.

فإن الدين من الله والرأي من الناس .

وفيه أيضاً بأسناده عن النبي ﷺ : يا أبا هريرة ان كنت وزير أمير أو مشير أمير أو داخلاً على أمير ، فلا تخالفن سنتي ولا سيرتي ، فإنه من خالف سنتي وسيرتي ، جيء به يوم القيامة تأخذه النار من كل مكان ثم يصير الى النار .

وان سلّمنا حصول الظنّ من القياس والاستحسان ، وجواز العمل بهما وبخبر الواحد ، فلا تفيء أيضاً بالأحكام ؛ لأنّ أحكام الله ممّا لا يعدّ ولا يحصى ، فكيف يكتفي بهذه الامارات المحصورة المحدوده عن الامام المؤيّد والعالم المسدّد ؟

وقد نقل عن ثاني خلفائهم واشتهر عنه أنّه مع كثرة صحبته وطول معاشرته للنبي ﷺ ، قال في عدّة مواطن اقراراً بالغلط : لولا عليّ هلك عمر (١) .

وقال : كلّ الناس أفتة من عمر حتّى المخدّرات في المجال (٢) ، لمّا منع المغالاة في الصداق .

وقس على ما أقرّ به من الأغلاط التي لم يقرّ بها ، وقد قطع أوّل خلفائهم يسار سارق ، وأحرق رجلاً ، وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك وقال : لا يعذب بالنار الا ربّ النار (٣) ولم يعرف الكلاله ، واضطرب في كثير من الأحكام ، وسيجيء ان شاء الله تفصيل بعض أغلاطهم نقلاً عن علمائهم .

ونقل العضيّ في شرح المختصر عن مالك ، أحد أئمّتهم الأربعة ، أنّه قد سئل عن أربعين مسألة ، فقال اعترافاً بالجهل : لا أدري في ستّ وثلاثين مسألة ، وقس عليه سائر أئمّتهم ومجتهدهم .

(١) راجع احقاق الحق ٨ : ١٨٢ - ١٩٣ و ١٧ : ٤٤٢ - ٤٤٤ .

(٢) سنن البيهقي ٧ : ٢٣٣ ، وجمع الزوائد ٤ : ٢٨٣ ، والظرائف ص ٤٧١ ، والصرط

المستقيم ٢ : ٣٠٥ .

(٣) الصراط المستقيم ٢ : ٣٠٥ .

فلابد للقرآن من مفسر مؤيد معصوم ، عالم بجميع ارادات الله ، وهو المعبر عنه بالامام ، وغير هذه الأئمة الاثني عشر لم يكن أحد متصفاً بهذه الصفة بالاجماع ، فثبت أنهم هم الأئمة المفسرون لكتاب الله تعالى ، العالمون بجميع مراداته .

وحاصل هذا الدليل : أن الأئمة متعبدة بالشرع ، مثل العبادات والعقود والمواريث وأحكام الجنائيات ، ولا ريب أن تفاصيل ما جاء الشرع في هذه الأقطاب الأربعة لا يعلم ضرورة بأدلة العقل ، والقياس والاستحسان ليسا بدليلين على ما ذكرناه ، وليس في نصوص الكتاب العزيز والسنة المقطوع بها ما يدل على التفصيل ، وكذا الاجماع من حيث أن عدمه ظاهر في أكثر الشريعة ؛ لوجود الاختلاف في مثل قوله تعالى ﴿ أقيموا الصلاة ﴾ ^(١) فنص على الصلاة ، ولم ينص في الكتاب ولا في السنة المقطوع بها ما يدل على تفصيلها المختلف فيه بين الأئمة .

وقوله ﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ﴾ ^(٢) واسم اليد يطلق على هذه الجارحة الى المنكب ، والى المرفق ، والى الزند ، والى أصول الأصابع ، يقول : كتبت بيدي ، أي : بأطراف أصابعه ، فبان أن اليد يطلق على كل واحد من هذه الغايات ، وقد أمر بقطع يد السارق ، فمن أي الغايات يقطع ؟ .

فيجب أن يكون في الأئمة معصوم مقطوع بعصمته ، مأمون الخطأ والزلل من جهته ، لرجع اليه في المسكوت عنه في الكتاب والسنة ، والآكانت الأئمة متعبدة بما لا يهتدى اليه ، وذلك تكليف بما لا يطاق ، وهو قبيح محال على الله ، ولم يكن غير الأئمة الاثني عشر متصفاً بالعصمة والاطلاع بجميع الأحكام بالاجماع ، فثبت امامتهم .

ان قيل : يلزم تكليف ما لا يطاق على تقدير وجود الامام المعصوم أيضاً اذا كان غائباً غير متمكن .

(١) البقرة: ٤٣ و ٨٣ و ١١٠ وغيرها .

(٢) المائدة: ٣٨ .

قلنا: ليس الأمر كما توهمت ، بل حال الرعيّة في زمن الغيبة كحال أهل مكّة في زمان اقامة النبي ﷺ في المدينة ، فأما حال الشيعة كحال المستضعفين الذين لم يكونوا قادرين على الهجرة الى المدينة خوفاً . وأما حال المخالفين كحال الذين كانوا قادرين على الهجرة ، وكانوا سبباً لمخروج النبي ﷺ الى المدينة .

فأما المستضعفون ، فلم يكن الواجب عليهم سوى العمل بما علموا ، والتوقف والاحتياط فيما لم يعملوا . وأما القادرون على الهجرة ، فكان الواجب عليهم العلم بجميع الأحكام والعمل بها ؛ لأنهم قادرين على الهجرة ، واستفادة العلم بالأحكام . وكذا حال المخالفين ؛ لأنهم قادرون على ازالة خوف الامام بتحصيل الاعتقاد الصحيح بالأدلة القاطعة ، وترك التقليد الموجب لاستتار الامام .

الدليل الثاني

[لا بدّ في كلّ زمان من امام معصوم مبين لكتاب الله تعالى]

انّ الله تعالى مدح كتابه بأنّ فيه تبيان كلّ شيء ، فعلمنا أنّه لا بدّ أن يكون في كلّ زمان امام مبين مؤيد معصوم ، عنده تبيان كلّ شيء ؛ لأنّه لا يجوز على الحكيم أن يترك كتاباً فيه ما يحتاج اليه يوم القيامة ، ويأمرنا بالتمسك به ، ويخبر أنّ كلّ قضية تحدث بعد النبي ﷺ الى يوم القيامة تبيانها في كتاب الله بغير مبين مؤيد معصوم .

وظاهر أنّ فوائد الكتاب لم تكن مخصوصة بزمن قليل ، وهو زمان النبي ﷺ ؛ لأنّه هدىّ لجميع المتّقين ، وشفاء ورحمة لجميع المؤمنين . ولا فرق بيننا وبين أهل زمانه ﷺ في أصل التكليف ، وهو من ضروريات الدين ، وتواتر عن النبي ﷺ الأمر بالعمل بكتاب الله والتمسك به ، مع أنّ أكثره مجملات متشابهات .

فعلمنا أنّه ﷺ لم يخرج من الدنيا الاّ بعد تعيين مفسّر لكتاب الله ، عارف بجميع أحكامه وأسراره ، قادر على تبيين متشابهاته ، وبالاجماع لم يكن أحد ممن ادّعى الامامة عنده تبيان كلّ شيء غير الأئمّة الاثني عشر .

فثبت أنهم هم الأئمة الهداة الراشدون ، المفسرون لكتاب الله ، وقد دلنا النبي ﷺ على المفسر بقوله « أني تارك »^(١) الحديث ، وبقوله « أنا مدينة العلم »^(٢) الحديث ، وبقوله « علي أقضاكم »^(٣) وقد أشار صاحب الشريعة الى دوام وجوده المفسر مع الكتاب بقوله « ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض » وسيجيء الحديث .

الدليل الثالث

[لابد من امام معصوم لفصل دعاوى بين الناس واقامة الحدود]

ان الله تعالى جعل من عمدة دينه اقامة الحدود ، من القتل والضرب وغيرهما ، وفصل دعاوى بين الناس ، وهذا لا يتحقق الاّ بنصب أمير مطاع عارف عادل غير جائر ، معين من قبل الله تعالى ؛ لأنّ الحكيم العليم لا يجوز أن يكل الأئمة الى أنفسهم ، ولا ينصب لهم أميراً يباشروهم نصب الخلفاء مع بقاء التكليف ، واراادته الاجتماع منهم ، والاتلاف وترك الافتراق والاختلاف ، وكونهم على الحقّ القويم والصراط المستقيم .

مع علمه تعالى بأنّ الغالب في الناس أهل الجهل والسفه ، وحبّ الدنيا الذي هو رأس كلّ خطيئة ، وهم لا يختارون ولا يريدون الاّ أمثالهم وأشباههم ، ويبغضون أهل الفضل والعلم والتقوى ، ولا يحبّون أتباعهم واقتفاء آثارهم ، ويلزم ثوران الفتنة ، بأن يختار كلّ طائفة اماماً ؛ لاختلاف دواعيهم ، فيؤول الأمر الى القتل والأسر والنهب ، كما وقع ليزيد وابن الزبير والوليد ، وأشباههم من بني أمية وبني العباس ، وفساد هؤلاء الفسّاق أشهر وأظهر من كفر ابليس .

(١) راجع : احقاق الحقّ ٩ : ٣٠٩ - ٣٧٥ .

(٢) راجع : احقاق الحقّ ٥ : ٤٦٩ - ٥٠١ .

(٣) راجع : احقاق الحقّ ٤ : ٣٢١ - ٣٢٣ .

ومن جملة قبائح امام المخالفين بالبيعة يزيد بن معاوية ، أنه قتل أحد سيدي شباب أهل الجنة صلوات الله عليه ، بعد ما منعه ومنع حريمه على يد عمر بن سعد من شرب ماء الفرات ، وقتل خواصه وجماعة من أهل بيته ، والحكاية مشهورة لا تحتاج الى البيان .

ومن أفعاله الشنيعة أنه نهب مدينة الرسول ﷺ على يد مسلم بن عقبة نائبه ، وسبى أهل المدينة ، وأخذ منهم البيعة على أنهم عبيد قنّ ليزيد بن معاوية ، وأباحها ثلاثة أيام ، حتى نقل عن جماعة من أهل التاريخ أنه ولد في تلك المدة أربعة آلاف مولود لا يعرف له أب .

قال صاحب حياة الحيوان : قال يزيد لمسلم بن عقبة ، واجعل طريقك الى المدينة ، فان حاربوك فحاربهم فأبجها ثلاثاً ، ثم فعل ما فعل بأهل المدينة من القتل والاباحة .

ومن جملة أعماله الشنيعة أنه أنفذ الحصين بن نمير السكوني لقتال عبد الله بن الزبير بمكة ، فرمى الكعبة بالحجارة ، وهتك حرمة حرم الله بعد هتك حرمة رسوله ، ذكره صاحب حياة الحيوان وغيره من أهل التاريخ ، وهذا الملعون الخبيث مع هذه الشناعة سيئة من سيئات أبيه معاوية .

ومن فضائح امامهم بالبيعة عبد الملك بن مروان ، أنه جعل الحجّاج السفّاك الذي تولّد مشوّهاً لا دبر له فتقبّ دبره - حاكماً على أهل العراق .

قال صاحب حياة الحيوان من علماء الشافعية : أنه كان لا يصبر عن سفك الدماء وكان يخبر عن نفسه أن أكبر لذّاته سفك الدماء ، وارتكاب أمور لا يقدر عليها غيره . ونقل عن ابن خلّكان والحافظ الذهبي وغيره ، أحصي من قتله الحجّاج صبراً سوى من قتل في حروبه ، فبلغ مائة ألف وعشرين ألفاً ، وقال : وكذا رواه الترمذي في جامعه : ومات في حبسه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة ، منهنّ ستّة عشر ألف مجرّدات ، وكان يجبس الرجال والنساء في موضع واحد ، وعرضت سجونه

فوجد فيها ثلاثة وثلاثين ألفاً لم يجب على أحدهم قطع ولا صلب .

وقال المحافظ ابن عساكر : أنّ سليمان بن عبد الملك أخرج من كان في سجن الحجاج من المظلومين ، ويقال : أنّه أخرج في يوم ثمانين ألفاً ، ويقال : أنّه أخرج من سجونه ثلاثمائة ألف .

ونقل عن ابن خلكان : لم يكن لسجنه سقف يستر الناس من الشمس في الصيف ، ولا من المطر في الشتاء ، بل كان مبنياً من الرخام ، وكان له غير ذلك من العذاب ، وقيل : أنّه سأل كاتبه يوماً ، فقال : كم عدّة من قتلنا في التهمة ؟ فقال : ثمانون ألفاً . ثمّ قال : روي أنّه ركب يوم جمعة ، فسمع ضجّة ، فقال : ما هذا ؟ فقيل : المحبوسون يضجّون ويشتكون ممّا هم فيه من العذاب والجوع ، فالتفت الى ناحيتهم وقال : اخسّوا فيها ولا يتكلّمون ، فاصلى جمعة بعدها .

ومن فضائح امامهم بالبيعة الوليد عليه اللعنة الى يوم الوعيد ، أنّه تفأل يوماً بالمصحف فخرج فآله ﴿ واستفتحوا وخاب كلّ جبّار عنيد ﴾^(١) فرمى المصحف وأمر أن يجعل هدفاً فرماه بالنشاب ، وأنشد يقول :

تهدّدني بجبّار عنيد	فها أنا ذاك جبّار عنيد
إذا ما جئت ربك يوم حشر	فقل يا ربّ مزّقني الوليد

قال صاحب حياة الحيوان : قال المحافظ ابن عساكر وغيره : انهمك الوليد في شرب الخمر ، ورفض الآخرة وراء ظهره ، وأقبل على القصف واللهو والتلذذ مع الندماء والمغنيين ، وكان يضرب بالعود ، ويوقع بالطل ، ويمشي بالدفّ ، قد انتهك محارم الله حتى قيل له الفاسق .

يقال : أنّه واقع جارية وهو سكران ، وجاء المؤذّنون يؤذّنون بالصلاة ، فحلف أن لا يصلي بالناس الآهي ، فلبست ثيابه وتكرّرت وصلت بالناس وهي جنبه

سكرى. وقيل: أنه اصطنع بركة من خمر واذا طرب ألقى نفسه فيها.
وقس على هؤلاء الزنادقة سائر أمتهم البغاة الظالمين من الأمويين والعباسيين ،
حشر الله أوليائهم معهم يوم الدين ، وقد بشرهم الله تعالى بقوله ﴿ يوم ندعو كل
أناس بأمامهم ﴾ (١) الحمد لله رب العالمين .

ولا ريب أن ما يستلزم مثل هذا الفساد العظيم لا يليق بالحكمة ، وكيف يجوز
عاقل أن يخرج سيد المرسلين من دار الدنيا بغير تعيين خليفة ، ويدع الناس مهملين
ضايعين ؟ مع أنه ﷺ لم يخرج الى غزوة ولم يسافر الى قرية الاّ ونصب خليفة على
المدينة ، ولم يدع سرية ولا قرية قطّ بغير أمير ، ولا شك أن احتياج الناس الى
الأمير بعد وفاته أشدّ من احتياجهم في غيبته .

فثبت وجوب تعيين الامام على الله تعالى ورسوله ، وغير هؤلاء الأئمة الاثني
عشر ﷺ لم يكن أحد معيّناً من قبل الله ورسوله بالاجماع ، فثبت أنهم هم الأئمة
المعيّنون للامامة .

الدليل الرابع

[دلالة آية الاكمال على تعيين الخليفة والامام]

قوله تعالى ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم
الاسلام ديناً ﴾ (٢) لأن مقتضى الآية أن النبي ﷺ لم يخرج من الدنيا الاّ بعد اكمال
الدين واتمام النعمة .

ولا ريب أن كلّ قضية تقع الى انقضاء التكليف حكمها من الدين ، ولا ريب أن
من القضايا ما وقعت في زمنه ﷺ وتعلّمها الناس ، ومنها ما لم تقع ولم يرها الناس

(١) الاسراء : ٧١ .

(٢) المائدة : ٣ .

ولم يسألوا عنه ، بل نعلم قطعاً على استحالة تحمّل الانسان بالقوّة البشريّة جميع الأحكام .

فلابدّ من امام عالم ربّانيّ مؤيّد حافظ لجميع أحكام القضايا في كلّ زمان الى يوم القيامة ؛ لئلاّ يكون الله كاذباً في اخباره ، ولم يكن أحد ممّن ادّعى الامامة متّصفاً بما ذكرناه غير الأئمّة الاثني عشر ، فثبت امامتهم عليهم السلام .

الدليل الخامس

[تواتر النصّ على الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام]

انه تواتر عن النبي صلى الله عليه وآله انه نصّ على علي عليه السلام ، وعنه على الحسن ، وعن الحسن على الحسين ، وهكذا الى قائمنا الحجّة صلوات الله عليهم ، ورواه الشيعة مع كثرتهم في كلّ زمان وانتشارهم وتفرّق بلادهم ، والعقل حاكم بعدم الداعي على توأمتهم على مثل هذا الأمر ؛ لانتشار بلادهم ، وتباعد أوطانهم ، وشوكة عدوّهم ، وضعف حالهم .

الدليل السادس

[اتّفاق الأئمّة على عدالة الأئمّة الاثني عشر وسعة علمهم وقدرهم]

انّ الأئمّة متّفقون على عدالة الأئمّة الاثني عشر ، وعلوّ قدرهم وطهارتهم ، وقد ثبت بلا شكّ معرفتهم عليهم السلام لكثير ممّن يعتقد امامتهم ، ويدين الله تعالى بعصمتهم والنصّ عليهم ، ويشهد بالعجز لهم . وصحّ اختصاص هؤلاء بهم ، وملازمتهم ايّاهم عليهم السلام ونقلهم العلوم والأحكام عنهم ، وحملهم الزكوات والأخماس اليهم ، ومن أنكر هذا ودفع كان مكابراً دافعاً للعيان ، بعيداً عن معرفة أخبارهم .

وقد علم كلّ محصّل نظر في الأخبار أنّ هشام بن الحكم ، وأبا بصير ، وزرارة بن أعين ، وبكير بن أعين ، ومحمّد بن النعمان مؤمن الطاق الذي يلقّب العامة شيطان

الطاق ، ويريد بن معاوية ، وأمثالهم من أهل العراق والحجاز وخراسان وفارس ، وكانوا في وقت جعفر بن محمد عليه السلام ، وهم رؤساء الشيعة في الفقه والأحكام ورواية الحديث ، وقد صنفوا الكتب ، وجمعوا المسائل والروايات ، وأضافوا أكثر ما اعتمدوه من الرواية اليه والى أبيه محمد بن علي عليه السلام .

وكان لكلّ انسان منهم أتباع وتلامذة في المعنى الذي يتفرّد به ، وأنهم كانوا يرحلون من العراق الى الحجاز ، ثم يرجعون ويحكون عنه الأقوال ، ويسندون اليه الدلالات ، وكانت حالهم في وقت الكاظم والرضا عليه السلام على هذه الصفة ، وكذلك الى أبي محمد العسكري عليه السلام .

وإذا كان الأمر على ما ذكرناه ، لم تخل الامامية في شهادتها بامامة هؤلاء بالنص: إمّا أن تكون صادقة محقّة في نقل النصّ عليهم ، فقد ثبت المطلوب . وان كانت كاذبة في شهادتها ، يلزم أن يكون من سميّناهم من أئمة الهدى عليهم السلام ضالّين برضاهم بذلك ، فاسقين بترك النكير عليهم ، مستحقّين للبراءة من حيث تولّوا الكذابين ، مضلّين للأمة لتقويتهم ايّاهم ، واختصاصهم من بين الفرق كلّها ، ظالمين في أخذ الزكوات والأخماس عنهم ، وهذا باطل ؛ لثبوت طهارتهم وعدالتهم وعلوّ درجاتهم بالاجماع والاتّفاق .

الدليل السابع

[تنصيب الرسول صلى الله عليه وآله على أن الخلفاء بعده اثنا عشر]

أخبر النبي صلى الله عليه وآله بأن يكون بعده اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش ، وفي بعض الأخبار: اثنا عشر أميراً كلّهم من قريش .

ولا يخفى أنّ هذه رواية رواها العامّة في صحاحهم بعدّة طرق ، وعدّوها من الصحاح ، تسخيراً من الله سبحانه ، مع بغضهم وعداوتهم للامامية الاتني عشرية ، وقد ورد هذا المعنى في كتب المخالف في عدّة أحاديث :

منها: في صحيح البخاري حديث واحد، وفي صحيح مسلم أحد عشر حديثاً، وفي تفسير التلبي ثلاثة أحاديث، وفي الجمع بين الصحيحين للحميدي سبعة أحاديث، وفي الجمع بين الصحاح الستة لرزين العبدري حديثان (١).

وقد ورد في مسند أحمد بن حنبل في المجلد الثالث من مسند عبد الله بن مسعود عن مسروق بهذه العبارة، قال: كنا مع عبد الله جلوساً في المسجد يقرؤنا، فأتاه رجل فقال: يا بن مسعود هل حدثكم نبيكم كم يكون من بعده خليفة؟ قال: نعم كعدّة نعباء بني اسرائيل (٢).

وقد نقل الشيخ الجليل أبو الفتح محمد بن علي الكراجكي، عن علماء العامة عدّة أحاديث:

منها: ما رواه محمد بن عثمان الدهني، وعثمان بن أبي شيبة، وابن سعيد الأشج، وأبو كريب، ومحمد بن عجلان (٣)، وعلي بن محمد، وإبراهيم بن سعيد باسنادهم عن مسروق، قال: كنا عند ابن مسعود، فقال له رجل: أحدثكم نبيكم كم يكون بعده من الخلفاء؟ فقال له عبد الله: نعم، وما سألتني عنها أحد قبلك، وأنك لأحدث القوم سنّاً، سمعته عليه السلام يقول: يكون بعدي من الخلفاء عدّة نعباء بني اسرائيل، اثني عشر خليفة كلّهم من قريش. وروى هذا الحديث أيضاً عن أبي أسامة باسناده عن قيس بن عبد الله، عن عبد الله بن مسعود.

وروى أيضاً هذا الحديث عن حماد بن زيد، باسناده عن مسروق، وزاد فيه: كنا جلوساً عند عبد الله يقرؤنا القرآن، فقال له: يا أبا عبد الرحمن هل سألتم

(١) راجع مصادر هذه الأحاديث الى كتاب احقاق الحق ١٣: ١ - ٤٨، والظرائف ص

١٦٨ - ١٧١، والصرائط المستقيم ٢: ١٠٠.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ١: ٤٠٦ و ٣٩٨.

(٣) في البحار: محمود بن غيلان.

رسول الله ﷺ كم يملك أمر هذه الأمة خليفة من بعده؟ فقال له عبد الله: ما سألتني أحد منذ قدمت العراق، وسألنا رسول الله ﷺ فقال: اثني عشر عدّة نقباء بني اسرائيل (١).

ومنها: ما رواه عن عبد الله بن أمية، باسناده عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: لن يزال هذا الدين قائماً الى اثني عشر من قريش، فاذا مضوا ساخت الأرض بأهلها (٢).

ومنها: ما رواه عن أبي بكر بن خيشمة، باسناده عن الأُسعد (٣) بن سعيد الهمداني، قال: سمعت جابر بن سمرة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يكون بعدي اثنا عشر خليفة كلهم من قريش، فقالوا له: ثمّ يكون ماذا؟ قال: الهرج (٤).

ومنها: ما رواه عن سليمان بن أحمد، باسناده عن جابر بن سمرة، وهو قريب في المعنى من الحديث المنقول عنه آنفاً (٥).

ومنها: ما رواه عن سهل بن حمّاد، باسناده عن عون بن أبي جحيفة، عن أبيه، قال: كنّا عند رسول الله ﷺ وهو يخطب وعمر جالس بين يديه، فقال رسول الله ﷺ: لا يزال أمر أمّتي صالحاً حتى يمضي اثنا عشر خليفة كلهم من قريش (٦).

ومنها: ما رواه عن الليث باسناده عن ربيعة بن يوسف، قال: كنّا عند شقيق الأصبحي، فقال: سمعت عبد الله بن عمر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

(١) بحار الأنوار ٣٦: ٢٣٣ - ٢٣٤ ح ١٦ - ١٨.

(٢) بحار الأنوار ٣٦: ٢٦٧ - ٢٦٨.

(٣) في البحار: الأسود.

(٤) بحار الأنوار ٣٦: ٢٦٨ ح ٨٨.

(٥) بحار الأنوار ٣٦: ٢٩٩ ح ١٣٣.

(٦) بحار الأنوار ٣٦: ٢٩٩ ح ١٣٤.

يكون بعدي اثنا عشر خليفة^(١).

ووجه دلالة هذه الأحاديث الدالة على انحصار الأئمة في الاثني عشر، أن النبي ﷺ قد أخبر بافتراق أمته بعده، وأن الناجية منه فرقة واحدة، وقد رواه الخاصة والعامة، ولا نجد في فرق الأمة فرقة قالت بانحصار الأئمة في الاثني عشر غير الشيعة الامامية، فعلمنا أنهم هم الفرقة الناجية، وأئمتهم الاثني عشر هم الأئمة المحقة الموعودة.

وقد روى السدي من قدماء المفسرين: أنهم من ذرية رسول الله ﷺ، قال في تفسيره: لما كرهت ساره مكان هاجر أوحى الله الى ابراهيم الخليل عليه السلام، فقال: انطلق باسمايل وأمه حتى تنزله^(٢) بيتي التهامي، يعني مكة، فاني ناشر ذريته، وجاعلهم ثقلاً على من كفر بي، وجاعل منهم نبياً عظيماً، ومظهره على الأديان، وجاعل من ذريته اثني عشر عظيماً، وجاعلاً ذريته عدد نجوم السماء^(٣).

وقد وقع التصريح بأسماء أئمتنا عليهم السلام في عدة أحاديث من أخبار المخالفين.

منها: ما رواه المسمى عندهم صدر الأئمة أخطب خوارزم موفق بن أحمد المكي في كتابه، عن أبي سليمان، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ليلة أُسري بي الى السماء، قال لي الجليل جلّ جلاله: ﴿ آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه ﴾ فقلت: ﴿ والمؤمنون ﴾ قال: صدقت يا محمد، من خلقت في أمتك؟ قلت: خيرها، قال: علي بن أبي طالب؟ قلت: نعم يا رب.

قال يا محمد اني اطّلت على الأرض الطلعة، فاخترتك منها، فشققك لك إسماً من أسماي، فلا أذكر في موضع الآذرت معي، فأنا المحمود وأنت محمد، ثم اطّلت

(١) بحار الأنوار ٣٦: ٣٠٠ ح ١٣٥.

(٢) في «ق»: أنزله.

(٣) الطرائف ص ١٧٢ عنه، واحقاق الحق ٧: ٤٧٨ عنه، وبحار الانوار ٣٦: ٢١٤.

الثانية، فاخترت منها علياً، وشققت له إسماً من أسامي، فأنا الأعلى وهو علي، يا محمد أتى خلقتك وخلقيت علياً وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ولده من شيع نور من نوري، وعرضت ولايتكم على أهل السماوات والأرض، فمن قبلها كان عندي من المؤمنين، ومن جردها كان عندي من الكافرين، يا محمد لو أن عبداً من عبادي عبدني حتى ينقطع أو يصير كالشنّ البالي، ثم أتاني جاحداً لولايتكم ما غفرت له حتى يقرّ بولايتكم.

يا محمد تحب أن تراهم؟ قلت: نعم يا رب، فقال: التفت عن يمين العرش، فالتفت، فإذا بعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين، وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، وموسى بن جعفر، وعلي بن موسى، ومحمد بن علي، وعلي بن محمد، والحسن بن علي، والمهدي، في ضحاح من نور قيام يصلون، وهو في وسطهم، يعني المهدي، كأنه كوكب دري، وقال: يا محمد هؤلاء الحجج، وهذا الثائر من عترتك، يا محمد بعزّي وجلالي أنه الحجّة الواجبة لأوليائي، والمنتقم من أعدائي^(١).

وبالاسناد عن سعيد بن بشير، عن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله أنا واردمكم على الحوض، وأنت علي الساقى، والحسن الذائد، والحسين الأمر، وعلي بن الحسين القابض^(٢)، ومحمد بن علي الناشر، وجعفر بن محمد السائق، وموسى بن جعفر محصي المحبين والمبغضين وقامع المنافيين، وعلي بن موسى مزين المؤمنين، ومحمد بن علي منزل أهل الجنة في درجاتهم، وعلي بن محمد خطيب شيعته، ومزوجهم الحور العين، والحسن بن علي سراج أهل الجنة

(١) الطرائف ص ١٧٢ - ١٧٣ عن الخوارزمي، وينايع المودّة ٣: ١٦٠ ط بيروت عنه.

(٢) في الطرائف: الفارط، وفي الصراط: الفارس.

يستضيئون به ، والمهدي شفيعهم يوم القيامة حيث لا يأذن إلا لمن شاء ويرضى (١) .
 ونقل هذا الحديث صاحب الصراط المستقيم ، ثم قال : ورواه أيضاً الشيخ
 الفاضل محمد بن أحمد بن شاذان مسنداً الى علي عليه السلام ، وأسد نحوه الأعمش وسعيد
 بن قيس ، عن النبي ﷺ . وأسد البغوي الى ابن عمر قول النبي ﷺ : يا علي أنا
 نذير أمتي ، وأنت هاديها ، والحسن قائدها ، والحسين سائقها (٢) ، وعلي بن الحسين
 جامعها ، ومحمد بن علي عارفها ، وجعفر بن محمد كاتبها ، وموسى بن جعفر محصيها ،
 وعلي بن موسى معبرها ومنجيها ، وطارد مبغضيها ، ومدني مؤمنيا ، ومحمد بن علي
 قائدها وسائقها ، وعلي بن محمد ساترها وعالمها ، والحسن بن علي مناديا
 ومعطيها ، والقائم الخلف ناشدها وشاهدها ، ان في ذلك لآيات للمتوسمين .

وأسنده ابن حنبل ، عن ابن عمر بأربعة وثلاثين طريقاً . انتهى ما ذكره في
 الصراط المستقيم (٣) .

وبالاسناد عن سلمان المحمدي ، قال : دخلت على النبي ﷺ واذا الحسين بن
 علي على فخذه ، وهو يقبل عينيه ويلثم فاه ، ويقول : أنت سيد وابن سيد ، وأبو
 السادة ، أنت امام ابن امام أبو الائمة ، أنت حجة ابن حجة أبو الحجج ، تسعة من
 صلبك تاسعهم قائمهم (٤) .

وقد روى هذا الحديث الطبري من علمائنا ، عن عماد الدين شفروة الحنفي في
 كتاب تناقضات أخبار البخاري ، وكذا الحديث الأوّل الذي رواه أخطب عن أبي
 سليمان .

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ص ٩٤ ، والطرائف ص ١٧٤ .

(٢) في الصراط : سابقها .

(٣) الصراط المستقيم ٢ : ١٥٠ .

(٤) الصراط المستقيم ٢ : ١١٩ ، والطرائف ص ١٧٤ .

وقد قال صاحب المقتضب : من أعجب الروايات في أعداد الأئمة وأسمائهم من طريق المخالفين ، ما أسنده عبد الصمد بن مكرم الطشتي ، الى داود بن كثير الرقي ، قال : دخلت على الصادق عليه السلام ، فقال : ما أبطأك يا داود ؟ قلت : عرض لي حاجة بالكوفة ، قال : ما رأيت بها ؟ قلت : عمك زيدا يدعو الى نفسه ، قال : يا سبعة ائتني بتلك الصحيفة ، فجاءه فدفعها اليّ .

قال : هذه مما أخرج الينا أهل البيت عليهم السلام يرثه كابر عن كابر من لدن رسول الله ﷺ فقراءتها ، فاذا فيها سطران : الأول : لا اله الا الله ، محمد رسول الله . والثاني : ﴿ انّ عدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم ﴾ (١) علي بن أبي طالب ، والحسن ، والحسين ، وعلي بن الحسين ، ومحمد بن علي ، وجعفر بن محمد ، وموسى بن جعفر ، وعلي بن موسى ، ومحمد بن علي ، وعلي بن محمد ، والحسن بن علي ، والخلف منهم الحجّة لله . يا داود أتدري أين كان ؟ ومتى كان مكتوباً ؟ قلت : الله أعلم ورسوله وأتم ، فقال : قبل خلق آدم بألفي عام ، فأين يتاه يزيد ويذهب به ، انّ أشدّ الناس لنا عداوة وحسداً الأقرب الينا فالأقرب (٢) .

ذكر صاحب الطرائف بعد ما أورد بعض ما أوردناه : ورأيت أيضاً كتاباً تصنيف رجال الأربعة المذاهب ، اسم التصنيف « تاريخ أهل البيت من آل رسول الله ﷺ » رواية نصر بن الجهضمي ، يتضمّن تسمية الاثني عشر من آل محمد ﷺ ، قال : ورأيت كتاباً آخر من تصانيفهم ، وترجمة الكتاب « تاريخ مواليد ووفاة أهل البيت وأين دفنوا » رواية ابن خشّاب النحوي الحنبلي ، يتضمّن تسمية الاثني عشر . وقال : انّ محمد بن عبد الله بن عياش صنّف كتاباً سماه « مقتضب الأثر في امامة

(١) التوبة : ٣٦ .

(٢) الصراط المستقيم ٢ : ١٥٧ - ١٥٨ .

الاثني عشر» وهو نحو من أربعين ورقة، فيها أحاديث عن النبي ﷺ في امامة الاثني عشر من قريش بأسمائهم عن رجال الأربعة المذاهب^(١).

وكذا أخبر عن الكتاب المذكور غير صاحب الطرائف من ثقات العلماء، وأما اقتصرنا على الأحاديث الواردة من طريق المخالف ليكون حجة عليهم.

وأما الأحاديث الواردة من طريق الامامية، فهي متجاوزة حدّ التواتر، وقد روى ثقة الاسلام محمد بن يعقوب في الكافي عدّة أحاديث^(٢)، والصدوق محمد بن علي بن بابويه في كتاب اكمال الدين واتمام النعمة عدّة أحاديث^(٣)، وكذا في كتاب عيون أخبار الرضا^(٤)، والشيخ العلامة أبو علي الطبرسي في كتاب اعلام الوري أكثر من عشرين حديثاً^(٥)، والصدوق له كتاب في النصوص على الاثني عشر^(٦).

وبعض فضلاء الرواة صنّف كتاباً مفرداً في نقل الصحابة والتابعين النصوص على امامة الأئمة المعصومين الاثني عشر، والمروي عنه في هذا الكتاب من الصحابة من الرجال: عبد الله بن مسعود، وأبو سعيد الخدري، وأبو ذرّ الغفاري، وسلمان الفارسي، وجابر بن سمرة، وجابر بن عبد الله، وأنس بن مالك، وأبو هريرة، وعمر بن الخطّاب، وزيد بن ثابت، وزيد بن أرقم، وأبو أمامة، ووائلثة بن الأسقع، وأبو أيوب الأنصاري، وعمار بن ياسر، وحذيفة بن أسيد، وعمر بن الحسين، وسعد بن مالك، وحذيفة بن اليمان، وأبو قتادة الأنصاري، وعلي بن أبي طالب عليه السلام.

(١) الطرائف في معرفة المذاهب ص ١٧٢ و ١٧٥، المطبوع بتحقيقنا سنة ١٣٩٩ هـ ق.

(٢) أصول الكافي ١: ٥٢٥ - ٥٣٤.

(٣) اكمال الدين ص ٢٥٦ - ٢٨٥.

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٤٠ - ٦٨.

(٥) اعلام الوري ص ٣٦٢ - ٣٨٦.

(٦) لم نثر على هذا الكتاب، ولم يثبت عندي صحّة انتساب هذا الكتاب الى الصدوق، ولعلّه كتاب كفاية الأثر لابن الخزاز.

والحسن والحسين عليهما السلام. ومن النساء : عائشة ، وأم سلمة ، وفاطمة ^(١).

وغير خفي على المتتبع أن لأصحابنا رضوان الله عليهم كتب كثيرة مشتملة على النصوص على امامة الاثني عشر عليهم السلام ، فمن رام مشاهدة النصوص مفصلاً ، فعليه مراجعة الكتب المشتملة عليه ، وكتابتنا الموسوم بالمقالات العالية في بيان الفرقة الناجية .

ومما يؤيد ما أوردناه من الأخبار ما ورد في السفر الأول من التوراة من البشارة لابراهيم عليه السلام في قبول دعائه في حق اسماعيل ، وهذه عبارة التوراة : وليشما عيل شمعيثا هنيه برختي اوتو وهفريقي اوتو وهريبيتي اوتو بماد ماد شينم عاسار نسي ام يوليدون نتبتو لكوي كادول . وهذه ترجمته : وفي اسماعيل سمعت دعاءك ها أنا باركته وأثمرته وكثرته بعظيم عظيم واثنى عشر شريفاً يولدون منه ، وأعطيته لقوم عظيم ^(٢).

واعلم أن اللغة العبرية والعربية متقاربان ، قوله « وليشما عيل » بمنزلة « ولاسما عيل » و « شمعيثا » بمنزلة « سمعتك » وخاء في العبرية بمنزلة كاف الخطاب « هنيه » بمنزلة « ها أنا » « برختي » للمتكلم وحده بمنزلة « باركت » « أتوا » ضمير للمغائب و « هفريقي وهريبيتي » أيضاً للمتكلم وحده .

وذكر بعض علماء بني اسرائيل بعد اسلامه في رسالته في بشارات الله وأنبيائه بمجيء نبينا صلوات الله عليه وآله : أن العلماء المفسرين للعبرانية اختلفوا في تفسير بماد ماد ، فمنهم من فسره بأحمد أحمد ، ومنهم من فسره بعظيم عظيم ، ومنهم من قال : أنه بمعنى جداً جداً.

(١) الصراط المستقيم ٢ : ١١٢ .

(٢) بحار الانوار ٣٦ : ٢١٤ مع اختلاف يسير في الأصل والترجمة ، والصراط المستقيم ٢ :

« شينم عاسار » بمنزلة اثني عشر « نسيام » جمع ناسي بمعنى الشريف ، وعلامة الجمع في العبرانية الميم ونون « نتبتو » كأنه بمنزلة أتيتته « لكوي » بمنزلة القوم « كادول » بمعنى كبير .

قال الشيخ الجليل أبو الفتح محمد بن علي الكراجكي في وجه الدلالة بهذه العبارة: وهذا نصّ واضح على ساداتنا صلوات الله عليهم ، وابانة عن تشريف منزلتهم وعلوّ قدرهم ؛ لأنّ رتبة التعظيم والتشريف المخصوصة بهذه العدة المنصوصة غير موجودة إلاّ في ساداتنا من بين جميع ولد اسماعيل ، ولا نعلم اثني عشر يدعون ذلك في أنفسهم ولا يدّعي لهم سواهم ، فان لم يكونوا هم المعنّيين بذلك لم يكن للوعد انجاز ولا للبشارة ثمرة ، والله متعال أن يخلف وعده أو يبشّر خليله ﷺ بما لا يفعل .

ومما يؤيد الأخبار أيضاً ما أورده الشيخ الجليل أبو الفتح محمد بن علي الكراجكي في الاستنصار من حكاية قسّ بن ساعدة ، وكان سبط من أسباط العرب ، متقدماً حكماً ، وواعظاً محسناً ، وخطيباً لسناً ، ذا عمر طويل ، ورأي أصيل ، قد أدرك العلماء المتقدّمين ، وشاهد الحواريّين ، والحكاية طويلة ، ولكن لسقم النسخة نحن نقصر ببعضها .

روى الشيخ الجليل المذكور ، باسناده عن أبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، باسناده عن الجارود بن المنذر العبدي ، وكان نصرانياً فأسلم عام الحديبية ، وحسن اسلامه ، وكان قارئاً للكتب ، عالماً بتأويلها ، بصيراً بالفلسفة والطبّ .

وحاصل الحكاية : أنّ الجارود أتى في رجال من عبد القيس الى النبي ﷺ ، فراعهم منظره ﷺ ، فأحصرهم عن الكلام ، فتقدّم الجارود اليه وسلّم عليه ، وأنشد شعراً مشتملاً على الثناء على النبي ﷺ من جملتها هذا البيت :

أنبا الأولون باسمك فينا وبأسماء بعده تتللا

ثم مضى في حديثه ، الى أن قال رسول الله ﷺ : أفيكم من يعرف قسّ بن

ساعده الأيادي ؟ فقال الجارود : كلنا يا رسول الله نعرفه ، ونعت حكمته وعظاته من نظمه ونثره ، الى أن قال : كان قس يا رسول الله ينتظر زمانك ، ويهتف باسمك وأبيك وأُمَّك ، وبأسماء لست أحسنها معك ، ولا أراها في من أتبعك .

قال الجارود : فقال لي سلمان الفارسي : أخبرنا ، فأنشأت أحدثهم ورسول الله مستبشر يسمع والقوم سامعون واعون ، فقلت : يا رسول الله لقد شهدت قساً وقد خرج من ناد من أندية أيد الى قوله : الى صحصح ذي قتاد ، فوقف رافعاً الى السماء وجهه ، فدنوت منه ، فسمعتة يقول : اللهم رب هذه السبعة الأربعة ، والأرضين المربعة ، بمحمد والثلاثة المحامدة معه ، والعليين الأربعة ، ووسطيه النبعة الأربعة ، والسري الأربعة ، وسمي الكليم الضرعة ، والحسن ذي الرفعة ، أولئك النقباء الشفعة ، والطريق المهيعة ، درسة الانجيل ، وحفظة التأويل ، على عدد النقباء من بني اسرائيل ، محاة الأضليل ، نفاة الأباطيل ، الصادقوا القليل ، عليهم تقوم الساعة ، وبهم تنال الشفاعة ، ولهم من الله فرض الطاعة ، ثم قال : اللهم لقي مدركهم ولو بعد الآتي من عمري ، ثم نقل عنه آياتاً من جملتها :

أقسم قس قسماً	ليس به مكتماً
لو عاش ألني عمر	لم يبق منها سأمأ
حتى يلاقي أحماً	والنقباء النجباء
هم أوصياء أحمد	أكرم من تحت السما
ذرية من فاطمة	أكرم بها من فطما
يعمي العباد عنهم	وهم جلاء للعمي
لست بناس ذكرهم	حتى أحلّ الرجا

قال الجارود : ثم قلت : يا رسول الله أنبأني بأك الله بخير ما هذه الأسماء التي لم نشهداها وأشهدنا قس ذكرها ؟ فقال رسول الله ﷺ : يا جارود ليلة أُسري بي الى السماء أوحى الله عزوجل اليّ : أن أسأل من أرسلنا من رسلنا على ما بعثوا ؟ فقلت :

على ما بعثتم؟ قالوا: على نبوتك وولاية علي بن أبي طالب والأئمة منكما، ثم عرّفني الله بعدتهم وبأسمائهم، وذكرهم رسول الله ﷺ للجارود واحداً واحداً الى المهدي صلوات الله عليهم، وقال له، قال ربّي تبارك وتعالى: هؤلاء أوليائي، وهذا المنتقم من أعدائي، يعني المهدي عليه السلام.

فقال لي سلمان: يا جارود هؤلاء المذكورون في التوراة والانجيل والزبور والفرقان، فانصرفت بقومي وأنا أقول، ثم ذكر أبياتاً له مشتملة على مناقبه ﷺ (١).

وقد نقل هذه الحكاية علي بن محمد بن يونس في الصراط المستقيم بأدنى تغيير، وقال: أسنده محمد بن لاحق بن سابق من طريق العامة الى الجارود العبدي (٢).

وقال أيضاً في الصراط المستقيم: أن أسند الشيخ العالم أحمد بن عيّاش أن عبد الملك بن مروان بعث اليه عامله على المغرب، بلغني أنّ مدينة من صفر بمفازة من الأندلس بناها الجنّ لسليمان بن داود، وأودعها الكنوز، وأنّ الاسكندر استعدّ عاما كاملاً للخروج اليها، فأخبر بمواقع دونها لبعده مسافتها وصعوبتها، وأنّ أحداً لم يهّم بها إلا قصر عنها.

فكتب عبد الملك الى عامله: أنّك تكثّر من الأزواد، فتخرج اليها، ففعل وبلغها، وكتب الى عبد الملك بأمرها، وفي آخر كتابه: رأيت عند سورها كتابة بالعبريّة، فقرأتها وأمرت بنسخها، ثمّ نقل أبياتها، من جملتها هذه الأبيات:

حتى إذا ولدت عدنان صاحبها	من هاشم كان منها خير مولود
وخصّه الله بالآيات منبعتاً	الى الخليقة منها البيض والسود
له مقاليد أهل الأرض قاطبة	والأوصياء له أهل المقاليد

(١) كثر الفوائد للكراچكي ٢: ١٣٦ - ١٣٨، ومقتضب الأثر ص ٣٦ - ٣٧.

(٢) الصراط المستقيم ٢: ٢٣٩.

هم الخلائف اثنا عشرة حجج من بعده أوصياء السادة الصيد حتى يقوم بأمر الله قائلهم من السماء اذا ما باسمه نودي فلما قرأ عبد الملك الكتاب قال للزهري : هل علمت من المنادي باسمه ؟ قال الزهري : اله عن هذا ، قال : قل ساءني ذلك أم سرّني ، قال : هو المهدي من ولد فاطمة (١).

ثمّ اعلم أنّ المخالفين قد تحيّرُوا في تأويل الأخبار الصحيحة المشتملة على ذكر الخلفاء الاثني عشر . نقل صاحب الصراط المستقيم عن كتاب فصل الخطاب وتاريخ بغداد للشيخ جلال الدين السيوطي ، أنّ المراد بالاثني عشر الثلاثة وأمير المؤمنين والحسن وسبعة من بني أمية .

ولا ريب أنّه كفر وعناد وخروج عن منهج السداد ؛ لأنهم لا يطلقون اسم الخليفة الا على الأربعة ، بموجب حديث ملك غصوض ، وأيضاً أيّ مسلم يقول بامامة يزيد الخمار ، ووليد بن يزيد الزنديق الثاني عشر من خلفاء بني أمية ، وان لم يراعوا الترتيب ، وانتخبوا سبعة من بني أمية وبني العباس ، فهو أشنع ، كما لا يخفى على أهل البصيرة .

الدليل الثامن

[حديث الثقلين]

ما تواتر عن النبي ﷺ : أنّي تارك فيكم ما ان تمسّكتم به لن تضلّوا أبداً ، كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض . وقد رواها الخاصة والعامة بعبارات مختلفة وأسانيد متعدّدة (٢) .

(١) الصراط المستقيم ٢ : ١٣٥ - ١٣٦ .

(٢) راجع : احقاق الحق ٩ : ٣٠٩ - ٣٧٥ و ١٨ : ٢٦١ - ٢٨٩ .

ووجه الدلالة : أن مقتضى الحديث أنه في كلِّ زمان الى يوم القيامة عالم ربانيّ معصوم من عترة الرسول ﷺ ، صالح لهداية كلِّ من عاصره من العلماء والعباد والزهاد ، بحيث من تمسك به من هؤلاء في الأقوال والأعمال يكون آمناً من الجهل والضلال ، ولم نجد فرقة من فرق المسلمين قالت بوجود امام من العترة موصوف بما ذكرناه في كلِّ زمان الى يوم القيامة الا الشيعة الامامية ، فعرفنا أنهم هم الفرقة الناجية ، وأمتهم الاثني عشر صلوات الله عليهم هم الأئمة الهادية التي تركهم النبي ﷺ مع الكتاب ، ولا يفترقان أبداً الى يوم الحساب .

وفي مسند أحمد بن حنبل باسناده عن علي بن ربيعة ، قال : لقيت زيد بن أرقم وهو داخل على المختار أو خارج من عنده ، فقلت له : سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول : واني تارك فيكم الثقلين ؟ قال : نعم (١) .

وفيه أيضاً باسناده عن عطية العوفي ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : اني قد تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي ، أحدهما أكبر من الآخر ، كتاب الله عزوجل ، حبل ممدود من السماء الى الأرض ، وعتري أهل بيتي ، ألا وانها لن يفترقا حتى يردا علي الحوض . قال أبو نير : قال بعض أصحابنا عن الأعمش : قال : أنظروا كيف تخلفوني فيها (٢) .

وفيه أيضاً باسناده عن القاسم بن حسان ، عن زيد بن ثابت ، قال : قال رسول الله ﷺ : اني تارك فيكم خليفتين : كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض ، أو ما بين السماء الى الأرض ، وعتري أهل بيتي ، وانها لن يفترقا حتى يردا علي الحوض (٣) .

(١) مسند أحمد بن حنبل ٤ : ٣٧١ .

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٣ : ٢٦ ، وفضائل الصحابة لأحمد ٢ : ٥٨٥ برقم : ٩٩٠ .

(٣) مسند أحمد بن حنبل ٥ : ١٨١ .

وفي صحيح مسلم في الجزء الرابع ، باسناده عن زيد بن أرقم حديث من جملتها ، قال : قام رسول الله ﷺ فينا خطيباً بقاء يدعى حمماً بين مكة والمدينة ، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ، ثم قال : أما بعد أيها الناس فأنا أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربِّي فأجيب ، وأنا تارك فيكم الثقلين ، أولهما كتاب الله فيه النور ، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به ، فحث على كتاب الله ورغب فيه ، ثم قال : وأهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ، فقال له حصين : ومن أهل بيته يا زيد ؟ أليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال : نساؤه من أهل بيته ، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده ، الخبر (١) .

وروى هذا الحديث بسندين آخرين مع بعض الزيادات (٢) .

وفي تفسير الثعلبي بسنده عن عطية العوفي ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : أيها الناس اني قد تركت فيكم الثقلين خليفين ، ان أخذتم بهما لن تضلوا بعدي ، أحدهما أكبر من الآخر ، كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ، ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض (٣) .

وروى الفقيه الشافعي ابن المغازلي في كتابه ، عن أبي سعيد الخدري ، أن رسول الله ﷺ قال : اني أوشك أن أدعى فأجيب ، وانني قد تركت فيكم الثقلين ، كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ، وان اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض ، أنظروا ماذا تخلقوني فيها (٤) .

والخبر الذي نقلناه عن مسند أحمد بن حنبل رواية عن زيد بن أرقم ، رواه

(١) صحيح مسلم ٤ : ١٨٧٣ برقم : ٢٤٠٨ .

(٢) صحيح مسلم ٤ : ١٨٧٤ .

(٣) العمدة لابن بطريق ص ٧١ برقم : ٨٧ عن تفسير الثعلبي .

(٤) المناقب لابن المغازلي ص ٢٣٥ - ٢٣٦ برقم : ٢٨٣ .

بعينه ابن المغازلي بسند آخر عن زيد بن أرقم (١).

والذي نقلناه عن صحيح مسلم، رواه أيضاً ابن المغازلي باسناده عن زيد (٢).
والذي رويناه عن الثعلبي عن عطية العوفي، قد رواه أيضاً ابن المغازلي بسند
آخر الى أبي سعيد الخدري (٣).

وفي الجمع بين الصحاح الستة لرزين العبدري في الجزء الثالث من أجزاء أربعة
من صحيح أبي داود، وهو كتاب السنن، ومن صحيح الترمذي باسناده عن زيد بن
أرقم، أن رسول الله ﷺ قال: أني تارك فيكم الثقلين، ما ان تمسكتم به لن تضلوا
بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، وهو كتاب الله جبل ممدود من السماء الى الأرض،
وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني في
عترتي (٤).

قال صاحب الصراط المستقيم: وقد روت الفرقة المحقة في مواضع لا تحصى،
قول النبي ﷺ: أني تارك فيكم الثقلين: ان أخذتم بهما لن تضلوا، أحدهما أكبر من
الآخر، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض.

وروى نحوه ابن حنبل في مسنده من عدة طرق، ومسلم في موضعين من الجزء
الرابع من صحيحه، وفي كتاب السنن، وصحيح الترمذي، وابن عبد ربّه في كتاب
العقد، وابن المغازلي من عدة طرق في كتابه، والثعلبي في تفسيره في سورة آل
عمران في قوله تعالى ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً﴾ (٥) ورواه الحميدي في الجمع

(١) المناقب لابن المغازلي ص ٢٣٤ برقم: ٢٨١.

(٢) المناقب لابن المغازلي ص ٢٣٦ برقم: ٢٨٤.

(٣) المناقب لابن المغازلي ص ٢٣٥ برقم: ٢٨٢.

(٤) الطرائف ص ١١٥ عنه، والعمدة ص ٧٢ عنه، وصحيح الترمذي ٥: ٦٢٢ برقم:

بين الصحيحين من طرق عدّة (١).

وقال في موضع آخر من كتابه مشيراً الى هذا الحديث ، وقد ذكره ابن مردويه من تسعة ومائتين طريقاً .

وفي كتاب شرف النبيّ عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته للمسلمين الذين حضروا حين نقل من الضربة ، من جملة ما قال : فيكم من تخلف من نبيكم صلّى الله عليه وآله ما ان تمسّكتم به لن تضلّوا ، هم الدعاة ، وهم النجاة ، وهم أركان الأرض ، وهم النجوم ، بهم يستضاء من شجرة طاب فرعها ، وزيتونة طاب أصلها ، نبتت في الحرم ، وسقيت من كرم من خير مستقرّ الى خير مستودع من مدارك الى مبارك ، صفت من الأقدار والأدناس ، ومن قبيح ما أته شرار الناس ، لها فروع طوال لا تنال ، حسرت عن صفاتها الألسن ، وقصرت عن بلوغها الأعناق ، فهم الدعاة ، وهم النجاة ، وبالناس اليهم حاجة ، فاخلفوا رسول الله صلّى الله عليه وآله فيهم بأحسن الخلافة ، فقد أخبركم أنّها الثقلان ، وأنّهما لن يفترقا ، هم والقرآن حتى يردا على الحوض ، فألزموهم تهتدوا وترشدوا ، ولا تتفرّقوا عنهم ولا تتركوهم فتفرّقوا وتمزقوا (٢).

وفيه أيضاً عن أمير المؤمنين عليه السلام : أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله قال في حجة الوداع : أيّ امرئ مقبوض ، وتارك فيكم ما ان تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي ، كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، وإنّ اللطيف الخبير تنبأني أنّها لن يفترقا هم والقرآن حتى يردا عليّ الحوض (٣).

وروى المحافظ أبو نعيم عن الحسن بن علي عليه السلام ، قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : ادعوا لي سيّد العرب يعني علياً ، فقالت عائشة : ألسنت سيّد العرب ؟ فقال : أنا سيّد

(١) الصراط المستقيم ٢ : ٣٢ .

(٢) شرف النبيّ - مخطوط .

(٣) شرف النبيّ - مخطوط .

ولد آدم وعلي سيد العرب ، فلما أن جاء أرسل الى الأنصار فأتوه ، فقال لهم : يا معشر الأنصار ألا أدلكم على ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : هذا علي فأحبوه بحبي ، وأكرموه بكرامتي ، فإن جبرئيل أمرني بالذي قلت لكم (١) .

وفي صحيح الترمذي عن جابر ، قال : رأيت رسول الله ﷺ وهو على ناقته القصواء يخطب ، فسمعتة يقول : يا أيها الناس اني تارك فيكم الثقلين ما ان أخذتم به لن تضلوا بعدي ، أحدهما أعظم من الآخر ، كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الأرض ، وعترتي أهل بيتي (٢) .

أقول : لا ريب في تواتر الروايات الدالة على أن التمسك بأهل البيت منقذ من الضلال ، وأن أتباعهم فرض ، وقد اعترف المخالفون بها وان لم يعملوا بها . قال العلامة التفتازاني في شرح المقاصد : فان قيل : قال عليه السلام : اني تارك فيكم الثقلين ، كتاب الله فيه الهدى والنور ، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به ، وأهل بيتي الى آخر الحديث . وقال : اني تارك فيكم ما ان أخذتم به لن تضلوا ، كتاب الله وعترتي أهل بيتي . ومثل هذا يشعر بفضلهم على العالم وغيره .

قلت : نعم ، لا تصافهم بالعلم والتقوى مع شرف النسب ، ألا ترى أنه عليه السلام قرنهم بكتاب الله في كون التمسك بهم منقذاً من الضلال ، ولا معنى للتمسك بالكتاب الاّ الأخذ بما فيه الهداية ، وكذا في العترة (٣) . انتهى .

ومما يؤيد هذه الأحاديث ما رواه أحمد بن حنبل في مسنده ، ونقله صاحب المشكاة عن أبي ذر ، قال وهو متعلق بباب الكعبة : من عرفني فقد عرفني ، ومن لم

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم ١ : ٦٣ .

(٢) صحيح الترمذي ٥ : ٦٢١ برقم : ٣٧٨٦ .

(٣) شرح المقاصد ٥ : ٣٠٢ - ٣٠٣ .

يعرفني فأنا جندب بن جنادة ، سمعت رسول الله ﷺ بأذني والآن فصمنا يقول : ألا إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح ، من ركبها نجى ومن تخلف عنها هلك (١) .

وقد روى ابن المغازلي الشافعي الواسطي هذا المعنى في كتاب المناقب بعدة آسانيد مختلفة ، روى عبد الله بن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ : مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح ، من ركبها نجى ، ومن تأخر (٢) عنها هلك (٣) .

وعن الأكوخ ، قال : قال رسول الله ﷺ : مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجى (٤) .

وعن أبي ذرٍّ ، قال : قال رسول الله ﷺ : أما مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح ، من ركبها نجى ، ومن تخلف عنها غرق (٥) .

وعن ابن عباس أيضاً ، قال : قال رسول الله ﷺ : مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح ، من ركب فيها نجى ، ومن تخلف عنها غرق (٦) .

وعن سعيد بن المسيّب [عن أبي ذرٍّ] (٧) قال : قال رسول الله ﷺ : مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح ، من ركب فيها نجى ، ومن تخلف عنها غرق (٨) .

وفي كتاب شرف النبي ﷺ عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ : مثل

(١) مستدرك الحاكم ٣ : ١٥٠ ، ٢ : ٣٤٣ ، ونظم درر السمطين ص ٢٣٥ ، وتاريخ الخلفاء ص ٥٧٣ ط مصر .

(٢) في المناقب : تخلف .

(٣) المناقب لابن المغازلي ص ١٣٢ برقم : ١٧٣ .

(٤) المناقب لابن المغازلي ص ١٣٢ - ١٣٣ برقم : ١٧٤ .

(٥) المناقب لابن المغازلي ص ١٣٣ برقم : ١٧٥ .

(٦) المناقب لابن المغازلي ص ١٣٤ برقم : ١٧٦ .

(٧) الزيادة من المناقب .

(٨) المناقب لابن المغازلي ص ١٣٤ برقم : ١٧٧ .

أهل بيتي مثل سفينة نوح ، من ركبها نجي ، ومن تخلف عنها غرق (١) .

ومما يؤيدها أيضاً ما في كتاب شرف النبي ﷺ أنه قال : أهل بيتي فيكم كباب حطّة في بني اسرائيل (٢) .

ولا يتوهم معاند أن أهل البيت يشتمل نساءه ﷺ ؛ لأنّ لفظة « العترة » مانعة عن دخولهنّ ، وكذا كون التمسك بأهل البيت منقذاً من الضلالة وسبباً للنجاة ؛ لأنّ التمسك بنساء النبي ﷺ بالاجماع غير منقذ من الضلالة وموجب للنجاة .

ومما يؤيد ما أوردناه من الأخبار ، ويدلّ على أن النساء لسن من أهل البيت ، ما ورد من الروايات الدالّة على طهارة أهل البيت المتضمّنة لذكر أعيانهم من طرق المخالفين (٣) ، من مسند أحمد بن حنبل ، عن الأوزاعي ، عن شدّاد بن عمار ، قال : دخلت على واثلة بن الأسقع وعنده قوم ، فذكروا عليّاً عليه السلام ، فشتموه ، فشتمته معهم ، فلما قاموا قال لي : لم شتمت هذا الرجل ؟ قلت : رأيت القوم يشتمونه فشتمته ، فقال : ألا أخبرك بما رأيت من رسول الله ﷺ ؟ فقلت : بلى .

قال : أتيت فاطمة عليها السلام أسأها عن علي عليه السلام ، فقالت : توجه إلى النبي ﷺ ، فجلست أنتظره حتّى جاء النبي ﷺ ، فجلس ومعه علي وحسن وحسين ، أخذاً كلّ واحد منها بيده حتّى دخل ، فأدنى عليّاً وفاطمة فأجلسها بين يديه ، وأجلس حسناً وحسيناً ، كلّ واحد منها على فخذه ، ثمّ لفّ عليهم ثوبه - أو قال : كساء - ثمّ تلا هذه الآية ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً ﴾ (٤) ثمّ قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي أحقّ (٥) .

(١) احقاق الحق ٩ : ٢٨٤ عنه .

(٢) احقاق الحق ٩ : ٣٨٥ عنه .

(٣) في «ق» : المخالف .

(٤) الأحزاب : ٣٣ .

(٥) مسند أحمد بن حنبل ٤ : ١٠٧ ، وفضائل الصحابة له ٢ : ٩٧٨ .

وقد روى قريباً من هذا المعنى بسنتين آخرين عن أبي الأسقع (١).
 ومنه أيضاً عن عطية الطفاوي ، عن أبيه ، عن أم سلمة حدّثته ، قالت : بينما
 رسول الله ﷺ في بيتي يوماً ، اذ قال الخادم : إنّ عليّاً وفاطمة في السدة ، قالت :
 فقال لي : قومي فتنحي عن أهل بيتي ، قالت : فقامت فتنحت في البيت قريباً ،
 فدخل علي وفاطمة ومعهما الحسن والحسين عليهما السلام وهما صبيان صغيران ، قالت :
 فأخذ الصبيان فوضعهما في حجره فقبّلها ، واعتنق عليّاً باحدى يديه ، وفاطمة باليد
 الأخرى ، وقبّل فاطمة وقبّل عليّاً ، فأعذق عليهم خميسة سوداء ، وقال : اللهم اليك
 لا الى النار أنا وأهل بيتي ، قالت : فقلت : وأنا يا رسول الله ؟ فقال : وأنت (٢).
 وأيضاً عن عطاء بن أبي رباح ، قال : حدّثني من سمع أم سلمة تذكر أنّ
 النبي ﷺ كان في بيتها ، فأنته فاطمة عليهما السلام ببرمة فيها حريرة (٣) ، فدخلت بها عليه ،
 فقال لها : ادعي لي زوجك وابنيك ، قالت : فجاء علي والحسن والحسين عليهما السلام ،
 فدخلوا وجلسوا يأكلون من تلك الحريرة ، وهو وهم على منامة له على دكان تحته
 كساء خيري .

قالت : وأنا في الحجرة أصلي ، فأنزل الله تعالى هذه الآية الكريمة ﴿ انما يريد الله
 ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهراً ﴾ ، قالت : فأخذ فضل الكساء
 وكساهم به (٤) ، ثمّ أخرج يده فألوى بها الى السماء ، وقال : هؤلاء أهل بيتي
 وخاصتي ، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، قالت : فأدخلت رأسي من
 البيت وقلت : وأنا معكم يا رسول الله ؟ قال : أنّك الى خير أنّك الى خير (٥).

(١) مسند أحمد بن حنبل ٤ : ١٠٧ ، وفضائل الصحابة له ٢ : ٩٧٨ .

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٦ : ٢٩٦ .

(٣) الحريرة : الحسا من الدسم والدقيق ، وقيل : هو الدقيق الذي يطبخ بلبن . اللسان .

(٤) في المصدر : فغشاهم به .

(٥) مسند أحمد بن حنبل ٦ : ٢٩٢ .

ومنه أيضاً عن شهر بن حوشب ، عن أم سلمة : أن النبي ﷺ قال لفاطمة : ائتي بزوجك وابنيك ، فجاءت بهم ، فألقى عليهم كساءً فدكيتاً ، قالت : ثم وضع يده عليهم وقال : اللهم ان هؤلاء آل محمد ، فاجعل صلواتك وبركاتك على محمد وعلى آل محمد ، أنك حميد مجيد ، قالت أم سلمة : فرفعت الكساء لأدخل معهم ، فجذبه من يدي وقال : أنك على خير (١) .

ومنه أيضاً حديث طويل ، هذا موضع الحاجة منه ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : وأخذ رسول الله ﷺ ثوبه ، فوضعه على علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ، وقال : ﴿ انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾ (٢) .

ومنه أيضاً حديث آخر عن أم سلمة ، وهذا موضع الحاجة منه ، قالت : فجاءت - تعني : فاطمة - تقود ابنيها ، كل واحد منها بيده ، وعلي يمشي في اثرها حتى دخلوا على رسول الله ﷺ ، فأجلسها في حجره ، وجلس علي على يمينه ، وجلست فاطمة على يساره ، قالت أم سلمة : فاجتذب من تحتي كساءً خبيرياً كان بساطاً لنا على المنامة في المدينة ، فلفه رسول الله ﷺ ، فأخذ بشماله طرفي الكساء وألوى بيده اليمنى الى ربه عز وجل ، وقال : اللهم هؤلاء أهل بيتي ، أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، قلت : يا رسول الله ألسنت من أهلك ؟ قال : بلى ، فأدخلني في الكساء ، قالت : فدخلت في الكساء بعد ما قضى دعاءه لابن عمه وابنيه وابنته فاطمة عليهم السلام (٣) .

ومن صحيح البخاري في الجزء الرابع ، ومن صحيح مسلم أيضاً في الجزء الرابع ، باسنادهما عن صفية بنت شيبة ، قالت : قالت عائشة : خرج النبي ﷺ غداً وعليه

(١) مسند أحمد بن حنبل ٦ : ٣٢٣ .

(٢) مسند أحمد بن حنبل ١ : ٣٣٠ .

(٣) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢ : ٦٨٥ برقم : ١١٧٠ .

مرط مرجّل من شعر أسود ، فجاء الحسن بن علي فأدخله ، ثمّ جاء الحسين فدخل معه ، ثمّ جاءت فاطمة فأدخلها ، ثمّ جاء علي فأدخله ، ثمّ قال : ﴿ أما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً ﴾ (١) .

ومن تفسير الثعلبي بسنده عن أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله ﷺ : نزلت هذه الآية في خمسة : فيّ ، وفي علي ، وفي حسن ، وفي حسين ، وفاطمة ﴿ أما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً ﴾ (٢) .

ومنه بسنده عن عطاء بن أبي رباح ، حدّثني من سمع أمّ سلمة رضي الله عنها ، ثمّ ذكر الحديث كما نقلناه عن أمّ سلمة من مسند أحمد بن حنبل (٣) .

ومنه أيضاً باسناده عن مجمع ، قال : دخلت مع أمي على عائشة ، فسألتها أمي عن علي ، فقالت : سألتني عن أحبّ الناس الى رسول الله ﷺ ، لقد رأيت علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً ، وقد جمع رسول الله ﷺ لفوعاً (٤) عليهم ، ثمّ قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصّتي ، فأذهب عنهم الرجس وطهّهم تطهيراً ، قالت : قلت : يا رسول الله أنا من أهلك ؟ فقال : تنحّي أنّك الى خير (٥) .

ومنه أيضاً باسناده عن اسماعيل بن عبد الله بن جعفر الطيّار ، عن أبيه ، قال : لما نظر رسول الله ﷺ الى الرحمة هابطة من السماء ، قال : من يدعو ؟ مرّتين قالت زينب : أنا يا رسول الله ، فقال : أدعي لي فاطمة وعلياً والحسن والحسين ، قال : فجعل حسناً عن يمينه ، وحسيناً عن شماله ، وعلياً وفاطمة تجاهه ، ثمّ غشّاهم كساءً

(١) صحيح مسلم ٤ : ١٨٨٣ برقم : ٢٤٢٤ .

(٢) تفسير الثعلبي المخطوط ص ١٣٩ ، والعمدة ص ٣٩ ح ٢ عنه ، والطرائف ص ١٢٧ عنه .

(٣) العمدة ص ٣٩ عنه ، والطرائف ص ١٢٥ عنه .

(٤) اللفوع : ثوب يجلّل به الجسد كلّ كساء كان أو غيره . وفي «ق» : بغلف ، وفي الطرائف :

يغدف .

(٥) العمدة ص ٤٠ عنه ، والطرائف ص ١٢٧ عنه ، واحقاق الحق ٩ : ١٠ عنه .

خَيْرِيًّا ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ اِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ اَهْلًا ، وَهؤلاء اهل بيتي ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى ﴿ اِنَّمَا يَرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ اَهْلَ بَيْتٍ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ فقالت زينب : يا رسول الله ألا أدخل معكم ؟ فقال رسول الله : مكانك ، فإنك الى خير ان شاء الله (١) .

ومنه أيضاً عن شداد بن عمار ، قال : دخلت على وائلة بن الأسقع الى آخر الحديث ، وقدّمنا تمام الحديث نقلاً عن مسند أحمد بن حنبل (٢) .

ومنه أيضاً بحذف الاسناد عن أبي الحمراء ، قال : أقمت في المدينة تسعة أشهر كيوم واحد ، وكان رسول الله ﷺ يجيء كلّ غداة ، فيقوم على باب عليّ وفاطمة عليهما السلام ، فيقول : الصلاة ، انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً (٣) .

ومنه أيضاً بحذف الاسناد عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : قَسَمَ اللهُ الخَلْقَ قَسَمَيْنِ ، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمَا قِسْمًا ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَأَصْحَابُ اليمينِ مَا أَصْحَابُ اليمينِ ﴾ (٤) فَأَنَا مِنْ خَيْرِ أَصْحَابِ اليمينِ ، ثُمَّ جَعَلَ الْقَسَمَيْنِ اَثَلَاتًا ، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهَا ثَلَاثًا ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَأَصْحَابُ المِمنَةِ مَا أَصْحَابُ المِمنَةِ * وَأَصْحَابُ المِشْئَمَةِ مَا أَصْحَابُ المِشْئَمَةِ * وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴾ (٥) فَأَنَا مِنَ السَّابِقِينَ ، وَأَنَا مِنْ خَيْرِ السَّابِقِينَ .

ثم جعل ثلاث قبائل ، فجعلني من خيرها قبيلة ، فذلك قوله تعالى : ﴿ شعوباً

(١) العمدة ص ٤٠ عنه ، والطرائف ص ١٢٧ - ١٢٨ عنه ، واحقاق الحق ٩ : ٥٢ عنه .

(٢) العمدة ص ٤١ عنه ، والطرائف ص ١٢٣ عنه ، واحقاق الحق ٩ : ٢ عنه .

(٣) العمدة ص ٤١ - ٤٢ عنه ، والطرائف ص ١٢٨ عنه ، واحقاق الحق ٩ : ٦٣ عنه .

(٤) الواقعة : ٢٧ .

(٥) الواقعة : ٨ - ١٠ .

وقبائل ﴿^(١)﴾ فأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله ولا فخر، ثم جعل القبائل بيوتاً، فجعلني في خيرها بيتاً، فذلك قوله تعالى: ﴿أنا يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ ^(٢).

ومن الجمع بين الصحيحين للحميدي، قال: الحديث الرابع والستون من المتفق عليه في الصحيحين من البخاري ومسلم، من مسند عائشة، عن مصعب بن شبيرة، عن صفية بنت شبيرة، عن عائشة، قالت: خرج النبي ﷺ ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين، فدخل معه، ثم جاءت فاطمة، فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: ﴿أنا يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ ^(٣).

ومن الجمع بين الصحاح الستة لرزين بن معاوية العبدري، قال في الجزء الثاني من أجزاء ثلاثة في تفسير سورة الأحزاب من صحيح أبي داود السجستاني، وهو كتاب السنن، في تفسير قوله تعالى: ﴿أنا يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾، قال: وعن عائشة، قالت: خرج رسول الله ﷺ، وعليه مرط مرحل من شعر أسود، فجاء الحسن، فأدخله، ثم جاء الحسين، فأدخله، ثم جاءت فاطمة، فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: ﴿أنا يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾.

وعن أم سلمة زوج النبي ﷺ: إن هذه الآية نزلت في بيتها: ﴿أنا يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾، قالت: وأنا جالسة عند

(١) الحجرات: ١٣.

(٢) العمدة ص ٤٢ عن تفسير الثعلبي.

(٣) صحيح مسلم ٤: ١٨٨٣ برقم: ٢٤٢٤، والعمدة ص ٤٣ - ٤٤ عن الجمع بين

الصحيحين.

الباب ، فقلت : يا رسول الله ألسنت من أهل البيت ، فقال : أنك الى خير ، أنك من أزواج رسول الله ، قالت : وفي البيت رسول الله ﷺ وعليّ وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم ، فجلّهم بكساء وقال : اللهم هؤلاء أهل بيتي ، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً^(١) .

ومن الجزء المذكور في سنن أبي داود وموطأ مالك عن أنس : أنّ رسول الله ﷺ كان يمرّ بباب فاطمة ، اذا خرج الى صلاة الفجر حين نزلت هذه الآية قريباً من ستّة أشهر ، يقول : الصلاة يا أهل البيت ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾^(٢) .

ومن الجزء الثالث من الكتاب أعني جمع رزين في باب مناقب الحسن والحسين عليهما السلام من صحيح أبي داود وهو السنن ، عن صفية بنت شيبة ، قالت : قالت عائشة : خرج رسول الله ﷺ يوماً وعليه مرط مرّجل من شعر أسود ، فجاء الحسن بن عليّ عليهما السلام ، فأدخله ، ثمّ جاء الحسين ، فدخل معه ، ثمّ جاءت فاطمة ، فأدخلها ، ثمّ جاء عليّ فأدخله ، ثمّ قال : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾^(٣) .

وقال صاحب الصراط المستقيم : ذكر ابن مردويه في كتاب المناقب من مائة وثلاثين طريقاً : أنّ العترة عليّ وفاطمة والحسنان .

فثبت بما أوردناه أنّ العترة هم أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس ، دون النساء وغيرهنّ ، وثبت عصمتهم ؛ لثبوت تنزيه الله لهم وإذهاب الرجس عنهم ،

(١) العمدة لابن بطريق ص ٤٤ - ٤٥ عن الجمع بين الصحاح الستّة .

(٢) العمدة ص ٤٥ ح ٣٢ عنه ، والطرائف ص ١٢٨ عنه ، ورواه أحمد في مسنده ٣ : ٢٥٢ و ٢٥٩ .

(٣) العمدة ص ٤٥ ح ٣٣ عنه ، والطرائف ص ١٢٩ عنه .

والتطهير والتنزيه عن الإثم وعن كل قبيح ، وقد نقل ذلك عن أحمد بن فارس اللغوي في المجمل ^(١) ، وغيره .

ومما يؤيد ما قدّمناه ما رواه محمود بن عمر الزمخشري بإسناده قال : قال النبي ﷺ : فاطمة بهجة قلبي ، وابناها ثمره فؤادي ، وبعلمها نور بصري ، والأئمة من ولدها أمناء ربّي ، وحبل ممدود بينه وبين خلقي ، من اعتصم بهم نجأ ، ومن تخلف عنهم هوى ^(٢) .

وما في شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ، نقلاً عن صاحب حلية الأولياء ، قال النبي ﷺ : من سرّه أن يحيي حياتي ، ويموت مماتي ، ويسكن جنّة عدن التي غرسها ربّي ، فليوال عليّاً من بعدي ، وليوال وليّه ، وليقتد بالأئمة من بعدي ، فإنهم عترتي ، خلقوا من طينتي ، ورزقوا فهماً وعلماً ، فويل للمكذّبين من أمّتي ، القاطعين فيهم صلتي ، لا أنا لهم الله شفاعتي ^(٣) .

وفي الصراط المستقيم عن ابن جبر في نخبه مسنداً عن النبي ﷺ : من سرّه أن يحيي حياتي ، ويموت ميتتي ، ويدخل جنّة عدن منزلتني ، فليتولّ عليّ بن أبي طالب ، وليأتهم بالأوصياء من ولده ، ثمّ قال : ونحوه ذكر في حلية الأولياء وفضائل أحمد وخصائص النطنزي ^(٤) .

وما في كتاب شرف النبيّ عن ابراهيم بن شيبه الأنصاري ، قال : جلست الى الأصعب بن نباته ، قال : ألا أقرئك ما أملاه عليّ بن أبي طالب ، فأخرج اليّ صحيفة ، فاذا مكتوب فيها : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أوصى به محمّد رسول الله ﷺ

(١) مجمل اللغة ٣ : ٦٤٥ .

(٢) احقاق الحق ٩ : ١٩٩ عن الزمخشري ، ورواه الخوارزمي في مقتل الحسين ص ٥٩ ،

ونيباع المودّة ص ٨٢ ، والصراط المستقيم ٢ : ٣٢ .

(٣) حلية الأولياء ١ : ٨٦ .

(٤) الصراط المستقيم ١ : ٢٧٨ .

أهل بيته ، فإن أهل بيته آخذون بحجة نبيهم ، وإن شيعتهم يأخذون بحجزهم من النار ، فاتمهم لن يدخلوكم نار ضلالة ، ولن يخرجوكم من نور هدى (١) .

وما في فردوس الديلمي عن النبي ﷺ : يا علي إذا كان يوم القيامة ، أخذت بحجة عز وجل ، وأخذت أنت بحجزتي ، وأخذ ولدك بحجزتك ، وأخذت شيعة ولدك بحجزتهم ، فترى أين يؤمر بنا؟ (٢) .

وما فيه أيضاً مسنداً عن النبي ﷺ : يا علي أول أربعة يدخلون الجنة أنا وأنت والحسن والحسين ، وذرارنا خلف ظهورنا ، وأزواجنا خلف ذرارينا ، وشيعتنا عن أيماننا وعن شمائلنا (٣) .

وما رواه أحمد بن حنبل في مسنده باسناده قال : قال رسول الله ﷺ : النجوم أمان لأهل السماء ، فاذا ذهب النجوم ذهبوا ، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض ، فاذا ذهب أهل بيتي ، ذهب الأرض (٤) .

وفي كتاب شرف النبي بهذه العبارة قال ﷺ : النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأهل الأرض ، فاذا ذهب النجوم من السماء أتى أهل السماء ما يوعدون ، واذا ذهب أهل بيتي من الأرض أتى أهل الأرض ما يوعدون (٥) .

وفي بعض الأخبار : فاذا انقرضوا صبَّ الله عليهم العذاب صباً .

وما رواه الشافعي ابن المغازلي باسناده الى جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ ذات يوم بعرفات ، وعليّ تجاهه : ادن مني يا علي ، خلقت أنا وأنت من شجرة ، فأنا أصلها وأنت فرعها ، والحسن والحسين أغصانها ، فمن تعلق بغصن

(١) ينابيع المودة ص ٢٧٣ .

(٢) المناقب للخوارزمي ص ٢٩٦ برقم : ٢٨٩ ط قم .

(٣) كنز العمال ١٢ : ١٠٤ - ١٠٥ برقم : ٣٤٢٠٥ .

(٤) ينابيع المودة ص ٢٠ عن أحمد ، وذخائر العقبى ص ١٧ عنه .

(٥) احقاق الحق ٩ : ٣٠٣ عن كتاب شرف النبي .

منها أدخله الله الجنة (١).

وفي كتاب شرف النبي ﷺ، قال رسول الله ﷺ: أنا وأهل بيتي شجرة في الجنة وأغصانها في الدنيا، فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً (٢).

وما رواه ابراهيم الثقيفي في كتابه باسناده عن بريدة الأسلمي، قال: قال رسول الله ﷺ: إن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه.

وما في تفسير الثعلبي في تفسير قوله تعالى ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ قال: قال مسلم بن حنان: سمعت أبا يزيد يقول: صراط محمد وآله ﴿ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ سألت أن يجعلها لعلي ففعل.

وما رواه محمد بن مؤمن الشيرازي، وهو من أعيان المخالفين، باسناده عن البصري، أنه كان يقرأ الحرف هذا صراط مستقيم، قلت للحسن: ما معناه؟ قال: فيقول: هذا طريق علي بن أبي طالب وذريته.

وفي تفسير الثعلبي، وكتاب ابن شاهين، حديث مرفوع إلى بريدة في قوله تعالى ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ قال: صراط محمد وآله (٣).

وما نقله صاحب مجالس المؤمنين عن كتاب الصواعق المحرقة، والفاضل القاشي عن كتاب شرف النبي ﷺ: في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي، ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، ألا وإن أمتكم وفدكم إلى الله عز وجل، فانظروا من توفدون (٤).

وما في كتاب شرف النبي ﷺ، أنه وصف آخر الزمان، فقيل: يا رسول الله أي

(١) المناقب لابن المغازلي ص ٩٠ برقم: ١٣٣.

(٢) ذخائر العقبى ص ١٦ عنه، وينابيع المودة ص ١٩١ و ٢٧٣.

(٣) الصراط المستقيم ١: ٢٨٤، والطرائف ص ٩٦.

(٤) احقاق الحق ١٨: ١٨: ٤٤٧، واختيار معرفة الرجال ١: ١٠ ح ٥.

العمل أفضل في ذلك الزمان ؟ قال : فرس تربطه ، وسلاح تعدّه ، وتميل مع أهل بيته حيث مالوا .

ومما يؤيدها أيضاً ما وردت في أنّ الامامة لا يكون الى آخر الدهر الا لقريش ، روى البخاري ومسلم في صحيحهما باسنادهما عن عبد الله بن عمر ، قال : قال رسول الله ﷺ : لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان ^(١) . ورواه الثعلبي في تفسير قوله تعالى ﴿ وانه لذكر لك ولقومك ﴾ ^(٢) .

وذكر الحميدي في الجمع بين الصحيحين في المتفق عليه من مسند عبد الله بن عمر ، في الحديث التاسع والستين بعد المائة ، عن النبي ﷺ أنه قال : لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان ^(٣) .

وروى الحميدي في عدة أحاديث عن النبي ﷺ أنه قال : الناس تبع لقريش ^(٤) . ووجه التأييد : أنّ مدلول ظاهرها أنّ الامامة ثابتة لقريش الى آخر الدهر ، ولا يخلو زمان من الأزمنة من امام منهم ، وأهل السنة لا يقولون بوجود الامام القرشي المفترض الطاعة في كلّ زمان ، بل موافقة لما اعتقده الشيعة الامامية ؛ لأنهم اعتقدوا أنّ كتاب الله وعترته رسوله لا يفترقان ، وأنهم مفسرون لكتاب الله ، ولا يجوز العمل بمتشابهاته الا بعد تفسيرهم .

ومما يؤيدها أيضاً ما ورد من الأخبار المتواترة الدالة على وجوب حبّ أهل البيت وأنّ بغضهم كفر ونفاق ، وما ورد من الأحاديث الدالة على وجوب الصلاة عليهم وسيجيء ان شاء الله تعالى في الدليل السادس والثلاثين ووجه التأييد ظاهر .

(١) صحيح مسلم ٣ : ١٤٥٢ ، وصحيح البخاري ٨ : ١٠٥ .

(٢) الزخرف : ٤٤ ، الطرائف ص ١٦٩ عن تفسير الثعلبي .

(٣) الطرائف ص ١٦٩ ح ٢٥٧ عن الجمع بين الصحيحين .

(٤) صحيح مسلم ٣ : ١٤٥١ ، والطرائف ص ١٦٩ ح ٢٥٨ .

الدليل التاسع

[ظهور المعجزات من الأئمة الاثني عشر]

ان كل واحد من الأئمة الاثني عشر ادعى الامامة ، وأظهر على طبق دعواه المعجزة ، فثبت أنهم هم الأئمة ، وتواتر معجزاتهم لا يخفى على اللبيب المنصف اذا تتبع آثارهم ، والكتب المصنفة في بيان أحوالهم ، ككتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق محمد بن بابويه القمي ، وكتاب الارشاد للشيخ الجليل محمد بن محمد بن النعمان الملقب بالمفيد ، وكتاب الكافي لثقة الاسلام محمد بن يعقوب الكليني ، وكتاب اعلام الورى للشيخ الجليل الطبرسي ، وكتاب الخرائج والجرائح لقطب الدين أبي الحسين سعيد بن هبة الله بن الحسن الراوندي ، وغيرها من الكتب المصنفة في هذا الباب ، وهي كثيرة .

ولظهور معجزاتهم ، ووفور آياتهم ، غلا فيهم جم غفير ، وأخرجوهم من حدّ الانسانية ، وظنوا بهم الالهية .

لو أن المرتضى أبدا محله لأضحى الخلق طراً سجداً له
كفى في فضل مولانا علي وقوع الشك فيه أنه الله

وقد روى المخالفون مع كمال بعدهم ومجانبتهم ، فان رمت الاطلاع عليها ، فعليك بتاريخ الشيخ كمال الدين بن طلحة الشافعي ، وكتاب الفصول المهمة تأليف الشيخ نور الدين علي بن الصباغ المالكي ، وتاريخ ابن الجوزي ، وغيرها من الكتب المشتملة على ذكر أهل البيت عليهم السلام .

ومن المعجزات المشهورة عند المخالفين لأمر المؤمنين عليهم السلام ردّ الشمس ، وقد أخرجه أبو بكر بن فورك في كتاب الفصول عن أسماء بنت عميس ، وأخرجه ابن المغازلي من طريقين ، والقاضي أبو يعلى في المعتمد ، وصاحب كتاب الشافعي في بشائر المصطفى ، وأخرجه ابن مردويه ، والنظري ، وابن مندة ، والمجرجاني ،

والشيرازي، والورّاق، والحسكاني، وصنّف أبو عبد الله الجعل فيه كتاباً وكذا غيره، ونظمه جماعة كثيرة من العلماء والشعراء، كابن أبي الحديد، وقدامة السعدي، والسيد المرتضى، والحميري، والصاحب بن عبّاد الرازي، وابن حمّاد، والمفجع، وغيرهم من الشعراء والعلماء^(١).

ومن معجزاته المشهورة عندهم اخباره عليه السلام عن الغيب، وقد اشتمل على أخباره الغيبية كتبهم، وفي ابن أبي الحديد منها عدّة أخبار^(٢).

ومن اخباره عليه السلام خبر بني العبّاس، وهذه عبارته: ملك بني عبّاس عسر لا يسرفه، لو اجتمع عليهم الترك والديلم والسند والهند والبربر والطيلستان على أن يزيلوا لا يمكنهم حتى يشدّ عنهم مواليمهم وأرباب دولتهم، ويسلّط عليهم ملك من الترك، يأتي عليهم من حيث بدأ ملكهم، لا يمرّ بمدينة الآفتحها، لا يرفع له راية الاّ نكسها، الويل الويل لمن ناواه، فلا يزال كذلك حتى يظفر، ثمّ يدفع ظفره الى رجل من عترتي.

ومن اخباره المشهورة، أنّه قال: يأتيكم من قبل الكوفة ألف رجل لا يزيدون ولا ينقصون، ويباعونكم على الموت، فجاءوا كما قال، ومنهم أويس القرني. ومنها: أنّه لما أخبروه بأنّ الخوارج عبروا الماء، قال: والله لم يعبروا، وأنّه لمصرعهم.

ومنها: اخباره بكيفية قتل أصحابه، وأنّ من قاتلهم، مثل جويرية بن مسهر، وميثم التّمار، وكميل بن زياد، وقنبر وغيرهم، فإن أردت الاستقصاء وتفصيل الأخبار، فعليك بتتبع كتب الآثار^(٣).

(١) الصراط المستقيم ١: ٢٠١-٢٠٣.

(٢) شرح نهج البلاغة ٢: ٢٨٦-٢٩٥.

(٣) راجع: شرح نهج البلاغة ٢: ٢٨٦-٢٩٥ و ٣: ٥-٤ و ٧: ٤٧-٥٠.

ومن روايات المخالفين ما رواه ابن الجوزي من علماء الحنابلة ، عن شقيق البلخي ، قال : خرجت حاجاً في سنة تسع وأربعين ومائة ، فنزلت القادسيّة ، فاذا شابّ حسن الوجه شديد السمرة ، عليه ثوب صوف مشتمل بشملة ، في رجله نعلان ، وقد جلس منفرداً عن الناس ، فقلت في نفسي : هذا الفتى من الصوفيّة ، يريد أن يكون كلاً على القافلة^(١) ، والله لأمضينّ اليه ولأوبختّه ، فدنوت منه .

فلما رأني مقبلاً قال : يا شقيق ﴿ اجتنبوا كثيراً من الظنّ إنّ بعض الظنّ اثم ﴾^(٢) فقلت في نفسي : هذا عبد صالح قد نطق على ما في خاطري ، لألحقته ولأسألته أن يخالني^(٣) ، فغاب عن عيني ، فلما نزلنا واقصة اذا به يصليّ وأعضاؤه تضطرب ، ودموعه تتحادر ، فقلت : أمضي اليه وأعتذر منه ، فأوجز في صلاته ، ثمّ قال : يا شقيق ﴿ وانيّ لعفّار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثمّ اهتدى ﴾^(٤) فقلت : هذا عبد من الأبدال قد تكلم على سرّي مرّتين ، فلما نزلنا بزباله اذا به قائم على البئر ويده ركوة يريد أن يستقي ماءً ، فسقطت الركوة من يده الى البئر ، فرفع طرفه الى السماء وقال :

أنت ربّي اذا ظمأت الى الماء
يا سيّدي مالي سواها .

قال شقيق : فوالله لقد رأيت البئر قد ارتفع ماؤها ، فأخذ الركوة وملأها وتوضأ وصلّى أربع ركعات ، ثمّ مال الى كتيب رمل هناك ، فجعل يقبض بيده ويطرحه في الركوة ويشرب ، فقلت : أطعمني من فضل ما رزقك الله وما أنعم به عليك .

(١) في التذكرة : الناس .

(٢) الحجرات : ١٢ .

(٣) في التذكرة : يخالني .

(٤) طه : ٨٢ .

فقال : يا شقيق لم تزل نعم الله علينا ظاهرة وباطنة ، فأحسن ظنك بربك ، ثم ناولني الركوة ، فشربت منها ، فاذا سويق وسكر ، ما شربت والله الذم منه ، ولا أطيّب ريحاً منه ، فشبعته ورويت وبقيت^(١) أيّاماً لا أشتهي طعاماً ولا شرباً .

ثم لم أره حتّى دخلت مكّة ، فرأيت له ليلة الى جانب قبة الميزاب نصف الليل يصليّ بخشوع وأنين وبكاء ، فلم يزل كذلك حتّى ذهب الليل ، فلمّا طلع الفجر جلس في مصلاه يسبح ، ثمّ قام الى صلاة الفجر ، فطاف بالبيت أسبوعاً وخرج فتبعته ، فاذا له حاشية^(٢) وأموال وغللمان ، وهو على خلاف ما رأيت في الطريق ، ودار به الناس يسلمون عليه ويتبركون به ، فقلت لبعضهم : من هذا ؟ فقال : موسى بن جعفر ، فقلت : قد عجبت أن يكون مثل هذه العجائب الالمثل هذا السيّد^(٣) .

الدليل العاشر

[ظهور جلالتهم وشوكتهم عليهم السلام مع كثرة أعدائهم ومخالفهم]

انّ بني أميّة وبني العباس وأتباعهم من أبناء الدنيا مع كمال شوكتهم ، كانوا مصرّين على عداوة أمتنا عليهم السلام ، وانتهى الأمر الى حبسهم وقتلهم ، وقتل كثير من شيعتهم خوفاً على الملك ، وكانوا مجتهدين في الوضع من أقدارهم ، ومتفحصين ليلاً ونهاراً عن أسرارهم ، وساعين في طلب عثراتهم ، ومبالغين في اطفاء نورهم واخفاء آثارهم ، ومرغبين الخلق بالعطايا والمبرّات في ابطال أمرهم .

حتّى نقل ابن أبي الحديد من أكابر علماء الجمهور في شرحه على نهج البلاغة : أنّ معاوية بذل لسمره بن جندب مائة ألف حتّى يروي أنّ هذه الآية ﴿ ومن الناس من

(١) في التذكرة : وأقت .

(٢) في التذكرة : غاشية .

(٣) تذكرة الخواص للسبط بن الجوزي ص ٣٤٨ - ٣٤٩ .

يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألدّ الخصام * وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحبّ الفساد ﴿^(١) الآية ، نزلت في حقّ عليّ عليه السلام ، وأنّ الآية الثانية ، أعني قوله تعالى ﴿ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد ﴾ ^(٢) نزلت في ابن ملجم لعنه الله ، فلم يقبل ، فبذل له مائتي ألف درهم ، فلم يقبل ، فبذل له ثلاثمائة ألف درهم ، فلم يقبل ، فبذل له أربعمائة ألف ، فقبل ^(٣) .

ونقل أنّ أهل الشام لشدة عداوتهم لأهل البيت حرّموا أن يقرأ بشيء من قراءة أهل العراق ، مع أنّهم ممّن اتّفق الجميع على صحّة قراءتهم ، حذراً من أن يؤدّي ذلك الى ذكر أمير المؤمنين عليه السلام ، لانتهائهم في الرواية اليه صلوات الله عليه ، وبلغ عداوتهم الى حدّ كانوا يقتلون من أنّهم بولاية أهل البيت عليهم السلام ، وهذا أمر ظاهر عند من سمع الأخبار وتتبع الآثار ، ومع هذا لم ينسبوا اليهم عليهم السلام أمراً يشينهم في ديانتهم وتضع به جلالتهم .

فلولا أنّهم عليهم السلام صادقون في دعواهم الامامة والعصمة والتأييد من الله سبحانه ، لما سلم أعراضهم من هتك الكذّابة والفسّاق المصّرّين على عداوتهم ، وهذا أمر ظاهر لا يخفى على من له أدنى معرفة بالعادات .

وقد ثبت أنّهم عليهم السلام لم يكونوا ممّن لا يؤبه بهم ، وممّن لا يدعو الداعي الى البحث عن أخبارهم بخمولهم وانقطاع آثارهم ، بل كانوا في أعلى مرتبة من التعظيم ، وفي الدرجة الرفيعة التي يحسدهم عليها الملوك ويتمنونها لأنفسهم ؛ لأنّ الشيعة مع كثرتها في أكثر البلاد اعتقدت فيهم الامامة التي تشارك النبوة ، وادّعت عليهم

(١) البقرة : ٢٠٤ - ٢٠٥ .

(٢) البقرة : ٢٠٧ .

(٣) شرح نهج البلاغة ٤ : ٧٣ .

الآيات والمعجزات والعصمة عن الزلاّت ، حتّى أنّ الغلاة قد اعتقدت فيهم النبوّة والاهليّة ، وقد جرت العادة في من حصل له جزء من هذه النباهة ممّن لم يكن من أهل العصمة والتأييد أن لا يسلم من أسنة أعدائه ، ونسبتهم آيابه الى العيوب القادحة في الديانة والأخلاق .

ومما يدلّ على جلالة قدرهم وعلو شأنهم ، ما هو المشهور بين أهل النقل أنّ هشام بن عبد الملك حجّ في خلافة عبد الملك ، وطاف البيت ، فأراد أن يستلم الحجر فلم يقدر عليه من الزحام ، فنصب له منبر ، فجلس وأطاف به أهل الشام ، فيينا هو كذلك اذ أقبل علي بن الحسين عليه السلام وعليه ازار ورداء ، من أحسن الناس وجهاً ، وأطيبهم رائحة ، وبين عينيه سجادة كأنّها ركة بعر ، فجعل يطوف بالبيت ، فاذا بلغ الى موضع الحجر تنحّى الناس عنه حتّى يستلمه هيبة له واجلالاً ، فغاظ ذلك هشاماً ، فقال رجل من أهل الشام : من هذا الذي قد هابه الناس هيبة ، فأفرجوا له عن الحجر ، فقال هشام : لا أعرفه لئلاّ يرغب فيه أهل الشام ، فقال الفرزدق وكان حاضراً: لكّي أعرفه ، فقال الشامي : ومن هذا يا أبا فراس ؟ فقال :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته	والببيت يعرفه والحلّ والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم	هذا التقيّ النقيّ الطاهر العلم
هذا علي رسول الله والده	أمست بنور هداه تهتدي الأمم
اذا رأته قريش قال قائلها	الى مكارم هذا ينتهي الكرم
ينمي الى ذروة العزّ الذي قصرت	عن نيلها عرب الاسلام والعجم
يكاد يمسه عرفان راحته	ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم
يغضي حياءً ويغضي من مهابته	فلا يكلم الآحين يبسم
ينشقّ نور الهدى من نور غرّته	كالشمس ينجاب عن اشراقها الظلم
بكفّه خيزران ريحه عبق	من كفّ أروع في عرنيه شم
مشقّة من رسول الله نبعته	طابت عناصره والخيم والشيم

حلو الشئائل تحلو عنده نعم
 بجده أنبياء الله قد ختموا
 جرى بذاك له في لوحه القلم
 وفضل أمته دانت له الأمم
 عنها العماية والاملاق والظلم
 يستوكفان ولا يعرفهما عدم
 يزيته خصلتان الخلق والكرم
 رحب الفناء أريب حين يعترم
 كفر وقرهم منجى ومعتصم
 ويستزاد به الاحسان والنعم
 في كل يوم ومختوم به الكلم
 أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم
 ولا يدانهم قوم وان كرموا
 والأسد أسد الثرى والبأس محتدم
 خيم كريم وأيد بالندى هضم
 سيان ذلك ان أثروا وان عدموا
 لأوليّة هذا أو له نعم
 فالدين من بيت هذا ناله الأمم

حمال أثقال أقوام اذ فدحوا
 هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله
 الله قدّمه قدماً وشرّفه
 من جدّه دان فضل الأنبياء له
 عمّ البريّة بالاحسان وانقشعت
 كلتا يديه غياث عمّ نفعها
 سهل الخليفة لا تخشى بواده
 لا يخلف الوعد ميموناً نقيته
 من معشر حبّهم دين وبغضهم
 يستدفع السوء والبلوى بحبّهم
 مقدّم بعد ذكر الله ذكرهم
 ان عدّ أهل التقى كانوا أمّتهم
 لا يستطيع جواد بعد غايتهم
 هم الغيوث اذا ما أزمة أزمّت
 يأبى لهم أن يحلّ الذمّ ساحتهم
 لا يقبض العسر بسطاً من أكفّهم
 أيّ الخلائق ليست في رقابهم
 من يعرف الله يعرف أولية ذا

قال: فغضب هشام وأمر بحبس فرزدق، فحبس بعسفان بين مكة والمدينة، فبلغ ذلك علي بن الحسين عليه السلام، فبعث إليه باثني عشر ألف درهم، وقال: أعذرنا يا أبا فراس، فلو كان عندنا أكثر من هذا لوصلناك به، فردّها، وقال: يا بن رسول الله ما قلت الذي قلت الاّ غضباً لله ولرسوله، وما كنت لأزراً عليه شيئاً، فردّها إليه وقال: بحقّي عليك لما قبلتها، فقد رأى الله مكانك وعلم نيتك، فقبلها، فجعل الفرزدق

يهجو هشاماً وهو في الحبس ، فكان ممّا هجاه به قوله :

أحبسني بين المدينة والتي إليها قلوب الناس يهوي منيها
يقلّب رأساً لم يكن رأس سيّد وعيناً له حواء باد عيوبها
فبعث إليه فأخرجه (١).

وقد جرت العادة في من حصل له جزء من هذه النباهة أن لا يسلم من أسنة أعدائه ، ونسبتهم إياه الى بعض العيوب القادحة في الديانة والأخلاق ، فعلم أنّه سبحانه هو المتولّي لحفظ أمتنا ﷺ من أسنة الناس بلطفه وجميل صنعه خرقاً للعادة ؛ ليدلّ على أنّهم حججه على عباده ، والسفراء بينه وبين خلقه ، والأركان لدينه ، والحفظة لشرعه ، وهذا واضح لمن تأمل من أولي الألباب .

الدليل الحادي عشر

[اقرار جميع ارباب المذاهب بفضلهم وجلالتهم ﷺ]

أنا نجد من تسخير الله تعالى الوليّ لهم في التعظيم لمنزلتهم والغدوّ لهم في الاجلال لمرتبهم ، الهامه سبحانه جميع القلوب ، اعلاء شأنهم ورفع مكانهم ، على تباين مذاهبهم وآرائهم ، واختلاف أهوائهم ، فقد علم كلّ من سمع الأخبار وتتبع الآثار ، أنّ جميع المدّعين لاستحقاق أمر الامامة والخلافة كانوا مقرّين بفضل هؤلاء الأئمّة الاثني عشر ، ولم ينكروا فضلهم . فعلمنا أنّ تعظيمهم إياهم مع ظاهر عداوتهم ، واجماعهم على ضدّ مرادهم من التبجيل والاكرام ، تسخير من الله تعالى لهم ، ليعلم أنّهم أئمّة الهدى والحجج على أهل الدنيا .

ويؤيد ما ذكرناه ما شاهدنا الطوائف المختلفة ، والفرق المتباينة في المذاهب

(١) راجع : حلية الأولياء ٣ : ١٣٩ ، والأغاني ١٤ : ٧٥ و ١٩ : ٤٠ ، والبحار ٤٦ : ١٢٤ -

والآراء ، قد أجمعوا على تعظيم قبورهم ، وفضل مشاهدتهم ، حتى أنهم يقصدونها من البلاد النائية ، ويلتمون بها ، ويتقربون الى الله سبحانه بزيارتها ، ويستنزلون عندها من الله الأرزاق ، ويستفتحون الأغلاق ، ويطلبون ببركاتها الحاجات ، وهذا هو المعجز المخارق للعادة ، والآفا الحامل للفرق المختلفة على هذا الاجتماع ؟ ولم يفعلوا بعض ما ذكرناه بمن يعتقدون بامامته وفرض طاعته ، وهو في الدين موافق لهم .

ألا ترى أن ملوك بني أمية وخلفاء بني العباس مع كثرة شيعتهم ، وكونهم أضعاف شيعه أئمتنا عليه السلام ، وكون الدنيا لهم وفي أيديهم ، وكانوا سلاطين على العالمين والجمهور كانوا يعظّمونهم ويخطبون لهم فوق المنابر في شرق الأرض وغربها ، ويسمّونهم بامرة المؤمنين ، لم يلم أحد من شيعتهم وأوليائهم فضلاً من أعدائهم بقبورهم ، بل لا يعرف أولياؤهم مواضع كثير من قبورهم ، مع أن دواعي الدنيا ورغباتها عند هذه الطائفة مفقودة ، وعند أولئك موجودة .

فن المحال أن يكونوا فعلوا ذلك لداع من دواعي الدنيا ، ولا يمكن أيضاً أن يكون لتقية ، فإن التقية هي فيهم لا منهم ، فلم يبق إلا أن يكون بقهر القاهر الذي يدلل الصعاب ، ويسبب الأسباب .

ومن عجيب ما شاهدت حين توجهي الى بيت الله الحرام من طريق البحر ، أن البحر قد هاج ، وأشرفت السفينة على الغرق ، فاضطرب الملاحون اضطراباً شديداً ، وكانوا يصيحون ويدعون ويتوسلون بالأئمة الاثني عشر ، مع أنهم كانوا من أهل السنة من المالكية ، ولم يذكروا في وقت الطوفان اسم واحد من أئمتهم ، فسألت مقدمهم ورئيسهم عن سبب ذلك ، فقال : من عادة أهل البحر أنهم يتوسلون عند الطوفان والهيجان بالأئمة الاثني عشر ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

الدليل الثاني عشر على امامتهم

[اجتماع جميع العلوم والفنون عند آل محمد عليهم السلام]

ما ظهر عنهم من العلوم التي تفرقت في فرق العالم ، فحصل في كل فرقة فنّ منها ، واجتمعت فنونها وسائر أنواعها في آل محمد عليهم السلام ، ألا ترى الى ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام في أبواب التوحيد والكلام الباهر المفيد ، من الخطب ، وعلوم الدين ، وأحكام الشريعة ، وتفسير القرآن ، وغير ذلك ، ما زاد على كلام جميع الخطباء والعلماء والفصحاء ، حتى أخذ عنه المتكلمون والفقهاء والمفسرون ، ونقل عنه أهل العربية أصول الاعراب ومعاني اللغات ، وقال في الطبّ ما استفاد منه الأطباء ، وفي الحكمة والوصايا والآداب ما أربى على كلام جميع الحكماء ، وفي النجوم وعلم الآثار ما استفاد من جهته جميع أهل الملل والآراء .

ثمّ قد نقلت الطوائف عن عترته الطاهرين مثل ذلك من العلوم ، ولم يختلف في فضلهم وعلو درجاتهم ^(١) في ذلك من أهل العلم اثنان .

فقد ظهر عن الباقر والصادق عليهم السلام لما تمكنا من الاظهار ، وزالت عنها التقيّة التي كانت على سيّد العابدين ، من الفتاوى في الحلال والحرام وسائر المسائل . وروى الناس عنها من علوم الكلام ، وتفسير القرآن ، وقصص الأنبياء ، وأخبار العرب وملوك الأمم ما سمي أبو جعفر باقر العلم .

وقد روى مسلم في أوّل صحيحه : أنّ جابر الجعفي روى عن أبي جعفر الباقر سبعين ألف حديث ^(٢) .

وروى عن الصادق عليه السلام من مشهوري أهل العلم أربعة آلاف انسان ، وصنّف

(١) في «ق» : درجاتهم .

(٢) صحيح مسلم ١ : ٢٠ .

من جواباته في المسائل أربعمائة كتاب هي معروفة ، رواها أصحابه وأصحاب أبيه من قبله وأصحاب ابنه أبي الحسن موسى عليه السلام ، ولم يبق فنٌّ من فنون العلم إلا وروي عنه عليه السلام فيه أبواب ، وكذا سائر أئمتنا ، كما لا يخفى على المستمع لآثار أهل البيت عليهم السلام .

ووجه دلالة علمهم عليهم السلام على امامتهم أنّ من ادّعى الامامة من معاصري أئمتنا عليهم السلام لم يكونوا في درجتهم من العلم ، ولا في أدنى مرتبتهم ، فلا يجوز مع وجودهم اتّباع غيرهم ؛ لقبحه عقلاً ، ولقوله تعالى ﴿ أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أم لا يهدي إلا أن يهدى ﴾ ^(١) فثبت امامتهم ، وبطل امامة من سواهم .

الدليل الثالث عشر

[لا تثبت الامامة بالاختيار]

انّ الامامة لا تثبت بالاختيار ؛ لأنّ الاختيار لو كان أمراً شرعياً موافقاً لارادة الله تعالى لنصّ عليه الله ورسوله ، وعلى الصفات التي ينبغي أن يكون عليه المختار ؛ لئلا يلزم الاختلاف والتنازع الشديد في وجوب النصّ وعدمه ، وفي اعتبار العصمة وعدمها ، حتّى لا ينتهي الأمر الى القتل والنهب ، وتكفير الناس بعضهم بعضاً ، وكيف يمكن اهمال مثل هذا من الرؤوف الرحيم ، مع عدم اهمال أحكام الخلاء وأمثاله .

لا يقال : ربّما ورد الأمر بالاختيار والنصّ عليه ولم ينقل لنا .
 لأنّا نقول : هذا محال عادة ؛ لأنّ الداعي على نقله عظيم ؛ لأنّه موافق لمذهب الملوك والمنغلبين ، وهم محتاجون اليه وكانت الدنيا في أيديهم ، ونفوس الناس مائلة اليهم ، وكانت الرواية في طلب ما يتقرّبون به اليهم ، فلو كان نصّ على الاختيار

وصفات المختار لاشتهر .

فبطل بما بيّناه مذهب أهل السنّة ، فإنّهم قالوا بثبوت الامامة باختيار الأُمّة ، ولكنّهم اختلفوا في كفيّة الاختيار ، فقال جماعة منهم بأنّه اذا عقد خمسة عدول علماء أو واحد منهم ، ورضي باقبيهم لرجل هو أهل للامامة ، ولم يكن في الوقت امام ولا عهد لامام ، صار المعقود له اماماً ؛ لأنّ عمر عقد لأبي بكر في السقيفة ، ورضي ابن الجراح وسالم مولى حذيفة وبشر بن سعيد وأسيد بن خضير ، وفي الشورى عقد عبد الرحمن لعثمان ، ورضي علي وسعد وطلحة والزبير ، ونقل عن الجويني في ارشاده القول بأنّ الامامة تنعقد برجل واحد (١) .

وقال صاحب المواقف : واذا ثبت حصول الامامة بالاختيار والبيعة ، فاعلم أنّ ذلك لا يفتقر الى الاجماع ؛ اذ لم يقم عليه دليل من العقل والسمع ، بل الواحد والاثتان من أهل الحلّ والعقد كاف ؛ لعلنا أنّ الصحابة مع صلابتهم في الدين اکتفوا بذلك ، كعقد عمر لأبي بكر ، وعقد عبد الرحمن بن عوف لعثمان ، ولم يشترطوا اجماع من في المدينة فضلاً عن اجماع الأُمّة .

وقال جماعة أخرى من أهل السنّة : باشرط الاجماع ، ورضا كلّ من أهل الحلّ والعقد ، فلمّا بطل بما ذكرناه مذهب أهل السنّة القائلين بالاختيار ، ثبت حقيّة مذهب الاماميّة وامامة أئمّتهم الاثني عشر ؛ لأنّ الموجود في هذا الزمان من المعدودين من الشيعة فرقان : الزيدية ، والاسماعيلية .

فأمّا بطلان مذهب الزيدية ، فظاهر ؛ فإنّهم افرقوا ثلاث فرق : السليمانية ، والصالحية ، وهما قائلان بامامة الشيخين لرضاء علي بهما ، وما ذكرناه في ابطال امامتهما يبطل مذهب هاتين الفرقتين .

وأما الجارودية وهي الفرقة الثالثة ، فتبرّوا من الثلاثة وطعنوا عليهم ، وحكموا

بكفرهم ، وهؤلاء لم يشترطوا العصمة ، ولا النصّ الجليّ ، ولا الاحاطة بجميع الأحكام ، بل اكتفوا في تعيين الامام بالدعوة والقيام ، وما ذكرناه في اعتبار العصمة والنصّ والاحاطة بجميع الأحكام يبطل هذا المذهب .

وكلّ ما ذكرناه في بطلان الاختيار وسنذكره أيضاً ، يبطله ؛ لأنّ هذا المذهب يرجع الى القول بأنّ كلّ فاطميّ اختار لنفسه الامامة وقام ودعا الناس فهو امام ، واعتقدوا أنّ نصب الامام واجب على الرعيّة عقلاً ، فكلّمنا يبطل اختيار الأئمة في الامامة يبطل مذهبهم .

ويبطل أيضاً ما تواتر أنّ الأئمة اثني عشر ، ويمكن ابطال هذا المذهب بأنّ القيام أعمّ من الامامة ، اذكم من قائم كاذب ، ولو كان القيام شرطاً مع أنّه لا يجوز ايقاعه الاّ من الامام ، لزم الدور ، وهؤلاء الزيديّة في الفروع مقلّدة لأبي حنيفة المخرب للشريعة الحنفيّة ، وكفي هذا دليلاً على بطلان مذهبهم .

وأما الاسماعيليّة ، فمذهبهم واضح البطلان ؛ لسوء عقائدهم ، وقبح مذاهبهم ، وهؤلاء سمّوا بالاسماعيليّة لانتسابهم الى اسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام ، وبالباطنيّة فلقولهم : كلّ ظاهر له باطن يكون ذلك الباطن مصدراً ، وذلك الظاهر مظهره له ، ولا يكون ظاهر لا باطن له ، الآهو مثل السراب ، ولا باطن لا ظاهر له الاّ خيال لا أصل له ، ولقبوا بالملاحدة لعدولهم عن ظاهر الشريعة الى بواطنها في بعض الأحوال .

ومذهبهم : أنّ الله تعالى أبدع بتوسّط معنى يعبرّ بكلمة « كن » أو غيرها عالمين : عالم الباطن وهو عالم الأمر ، وعالم الغيب وهو يشتمل على العقول والنفوس والأرواح والحقائق كلّها ، وأقرب ما فيها الى الله هو العقل الأوّل ثمّ ما بعده على الترتيب ، وعالم الظاهر وهو عالم الخلق وعالم الشهادة ، ويشتمل على الأجرام العلويّة والسفليّة ، والأجسام الفلكيّة والعنصريّة ، وأعظمها العرش ، ثمّ الكرسيّ ، ثمّ سائر الأجسام على الترتيب .

والعالمان ينزلان من الكمال الى النقصان ، ويعودان من النقصان الى الكمال ، حتى ينتهي الى الأمر ، وهو المعبر عنه بـ « كن » وينتظم بذلك سلسلة الوجود الذي مبدأه من الله ومعاده اليه ، ثم يقولون : الامام مظهر الأمر ، وحيثه مظهر العقل الذي يقال له العقل الأوّل وعقل الكلّ ، والنبيّ مظهر النفس التي يقال لها نفس الكلّ ، والامام هو الحاكم في عالم الباطن ، ولا يصير غيره عالماً بالله الآ بتعليمه آياه ، ولذلك يسمّونهم بالتعليميّة ، والنبيّ هو الحاكم في عالم الظاهر ، ولا تتمّ الشريعة التي يحتاج الناس اليها الآ به ، ولا يخلو زمان عن امام : إمّا ظاهر ، وإمّا مستور ، وطريقتهم التآليف بين أقوال الحكماء وأقوال أهل الشرع .

وأما تعيين أئمة الاسلام ، فقالوا : الامام في عهد رسول ﷺ كان عليّاً ، وبعده كان ابنه الحسن اماماً مستودعاً ، وابنه الحسين اماماً مستقراً ، ولذلك لم يذهب الامامة في ذريّة الحسن ، فانتهد بعده الى علي ابنه ، ثمّ الى محمّد ابنه ، ثمّ جعفر ابنه ، ثمّ الى اسماعيل ابنه وهو السابع . وقالوا بأنّ الأئمة في عهد ابن اسماعيل محمّد صاروا مستورين ، ولذلك سمّوهم بالسبعيّة ؛ لوقوفهم على السبعة الظاهرة ، ودخل في عهد محمّد زمان استتار الأئمة وظهور دعواتهم .

ثمّ ظهر المهدي ببلاد المغرب ، وادّعى أنّه من أولاد اسماعيل ، واتّصل أولاده ابن بعد ابن الى المستنصر ، واختلفوا بعده ، فقال بعضهم بامامة نزار ابنه ، وبعضهم بامامة المستعلي ابنه الآخر ، وبعد نزار استتر أئمة الزارّيين ، واتّصلت امامة المستعليين الى أن انقطع في العاضد ، وكان الحسن بن علي بن محمّد بن الصباح المستولي على قلعة الموت من دعاة الزارّيين ، ثمّ ادّعوا بعده أنّ الحسن الملقّب بعلي كان اماماً ظاهراً من أولاد نزار ، ثمّ انقرضوا .

ولا يخفى على البصير بأدنى تأمل بطلان مذهب هؤلاء الملاحدة المخالفة لدين الاسلام ، وأكثر ما دلّ على بطلان مذهب الزيدية دلّ على بطلان مذهبهم أيضاً .

وأما غير هاتين الفرقتين من فرق الشيعة ، فكفى في ابطالهم انقراضهم ، ولا

يحتاج الى تطويل الكلام في ابطال شبههم .

فلما ثبت بطلان مذهب أهل السنة ومن سوى الامامية من فرق الشيعة ، ثبت حقيقة الامامية وأمتهم الاثني عشر ؛ لامتناع اتفاق كل الأمة على الباطل وخلاف الحق .

الدليل الرابع عشر

[أمر الامامة بيد الله تعالى]

قوله تعالى لنبينه ﷺ ﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾ (١) وقوله ﴿ ان الأمر كله لله ﴾ (٢) ووجه الدلالة : أن الآية الأولى تدلّ على أن النبي ﷺ مع كمال عقله وعلمه ليس له من الأمر شيء . والثانية تدلّ على أن الأمر كله كبيره وصغيره لله ومختصّ به .

ولا ريب أن أمر الامامة من أعظم الأمور وأهمّها ، فبمقتضى الآيتين لا يجوز أن يباشر النبي ﷺ مع كماله تعيين الامامة من عنده بغير اذن الله ، فغير النبي ﷺ بطريق الأولى لا يجوز لهم تعيين الامام .

ومما يؤيد الآية ما رواه علي بن محمد بن يونس في الصراط المستقيم ، عن جرير الطبري ، أن بني كلاب قالوا للنبي ﷺ : نبايعك على أن يكون الأمر لنا بعدك ، فقال : الأمر لله ان شاء فيكم ، وان شاء في غيركم (٣) . فبطل بالآيتين امامة الأئمة الثلاثة المبنيّة على الاختيار ، فثبت امامة أمتنا الاثني عشر ؛ لأنّ من سواهم من أئمة المتبدعين المعدودين من الشيعة قد بطلت بما بيناه سابقاً .

(١) آل عمران : ١٢٨ .

(٢) آل عمران : ١٥٤ .

(٣) الصراط المستقيم ١ : ٧٢ - ٧٣ .

الدليل الخامس عشر

{ لا يجوز التقدّم على الله والرسول والافتراء عليهما }

قوله تعالى ﴿ لا تقدّموا بين يدي الله ورسوله ﴾^(١) وقوله ﴿ الله أذن لكم أم على الله تفترون ﴾^(٢).

ووجه الدلالة : أنّ اختيار الامام بغير اذن من الله ورسوله تقديم بين يديهما وافتراء على الله ، فبطل امامة أئمة أهل الاختيار حيث اختاروهم بغير اذن من الله ورسوله ، وثبت امامة أئمتنا الأطهار حيث لا قائل بالفصل ، وأما قلنا أنّ اختيارهم بغير اذن من الله ورسوله ؛ لأنّ المخالف ليس له دليل من الكتاب والسنة عليه ، وينبغي أن نأتي بذكر أقوال المخالف في الاختيار ليتبيّن أنّ قولهم بالاختيار من غير دليل وبرهان .

قال الماوردي في أحكامه : وأما أهل الامامة ، فالشروط المعتمدة فيهم سبعة : أحدها : العدالة على شروطها الجامعة .

والثاني : العلم المؤدّي الى الاجتهاد في النوازل والأحكام .

والثالث : سلامة الحواس من السمع والبصر واللسان ليصحّ معها مباشرة ما يدرك بها .

والرابع : سلامة الأعضاء من نقص يمنع من استيفاء الحركة وسرعة النهوض .

والخامس : صحّة الرأي المفضي الى سياسة الرعيّة وتدبير المصالح .

والسادس : الشجاعة والنجدة المؤدّية الى حماية البيضة وجهاد العدو .

والسابع : النسب ، وهو أن يكون من قريش ؛ لورود النصّ فيه وانعقاد الاجماع

(١) الحجرات : ١ .

(٢) يونس : ٥٩ .

عليه ، ولا اعتبار بتفرّد من شدّ فجوّزها في جميع الناس ؛ لأنّ أبا بكر احتجّ يوم السقيفة على الأنصار في دفعهم لما بايعوا سعد بن عبادَةَ عليها ، بقول النبي ﷺ « الأئمّة من قريش » فأنا بوا^(١) عن التفرّد بها ، ورجعوا عن المشاركة فيها حين قالوا : منّا أمير ومنكم أمير ، تسليماً لروايته ، وتصديقاً لخبره ، ورضوا بقوله « نحن الأئمّة وأنتم الوزراء » وقال النبي ﷺ : قدّموا قريشاً ولا تتقدّموها . وليس مع هذا النصّ المسلم شبهة لمنازع فيه ، ولا قول لمخالف له .

فصل : والامامة تتعقد من وجهين : أحدهما باختيار أهل الحلّ والعقد ، والثاني : بعهد الامام من قبل ، فأما انعقادها باختيار أهل العقد والحلّ ، فقد اختلف العلماء في عدد من تتعقد به الامامة ، فهم على مذاهب شتى :

فقال طائفة : لا يتعقد الا بجمهور أهل العقد والحلّ من كل بلد ، ليكون الرضا به عاماً ، والتسليم لامامته اجماعاً ، وهذا مذهب مدفوع ببيعة أبي بكر على الخلافة باختيار من حضرها ، ولم ينتظر بها قدوم غائب عنها ، وكذلك ببيع في الشورى لم ينتظر ببيعة قدوم غائب .

وقالت طائفة أخرى : أقلّ من تتعقد به الامامة منهم خمسة يجتمعون على عقدها ، أو يعقدها أحدهم برضا الأربعة ، استدلالاً بأمرين : أحدهما : أنّبيعة أبي بكر انعقدت بخمسة اجتمعوا عليها ، ثمّ تابعهم الناس فيها ، وهم : عمر بن الخطّاب ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وأسيد بن خضير ، وبشير بن سعد ، وسالم مولى أبي حذيفة . والثاني : أنّ عمر جعل الشورى في ستة ليعقد لأحدهم برضا الخمسة ، وهذا قول أكثر الفقهاء والمتكلمين من أهل البصرة .

وقال آخرون من علماء الكوفة : يتعقد بثلاثة منهم يتولّاها أحدهم برضا الاثنين ، ليكونوا حاكماً وشاهدين ، كما يصحّ عقد نكاح بولي وشاهدين .

(١) في المصدر : فأقلعوا .

وقالت : طائفة أخرى : تنعقد بواحد ؛ لأنّ العباس قال لعليّ رضوان الله عليهما : أمدد يدك أبايعك ، فيقول الناس : عمّ رسول الله ﷺ بايع ابن عمّه ، فلا يختلف عليك اثنان ، ولأنّه حكم وحكم الواحد نافذ^(١) ، انتهى كلامه .

أقول : ما اعترف به من عدم الاجماع على خلافة أبي بكر حقّ ، وقد أشبعنا الكلام في بيانه في الفاتحه ، وأمّا سائر الأقوال في الاختيار ، فضعيف جداً ، وما حسبه دليلاً عليها ، ففي غاية السخافة ، كما لا يخفى على الحبير البصير ؛ لأنّ عمر والأربعة الذين كانوا معه لم يكونوا معصومين ، ففعلهم ليس بحجّة ، وكذا العباس ، على أنّه يمكن أن يكون غرضه اسكات الخصم والزامه باختيار ما هو حجّة عنده ، وأمّا مستند القول بالأكتفاء بالثلاثة والواحد ، فقياس ، وقد بيّنا أنّه لا يجوز العمل به أصلاً في الفروع والاصول .

فان قيل : اثبات الخلافة بالبيعة والاختيار لو لم يكن حقّاً لأنكر على المبايعين الصحابة .

قلنا : لا كلّ الصحابة تركوا الانكار ، بل أنكر عليهم جماعة ، ثم سكتوا تقيّة وخوفاً ، وترك جماعة منهم الانكار لورود الشبهة ، وجماعة طمعاً في الدنيا ورغبة اليها ، وقد أطبنا الكلام في هذا المقام في الفاتحه ، وذكرنا ما يرفع التعجّب في ترك انكار من ترك .

ويمكن الاستدلال بالآيتين على وجه آخر ، وهو أنّ الآيتين تدلّان على بطلان الإجتهااد والرأي ؛ لأنّ العمل بهما تقديم بين يدي الله ورسوله وعمل بغير اذنهما ، وغير الاماميّة عاملون بالرأي والاجتهااد ، فنبت حقيّة الاماميّة المنكرين لها ، وأتمّتهم الاثني عشر صلوات الله عليهم .

الدليل السادس عشر

قوله تعالى ﴿ وَرَبِّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ ﴾^(١) ووجه الدلالة: أن هذه الآية تدلّ على نفي الاختيار عن الأمة، فلا يجوز بمقتضى الآية أن يختاروا لأنفسهم، فبطل امامة أئمة المخالفين المبنية على الاختيار، فثبت امامة أئمتنا الاثني عشر.

ومما يؤيد الآية ما رواه علي بن محمد بن يونس في الصراط المستقيم، عن الشيرازي في كتابه الذي استخرجه من التفاسير الاثني عشر، مسنداً الى أنس، أن النبي ﷺ قال عند هذه الآية: ان الله اختارني وأهل بيتي على الخلق، فجعلني الرسول، وجعل علياً الوصي « ما كان لهم الخيرة » أي: ما جعلت للعباد أن يختاروا.

الدليل السابع عشر

قوله تعالى ﴿ اللهُ يَزَكِّيْهِمْ مِّنْ يَّشَاءُ ﴾^(٢) ﴿ أَهْمُ يَقْسَمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ ﴾^(٣) ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ ﴾^(٤)

ووجه الدلالة: أنّها تدلّ على أن ليس لأحد من الناس قسمة رحمة الربّ، ولا رفع الدرجات، ولا شك أن الامامة من رحمة الربّ، بل من أعظمها، فليس للأمة أن يختاروا لأنفسهم اماماً، ويرفعوا بها درجته، فاذا بطل امامة الأئمة المبنية على الاختيار ثبت بانضمام ما بيّناه سابقاً امامة أئمتنا الاثني عشر.

(١) القصص: ٦٨.

(٢) النساء: ٤٩.

(٣) الزخرف: ٣٢.

(٤) الاتعام: ٨٣.

الدليل الثامن عشر

قوله تعالى ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ (١)

ووجه الدلالة: أن الله تعالى أمر المؤمنين باتباع أولي الأمر الذين يكونون من المؤمنين، فيجب على المؤمنين أن لا يطيعوا إلا من علموا كونه مؤمناً، وقد اختلفت الأمة في إيمان أئمة المخالفين، فلوجود الشك في إيمانهم لا يجوز اطاعتهم، فثبت وجوب اطاعة أئمتنا المعصومين؛ لعدم الخلاف بين المسلمين في إيمانهم، وما نغني بالامامة الأوجوب الاطاعة.

ويمكن الاستدلال بالآية على وجه آخر: وهو أن صاحب الأمر هو الذي ولّاه الله؛ لأنه ليس لغير الله أمر، لقوله تعالى ﴿ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ﴾ (٢) فمن أعطاه الله الأمر بالنص فهو صاحب الأمر، ومن لم يعطه الأمر بالنص، فليس بصاحب الأمر، ولا يجب اطاعته، وأئمة المخالفين لم يكونوا منصوبين، فلم يكونوا أولي الأمر الواجب اتباعهم، فثبت أن أولي الأمر أئمتنا المعصومين الاثني عشر، ويجب اتباعهم دون غيره.

ويمكن الاستدلال أيضاً بوجه آخر: وهو أن أولي الأمر الذين أوجب الله تعالى علينا اتباعهم على سبيل الاطلاق كاتباع الله واتباع رسوله، لا يجوز أن يكونوا غير معصومين؛ لأن غير المعصوم لا يجوز اتباعه على سبيل الاطلاق، بل في حال العصيان يجب مخالفته ونهيه عنه، وأئمة المخالفين لم يكونوا معصومين بالاجماع، فثبت أن المراد بأولي الأمر أئمتنا المعصومين الاثني عشر.

نقل القاشي عن محمد بن مؤمن الشيرازي في رسالة الاعتقاد، عن عبد الله بن عباس، أنه قال: ان آية ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي

(١) النساء: ٥٩.

(٢) آل عمران: ١٥٤.

الأمر منكم ﴿ نزلت في شأن علي حين استخلفه الرسول على المدينة ^(١) .

الدليل التاسع عشر

الآيات الدالة على شفقة الله بخلقه

وذلك في آيات الرحمة ، والعفو ، والمغفرة ، والتوبة ، والنعمة ، وفي أمور رسوله بنحو ذلك من التلطّف ، والتغافل عنهم ، والارفاق بهم في قوله ﴿ فاصفح الصفح الجميل ﴾ ^(٢) ﴿ فبها رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم ﴾ ^(٣) .

فكيف يحسن من الله والرسول مع شدة عنايتها الاخلال بنصب الامام ، مع شدة الناس اليه ، مع أنّ النبي ﷺ من غاية اشفاقه ما كان يسافر عنهم حتى يجعل لهم من ينوبه فيهم وينظر في مصالحهم ، وأنه كان اذا أنفذ جيشاً أو سرية يقول : ان قتل أميركم فالأمير فلان ، وان قتل فلان فلان الآخر عوضه .

ذكر الحميدي في الجمع بين الصحيحين في الحديث الخامس والخمسين من افراد مسلم ، من مسند عبد الله بن عمر ، قال : أمر النبي ﷺ في غزوة موته زيد بن حارثة ، فقال : ان قتل زيد فجعفر ، فان قتل جعفر فعبد الله بن رواحة ^(٤) . وكل ذلك فعل النبي ﷺ لثلاً يقع بينهم اختلاف ، ولثلاً ينتشر أمرهم .

ان قيل : هذا من باب الخطابة والمسألة العلمية ، فلا يستفاد من الخطابة الآ الظن . قلنا : لا بل ذلك من باب مفهوم الموافقة ؛ فإنّ الأمر باللين والاستغفار والتواضع هابط في اللطيفة عن نصب الامام المعصوم ، فيجب بطريق الأولى ، فالخطاب الألهي

(١) احقاق الحق ٣ : ٤٢٥ عن مناقب الكاشي عن رسالة الاعتقاد .

(٢) الحجر : ٨٥ .

(٣) آل عمران : ١٥٩ .

(٤) الطرائف ص ٣٨٢ عن الجمع بين الصحيحين .

برهاني؛ لأن اثبات الرحمة التامة واردة المنافع العامة علة نصب الامام ، فهذا برهان لمي . فثبت بهذا الدليل بطلان مذهب أهل السنة والزيدية القائلين بعدم وجوب نصب الامام المعصوم على الله والرسول ، فثبت حقيقة مذهبنا وأمتنا الاثني عشر صلوات الله عليهم أجمعين .

الدليل العشرون

الآيات المتضمنة للاستمرار على حق اليقين

مثل قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله ﴾ (١) ومثل ﴿ اصبروا وصابروا ﴾ (٢) ﴿ وافعلوا الخير ﴾ (٣) ﴿ والله يحب الصابرين ﴾ (٤) ﴿ الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق ﴾ (٥) وقوله ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد ﴾ (٦) وقوله ﴿ أنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ﴾ (٧) .

والدوام على ذلك وشبهه مما لم تقض الضرورة به ، ولم تهتد العقول الى كسبه ، وأنما يحصل من النبي ﷺ ، ومع فقدته فمن الامام عليه السلام ، وغير المعصوم يشارك في الحاجة ، فثبت وجود الامام المعصوم المستلزم لحقيقة الأئمة الاثني عشر لما بيناه آنفاً .

(١) النساء : ١٣٦ .

(٢) آل عمران : ٢٠٠ .

(٣) الحج : ٧٧ .

(٤) آل عمران : ١٤٦ .

(٥) الرعد : ٢٠ .

(٦) ابراهيم : ٧ .

(٧) الحجرات : ١٥ .

الدليل الحادي والعشرون

الآيات التي نهى فيها عن المعاصي

مثل ﴿من يعمل سوءاً يجز به﴾^(١) و ﴿من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته﴾^(٢) ﴿كل امرء بما كسب رهينة﴾^(٣) ﴿فمن افترى على الله الكذب﴾^(٤) ﴿اعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾^(٥) ﴿حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيت﴾^(٦) ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا﴾^(٧).

فهذه الآيات ونحوها لا يوصل الى حقائقها إلا المعصوم؛ إذ الكتاب والسنة مشتملان على المجملات والمتشابهات، وتفويض استخراج ذلك الى الاجتهاد المختلف باختلاف الامارات فيه تعطيل الأمور، والتكليف بغير المقدور، والخوف من عدم اصابة الحق. وقد نقل أن رجلاً دخل على فخر الرازي في موضعه، فوجده يبكي، فقال: مم بكأوك؟ فقال: مسألة حكمت بها من ثلاثين سنة، وضعتها في مصنفاتي، وسارت بها الركبان، والآن ظهر لي أنها خطأ، فما يؤمنني أن يكون جميع ما صنفته وألفته كذلك، فهذا خوف امامهم مع سعة فضله وفهمه.

فان قيل: يلزم من قولكم بطلان الاجتهاد.

قلنا: نعم^(٨)، هذا قولنا وقول علمائنا المتقدمين، والمتواتر عن أئمتنا المعصومين،

(١) النساء: ١٢٣.

(٢) البقرة: ٨١.

(٣) الطور: ٢١.

(٤) آل عمران: ٩٤.

(٥) آل عمران: ١٠٣.

(٦) آل عمران: ١٥٢.

(٧) آل عمران: ١٠٥.

(٨) أي: في الأصول الاعتقادية، وفي مقابل النصوص.

وقد تقدّم أنّ حالنا في زمان الغيبة كحال المستضعفين من أهل مكّة ، وأيضاً حالنا كحال المظلومين المحبوسين في سجن الظالمين ، وكالأسرى في أيدي المشركين ، فالواجب علينا العمل بما نعلم ، والتوقّف فيما لا نعلم ، كالواجب عليهم ، وهكذا حكم الله في العباد حال الاضطرار لا حال الاختيار .

الدليل الثاني والعشرون

قوله تعالى ﴿ انّ عبادي ليس لك عليهم سلطان الاّ

من اتّبعك من الغاوين ﴾ (١)

فتميّنت عصمة البعض ، وهذا البعض لا يجوز أن يكون غير النبيّ والامام ؛ لقوله تعالى ﴿ أفمن يهدي الى الحقّ أحقّ أن يتّبع أم من لا يهديّ الاّ أن يهدى ﴾ (٢) ولأنّ الاحتياج الى عصمة الامام أكثر ، فثبت أنّ هذا البعض هم الأنبياء والأئمّة ، فاذا ثبت عصمة بعضهم ثبت عصمة الكلّ ؛ لأنّه لا قائل بالفصل ، فثبت حقّيّة مذهب الاماميّة وأئمّتهم ؛ لأنّ غيرهم لم يقولوا بعصمة كلّ الأنبياء والأئمّة عليهم السلام .

ويمكن الاستدلال بوجه آخر : وهو أنّ الاستفادة من الآية أنّه لا يتّبع ابليس الاّ من كان من الغاوين ، ونبينا ﷺ ليس منهم ؛ لقوله تعالى ﴿ ما ضلّ صاحبكم وما غوى ﴾ (٣) فثبت عصمته المستلزمة لعصمة كلّ الأنبياء والأئمّة لعدم القول بالفصل ، فثبت حقّيّة مذهب الاماميّة وأئمّتهم .

ويمكن الاستدلال أيضاً بوجه آخر : وهو أنّ النبيّ ﷺ لو لم يكن ممّن لا سلطان لابليس عليه ، يلزم أن يكونوا أكرم عند الله من نبينا ﷺ ، لقوله تعالى ﴿ انّ

(١) الحجر : ٤٢

(٢) يونس : ٣٥ .

(٣) النجم : ٢ .

أكرمكم عند الله أتقاكم ﴿^(١) وهو خلاف اجماع المسلمين ، فثبت عصمة نبيِّنا ﷺ المستلزمة^(٢) لعصمة كل الأنبياء والأئمة ، فثبت حقيقة مذهب الامامية وأئمتهم الاثني عشر .

الدليل الثالث والعشرون

الآيات المتضمنة للتقوى

مثل قوله تعالى ﴿ وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ﴾^(٣) وقوله ﴿ هدى للمتقين ﴾^(٤) وقوله ﴿ ان المتقين في جنات ﴾^(٥) ونحو ذلك .
 ووجه الاستدلال : أن التقوى المحثوث عليها المرغَّب فيها إنما يحصل بامتثال الأوامر واهمال الزواجر ، فان لم يكن للتكليف طريقاً يؤدي الى العلم بذلك على الاطلاق لزم التكليف بما لا يطاق ، والظن لا يكفي ؛ لقوله تعالى ﴿ ان الظن لا يغني من الحق شيئاً ﴾^(٦) فوجب وجود المعصوم ليفيد العلوم .

(١) الحجرات : ١٣ .

(٢) في «ق» : فثبت عصمة نبيِّنا ﷺ لولم يكن بمن سلطان لا بليس عليهم يلزم الثاني المستلزمة .

(٣) البقرة : ١٩٧ .

(٤) البقرة : ٢ .

(٥) الذاريات : ١٥ .

(٦) النجم : ٢٨ .

الدليل الرابع والعشرون

الآيات المتضمنة للرحمة

مثل قوله تعالى ﴿ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ﴾ ^(١) ﴿ إن رحمة الله قريب من المحسنين ﴾ ^(٢) وأمثالها .

ووجه الاستدلال : أن الرحمة تكون ثبوتها للمحسنين بفعل مأمورات التكليف وترك منهياتها ، فلا بد في كل زمان من امام معصوم يستفاد منه طرق الرحمة ؛ لاختلاف المفسرين في الكتاب ، واختلاف الرواة في السنّة ، فثبت امامة الاثني عشر المعصومين ؛ لأنّ غيرهم من الأئمّة لم يكونوا معصومين بالاجماع .

الدليل الخامس والعشرون

الآيات المتضمنة للخوف والوعيد

مثل قوله تعالى ﴿ ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ ^(٣) وقوله ﴿ ما على المحسنين من سبيل ﴾ ^(٤) وقوله ﴿ يعذب من يشاء ﴾ ^(٥) ﴿ وماؤاهم جهنم ﴾ ^(٦) .

ووجه الاستدلال : أن خروج المكلف من خوف الوعيد والسقوط في العذاب الشديد أمّا يكون باختيار ما يوجب ذلك ، وهو غير عالم بما يوجبه ، أو يسلبه من تلقاء نفسه ، ولا يمتنّ جاز خطأه لجواز معصيته ، فلا ملجأ له في زوال الهمّ القادح الآ بهداية من لا يفعل ولا يأمر الآبصالح ، وذلك هو الامام المعصوم ، فثبت امامة

(١) البقرة : ١٥٧ .

(٢) الأعراف : ٥٦ .

(٣) البقرة : ٦٢ و ١١٢ و ٢٦٢ و ٢٧٤ و ٢٧٧ وغيرها .

(٤) التوبة : ٩١ .

(٥) البقرة : ٧٣ وغيرها .

(٦) التوبة : ٧٣ .

الاثني عشر؛ لأنَّ غيرهم من الأئمَّة لم يكونوا معصومين بالاجماع .

الدليل السادس والعشرون

الآيات الناطقة بما يوجب الهلاك

مثل قوله تعالى ﴿ ولا تعتدوا إنّ الله لا يحبّ المعتدين ﴾^(١) ﴿ ولا تفسدوا ﴾^(٢) ﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ﴾^(٣) .

والكتاب والسنة غير كاف في بيان ما يوجب الهلاك ، فلا بدّ من وجود معصوم يجزم العبد بصوابه ، ولا يخشى أتباعه من غضب الله وعقابه ، فثبت امامة أئمتنا الاثني عشر عليهم السلام على ما بيّناه مراراً .

الدليل السابع والعشرون

[الآيات الناهية عن التفرّق والاختلاف]

قوله تعالى ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا ﴾^(٤) وقوله سبحانه ﴿ ولا تكونوا كالذين تفرّقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البيّنات أولئك لهم عذاب عظيم ﴾^(٥) .

ووجه الدلالة: أنّ الله تعالى كلّفنا بترك التفرّق والاختلاف ، وهو مع عدم الامام المؤيّد المعصوم محال ، والتكليف بالمحال محال ، فلا بدّ في كلّ زمان من امام معصوم ، وأئمّة المخالفين لم يكونوا معصومين بالاجماع ، فثبت امامة أئمتنا المعصومين عليهم السلام .

(١) البقرة : ١٩٠ والمائدة : ٨٧ .

(٢) الأعراف : ٥٦ و ٨٥ .

(٣) البقرة : ١٨٨ وغيرها .

(٤) آل عمران : ١٠٣ .

(٥) آل عمران : ١٠٥ .

الدليل الثامن والعشرون

[الآيات الدالة على اتباع الصراط المستقيم]

قوله تعالى ﴿ وانّ هذا صراطي مستقيماً فاتَّبِعوه ﴾ (١) وقوله ﴿ قل أنّي هداني ربّي الى صراط مستقيم ﴾ (٢) وقوله ﴿ اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ (٣) الآية .

ووجه الدلالة : أنّ هذه الآيات تدلّ على أنّ الله تعالى ديناً قيماً لا اختلاف فيه ، وطريقاً مستقيماً لا عوج لها ، ويجب علينا اتّباعه ، وهذا لا يمكن إلاّ بنصب امام معصوم حافظ لجميع مسائل الدين ، مرشداً الى سبيل اليقين .

وعلى مذهب المخالفين للامامية القائلين بأنّ الامامة بالاختيار ليس لله صراط مستقيم يجب علينا اتّباعه ؛ لأنّ مفسّريهم ورواتهم مختلفون في الكتاب والسنة ، والدين عندهم ما اقتضى آراء مجتهديهم ، للحلال ما حلّوه ، والحرام ما حرّموه .

لأنّ المخالفين في أحكام الله على قولين : فمنهم من قال : إنّ الله تعالى ليس له حكم على التعيين ، بل الأحكام تابعة لآراء المجتهدين ، وكلّ مجتهد مصيب فيما رآه . ومنهم من قال : إنّ الله تعالى في كلّ واقعة حكماً معيّناً ، ولكن لم ينصب على أكثر الأحكام أدلّة ، بل المجتهدين يعمل بالامارات ، فان أصاب فله أجران ، وان أخطأ فله أجر واحد .

وقد ترتّب على فتح باب الاجتهاد مفسدات عظيمة ، من الحروب ، والقتال ، ونهب الأموال ، وقد أفتى مجتهدوهم خصوصاً أبو حنيفة بما هتكوا به حرمة الاسلام وأهله ، وسيجيء ان شاء الله في الخاتمة بعض فتاويهم الشنيعة .

(١) الأنعام : ١٥٣ .

(٢) الأنعام : ١٦١ .

(٣) الفاتحة : ٦ - ٧ .

فثبت حقيّة الامامية القائلين بأنّ الله تعالى في كلّ واقعة حكماً معيّناً معلوماً عليه دليل قاطع ، وجامع الأحكام كلّها أئمة أهل البيت الاثني عشر عليهم السلام؛ لأنّ صراط الله على ما ذهبوا اليه مستقيم ، واتباعه بالرجوع الى أئمة أهل البيت واجب حيث أمكن . وأمّا في حال الغيبة ، فقد بيّنا حكم الشيعة فيها ، بأنهم كالمستضعفين من أهل مكّة ، وكالمهاجرين الى الحبشة ، يعملون بما يعلمون ، ويحتاطون فيما لا يعلمون .

وقد أشار مولانا ومقتدانا أمير المؤمنين عليه السلام بما رواه في نهج البلاغة الى بطلان الاجتهاد والعمل به ، قال عليه السلام : ترد على أحدهم القضية في حكم من الأحكام ، فيحكم فيها برأيه ، ثمّ ترد تلك القضية بعينها على غيره ، فيحكم بخلاف قوله ، ثمّ تجتمع القضاة بذلك عند الامام الذي استقضاهم ، فيصوّب آراءهم جميعاً ، وأهلهم واحد ، ونبيّهم واحد ، وكتابهم واحد .

أفأمرهم الله سبحانه بالاختلاف فأطاعوه ، أم نهاهم عنه فعصوه ، أم أنزل الله سبحانه ديناً ناقصاً فاستعان بهم على اتمامه ، أم كانوا شركاء له ، فلهم أن يقولوا وعليه أن يرضى ؟ أم أنزل الله ديناً تاماً فقصر الرسول صلّى الله عليه وآله عن تبليغه وأدائه ، والله سبحانه يقول ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾ وفيه تبيان لكلّ شيء ، وذكر أنّ الكتاب يصدّق بعضه بعضاً ، وأنّه لا اختلاف فيه ، فقال سبحانه ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ وإنّ القرآن ظاهره أنيق ، وباطنه عميق ، لا تغني عجائبه ، ولا تنفضي غرائب ، ولا تكشف الظلمات الآبه ^(١) .

وقد أوردنا في الدليل الأوّل نقلاً عن كتب المخالفين عدّة روايات دالات على حرمة العمل بالرأي .

(١) نهج البلاغة ص ٦٠ - ٦١ برقم : ١٨ .

الدليل التاسع والعشرون

انَّ أئمةَ المخالف لا يجوز اتِّباع قولهم وقبول شهادتهم

ومن كان كذلك لا يجوز امامته بالاجماع ، فبطل امامتهم . أمّا الدليل على الصغرى ، فقوله تعالى ﴿ ان جاءكم فاسق نبأ فتيّبوا ﴾ (١) .

ووجه الدلالة : أنّه يدلّ على وجوب التبيّن عند خبر الفاسق ، وهو بمعنى من قام به الفسق ، فبمقتضى الآية يجب التوقّف عند خبر كلّ من لم يعلم عدالته ، وأئمة المخالف لا يعلم عدالتهم ؛ لأنّ الأئمة في شأنهم مختلفون ، والاجماع الذي ادّعوه فقد أبطلناه ، وكذا سائر شبههم التي تمسّكوا بها ، فلا يجوز اتِّباع قولهم وقبول شهادتهم ، فثبت امامة الأئمة الاثني عشر ؛ لعدم القائل بالفصل ، والاجماع الأئمة على عدالتهم .

الدليل الثلاثون

[اختلاف الأئمة في شأن أئمة المخالفين]

انّ الأئمة مختلفون في شأن أئمة المخالفين ، فقال قوم بعدالتهم ، وقوم بظلمهم وضلالتهم ، فيحتمل أن يكونوا ظالمين ، ومن كان كذلك لا يجوز الحكم بامامته ؛ لقوله تعالى ﴿ لا ينال عهدي الظالمين ﴾ (٢) .

ووجه الدلالة : أنّ الظالم بحسب وضع اللغة بمعنى من قام به الظلم ، فمن لم يعلم عدم قيام الظلم به لا يجوز الحكم بامامته ، فثبت امامة أئمتنا ؛ للاتّفاق على عدالتهم ، ولعدم القائل بالفصل .

(١) الحجرات : ٦ .

(٢) البقرة : ١٢٤ .

الدليل الحادي والثلاثون

الآيات والروايات الدالة على اشتغال الصحابة على المنافقين

وقد كان حذيفة ممن يعرف المنافقين ، قال صاحب الصراط المستقيم : وحديث حذيفة في أهل العقبة أخرجه الحميدي في الجمع بين الصحيحين في الحديث الأول من افراد مسلم ، وفي الحديث الخامس أيضاً ، وأخرجه العبدري في الجزء الثالث في ثاني كراس من صحيح مسلم ، وفي ذلك : انّ منهم ثمانية لا يدخلون الجنة الآن يلج الجمل في سمّ الخياط ^(١) .

وفي الجزء الثالث من صحيح مسلم : أنّه عليه السلام قال لعائشة : أشدّ ما لقيت من قومك يوم العقبة ^(٢) .

ووجه الدلالة : أنّه علمنا وجود المنافقين في الصحابة بمقتضى الآية والرواية ، وأئمة المخالف ممن اختلف في نفاقهم ، وليس في الأدلّة ما يشهد ببراءتهم منه ، بل القرائن الواضحات على نفاقهم كثيرة ، وسنوردها ان شاء الله تعالى في ذكر مثالهم ، وقوله عليه السلام لعائشة « أشدّ ما لقيت من قومك يوم العقبة » قرينة واضحة أيضاً ، فلا يجوز الحكم بامامتهم ، فثبت امامة أئمتنا ؛ لأنّ الاجماع والكتاب والسنة دلّت على طهارتهم ، ولأنّه لا قائل بالفصل .

(١) صحيح مسلم ٤ : ٢١٤٣ برقم : ٢٧٧٩ .

(٢) صحيح مسلم ٣ : ١٤٢٠ برقم : ١٧٩٥ ب ٣٩ ، والصراط المستقيم ٣ : ٤٤ - ٤٥ .

الدليل الثاني والثلاثون

قوله تعالى ﴿ تعاونوا على البرِّ والتقوى

ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ﴾^(١)

ووجه الدلالة : أنَّ الآيد تدلّ على حرمة التعاون على كلّ اثم ، والانسان لا يتمكّن من ترك التعاون على كلّ اثم الآ بعد العلم بجميع أفراد الاثم ، ولا يمكن الآ بنصب امام معصوم عالم بجميع المآثم ، وأئمة المخالفين لم يكونوا كذلك بالاجماع ، فثبت امامة أئمتنا الاثني عشر عليهم السلام ؛ لعدم القائل بالفصل .

الدليل الثالث والثلاثون

الآيات التي فيها الحثّ على الطاعات والأعمال الصالحات

ووجه الدلالة : أنَّ الرعيّة لا يتمكّن من العمل بجميع الطاعات والأعمال الصالحات الآ بتعليم امام معصوم عالم بجميع وجوه الطاعات والأعمال الصالحة ، وأئمة المخالفين لم يكونوا كذلك بالاجماع ، فثبت امامة أئمتنا ، لعدم القائل بالفصل .

الدليل الرابع والثلاثون

[الآيات الدالّة على عدم وجود الحرج في الدين]

قوله تعالى ﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾^(٢) وقوله ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾^(٣) .

ووجه الدلالة : أنَّ مدلول الآيتين أنه تعالى لم يجعل في الدين من حرج ولا عسر،

(١) المائدة : ٢ .

(٢) الحج : ٧٨ .

(٣) البقرة : ١٨٥ .

ولا ريب أن التكليف مع عدم تعيين امام معصوم عالم بجميع الأحكام ، لو وكلت الرعية الى أنفسهم مع اختلاف آرائهم وأهوائهم ليختاروا لأنفسهم أئمة ، حرج عظيم وعسر شديد ، فبطل امامة أئمة المخالفين المنعقدة بالبيعة والاختيار ، فثبت امامة أئمتنا المعصومين الأطهار ؛ لعدم القائل بالفصل .

الدليل الخامس والثلاثون

قوله تعالى ﴿ وكونوا مع الصادقين ﴾^(١)

ووجه الدلالة : أن الله تعالى أمرنا بالكون مع الصادقين ، ثم وصفهم في كتابه فقال جلّ جلاله ﴿ ليس البرّ أن تولّوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكنّ البرّ من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبیین وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتّقون ﴾^(٢) .

فنتع الله الصادقين بتسعة عشر نعتاً ، ثمّ هذه النعوت المذكورة لم تكن في غير الأئمة الاثني عشر ممّن ادّعى الامامة بالاجماع ؛ لأنّها معنى العصمة ، فثبت أنّهم هم الأئمة الصادقون .

ويمكن الاستدلال بوجه آخر قريب من هذا الوجه : وهو أنّ الله تعالى أمرنا بالكون مع الصادقين ، ولا يخفى على المنتبّع وقوع الاختلاف بين علي عليه السلام وعمر وعثمان ، وكذا سائر أئمتنا وأئمّتهم ، وقد علم صدق أئمتنا بالكتاب والسنة والاجماع دون أئمة المخالفين ، فثبت امامة أئمتنا ووجوب الكون معهم وبطلان امامة أئمّتهم .

(١) التوبة : ١١٩ .

(٢) البقرة : ١٧٧ .

أما الكتاب ، فأية التطهير ، وأما السنّة ، فقولهُ ﷺ : اني تارك فيكم ما ان تمسّكتم به لن تضلّوا أبداً^(١) . وما في معناه ، وما ورد بأنّ عليّاً ﷺ الصديق الأكبر ، والفاروق الأعظم ، وسيجيء ذكره ان شاء الله تعالى في بيان أفضليّته ﷺ ، وما ورد بأنّ عليّاً ﷺ مع الحقّ والحقّ معه ، وقد تقدّم . وأما الاجماع ؛ فلأنّ أهل الحلّ والعقد متفقون على عدالة أئمّتنا ﷺ .

الدليل السادس والثلاثون

[أفضليّة أئمّتنا ﷺ على جميع من ادّعى الامامة في حقّه]

انّ الأئمّة الاثني عشر ﷺ أفضل من كلّ من ادّعى الامامة في أعصارهم ، فثبت امامتهم ؛ لأنّ تقديم المفضول على الفاضل فيما هو فاضل قبيح عقلاً وشرعاً .
أما عقلاً ، فلأنّنا نعلم قطعاً بالضرورة بأنّ تقديم تلميذ الفقيه الماهر في الفقه على الفقيه ، وتقديم الجبان العاري من التدبير على الشجاع المدبّر في الحرب قبيح .
وأما نقلاً ، فقد أشار الله تعالى بقوله : ﴿ أفمن يهدي الى الحقّ أحقّ أن يتبع أم من لا يهدّي إلاّ أن يهدّي ﴾^(٢) .

وأما بيان أفضليّتهم ﷺ ، فموقوف على بيان فضائلهم ، فنحن نكتفي في بيان فضائلهم بما أقرّ به الأعداء ، بل بعباراتهم ، فهذه عبارة ابن أبي الحديد من علماء الجمهور في شرح نهج البلاغة ، مشيراً الى أمير المؤمنين ﷺ : فأما فضائله ﷺ ، فإنّها قد بلغت من العظم والجلالة والانتشار والاشتهار مبلغاً يسمح معه التّعريض لذكرها ، والتصديّ لتفصيلها .

ثم قال بعد كلام : وما أقول في رجل أقرّ له أعداؤه وخصومه بالفضل ، ولم يكنهم

(١) فقرة من حديث الثقلين المتواتر وقد رواه أعلام الفريقين في كتبهم كما تقدّم .

(٢) يونس : ٣٥ .

جحد مناقبه ، ولا كتمان فضائله ، فقد علمت أنه استولى بنو أمية على سلطان الاسلام في شرق الأرض وغربها ، واجتهدوا بكل حيلة في اطفاء نوره ، والتحريض عليه ، ووضع المعائب والمثالب له ، ولعنوه على جميع المنابر ، وتوعدوا مادحيه ، بل حبسوه وقتلوه ، ومنعوا من رواية حديث يتضمّن له فضيلةً ، أو يرفع له ذكراً ، حتىّ حظروا أن يسمّى أحد باسمه ، فما زاده ذلك الآ رفعة وسمواً ، وكان كالمسك ، كلما ستر انتشر عرفه ، وكلما كتم تزوّج نشره ، وكالشمس لا تستر بالراح ، وكضوء النهار ان حجبت عنه عين واحدة أدركته عيون كثيرة اخرى .

وما أقول في رجل تعزى اليه كلّ فضيلة ، وتنهى اليه كلّ فرقة ، وتتجاذبه كلّ طائفة ، فهو رئيس الفضائل وينبوعها ، وأبو عذرها ، وسابق مضارها ، ومجلى حليتها ، كلّ من بزغ فيها بعده منه أخذ ، وله اقتفى ، وعلى مثاله احتذى .
وقد عرفت أن أشرف العلوم هو العلم الإلهي ؛ لأنّ شرف العلم بشرف المعلوم ، ومعلومه أشرف الموجودات ، فكان هو أشرف العلوم ، ومن كلامه عليه السلام اقتبس ، وعنه نقل ، واليه انتهى ، ومنه ابتدأ .

فانّ المعتزلة - الذين هم أهل التوحيد والعدل وأرباب النظر ، ومنهم تعلم الناس هذا الفنّ - تلامذته وأصحابه ؛ لأنّ كبيرهم واصل بن عطاء ، تلميذ أبي هاشم عبدالله بن محمّد بن الحنفية ، وأبو هاشم تلميذ أبيه ، وأبوه تلميذ عليه السلام .
وأما الأشعرية ، فإنهم ينتمون الى أبي الحسن عليّ بن أبي بشر الأشعري ، وهو تلميذ أبي علي الجبائي ، وأبو علي أحد مشايخ المعتزلة ، فالأشعرية ينتهون بأخرة الى المعتزلة ومعلّمهم ، وهو عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

وأما الامامية والزيدية ، فانهاؤهم اليه ظاهرة .

ومن العلوم : علم تفسير القرآن ، وعنه أخذ ، ومنه فرّع ، واذا رجعت الى كتب التفسير علمت صحة ذلك ؛ لأنّ أكثره عنه وعن عبدالله بن عباس ، وقد علم الناس

حال ابن عباس في ملازمته له ، وانقطاعه اليه ، وأنه تلميذه وخريجه ، وقيل له : أين علمك من علم ابن عمك ؟ فقال : كنسبة قطرة من المطر الى البحر المحيط .

ومن العلوم : علم الطريقة والحقيقة ، وأحوال التصوّف ، وقد عرفت أن أرباب هذا الفنّ في جميع بلاد الاسلام اليه ينتهون ، وعنده يقفون ، وقد صرّح بذلك الشبلي ، والجنيد ، وسريّ ، وأبو يزيد البسطامي ، وأبو محفوظ معروف الكرخي وغيرهم ، ويكفيك دلالة على ذلك الخرقة التي هي شعارهم الى اليوم ، وكونهم يسندونها باسناد متّصل اليه عليه السلام .

ومن العلوم : علم النحو والعربيّة ، وقد علم الناس كافة أنه هو الذي ابتدعه وأنشأه ، وأملى على أبي الأسود الدؤلي جوامعه وأصوله ، من جملتها : الكلام كلّ ثلاثة أشياء : اسم ، وفعل ، وحرف . ومن جملتها تقسيم الكلمة الى معرفة ونكرة . وتقسيم وجوه الاعراب الى الرفع والنصب والجرّ والجزم ، وهذا يكاد يلحق بالمعجزات ؛ لأنّ القوّة البشريّة لا تفيء بهذا المحصر ، ولا تنهض بهذا الاستنباط . وان رجعت الى الخصائص الخلقية ، والفضائل النفسانية والدينيّة ، وجدته ابن جلاها ، وطلّاع تباياها .

وأما الشجاعة ، فأنه أنسى الناس فيها ذكر من كان قبله ، ومحيى اسم من يأتي بعده ، ومقاماته في الحرب مشهورة يضرب بها الأمثال الى يوم القيامة ، وهو الشجاع الذي ما قرّ قطّ ، ولا ارتاع من كتيبة ، ولا بارز أحداً الاّ قتله ، ولا ضرب ضربة قطّ فاحتاجت الأولى الى الثانية ، وفي الحديث : كانت ضرباته وتراً .

ولمّا دعا معاوية الى المبارزة ليستريح الناس من الحرب بقتل أحدهما ، قال عمرو : لقد أنصفك ، فقال معاوية : ما غششتني منذ نصحتي الاّ اليوم ، أتأمرني بمبارزة أبي الحسن وأنت تعلم أنه الشجاع المطرق ، أراك طمعت في امارة الشام بعدي ، وكانت العرب تفتخر بوقوفها في الحرب في مقابلته ، فأما قتلاه فافتخار

رھطھم بأنھ علیّاً قتلھم أظھر وأكثر ، قالت أخت عمرو بن عبدودّ ترثیہ :
لو كان قاتل عمرو غیر قاتله بکیتھ أبدأ ما دمت فی الأبد
لکنّ قاتله من لا نظیر له وكان یدعی أبوه بیضه البلد
وانتبه یوماً معاویة ، فرأى عبد الله بن الزبیر جالساً تحت رجلیہ علی سریرہ ،
فقعد له عبد الله یداعبه : یا أمیر المؤمنین لو شئت أن أفتک بک لفعلت ، فقال :
لقد شجعت بعدنا یا أبابکر ، قال : وما الذی تنکره من شجاعتی وقد وقفت فی
الصفّ ازاء علی بن أبی طالب ، قال : لا جرم أنّه قتلک وأباك بیسری یدیہ ، وبقیّت
الیمنی فارغة یطلب من یقتله بها .
وجملة الأمر أن کلّ شجاع فی الدنیا الیه ینتهی ، وباسمه ینادی فی مشارق
الأرض ومغاربها .

وأما القوّة والأید ، فبه یضرب المثل فیها ، قال ابن قتیبة فی المعارف : ما صارع
أحدًا قطّ إلاّ صرعه ^(١) . وهو الذی قلع باب خبیر ، واجتمع علیه عصبه من الناس
لیقلبوه فلم یقلبوه . وهو الذی اقتلع هبل من أعلى الکعبة وكان عظیماً جداً وألقاه الی
الأرض ، وهو الذی اقتلع الصخرة العظیمة فی آیام خلافته علیّاً بیده بعد عجز
الجیش کلّه عنها ، وأنبط الماء من تحتها .

وأما السخاء والجود ، فحالہ فیہ ظاهرة ، وكان یصوم ویطوی ویؤثر بزاده ،
وفیه أنزل ﴿ ویطعمون الطعام علی حبّه مسکیناً ویتیماً وأسیراً ﴾ * أمّا نطعمکم لوجه
الله لا نرید منکم جزاءً ولا شکوراً ﴿ ^(٢) .

وروی المفسّرون أنّه لم یکن یملک إلاّ أربعة دراهم ، فتصدّق بدرهم لیلاً ،
وبدرهم نهاراً ، وبدرهم سرّاً ، وبدرهم علانیة ، فأنزل الله فیہ ﴿ الذین ینفقون

(١) المعارف ص ٩٠ .

(٢) الانسان : ٩ - ١٠ .

أموالهم بالليل والنهار سرّاً وعلانية ﴿^(١)﴾ وروي عنه أنّه كان يسقي بيده لنخل قوم من يهود المدينة حتّى مجلت ^(٢) يده ، ويتصدّق بالأجرة ، ويشدّ على بطنه حجراً .
وقال الشعبي وقد ذكره عليه السلام : كان أسخى الناس كان على الخلق الذي يحبّه الله :
السخاء والجود ، ما قال لا لسائل قطّ .

وقال عدوّه ومبغضه الذي يجتهد في وصمه وعييه معاوية بن أبي سفيان لمحفن بن أبي محفن الضبي لما قال له : جئتك من عند أبجل الناس ، فقال : ويحك كيف تقول أنّه أبجل الناس ، ولو ملك بيتاً من تبر وبيتاً من تبن لأنفذ تبره قبل تبنه . وهو الذي يكنس بيوت الأموال ويصلّي فيها ، وهو الذي قال : يا صفراء ويا بيضاء غريّ غيري ، وهو الذي لم يخلف ميراثاً ، وكانت الدنيا كلّها بيده إلا ما كان من الشام .
وأما الحلم والصفح ، فكان أحلم الناس عن ذنب ، وأصفحهم عن مسيء ، وقد ظهرت صحّة ما قلناه يوم الجمل ، حيث ظفر بمروان بن الحكم ، وكان أعدى الناس له ، وأشدّهم بغضاً ، فصفح عنه .

وكان عبد الله بن الزبير يشتمه على رؤوس الأشهاد ، وخطب يوم البصرة فقال :
قد أتاكم الوغد اللثيم علي بن أبي طالب ، وكان علي عليه السلام يقول : ما زال الزبير رجلاً منّا أهل البيت حتّى شبّ عبد الله ، فظفر به يوم الجمل ، فأخذه أسيراً ، فصفح عنه ، وقال : اذهب فلا أريّتك ، لم يزد على ذلك . وظفر بسعيد بن العاص بعد وقعة الجمل بمكّة وكان له عدوّاً ، فأعرض عنه ولم يقل له شيئاً .

وقد علمتم ما كان من عائشة في أمره ، فلمّا ظفر بها أكرمها ، وبعث معها الى المدينة عشرين امرأة من نساء عبد القيس ، عمّهنّ بالعائم ، وقلّدهنّ بالسيوف ،

(١) البقرة : ٢٧٤ .

(٢) مجلت يده أي : نخن جلده وتعجّر وظهر فيه ما يشبه البثر من العمل بالأشياء الصلبة الخشنة .

فلما كانت ببعض الطريق ذكرته بما لا يجوز أن يذكر به ، وتأققت وقالت : هتك ستري برجاله وجنده الذين وكلهم بي ، فلما وصلت المدينة ألقى النساء عنائمهن وقلن لها : أما نحن نسوة .

وحاربه أهل البصرة وضربوا وجهه ووجوه أولاده بالسيف^(١) ، وشمته ولعنوه ، فلما ظفر بهم رفع السيف عنهم ، ونادى مناديه في أقطار العسكر : ألا لا يتبع مولد ، ولا يجهز على جريح ، ولا يقتل مستأسر ، ومن ألقى سلاحه فهو آمن ، ومن تحيّر الى عسكر الامام فهو آمن ، ولم يأخذ أتقاهم ، ولا سبي ذراريهم ، ولا غنم شيئاً من أموالهم ، ولو شاء أن يفعل كل ذلك لفعل ، ولكنه أبي الأصفح والعمو ، وتقبل سنة رسول الله ﷺ يوم فتح مكة ، فانه عنى والأحقاد لم تبرد ، والاساءة لم تنس .

ولما ملك عسكر معاوية عليه الماء ، وأحاطوا بشريعة الفرات ، وقال رؤساء الشام له : أقتلهم بالعطش كما قتلوا عثمان عطشاً ، سأهم علي عليه السلام وأصحابه أن يشرعوا لهم شرب الماء ، فقالوا : لا والله ولا قطرة حتى تموتوا ظمأً كما مات عثمان بن عفان ، فلما رأى عليه السلام أنه الموت لا محالة تقدّم بأصحابه وحمل على عساكر معاوية حملات كثيفة ، حتى أزالهم عن مراكزهم بعد قتل ذريع ، سقطت منه الرؤوس والأيدي ، وملكوا عليهم الماء ، فصار أصحاب معاوية في الفلاة لا ماء لهم ، فقال له أصحابه وشيعته : امنعهم من الماء يا أمير المؤمنين كما منعوك ، ولا تسقهم منه قطرة ، واقتلهم بسيوف العطش ، وخذهم قبضاً بالأيدي ، فلا حاجة لك الى الحرب ، فقال : لا والله لا أكافؤهم بمثل فعلهم ، افسحوا لهم عن بعض الشريعة ، ففي حدّ السيف ما يغني عن ذلك .

(١) في الشرح : بالسيف .

فهذه ان نسبتها الى الحلم والصفح ، فناهيك بها جمالاً وحسناً ، وان نسبتها الى الدين والورع ، فأخلق بمثلها أن تصدر عن مثله عليه السلام .

وأما الجهاد في سبيل الله ، فعلوم عند صديقه وعدوه أنه سيّد المجاهدين ، وهل الجهاد لأحد من الناس الآله ، وقد عرفت أن أعظم غزاة غزاها رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأشدّها نكاية في المشركين بدر الكبرى ، قتل فيها سبعون من المشركين ، قتل علي عليه السلام نصفهم ، وقتل المسلمون والملائكة النصف الآخر .

وإذا رجعت الى مغازي محمد بن عمر الواقدي ، وتاريخ الأشراف ليحيى بن جابر البلاذري وغيرهما ، علمت صحّة ذلك ، دع من قتله في غيرها كأحد والخندق وغيرهما ، وهذا الفصل لا معنى للاطناب فيه ؛ لأنّه من المعلومات الضرورية ، كالعلم بوجود مكّة ومصر ونحوهما .

وأما الفصاحة ، فهو عليه السلام امام الفصحاء وسيّد البلغاء ، وفي كلامه قيل : دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق . ومنه تعلّم الناس الخطابة والكتابة .

وقال عبد الحميد بن يحيى : حفظت سبعين خطبة من خطب الأ صلح ، ففاضت ثمّ فاضت . وقال ابن نباته : حفظت من الخطابة كنزاً لا يزيد الانفاق الأّ سعة وكثرة ، حفظت مائة فصل من مواعظ علي بن أبي طالب .

ولمّا قال ابن أبي محضن لمعاوية : جئتك من عند أعينى الناس ، قال له : ويحك كيف يكون أعينى الناس ، فوالله ما سنّ الفصاحة والبلاغة لقريش غيره .

ويكفي هذا الكتاب الذي نحن شارحوه دلالة على أنّه لا يُجارى في الفصاحة ، ولا يُبارى في البلاغة ، وحسبك أنّه لم يدوّن لأحد من فصحاء الصحابة العشر ولا نصف العشر ممّا دوّن له ، وكفاك في هذا الباب ما يقوله أبو عثمان الجاحظ في مدحه في كتاب البيان والتبيين وفي غيره من كتبه .

وأما سجاحة الأخلاق ، وبشر الوجه ، وطلاقة المحيا والتبسّم ، فهو المضروب به

المثل فيه ، حتى عابه بذلك أعداؤه . قال عمرو بن العاص لأهل الشام : أنه ذو دعابة شديدة ، وقال علي عليه السلام في ذاك : عجباً لابن النابغة يزعم لأهل الشام أن في دعابة ، واتي امرئ تلعبه أعافس وأمارس ، وعمرو بن العاص إنما أخذها من عمر ، لقوله له لما عزم على استخلافه : لله أبوك لولا دعابة فيك . إلا أن عمر اقتصر عليها ، وعمرو زاد فيها وسمجها .

قال صعصعة بن صوحان وغيره من شيعته وأصحابه : كان فينا كأحدنا ، لين جانب ، وشدة تواضع ، وسهولة قياد ، وكنا نهابه مهابة الأسير المربوط للسياف الواقف على رأسه .

وقال معاوية لقيس بن سعد : رحم الله أبا حسن فلقد كان هسّاً بشّاً ذا فكاهة ، قال قيس : نعم كان رسول الله صلى الله عليه وآله يمزح ويتبسّم الى أصحابه ، وأراك تسرّ حسواً في ارتغاء ، وتعيبه بذلك ، أما والله لقد كان مع تلك الفكاهة والطلاقة أهيب من ذي لبدتين قد مسّه الطوى ، تلك هيبة التقوى ، ليس كما يهابك طعام أهل الشام .

وقد بقي هذا الخلق متوارثاً متناقلأً في محبّيه وأوليائه الى الآن ، كما بقي الجفاء والخشونة والوعورة في الجانب الآخر ، ومن له أدنى معرفة بأخلاق الناس وعوائدهم يعرف ذلك .

وأما الزهد في الدنيا ، فهو سيّد الزهّاد ، وبدل الأبدال ، واليه تشدّ الرحال ، وعنده تنفض الأحلاس ، ما شبع من طعام قطّ ، وكان أخشن الناس مأكلاً وملبساً . قال عبد الله بن أبي رافع : دخلت اليه يوم عيد ، فقدمّ جراباً محتوماً ، فوجدنا فيه خبز شعير يابساً مرضوضاً ، فقدمّ فأكل ، فقلت : يا أمير المؤمنين فكيف تختمه ؟ قال : خفت هذين الولدين أن يلتآه بسمن أو زيت .

وكان ثوبه مرقوعاً بجلد تارة وليف أخرى ، ونعلاه من ليف ، وكان يلبس

الكرايسس^(١) الغليظ ، فاذا وجد كمّه طويلاً قطعته بشفرة ولم يخطه ، فكان لا يزال متساقطاً على ذراعيه حتّى يبق سدى لاحمة له ، وكان يأتدم اذا اتندم بخلّ أو بلمح ، فان ترقّى عن ذلك فبعض نبات الأرض ، فان ارتفع عن ذلك فبقليل من ألبان الابل ، ولا يأكل اللحم الأ قليلاً ويقول : لا تجعلوا بطونكم مقابر الحيوان .

وكان مع ذلك أشدّ الناس قوّة ، وأعظمهم يداً ، لم ينقص الجوع قوّته ، ولا يجوّر الاقلال منته ، وهو الذي طلق الدنيا ، وكانت الأموال تجبي اليه من جميع بلاد الاسلام الآ من الشام ، فكان يفرّقها ويمزّقها ، ثمّ يقول :

هذا جناي وخياره فيه اذ كلّ جان يده الى فيه

وأما العبادة ، فكان أعبد الناس وأكثرهم صلاة وصوماً ، ومنه تعلّم الناس صلاة الليل ، وملازمة الأوراد ، وقيام النافلة ، وما ظنّك برجل يبلغ من محافظته على ورده أن يبسط له نطع بين الصّفين ليلة الهريز فيصليّ عليه ، والسهام تقع بين يديه وتمرّ على صماخيه يميناً وشمالاً ، فلا يرتاع لذلك ، ولا يقوم حتّى يفرغ من وظيفته ، وما ظنّك برجل كانت جبهته كثفنة البعير لطول سجوده .

وأنت اذا تأملت دعواته ومناجاته ، ووقفت على ما فيها من تعظيم الله سبحانه واجلاله ، وما يتضمّنه من الخضوع لهيبته ، والخشوع لعزّته ، والاستخذاء له ، عرفت ما ينطوي عليه من الاخلاص ، وفهمت من أيّ قلب خرجت ، وعلى أيّ لسان جرت .

وقيل لعلي بن الحسين عليه السلام وكان الغاية من العبادة : أين عبادتك من عبادة جدّك ؟ قال : عبادتي عند عبادة جدّي كعبادة جدّي عند عبادة رسول الله صلى الله عليه وآله .

وأما قراءة القرآن والاشتغال به ، فهو المنظور اليه في هذا الباب ، اتفق الكلّ على

أنه كان يحفظ القرآن على عهد رسول الله ﷺ، ولم يكن غيره يحفظه، ثم هو أول من جمعه، نقلوا كلهم أنه تأخر عن بيعة أبي بكر، فأهل الحديث لا يقولون ما تقوله الشيعة من أنه تأخر مخالفة للبيعة، بل يقولون: تشاغل بجمع القرآن، فهذا يدل على أنه أول من جمع القرآن؛ لأنه لو كان مجموعاً في حياة رسول الله ﷺ لما احتاج إلى أن يتشاغل بجمعه بعد وفاته.

وإذا رجعت إلى كتب القراءة وجدت أئمة القراء كلهم يرجعون إليه، كأبي عمرو بن العلاء، وعاصم بن أبي النجود وغيرهما؛ لأنهم يرجعون إلى أبي عبد الرحمن السلمي القاري، وأبو عبد الرحمن كان تلميذه وعنه أخذ القرآن، فقد صار هذا الفن من الفنون التي تنتهي إليه أيضاً، مثل كثير مما سبق.

وأما الرأي والتدبير، فكان من أسد الناس رأياً، وأصحهم تدبيراً، وهو الذي أشار على عمر لما عزم على أن يتوجه بنفسه إلى حرب الروم والفرس بما أشار، وهو الذي أشار على عثمان بأمر كان صلاحه فيها، ولو قبلها لم يحدث عليه ما حدث.

وأما قال أعداؤه: لا رأي له؛ لأنه كان متقيداً بالشريعة لا يرى خلافها، ولا يعمل بما يقتضي الدين تحريمه، وقد قال عليّ: لولا الدين والتقى لكنت أدهى العرب. وغيره من الخلفاء كان يعمل بمقتضى ما يستصلحه ويستوقفه، سواء كان مطابقاً للشرع أم لم يكن.

ولا ريب أن من يعمل بما يؤدي إليه اجتهاده، ولا يقف على ضوابط وقيود، يتمتع لأجلها مما يرى الصلاح فيه، تكون أحواله الدنيوية إلى الانتظام أقرب، ومن كان بخلاف ذلك يكون أحواله الدنيوية^(١) إلى الانتشار أقرب.

(١) في الشرح: الدنيوية.

وأما السياسة ، فإنه كان شديد السياسة ، خشناً في ذات الله ، لم يراقب ابن عمه في عمل كان ولأه آياه ، ولا راقب أخاه عقيلاً في كلام جهه به ، وأحرق قوماً بالنار ، ونقض دار مصقلة بن هبيرة ، ودار جرير بن عبد الله البجلي ، وقطع جماعة ، وصلب آخرين .

ومن جملة سياسته حروبه في أيام خلافته بالجمل وصفين والنهروان ، وفي أقل القليل منها مقنع ، فإن كل سائس في الدنيا لم يبلغ فتكه وبطشه وانتقامه مبلغ العشر مما فعل عليه السلام في هذه الحروب بيده وأعوانه .
فهذه خصائص البشر ومزاياهم ، قد أوضحنا أنه فيها الامام المتبّع فعله ، والرئيس المقتنى أثره .

وما أقول في رجل يحبه أهل الذمة على تكذيبهم بالنبوة ، وتعظمه الفلاسفة على معاندتهم لأهل الملّة ، وتصوّر ملوك الفرنج والروم صورته في بيعها وبيوت عباداتها ، حاملاً سيفه ، مشمراً لحربه ، وتصوّر ملوك الترك والديلم صورته على أسيافها ، كان على سيف عضد الدولة ابن بويه وسيف أبيه ركن الدولة صورته ، وكان على سيف الب أرسلان وابنه ملكشاه صورته ، كأنهم يتفاءلون به النصر والظفر .

وما أقول في رجل أحبّ كلّ واحد أن يتكثّر به ، وودّ كلّ أحد أن يستجمل ويتحسنّ بالانتساب إليه ، حتى الفتوة التي أحسن ما قيل في حدّها : ألاّ تستحسن من نفسك ما تستقبحه من غيرك ، فإنّ أربابها نسبوا أنفسهم إليه ، وصنّفوا في ذلك كتباً ، وجعلوا لذلك اسناداً أنهموه إليه ، وقصروه عليه ، وسمّوه سيّد الفتيان ، وعضّدوا مذهبهم إليه بالبيت المشهور المرويّ أنه سمع من السماء يوم أحد :

لا سيف إلاّ ذو الفقار ولا فتى إلاّ علي

وما أقول في رجل أبوه أبو طالب سيّد البطحاء ، وشيخ قريش ، ورئيس مكّة ، قالوا : قلّ أن يسودّ فقير ، وساد أبو طالب وهو فقير لا مال له ، وكانت قريش

تسميه الشيخ .

وفي حديث عفيف الكندي : لما رأى النبي ﷺ يصلي في مبدأ الأمر والدعوة ،
ومعه غلام وامرأة ، قال : فقلت للعباس : أي شيء هذا ؟ قال : هذا ابن أخي يزعم
أنه رسول من الله الى الناس ، ولم يتبعه على هذا القول ^(١) الا هذا الغلام وهو ابن
أخي أيضاً ، وهذه المرأة وهي زوجته ، قال : فقلت : ما تقولون أتم ؟ قال : ننتظر ما
يفعل الشيخ ؟ قال : يعني أبا طالب .

وأبو طالب هو الذي كفل رسول الله ﷺ صغيراً ، وحماه وحاطه كبيراً ، ومنعه
من مشركي قريش ، ولقي لأجله عنتاً عظيماً ، وقاسى بلاءً شديداً ، وصبر على نصره
والقيام بحقه وبأمره . وجاء في الخبر : أنه لما توفي أبو طالب أوحى اليه ﷺ وقيل له :
أخرج منها فقد مات ناصرك .

وله مع شرف هذه الأبوة ، أن ابن عمه محمد سيّد الأولين والآخريين ، وأخاه
جعفر ذو الجناحين الذي قال له رسول الله ﷺ : أشبهت خلقي وخلقي ، فرمى بحجل
فرحاً . وزوجته سيّدة نساء العالمين ، وابنيه سيّدا شباب أهل الجنّة ، فأباؤه آباء
رسول الله ، وأمّهاته أمّهات رسول الله ، وهو منوط ^(٢) بلحمه ودمه ، لم يفارقه منذ
خلق الله آدم الى أن مات عبد المطلب بين الأخوين عبد الله وأبي طالب وأمهما
واحدة ، فكان منهما سيّد الناس ، هذا الأوّل وهذا الثاني ، وهذا المنذر وهذا الهادي .
وما أقول في رجل سبق الناس الى الهدى ، وآمن بالله وعبده ، وكلّ من في
الأرض يعبد الحجر ويمجد الخالق ، لم يسبقه أحد الى التوحيد الا السابق الى كلّ
خير محمد رسول الله ﷺ .

ذهب أكثر أهل الحديث الى أنه أوّل الناس اتّباعاً لرسول الله ﷺ ، وإيماناً به ، لم

(١) في الشرح : على قوله .

(٢) في الشرح : مسوط .

يخالفه في ذلك الآ الأقلون ، وقد قال هو عليه السلام : أنا الصديق الأكبر ، وأنا الفاروق الأعظم ، أسلمت قبل اسلام الناس ، وصليت قبل صلاتهم .

ومن وقف على كتب أصحاب الحديث تحقّق وعلمه واضحاً ، واليه ذهب الواقدي ، وابن جرير الطبري ، وهو القول الذي رجّحه ونصره صاحب كتاب الاستيعاب .

ولأنّنا نذكر في مقدّمة هذا الكتاب جملاً من فضائله عنّت بالعرض لا بالقصد ، وجب أن نختصر ونقتصر ، فلو أردنا شرح مناقبه وخصائصه لاحتجنا الى كتاب مفرد يماثل حجم هذا بل يزيد عليه ، وبالله التوفيق ^(١) . انتهى كلامه .

وقد ذكر امام أهل السنّة محمد بن عمر الرازي ، وهو من أعظم علماء الأشعرية ، في كتاب الأربعين في الفصل الخامس من المسألة التاسعة والثلاثين ، في بيان أفضل الصحابة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، ويورد عشرين حجّة في أنّ علي بن أبي طالب عليه السلام أفضل الصحابة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله .

ويقول في الحجّة الثالثة منها ما هذا لفظه : الحجّة الثالثة : أنّ علي بن أبي طالب كان أعلم الصحابة ، والأعلم أفضل ، وأنّما قلنا إنّ عليّاً كان أفضل الصحابة للاجمال والتفصيل .

أما الاجمال ، فهو أنّه لا نزاع أنّ عليّاً عليه السلام كان في أصل الخلقة في غاية الذكاء والفتنة والاستعداد للعلم ، وكان محمد صلى الله عليه وآله أفضل الفضلاء وأعلم العلماء ، وكان علي عليه السلام في غاية الحرص في طلب العلم ، وكان محمد صلى الله عليه وآله في غاية الحرص في تربية علي وارشاده الى اكتساب الفضائل ، ثمّ إنّ عليّاً عليه السلام نشأ من أوّل صغره في حجر محمد صلى الله عليه وآله ، وفي كبره صار ختناً له ، وكان يدخل اليه في كلّ الأوقات .

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ : ١٦ - ٣٠ .

ومن المعلوم أنّ التلميذ اذا كان في غاية الذكاء والمحرص على التعليم ، وكان الأستاذ في غاية الفضل وفي غاية الحرص على التعليم ، ثم اتفق لمثل هذا التلميذ أن يتصل بخدمة هذا الأستاذ في زمان الصغر ، كان ذلك الاتصال بخدمته حاصلًا في كلّ الأوقات ، فإنه يبلغ ذلك التلميذ مبلغاً عظيماً ، وهذا بيان اجماليّ في أنّ عليّاً عليه السلام كان أعلم الصحابة .

فأما أبو بكر فإنه اتصل بخدمته عليه السلام في زمان الكبر ، وأيضاً ما يصل الى خدمته في اليوم والليلة الأمّرة واحدة زماناً يسيراً ، وأما علي عليه السلام فإنه اتصل بخدمته عليه السلام في زمان الصغر ، وقد قيل : العلم في الصغر كالنقش في الحجر ، والعلم في الكبر كالنقش في المدر ، فثبت بما ذكرنا أنّ عليّاً عليه السلام كان أعلم من أبي بكر .

وأما التفصيل ، فيدلّ عليه وجوه :

الأول : قوله تعالى ﴿ وتعيها أذن واعية ﴾ ^(١) نزل في حقّ علي عليه السلام ، وتخصيصه بزيادة الفهم يدلّ على اختصاصه بمزيد العلم .

الثاني : قوله عليه السلام « أقضاكم علي » والقضاء يحتاج الى جميع أنواع العلوم ، فلما رجّحه على الكلّ في القضاء ، لزم أنّه رجّحه عليهم في كلّ العلوم . وأما سائر الصحابة ، فقد رجّح كلّ واحد منهم على غيره في علم واحد ، كقوله « أفرضكم زيد ، وأقرأكم أبي » .

الثالث : روي أنّ عمر أمر برجم امرأة ولدت لستّة أشهر ، فنّبّه علي عليه السلام بقوله تعالى ﴿ وحمله وفصاله ثلاثون شهراً ﴾ ^(٢) مع قوله ﴿ الوالدات يرضعن أولادهنّ حولين كاملين ﴾ ^(٣) على أنّ أقلّ مدّة الحمل ستّة أشهر ، فقال عمر : لولا علي هللك

(١) الحاقّة : ١٢ .

(٢) الأحقاف : ١٥ .

(٣) البقرة : ٢٣٣ .

عمر . وروي أَنَّ لمرأة أقرّت بالزنا وكانت حاملاً ، فأمر عمر برجمها ، فقال علي عليه السلام : ان كان لك سلطان عليها فإسلطناك على ما في بطنها ؟ فترك عمر رجمها وقال : لولا علي لهلك عمر .

فان قيل : لعلّ عمر أمر برجمها من غير تفحص عن حالها ، فظنّ أنّها ليست بحامل ، فلمّا تبّه علي ترك رجمها .

قلنا : هذا يقتضي أنّ عمر ما كان يحتاط في سفك الدماء ، وهذا أشّر من الأوّل . وروي أيضاً أنّ عمر قال يوماً على المنبر ، ألا لا تغالوا في مهور نساءكم ، فن غال في مهر امرأته جعلته في بيت المال ، فقامت عجوز فقالت : يا أمير المؤمنين أتمنع عتاً ما جعله الله لنا ، قال الله تعالى ﴿ وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتن احداهنّ قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً ﴾ (١) فقال عمر : كلّمكم أفقه من عمر حتّى المخدّرات في البيوت . فهذه الوقائع وقعت لغير علي عليه السلام ولم يتفق مثلها لعلي عليه السلام .

الرابع : نقل عن علي عليه السلام أنّه قال : لو كسرت لي الوسادة ثمّ جلست عليها ، لقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم ، وبين أهل الانجيل بانجيلهم ، وبين أهل الزبور بزبورهم ، وبين أهل الفرقان بفرقانهم ، والله ما من آية نزلت في بحر ولا برّ ولا سهل ولا جبل ولا سماء ولا أرض ، ولا ليل ولا نهار ، إلا وأنا أعلم في من نزلت وفي أيّ شيء نزلت .

طعن أبو هاشم في هذا ، فقال : التوراة منسوخة فكيف يجوز الحكم بها ؟

الجواب عنه من وجوه :

الأوّل : لعلّ المراد شرح كمال علمه بتلك الأحكام المنسوخة على التفصيل ، وبالأحكام الناسخة لها الواردة في القرآن .

الثاني : لعلّ المراد أنّ قضاة اليهود والنصارى متمكّنون من الحكم والقضاء على وفق أديانهم بعد بذل الجزية ، فكأنّ المراد أنّه لو جاز للمسلم ذلك لكان هو قادراً عليه .

الثالث : لعلّ المراد أن يستخرج من التوراة والانجيل نصوصاً دالّة على نبوّة محمّد ﷺ وكان ذلك قوياً في التمسك بها .

الخامس : أنا نتفحص عن أحوال العلوم ، وأعظمها علم الأصول ، وقد جاء في خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من أسرار التوحيد والعدل والنبوّة والقضاء والقدر وأحوال المعاد ، ما لم يأت في كلام سائر الصحابة .

وأيضاً فجميع فرق المتكلمين ينتهي آخر نسبتهم في هذا العلم اليه . أمّا المعتزلة ، فاتهم ينسبون أنفسهم اليه . وأمّا الأشعرية ، فكلمهم منتسبون الى الأشعري ، وكان تلميذاً لأبي على الجبائي المعتزلي ، وهو منتسب الى أمير المؤمنين . وأمّا الشيعة ، فانتسابهم اليه ظاهر . وأمّا الخوارج ، فهم مع غاية بعدهم عنه كلهم منتسبون الى أكابرهم ، وأولئك الأكابر كانوا تلامذة علي بن أبي طالب عليه السلام ، فثبت أنّ جمهور المتكلمين من فرق الاسلام كلهم تلامذة علي بن أبي طالب عليه السلام ، وأفضل فرق الاسلام^(١) الأصوليون ، وكان هذا منصباً عظيماً في الفضل .

ومنها : علم التفسير ، وابن عباس رئيس المفسرين ، وهو كان تلميذ علي بن أبي طالب عليه السلام .

ومنها : علم الفقه ، وكان في الدرجة العالية ، ولهذا قال عليه السلام « أقضاكم علي » وقال علي بن أبي طالب عليه السلام : لو كسرت لي الوسادة وجلست عليها لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم ، على ما نقلنا .

(١) في المصدر : الأمة .

ومنها : علم الفصاحة ، ومعلوم أنّ أحداً من الفصحاء الذين بعده لم يدركوا درجته ، ولا القليل من درجته .

ومنها : علم النحو ومعلوم أنّه أنّما ظهر منه وهو الذي أرشد أبا الأسود الدؤلي إليه .
ومنها : علم تصفية الباطن ، ومعلوم أنّ نسب جميع الصوفيّة ينتهي إليه .

ومنها : علم الشجاعة وممارسة الأسلحة ، ومعلوم أنّ نسبة هذه العلوم ينتهي إليه .
فثبت بما ذكرنا أنّه عليّ كان أستاذ العالمين بعد محمد ﷺ في جميع الخصال المرضيّة ، والمقامات الشرعيّة . وإذا ثبت أنّه كان أعلم الخلق بعد رسول الله ﷺ ، وجب أن يكون أفضل الخلق بعده ؛ لقوله تعالى ﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ (١) وقوله تعالى ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ (٢) .

ثمّ ذكر الرازي المقدّم ذكره في آخر الفصل المذكور ما هذا لفظه ومعناه : الحجّة العشرون : اعلم أنّ الفضائل : إمّا نفسانيّة ، وإمّا بدنيّة ، وإمّا خارجيّة .
أما الفضائل النفسانيّة ، فهي محصورة في نوعين : العلميّة ، والعمليّة . أمّا العلميّة ، فقد دللنا على أنّ علم عليّ كان أكثر من علم سائر الصحابة ، وممّا يقوّي ذلك ما روي أنّه عليّ قال : علّمني رسول الله ﷺ ألف باب من العلم فانفتح من كلّ باب ألف باب .

وأما الفضائل النفسانيّة العمليّة ، فأقسام :

منها : الفقه والزهد ، وقد كان في الصحابة جمع من الزهّاد ، كأبي ذرّ وسلمان وأبي الدرداء ، وكلّهم كانوا من تلامذة عليّ .

ومنها : الشجاعة ، وقد كان في الصحابة جماعة ، كأبي دجانه وخالد بن الوليد ،

(١) الزمر : ٩ .

(٢) المجادلة : ١١ .

وكان شجاعته أكثر نفعاً من شجاعة الكلِّ ، ألا ترى أن النبي ﷺ قال يوم الأحزاب : لضربة علي خير من عبادة الثقلين . قال علي بن أبي طالب عليه السلام : والله ما قلعت باب خير بقوة جسمانية ولكن بقوة الهية .

ومنها : السخاوة ، وقد كان في الصحابة جمع من الأسخياء ، وقد بلغ اخلاصه في سخاوته الى أن أعطى ثلاثة أقراص ، فأنزل الله تعالى في حقه ﴿ وَيطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً ﴾ (١) .

ومنها : حسن الخلق ، وقد كان مع غاية شجاعته وبسالته حسن الخلق جداً ، وقد بلغ فيه الى حيث نسبه أعداؤه الى الدعابة .

ومنها : البعد عن الدنيا ، وظاهر أنه كان مع انفتاح أبواب الدنيا عليه لم يظهر التنعم والتلذذ ، وكان مع غاية شجاعته اذا شرع في صلاة التهجد ، أو شرع في الدعوات والتضرعات الى الله تعالى ، بلغ مبلغاً لا يوازيه أحد ممن جاء بعده من الزهاد ، ولما ضربه ابن ملجم لعنه الله قال : فزت ورب الكعبة .

وأما الفضائل البدنية ، فمنها : القوة والشدة ، وكان فيها عظيم الدرجة ، حتى قيل : أنه كان يقطّ الهام قطع الأقلام .

ومنها : النسب العالي ، ومعلوم أن أشرف الأنساب هو القرب من رسول الله ﷺ ، وهو كان أقرب الناس في النسب الى رسول الله ﷺ ، وأما العباس فإنه وان كان عم رسول الله ﷺ ، إلا أن العباس كان أخاً لعبد الله والد رسول الله ﷺ من الأب لا من الأم . وأما أبو طالب فإنه كان أخاً لعبد الله من الأب والأم ، وأيضاً فإن علياً عليه السلام كان هاشمياً من الأب والأم ؛ لأنه علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم .

ومنها: المصاهرة، ولم يكن لأحد من الخلق مصاهرة مثل ما كانت له. وأمّا عثمان فهو وان شاركه في كونه ختناً لرسول الله ﷺ إلا أنّ أشرف أولاد الرسول هي فاطمة عليها السلام، ولذلك قال عليها السلام: سيّدة نساء العالمين أربع وعدّ منهنّ فاطمة، ولم يحصل مثل هذا الشرف للبنتين اللتين هما زوجتا عثمان.

ومنها: أنّه لم يكن لأحد من الصحابة أولاد يشاركون أولاده في الفضيلة، فالحسن والحسين وهما سيّدا شباب أهل الجنّة ولداه، ثمّ انظر الى أولاد الحسن، مثل الحسن المثنى والمثلك وعبد الله بن المثنى والنفس الزكيّة، والى أولاد الحسين، مثل زين العابدين والباقر والصادق والكاظم والرضا عليهم السلام، فإنّ هؤلاء يعدّ تفضيلهم وعلوّ درجاتهم كلّ مسلم.

ومما يدلّ على علوّ شأنهم أنّ أفضل المشايخ وأعلاهم درجة أبو يزيد البسطامي، وكان سقّاء في دار جعفر الصادق عليه السلام، وأمّا معروف الكرخي فإنّه أسلم على يد علي بن موسى الرضا، وكان بوّاب داره وبقي على هذه الحالة الى آخر عمره، ومعلوم أنّ أمثال هذه الأولاد لم يتفق لأحد من الصحابة، ولو أخذنا في الشرح والاطناب لطال الكلام ^(١).

وقد نقل الفاضل المؤيّد بهاء الدين علي بن عيسى الأربلي في كشف الغمّة، عن أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ العثماني المرواني، رسالتين أنطقه الله فيها بأفضليّة أمير المؤمنين عليه السلام، وهذه مختصر من الرسالة الأولى، قال بعد كلام طويل في أفضليّة بني هاشم: وقال عليه السلام فيما أبان به أهل بيته: أنّي تارك فيكم الخليفين، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الأرض، وعترتي أهل بيتي، تتأني اللطيف الخبير أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض. ولو كانوا كغيرهم لما قال عمر

(١) الأربعين للفخر الرازي ص ٤٦٥ - ٤٦٨ و ٤٧٤ - ٤٧٦، والطرائف للسيد بن طاووس ص ٥١٥ - ٥٢٠.

حين طلب مصاهرته^(١): «أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي».

ثم قال بعد كلام: فأما علي بن أبي طالب عليه السلام، فلو أفردنا لأيتامه الشريفة، ومقاماته الكريمة، ومناقبه السنّية كلاماً، لأفنيها في ذلك الطوامير الطوال، العرق صحيح، والمنشأ كريم، والشأن عظيم، والعمل جسيم، والعلم كثير، والبيان عجيب، واللسان خطيب، والصدر رحيب، فأخلاقه وفق أعرافه، وحديثه يشهد لتقدمه، وليس التدبير في وصف مثله إلا ذكر جميل قدره، واستقصاء جميع حقه، فاذا كان كتابنا لا يحتمل تفسير جميع أمره، ففي هذه الجملة بلاغ لمن أراد معرفة فضله.

وأما الحسن والحسين عليهما السلام، فمثلها مثل الشمس والقمر في المنافع^(٢) العامّة والنعم الشاملة التامة، ولولم يكونا ابني علي من فاطمة عليها السلام، ورفعت من وهيك كلّ رواية وكلّ سبب توجه القرابة، لكن لا تقرن بهما أحداً من جملة أولاد المهاجرين والصحابة، إلا أراك فيهما الانصاف من تصديق قول النبي ﷺ: أنّهما سيّد شباب أهل الجنّة، وجميع من هما سادته سادة، والجنّة لا تدخل إلا بالصدق والصبر، والآب بالعلم والحلم، والآب بالطهارة والزهد، والآب بالعبادة والطاعة الكثيرة والأعمال الشريفة، والاجتهاد والاثرة، والاخلاص في النية، فدلّ على أنّ حظّها في الأعمال المرضيّة والمذاهب الزكيّة فوق كلّ حظّ.

وأما محمد بن الحنفية، فقد أقرّ الصادر والوارد والحاضر والبادي أنّه واحد دهره، ورجل عصره، وكان أتمّ الناس تماماً وكمالاً.

وأما علي بن الحسين، فالناس على اختلاف مذاهبهم مجتمعون عليه لا يمتري أحد في تدبيره، ولا يشكّ أحد في تقديمه، ولو كان أهل الحجاز يقولون: لم نر ثلاثة

(١) في الكشف: مصاهرة علي.

(٢) في الكشف: مثل الشمس والقمر، فمن أعطي ما في الشمس والقمر من المنافع.

في الدهر يرجعون الى أب قريب كلهم يسمّى عليّاً وكلهم يصلح للخلافة لتكامل خصال الخير فيهم ، يعنون : علي بن الحسين بن علي ، وعلي بن عبد الله بن جعفر ، وعلي بن عبد الله بن عباس .

ثمّ قال بعد كلام : فأما النجدة فقد علم أصحاب الأخبار وحملة الآثار أنّهم لم يسمعوا بمثل نجدة علي وحمزة ، ولا بصبر جعفر الطيّار ، ثمّ بين أفضلية بني هاشم على غيرهم من حيث الشجاعة ، والمروءة ، والحلم ، والتواضع ، وحسن الخلق ، والعبادة ، وعدّ من عبّاد بني هاشم ثلاثة كانوا يصلّون في كلّ يوم ألف ركعة ، منهم علي بن الحسين عليه السلام .

ثمّ قال : وجملة أخرى ممّا لعلي بن أبي طالب عليه السلام خاصّة : الأب أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، والأمّ فاطمة بنت أسد بن هاشم ، والزوجة فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله سيّدة نساء أهل الجنّة ، والولد الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة ، والأخ جعفر الطيّار في الجنّة ، والعمّ العباس وحمزة سيّد الشهداء في الجنّة ، والعمّة صفية بنت عبد المطلب ، وابن العمّ رسول الله صلّى الله عليه وآله ، وأول هاشميّ بين هاشميّين كان في الأرض ولد أبي طالب .

والأعمال التي يستحقّ بها الخير أربعة : التقدّم في الاسلام ، والذبّ عن الرسول وعن الدين ، والفقّه في الحلال والحرام ، والزهد في الدنيا ، وهي مجتمعة في علي بن أبي طالب متفرّقة في الصحابة ، ثمّ ذكر كلاماً طويلاً في بيان شجاعته وبيان أفضلية أولاده من وجوه الى آخر الرسالة ^(١) .

وهذه مختصر من الرسالة الأخرى للجاحظ في أفضلية أمير المؤمنين عليه السلام ، قال بعد كلام في بيان وجوب ترك القول بالآراء والأخذ باليقين : وأما الحجّة الطاعة لله

(١) كشف الغمّة في معرفة الأئمّة ١ : ٢٩ - ٣٦ ط قم .

ولرسوله وما أجمعت عليه الأمة من كتاب الله وسنة نبيه، ونحن لم ندرك النبي ﷺ، ولا أحداً من أصحابه الذين اختلفت الأمة في أحقهم، فنعلم أيهم أولى ونكون معهم كما قال تعالى ﴿كونوا مع الصادقين﴾^(١) ونعلم أيهم على الباطل فجنبناهم، وكما قال الله تعالى ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً﴾^(٢) حتى أدركنا العلم، فطلبنا معرفة الدين وأهله وأهل الصدق والحق، فوجدنا الناس مختلفين يبرأ بعضهم من بعض، ويجمعهم في حال اختلافهم فريقان:

أحدهما: قالوا: إن النبي ﷺ مات ولم يستخلف أحداً وجعل ذلك إلى المسلمين يختارونه فاختروا أبابكر، والآخرون قالوا: إن النبي ﷺ استخلف علياً فجعله اماماً للمسلمين بعده، وادعى كل فريق منهم الحق، فلما رأينا ذلك رفضنا^(٣) الفريقين لنبحث ونعلم الحق من المبتطل.

فسألناهم جميعاً هل للناس بد من وال يقيم أعيادهم، ويجبي زكواتهم ويفرقها على مستحقيها، ويقضي بينهم ويأخذ لضعيفهم من قويهم ويقدم حدودهم؟ فقالوا: لا بد من ذلك، فقلنا هل لأحد أن يختار أحداً، فيوليه بغير نظر في كتاب الله وسنة نبيه؟ فقالوا: لا يجوز ذلك إلا بالنظر.

فسألناهم جميعاً عن الاسلام الذي أمر الله به، فقالوا: أنه الشهادة والاقرار بما جاء من عند الله، والصلاة والصوم والحج بشرط الاستطاعة، والعمل بالقرآن مجللاً حلاله ومحرم حرامه، فقبلنا ذلك منهم.

ثم سألتهم جميعاً هل لله خيرة من خلقه اصطفاهم واختارهم؟ فقالوا: نعم، فقلنا: ما برهانكم؟ قالوا: قوله تعالى ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم

(١) التوبة: ١١٩.

(٢) النحل: ٧٨.

(٣) في الكشف: وقفنا.

الخيرة من أمرهم ﴿١﴾ فسألناهم من الخيرة؟ قالوا: هم المتقون، قلنا: ما برهانكم؟ قالوا: قوله تعالى ﴿انْ أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ ﴿٢﴾ قلنا: هل لله خيرة من المتقين؟ قالوا: نعم المجاهدين ﴿٣﴾ بدليل قوله تعالى ﴿فضّل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة﴾ ﴿٤﴾.

قلنا: هل لله خيرة من المجاهدين؟ قالوا جميعاً: نعم السابقون من المهاجرين الى الجهاد، بدليل قوله تعالى ﴿لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل﴾ ﴿٥﴾ الآية، فقبلنا ذلك منهم لاجماعهم عليه، وعلمنا أنّ خيرة الله من خلقه المجاهدون السابقون الى الجهاد.

ثم قلنا: هل لله خيرة منهم؟ قالوا: نعم، قلنا: من هم؟ قالوا: أكثرهم عناءً في الجهاد وطعنًا وضرباً وقتلاً في سبيل الله، بدليل قوله تعالى ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره﴾ ﴿٦﴾ وما تقدّموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله ﴿٧﴾ فقبلنا ذلك منهم وعلمنا، وعرفنا أنّ خير الخيرة أكثرهم في الجهاد عناءً، وأبذلهم لنفسه في طاعة الله وأقتلهم لعدوّه.

فسألناهم عن هذين الرجلين علي بن أبي طالب وأبي بكر أيهما كان أكثر عناءً في الحرب وأحسن بلاءً في سبيل الله؟ فأجمع الفريقان على أمير المؤمنين علي بن أبي

(١) القصص: ٦٨.

(٢) الحجرات: ١٣.

(٣) في الكشف: المجاهدون بأموالهم.

(٤) النساء: ٩٥.

(٥) الحديد: ١٠.

(٦) الزلزلة: ٧.

(٧) المزمل: ٢٠.

طالب عليه السلام، أنه كان أكثر طعنًا وضرباً، وأشدّ قتالاً وأدبً عن دين الله ورسوله صلى الله عليه وآله، فنبت بما ذكرناه من اجماع الفريقين ودلالة الكتاب والسنة أنّ عليّاً عليه السلام أفضل.

فسألناهم ثانية من خيرته من المتّقين؟ فقالوا: هم الخاشعون بدليل قوله تعالى ﴿ وَأَزَلَفْتِ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ الى قوله تعالى ﴿ مِنْ خَشْيَةِ الرَّحْمَنِ الْغَيْبِ ﴾ (١) وقوله تعالى ﴿ أَعَدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٢) ﴿ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾ (٣).

ثمّ سألتناهم جميعاً من أعلم الناس؟ قالوا: أعلمهم بالقول وأهداهم الى الحقّ، وأحقّهم أن يكون متبوعاً ولا يكون تابِعاً، بدليل قوله تعالى ﴿ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ ﴾ (٤) فجعل الحكومة لأهل العدل (٥) فقبلنا ذلك منهم.

ثمّ سألتناهم عن أعلم الناس بالعدل من هو؟ قالوا: أدلّهم عليه، قلنا: فن أدلّ الناس؟ قالوا: أهداهم الى الحقّ، وأحقّهم أن يكون متبوعاً ولا يكون تابِعاً، بدليل قوله تعالى ﴿ أَفَنْ يَهْدِيَ إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يَتَّبِعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي الْآءَنْ يَهْدِي فَالْكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ (٦).

فدلّ كتاب الله وسنة نبيّه والاجماع أنّ أفضل الأمة بعد نبيّها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام؛ لأنّه اذا كان أكثرهم جهاداً كان أتقاهم، واذا كان أتقاهم كان أخشاهم، واذا كان أخشاهم كان أعلمهم، واذا كان أعلمهم كان أدلّ على العدل،

(١) ق: ٣١ - ٣٣.

(٢) آل عمران: ١٣٣.

(٣) الأنبياء: ٤٩.

(٤) المائدة: ٩٥.

(٥) في الكشف: الى أهل العدل.

(٦) يونس: ٣٥.

وإذا كان أدلّ على العدل كان أهدى الأمة إلى الحقّ، وإذا كان أهدى كان أولى أن يكون متبوعاً وأن يكون حاكماً لا تابعاً ولا محكوماً عليه، ثم ذكر كلاماً طويلاً في بيان أفضليّته عليه السلام من وجه آخر^(١). انتهى ما أردنا نقله من عبارات بعض علماء المخالفين.

وينبغي أن نختم عباراتهم بكلام لطيف ذكره سيّدنا التقيّ النقيّ الزكيّ الفاضل الكامل الأملعي السيّد رضي الدين توفّي في نهج البلاغة في شأنه عليه السلام، في بيان بعض حالاته العجيبة وصفاته الغريبة، وهذه عبارته:

ومن عجائبه عليه السلام التي انفرد بها، وأمن المشاركة فيها، أن كلامه الوارد في الزهد والمواعظ، والتذكير والزواجر، إذا تأمله المتأمل، وفكّر فيه المتفكّر، وخلع من قلبه، أنه كلام مثله بمنّ عظم قدره، ونفذ أمره، وأحاط بالرقاب ملكه، لم يعرضه الشكّ في أنه من كلام من لا حظّ له في غير الزهادة، ولا شغل له بغير العبادة، وقد قبع في كسريّت، أو انقطع في سفح جبل، لا يسمع الآحسّه، ولا يرى الآنفسه، ولا يكاد يوقن بأنه من كلام من ينغمس في الحرب مصلاً سيفه، فيقطّ الرقاب، ويجدل الأبطال^(٢).

ومما يدلّ على أنّ عليّاً عليه السلام وسائر أهل البيت عليهم السلام أفضل الخليقة، وأكمل البرية، عباراته المنقولة في نهج البلاغة، منها: قوله عليه السلام مشيراً إلى آل محمّد: هم موضع سرّه، ولجأ أمره، وعيبة علمه، وموئل حكمه، وكهوف كتبه، وجبال دينه، بهم أقام انحاء ظهره، وأذهب ارتعاد فرائضه^(٣).

ومنها: ما ذكره مشيراً إلى من تقدّم عليه وغضب حقّه: زرعوا الفجور، وسقوه

(١) كشف الغمّة ١: ٣٦ - ٣٩.

(٢) نهج البلاغة ص ٣٥ مقدّمة الشريف الرضي.

(٣) نهج البلاغة: ٤٧ برقم: ٢.

الغرور، وحصدوا الثبور، لا يقاس بآل محمد ﷺ من هذه الأمة أحد، ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً، هم أساس الدين، وعماد اليقين، اليهم يفيء الغالي، وبهم يلحق التالي، ولهم خصائص حقّ الولاية، وفيهم الوصيّة والوراثة، الآن اذ رجع الحقّ الى أهله، ونقل الى منتقله^(١).

ومما يدلّ أيضاً على ما ذكرناه قوله ﷺ مشيراً الى آل محمد: فيهم كرائم القرآن، وهم كنوز الرحمن، ان نطقوا صدقوا، وان صمتوا لم يسبقوا^(٢). وغيرها من العبارات الصريحة في الأفضليّة.

ومما يدلّ أيضاً على أفضليّته ﷺ أنّه كان عادلاً صالحاً تقياً، والخلفاء الثلاثة كانوا ظالمين فاسقين، وسيجيء بيان وجوه ظلمهم فسوقهم وفجورهم، وبالاجماع العادل الصالح التقيّ أفضل من الظالم الفاسق الفاجر.

ومما يدلّ على أفضليّته ﷺ ما ورد من طرق المخالف من الأحاديث المتضمّنة لأعلميّته ﷺ ووجوب الرجوع اليه في العلم.

ذكر الغزالي في الرسالة اللدنيّة عن عليّ ﷺ: أنّ رسول الله ﷺ أدخل لسانه في في، فانفتح في قلبي ألف باب من العلم، مع كلّ باب ألف باب^(٣).

وعن عبد الله بن مسعود، قال: كنت عند النبيّ ﷺ فسئل عن عليّ ﷺ، فقال: قسمت الحكمة عشرة أجزاء، فأعطي عليّ تسعة أجزاء والناس جزء واحد. وأورده الثعلبي في تفسيره^(٤).

وأورد الثعلبي أيضاً في تفسيره عن عبد الله بن مسعود، قال: إنّ القرآن نزل على

(١) نهج البلاغة ص ٤٧ برقم: ٢.

(٢) نهج البلاغة ص ٢١٥ برقم: ١٥٤.

(٣) الطرائف ص ١٣٦ عن الرسالة اللدنيّة للغزالي.

(٤) احقاق الحقّ ٥: ٥١٧ عن تفسير الثعلبي وغيره.

سبعة أحرف : ما منها حرف الآ ولها ظهر وبطن ، وإنّ علي بن أبي طالب عنده منه علم الظاهر والباطن (١).

وعن ابن عباس قال : علي أقضانا ، وأبيّ أقرأنا . أخرجه أبو داود والنسائي (٢) .
وعن علي عليه السلام : أنّ رسول الله ﷺ قال : أنا مدينة العلم وعلي بابها . أخرجه أبو نعيم والبغوي وغيرهما (٣) .

وعن علي عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : أنا دار الحكمة وعلي بابها . أورده أبو نعيم والبغوي (٤) .

وفي الحلية عن علي عليه السلام قال : قلت : يا رسول الله أوصني ، قال ﷺ : قل ربّي الله ثمّ استقم ، قال : قلت : ربّي الله وما توفيقى إلاّ بالله عليه توكلت واليه أنيب ، فقال ، لهنئك العلم يا أبا الحسن ، لقد شربت العلم شرباً ونهلته نهلاً (٥) .

وفي الأربعين لأبي المكارم ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ : أنا ميزان العلم ، وعلي كفتاه ، والحسن والحسين خيوطه ، وفاطمة علاقتة ، والأئمة عموده ، يزنون به أعمال المحبّين والمبغضين لنا (٦) .

وفيه أيضاً عن سلمان ، قال : قال رسول الله ﷺ : أعلم أمتي علي بن أبي طالب (٧) .

(١) احقاق الحق ٥ : ٥١٥ عن تفسير الثعلبي وغيره .

(٢) صحيح البخاري كتاب التفسير ، والمستدرک ٣ : ٣٠٥ ، وذخائر العقبى ص ٨٣ ، وحلية الأولياء ١ : ٦٥ .

(٣) راجع : احقاق الحق ٥ : ٤٦٩ - ٥٠١ .

(٤) حلية الأولياء ١ : ٦٤ .

(٥) حلية الأولياء ١ : ٦٥ .

(٦) راجع : احقاق الحق ٩ : ٢٠٧ و ٢٥٦ .

(٧) راجع : احقاق الحق ٤ : ٣١٨ - ٣٢٠ .

وعن النبي ﷺ أنه قال : أفضى أمتي علي . رواه الترمذي وقال : هذا حديث صحيح (١)

وفي كتاب الاستيعاب عن الحسن ، عن النبي ﷺ بهذه العبارة : علي أفضى أمتي . وكذلك رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه (٢) .

وأورد الترمذي عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : يا علي إن الله أمرني أن أدينك وأعلمك لتعي ، فلما أنزلت هذه الآية ﴿ وتعيها أذن واعية ﴾ (٣) قال : أنت أذن واعية (٤) .

وروى الترمذي عن أبي البخري ، قال : سئل علي عن نفسه ، فقال : كنت اذا سألت أعطيت ، واذا سكتت ابتدأت ، والله ما نزلت آية الا وقد علمت فيم أنزلت ، وأين أنزلت ، ان ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً سؤولاً (٥) .

وفي مسند أحمد بن حنبل ، والجمع بين الصحاح الستة ، عن أنس بن مالك ، قال : لم يكن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ يقول : سلوني الا علي بن أبي طالب (٦) . وكذا في كتاب الاستيعاب (٧) .

وفي صحيح مسلم أن علياً قال على المنبر : سلوني قبل أن تفقدوني ، سلوني عن كتاب الله ، فما من آية الا وأنا أعلم حيث نزلت بمضيض جبل أو سهل أرض ،

(١) راجع : احقاق الحق ٤ : ٣٢١ - ٣٢٣ .

(٢) راجع : احقاق الحق ٤ : ٣٢٢ .

(٣) الحاقّة : ١٢ .

(٤) راجع احقاق الحق ٣ : ١٤٨ - ١٥٣ .

(٥) سنن الترمذي ٥ : ٥٩٥ و ٥٩٨ .

(٦) ذخائر العقبى ص ٨٣ عن مناقب أحمد ، وفضائل الصحابة لأحمد ٢ : ٦٤٦ برقم :

١٠٩٨ .

(٧) الاستيعاب ٣ : ٤٠ .

وسلوني عن الفتن، فما من فتنة إلا وقد علمت كبشها ومن يقتل فيها، وكان يقول : سلوني عن طرق السماء، فإني أعرف بها من طرق الأرض (١).

وعن علي بن أبي طالب عليه السلام قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله الى اليمن، فقلت : يا رسول الله أتبعثني وأنا حديث السن لا علم لي بالقضاء، فقال : انطلق فان الله سيهدي قلبك ويثبت لسانك، قال : فما شككت في قضاء بين رجلين . أخرجه النسائي والسجستاني (٢).

وروى في كتاب شرف النبي صلى الله عليه وآله بهذه العبارة : روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله بعث علي بن أبي طالب الى اليمن قاضياً، فقال : يا رسول الله تبعثني وأنا حديث السن لا علم لي بالقضاء، فضرب بيده في صدره فقال : اذهب فان الله عز وجل سيهدي قلبك ويثبت لسانك، قال علي : فما شككت بعد ذلك في قضاء بين اثنين (٣).

وفي كتاب الاستيعاب، عن سعيد بن المسيّب، قال : كان عمر يتعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو حسن، وقال في المجنونة التي أمر برجمها، وفي التي وضعت لسنّتها أشهر، فأراد عمر رجمها، فقال له عليه السلام : ان الله تعالى يقول ﴿ وحمله وفصاله ثلاثون شهراً ﴾ الحديث، وقال له : ان الله تعالى رفع القلم عن ثلاث عن المجنون الحديث، فكان عمر يقول : لولا علي لهلك عمر (٤).

وفيه عن عبد الملك بن سليمان، قال : قلت لعطاء : أكان في أصحاب محمد صلى الله عليه وآله

(١) ينابيع المودة ص ٧٤، والاصابة ٢ : ٥٠٩، والمناقب للخوارزمي ص ٩٤.

(٢) الخصائص للنسائي ص ١١ ط مصر، ومسنّد أحمد بن حنبل ١ : ٨٣ ط مصر.

(٣) احقاق الحق ٨ : ٣٧ عن كتاب شرف النبي، وحلية الأولياء ٤ : ٣٨١، وسنن البيهقي ١٠ : ١٤٠ و١٤١.

(٤) الاستيعاب ٣ : ٣٩ المطبوع على هامش الاصابة.

أعلم من علي؟ قال: لا والله لا أعلمه^(١).

وفيه قالت عائشة: من أفتاكم بصوم عاشوراء؟ قالوا: علي، قالت: أما أنه أعلم الناس بالسنة^(٢).

وفيه عن ابن مسعود: إن أفضى أهل المدينة علي بن أبي طالب^(٣).

وفيه عن أبي الطفيل، قال: سمعت^(٤) علياً يخطب وهو يقول: سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم، وسلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم متى نزلت وأين نزلت، أبليل أم نهار، أم في سهل أو جبل^(٥).

وفيه أيضاً: إن علياً سئل عن سلمان الفارسي، فقال: من لكم مثل لقمان الحكيم: ذاك امرئ منّا والينا أهل البيت أدرك العلم الأوّل والعلم الآخر بحر لا ينزف، قالوا: فأنت يا أمير المؤمنين؟ قال: كنت اذا سئلت أعطيت، واذا سكّت ابتدأت، وإنّ بين الدقتين علماً جمّاً^(٦).

وفي تفسير الثعلبي في تفسير قوله تعالى ﴿ فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ﴾^(٧) باسناده قال جابر الجعفي: لما نزلت هذه الآية قال علي: نحن أهل الذكر^(٨).

وفيه أيضاً باسناده عن عبد الله بن الحسين، قال: حين نزلت ﴿ وتعيها أذن

(١) الاستيعاب ٣: ٤٠.

(٢) الاستيعاب ٣: ٤٠.

(٣) الاستيعاب ٣: ٣٩ - ٤٠.

(٤) في المصدر: شهدت.

(٥) الاستيعاب ٣: ٤٣.

(٦) الاستيعاب ٢: ٥٩ - ٦٠.

(٧) النحل: ٤٣ والأَنْبياء: ٧.

(٨) احقاق الحق ٣: ٤٨٢ عنه.

واعية ﴿^(١) قال رسول الله ﷺ: سألت الله عزّ وجلّ أن يجعلها أذنك يا علي ، قال علي : فانسيت بعد ذلك وما كان لي أن أنساه ^(٢) .

وفيه أيضاً باسناده عن بريدة الأسلمي ، قال : قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام : إن الله عزّ وجلّ أمرني أذنك ولا أقصيك ، وأن أعلمك وأن تعي ، وحقّ الله عزّ وجلّ أن تعي ، قال : ونزلت ﴿ وتعيها أذن واعية ﴾ ^(٣) .

وفيه أيضاً باسناده في تفسير قوله تعالى ﴿ ومن عنده علم الكتاب ﴾ ^(٤) عن عبد الله بن عطاء ، قال : كنت جالساً مع أبي جعفر في المسجد ، فرأيت عبد الله بن سلام ، فقلت : هذا الذي عنده علم الكتاب ، قال : أمّا ذاك علي بن أبي طالب ^(٥) .

وفيه أيضاً باسناده عن ابن الحنفية ﴿ ومن عنده علم الكتاب ﴾ قال : هو علي بن أبي طالب ^(٦) .

وفيه أيضاً باسناده عن جابر بن عبد الله ، قال : أخذ النبي ﷺ بعضد علي عليه السلام ، وقال : هذا امام البررة ، وقاتل الكفرة ، منصور من نصره ، مخذول من خذله ، ثمّ مدّ بها صوته فقال : أنا مدينة العلم وعلي بابها ، فمن أراد العلم فليأت الباب ^(٧) .

وفيه أيضاً عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ : أنا مدينة العلم وعلي بابها ، فمن أراد العلم فليأت الباب ^(٨) .

(١) الحاقّة ١٢ .

(٢) احقاق الحقّ ٣ : ١٤٩ عنه .

(٣) احقاق الحقّ ٣ : ١٤٨ .

(٤) الرعد : ٤٣ .

(٥) احقاق الحقّ ٣ : ٢٨١ عنه .

(٦) نفس المصدر .

(٧) احقاق الحقّ ٤ : ٢٣٥ عنه وص ٣٧٦ .

(٨) احقاق الحقّ ٥ : ٤٦٩ - ٤٨٢ .

وفيه أيضاً بأسناده عن حذيفة ، عن علي عليه السلام ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أنا مدينة العلم وعلي بابها ، ولا تؤتى البيوت الا من أبوابها ^(١) .

وفيه أيضاً بأسناده عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أنا مدينة العلم وعلي بابها ، فمن أراد العلم فليأت الباب ^(٢) .

وفيه أيضاً بأسناده عن عبد الله بن عثمان بن عبد الرحمن ، قال : سمعت جابر بن عبد الله الأنصاري يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وهو آخذ بضبع علي بن أبي طالب عليه السلام وقال : هذا أمير البررة ، وقاتل الفجرة ، منصور من نصره ، مخذول من خذله ، ثم مدّ صوته فقال : أنا مدينة العلم وعلي بابها ، فمن أراد العلم فليأت الباب ^(٣) .

وفيه أيضاً بأسناده عن علي بن أبي طالب عليه السلام ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا علي أنا مدينة العلم وأنت الباب ، كذب من زعم أنه يصل المدينة الا من الباب ^(٤) .
وفيه أيضاً بأسناده عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وآله قال : أنا مدينة الجنة وعلي بابها ، فمن أراد الجنة فليأتها من بابها ^(٥) .

وفيه أيضاً بأسناده عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أنا دار الحكمة وعلي بابها ، فمن أراد الحكمة فليأتها من بابها ^(٦) .

وفي مناقب ابن المغازلي بأسناده عن علقمة ، عن عبد الله قال : كنت عند

(١) احقاق الحق ٥ : ٤٨٦ عنه .

(٢) احقاق الحق ٥ : ٤٦٩ .

(٣) احقاق الحق ٤ : ٢٣٥ و ٣٧٦ .

(٤) احقاق الحق ٥ : ٤٨٦ .

(٥) احقاق الحق ٥ : ٥٠٤ .

(٦) احقاق الحق ٥ : ٥٠٧ - ٥٠٨ .

النبي ﷺ فسئل عن علي عليه السلام، فقال: قسّمت الحكمة عشرة أجزاء، فأعطي علي تسعة أجزاء والناس جزءاً واحداً^(١).

وفيه باسناده قال: قال رسول الله ﷺ: أتاني جبرئيل بدرانوك من درانيك الجنة، فجلست عليه، فلما صرت بين يدي ربي كلمني وناجاني، فما علمت شيئاً إلاّ علّمته علياً^(٢)، فهو باب علم مدينة علمي، ثمّ دعاه اليه فقال: يا علي سلمك سلمي، وحربك حربي، وأنت العلم فيما بيني وبين أمتي من بعدي^(٣).
هذا مختصر مما ورد في علمه عليه السلام، وإن أردت الاطلاع على خصوصيات علومه، فليك بتتبع الكتب المصنّفة في قضايا العجيبة، وأحكامه الغريبة، وأجوبته لعلماء اليهود والنصارى وسائر الفرق.

وفيه باسناده عن علي عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: فضل أهل البيت كفضل البنفسج على سائر الأزهار^(٤).

وفيه باسناده عن ابن عباس قال: جاع النبي ﷺ جوعاً شديداً، فأتى الى الكعبة فأخذ بأستارها، وقال: اللهم لا تجع محمداً أكثر ممّا أجعته، قال: فهبط جبرئيل عليه السلام ومعه لوزة، فقال: إن الله تبارك وتعالى يقرأ عليك السلام ويقول لك: فكّ عنها فإذا فيها ورقة خضراء مكتوب فيها: لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله، أيّدته بعلي ونصرته به، ما أنصف الله من نفسه من أتهمه في قضائه، واستبطأه في رزقه^(٥).

(١) المناقب لابن المغازلي ص ٢٨٧ برقم: ٣٢٨.

(٢) في المناقب: فما علّمني شيئاً إلاّ علمه علي.

(٣) المناقب لابن المغازلي ص ٥٠ برقم: ٧٣.

(٤) المناقب لابن المغازلي ص ٤١ برقم: ٦٣.

(٥) لم أعر عليه في المناقب.

وفيه باسناده عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام، قال : نادى ملك من السماء يوم أحد^(١) يقال له رضوان : لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي . وفيه أيضاً هذا الحديث بسند آخر^(٢) .

وفي حلية الأولياء عن ابن عباس ، قال : ان النبي صلى الله عليه وآله عهد الى علي سبعين عهداً لم يعهد الى غيره^(٣) .

وفي تفسير الثعلبي باسناده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لما خلق الله عز وجل المخلق اختار العرب ، فاختار قريشاً ، واختار بني هاشم من قريش ، فأنا خيرة من خيره ، ألا فأحبوا قريشاً ولا تبغضوها فتهلكوا ، ألا كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة ما خلا سببي ونسبي ، وان علي بن أبي طالب من سببي ونسبي ، فمن أحبه فقد أحبني ، ومن أبغضه فقد أبغضني .

وفيه أيضاً باسناده عن اسحاق بن بشر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أما مثل علي بن أبي طالب في هذه الأمة كمثل قل هو الله أحد في القرآن^(٤) .

وفيه أيضاً باسناده عن أنس بن مالك وعن بريدة ، قالوا : قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله هذه الآية ﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ﴾ الى قوله ﴿ والآصار ﴾^(٥) فقام رجل فقال : أي بيوت هذه يا رسول الله ؟ فقال : بيوت الأنبياء ، قال : فقام اليه أبو بكر فقال : يا رسول الله هذا البيت لبيت علي وفاطمة ؟

(١) في المناقب : يوم بدر .

(٢) المناقب لابن المغازلي ص ١٩٩ برقم : ٢٣٥ و ٢٣٦ .

(٣) حلية الأولياء ١ : ٦٨ .

(٤) احقاق الحق ٥ : ٦١٩ - ٦٢٢ .

(٥) النور : ٣٦ .

قال : نعم من أفضلها (١).

وفي تفسير الثعلبي باسناده عن أبي وائل ، قال : قرأت في مصحف عبد الله بن مسعود « انّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل محمد على العالمين » (٢).

وفي شرح المصاييح في مناقب علي عليه السلام ، قال النبي صلى الله عليه وآله : الصديقون ثلاثة : حبيب التجار مؤمن آل يس ، وحزقيل مؤمن آل فرعون ، وعلي وهو أفضلهم (٣).

وفي مناقب ابن مردويه ، عن أبي ذر الغفاري قال : قلنا للنبي صلى الله عليه وآله : من أحب أصحابك اليك ؟ فان كان أمرنا معه ، وان كان نائبة كنا من دونه ، فقال : هذا علي أقدمكم سلماً واسلاماً (٤).

وعن البراء بن عازب الأنصاري ، أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام : أنت مني وأنا منك . الحديث ، أخرجه البخاري ومسلم (٥).

وفي كتاب شرف النبي صلى الله عليه وآله : أشقى الناس عاقر الناقة ، والذي يخضب من هذا - مشيراً الى علي - هذه ، يعني الذي يضربك على رأسك فيخضب لحيتك من دم رأسك ، فضرب على رأسه حين قتل (٦).

وفي كتاب الاستيعاب ، عن عثمان بن صهيب ، عن أبيه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعلي : من أشقى الأولين ؟ قال : الذي عقر الناقة ، قال فمن الآخرين ؟ قال :

(١) احقاق الحق ٩ : ١٣٧ عنه .

(٢) احقاق الحق ٣ : ٥٣٧ عنه .

(٣) المناقب لابن المغازلي ص ٢٤٦ برقم : ٢٩٣ ، وذخائر العقبى ص ٥٩ .

(٤) المناقب لابن مردويه مخطوط .

(٥) صحيح البخاري ٤ : ٢٠٧ و ١٤١ ط الأميرية .

(٦) احقاق الحق ٧ : ٣٤١ - ٣٦٠ .

الذي يضرب على هذا يعني يافوخه ، فيخضب هذه يعني لحيته^(١) .

وفي مناقب ابن المغازلي الشافعي باسناده في تفسير قوله تعالى ﴿ والذي جاء بالصدق وصدق به ﴾^(٢) عن مجاهد : الذي جاء بالصدق وصدق به علي بن أبي طالب^(٣) .

وفيه باسناده عن جابر ، عن أبي جعفر يعني محمد بن علي الباقر عليه السلام في قوله تعالى ﴿ أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ﴾^(٤) قال : نحن الناس^(٥) .
وفيه في قوله تعالى ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾^(٦) قال : رضا محمد عليه السلام أن يدخل أهل بيته الجنة^(٧) .

وفيه باسناده عن علي بن جعفر ، قال : سألت عن قوله عز وجل ﴿ كمشكاة فيها مصباح ﴾ قال : المشكاة فاطمة ، والمصباح الحسن والحسين ﴿ الزجاجة كأنها كوكب دري ﴾ قال : كانت فاطمة عليها السلام كأنها كوكب دري من نساء العالمين ﴿ يوقد من شجرة مباركة ﴾ الشجرة المباركة ابراهيم عليه السلام ﴿ لا شرقية ولا غربية ﴾ لا يهودية ولا نصرانية ﴿ يكاد زيتها يضيء ﴾ قال : يكاد العلم ينطق منها ﴿ ولولم تسسه نار نور على نور ﴾ قال : امام بعد امام ﴿ يهدي الله لنوره من يشاء ﴾^(٨)

(١) الاستيعاب ٣ : ٦٠ .

(٢) الزمر : ٣٣ .

(٣) المناقب لابن المغازلي ص ٢٦٩ - ٢٧٠ برقم : ٣١٧ .

(٤) النساء : ٥٤ .

(٥) المناقب لابن المغازلي ص ٢٦٧ برقم : ٣١٤ .

(٦) الضحى : ٥ .

(٧) احقاق الحق ٩ : ١٣٩ عنه .

(٨) النور : ٣٥ .

قال: يهدي الله لولايتنا من يشاء (١).

وفيه بسنده عن سلمة بن كهيل، قال: مرّ علي بن أبي طالب على رسول الله ﷺ وعنده عائشة، فقال: يا عائشة إذا سرّك أن تنظري إلى سيّد العرب فانظري إلى علي بن أبي طالب، فقالت (٢): أنت سيّد العرب؟ فقال: أنا امام المسلمين وسيّد المتّقين، فاذا سرّك أن تنظري إلى سيّد العرب فانظري إلى علي بن أبي طالب (٣).
وفيه أيضاً هذا المعنى بأدنى تغيير بسند آخر (٤).

وفيه باسناده عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ عليّاً يزهر في الجنّة كما يزهر كوكب الصبح لأهل الدنيا (٥).

وفيه بسنده عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ ملكي علي بن أبي طالب ليفتخران على سائر الأملاك بكونهما مع علي؛ لأنّهما لم يصعدا إلى الله قطّ منه شيء يسخطه (٦). وفيه أيضاً هذا المعنى بسنتين آخرين (٧).

وفيه باسناده عن جابر، قال: انتجى رسول الله ﷺ عليّاً يوم الطائف، فطالت مناجاته آياه، فقيل له: لقد طالت مناجاتك اليوم عليّاً؟ فقال: ما أنا ناجيته ولكنّ الله ناجاه (٨).

(١) المناقب لابن المغازلي ص ٣١٧ برقم: ٣٦١.

(٢) في المناقب: فقلت.

(٣) المناقب لابن المغازلي ص ٢١٣ برقم: ٢٥٧.

(٤) المناقب لابن المغازلي ص ٢١٤ برقم: ٢٥٨.

(٥) المناقب لابن المغازلي ص ١٤٠ برقم: ١٨٤ و ١٨٥.

(٦) المناقب لابن المغازلي ص ١٢٧ برقم: ١٦٧.

(٧) المناقب لابن المغازلي ص ١٢٨ برقم: ١٦٨ و ١٦٩.

(٨) المناقب لابن المغازلي ص ١٢٤ برقم: ١٦٢.

وقد أورد هذا المعنى بسبع أسانيد أخر (١).

وفيه باسناده عن معاذ بن جبل ، قال : قال رسول الله ﷺ : النظر الى وجه علي عبادة (٢). وفيه هذا الحديث بتسعة أسانيد أخر (٣).

وفيه باسناده عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ : من أن أراد أن ينظر الى علم آدم وفقه نوح ، فلينظر الى علي بن أبي طالب (٤).

وفيه باسناده قال : أتى عمر رجلان فسألاه عن طلاق العبد ، فانتهى الى حلقة فيها رجل أصلع ، فقال : يا أصلع كم طلاق العبد ؟ فقال له باصبعيه : هكذا ، وحرك السبابة والتي تليها ، فالتفت اليها فقال : اثنتين ، فقال أحدهما : سبحان الله جنناك وأنت أمير المؤمنين فسألناك ، فجئت الى رجل والله ما كلمك ، قال : ويحك تدري من هذا ؟ قال : هذا علي بن أبي طالب ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : لو أن السماوات والأرضين وضعتا في كفة ووضع إيمان علي في كفة لرجح إيمان علي (٥).

وفيه باسناده عن علي بن أبي طالب عليه السلام عن رسول الله ﷺ قال : يا علي شيعتنا يخرجون من قبورهم يوم القيامة على ما بهم من العيوب والذنوب ، وجوههم كالقمر ليلة البدر ، وقد فرجت عنهم الشدائد ، وسهلت لهم الموارد ، وأعطوا الأمن والأمان ، وارتفعت عنهم الأحزان ، يخاف الناس ولا يخافون ، ويمزن الناس ولا يمزنون ، شرك نعالهم تتلألأ نوراً ، على نوق بيض لها أجنحة قد ذللت من غير مهابة ونجبت من غير رياضة ، أعناقها من ذهب أحمر ، ألين من

(١) المناقب ص ١٢٥ - ١٢٦ .

(٢) المناقب لابن المغازلي ص ٢٠٧ برقم : ٢٤٤ .

(٣) المناقب ص ٢٠٧ - ٢١١ .

(٤) المناقب لابن المغازلي ص ٢١٢ برقم : ٢٥٦ .

(٥) المناقب لابن المغازلي ص ٢٨٩ برقم : ٣٣٠ .

الحرير ، لكرامتهم على الله عزّ وجلّ^(١) .

وفيه أيضاً باسناده عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر : امضيا الى علي حتى يحدثكما ما كان منه في ليلته وأنا على اثركما ، قال أنس : فضيا ومضيت معها ، فاستأذن أبو بكر وعمر على علي ، فخرج اليهما ، فقال : يا أبابكر حدث شيء ؟ قال : لا وما يحدث الآخير ، قال لي النبي ﷺ ولعمر : امضيا الى علي يحدثكما ما كان منه في ليلته ، وجاء النبي ﷺ وقال : يا علي حدثها ما كان منك في الليل ، فقال : أستحيي يا رسول الله ، فقال : حدثها ان الله لا يستحيي من الحقّ .

فقال علي : أردت الماء للطهارة ، وأصبحت وخفت أن تفوتني الصلاة ، فوجّهت الحسن في طريق والحسين في طريق في طلب الماء ، فأبطأ عليّ فأحزنتني ذلك ، فرأيت السقف قد انشقّ ونزل عليّ منه سطل مغطى بمنديل ، فلما صار الى الأرض نَحَيْت عنه المنديل فاذا فيه ماء ، فتطهّرت للصلاة واغتسلت وصلّيت ، ثم ارتفع السطل والمنديل والتأم السقف .

فقال النبي ﷺ : أما السطل فمن الجنة ، وأما الماء فمن نهر الكوثر ، وأما المنديل فمن الاستبرق^(٢) ، من مثلك يا علي في ليلتك وجبرئيل يخدمك^(٣) .

وفيه باسناده عن علي عليه السلام ، قال : قال رسول الله ﷺ : اذا كان يوم القيامة نوديت من بطنان العرش : نعم الأب أبوك ابراهيم ، ونعم الأخ أخوك علي^(٤) .

وفيه عن ابن عباس رضيهما الله عنهما قال : سئل رسول الله ﷺ عن الكلمات التي تلقاها

(١) المناقب لابن المغازلي ص ٢٩٦ برقم : ٣٣٩ .

(٢) في المناقب : استبرق الجنة .

(٣) المناقب لابن المغازلي ص ٩٥ برقم : ١٣٩ .

(٤) المناقب لابن المغازلي ص ٦٧ برقم : ٩٦ .

آدم من ربّه فتاب عليه ، قال : سأله بحقّ محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين ألاّ تبت عليّ فتاب عليه (١) .

وفيه باسناده عن علي بن أبي طالب ، قال : قال رسول الله ﷺ : لولاك ما عرف المؤمنون بعدي (٢) .

وفيه عن أبي خيثمة (٣) ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : اذا كان يوم القيامة ضرب الله لي قبة من ذهب حمراء ، وضرب لابراهيم قبة حمراء من ذهب ، وضرب لعلي فيها بينهما قبة من ذهب حمراء ، فما ظنك بحبيب بين خليلين (٤) .

وفيه أيضاً بسند آخر عن ابن أبي خيثمة ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله ﷺ : اذا كان يوم القيامة ضرب الله لي عن يمين العرش قبة من ذهب حمراء ، وضرب لابراهيم قبة من ذهب حمراء ، وضرب لعلي قبة من زبرجدة خضراء ، فما ظنك بحبيب بين خليلين (٥) .

وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد من علماء الجمهور : كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله عزّ وجلّ قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام ، فلما خلق آدم قسّم ذلك فيه وجعله جزئين : جزء أنا ، وجزء علي . قال : رواه أحمد في المسند في فضائل علي عليه السلام ، وذكره صاحب كتاب الفردوس وزاد فيه : ثمّ انتقلنا حتّى صرنا في عبد المطلب ، فكان لي النبوة ولعلي الوصية (٦) .

(١) المناقب لابن المغازلي ص ٦٣ برقم : ٨٩ .

(٢) المناقب لابن المغازلي ص ٧٠ برقم : ١٠١ .

(٣) في المناقب : عن أبي حثمة .

(٤) المناقب لابن المغازلي ص ٢١٩ برقم : ٢٦٥ .

(٥) المناقب لابن المغازلي ص ٢٢٠ برقم : ٢٦٦ .

(٦) شرح نهج البلاغة ٩ : ١٧١ ، وفردوس الأخبار ٢ : ٣٠٥ ، ٣ : ٣٣٢ .

وفيه أيضاً: أعطيت في علي خمساً، هنّ أحبّ اليّ من الدنيا وما فيها، أمّا واحدة فهو كآب بين يدي الله عزّ وجلّ حتّى يفرغ من حساب الخلاق، وأمّا الثانية فلواء الحمد بيده آدم ومن ولد تحته، وأمّا الثالثة فواقف على عقر حوضي يسقي من عرف من أمّتي، وأمّا الرابعة فساطر عورتي ومسلّمي الي ربّي، وأمّا الخامسة فاني لست أخشى عليه أن يعود كافراً بعد ايمان، ولا زانياً بعد احسان. قال: رواه أحمد في كتاب الفضائل (١).

وفيه أيضاً: أخصمك يا علي بالنبوة، فلا نبوة بعدي، وتخصم الناس بسبع لا يجاحد فيها أحد من قريش، أنت أو لهم ايماناً بالله، وأوفاهم بعهد الله، وأقومهم بأمر الله، وأقسمهم بالسوية، وأعد لهم بالرعيّة، وأبصرهم بالقضيّة، وأعظمهم عند الله مزيّة. قال: رواه أبو نعيم الحافظ في حلية الأولياء (٢).

وفيه أيضاً قالت فاطمة: أنّك زوّجتني فقيراً لا مال له، فقال: زوّجتك أقدمهم سلماً، وأعظمهم حليماً، وأكثرهم علماً، ألا تعلمين أنّ الله اطّلع الي الأرض اطّلاعة، فاختر منها أباك، ثمّ اطّلع اليها ثانية فاختر منها بعلك. قال: رواه أحمد في المسند (٣).

وفيه أيضاً دعا النبي ﷺ عليّاً في غزوة الطائف، فانتجاه وأطال نجواه حتّى كره قوم من الصحابة، فقال قائل منهم: لقد أطال اليوم نجوى ابن عمّه، فبلغه ﷺ ذلك، فجمع منهم قوماً ثمّ قال: إنّ قائلًا قال: لقد أطال اليوم نجوى ابن عمّه، أمّا انّي ما انتجيتّه ولكن الله انتجاه. قال: رواه أحمد في المسند (٤).

(١) شرح نهج البلاغة ٩: ١٧٢ - ١٧٣.

(٢) شرح نهج البلاغة ٩: ١٧٣.

(٣) شرح نهج البلاغة ٩: ١٧٤.

(٤) شرح نهج البلاغة ٩: ١٧٣.

وفيه أيضاً: الصديقون ثلاثة: حبيب النجار الذي جاء من أقصى المدينة يسعى، ومؤمن آل فرعون الذي كان يكتُم إيمانه، وعلي بن أبي طالب أفضلهم. رواه أحمد في كتاب فضائل علي عليه السلام (١).

وفيه أيضاً: والذي نفسي بيده لولا أن تقول طوائف من أمتي فيك ما قالت النصارى في ابن مريم، لقلت اليوم فيك مقالاً لا تمرّ بملأ من المسلمين إلا أخذوا التراب من تحت قدميك للبركة. قال: ذكره أبو عبد الله أحمد بن حنبل في المسند (٢).

وفيه أيضاً: من أراد أن ينظر إلى نوح في عزمه، وإلى آدم في علمه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في فطنته، وإلى عيسى في زهده، فلينظر إلى علي بن أبي طالب. قال: رواه أحمد بن حنبل في المسند، ورواه أحمد البيهقي في صحيحه (٣).

وفيه أيضاً: من سرّه أن يحيى حياتي، ويموت ميتتي، ويتمسك بالقضيب من الياقوتة التي خلقها الله تعالى بيده ثم قال لها: كوني فكانت، فليتمسك بولاية علي بن أبي طالب. قال: ذكره أبو نعيم الحافظ في كتاب حلية الأولياء.

ورواه أبو عبد الله أحمد بن حنبل في المسند في كتاب فضائل علي بن أبي طالب، وحكاية لفظ أحمد: من أحبّ أن يتمسك بالقضيب الأحمر الذي غرسه الله في جنة عدن بيمينه، فليتمسك بحبّ علي بن أبي طالب (٤).

وفيه أيضاً قال لوفد ثقيف: لتسلمنّ أو لأبعثنّ اليكم رجلاً منّي - أو قال: عدل نفسي - فليضربنّ أعناقكم، وليسبينّ ذراريكم، وليأخذنّ أموالكم، قال عمر: فما

(١) شرح نهج البلاغة ٩: ١٧٢.

(٢) شرح نهج البلاغة ٩: ١٦٨.

(٣) شرح نهج البلاغة ٩: ١٦٨.

(٤) شرح نهج البلاغة ٩: ١٦٨.

تمتت الأمانة الآ يومئذ ، وجعلت أنصب له صدري رجاء أن يقول : هو هذا ، فالتفت فأخذ بيد علي وقال : هو هذا مرّتين .

رواه أحمد في المسند ، ورواه في كتاب فضائل علي عليه السلام أنه قال : لتنتهنّ يا بني وليعة أو لأبعثنّ اليكم رجلاً كنفي ، يمضي فيكم أمري ، يقتل المقاتلة ، ويسبي الذرّيّة ، قال أبوذرّ : فما راعني إلاّ برد كفّ عمر في حجزتي من خلفي يقول : من تراه يعني ؟ فقلت : أنّه لا يعينك وأنّما يعني خاصف النعل بالبيت ، وأنّه قال : هو ذا ^(١) . انتهى ما نقله ابن أبي الحديد في شرحه .

وفي الفردوس مسنداً عن أبي سعيد : يا علي معك يوم القيامة عصا من عصا الجنة ، تذود بها المنافقين عن حوضي ^(٢) .

وفيه أيضاً مسنداً عن أبي رافع : يا علي والذي نفسي بيده لولا أن يقول فيك طوائف من أمّتي ما قالت النصارى في عيسى بن مريم لقلت اليوم فيك مقالاً لا تمرّ بأحد من المسلمين إلاّ أخذ التراب من أثر قدميك يطلبون به البركة ^(٣) .

وفيه أيضاً مسنداً عن أبي سعيد : يا علي لك سبع خصال لا يحاجّك فيهنّ أحد يوم القيامة : أنت أوّل المؤمنين بالله ايماناً ، وأوفاهم بعهد الله ، وأقومهم بأمر الله ، وأرأفهم بالرعيّة ، وأقسّمهم بالسويّة ، وأعلمهم بالقضيّة ، وأعظمهم مزيّة يوم القيامة ^(٤) .

ومما يدلّ على أفضليّته أنّ النبي صلّى الله عليه وآله اختاره بين كلّ الصحابة للأخوة ، وهذا أمر ثابت لا مرية فيه .

(١) شرح نهج البلاغة ٩ : ١٦٧ .

(٢) فردوس الأخبار ٥ : ٤٠٨ برقم : ٨٣١٤ ط دار الكتاب العربي .

(٣) مقتل الحسين للخوارزمي ص ٤٥ عن الديلمي .

(٤) كنز العمال ١١ : ٦١٧ برقم : ٣٢٩٩٥ .

قال صاحب الصراط المستقيم : وحديث المؤاخاة له قد اتفق الفريقان على صحته ، وقد أورده شارح المصاييح في مناقبه ، والترمذي في صحيحه ، وابن حنبل في مواضع بطرق مختلفة في مسنده ، والبلاذري ، والسلامي ، والقاضي ، وابن بطة بطرق ستة ، وفي تفسير القطان ، والحسن ، ووكيع ، وذكره أبو داود في سننه ، والثعلبي في تفسيره ، وفي الجزء الثالث من الجمع بين الصحاح الستة لرزين العبدري (١) .

ومما يدل على أفضليته ﷺ ما ورد أنه ﷺ خير البرية .

قال صاحب الصراط المستقيم : أسند الاصفهاني من أعيانهم أن قوله تعالى ﴿ أولئك هم خير البرية ﴾ (٢) نزلت في علي . ونحوه أبو بكر الشيرازي ، وابن مردويه من تيف وأربعين طريقاً ، والخطيب الخوارزمي .

وأسند ابن جبير في نخبه الى الزبير وعطية وخوات أنهم رأوا جابراً يدور في سكك المدينة ومجالسها ويقول : قال النبي ﷺ : علي خير البشر ، فمن أبي فقد كفر ، ومن رضي فقد شكر ، معاصر الأنصار أدبوا أولادكم على حب علي ، فمن أبي فلينظر في شأن أمه .

وأسند نحوه الدارمي عن عائشة ، وابن مجاهد في الولاية ، والديلمي في الفردوس ، وأحمد في الفضائل ، والأعمش عن أبي وائل ، وعن عطية عن عائشة ، وابن أبي حازم عن جرير ، وروى ابن جبر في نخبه عن أبي وائل ، ومعاوية ، ووكيع ، والأعمش ، وشريك ويوسف ، أنهم أسندوا الى جابر وحذيفة : علي خير البشر ، لا يشك فيه إلا كافر . قال : وروى عطاء مثله (٣) .

(١) الصراط المستقيم ٢ : ٢٥ .

(٢) البيئنة : ٧ .

(٣) الصراط المستقيم ٢ : ٦٩ .

ومما يدل أيضاً على أفضليته ما في الصراط المستقيم أيضاً، نقلاً عن صاحب الوسيلة، عن أبي سعيد قول النبي ﷺ لعلي: لك من الثواب ما لو قسم على أهل الأرض لوسعهم. أسنده سالم بن الجعدي بأحد عشر طريقاً إلى جابر.

وفي تاريخ الخطيب: أخرج المأمون القول بخلق القرآن وتفضيل علي على الناس بعد النبي ﷺ سنة اثني عشر ومائتين.

وأسند في تاريخه أيضاً قول النبي ﷺ: من لم يقل إن علياً خير البشر فقد كفر. وأسند فيه قول النبي ﷺ: خير رجالكم علي، وخير شبابكم الحسن والحسين، وخير نساءكم فاطمة.

ومسنداً إلى عقبه قول الجهني للنبي ﷺ: إن قوماً يقولون خير هذه الأمة أبوبكر، وقوماً عثمان، فمن خير الناس بعدك؟ قال: من اختاره الله، واشتق له اسماً من أسماه، وزوجه ابنتي، ووكل به ملائكة يقاتلون معه، فذكر ذلك لأبي ذر فقال: وأزيدك ما سمعته من النبي ﷺ: فضل علي على هذه الأمة كفضل جبرئيل على سائر الملائكة.

وفي رواية الهذلي عن الشعبي: أن علياً أقبل على النبي ﷺ، فقال: هذا من الذين يقول الله فيهم ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية﴾. وأسند ابن جبر في نخبه إلى الباقر عليه السلام قول النبي ﷺ لعلي عليه السلام ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية﴾ أنت وشيعتك، وميعادي وميعادكم الحوض، وإذا حشر الناس جئت أنت وشيعتك شباعاً مرويين غراً محجلين. وأسند في كتابه إلى جابر: كان أصحاب النبي ﷺ إذا أقبل علي قالوا: هذا خير البرية.

وفي تاريخ البلاذري عن جابر: كان علي خير البشر بعد رسول الله ﷺ.

قال جابر: علي خير البشر ما كتنا نعرف المنافقين إلا يبغضهم آياه.

وأَسَدُ الخوارزمي وابن عبدوس عن سلمان قول النبي ﷺ: إن أخي ووزيري وخير من أخلفه بعدي علي أمير المؤمنين.

وأَسَدُهُ الطبراني في المناقب والولاية قول النبي ﷺ في الخوراج: هم شرّ الخلق والخليفة، يقتلهم خير الخلق والخليفة، وأقربهم إلى الله وسيلة.

وأَسَدُ ابن جبر في نخبه، أن سعد بن أبي وقاص دخل على معاوية، فقال له: مرحباً بمن لا يعرف حقاً فيتبعه ولا باطلاً فيجتنبه، فقال: أردت أعينك على علي بعد ما سمعت النبي ﷺ يقول لفاطمة: أنت خير الناس أباً وبعلاً.

وأَسَدُ أيضاً إلى شهر بن حوشب أن عمر لما بدأ بالحسنين في العطاء، قال له ابنه: قدّمتهما عليّ ولي صحبة وهجرة دونهما، فقال: أسكت أسكت لا أمّ لك، أبوهما والله خير من أبيك، وأمهما خير من أمك.

وقد أسند صاحب المراصد إلى ابن عباس قول النبي ﷺ: خلق الله ذا الفقار، وأمرني أن أعطيه خير أهل الأرض، قلت: يا ربّ من ذلك؟ قال: خليفتي في أرضي علي بن أبي طالب، قال: ذو الفقار كان يحدثه حتى أنّه همّ بكسره، فقال: مه يا أمير المؤمنين فاني مأمور وقد بقي في أجل الشرك تأخير.

وحدّث اسحاق بن راهويه، عن يحيى بن ادم، أنّه قيل لشريك: ما تقول في من مات ولا يعرف أبابكر؟ قال: لا شيء عليه، قال: فان هو لا يعرف عليّاً؟ قال: في النار؛ لأنّ النبي ﷺ أقامه علماً يوم الغدير (١). انتهى.

وفي فردوس الديلمي مسنداً عن النبي ﷺ: يا فاطمة أما ترضين أن الله عزّ وجلّ اطّلع على أهل الأرض فاختر أباك وزوجك (٢).

وفيه أيضاً مسنداً: يا فاطمة زوجتك سيّداً في الدنيا وآتة في الآخرة لمن

(١) الصراط المستقيم ٢: ٦٩ - ٧٠.

(٢) ينابيع المودّة ص ٢٤١، ومقتل الحسين للخوارزمي ص ٦٦.

الصالحين، يا فاطمة لما أراد الله أن أملكك بعلي أمر الله عزّ وجل جبرئيل ، فقام في السماء الرابعة ، فصفت الملائكة صفوفاً ، ثمّ خطب عليهم ، فزوّجتك من علي ، ثمّ أمر الله تعالى شجر الجنان ، فحملت الحليّ والحلل ، ثمّ أمرها فنثرت على الملائكة ، فمن أخذ منهم شيئاً أكثر ممّا أخذ غيره افتخر به الى يوم القيامة (١).

ومما يدلّ على أفضليّته عليه السلام ما ورد من طريق المخالف من الأحاديث المتواترة المتضمّنة لوجوب حبّه وحبّ أهل بيته ، وأنّ حبّه إيمان ، وبغضه كفر ونفاق ، وما في معناه .

وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي : النظر الى وجهك يا علي عبادة ، أنت سيّد في الدنيا وسيّد في الآخرة ، من أحبّك أحبّني ، وحببي حبيب الله ، وعدوك عدويّ ، وعدويّ عدوّ الله ، الويل لمن أبغضك .

رواه أحمد في المسند ، قال : وكان ابن عبّاس يفسّره فيقول : إنّ من ينظر اليه يقول : سبحان ما أعلم هذا الفتى ، الحديث (٢) .

وفيه أيضاً : خطب رسول الله صلى الله عليه وآله يوم جمعة ، فقال : أيّها الناس قدّموا قريشا ، ولا تقدّموها ، وتعلّموا منها ، ولا تعلّموها ، قوّة رجل من قريش تعدل تعدل قوّة رجلين من غيرهم ، وأمانة رجل من قريش تعدل أمانة رجلين من غيرهم ، أيّها الناس أوصيكم بحبّ ذي قرباها ، أخي وابن عمّي عليّ بن أبي طالب ، لا يحبه إلاّ مؤمن ، ولا يبغضه إلاّ منافق ، من أحبّه فقد أحبّني ومن أبغضه فقد أبغضني عدّ به الله بالنار ، قال : رواه أحمد في كتاب فضائل عليّ عليه السلام (٣) .

وفي كتاب الفردوس للدليمي : لا يبغضك من الرجال إلاّ منافق ومن حملته أمّه

(١) حلية الأولياء ٥ : ٥٩ ، وتاريخ بغداد ٤ : ١٢٨ ، ومقتل الحسين ص ٦٤ عنه .

(٢) شرح نهج البلاغة ٩ : ١٧١ .

(٣) شرح نهج البلاغة ٩ : ١٧٢ .

وهي حائض، ولا يبغضك من النساء الا السلقلق، وهي التي تحيض من دبرها (١).
 وفيه أيضاً مسنداً عن عبدالله بن عباس رضي الله عنها، قال: جاءت امرأة الى
 علي عليه السلام، فقالت: اني أبغضك، فقال علي: فأنت اذاً سلقلق، قالت: وما السلقلق؟
 قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: لا يبغضك من النساء الا السلقلق، فقلت: يا رسول
 الله ما السلقلق؟ قال: التي تحيض من دبرها، قالت: صدق رسول الله أنا والله
 أحيض من دبري وما علم أبواي (٢).

وفيه أيضاً: يا علي طوبى لمن أحبك وصدق فيك، وويل لمن أبغضك وكذب
 فيك (٣).

وفيه أيضاً: يا علي لو أن أمتي أبغضوك لأكبهم الله عزوجل على مناخرهم في
 النار (٤).

وفيه أيضاً عن علي بن أبي طالب عليه السلام: يا علي لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا
 منافق (٥).

وكان علي عليه السلام يقول: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، أنه لعهد النبي الأمي الي أن
 لا يحبني الا مؤمن ولا يبغضني الا منافق (٦).

قال صاحب الصراط المستقيم بعد نقل هذا الحديث عن المفيد في ارشاده: قال
 مثله في مسند أحمد بن حنبل، ونحوه عن أم سلمة بطريقين، ورواه الحميدي في

(١) احقاق الحق ٧: ٢١٤، وفردوس الأخبار ٥: ٤١٠ برقم: ٨٣١٩.

(٢) احقاق الحق ٧: ٢٢٠، وفي آخره: ولا يعلم الا أبواي.

(٣) احقاق الحق ٧: ٢٧٠ - ٢٧٥.

(٤) احقاق الحق ٧: ١٨٢ - ١٨٣.

(٥) احقاق الحق ٧: ١٩٠ - ١٩٤.

(٦) احقاق الحق ٧: ١٩٦ - ١٩٧.

الحديث التاسع من الجمع بين الصحيحين ، وفي الجزء الثاني من الجمع بين الصحاح الستة من صحيح أبي داود ومن صحيح البخاري .

وأسند ابن حنبل أيضاً عن الحدري : ما كُتِبَ نعرف منافق الأنصار إلا يبغضهم علياً . وأسند إليه قول النبي ﷺ : من أبغضنا أهل البيت فهو منافق . وأسند الى الزبير : ما كُتِبَ نعرف المنافقين إلا يبغضهم آياه . وأسند الى عمّار قول النبي ﷺ لعلي : طوبى لمن أحبك وصدق فيك ، وويل لمن أبغضك وكذب فيك . وأسند الى عروة أنّ رجلاً وقع في علي بحضرة عمر ، فقال : ان أبغضته آذيت هذا في قبره ، يعني النبي ﷺ (١) .

وفي الفردوس : يا علي طوبى لمن أحبك وصدق فيك ، وويل لمن أبغضك وكذب فيك (٢) .

وفيه أيضاً مسنداً عن جابر : يا علي لو أنّ أمتي أبغضوك لأكبهم الله عزّ وجلّ على مناخرهم في النار (٣) .

وفيه أيضاً مسنداً : يا علي ما كنت أبالي من مات من أمتي وهو يبغضك مات يهودياً أو نصرانياً (٤) .

وفيه أيضاً مسنداً عن سلمان ﷺ : يا علي محبّك محبّي ومبغضك مبغضي (٥) .

وفيه أيضاً مسنداً عن أبي رافع : يا علي أنت وشيعتك تردون عليّ الحوض رواءً

(١) الصراط المستقيم ٢ : ٥٠ .

(٢) احقاق الحق ٧ : ٢٧ - ٢٧٥ وتقدّم آنفاً .

(٣) احقاق الحق ٧ : ١٨٢ - ١٨٣ .

(٤) فردوس الأخبار ٥ : ٤٠٨ برقم : ٨٣١٢ .

(٥) فردوس الأخبار ٥ : ٤٠٨ برقم : ٨٣١٣ .

مرويين مبيضة وجوههم ، وان عدوك يردون علي ظماء مقمحين (١) .
 وفيه أيضاً عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ : يا علي ان الله عزوجل زوجك
 فاطمة ، وجعل صداقها الأرض ، فن مشى مبغضاً لك مشى حراماً (٢) .
 أسند ابن مردويه الى النبي ﷺ : لو أن عبداً عبد الله ما قام نوح في قومه وكان
 له مثل أحد ذهباً ، فأفقه في سبيل الله ، ومد في عمره حتى حج ألف عام على قدميه ،
 ثم قتل بين الصفا والمروة مظلوماً ، ثم لم يوالك يا علي لم يشم رائحة الجنة (٣) .
 وفي شرف المصطفى وتاريخ النسوي عن النبي ﷺ : لو أن عبداً عبد الله بين
 الركن والمقام ألف عام ، ثم ألف عام ، ثم ألف عام ، ولم يكن يحبنا أهل البيت : لأكبه
 الله على منخره في النار (٤) .

ونقل ابن المغازلي عن مجاهد ، عن ابن عباس ، أن النبي ﷺ قال : من أدى
 علياً بعث يوم القيامة يهودياً أو نصرانياً ، فقال جابر : وان أقرت بالوحدة والرسالة ،
 فقال علياً : كلمة تحتجزون بها أن لا تسفك دماءهم وأموالهم (٥) .
 وفي معجم الطبراني من أهل الخلاف ، قالت فاطمة : قال النبي ﷺ : ان الله باهى
 بكم وغفر لكم عامة ، ولعلي خاصة ، الى قوله : هذا جبرئيل يخبرني عن رب العالمين
 أن السعيد كل السعيد من أحب علياً في حياته وبعد موته ، والشقي كل الشقي من
 أبغض علياً في حياته وبعد موته (٦) .

-
- (١) الصواعق المحرقة ص ٦٦ ، وينايع المودة ص ١٨٢ .
 (٢) فردوس الأخبار ٥ : ٤٠٩ برقم : ٨٣١٦ .
 (٣) المناقب للخوارزمي ص ٦٧ - ٦٨ برقم : ٤٠ .
 (٤) المناقب للخوارزمي ص ٨٧ ح ٧٧ وفراند السمتين ١ : ٣٣١ وكفاية الطالب ص ٣١٢ .
 (٥) المناقب لابن المغازلي ص ٥٢ برقم : ٧٦ .
 (٦) ذخائر العقبى ص ٩٢ ، والرياض النضرة ٢ : ٢١٤ ، ومجمع الزوائد ٩ : ١٣٢ ، وينايع

وفي فردوس الديلمي عن عمر، قال النبي ﷺ: حبّ علي براءة من النار (١).
 قال صاحب الصراط المستقيم بعد نقل هذا الحديث: وذكر ابن جبر في نخبه معنى
 هذا الحديث وزيادات عليه يؤول اليه بعدّة رجال في عدّة كتب، منهم عطية، وابن
 بطّة في الابانة من طرق ستّة، وأمّ سلمة، وابن ماجة، والترمذي، ومسلم،
 والبخاري، وأحمد، وابن الربيع، والاصفهاني، وابن شيبه، والعكبري، والحلية،
 وفضائل السمعاني، وتاريخ بغداد، والألكاني، وابن عقدة، والموصلي، وعبادة بن
 يعقوب، والثقفى، والهروي، والطبري، ونعم ما قال الخليفة الناصر العباسي:

قسماً بمكّة والحطيم وزمزم	والراقصات وسعينّ الى منى
بغض الوصي علامة مكتوبة	تبدو على جهات أولاد الزنا
من لا يوالي في البريّة حيدراً	سيّان عند الله صلى أو زنا
وقول رسول الله فيه مصدّق	رواه ابن عبّاس وزيد وجابر
حبّ علي لا محالة مؤمن	وباغضه والله والله كافر (٢)

اعلم أنّ الناصر لدين الله من خلفاء بني العبّاس كان شيعياً، وممّا يدلّ على
 تشيّع زائداً على ما نقلناه عنه من هذه الأبيات أبيات أخر له .

نقل عن الياضي في مرآة الجنان، والقاضي صاعد الأندلسي في كتاب طبقات
 الأمم ما حاصله: أنّه توفّي الملك الأفضل علي بن صلاح الدين يوسف، وكان قد
 نزل عن ملك مصر والشام وقنع بشمشاط. ولما أخذ منه البلاد كتب الى الخليفة
 كتاباً ضمّنه الشكاية من عمّه العادل وأخيه العزيز، حيث أخذاً منه البلاد ونكثنا
 عهد أبيه، وكتب في أوّل الكتاب أبياتاً له وأحسن فيها:

المودّة ص ٢١٣ .

(١) فردوس الأخبار ٢: ٢٢٦ برقم: ٢٥٤٥ .

(٢) الصراط المستقيم ٢: ٥١ - ٥٢ .

مولاي انّ أبابكر وصاحبه
 فاروق قد أخذنا بالسيف حقّ علي
 وهو الذي قد ولّاه والده
 عليها فاستقام الأمر حين ولى
 فخالفاه وحلاً عقد بيعته
 والأمر بينهما والنصّ فيه جليّ
 فانظر الى حظّ هذا الاسم

كيف لقي من الأواخر ما لاقى من الأول
 ويريد بأبي بكر عمّه ، وبفاروق أخاه . فأجابه الناصر لدين الله :

وإني كتابك يابن يوسف معلناً بالصدق يخبر أنّ أصلك طاهر
 غصبوا عليّاً حقّه اذ لم يكن بعد النبيّ له بيثرب ناصر
 فاصبر فإنّ غداً عليه حسابهم وابشر فناصرك الامام الناصر

وفي كتاب شرف النبيّ ، عن النبيّ ﷺ أنّه قال : الويل لظالمي أهل بيتي ، عذابهم
 مع المنافقين في الدرك الأسفل من النار (١) .

وفيه أيضاً عن عليّ عليه السلام ، قال رسول الله ﷺ : حرّم الله الجنة على من ظلم أهل
 بيتي وقتلهم ، ومن سبهم ولعن عليهم لا خلاق لهم في الآخرة ، ولا يكلمهم الله ولا
 ينظر اليهم يوم القيامة (٢) .

وفي مسند أحمد بن حنبل : من أحبّك فقد أحبّني ، وحبيبك حبيبي ، وحبيبي

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ٢ : ٨٣ ، وينايع المودّة ص ٢٦١ ، والمناقب لابن المغازلي
 ص ٦٦ و ٤٠٣ .

(٢) ذخائر العقبى ص ٢٠ ، وينايع المودّة ص ١٩٣ .

حبيب الله ، وعدوك عدوي ، وعدوي عدو الله ، والويل لمن أبغضك بعدي (١) .
وفي مسند أحمد بن حنبل أيضاً : يا علي من فارقتي فقد فارق الله ، ومن فارقك
فقد فارقتي (٢) .

وقال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة نقلاً عن أبي القاسم البلخي أنه قال :
وقد اتفقت الأخبار الصحيحة التي لا ريب فيها عند المحدثين عن النبي ﷺ قال له :
لا يبغضك إلا منافق ، ولا يحبك إلا مؤمن .

وروى حبة العري ، عن علي عليه السلام ، أنه قال : إن الله عز وجل أخذ ميثاق كل
مؤمن على حبي ، وميثاق كل منافق على بغضي ، فلو ضربت وجه المؤمن بالسيف
ما أبغضني ، ولو صببت الدنيا على منافق ما أحببني .

وروى عبد الكريم بن هلال ، عن أسلم المكي ، عن أبي الطفيل ، قال : سمعت
علياً عليه السلام يقول : لو ضربت خياشيم المؤمن بالسيف ما أبغضني ، ولو صببت الدنيا
على المنافق ذهباً وفضة ما أحببني ، إن الله تعالى أخذ ميثاق المؤمنين بحبي ، وميثاق
المنافقين ببغضي ، فلا يبغضني مؤمن ، ولا يحببني منافق أبداً .

قال شيخنا أبو القاسم البلخي : وقد روي كثير من أرباب الحديث عن جماعة
من الصحابة ، قالوا : ما كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله ﷺ إلا ببغض
علي بن أبي طالب (٣) انتهى .

وقال في شرحه أيضاً ، وروى كافة الناس أن رسول الله ﷺ قال له : هذا وليي

(١) مستدرک الحاكم ٣ : ١٢٧ - ١٢٨ ، وتذكرة الخواص ص ٥٤ ، ونظم درر السمطين
ص ١٠١ ، والفصول المهمة ص ١١٠ .

(٢) مستدرک الحاكم ٣ : ١٢٣ و ١٤٦ ، وذخائر العقبى ص ٦٥ ، والرياض النضرة ص
١٦٧ ، وجمع الزوائد ٩ : ١٣٥ .

(٣) شرح نهج البلاغة ٤ : ٨٣ .

وأنا وليه ، عاديت من عاداه ، وسالمت من سالمه أو نحو هذا اللفظ ^(١) .
 وروى محمد بن عبدالله بن أبي رافع عن زيد بن علي بن الحسين عليه السلام ، قال :
 قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام : عدوك عدوي ، وعدوي عدو الله عز وجل ^(٢) .
 وفي كتاب الصراط المستقيم ، نقلاً عن كتاب التقي ، قال عليه السلام : لا يبغضك مؤمن ،
 ولا يحبك منافق ، ونقلاً عن ابانة العكبري ، وكتاب ابن عقدة ، وفضائل أحمد عن
 جابر والحدري : كنّا نعرف المنافقين على عهد النبي ببغض علي .
 وفي شرح اللالكاني ، عن زيد بن أرقم : كنّا نعرفهم ببغض علي وولده ^(٣) .
 وفي فردوس الديلمي عن النبي صلى الله عليه وآله : يا علي حبك حسنة لا تضمر معها سيئة ،
 وبغضك سيئة لا ينفع معها حسنة ^(٤) .
 قال في الصراط المستقيم : ذكره الخوارزمي في الأربعين ^(٥) .
 وفي كتاب نهج البلاغة عن علي عليه السلام أنه قال : نحن شجرة النبوة ، ومحط الرسالة ،
 ومختلف الملائكة ، ومعادن العلم ، وينايع الحكم ، ناصرنا ومحبتنا ينتظر الرحمة ،
 وعدونا ومبغضنا ينتظر السطوة ^(٦) .
 وقال صاحب الصراط المستقيم : أسند الشيرازي الى ابن عباس : أن الله يأمر
 مالكا يوم القيامة باسعار النيران ، ورضوان بزخرف الجنان ، ويأمر ميكائيل بمد
 الصراط على جهنم ، وجبرئيل بنصب ميزان العدل تحت العرش ، وينادي : يا محمد

(١) شرح نهج البلاغة ١٣ : ٢٢٨ .

(٢) احقاق الحق ٤ : ٤٩ - ٥٠ .

(٣) الصراط المستقيم ١ : ١٩٤ .

(٤) فردوس الأخبار ٢ : ٢٢٧ برقم : ٢٥٤٧ .

(٥) الصراط المستقيم ١ : ١٩٦ .

(٦) نهج البلاغة ص ١٦٢ برقم : ١٠٩ .

قَرَّبَ أُمَّتَكَ لِلْحِسَابِ ، ثُمَّ يَعْقِدُ عَلَى الصِّرَاطِ سَبْعَ قَنَاطِرٍ ، طُولُ كُلِّ قَنْطَرَةٍ سَبْعَةُ عَشَرَ أَلْفَ فَرَسَخٍ ، عَلَى كُلِّ قَنْطَرَةٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلِكٍ قِيَامٍ ، يَسْأَلُونَ نِسَاءَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَرَجَالَهَا عَلَى الْقَنْطَرَةِ الْأُولَى عَنْ وِلَايَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَحَبِّ أَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ ، فَمَنْ أَتَى بِهِ دَخَلَهَا كَالْبَرْقِ الْخَاطِبِ ، وَمَنْ لَا سَقَطَ عَلَى أُمَّ رَأْسِهِ فِي قَعْرِ جَهَنَّمَ ، وَلَوْ كَانَ مَعَهُ مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ عَمَلُ سَبْعِينَ صَدِيقًا^(١) .

وقال ابن اسحاق الشعبي ، والأعمش ، والاصفهاني ، والحسكاني ، والنطنزي :
أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ وَقَفَّوهُمْ أَنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴾^(٢) عَنْ وِلَايَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ،
وَرَوَاهُ الدَّيْلَمِيُّ فِي قَافِيَةِ الْوَاوِ عَنِ الْخُدْرِيِّ .

وقال صاحب شرح الأخبار : ﴿ وَلَا تَمُوتَنَّ الْآءُ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾^(٣) يَعْنِي :
بِوِلَايَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ .

وفي تفسير الثعلبي : لَمَّا صَلَّى مُحَمَّدٌ بِالْأَنْبِيَاءِ لَيْلَةَ الْأَسْرَى ، بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِ مِيكَائِيلَ
أَنْ يَقُولَ لِلْأَنْبِيَاءِ : عَلَى مَا أُرْسَلْتُمْ ؟ فَقَالُوا : عَلَى وَوِلَايَتِكَ وَوِلَايَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ .
وَنَحْوَهُ رَوَى أَبُو نَعِيمٍ الْحَافِظُ .

وأُسْنَدُ الشَّافِعِيِّ ابْنَ الْمَغَازِلِيِّ مِنْ عِدَّةٍ طَرَقَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ : لَا يَمِيرُ عَلَى
الصِّرَاطِ الْآءُ مِنْ مَعَهُ كِتَابُ بِلَايَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ .

قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ وَقَفَّوهُمْ أَنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴾ بِطَرِيقِ الْحَافِظِ أَبِي نَعِيمٍ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ
وَسَلَامٍ وَمَجَاهِدٍ : مَسْئُولُونَ عَنْ وِلَايَةِ عَلِيٍّ^(٤) . انْتَهَى .

وفي تفسير الثعلبي بسنده عن البراء بن عازب ، قال : قال رسول الله ﷺ : يَا

(١) الصراط المستقيم ١ : ٢٨٠ .

(٢) الصافات : ٢٤ .

(٣) آل عمران : ١٠٢ .

(٤) الصراط المستقيم ١ : ٢٧٨ - ٢٧٩ و ٢٩٢ .

علي قل: اللهم اجعل لي عندك عهداً، واجعل لي في صدور المؤمنين مودة، فأزول الله عز وجل ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وِدًّا ﴾ (١).

وهذه الرواية صريحة في أن من لا يحبّه ليس بمؤمن .

وفيه أيضاً بأسناده قال النبي ﷺ الى قوله: ألا وإنّ علي بن أبي طالب من سببي ونسبي، فمن أحبّه فقد أحبّني، ومن أبغضه فقد أبغضني (٢).

وفيه أيضاً بأسناده عن جرير بن عبيد الله البجلي، قال: قال رسول الله ﷺ: من مات على حبّ آل محمّد مات مغفوراً له، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات شهيداً، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مؤمناً مستكمل الايمان، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد بشره ملك الموت بالجنّة ثمّ منكر ونكير، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد يزفّ الى الجنّة كما تزفّ العروس الى بيت زوجها، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد جعل الله زوّار قبره ملائكة الرحمة، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات على السنّة والجماعة، ألا ومن مات على بغض آل محمّد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله، ألا ومن مات على بغض آل محمّد لم يشم رائحة الجنّة (٣).

وفيه أيضاً في سورة النمل في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَّمْنَا مِنْ مَنَاطِقِ الطَّيْرِ ﴾ (٤)

قال: يقول القنبر في صياحه: اللهم العن مبغض آل محمّد ﷺ.

وفي ربيع الأبرار يروي عن النبي ﷺ: أنّه قسم النار (٥). أي قسم مبغضيه

(١) احقاق الحق ٣: ٨٣ عنه .

(٢) احقاق الحق ٦: ٤٠١ .

(٣) احقاق الحق ٩: ٤٨٧ عن تفسير الثعلبي .

(٤) النمل: ١٦ .

(٥) احقاق الحق ٤: ٢٥٩ .

النار . فهذه فضيلة اختصَّ بها في زمن رسول الله ﷺ .

وفي كتاب شرف النبي ﷺ عن أبي عبد الله (١) ، قال : دخلت على أم سلمة ، فقالت لي : أيسب رسول الله ﷺ فيكم ؟ فقلت : معاذ الله أو سبحان أو كلمة نحوها ، قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من سب علياً فقد سبني (٢) .

وفي كتاب الشفاء تأليف القاضي أبي الفضل عياض بن موسى ، أن رسول الله ﷺ أخبر ما ينال أهل بيته وتقتيلهم وتشريدهم وقتل علي ، وإن أشقاها الذي يخضب هذه أي : اللحية من رأسه ، وأنه قسيم الجنة والنار ، يدخل أولياءه الجنة وأعداءه النار (٣) .

وروى الترمذي عن جابر ، قال رسول الله ﷺ : ثلاث من كنَّ فيه فليس مني ولا أنا منه : بغض علي ، وبغض أهل بيتي ، ومن قال الايمان قول بلا عمل (٤) .

وفي كتاب شرف النبي ﷺ ، قال رسول الله ﷺ : من أحبك كان مؤمناً ، ومن أبغضك كان منافقاً (٥) .

وفي كتاب صفوة الزلال عن زر بن حبيش ، قال : سمعت علياً يقول : والذي فلق الحبة وبرأ النسمة فتردَّى بالعظمة ، أنه لعهد النبي الأمي الي أنه لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق (٦) .

وفي مناقب ابن المغازلي الشافعي بسنده عن أنس ، قال : قال رسول الله ﷺ :

(١) هو أبو عبد الله الجدلي .

(٢) احقاق الحق ٦ : ٤٢٦ عنه ، وخصائص النسائي ص ٢٤ ، ومستدرک الحاكم ٣ : ١٢١ .

(٣) احقاق الحق ٨ : ١٠٩ - ١٢٥ .

(٤) مقتل الحسين عليه السلام ٢ : ٩٧ ، واحقاق الحق ٦ : ٤٣٨ و ٩ : ٤٨٥ .

(٥) احقاق الحق ٤ : ١٠٠ و ٢٨٧ و ٧ : ٢١٦ و ٢٤٧ .

(٦) احقاق الحق ٧ : ١٩٥ - ٢٠٨ .

إن الله عزّوجلّ خلق خلقاً ليس من ولد آدم ، ولا من ولد ابليس ، يلعنون مبغضي علي بن أبي طالب ، قالوا : يا رسول الله من هم ؟ قال : القنابر ينادون في السحر على رؤوس الشجر : ألعنة الله على مبغضي علي بن أبي طالب (١) .

وفيه باسناده قال : قال رسول الله ﷺ : إذا كان يوم القيامة ونصب الصراط على شفير جهنّم ، لم يجز عليه الآمن معه كتاب ولا لاية علي بن أبي طالب (٢) .

وفيه باسناده عن الزهري ، عن أنس بن مالك ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : عنوان صحيفة المؤمن حبّ علي بن أبي طالب (٣) .

وفيه باسناده قال علي بن أبي طالب : قال لي رسول الله ﷺ : أنك قسم النار ، وأنتك تفرع باب الجنّة وتدخلها بغير حساب (٤) .

وفي مناقب أخطب الخوارزم : لم يقبل الله إيمان عبد الآبولاية علي بن أبي طالب والبراءة من أعدائه (٥) .

وفيه أيضاً عن النبي ﷺ : من أحبّ عليّاً قبل الله تعالى منه صلواته وصيامه وقيامه واستجاب دعاؤه ، ألا ومن أحبّ عليّاً أعطاه الله بكلّ عرق في بدنه مدينة في الجنّة ، ألا ومن أحبّ عليّاً آمن من الحساب والميزان والصراط ، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد فأنا كفيله بالجنّة مع الأنبياء ، ألا ومن أبغض آل محمّد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله (٦) .

(١) المناقب لابن المغازلي ص ١٤٢ برقم : ١٨٧ .

(٢) المناقب لابن المغازلي ص ١٣١ و ٢٤٢ .

(٣) المناقب لابن المغازلي ص ٢٤٣ برقم : ٢٩٠ .

(٤) المناقب لابن المغازلي ص ٦٧ برقم : ٩٧ .

(٥) المناقب للخوارزمي ص ٣٣ ح ٢ .

(٦) المناقب للخوارزمي ص ٧٢ - ٧٣ برقم : ٥١ .

وفيه أيضاً عن النبي ﷺ: لما خلق الله الجنان الثمانية: جنة دار السلام، وجنة دار المقام، وجنة العالية، وجنة المأوى، وجنة النعيم، وجنة الفردوس، وجنة عدن، نظر إليها نظرة فقال: وعزتي وجلالي لا أدخلنك يوم القيامة إلا عبداً يحب علي بن أبي طالب، ثم قال ﷺ: أرجو لأمتي من ذلك ما أرجو لهم بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وفي كتاب المنتهى لعبيد الله القطان والمجتبي للصالحاني، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: لما عرج بي إلى السماء رأيت على باب الجنة مكتوباً بالذهب: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي ولي الله، الحسن والحسين صفوة الله، علي محبيهم رحمة الله، وعلي مبغضهم لعنة الله (١).

وفي تفسير الثعلبي بإسناده عن أبي عبد الله الجدلي، قال: دخلت على علي بن أبي طالب ﷺ، فقال: يا أبا عبد الله ألا أنبئك بالحسنة التي من جاء بها أدخله الله الجنة، والسيئة التي من جاء بها أكتبه الله في النار ولم يقبل منه عملاً؟ قلت: بلى، قال: الحسنة حبنا، والسيئة بغضنا (٢).

وفي كتاب شرف النبي ﷺ قال ﷺ: يا بني عبد المطلب اني سألت الله تعالى، أن يثبت قائمكم، ويهدي ضالكم، وأن يعلم جاهلكم، وأن يجعلكم رحماً نجباء، فلو أن رجلاً صنف قدميه ثم صام وصلى، ثم لقي الله تعالى وهو مبغض لأهل البيت دخل النار (٣).

وفيه عن النبي ﷺ: والله لا تؤمنون حتى تحبوني، والله لا تحبوني حتى أكون عند المؤمن أثر من نفسه، وأهل بيتي أثر عنده من أهل بيته، وولدي أحب إليه من

(١) مقتل الحسين ص ١٠٨، وكفاية الطالب ص ٢٧٤.

(٢) احقاق الحق ٩: ١٣٥ عنه.

(٣) احقاق الحق ٩: ٤٩٢.

ولده، وأزواجي أحبّ إليه من أزواجه (١).

وفيه عن عليّ عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من آذاني في أهل بيتي فقد آذى الله، ومن أعان على أذاهم وركن الى أعدائهم، فقد أذن بحرب من الله ورسوله، ولا نصيب له في شفاعتي (٢).

وفيه، قال عليه السلام: لو أنّ عبداً عبداً الله بين الركن والمقام ألف عام ثمّ ألف عام، ولم يحبنا أهل البيت، أكّبه الله على منخريه في النار (٣).

وفيه عن عليّ عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: حرّم الله تعالى الجنته على من ظلم أهل بيتي وقتلهم، ومن سبهم ولعن عليهم لا خلاق لهم في الآخرة، ولا يكلمهم الله، ولا ينظر اليهم يوم القيامة، ولا يزكّيهم، ولهم عذاب أليم (٤).

وفيه عن أبي سعيد التيمي، قال: سمعت الحسين بن عليّ عليه السلام يقول: من أحبنا لله، نفعه الله بحبنا، ومن أحبنا لغير الله، فإن الله لنا، إنّ حبنا أهل البيت تساقط عن العبد الذنوب كما تساقط الريح الورق من الشجر (٥).

وفي كتاب شرف النبيّ، عن أبان بن تغلب، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة، ولو أتوا بذنوب أهل الأرض: الضارب بسيفه أمام ذريّتي، والقاضي لهم حوائجهم، والساعي لهم في حوائجهم عند ما اضطرّ اليه، والمحبّ لهم بقلبه ولسانه (٦).

(١) احقاق الحق ٩: ٣٩٣ عنه.

(٢) احقاق الحق ٩: ٥١٦، و ١٨: ٤٥٦.

(٣) احقاق الحق ٩: ٤٩١ عنه.

(٤) احقاق الحق ٩: ٤٣٥.

(٥) احقاق الحق ٩: ٤١٧ عنه.

(٦) احقاق الحق ٩: ٤٨٢-٤٨٣، ومقتل الحسين عليه السلام ٢: ٢٥.

وفيه عن عليّ عليه السلام ، قال : أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله : أن أوّل من يدخل الجنّة أنا وفاطمة والحسن والحسين ، قلنا : يا رسول الله فحبّونا ؟ قال : فمن ورائكم ^(١) .

وفيه عن زيد بن أسلم عن أبيه ، قال : قال عمر : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أنا وفاطمة والحسن والحسين وعليّ في حظيرة القدس في قبة بيضاء ، وهي قبة المجد ^(٢) .

وفي تفسير الثعلبي ، في تفسير قوله تعالى ﴿ ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا ﴾ ^(٣) باسناده عن ابن عباس : ﴿ ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا ﴾ قال : المودة لآل محمد ^(٤) .

وفي مناقب ابن المغازلي ، باسناده عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لا يزول قدما عبد يوم القيامة حتّى يسأل عن أربع : عن عمره فيما أفناه ، وعن جسده فيما أبلاه ، وعن ماله فيما أنفقه ومن أين اكتسبه ، وعن حبّ أهل البيت ^(٥) .

وفي الجمع بين الصحاح الستة لأبي الحسن رزين ، باسناده في الجزء الثاني من أجزاء أربعة ، في تفسير سورة حم : ﴿ قل لا أسئلكم عليه أجرا إلا المودة في القربى ﴾ ^(٦) قال ابن جبير : قربي آل محمد صلى الله عليه وآله و عليهم السلام ^(٧) .

وباسناده أيضاً عن طاووس ، أن ابن عباس سئل عن قوله تعالى : ﴿ إلا المودة في القربى ﴾ فقال سعيد بن جبير : قربي آل محمد صلى الله عليه وآله ^(٨) .

(١) احقاق الحق ٩ : ٢٢٠ عنه .

(٢) احقاق الحق ٩ : ١٩٥ .

(٣) الشورى : ٢٣ .

(٤) احقاق الحق ٩ : ١٣٠ عنه .

(٥) المناقب لابن المغازلي ص ١٢٠ برقم : ١٥٧ .

(٦) الشورى : ٢٣ .

(٧) العمدة لابن بطريق ص ٥٨ ح ٥٩ عنه ، والبخاري في صحيحه ٦ : ١٢٩ .

(٨) العمدة ص ٥٨ ح ٦٠ عنه ، وصحيح البخاري ٦ : ١٢٩ .

وفي صحيح البخاري في الجزء الرابع منه ، باسناده عن ابن عباس ، قال : لما نزل قوله تعالى : ﴿ قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ﴾ قالوا : يا رسول الله من قربتك الذين وجبت علينا مودتهم ؟ قال : علي وفاطمة وابناهما عليهما السلام ^(١) .

وفيه في الجزء السادس في تفسير قوله تعالى ﴿ قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ﴾ عن ابن عباس ، أنه سئل عن قوله ﴿ إلا المودة ﴾ قال سعيد بن جبير : قربي آل محمد صلوات الله عليهم ^(٢) .

وفي صحيح مسلم باسناده في الجزء الخامس في تفسير قوله تعالى ﴿ قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ﴾ ، قال : وسئل ابن عباس عن هذه الآية ، فقال ابن جبير : هم قربي آل محمد عليهم السلام ^(٣) .

وفي تفسير الثعلبي باسناده عن ابن عباس ، قال : لما نزلت ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ﴾ قالوا : يا رسول الله من قربتك ؟ هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم ؟ قال : علي وفاطمة وابناهما عليهما السلام ^(٤) .

وفي تفسير الثعلبي باسناده عن السدي ، عن أبي الديلم ، قال : لما جيء بعلي بن الحسين عليهما السلام أسيراً فأقيم على درج دمشق ، فقام رجل من أهل الشام ، فقال : الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم وقطع قرن الفتنة ، فقال علي بن الحسين عليهما السلام : هل قرأت القرآن ؟ قال : نعم ، قال : قرأت آل حم ؟ قال : قرأت القرآن ولم أقرأ آل حم ، قال : قرأت ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ﴾ قال : أنتم هم ؟

(١) رواه أحمد في فضائل الصحابة ٢ : ٦٦٩ ح ١١٤١ ، والعمدة ص ٤٧ .

(٢) صحيح البخاري ٦ : ١٢٩ .

(٣) العمدة ص ٤٩ ح ٤٠ عنه .

(٤) العمدة ص ٥٠ ح ٤٣ عنه .

قال : نعم (١).

وفي مناقب ابن المغازلي باسناده عن السديّ في قوله عزّ وجلّ ﴿ ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً ﴾ قال : المودّة في آل رسول الله ﷺ (٢).

وفي كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، عن رسول الله ﷺ : من أحبّني وأحبّ هذين - وأشار الى حسن وحسين - وأبأهما وأمّهما ، كان معي في درجتي يوم القيامة (٣).

وفيه قال رسول الله ﷺ : معرفة آل محمّد براءة من النار ، وحبّ آل محمّد جواز على الصراط ، والولاية لآل محمّد أمان من العذاب (٤).

وفي كتاب سير النبيّ ، قال النبيّ ﷺ : معرفة آل محمّد وأهل بيته براءة من جهنّم ، ومحبتهم وموالاتهم موجب للجواز على الصراط وأمان من العذاب (٥).

وفيه أيضاً ، قال رسول الله ﷺ لعباس : أقسم بالله الذي نفسي بيده لا يقرّ الايمان في قلب أحد الا بحبّ أهل البيت لله ولرسوله (٦).

وفي الجزء الثالث من الجمع بين الصحاح الستّة من سنن أبي داود ، قال ابن عباس : انّ رسول الله ﷺ قال : أحبّوا الله لما يغذوكم من نعمه ولما هو أهله ، وأحبّوني لحبّ الله ، وأحبّوا أهل بيتي لحبّي (٧).

(١) العمدة ص ٥١ - ٥٢ ح ٤٦ عنه .

(٢) المناقب لابن المغازلي ص ٣١٦ برقم : ٣٦٠ .

(٣) احقاق الحق ٩ : ١٧٤ - ١٨٠ .

(٤) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢ : ٤١ ، واحقاق الحق ٩ : ٤٩٤ - ٤٩٧ .

(٥) ينابيع المودّة ص ٢٦٣ ، والصواعق المحرقة ص ٢٣ .

(٦) احقاق الحق ٩ : ٤٥٠ .

(٧) الطرائف ص ١٥٩ ح ٢٤٧ عنه ، وصحيح الترمذي ٥ : ٦٢٢ برقم : ٣٧٨٩ .

وفيه بسنده عن سنن أبي داود عن علي عليه السلام ، وفي مسند امامهم مخلص الدين معمر القرشي ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : انّ لله حرمت ثلاث ، من حفظهنّ حفظ الله له أمر دينه وديناه ، ومن لم يحفظهنّ لم يحفظ له الله شيئاً : حرمة الاسلام ، وحرمتي ، وحرمة أهل بيتي (١) .

وفي رسالة الاعتقاد لأبي بكر بن مؤمن الشيرازي ، عن النبي صلى الله عليه وآله : من أراد التوكّل على الله فليحبّ أهل بيتي ، ومن أراد أن ينجو من عذاب القبر فليحبّ أهل بيتي ، ومن أراد دخول الجنّة بغير حساب فليحبّ أهل بيتي ، فوالله ما أحبهم أحد الأربح الدنيا والآخرة ، والله ذو الفضل العظيم (٢) .

وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وآله : خير هذه الأُمّة من بعدي علي وفاطمة والحسن والحسين ، من قال غير هذا فعليه لعنة الله (٣) .

وعن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : حبّ آل محمّد يوماً خير من عبادة سنة ، ومن مات عليه دخل الجنّة (٤) .

وقال الفاضل القاشي : أورد الشيخ شرف الدين الدرگزيني ، عن علي عليه السلام ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أخذ بيده حسناً وحسيناً ، وقال : من أحبّني وأحبّ هذين وأباهما وأُمَّهما ومات حنيفاً كان معي في درجتي يوم القيامة . قال الفاضل القاشي : أخرجه الأئمّة السبعة (٥) .

وفي صحيح الترمذي ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي وفاطمة والحسن والحسين : أنا

(١) احقاق الحق ٩ : ٥١٢ - ٥١٣ .

(٢) رسالة الاعتقاد ص ٢٩٦ ط القاهرة ، ومقتل الحسين ص ٥٩ .

(٣) احقاق الحق ٤ : ٢٥٠ عن رسالة الاعتقاد .

(٤) احقاق الحق ٩ : ٤٩٧ - ٤٩٨ .

(٥) احقاق الحق ٩ : ١٧٤ - ١٨٠ .

حرب لمن حاربكم ، وسلم لمن سالمكم ^(١) .

وفي تفسير الثعلبي باسناده قال : وروى أبو حاتم ، عن أبي هريرة قال : نظر رسول الله ﷺ الى علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ، فقال : أنا حرب لمن حاربكم ، وسلم لمن سالمكم ^(٢) .

وفي كتاب صفوة الزلال المعين ، عن أبي سعيد قال : دخل رسول الله ﷺ على علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فاضطجع معهم ، فاستسقى الحسين رسول الله ﷺ ، فقام الى الفوح فحلبها فاستسقى الحسن ، فقال : يا بني استسقى أخوك قبلك نسقيه ثم نسقيك ، قالت فاطمة : كأنه أحبها اليك يا رسول الله ؟ قال : ما هو بأحبها اليّ ، أنّي وأنت وهذا المضطجع في مكان واحد يوم القيامة ^(٣) .

وهذا الحديث في مسند أحمد بن حنبل ، باسناده عن علي عليه السلام ، قال : دخل رسول الله ﷺ وأنا نائم على المنام ، فاستسقى الحسين ، الى آخر الحديث مع أدنى تغيير ^(٤) .

وفي صحيح البخاري في الجزء الرابع ، باسناده عن أبي بكر ، قال : سمعت النبي ﷺ على المنبر ، والحسن والحسين الى جنبه ينظر اليهما ، الى الحسن مرّة والى الحسين مرّة ويقول : ابني هذا سيّد ^(٥) .

وفيه باسناده عن أسامة بن زيد ، عن النبي ﷺ أنّه كان يأخذ الحسن والحسين

(١) صحيح الترمذي ٥ : ٦٥٦ برقم : ٣٨٧٠ .

(٢) احقاق الحق ٩ : ١٦١ - ١٦٤ .

(٣) احقاق الحق ٩ : ١٧٤ و ٢١١ - ٢١٧ نحوه .

(٤) احقاق الحق ٩ : ٢١٢ ، ومسند أحمد بن حنبل ١ : ١٠١ ط مصر .

(٥) صحيح البخاري ٤ : ٢١٦ باب مناقب الحسن والحسين عليهم السلام .

ويقول: اللهم اني أحبها فأحبها (١).

وفيه عن البراء قال: رأيت النبي ﷺ والحسن بن علي على عاتقه وهو يقول:
اللهم اني أحبه فأحبه (٢).

وفي الجزء الرابع من صحيح مسلم، بإسناده عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ،
قال للحسن: اللهم اني أحبه فأحبه وأحب من يحبه (٣).

ونقل في هذا الجزء عن أبي هريرة حديثاً يشتمل على أنه ﷺ قال للحسن عليه السلام:
اللهم اني أحبه فأحبه وأحب من يحبه (٤).

وفي الجزء أيضاً عن البراء بن عازب، قال: رأيت الحسن بن علي على عاتق
النبي ﷺ وهو يقول: اللهم اني أحبه فأحبه (٥).

وفي تفسير التعلبي بسنده في قوله عز وجل ﴿ مرج البحرين يلتقيان ﴾ بينهما
برزخ لا يبغيان ﴿ (٦) قال: فاطمة وعلي ﴿ يخرج منها اللؤلؤ والمرجان ﴾ الحسن
والحسين (٧).

وفيه عن سعيد بن جبير، قال: بينهما برزخ محمد ﷺ (٨).

وفي الجمع بين الصحاح الستة في باب مناقب الحسن والحسين عليه السلام بسنده عن
أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال للحسن: اللهم اني أحبه فأحبه وأحب من

(١) صحيح البخاري ٤: ٢١٦.

(٢) صحيح البخاري ٤: ٢١٧.

(٣) صحيح مسلم ٤: ١٨٨٢ برقم: ٢٤٢١.

(٤) صحيح مسلم ٤: ١٨٨٢ - ١٨٨٣.

(٥) صحيح مسلم ٤: ١٨٨٣ برقم: ٢٤٢٢.

(٦) الرحمن: ١٩ - ٢٠.

(٧) احقاق الحق ٩: ١٠٧ عنه.

(٨) احقاق الحق ٩: ١٠٧ عنه.

يحبّه (١).

وفيه بسنده عن البراء بن عازب، قال: رأيت رسول الله ﷺ والحسن بن علي على عاتقه وهو يقول: اللهم اني أحبّه فأحبّه (٢).

وفيه بسنده عن سنن أبي داود، عن علي عليه السلام، قال: كنت اذا سألت رسول الله ﷺ أعطاني، واذا سكت ابتدأني، وأخذ بيد حسن وحسين وقال: من أحبني وأحبّ هذين وأباهما وأُمّهما ومات متبعا لستني، كان معي في الجنة (٣).
وفيه عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ حديث مشتمل على قوله للحسن: اللهم اني أحبّه فأحبّه وأحبّ من يحبّه (٤).

وفيه عن أمّ سلمى امرأة من الأنصار، قالت: دخلت على أمّ سلمة رضي الله عنها وهي تبكي، قلت: ما يبكيك؟ قالت: رأيت الآن رسول الله ﷺ في المنام وهو يبكي، فقلت: مالك يا رسول الله؟ قال: شهدت قتل الحسين آنفاً (٥).

وفي صحيح مسلم في أوّل الجزء الخامس في تفسير قوله تعالى ﴿فما بكت عليهم السماء﴾ (٦) باسناده عن السدي: لما قتل الحسين عليه السلام بكت السماء وبكاؤها حمرتها (٧).

وروى الفاضل القاشي عن أبي بكر بن مؤمن الشيرازي في رسالة الاعتقاد، عن

(١) العمدة لابن بطريق ص ٤٠٢ - ٤٠٣ ح ٨٢٤ عنه.

(٢) العمدة ص ٤٠٣ ح ٨٢٥ عنه.

(٣) العمدة ص ٤٠٣ ح ٨٢٦ و ٨٢٧ عنه.

(٤) العمدة ص ٤٠٣ ح ٨٢٨ عنه.

(٥) العمدة ص ٤٠٤ ح ٨٣٠ عنه.

(٦) الدخان: ٢٩.

(٧) العمدة ص ٤٠٥ ح ٨٣٥ عنه.

ابن عباس ، قال : سمعت رسول الله ﷺ : مثلي ومثل أهل بيتي كصلاة الخمس : أنا صلاة الفجر ، وعلي صلاة الظهر ، وفاطمة صلاة الوسطى ، والحسن والحسين صلاة العشائين .

وعن الترمذي عن حذيفة ، قال : قلت لأُمِّي : دعيني آتي النبي ﷺ وأسأله أن يستغفر لي ولك ، فأتيت النبي ﷺ فصليت معه المغرب ، فصلت حتى صلى العشاء : ثم تنفّل فسمع صوتي ، فقال : حذيفة ؟ قلت : نعم ، قال : ما حاجتك ؟ غفر الله لك ولأمك ، إن هذا ملك لم ينزل الأرض قط قبل هذه الليلة ، استأذن ربّه أن يسلم عليّ ويبشّرني بأنّ فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة ، وأنّ الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة (١) .

وفي كتاب الاستيعاب : تواترت الآثار الصحاح عن النبي ﷺ أنّه قال في الحسن بن علي : هذا ابني سيّد وعسى الله أن يبقيه حتى يصلح بين فئتين عظيمتين من المسلمين . رواه جماعة من الصحابة (٢) .

وفي كتاب شرف النبي ﷺ ، عن عمران بن الحصين ، قال : قال رسول الله ﷺ : إنّني سألت الله ربّي أن لا يدخل النار أحداً من أهل بيتي فأعطاني ذلك (٣) .

وفي كتاب المصايح لأبي محمّد الحسين بن مسعود الفراء ، باسناده عن يعلى بن مرّة ، قال : قال رسول الله ﷺ : حسين منّي وأنا من حسين ، أحبّ الله من أحبّه ، حسين سبط من الأسباط (٤) .

وفي الكتاب باسناده عن أسامة بن زيد حديث يشتمل على قوله للحسن

(١) صحيح الترمذي ٥ : ٦١٩ برقم : ٣٧٨١ .

(٢) الاستيعاب ١ : ٣٧٠ ط مصر .

(٣) احقاق الحق ٩ : ٣٩٥ عنه .

(٤) مصايح السنّة ٤ : ١٩٥ برقم : ٤٨٣٣ .

والحسين عليه السلام وهما على ركبته : هذان ابناي وابنا ابنتي ، اللهم اني أحبهما وأحب من يحبهما (١) .

وفي الجمع بين الصحاح الستة من صحيح أبي داود وهو السنن ، ومن صحيح الترمذي ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة (٢) .

أقول : قد أبان النبي صلى الله عليه وآله سيادة الحسن والحسين عليهما السلام على كافة خلق الله بقوله « الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة » لأن سادة خلق الله أهل الجنة بلا خلاف ، وهم يدخلون الجنة الآشباباً بالاجماع :

فان قال قائل ان على ما أصّلتموه يجب السيادة على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى أبيهما قلنا : قد أخرج النبي صلى الله عليه وآله بالاجماع وقوله « أنا سيّد ولد آدم » وأما أبوهما فقد أخرجه قوله عليه السلام « علي خير البشر » وما في معناه من الأخبار ، وبقوله عليه السلام « أبوكما خير منكما » فالحديث الصحيح الذي لا مجال لأحد أن يطعن فيه على عمومه الآ ما أخرجه الدليل .

ومتما يدل على أفضليّة آل محمّد ما ورد في الحثّ على الصلوات على محمّد وآل محمّد ، ففي كتاب شعب الايمان ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : الدعاء محبوب عن الله حتى يصلّى على محمّد وآل محمّد (٣) .

وفي كتاب شرف النبي صلى الله عليه وآله ، عن عمرو بن العلاء عن أبيه ، قال : قال

(١) مصابيح السنّة ٤ : ١٩٤ برقم : ٤٨٢٩ .

(٢) صحيح الترمذي ٥ : ٦٥٦ ، ومستدرک الحاكم ٣ : ١٦٦ - ١٦٧ ، ومصابيح السنّة ٤ : ١٩٣ .

(٣) احقاق الحق ٩ : ٦٢٧ عنه .

رسول الله ﷺ: كلّ دعاء محبوب عن السماء حتى يصلّى على محمّد وآل محمّد (١).
وفيه عن النبي ﷺ قال: لا تصلّوا عليّ الصلاة البتراء، قالوا: وما الصلاة
البتراء يا رسول الله؟ قال: لا تقولوا اللهم صلّ على محمّد وتمسكوا، بل قولوا: صلّ
على محمّد وآل محمّد (٢).

وفيه عن جابر بن عبد الله الأنصاري، عن النبي ﷺ: من أصبح وأمسى فقال:
اللهم صلّ على محمّد وآل محمّد، وأعط محمّداً الدرجة والوسيلة في الجنّة، اللهم يا
ربّ محمّد صلّ على محمّد وآل محمّد، وأجز محمّداً عنّا ما هو أهله، وابعث سبعين
كاتباً ألف صباح بذلك. لم يبق لنبيّه عليه حقّ الأآداه، وغفر له ولوالديه، وحشر
مع محمّد وآل محمّد.

وفي مناقب ابن المغازلي الشافعي، بإسناده عن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال:
قال رسول الله ﷺ: من صلّى على محمّد وعلى آل محمّد مائة مرّة، قضى الله تعالى
له مائة حاجة (٣).

وفي مسند أحمد بن حنبل، بإسناده عن كعب بن عجرة، قيل: يا رسول الله أمّا
السلام عليكم فعرفناه فكيف الصلاة؟ قال: قولوا: اللهم صلّ على محمّد وآل محمّد،
كما صلّيت على إبراهيم وآل إبراهيم أنّك حميد مجيد (٤).

وفيه أيضاً بإسناده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قلنا: يا رسول الله هذا
التسليم فكيف نصليّ عليك؟ قال: قولوا: اللهم صلّ على محمّد عبدك ورسولك كما

(١) احقاق الحقّ ٩: ٦٢٦.

(٢) احقاق الحقّ ٩: ٦٣٦ - ٦٣٧.

(٣) المناقب لابن المغازلي ص ٢٩٥ برقم: ٣٣٨.

(٤) احقاق الحقّ ٩: ٥٢٤ - ٥٤٩.

صليت على ابراهيم ، وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم (١) .
وفيه أيضاً باسناده حديث آخر في هذا المعنى .

وفي الجزء الرابع من صحيح البخاري ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، قال : لقيني كعب بن عجرة ، فقال : ألا أهدي لك هديّة سمعتها من رسول الله ﷺ ؟ فقلت : بلى فاهدّها لي ، فقال : سألت رسول الله ﷺ ، فقلنا : يا رسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت ؟ فإنّ الله قد علمنا كيف نسلم ، قال : قولوا : اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم أنّك حميد مجيد (٢) .

تذنيب

في مختصر من فضائل خديجة أمّ زوجة أمير المؤمنين

وفاطمة بنت رسول الله زوجة أمير المؤمنين ، وجعفر الطيار

أخي أمير المؤمنين ، وأبي طالب أبي أمير المؤمنين

أما خديجة ، ففي صحيح البخاري باسناده عن علي عليه السلام قال : سمعت النبي ﷺ :
خير نساءها خديجة (٣) .

وفيه باسناده عن أبي هريرة ، قال : أتني جبرئيل النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء وشراب ، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربّها ومتنيّ وبشرها بيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب (٤) .

ومثله في الجزء الرابع من صحيح مسلم (٥) ، وفي الجمع بين الصحيحين ، وهو

(١) احقاق الحق ٩ : ٥٦٥ - ٥٦٩ .

(٢) صحيح البخاري ٤ : ١٤٦ ط مصر ، والطراف ص ١٦٠ - ١٦١ .

(٣) صحيح البخاري ٤ : ٢٣٠ .

(٤) صحيح البخاري ٤ : ٢٣١ .

(٥) صحيح مسلم ٤ : ١٨٨٧ برقم : ٢٤٣٢ .

الحديث الرابع والثلاثون بعد المائتين من المتفق عليه من البخاري ومسلم من مسند أبي هريرة ، وقد روى مسلم في الجزء المذكور بشارتها بييت في الجنة عن أبي هريرة وعبدالله بن أبي أوفى وعائشة (١) .

وقد نقل مسلم عدّة أحاديث في غيرة عائشة وحسدها على خديجة ، ومن جملة تلك الأحاديث ، ما رواه هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : ما غرت على امرأة من نساء النبي ﷺ إلا على خديجة ، واني لم أدركها ، قالت : وكان رسول الله ﷺ اذا ذبح الشاة يقول : أرسلوا بها الى أصدقاء خديجة ، قالت : فأغضبت يوماً فقلت : خديجة ؟ قال : اني قد رزقت حبّها (٢) .

وفي كتاب المغازي لمحمد بن اسحاق باسناده عن أم رومان ، قالت : كان لرسول الله ﷺ جارة قد أوصته بأن يتعاهدها ، فحضر عنده شيء من المآكل ، فأمر باعطائها وقال : هذه أمرتني خديجة بأن أتعاهدها ، قالت عائشة : وكنت أحسدها لكثرة ذكره لها ، فقلت : يا رسول الله لا تزال تذكر خديجة كأن لم يكن على ظهر الأرض غيرها ، فقال : قومي ، فقامت الى ناحية منه في البيت ، فقالت أم رومان : فقلت له : يا رسول الله ، لا تؤاخذ عائشة ، فأنها حديثه سنّ ، فناداها ، فقال : يا عائشة ، انّ خديجة آمنت بي اذ كفر بي قومك ، ورزقت منها الولد وحرمتموه (٣) .

أنظر أيها البصير الى جرأتها على الله وعلى رسوله ، وحسدها على خديجة على ما أعطاها الله من الكرامة بعد وفاتها ، ثمّ انظر الى عقول محبيها ، وعسا هم عن عيوبها ، ثمّ اشكر الله على ما هداك .

(١) صحيح مسلم ٤ : ١٨٨٨ .

(٢) صحيح مسلم ٤ : ١٨٨٨ ح ٧٥ .

(٣) العمدة ص ٣٩٤ عنه .

فضائل فاطمة عليها السلام

وأما مناقب فاطمة عليها السلام ، ففي الجزء الرابع عن صحيح البخاري ، بإسناده عن النبي صلى الله عليه وآله : فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة (١) .

وفيه بإسناده عن المسور بن مخرمة : أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : فاطمة بضعة منّي ، فمن أغضبها فقد أغضبني (٢) .

وفي الجزء الرابع من صحيح مسلم بإسناده عن المسور بن مخرمة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّ فاطمة بضعة منّي ، يؤذيني من آذاها (٣) .

وفيه بإسناده عن زيد المازني : أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنّة (٤) .

وفي الجزء الرابع من صحيح مسلم عدّة أحاديث ، في بعضها : فأما ابنتي بضعة منّي ، يريني ما راها ، ويؤذيني ما آذاها (٥) .

وفي بعضها : إنّ فاطمة بضعة منّي ، يؤذيني ما آذاها (٦) .

وفي بعضها : يا فاطمة أما ترضين أن تكوني سيّدة نساء المؤمنين ، أو سيّدة نساء هذه الأمة (٧) .

وفي تفسير الثعلبي ، بإسناده ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : حسبك من نساء العالمين

(١) صحيح البخاري ٤ : ٢١٩ .

(٢) صحيح البخاري ٤ : ٢١٩ .

(٣) صحيح مسلم ٤ : ١٩٠٣ ح ٩٤ .

(٤) صحيح مسلم ٢ : ١٠١٠ برقم : ١٣٩٠ .

(٥) صحيح مسلم ٤ : ١٩٠٣ برقم ٢٤٤٩ .

(٦) صحيح مسلم ٤ : ١٩٠٣ .

(٧) صحيح مسلم ٤ : ١٩٠٥ .

أربع : مريم بنت عمران ، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ^(١) .

وفي الجمع بين الصحاح الستة لرزين العبدري ، في باب مناقب فاطمة من صحيح أبي داود السجستاني ، وهو كتاب السنن ، باسناده : أن النبي ﷺ سارَّ فاطمة ^(٢) فقال لها : أما ترضين أن تكوني سيِّدة نساء العالمين ، أو سيِّدة نساء هذه الأمة ، فقلت : فأين مريم بنت عمران ، وآسية امرأة فرعون ؟ فقال : مريم سيِّدة نساء عالمها ، وآسية سيِّدة نساء عالمها ^(٣) .

وفي الجزء الثالث منه عدَّة أحاديث في بعضها : فاطمة سيِّدة نساء أهل الجنة . وفي بعضها عن عائشة قالت : ما رأيت أحداً كان يشبه سمناً برسول الله ﷺ من فاطمة . وفي بعضها : حسبك من نساء العالمين أربع إلى آخر الحديث كما تقدَّم ^(٤) . وفي مسند أحمد بن حنبل : أن أبا بكر وعمر خطبا إلى رسول الله ﷺ فاطمة ، فقال : أنها صغيرة ، فخطبها علي فزوجها منه ^(٥) .

ومجموع الروايات الواردة في مناقب فاطمة ^(٦) في هذه الكتب المذكورة على ما فصله ابن بطريق في كتاب عمدة الأخبار اثنان وعشرون حديثاً ، من مسند أحمد بن حنبل حديثان ، ومن صحيح البخاري أربعة أحاديث ، ومن صحيح مسلم تسعة أحاديث ، ومن تفسير الثعلبي حديث واحد ، ومن الجمع بين الصحيحين حديث واحد ، ومن الجمع بين الصحاح الستة خمسة أحاديث ^(٧) .

(١) العمدة ص ٣٨٧ ح ٧٦٦ عنه .

(٢) العمدة ص ٣٨٨ ح ٧٦٧ عنه .

(٣) العمدة ص ٣٨٨ ح ٧٦٨ و ٧٧١ و ٧٧٢ .

(٤) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢ : ٦١٤ ح ١٠٥١ .

(٥) العمدة لابن بطريق ص ٣٨٣ - ٣٩١ .

فمن نظر الى هذه الأحاديث الواردة في مناقب فاطمة عليها السلام مع ما تقدّم من الأحاديث الواردة في فضل أهل البيت ، والأحاديث المتضمنة لذكر المباهلة ، علم قطعاً بأنّ لها عند الله جاهاً عظيماً ، وشفاعة مقبولة ، وجزم بأنّ بغضها وغاصب حقّها في أعلى درجات الشقاوة ، فلعن الله من ظلمها وغصب حقّها .

[مناقب جعفر بن أبي طالب عليه السلام]

وأما مناقب جعفر بن أبي طالب وكمالاته عند الشيعة ، ففي أعلى المراتب . وأما عند أهل السنّة ، ففي مناقبه روايات :

منها : ما في صحيح البخاري ، قال النبيّ صلى الله عليه وآله لعليّ : أنت منّي وأنا منك ، وقال لجعفر : أشبهت خلقي وخلقي ، وقال لزيد : أنت أخونا ومولانا ^(١) .

وفي الجمع بين الصحاح السنّة ، باسناده من صحيح أبي داود وهو السنن ، عن الشعبي : أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله تلقّى جعفر بن أبي طالب ، فالتزمه وقبّل ما بين عينيه ^(٢) .

وفيه عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : رأيت جعفرأ يطير مع الملائكة في الجنّة ^(٣) .

وفيه عن أبي هريرة ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ما احتذى النعال ولا ركب المطايا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله أكرم من جعفر بن أبي طالب ، ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يكتبه أبا المساكين ^(٤) .

ومن صحيح أبي داود ، عن الشعبي : أنّ عمر كان اذا سلّم على ابن جعفر ، قال :

(١) صحيح البخاري ٥ : ٨٥ باب عمرة القضاء .

(٢) العمدة ص ٤٠٩ ح ٨٤٥ عنه .

(٣) العمدة ص ٤٠٩ ح ٨٤٧ عنه .

(٤) العمدة ص ٤٠٩ - ٤١٠ ح ٨٤٩ - ٨٥٠ عنه .

السلام عليك يا بن ذي الجناحين (١).

وقد ورد في غيرها من الأحاديث في مناقبه تركناها للاختصار.

[مناقب أبي طالب واثبات إيمانه]

وأما أبو طالب ، فقد اتفق أهل النقل بأنه كان ناصرًا لرسول الله ﷺ ، وحاميه وحافظه من كيد الأعداء ، ولولاه لما ظهر دين الإسلام ، ولكنه كان يخفي إيمانه ويتقي ليمكنه نصرة رسول الله ﷺ ، بل كان أبو طالب على رواية من أوصياء عيسى عليه السلام ، وقد اجتمعت الامامية على إيمانه ، وروايات أهل البيت المطهرين عليهم السلام على فضله وإيمانه متظافرة ، وفي بعضها : أن إيمانه كان كإيمان أصحاب الكهف ومؤمن آل فرعون .

ومما يدل على إيمانه من طريق أهل السنة ، ما في تفسير الثعلبي في تفسير قوله تعالى ﴿ والسابقون السابقون ﴾ (٢) أنها مخصوصة بأمر المؤمنين علي بن أبي طالب ، وأنه آمن برسول الله ﷺ ، وساق الحديث ثم قال في آخر القصة : ويروى أن أبا طالب قال لعلي : أي بني ما هذا الدين الذي أنت عليه ؟ قال : يا أبت آمنت بالله ورسوله ، وصدقته فيما جاء به ، وصليت معه لله تعالى ، فقال له : أما إن محمدًا لا يدعو إلا إلى خير فالزمه (٣).

وفي كتاب أخبار أبي عمرو محمد بن عبد الواحد الزاهد الطبري اللغوي ، عن أبي العباس أحمد بن يحيى بن تغلب ، عن ابن الأعرابي ، ما هذا لفظه : أخبرنا تغلب عن ابن الأعرابي ، قال : العور الردي من كل شيء ، والوعرة الموضع الخفيف الموحش . قال ابن الأعرابي : ومن العور خبر ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : لما نزلت

(١) العمدة ص ٤١٠ ح ٨٥١ عنه .

(٢) الواقعة : ١٠ .

(٣) العمدة لابن البطريق ص ٤١٠ - ٤١١ ح ٨٥٣ عنه .

﴿ وأندر عشيرتك الأقربين ﴾^(١) قال علي عليه السلام - وقال ابن عباس رضي الله عنهما: وكان النبي يريه وعبق من سمته وخلقه وكرمه ما أطاق صلى الله عليه وآله - فقال لي: يا علي قد أمرت أن أندر عشيرتي الأقربين، فاصنع لي طعاماً، واطبخ لي لحماً.

قال علي عليه السلام: فعددتهم بني هاشم بحتاً فكانوا أربعين، قال: فصنعت الطعام طعاماً يكفي لاثنين أو ثلاثة، قال: فقال لي المصطفى صلى الله عليه وآله: هاته، قال: فأخذ شظية من اللحم فشطها بأسنانه وجعلها في الجفنة، قال: وأعددت لهم عساً من لبن.

قال: ومضيت الى القوم: فأعلمتهم أنه قد دعاهم طعام وشراب، قال: فدخلوا وأكلوا ولم يستمتعوا نصف الطعام حتى تزلعوا. قال: ولعمري بالواحد منهم يأكل مثل ذلك الطعام وحده، قال: ثم أتيت باللبن، قال: فشربوا حتى تزلعوا، قال: ولعمري بالواحد منهم وحده يشرب مثل ذلك اللبن، قال: وما بلغوا نصف العس. قال: ثم قام، فلما أراد أن يتكلم اعترض عليه أبو هب لعنه الله، فقال: أهذا دعوتنا؟ ثم أتبع كلامه بكلمة، ثم قال: قوموا، فقاموا وانصرفوا كلهم.

قال: فلما كان من غد قال لي: يا علي اصنع لي مثل ذلك الطعام والشراب، قال: فصنعته ومضيت اليهم برسالته، قال: فأقبلوا اليه، فلما أكلوا وشربوا قام رسول الله صلى الله عليه وآله ليتكلم، فاعترضه أبو هب.

قال: فقال له أبو طالب رضي الله عنه: أسكت يا أعور ما أنت وهذا؟ قال: ثم قال أبو طالب: لا يقوم من أحد، قال: فحبسوا، ثم قال للنبي صلى الله عليه وآله: قم يا سيدي فتكلم بما تحبّ وبلغ رسالة ربك فإنك الصادق المصدّق.

قال: فقال صلى الله عليه وآله لهم: رأيتم لو قلت لكم: إن وراء هذه الجبل جيشاً يريد أن يغير عليكم أكنتم تصدقوني؟ قال: فقالوا كلهم: نعم أنك لأنت الأمين الصادق.

قال : فقال لهم : فوحدوا الله الجبّار واعبدوه وحده بالاخلاص ، واخلموا هذه الأنداد الأنجاس ، وأقروا واشهدوا بأنّي رسول الله اليكم والى الخلق ، فاني قد جئتكم بعزّ الدنيا والآخرة ، قال : فقاموا وانصرفوا كلّهم وكان الموعدة قد عملت فيهم . هذا آخر لفظ حديث أبي عمرو الزاهد (١) .

وفي كتاب نهاية الطلب وغاية السؤل في مناقب آل الرسول لابراهيم بن علي بن محمّد الدينوري الحنبليّ ، يرفعه الى الحسن بن علي بن محمّد بن عبد الله الأزدي الفقيه ، قال : حدّثنا محمّد بن صالح ، قال : حدّثني أبي ، عن عبد الكريم الجوزي ، وقال الحسن بن علي المذكور : وحدّثناه أيضاً عبد الله بن عمر الرقيّ ، عن عبد الكريم الجوزي ، عن طاووس ، عن ابن عباس .

والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة ، يقول فيه : انّ النبيّ ﷺ قال للعبّاس ﷺ : انّ الله قد أمرني باظهار أمري ، وقد أنبأني واستنبأني فما عندك ؟ فقال له العبّاس ﷺ : يا بن أخي تعلم أنّ قريشاً أشدّ الناس حسداً لولد أبيك ، وان كانت هذه الخصلة كانت الطامة الطمّاء والداهية العظمى ، ورمينا عن قوس واحدة ، فانتسفونا نسفاً صلتماً ، ولكن اقترب بنا الى عمك أبي طالب ، فأنه كان أكبر أعمالكم ، فان لا ينصرك لا يخذلك ولا يسلمك .

فأتياه ، فلمّا رآهما أبو طالب ﷺ ، قال : انّ لكما لظنّة وخبراً ، ما جاء بكما في هذا الوقت ؟ فعرفه العبّاس ﷺ ما قال له النبيّ ﷺ وما أجابه العبّاس ﷺ ، فنظر اليه أبو طالب ﷺ وقال : أخرج يا بن أخي ، فإنك الرفيع كعباً ، والمنيع حزباً ، والأعلى أباً ، والله لا يسلكك لسان الآسلقته الألسن حداداً ، واجتذبتة سيوف حداداً ، والله لتذللنّ لك العرب ذلّ البهم لصاحبها ، ولقد كان أبي يقرأ الكتاب

(١) الطرائف في معرفة المذاهب ص ٢٩٩ - ٣٠٠ عنه .

جميعاً، ولقد قال: إن من صليبي لنبياً لوددت أني أدركت ذلك الزمان فآمنت به، فمن أدركه من ولدي فليؤمّن به.

ثم ذكر صفة اظهار نبّيهم ﷺ للرسالة عقيب كلام أبي طالب له، وصورة شهادته، وقد صليّ وحده وجاءت خديجة فصلّت معه، ثم جاء عليّ عليه السلام فصلّي معه (١).

وفي كتاب الحنبلي المذكور، باسناده الى محمد بن اسحاق، عن عبد الله بن مغيرة، قال: فقد أبو طالب ﷺ رسول الله ﷺ، فظنّ أنّ بعض قريش اغتاله فقتله، فبعث الى بني هاشم فقال: يا بني هاشم أظنّ أنّ بعض قريش اغتال محمّداً فقتله، فليأخذ كلّ واحد منكم حديدة صارمة، وليجلس الى جنب عظيم من عظماء قريش، فاذا قلت أبغي محمّداً، قتل كلّ رجل منكم الرجل الذي الى جانبه.

وبلغ رسول الله ﷺ جمع أبي طالب ﷺ وهو في بيت عند الصفا، فأتى أباطال وهو في المسجد، فلما رآه أبو طالب ﷺ أخذ بيده، ثم قال: يا معشر قريش فقدت محمّداً، فظننت أنّ بعضكم اغتاله، فأمرت كلّ فتى من بني هاشم أن يأخذ حديدة ويجلس كلّ واحد منهم الى عظيم منكم، فاذا قلت أبغي محمّداً، قتل كلّ واحد منهم الرجل الذي الى جانبه، فاكشفوا لي عمّا في أيديكم يا بني هاشم، فكشف بنو هاشم عمّا في أيديهم، فنظرت قريش الى ذلك، فعندها هابت قريش رسول الله ﷺ، ثم أنشأ أبو طالب ﷺ يقول شعراً:

وكلّ سرائر منها غرور	ألا أبلغ قريشاً حيث حلّت
وما تتلو السفافرة الشهور	فانيّ والصوالح غاديات
وودّ الصدر منّي والضمير	لآل محمّد راع حفيظ

فلست بقاطع رحمي وولدي
 أيأمر جمعهم أبناء فهر
 فلا وأبيك لا ظفرت قريش
 بني أخي ونوط القلب مني
 ويشرب بعدها الولدان ريباً
 أي ابن الأنف أنف بني قصي

ولو جرت مظالمها المجزور
 بقتل محمّد والأمر زور
 ولا لقيت رشاداً اذ تشير
 وأبيض ماؤه غدق كثير
 وأحمد قد تضمّنه القبور
 كأنّ جبينك القمر المنير^(١)

وفي كتاب الحنبلي المذكور صاحب كتاب نهاية الطلب وغاية السؤال، باسناده
 قال: سمعت أبا طالب عليه السلام يقول: حدّثني محمّد ابن أخي وكان والله صدوقاً، قال:
 قلت له: بم بعثت يا محمّد؟ قال: بصلة الأرحام، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة^(٢).

وفي الكتاب المذكور، باسناده الى عروة بن عمر الثقفي، قال: سمعت
 أبا طالب عليه السلام قال: سمعت ابن أخي الأمين يقول: اشكر ترزق، ولا تكفر
 فتعدّب^(٣).

وفي الكتاب المذكور باسناده الى سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس: أنّ أبا طالب
 مرض، فعاده النبي صلى الله عليه وآله^(٤).

وفي كتابه أيضاً باسناده الى عطاء بن أبي رباح، عن ابن عبّاس، قال: عارض
 النبي صلى الله عليه وآله جنازة أبي طالب عليه السلام، فقال: وصلتك رحم، وجزاك الله يا عمّ
 خيراً^(٥).

(١) الطرائف ص ٣٠٣ - ٣٠٤ ح ٣٨٩ عنه.

(٢) الطرائف ص ٣٠٤ ح ٣٩٠ عنه.

(٣) الطرائف ص ٣٠٤ ح ٣٩١ عنه.

(٤) الطرائف ص ٣٠٤ ح ٣٩٢ عنه.

(٥) الطرائف ص ٣٠٥ ح ٣٩٣ عنه.

وفيه بإسناده الى ثابت البناني، عن اسحاق بن عبد الله بن الحارث، عن العباس بن عبد المطلب، قال: قلت: يا رسول الله ما ترجو لأبي طالب؟ قال: كل خير أرجوه من ربي^(١).

وفي كتاب الأوائل لأبي هلال العسكري، قال: أول صلاة صلاها رسول الله ﷺ جماعة، قال: مر أبو طالب رضي الله عنه ومعه جعفر رضي الله عنه على نبي الله ﷺ، وهو يصلي وعلي علي رضي الله عنه على يمينه، فقال لجعفر: صل جناح ابن عمك، فتأخر علي وقام معه جعفر، وتقدمهما رسول الله ﷺ، فأنشد أبو طالب رضي الله عنه يقول شعراً:

انّ عليّاً وجعفرأ ثقتي عند اخترام الزمان والكرب
لا تخذلا وانصرا ابن عمكما أخي لأمي من بينهم وأبي
والله لا أخذل النبي ولا يخذله من بني ذو حسب^(٢)

وفي تفسير الثعلبي في تفسير قوله تعالى ﴿ والسابقون السابقون ﴾^(٣) أنّها مخصوصة بأمر المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأنّه آمن برسول الله ﷺ، وساق الحديث، ثمّ قال في آخر القصّة: ويروى أنّ أبا طالب قال لعلي رضي الله عنه: أي بني ما هذا الدين الذي أنت عليه؟ قال: يا أبت آمنت بالله ورسوله وصدّقته فيما جاء به، وصليت معه لله تعالى، فقال: أما أنّ محمداً لا يدعو إلاّ الى خير فالزمه^(٤).

وذكر الثعلبي في سورة الأنعام في تفسير قوله تعالى ﴿ وهم يهون عنه وينأون عنه ﴾^(٥) بإسناده عن ابن عباس: أنّ قريشاً اجتمعت الى أبي طالب، وقالوا: يا أبا

(١) الطرائف ص ٣٠٥ ح ٣٩٤ عنه.

(٢) الطرائف ص ٣٠٥ - ٣٠٦ ح ٣٩٦ عنه.

(٣) الواقعة: ١٠.

(٤) العمدة لابن البطريق ص ٤١٠ - ٤١١ ح ٨٥٣ عنه.

(٥) الأنعام: ٢٦.

طالب سلمَ الينا محمداً ، فأنه قد أفسد أدياننا وسبَّ آلهتنا لنقتلته ، وهذه أبناؤنا بين
يديك تبين بأيمهم شئت ، ثم دعوا بعمارة بن الوليد وكان مستحسناً ، فقال لهم : هل
رأيتم ناقة حنتت الى غير فصيلها ؟ لا كان ذلك أبداً ، ثم نهض عنهم ، فدخل على
النبي ﷺ فرآه كثيراً وقد علم مقالة قريش ، فقال : يا محمد لا تحزن ثم قال :

والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة وابشر وقرّ بذاك منك عيوننا
ودعوتني وزعمت أنك ناصحي ولقد نصحت وكنت قبل أميننا
وعرضت ديناً لا محالة أنه من خير أديان البرية ديننا
قال الثعلبي : وهذا قول مقاتل ، والقاسم بن محصرة^(١) ، وعطاء بن دينر ،
واحدي الروايات عن ابن عباس^(٢) .

وفي هذه الأشعار تصريح بإيمانه ، وتصديق الرسول ، وأن دينه خير الأديان .
وفي كتاب الجمع بين الصحيحين من مسند عبد الله بن عمر في الحديث الحادي
عشر من افراد البخاري ، قال عمر بن حمزة ، عن سالم ، عن أبيه ، قال : ربما ذكرت
قول الشاعر وأنا أنظر الى وجه النبي ﷺ يستسقي وما ينزل حتى يجيش كل
ميزاب :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ربيع اليتامى عصمة للأرامل
هو قول أبي طالب ﷺ ، وقد أخرجه بالاسناد من حديث عبد الرحمن بن عبد
الله بن دينار ، عن أبيه ، قال : سمعت ابن عمر يتمثل بشعر أبي طالب وذكر البيت ،
وهي قصيدة معروفة عند أهل النقل وهي هذه :

لعمري لقد كلّفت وجداً بأحمد وأحبيته حبّ الحبيب الموصل

(١) في الطرائف : محيصرة ، وفي العمدة : مخيصرة .

(٢) الطرائف ص ٣٠١ - ٣٠٢ عنه ، والعمدة ص ٤١١ عنه .

فلا زال في الدنيا جمالاً لأهلها
وجدت بنفسي دونه وحميته
وأَيده ربّ العباد بنصره
ألم تعلموا أنّ ابننا لا مكذب
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
يلوذ به الهلاك من آل هاشم
كذبتهم وبيت الله نبري محمداً
ونسلمه حتى نصرع حوله

وسيفاً لمن عادى وزين المحافل
ودارات عنه بالذرى والكلاكل
وأظهر ديناً حقّه غير باطل
لدينا ولا نرضى بدين الأباطل
ثمّال اليتامى عصمة للأرامل
فهم عنده في نعمة وفواضل
ولما نطاعن دونه ونناضل
ونذهل عن أبائنا والمحلائل^(١)

وفي كتاب نهاية الطلب للحنبلي المذكور ، باسناده الى عائشة تذكر صفة سقيا
نبيّنا ﷺ ونزول الغيث ، وقالت فيه ، فقال رسول الله ﷺ : اللهمّ حوالينا ولا
علينا ، فانجاب السحاب عن المدينة كالأكليل ، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت
نواجده ، ثمّ قال : لله درّ أبي طالب لو كان حيّاً قرّت عيناه ، من ينشدنا قوله ؟ فقال
أمير المؤمنين : لعلك أردت قوله :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
أنشد الأبيات الى آخرها^(٢) .

ووجه دلالة هذه الأبيات على المقصود ظاهر ، أيها اللبيب اذا نظرت بعين
الانصاف الى ما ذكرناه ، قطعت بأنّ أبا طالب ﷺ كان من أكبر المؤمنين وأفضل
المصدّقين ، وعرفت أنّ حقّه عظيم على الاسلام والمسلمين .
والعجب أنّ مع كمال ظهور ايمان أبي طالب ﷺ ، زعم جماعة من أهل السنّة أنّ

(١) العمدة ص ٤١١ - ٤١٢ ، والطرائف ص ٣٠٠ - ٣٠١ .

(٢) الطرائف ص ٣٠٥ ح ٣٩٥ عنه .

المراد بقوله تعالى ﴿ أَنْتَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ ^(١) أبو طالب .

وقد ذكر أبو المجد بن رشادة الواعظ الواسطي في كتاب أسباب نزول القرآن ما هذا لفظه : قال الحسن بن الفضل ^(٢) في قوله عزّ وعلا : ﴿ أَنْتَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ كيف يقال : أنّها نزلت في أبي طالب عليه السلام ؟ وهذه السورة من آخر ما نزل من القرآن بالمدينة ، وأبو طالب عليه السلام مات في عنفوان الاسلام ، والنبي صلى الله عليه وآله بمكة ، وإنّ هذه الآية نزلت في الحارث بن نعمان بن عبد المناف ، وكان النبي صلى الله عليه وآله يحبه ويحبّ اسلامه الى آخر الحكاية ^(٣) .

انتهى المقصود من بيان مختصر مما يدلّ على أفضليّة عليّ بن أبي طالب عليه السلام على سائر الصحابة في نفسه وحسبه ونسبه ، فمن نظر في الأحاديث التي نقلناها في الفاتحة وما نقلناه هاهنا ، جزم وقطع بأنّ عليّ بن أبي طالب وزوجته فاطمة الزهراء وولديه الحسن والحسين عليهما السلام خير خلق الله بعد رسول الله صلى الله عليه وآله حسباً ونسباً وعلماً وفضلاً وكماً .

فلا يغرنك قول عمر وابنه ، وعثمان وأبو هريرة ، والحسن البصري ، وعمرو بن عبيد والجاحظ ، بأفضليّة أبي بكر ؛ لاستنادهم الى هواء أنفسهم وميلهم الى عاجلهم ؛ اذ لم يوجد له فضل في كتاب ربّهم وسنة نبيّهم ، وان وجد فعلى الطريقة النادرة ، فلا تعارض أدنى ما لعليّ عليه السلام من المزايا .

مع أنّ قولهم معارض بقول المقداد ، وسلمان ، وأبي ذرّ ، وعسار ، وجابر ، وحذيفة ، وهؤلاء ممّن اتفق الأئمة على عدالتهم ، والزبير ، وعطاء ، ومجاهد ، وسلمة ، وأبي عبد الله البصري ، وسليمان بن جرير الرقيّ ومن تابعه ، وابن التّمّار ومن تابعه ،

(١) القصص : ٥٦ .

(٢) في الطرائف : مفضّل .

(٣) الطرائف ص ٣٠٦ عنه .

وكتير النواء ، وسالم بن أبي حفصة ، والحكم بن عيينة ، وثابت الحدّاد ، بأفضليّة علي عليه السلام ، وهو اختيار البغداديّين كافّة ، والشيعيّة بأجمعها ، والحجّة في اجماعها لدخول المعصوم فيها^(١) .

قال ابن الحديد في الجزء العشرين من شرح نهج البلاغة : والقول بالترفضيل قول قديم ، قد قال به كثير من الصحابة والتابعين ، فمن الصحابة : عمّار ، والمقداد ، وأبوذرّ ، وسلمان ، وجابر بن عبد الله ، وأبيّ بن كعب ، وحذيفة ، وبريدة ، وأبو أيّوب ، وسهل بن حنيف ، وأبو الهيثم بن التّيهان ، وخزيمة بن الثّابت ، وأبو الطفيل عامر بن واثلة ، والعبّاس بن المطّلب ، وبنوه وبنو هاشم كافّة وبنو المطّلب كافّة . وكان الزبير من القائلين به في بدأ الأمر ثمّ رجع ، وكان من بني أميّة قوم يقولون بذلك ، منهم خالد بن سعيد بن العاص ، ومنهم عمر بن عبد العزيز .

ثمّ قال : أنا أذكر هاهنا الخبر المرويّ المشهور عن عمر ، وهو من رواية ابن الكلبي ، قال : بينا عمر بن عبد العزيز جالساً في مجلسه ، اذ دخل حاجبه ومعه امرأة آدماء طويلة ، حسنة الجسم والقامة ، ورجلان متعلّقان بها ، ومعهم كتاب من ميمون بن مهران الى عمر ، فدفعوا اليه الكتاب ، ففضّه فاذاً فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ، من ميمون بن مهران ، سلام عليك ورحمة الله وبركاته ، أمّا بعد ، فأنّه ورد علينا أمر ضاقت به الصدور ، وعجزت عنه الأوساع^(٢) ، وهربنا بأنفسنا عنه ووكلائه الى عالمه ؛ لقول الله عزّ وجلّ ﴿ ولو ردّوه الى الرسول والى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ﴾^(٣) وهذه المرأة والرجلان أحدهما زوجها والآخر أبوها ، وإنّ أباه يا أمير

(١) الصراط المستقيم ٢ : ٧١ .

(٢) الأوساع : جمع وسع وهو الطاقة .

(٣) النساء : ٨٣ .

المؤمنين زعم أن زوجها حلف بطلاقها أن علي بن أبي طالب خير هذه الأمة وأولاها برسول الله ﷺ، وأنه يزعم أن ابنته طلقت منه، وأنه لا يجوز له في دينه أن يتخذها صهرًا، وهو يعلم أنها حرام عليه كأمه، وإن الزوج يقول له: كذبت وأمت لقد برّ قسمي، وصدقت مقالتي، وأنها امرأتني على رغم أنفك وغيظ قلبك، فاجتمعوا إليّ يختصمون في ذلك.

فسألت الرجل عن بينه، فقال: نعم قد كان ذلك قد حلفت بطلاقها أن عليًا خير هذه الأمة وأولاها برسول الله ﷺ عرفه من عرفه، وأنكره من أنكره، فليغضب من غضب، وليرض من رضي، وتسامع الناس بذلك، فاجتمعوا له، وإن كانت الألسن مجتمعة فالقلوب شتى، وقد علمت يا أمير المؤمنين اختلاف الناس في أهوائهم، وتسرعهم إلى ما فيه الفتنة، فأجمننا عن الحكم لتحكم بما أراك الله، وأنها تعلقا بها وأقسم أبوها أن لا يدعها معه، وأقسم زوجها أن لا يفارقها ولو ضربت عنقه، إلا أن يحكم عليه بذلك حاكم لا يستطيع مخالفته والامتناع منه، فرفعناهم اليك يا أمير المؤمنين، أحسن الله توفيقك وأرشدك، وكتب في أسفل الكتاب:

إذا ما المشكلات ورددن يوماً	فحارت في تأملها العيون
وضاق القوم ذرعاً عن بناها	فأنت لها أبا حفص أمين
لأنك قد حويت العلم طراً	وأحكمت التجارب والشؤون
وخلفك الاله على الرعايا	فحظك فيهم الحظّ الثمين

قال: فجمع عمر بن عبد العزيز بني هاشم وبني أمية وأفخاذ قريش، ثم قال لأبي المرأة: ما تقول أيها الشيخ؟ قال: يا أمير المؤمنين هذا الرجل زوجته ابنتي، وجهازها إليه بأحسن ما يجهز به مثلها، حتى إذا أملت خيره ورجوت صلاحه حلف بطلاقها كاذباً، ثم أراد الإقامة معها.

فقال له عمر : يا شيخ لعلة لم يطلق امرأته فكيف حلف ؟ قال الشيخ : سبحان الله انّ الذي حلف عليه لأبين حثناً وأوضح كذباً من أن يختلج في صدري منه شكّ مع سنيّ وعلمي ؛ لأنه زعم أن عليّاً خير هذه الأئمة والآ فامرأته طالق ثلاثاً ، فقال للزوج : ما تقول أهكذا حلفت ؟ قال : نعم ، فقيل : أنّه لما قال نعم كاد المجلس يرتجّ بأهله ، وبنو أمية ينظرون اليه شزراً ، الآ أنّهم لم ينطقوا بشيء كلّ ينظر الى وجه عمر . فأكبّ عمر ملياً ينكت الأرض بيده والقوم صامتون ينظرون ما يقول ، ثمّ رفع رأسه وقال :

إذا ولي الحكومة بين قوم أصاب الحقّ والتمس السدادا
وما خير الامام اذا تعدّى خلاف الحقّ واجتنب الرشادا

ثمّ قال للقوم : ما تقولون في يمين هذا الرجل ؟ فسكتوا ، فقال : سبحان الله قولوا ، فقال رجل من بني أمية : هذا حكم في فرج ولسنا نجترىء على القول فيه وأنت عالم بالقول مؤتمن لهم وعليهم قل ما عندك ، فانّ القول مالم يكن يحقّ باطلاً أو يبطل حقاً جائز عليّ في مجلسي .

قال : لا أقول شيئاً ، فالتفت الى رجل من بني هاشم من ولد عقيل بن أبي طالب ، فقال له : ما تقول فيما حلف به هذا الرجل يا عقيلي ؟ فاغتمتها فقال : يا أمير المؤمنين ان جعلت قولي حكماً أو حكمي جائزاً قلت ، فان لم يكن ذلك فالسكوت أوسع لي وأبقى للمودّة ، قال : قل وقولك حكم وحكمك ماض .

فلما سمع بنو أمية قالوا : ما أنصفتنا يا أمير المؤمنين اذ جعلت الحكم الى غيرنا ، ونحن من لحمك وأولي رحمك ، فقال عمر : أسكتوا عجزاً ولؤماً عرضت عليكم آناً فما انتدبتم له ، قالوا : لأنك لم تعطنا ما أعطيت العقيلي ، ولا حكمتنا كما حكّمته ، فقال عمر : ان كان أصاب وأخطأتم وحزمت وعجزتم وأبصر وعميتم ، فما ذنب عمر لا أباً لكم ، أتدرون ما مثلكم ؟ قالوا : لا ندري ، قال : لكن العقيلي يدري ، ثمّ قال : ما

تقول يا رجل؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين مثلهم كما قال الأول:

دعيتم الى أمر فلما عجزتم تناوله من لا يداخله عجز
فلما رأيتم ذاك أبدت نفوسكم نداماً وهل يغني من الحذر الحرز
فقال عمر: أحسنت وأصبت فقل ما سألتك عنه، قال: يا أمير المؤمنين برّ قسمه
ولم تطلق امرأته، قال: وأنى علمت ذلك؟

قال: نشدتك الله يا أمير المؤمنين ألم تعلم أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة عليها السلام
وهو عندها في بيتها عائد لها: يا بنية ما علّنتك؟ قالت: الوعك يا أبتاه، وكان علي
غائباً في بعض حوائج النبي ﷺ فقال لها: أتشتين شيئاً؟ قالت: نعم أشتي عبناً
وأنا أعلم أنه عزيز وليس وقت عبب، فقال ﷺ: إن الله قادر على أن يحيينا به.
ثم قال: اللهم ائتنا به مع أفضل أمّتي عندك منزلة، فطرق علي الباب ودخل
ومعه مكنل قد ألقى عليه طرف رداثه، فقال له النبي ﷺ: ما هذا يا علي؟ قال:
عنب التمسته لفاطمة، فقال: الله أكبر الله أكبر، اللهم كما سررتني بأن خصصت علياً
بدعوتي، فاجعل فيه شفاء بنيّتي، ثم قال: كلي على اسم الله يا بنية، فأكلت، وما
خرج رسول الله ﷺ حتى استقلّت وبرأت.

فقال عمر: صدقت وبررت، أشهد لقد سمعته ووعيته، يا رجل خذ بيد امرأتك،
فان عرض لك أبوها فاهشم أنفه، قال: بني عبد مناف والله ما نهجل ما يعلم غيرنا
ولا بنا عمى في ديننا، ولكننا كما قال الأول:

تصيّدت الدنيا رجلاً بفتحها فلم يدركوا خيراً بل استقبحو الشرّاً
وأعياهم حبّ الغنى وأصمهم فلم يدركوا إلاّ الخسارة والوزرا
قيل: فكأنما أقم بني أمية حجراً، ومضى الرجل بامرأته، وكتب عمر الى ميمون
بن مهران: سلام عليك، فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو، أمّا بعد فاني قد
فهمت كتابك، وورد الرجلان والمرأة، وقد صدق الله يمين الزوج وأبرّ قسمه، وأثبتته

على نكاحه ، فاستيقن ذلك واعمل عليه ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .
ثم قال الشارح : فأما من قال بتفضيله عليه السلام على الناس كافة من التابعين فخلق كثير ، كأويس القرني ، وزيد بن صوحان ، وصعصعة أخيه ، وجندب الخير ، وعبيدة السلماني ، وغيرهم ممن لا يحصى كثرة .

ولم تكن لفظة الشيعة تعرف في ذلك العصر إلا لمن قال بتفضيله عليه السلام ، ولم تكن الامامية ومن نحواها من الطاعنين في امامة السلف مشهورة حينئذ على هذا النحو من الاشتهار ، فكان القائلون بالتفضيل هم المسمون بالشيعة ، وجميع ما ورد من الآثار والأخبار في فضل الشيعة ، وفي أنهم موعودون بالجنة ، فهؤلاء هم المعنيون به دون غيرهم ، ولذلك قال أصحابنا المعتزلة في كتبهم وتصانيفهم : نحن الشيعة حقاً ، فهذا القول هو أقرب الى السلامة وأشبه بالحق من القولين المقتسمين طرفي الافراط والتفريط ان شاء الله ^(١) .

أقول : كلامه هذا نشأ من اتباع الهوى ، وحبّ متابعة الآباء ، فإنه لا يخفى على البصير الخبير أنّ الشيعة اسم لكل من تولّى بعلي عليه السلام وسائر أهل البيت ، وتبرأ من الخلفاء الثلاثة وتابعهم ؛ لأنّ شيعة الرجل من تبعه وخالف من خالفه ، فمن ترك اتباع علي عليه السلام وادّعى الخلافة لا يسمّى شيعة له ، وكذا من ترك بيعته وبايع غيره اختياراً من غير اكراه ، وكذا من أحبّ اتباع غيره من مخالفه وغاصبي حقه وان قال بأفضليته .

فثبت أنّه لا يستحقّ هذا الاسم إلا نحن ؛ لقولنا بانحصار الامامة في علي وأولاده عليهم السلام ، على أنّ المصنّفين من علماء المخالف والمؤلف اذا ذكروا الشيعة في مصنفاتهم وقسموها لا يجعلون المعتزلة القائلين بالأفضلية منها .

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٠ : ٢٢١ - ٢٢٦ .

ثم أقول : ومَن قال بالفضل من بني أمية معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان .

قال أبو البقاء الشافعي في كتاب حياة الحيوان : بويح له - يعني : معاوية بن يزيد - بالخلافة يوم موت أبيه ، فأقام فيها أربعين يوماً ، وقيل : أقام فيها خمسة أشهر وأياماً وخلع نفسه .

وذكر غير واحد أنّ معاوية بن يزيد ، لما خلع نفسه سعد المنبر ، فجلس طويلاً ثم حمد الله تعالى وأثنى عليه بأبلغ ما يكون من الحمد والثناء ، ثم ذكر النبي ﷺ بأحسن ما يذكر به .

ثم قال : أيها الناس ما أنا بالراغب في الانتار عليكم ، ما أكرهه منكم ، وإني أعلم أنّكم تكرهونا أيضاً ؛ لأننا بلبنا بكم ولبيتم بنا ، إلا أنّ جدّي معاوية نازع هذا الأمر من كان بهذا أولى منه ومن غيره ؛ لقربته من رسول الله ﷺ ، وعظيم فضله وسابقته ، أعظم المهاجرين قدراً ، وأشجعهم قلباً ، وأكثرهم علماً ، وأولهم إيماناً ، وأشرفهم منزلة ، وأقدمهم صحبة ، ابن عم رسول الله ﷺ ، وصهره وأخوه ، زوجته رسول الله ﷺ ابنته ، وجعله لها بعلاً باختياره لها ، وجعلها له زوجة باختيارها له ، أبو سبطيه سيّدا شباب أهل الجنّة وأفضلا هذه الأمة بعد الرسول ﷺ ، وابنا فاطمة البتول عليهما السلام ، من الشجرة الطيبة الطاهرة الزكية ، فركب جدّي منه ما تعلمون ، وركبتم منه ما لا تجهلون ، حتى انتظمت لجدّي الأمور .

فلما جاء القدر المحتوم ، واخترمته أيدي المنون ، بقي مرتهاً بعمله ، فريداً في قبره ، ووجد ما قدّمت يده ، ورآى ما ارتكبه واعتداه ، ثم انتقلت الخلافة الى يزيد أبي ، فتقلّد أمركم لهواء كان أبوه فيه ، لقد كان أبي يزيد بسوء فعله واسرافه على نفسه غير خليق بالخلافة على أمة محمد ﷺ ، فركب هواء واستحسن خطاه ، وأقدم على ما أقدم من جرأته على الله تعالى ، وبغية على من استحلّ حرمة من

أولاد رسول الله ﷺ ، فقلت مدته ، وانقطع أثره ، وضاجع عمله ، وصار حليف حفرته ، رهين خطيئته ، وبقيت أوزاره وتبعاته ، وحصل على ما قدم وندم حيث لا ينفعه الندم ، وشغلنا الحزن له عن الحزن عليه ، فليت شعري ماذا قال وما قيل له ، فهل عوقب باساءته ، وجوزي بعمله ، وذلك ظني .

ثم اختلفته العبرة ، فبكى طويلاً وعلا نحيبه ، ثم قال : وصرت أنا ثالث القوم ، والساخط عليّ أكثر من الراضي ، وما كنت لأتحمل آثامكم ، ولا أراي الله تعالى جلّت قدرته متقلداً أوزاركم ، وألقاه بتبعاتكم ، فشأنكم أمركم ، فخذوه ومن رضيتم به عليكم فولّوه ، فقد خلعت بيعتي عن أعناقكم ، والسلام .

فقال له مروان بن الحكم وكان تحت المنبر : أسنة عمرية يا أبا ليلى ، فقال : عد عنيّ أعن ديني تخدعني ، فوالله ما ذقت حلاوة خلافتكم فأتجرّع مرارتها ، ائنتي برجال مثل رجال عمر ، على أنه ما كان خبر جعلها شورى وصرفها عمّن لا يشكّ في عدالته ظلماً ، والله لئن كانت الخلافة نعيماً لقد نال أبي منها مغرماً ومأثماً ، ولئن كانت شراً فحسبه منها ما أصابه .

ثم نزل ، فدخل عليه أقاربه وأمه ، فوجدوه يبكي ، فقالت له أمه : ليتك كنت حيضة ولم أسمع بخبرك ، فقال : وددت والله ذلك ، ثم قال : وبلي ان لم يرحمني ربّي . ثم أنّ بني أمية قالوا المؤدّب عمر القصوص : أنت علّمته هذا ولقنته آياه ، وصددته من الخلافة ، وزيّت له حبّ علي وأولاده ، وحملته على ما وسمنابه من الظلم ، وحسنت له البدع حتّى نطق بما نطق وقال بما قال ، فقال : والله ما فعلته ولكنّه مجبول ومطبوع على حبّ علي ﷺ ، فلم يقبلوا منه ذلك ، وأخذوه ودفنوه حيّاً حتّى مات . وتوفّي معاوية بن يزيد بعد خلع نفسه بأربعين ليلة ، وقيل : تسعين ليلة ، وكان عمره ثلاثاً وعشرين سنة ، وقيل : احدى وعشرين سنة ، وقيل : ثمانية عشر سنة ، ولم يعقب رحمة الله عليه ورضوانه .

هذا بيان أفضلية أمير المؤمنين عليه السلام، وأما سائر الأئمة فبالاجماع كانوا أفضل من الذين كانوا يدعون الامامة وينازعونهم في الخلافة، فثبت امامة أئمتنا الاثني عشر عليهم السلام.

تذنيب

في ذكر أدلة المخالفين على أفضلية أبي بكر

وهذه عبارة المواقف وشرحه : المقصد الخامس في أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو عندنا وأكثر قدماء المعتزلة أبو بكر، وعند الشيعة وأكثر متأخر المعتزلة علي. لنا وجوه :

الأول : قوله تعالى ﴿ وسيجنبها الأتقى ﴾ الذي يؤتي ماله يتزكى ﴿ ^(١) قال أكثر المفسرين وقد اعتمد عليه العلماء : أنها نزلت في أبي بكر، فهو أتقى، ومن هو أتقى فهو أكرم عند الله ؛ لقوله تعالى ﴿ انّ أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ ^(٢) وهو أي الأكرام عند الله هو الأفضل، فأبو بكر أفضل ممن عداه من الأئمة، وأيضاً فقوله ﴿ وما لأحد عنده من نعمة تجزى ﴾ يصرفه عن الحمل على علي ؛ اذ عنده نعمة التربية، فإنّ النبي صلى الله عليه وآله ربّي عليّاً وهي نعمة تجزى، واذا لم يحمل عليه تعين أبو بكر ؛ للاجماع أنّ ذلك الأتقى هو أحدهما لا غير .

الثاني : قوله عليه السلام : اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر . عمّم الأمر بالافتداء، فدخل في الخطاب علي، وهو يشعر بالأفضلية ؛ اذ لا يؤمر الأفضل ولا المساوي بالافتداء سيما عندهم ؛ اذ لا يجوزون امامة المفضول أصلاً كما سيأتي .

الثالث : قوله عليه السلام لأبي الدرداء : والله ما طلعت شمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على رجل أفضل من أبي بكر .

(١) الليل : ١٧ - ١٨ .

(٢) الحجرات : ١٣ .

الرابع : قوله ﷺ لأبي بكر وعمر : هما سيّدا كهول أهل الجنّة ما خلا النبيّين والمرسلين .

الخامس : قوله ﷺ : ما ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يتقدّم عليه غيره .

السادس : تقديمه في الصلاة مع أنّها أفضل العبادات ، وقوله « ياأبي الله ورسوله الآأبا بكر » وفي معناه قوله « ياأبي الله والمسلمون الآأبا بكر » وذلك أنّ بلاأأذن بالصلاة في أيام مرضه ، فقال النبيّ ﷺ لعبد الله بن زمعة : أخرج وقل لأبي بكر يصلّي بالناس ، فخرج فلم يجد على الباب الآأ عمر في جماعة ليس فيهم أبو بكر فقال : يا عمر صلّ بالناس ، فلما كبرّ وكان رجلاً صبيّاً وسمع ﷺ صوته قال ذلك ثلاث مرّات .

السابع : قوله ﷺ : خير أمّتي أبو بكر ثمّ عمر .

الثامن : قوله ﷺ : لو كنت متّخذاً خليلاً دون ربّي لأتخذت أبا بكر خليلاً ، لكن هو شريكي في ديني وصاحبي الذي أوجبت له صحبتي في الغار وخليفتي في أمّتي .
التاسع : قوله ﷺ وقد ذكر عنده أبو بكر : وأين مثل أبي بكر ، كذبني الناس وصدّقني وآمن بي ، وزوّجني ابنته ، وجهّزني بماله وواساني بنفسه ، وجاهد معي في ساعة الخوف .

العاشر : قول علي : خير الناس بعد النبيّين أبو بكر ثمّ عمر ثمّ الله أعلم . وقوله اذ قيل له : ما توصي ؟ أي : أما توصي وأما تعيّن من يقوم مقامك بعدك ؟ : ما أوصى رسول الله حتّى أوصي ، ولكن ان أراد الله بالناس خيراً جمعهم على خيرهم كما جمعهم بعد نبيّهم على خيرهم ^(١) . انتهى .

الجواب عن الأوّل : أنّ المراد بالآية أبو الدحداح على ما حكاه شارح الطوالع ،

ورواه الواحدي باسناده الى عكرمة وابن عباس ، أنه اتباع نخلة في دار فقير بأربعين نخلة ، وجعلها للفقير بنخلة في الجنة . وأسند الثعلبي الى عطاء أنه أبو الدحداح ، ونقل عن بعض المفسرين : أن الأتقى علي بن أبي طالب . وقال شارح الطوابع : ويؤيده ﴿ ويطمعون الطعام ﴾ الآيات ، فلا عبرة بقول جماعة من المفسرين وعلماء المخالفين بأنها نزلت في أبي بكر ، وان كانوا كثيرين .

وقوله « وما لاحد عنده من نعمة تجزى » يصرفه عن علي ؛ اذ عنده نعمة التربية غير موجّه ؛ لأنه لا بدّ في الآية من تخصيص ؛ لأنه لا يتصور من لا يكون لأحد عنده من نعمة ، فكان المراد : أن ليس لأحد ممن يعطيهم الزكاة والصدقة عنده من نعمة تجزى . فالعموم ليس بمراد . وان سلّمنا فلا نسلم أنه ليس على أبي بكر نعمة تجزى ، كيف ذلك ؟ وعليه حقّ والديه وحقّ النبيّ في ارشاده الى أمور دينه .

وقوله « للاجماع أنّ ذلك الأتقى هو أحدهما » بطل بما نقلناه من الاختلاف بين العلماء والمفسرين وقول جماعة منهم أنه أبو الدحداح ، وكيف يقال : ان الآية نزلت في أبي بكر ؟ وقد أخرج البخاري في صحيحه عن عائشة : ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن إلاّ أنه أنزل عذري ^(١) . ويبعد أن ينزل في أبيها قرآن ولا تعلمه ، مع شدة حرصها على رفعة شأنه ، كما دلّ عليه تقديمها له في منصب نبيّ الله ووليّه .

وأيضاً فلو نزل فيه هذه الآية وغيرها لاحتجّ بها يوم السقيفة ، ولم يحتج بالائمة من قريش ، لخروج علي عليه السلام من شركته . وأيضاً لو كان هو المراد بالأتقى ، فلم قال أبو بكر على المنبر : أقيلوني أقيلوني لست بخيركم وعلي فيكم ؟ ولم قال عمر : يبيعه أبي بكر كانت فلتة وقي الله المسلمين شرّها؟ ^(٢) .

وأما الأخبار التي تمسك المخالف بها : فالجواب عنها على سبيل الاجمال : أنّ هذه

(١) صحيح البخاري ٦ : ٤٢ تفسير سورة الأحقاف .

(٢) راجع : الصراط المستقيم للبيضاوي ٣ : ٨٨ - ٩٠ .

أخبار آحاد تفرد المخالف بنقلها ، وقد بيّنا في الفاتحة ضعف رواتهم ، وأنّ هذه الأحاديث وضعوها في زمن بني أميّة ، والناس كانوا يتقرّبون الى ملوكهم بوضع أمثال هذه الأحاديث ، وكانوا يتتبعون مناقب أهل البيت ويضعون للخلفاء الثلاثة ومعاوية بازائها .

وأما على سبيل التفصيل ، فالجواب عن الحديث الأوّل ، فقد ذكرنا في الفاتحة في أواخرها .

والجواب عن الحديث الثاني : أنّه خبر واحد انفرد المخالف بنقله ، ويكذّبه قول أبي بكر على المنبر « أقبيلوني لست بخيركم وعلي فيكم » ومع هذا غير معدود من الصحاح ، فلا يعارض ما تواتر عن النبي ﷺ : علي خير البشر من أبي فقد كفر ، وخير البريّة ، وخير الخليقة ، وخير من أخلف ، وخير الناس ، ولا يقاس بالناس . وقد رواه من المخالف جماعة كثيرة ، منهم : الاصفهاني ، والشيرازي ، والديلمي ، والحوارزمي ، والبلاذري ، والطبراني ، وابن مردويه ، وابن حنبل (١) .

والجواب عن الحديث الثالث : أنّهم قد وضعوه في مقابل ما تواتر عن النبي ﷺ « الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة » وقد نقله من المخالف جماعة كثيرة ، أخرجه الترمذي في صحيحه مسنداً الى الحُدري ، وأخرجه أيضاً مسنداً الى حذيفة ، وأخرجه ابن خالويه في كتابه ، والبخاري في حديث ابن عمر (٢) . ومن الشيعة من لا حصر لهم .

وهذا الحديث الذي تمسّكوا به قد انفردوا بنقله ، ورواية عمر وهو منحرف عن أهل البيت ، وقد وضعوه غفلة عن أنّ الجنّة لا كهول فيها . وقد ظهر بما ذكرناه الجواب عن الحديث الرابع أيضاً ، ويكذّبه أيضاً تقديم

(١) راجع : الصراط المستقيم ٢ : ٦٨ - ٧٠ .

(٢) راجع : احقاق الحق ١٠ : ٥٤٤ - ٥٩٥ ، وتقدّم استخراج بعض هذه المصادر فراجع .

النبي ﷺ علياً عليه السلام في امارة السرايا ، وقراءة البراءة في الموسم ، وتقديم عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وأسامة عليه في امارة السرايا ، وأيضاً لو كان صحيحاً لاحتجّ به أبو بكر يوم السقيفة .

وأما الجواب عن الحديث الخامس ، فقد تقدّم في أواخر الفاتحة .

وأما الجواب عن الحديث السادس ، فهو عين الجواب عن الحديث الثاني .

وأما الجواب عن الحديث السابع ، فأنّه خبر واحد انفرد المخالف بنقله ، على أنّه ليس للخلة معنى سوى المودّة ، ولا شك أنّ هذا المعنى كان حاصلًا بينه وبين علي عليه السلام ، بدلالة حديث الطير والراية وغيرهما ، فعلم أنّه موضوع .

وقوله « وخليفتي في أمّتي » يكذّبه ما صحّحوه من الأحاديث الدالّة على أنّ النبي ﷺ لم يستخلف ، وأيضاً لو كان حقّاً لاحتجّ به يوم السقيفة ، ولما احتاج الى الاستدلال بقوله « الأئمّة من قريش » .

والجواب عن الثامن : أنّه مع كون المخالف منفرداً بنقله مشتمل على أمور غير واقعة ؛ لأنّ أبا بكر لم يكن له مال ليجهّز النبي ﷺ ، ولو كان له مال فلم لم يخرج أباه من دناءة العمل ؟ ويتركه ينادي على طعام ابن جذعان بأجرة بخس .

وأيضاً لو جهّز النبي ﷺ بماله ، فلم لم تنزل له آية كما نزلت لأمير المؤمنين عليه السلام سورة هل أتى باعطائه أقراص الشعير ؟ .

وأيضاً النبي ﷺ قبل الهجرة كان غنياً بمال خديجة ، وبعدها كان في ضيافة الأنصار ، وأنّه كان في أوقات يشدّ النبي ﷺ حجر الجماعة على بطنه ، ويطوي الأيّام لا يطعم فيهنّ طعاماً الى أن فتح الله عليه البلدان ، وأبو بكر مع سائر المهاجرين كانوا محتاجين الى الأنصار في الدور والمال ، فمتى جهّزه أبو بكر ؟ .

وأيضاً لو كان أبو بكر غنياً كريماً ، فلم لم يقدّم بين يدي نجواه ؟ وحرّم مناجاة النبي ﷺ حين نزلت قوله تعالى ﴿ يا أيّها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا

بين يدي نجواكم صدقة ﴿^(١)﴾ ولم يعمل بهذه الآية غير علي عليه السلام .

نقل أنه عليه السلام قال : كان معي دينار واحد ، فبعته بعشرة دراهم ، فجعلت أتصدق منها بدرهم بعد درهم ، ثم أناجي رسول الله مرة بعد مرة أخرى ، حتى تصدقت بالدرهم في عشر مرات ، ثم نسخ الله تلك الآية ، فقال : ﴿ أشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فان تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ . وقد زعم أهل السنة أن أبا بكر أنفق على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أربعين ألف درهم ، وكيف يصدق العاقل هذا المقال ؟ مع أن أبا بكر لم تسمح نفسه بصدقة درهم لمناجاة الرسول ، لقد جاءوا بالافك ظلماً وقالوا زوراً .

والجواب عن التاسع : أن المخالف مختص بنقله ، ومع هذا لا يعارض ما وردت من الروايات المشهورة عند المخالف والمتواتر عند الشيعة الدالة على أفضلية علي عليه السلام ، وما تواتر عن علي عليه السلام من الشكايات والتظلمات من أبي بكر وعمر وادعاء الأحقية ، وما اشتهر من قول أبي بكر « لست بخيركم » .

والجواب عن العاشر : أنه ام سلمنا صحته ، فهو قول لأبي بكر ، وقوله ليس بحجة عندنا ، مع أنه يلزم أن يكون معاوية الزنديق الذي لعنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في عدة مواطن ، وسيجيء ان شاء الله ذكر مثالبه ، أفضل من الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة وسائر الصحابة ؛ لأن الناس اجتمعوا بعد علي عليه السلام على بيعته ، أعوذ بالله من الغواية .

الدليل السابع والثلاثون

[بطلان امامة أول خلفائهم]

ان أول خلفائهم كان ظالماً فاسقاً ، والظالم والفاسق لا يستحق الخلافة ؛ لقوله

تعالى ﴿ لا ينال عهدي الظالمين ﴾^(١) ولقوله تعالى ﴿ ولا تركنوا الى الذين ظلموا ﴾^(٢) ولقوله تعالى ﴿ ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ﴾^(٣) فاذا بطل امامة أبي بكر بطل امامة الآخرين أيضاً ، فاذا بطل امامة أئمة النواصب ثبت امامة أئمتنا الاثني عشر ؛ لأنّ سائر المخالفين ليس لهم شبهة قويّة في ترويج باطلهم ، وقد أبطلنا بحمد الله شبههم الضعيفة .

ومن ظلم الأوّل المنافي لامامته أنّه كان مشركاً يعبد الأصنام ، والشرك أعظم الظلم ، ولفظه « الظالمين » عامّ يشمل جميع من ظلم ، سواء تاب بعده أو لم يتب .
ومن ظلمه : ارساله خالد بن الوليد الى بني حنيفة ، فقتل وسبي ونهب ، ونكح امرأة رئيسهم مالك من ليلته بغير عدّة ، حتّى أنكر عمر قتالهم ، وحبس ما قسم له من مالهم ، فلمّا صار الأمر له ردّه عليهم ، وردّ ما وجد عند غيره .

واحتجّ على قتالهم بمنع زكواتهم ، مع أنّهم لم يستحلّوا منعاً حتّى يلزم ارتدادهم ، وأنما قالوا : حضرنا النصّ من النبيّ ﷺ بغدير خمّ على عليّ عليه السلام ، ولا نوذّي صدقاتنا الى أبي بكر ، وهب أنّ الرجال منعوا الصدقات ، فاذنب النساء المسلمات حتّى يبعن ويوطأن ، وقد أورد الطبري ، ومسلم ، والبخاري عن القوم الذين كانوا مع خالد ، قالوا : أذن مؤذنتنا ومؤذنتهم ، وصلينا وصلّوا ، وتشهدنا وتشهدوا^(٤) .

وأنما حمل أبابكر على ذلك ما رواه الشيخ القميّ^(٥) في كتاب الواحدة عن البراء : أنّ وفد بني تميم أتوا النبيّ ﷺ ، فقال أميرهم مالك بن نويرة : علّمني الايمان ، فعلمه

(١) البقرة : ١٢٤ .

(٢) هود : ١١٣ .

(٣) الحجرات : ٦ .

(٤) الصراط المستقيم ٢ : ٢٧٩ - ٢٨٠ .

(٥) في الصراط : العمي ، وهو محمّد بن جمهور العمي .

الشهادتين وأركان الشريعة ، ونهاه عن مناهيها ، وأمره أن يوالي وصيّه من بعده ، وأشار الى علي بن أبي طالب عليه السلام ، فلمّا ذهب قال النبي صلى الله عليه وآله : من أحبّ أن ينظر الى رجل من أهل الجنّة ، فلينظر الى هذا الرجل ، فلحقه الشيخان وسألاه الاستغفار لها ، فقال : لا غفر الله لكما تدعان صاحب الشفاعة وتسألاني ، فغضبا ورجعا ، فرأهما النبي صلى الله عليه وآله فتبسّم وقال : أفي الحقّ مبغضة ؟!

فلمّا قبض النبي صلى الله عليه وآله جاء مالك لينظر من قام مقامه ، فرآى أبا بكر يخطب ، فقال : أخوتيم ؟ قالوا : نعم ، قال : فوصي رسول الله الذي أمرني بمولاته ؟ قالوا : الأمر يحدث بهذه الأمر ، قال : بالله ما حدث شيء ولكنكم ختمت الله ورسوله ، ونظر اليه شزراً وتقدّم وقال : ما أرقاك هذا المنبر ووصي رسول الله صلى الله عليه وآله جالس ؟ فأمر قنقذاً وخالداً باخراجه ، فدفعاه كرهاً ، فركب راحلته وقال :

أطعنا رسول الله ما كان بيننا فيا قوم ما شأنني وشأن أبي بكر
إذا مات بكر قام بكر مقامه فتلك وبيت الله قاصمة الظهر

الى آخر أبياته ، فبعث أبو بكر خالداً بجيش لقتله ، فجاء فلم يجد فيه مؤذناً ، فقال : ارتدتم عن الاسلام ، فقالوا : بل ذهب المؤذن الى امتياع الطعام ، فلم يسمع وصافهم الحرب ، وكان مالك يعدّ بألف فارس ، فخافه خالد ، فنظر مالك الى امرأته وهي تنظر الحرب وتستتر وجهها بذراعها ، فقال : ان قتلني أحد فأنت ، فوقعت في نفس خالد ، فأعطاه الأمان ، فاستوثق منه وطرح سلاحه ، فأخذه وقتله ، وعرّس بامرأته من ليلته ، وطبخ على رأسه لحم جزور لوليمته .

فخرج متمّم أخو مالك ، فاستعدى أبا بكر على خالد ، واستعان بعمر ، فقال عمر لأبي بكر ، أقتل خالداً بمالك ، فقال : ما كنت لأقتل صحابياً بأعرابي في ردة عمياء ، قال عمر : لم يرتد بل حمله على ذلك جمال امرأته ، فتشامت ، فقال عمر : لو ملكت امرأة لقتلته به ، فلمّا ولي عمر جاءه متمّم ، وقال : قد وعدتني بقتله ، فقال : ما كنت

لأُغَيِّرَ شيئاً فعله صاحب رسول الله (١).

ان قالوا قد يعلم من الردّة ما يخفى على عمر؟
قلنا: كيف ذلك؟ وقد أوصاهم: ان أدنوا وأقاموا كفوا عنهم، وكيف يخفى ذلك
والقصّة مشهورة؟ فقد حدّث أبو قتادة: أنّهم أقاموا الصلاة فلم يلتفت خالد اليهم،
وأمر بقتلهم، فحلف لا يسير له تحت لواء، ورجع فأعلم أبا بكر، فقال عمر: قد
وجب عليه القصاص.

قالوا: ذكر خالد لمالك النبي ﷺ فقال: صاحبكم؟ فأوهم أنّه ليس بصاحب
له، فقتله.

قلنا: لو كان ذلك كذلك لما خفي على عمر، ولا عتذر أبو بكر الى عمر بذلك.
وروى صاحب العقد وصاحب الأغاني عن الرياشي: أنّ متمماً خاطب عبد
اللات وخالداً، فقال:

نعم القتيل اذ الرماح تنافجت بين البيوت قتلت باب الأزور
أدعوته بالله ثمّ قتلته لو هو دعاك بدمّة لم يغدر
فاذهب فلا تنفكّ حامل لعنة ما زعزعت ريح غصون العصفر (٢)

ومن ظلمه: منعه فاطمة قرينتين من قرى خيبر، نحلها رسول الله ﷺ بهما، وقد
ادّعتها مع عصمتها في آية التطهير، وأورد في مناقبها: فاطمة بضعة منّي يرييني
مأراها، ومن أغضبها فقد أغضبني، وليس للنبيّ أن يغضب لغضبا الا وهو حقّ،
والألجاز أن يغضب لغضب كلّ مبطل (٣).

وقد نقل ابن بطريق في كتاب عدّة الأخبار من كتب أهل السنّة من فضائلها من

(١) الصراط المستقيم ٢: ٢٨٠ - ٢٨١.

(٢) الصراط المستقيم ٢: ٢٨١ - ٢٨٢.

(٣) الصراط المستقيم ٢: ٢٨٢.

كونها سيّدة نساء العالمين وغيرها من الفضائل اثنين وعشرين حديثاً ، من مسند أحمد بن حنبل حديثين ، وعن صحيح البخاري أربعة أحاديث ، وعن صحيح مسلم تسعة أحاديث ، وعن تفسير الشعلي حديثاً واحداً ، وعن الجمع بين الصحيحين للحميدي حديثاً واحداً ، وعن الجمع بين الصحاح الستة لرزين بن معاوية العبدري خمسة أحاديث (١) .

فكيف يجوز العاقل المؤمن أن تدّعي سيّدة نساء العالمين مع غاية رفعة الشأن بغير الحق ؟

ثمّ انظر الى الشهود ، وقد شهد لها عليّ المعصوم المطهّر بأية التطهير ، وأنّي تارك فيكم الثقلين ، وما ورد فيه من قول النبيّ : عليّ يدور مع الحقّ حيث دار ، وقوله : علي مع الحقّ والحقّ مع عليّ ، وقوله : انه الصديق الأكبر (٢) .

وشهدت أيضاً مع أمير المؤمنين ، المبشّرتان بالجنّة أسماء بنت عميس وأمّ أئمن ، واسمها بركة ، وهي حاضنة النبيّ ﷺ ، وقد كانت تخبر بفضائله قبل ظهور حاله .
على أنّ اثباتها بالبيّنة كان تبرّعاً منها ؛ لأنّها كانت صاحبة اليد ، وليس على من له اليد البيّنة . وقد روى الحُدري والسدي ومجاهد : أنّه لما نزلت آية ﴿ وآت ذالقربىٰ حقّه ﴾ (٣) دفع النبيّ إليها فذك (٤) .

ثمّ لما ردّت بيّنتها طلبت ميراثها من أبيها ؛ لقوله تعالى : ﴿ يوصيكم الله في

(١) العمدة لابن بطريق ص ٣٨٣ - ٣٩٠ .

(٢) تقدّم استخراج هذه الأحاديث وراجع : الصراط المستقيم ٢ : ٢٨٢ .

(٣) الاسراء : ٢٦ .

(٤) شواهد التنزيل ١ : ٣٣٨ ، وينابيع المودّة ص ١١٩ ، والطرائف ص ٢٥٤ ، والصراط

المستقيم ٢ : ٢٨٣ .

أولادكم ﴿ (١) .

وهو محكمة كما قال صاحب التقريب : أنها نسخت المواريث المتقدمة . عارضها برواية تفرد بها ، قال : قال النبي ﷺ : لا نورث ما تركناه صدقة (٢) .

ولا شك للعاقل في تزويرها ، والآن فكيف يخفى عن باب مدينة العلم وسائر أهل البيت وعلماء الصحابة ؟ على أنه قد تواتر عن النبي ﷺ : انّ علياً وصيه ، فكيف يجوز عاقل أن يخفى النبي الحكيم المخالف لكتاب الله عن وصيه ، حتى تدعي ابنته بغير الحق ، ويشهد لها وصيه ؟ مع أن خبر الواحد اذا لم يكن مشهوراً وعارضه القرآن كان مردوداً ؛ لقوله عليه السلام : اذا ورد عني حديث فاعرضوه على كتاب الله فان وافقه فاقبلوه والاّ فردّوه (٣) .

والعجب كلّ العجب أنّها لما قالت لأبي بكر : أنت ورثت رسول الله ؟ قال : لا بل ورثه أهله ، فاذا كان لا يورث فأبي شيء ورث أهله ؟ واذا صحّ هذا بطل ذلك لتناقضها ، وقد أعطى حجرتها من ميراثها وأعطيا بنتيها ميراثها ، فلما ولي عثمان منهما وقال : قد شهدتما بعدم ميراثه ، ولقمتما مالك بن أوس معكما ، فوالله ما أشكّ بعد هذا أنّكما بالباطل شهدتما ، فلعنة الله عليكما وعلى من أجاز شهادتكما ، فولّنا تلعنانه وتقولان : أخذت سلطاننا ومنعتنا مالنا ، فقال : وأبي سلطان لكما ولأبويكما ؟ وقد أخرج ابن قتيبة قولها في جوابه : تركك أهلك ولا نرث رسول الله ؟ وأخرج الترمذي أنّها قالت : من يرثك ؟ قال : أهلي وولدي ، قالت : فإلي لا أرث أبي .

وأخرج البخاري أنّها قالت : أرث أباك ولا أرث أبي ؟ أين أنت من قوله تعالى

(١) النساء : ١١ .

(٢) الصراط المستقيم ٢ : ٢٨٣ .

(٣) الصراط المستقيم ٢ : ٢٨٣ .

﴿ وورث سليمان داود ﴾^(١) وقول زكريّا ﴿ فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب ﴾^(٢) وإذا أُجمع على أنّها أتت بآيتي الميراث في احتجاجها ، ودلّ الدليل على عصمتها ، وجب الجزم بحقّة قولها .

ان قيل : قد يورث غيره من المرسلين ، ولا يورث خاتم النبيّين ؟

قلنا : هذا خلاف اجماع المسلمين ، فإنّ من ورّثهم عمّهم ، ومن منعم عمّهم .

قالوا : المراد بالآيتين ارث العلم والنبوة ؛ اذ لو أريد المال لما اختصّ سليمان دون زوجات أبيه وباقي وارثيه ، وكذا الكلام في يحيى مع أبيه .

قلنا : العلم والنبوة تابعان للمصلحة ، لا مدخل للنسب والتوارث فيها ، وإنّ سليمان أوتي حكماً وعلماً في حياة أبيه ، فلا مدخل للارث فيه . وذكر سليمان في الارث لا يدلّ على اختصاصه به ؛ لعدم دلالة التخصيص بالذكر على التخصيص بالحكم ، والارث حقيقة في المال ، وقصّة زكريّا تدلّ عليه حيث طلب ولداً يحجب بني عمّه عنه وعن الافساد فيه ؛ لأنّهم كانوا فسّاقاً ، والتقدير : خفت الموالي أن يعصوا الله بمالي ، فذهب بهذا ما يتوهّم من نسبة البخل اليه ، والعلم والنبوة لا حجب عنهما بحال ؛ لأنّه بعث لاداعة العلم ، فكيف يخاف من شيء بعث لأجله ؟

ان قيل : لم لا يكون خوفه من مواليه الفسّاق أن يرثوا علمه فيفسدوا الرعيّة به؟

قلنا : هذا العلم ان عني به الصحف ، فلا يسمّى علماً إلاّ مجازاً ، مع أنّه يرجع الى ارث المال ، وان عني به العلم الذي محلّه القلوب ، فهو إمّا شريعة فأتّما بعث لنشرها ، وبنو عمّه من جملة أمّته ، وان عني علم العواقب والحوادث ، فهذا لا يجب الاعلام به فلا خوف لأجله .

ان قيل : أنّما سأل الوليّ خوفاً من اندراس العلم .

(١) النمل : ١٦ .

(٢) مريم : ٦ .

قلنا: قد كان يعلم من حكمة الله أنه لا يندرس العلم لازاحة العلة .

ان قيل : خاف انتقاله الى غير ولده .

قلنا : هذا خوف دنياويّ ، وليس هو ممّا بعثت الأنبياء له ، فجهة خوفهم يحمل

على المضارّ الدينيّة .

ثمّ نرجع ونقول : أنّه اشترط في الولد كونه رضيعاً ، أي : عاملاً بطاعة ربّه ، مصلحاً

لماله ، والنبيّ لا يكون الاّ رضيعاً ، فلا معنى للتقييد بكونه رضيعاً .

ان قلت : يجوز الدعاء بالواقع ، مثل ﴿ ربّ احكم بالحقّ ﴾ ^(١) واجعلنا

مسلمين لك ﴿ ^(٢) .

قلت : كان ذلك تعبّداً وانقطاعاً اليه تعالى فيما يعود الى الداعي بخلاف هذا ، ولهذا

لا يحسن ربّ ابعث نبياً واجعله عاقلاً .

فان قالوا : روي أنّه قال لها : ان كان أبوك يورث ، فخصمك الزوجات وعمك ،

وان كان لا يورث فجميع المسلمين خصمك .

قلنا : فما بال المسلمين لم يكونوا خصم جابر ، حيث قال له النبيّ ﷺ : وعدني

بكذا ، فحثي له من مال البحرين ، كما أخرجه البخاري ، فأعطاه بمجرد دعواه ، وقد

منع فاطمة رضي الله عنها مع عصمتها وبيّنتها .

ان قالوا : فلعلّه علم صدق جابر .

قلنا : من أين له ذلك ؟ مع أنّ البخاري وغيره روى أنّه لا ينبغي للحاكم الحكم

بعلمه لموضع التهمة .

ان قيل : خبر الواحد يخصّ عموم آيات الميراث .

قلنا : القرائن الواضحات دلّت على كذب الخبر ، فلا يجوز التخصيص به ، وان

(١) الأنبياء : ١١٢ .

(٢) البقرة : ١٢٨ .

سَلَّمنا عدم القرائن ، فلا يجوز أيضاً التخصيص به ؛ لأنَّ الخبر ظنيٌّ والكتاب قطعيٌّ ، والظنيُّ لا يعارض القطعي .

ان قالوا : لم تنكر الأُمَّة عليه ، فهو دليل صوابه .

قلنا : يد الخلافة لا تطاؤها يد .

ان قيل : قال عثمان مع كونه خليفة : تطاولت الأيدي اليه ، بما لا خفاء فيه .

قلنا : عثمان كان ضعيفاً في نفسه ، مستخففاً بقدره ، واستأثر بالأموال ، فلم يكن له

من المحبة ما للشيخين .

ان قيل : فانكار نصِّ القرآن أولى من احداث عثمان .

قلنا : اشتبه عليهم أنَّ خبر الواحد يخصُّ القرآن ، فلم يظهر للرعيّة المجددان ،

على أنَّ أكثرها لا تعرف القرآن ولا الحقَّ بالبرهان ، وأما ذلك القليل من أفراد

الانسان (١) .

قال الجاحظ : والعجب أنَّ كلَّ صنف ممّن خالفنا في الميراث يردُّ أحاديث مخالفه

مما هو أصحُّ اسناداً من رواية أبي بكر « لا نورث » فاذا صاروا الى ميراث

النبي ﷺ خصّوا الكتاب بخبر لا يداني بعض ما رووه .

قالوا : قال علي عليه السلام : ما حدّثني أحد بمحدث إلاّ استحلّفته ، ولقد حدّثني أبو بكر

وصدق ، وفي هذا دليل صدقه في لا نورث .

قلنا : هذا كذب عندنا ، وقد روته آحادكم ، فليس حجة علينا ، على أنّه لا يلزم

من صدق أبي بكر في خبر صدقه في كلِّ خبر حتّى يصدّق في لا نورث (٢) .

ومما يدلُّك على عداوة خلفاء المخالفين لرسول الله ﷺ ، أنّه لما تولّى عثمان أقطع

فدكاً عدوّ رسول الله ﷺ وطريده مروان لما زوّجه ابنته ، فكانه أولى من

(١) الصراط المستقيم ٢ : ٢٨٣ - ٢٨٦ .

(٢) الصراط المستقيم ٢ : ٢٨٧ .

فاطمه عليها السلام وأولادها باقطاءها ، وقد قسّم عمر خيبر على أزواج النبي صلى الله عليه وآله لأجل ابنته وابنة صاحبه . أخرجه صاحب جامع الأصول من طريق البخاري ومسلم ^(١) .

وقال السيوطي الشافعي في تاريخ الخلفاء : انّ فدكاً كان بعد ذلك حبة أبي بكر وعمر ، ثمّ أقطعها مروان .

ان قالوا : أبو بكر ما منع كتابياً حقّه فكيف بفاطمة لو كان لها حقّ ؟

قلنا : لم يقع من الشحناء والبغضاء للكتائبين كما وقع لها ولأهلها ، وقد ثبتت بآية التطهير عصمتها ، وأنت ﴿ هل أتى ﴾ على صدق طويّتها ، وما ورد من قول أبيها في حقّها ، ودخولها في العترة المأمون ضلالة من تمسك بها .

فان كان أبوها بحديث « ما تركناه صدقة » أعلمها ، فلا فرية أعظم من ادّعاء أموال المسلمين ، وذلك يناقض ما تقدّم فيها ، وان لم يكن عرفها فقد أغراها على الفتنة والسقوط فيها ، وفي ذلك وجوب النار له وحاشاه له ، لما أخرجه في جامع الأصول عن الترمذي وأبي داود من قوله عليها السلام : انّ الرجل ليعمل بطاعة الله ستين سنة حتّى يحضره الموت ، فيضارّ في الوصيّة ، فيجب له النار . فأيّ ضرر أعظم من كتم ذلك عن وصيّه ووارثه ؟

قالوا : طلبت فدكاً تارة بالنحلة ، وتارة بالارث ، فان وقع ذلك عمداً أو سهواً منها بطل عصمتها .

قلنا : لما أنكر النحلة عدلت الى الميراث الزاماً له بالحجّة ^(٢) .

هذا ما رواه المخالفون في كيفية أمر فدك و أمّا كيفيته على ما رواه رواتنا ، فهي على ما قال صاحب الاستغاثة في مثالب الثلاثة : روى مشايخنا أنّ أمير المؤمنين

(١) الصراط المستقيم ٢ : ٢٨٧ .

(٢) راجع : الصراط المستقيم ٢ : ٢٨٨ .

عليّاً عليه السلام تقدّم الى أبي بكر للشهادة بسبب أمر فرك ، فامتنع عليه من قبول شهادته لفاطمة عليها السلام ، قال : يا أبا بكر أنشدك الله الأصدقتنا عمّا نسألك عنه ، قال : قل ، قال : لو أنّ رجلين احتكما اليك في شيء هو في يد أحدهما دون الآخر ، أكنت تخرجه من يده دون أن يثبت عندك ظلمه ؟ قال : لا ، قال : فمن كنت تسأل ؟ قال : البيّنة للمدّعي وأوجب اليمين على من أنكر ، فإنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال : البيّنة للمدّعي واليمين على من أنكر .

فقال له علي صلوات الله عليه : أفتحكّم فينا بغير ما تحكّم به في المسلمين ؟ قال : وكيف ذاك ؟ قال : لأنّ الذين يزعمون أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال : ما تركناه صدقة ، فهو ممّن له في هذه الصدقة نصيب ، وأنت قد تجيز شهادة الشريك لشريكه ، وتركه رسول الله صلّى الله عليه وآله على حكم الاسلام في يد ورثته الى أن تقوم البيّنة العادلة بأنّه لغيره ، فعلى من ادّعى ذلك علينا اقامة البيّنة العادلة ممّن لا نصيب له فيها يشهد عليه ، وعلى ورثة رسول الله صلّى الله عليه وآله اليمين فيما ينكرونه ، فمن فعل ذلك فقد خالف نبينا وترك حكم الله تعالى وحكم رسوله ؛ اذ قبلت شهادة الشريك في الصدقة علينا ، وطالبتنا باقامة البيّنة على ما ننكره ممّا ادّعوه علينا ، فهل هذا الاّ ظلم وتحامل .

ثمّ قال : يا أبا بكر أرايت ان شهد عندك شهود من المسلمين المعدّين عندك على فاطمة بفاحشة ما كنت صانعاً ؟ فقال : كنت والله العظيم أقيم عليها حدود الله ولا يأخذني في الله لومة ، قال له علي عليه السلام : اذاً والله كنت تخرج من دين الله ودين رسوله ، قال : فلم ؟ قال : لأنك تكذب الله وتردّ قوله ﴿ انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾ فقلت أقبل شهادة من يشهد عليها بالرجس ، وترك شهادة الله عزّوجلّ لها بالنبي لمدّعيها ، فلما لم يجد جواباً قام من

المجلس وترك علياً عليه السلام فيه ، وانصرف علي عليه السلام عنه (١) .

ومما يدل على أن أبا بكر كان ظالماً في أمر ميراث رسول الله صلى الله عليه وآله ، أنه ترك بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسيفه وعباءته عند أمير المؤمنين عليه السلام ، فناقض فعله قوله ، ولو كان في الواقع ما ترك رسول الله صلى الله عليه وآله صدقة ، لما حلت لعلي عليه السلام ولكان الواجب على أبي بكر انتزاعها من علي عليه السلام .

ومن نقل هذا ابن حجر من متأخري علماء أهل السنة في كتابه ، قال : ان العباس رافع علياً الى أبي بكر في مطالبته بالميراث عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، من الدرع والبغلة والسيف والعباءة ، وزعم أنه عم رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأنه أولى بتركة الرسول من ابن العم ، فحكم أبو بكر بها لعلي عليه السلام .

ومما يدل على أن علياً عليه السلام الذي لا يفارق الحق ولا يفارقه الحق ، كان يعتقد أن أبا بكر وعمر كانا ظالمين ، وتقدم في الفاتحة نقلاً عن البخاري ومسلم من حكاية ارتفاع علي عليه السلام والعباس الى عمر ، قال عمر : فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال أبو بكر : أنا ولي رسول الله صلى الله عليه وآله ، فجنمنا تطلب أنت ميراثك من ابن أخيك ، ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها ، فقال أبو بكر : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : نحن معاشر الأنبياء لا نورث فما تركناه صدقة ، فرأيتاه كاذباً آثماً غادراً خائناً ، والله يعلم أنه لصادق بار راشد تابع للحق ، ثم توفي أبو بكر ، وأنا ولي رسول الله صلى الله عليه وآله ، وولي أبي بكر ، فرأيتاني كاذباً غادراً خائناً ، والله يعلم اني لصادق بار راشد تابع للحق ، فوليتها ، ثم جئتني أنت وهذا ، وأنتما جميع وأمركما واحد ، فقلتما ادفعها إلينا الى آخر الحكاية (٢) .

(١) الاستغاثة في بدع الثلاثة ص ١٢ لأبي القاسم علي بن أحمد الكوفي المتوفى سنة ٣٥٢ .

(٢) صحيح مسلم ٣ : ١٣٧٨ ، وصحيح البخاري ٨ : ١٤٦ - ١٤٧ .

حكاية لطيفة :

قال ابن أبي الحديد في شرحه على نهج البلاغة : دخلت على علي بن الفارقي مدرس المدرسة الغربية ببغداد ، فقلت له : أكانت فاطمة صادقة ؟ قال : نعم ، قلت : فلم لا يدفع إليها أبو بكر فذك وهي عنده صادقة ؟ فتبسّم ، ثم قال كلاماً لطيفاً مستحسنًا مع ناموسه وتذمّه (١) وقلة دعابته ، قال : لو أعطها اليوم فذك بمجرد دعواها ، لجمأت إليه غداً وأدعت لزوجها الخلافة ، وزحزحته عن مقامه ، ولم يمكنه الاعتذار والمدافعة (٢) بشيء ، لأنه يكون قد أسجل على نفسه أنها صادقة فيما تدعي كائناً ما كان من غير حاجة الى بيّنة وشهود ، هذا كلام صحيح وان كان أخرجه مخرج الدعابة والهزل (٣) .

أنظر أيها اللبيب الى هذين الرجلين كيف أنطقها الله بالحقّ ، وشهدا بظلم امامهما تسخيراً من الله سبحانه ، ولا يخفى أنّ غضب الشيخين حقّ فاطمة عليها السلام وايدائهما لها في منع الإرث ، واحضار النار لاحراق الدار عليها وعلى من فيها - على ما بيّناه في الفاتحة - دليل صريح وبرهان واضح على استحقاقها اللعن والعذاب .

لأنّه في البخاري : من أغضبها فقد أغضبني (٤) ، وفي مسلم : يريني ماراهاها ويؤذيني ما آذاها (٥) ورووا جميعاً أنّه عليها السلام قال : انّ الله يغضب لغضبها وما في معناها من الأحاديث (٦) ، وقد تقدّم في الدليل السادس والعشرين ، وقد قال الله

(١) في الشرح : وحرمنه .

(٢) في الشرح : والواقفة .

(٣) شرح نهج البلاغة ١٦ : ٢٨٤ .

(٤) صحيح البخاري ٤ : ٢١٩ .

(٥) صحيح مسلم ٤ : ١٩٠٢ .

(٦) راجع : احقاق الحق ١٠ : ١١٦ - ١٢٢ .

تعالى : ﴿ ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة ﴾ (١) .

ومما يدلّ على أنّها عليها السلام ماتت وهي غاضبة عليها ، غائظة لها ، ما ذكره البخاري في الجزء الخامس من الصحيح ، باسناده عن عروة ، عن عائشة : أنّ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أرسلت الى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ممّا أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر ، فقال أبو بكر : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة ، أمّا يأكل آل محمد من هذا المال ، وإنّي والله لا أُغَيِّرُ شيئاً من صدقة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولأعملنّ فيها بما عمل به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

فأبي أبو بكر أن يدفع لفاطمة منها شيئاً ، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك ، فهجرته ، فلم تكلمه حتّى توفّيت ، وعاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ستة أشهر ، فلمّا توفّيت ، دفنها زوجها عليّ ليلاً ، ولم يؤذن بها أبو بكر ، وصلى عليها عليّ (٢) .

وفي الجزء الثالث من صحيح مسلم من أجزاء ستّة ، باسناده عن عروة بن الزبير ، عن عائشة هذا الخبر بعينه من غير اختلاف (٣) .

وما أسنده عيسى بن مهران الى ابن عباس : أنّها أوصت أن لا يعلمها بدفنها ، ولا يصلّيان عليها ، رواه الواقدي وغيره ، والويل ثمّ الويل لمن آذاها وأغضبها وغضب حقّها ، ومن أحبّ مبغضها وغاصبي حقّها .

ثمّ اعلم أنّ ظهور صدق فاطمة وكذب أبي بكر ، ردّ جماعة من الخلفاء فدك على أولاد فاطمة عليها السلام ذكر أبو هلال العسكري في كتاب الأوائل : أنّ أوّل من ردّ فدكاً على ورثة فاطمة عليها السلام عمر بن عبد العزيز ، وكان معاوية أقطعها مروان بن الحكم

(١) الأحزاب : ٥٧ .

(٢) صحيح البخاري ٥ : ١٧٧ ، والطرائف ص ٢٥٧ - ٢٥٨ .

(٣) صحيح مسلم ٣ : ١٣٨٠ ، والطرائف ص ٢٥٨ .

وعمر بن عثمان ويزيد بن معاوية ، وجعلها بينهم أثلاثاً ، ثم قبضت من ورثة فاطمة عليها السلام ، فردّها السّفاح عليهم ، ثم قبضت فردّها عليهم المهدي الخليفة ، ثم قبضت ، فردّها عليهم المأمون .

ونقل عن غيره أنّها قبضت عنهم ، فردّها عليهم الواثق ، ثم قبضت فردّها عليهم المستعين ، ثم قبضت ، فردّها عليهم المعتضد ، ثم قبضت ، فردّها عليهم الراضي ^(١) . ونقل أنّ المأمون أحضر مائتي رجل من علماء الحجاز والعراق وغيرهم ، ويؤكد عليهم في أداء الأمانة واتباع الصدق ، ثم أثبت عليهم ظلم أبي بكر ، وكتب رسالة تقرأ في الموسم على رؤوس الأشهاد ، وجعل فذك والعوالي في يد محمد بن يحيى بن الحسين يعمرها ويستعملها ، ويقسم دخلها بين ورثة فاطمة عليها السلام ^(٢) .

حكاية لطيفة :

نقل عن القاضي أحمد الغفاري القزويني في كتاب نكارشان ، عند ذكر آل بويه الذين يدعون بالديالة أيضاً : أنّ معزّ الدولة بن بويه لما فرغ من تسخير ممالك خوزستان ، توجه الى بغداد في شهور سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة ، فوضّ المستكفي العباسي زمام مهام الأنام طوعاً وكرهاً الى قبضة اختياره ، فأسس أساس العدل والسادد في دار السلام ببغداد ، وبالغ في قمع أهل العناد ، وأمر في تلك الأيام أن يكتبوا على أبواب مساجد دار السلام هذه الأرقام : لعنة الله على معاوية بن أبي سفيان ومن غصب حقّ فاطمة عليها السلام فذكاً ، ومن منع أن يدفن الحسن عليه السلام عند قبر جدّه صلى الله عليه وآله ، ومن نفى أبأذرّ الغفاري ، ومن أخرج العباس من الشورى .

فبادر عوام دار السلام الى اظهار التعصّبات ، فاستصوب بعض من قصد اطفاء نائرة الفتنة ، ابقاء اسم معاوية ، وأن يكتب بدل سائر الكلمات : لعن الله الظالمين لآل

(١) الطرائف ص ٢٥٢ - ٢٥٣ .

(٢) الطرائف ص ٢٤٨ - ٢٥٠ .

محمد .

ومن ظلمه : حنثه في يمينه ؛ لأنه تقدّم أنفاً عن البخاري ومسلم أنه لما بعثت فاطمة تطلب ارثها وحقّها من فذك ومن خمس خيبر ، فلم يعطها شيئاً ، وأقسم لا يغيّر شيئاً من صدقات رسول الله ﷺ ، وقد غيّر ذلك وحنث في يمينه ؛ لأنه في الجمع بين الصحيحين في الحديث الثالث : أنّ النبي ﷺ ما كان يعطي بني نوفل وبني عبد شمس من خمس خيبر شيئاً ، وكان أبو بكر يقسم نحو قسم النبي ﷺ ، غير أنه ما كان يعطي قرابة النبي كما كان النبي يعطيهم (١) .

ومن ظلمه : أنه كان يسمّى خليفة رسول الله ، وينفذ كتبه بذلك الى البلاد ، مع أنه كان خليفة عمر ؛ لأنّ بيعته صارت سبب خلافته ؛ لأنه لم يكن نصّ من الرسول ﷺ ، وقد قدّمنا عدّة أخبار عن طردهم واضحة الدلالة على عدم النصّ . ومن جملة ما يدلّ عليه ما رواه الطبري في تاريخه ، والبلاذري في أنساب الأشراف ، والسمعاني في الفضائل ، وأبو عبيدة ، أنه قال على المنبر : أقيلوني ، فليست بخيركم وعليّ فيكم (٢) .

لأنّه لو كان منصوباً عليه لم يكن جائزاً له أن يستقيل وسبب الاستقالة ما روي عن أبان بن عثمان ، عن ابن عباس : أنّ عليّاً احتجّ عليه بمناقبه ، فنام فرأى النبي ﷺ في منامه ، فسلم ، فأعرض النبي عنه بوجهه ، وأمره أن يردّ الحقّ الى أهله ، فصعد المنبر ، وبدأ في تفسير منامه ، فقام الثاني : وقال : مادهاك ؟ والله لا أقلناك فردّ عزمه .

ومن ظلمه : تخلفه عن جيش أسامة ، مع تكرير النبي ﷺ الأمر بتجهيزه ، ولعنه المتخلف عنه .

(١) صحيح البخاري ٤ : ١٥٥ ، والطرائف ص ٢٦٠ - ٢٦١ ، والصرط المستقيم ٢ : ٢٩٤ .

(٢) الصراط المستقيم ٢ : ٢٩٤ .

فقد أخرج الطبري في المسترشد : أنّ جماعة من الصحابة كرهوا تأمير أسامة ، فبلغ النبي ﷺ ذلك ، فخطب وأوصى به ، ثم دخل بيته وجاء المسلمون يودّعون ويلحقون بأسامة ، وفيهم أبو بكر وعمر ، والنبي يقول : أنفذوا جيش أسامة ، فلما بلغ الجرف ، بعث أم أسامة إليه ، وهي أمّ أئمن ، أنّ النبي يموت ، فاضطرب القوم ، وامتنعوا عليه ، ولم ينفذوا لأمر رسول الله ﷺ ، ثمّ بايعوا لأبي بكر قبل دفنه ، فادّعى القوم أنّ أبا بكر لم يكن في جيش أسامة .

فحدّث الواقدي عن ابن أبي زياد ^(١) ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : كان فيهم أبو بكر . وحدّث أيضاً مثله عن محمّد بن عبد الله . وذكره البلاذري في تاريخه ، وأبو بكر الجوهري في كتاب السقيفة ، والزهري ، وهلال بن عامر ، ومحمّد بن اسحاق ، وجابر عن الباقر ، ومحمّد بن أسامة عن أبيه .

ونقل أنّها كانا في حال خلافتها يسلمان على أسامة بالإمرة .

وفي كتاب العقد : اختصم أسامة وابن عثمان في حائط ، فافتخر ابن عثمان ، فقال أسامة : أنا أمير على أبيك وصاحبيه ، فأبى تفاخر ، ولما بعث أبو بكر الى أسامة : أنّه خليفة ، فقال : أنا ومن معي ما وليناك أمرنا ، ولم يعزلني رسول الله عنكما ، وأنت وصاحبك بغير اذني رجعتما ، وما خفي على النبيّ موضعكما ، وقد ولّاني عليكما ، ولم يولّكما .

فهمّ الأوّل أن يخلع نفسه ، فنهاه الثاني ، فرجع أسامة ووقف بباب المسجد ، وصاح : يا معشر المسلمين عجبا لرجل استعملني عليه رسول الله فتأمّر عليّ وعزلني . ولو فرض أنّها لم يكونا فيه أليس قد عطّلاه بعدم تنفيذه ، وعصيا أمر النبيّ بتنفيذه .

(١) في الصراط : ابن أبي الزناد .

وقد نظم حكاية امارة أسامة على الشيخين جماعة من الشعراء ، منهم : السيّد الحميري والعمري والجزري وابن الحجّاج (١).

ومن عجيب الأمور ما نقل عن أبي هاشم شيخ المعتزلة ، أنه قال في كتابه الذي سمّاه الجامع : فان قيل : أفيجوز أن يخالف النبي ﷺ فيما يأمر به ؟

قيل له : أمّا ما كان من ذلك من طريق الوحي ، فليس يجوز مخالفته على وجه من الوجوه ، وأمّا ما كان من ذلك على طريق الرأي ، فسيبيله فيه سبيل الأمة من أنه لا يجوز أن يخالف في ذلك في حال حياته ، وأمّا بعد وفاته فقد يجوز أن يخالف ، يدلك على ذلك أنه قد أمر أسامة أن يخرج بأصحابه في الوجه الذي بعث فيهم ، فأقام أسامة عليه ، وقال : لم أكن لإسأل عنك الركب ، ثمّ إن أبابكر استرجع عمر وقد كان في أصحابه ، ولو كان ذلك بوحي لم يكن لأسامة أن يقيم ويقول : لم أكن لأسأل عنك الركب ، ولا كان لأبي بكر استرجاع عمر انتهى .

أنظر أيها اللبيب الى هؤلاء القوم كيف يتركون الآيات المحكمات ويأولونها بقول أسامة وفعل أبي بكر وعمر ، وقال الله تعالى ﴿ وما ينطق عن الهوى ﴾ ان هو الاّ وحي يوحى ﴿ (٢) وقال الله تعالى ﴿ ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ (٣) وقال عزّ وجلّ ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ﴾ (٤) وغيرها من الآيات ، فكيف يجوز أن يكون تدبير الجيوش بغير أمر الله تعالى ووحيه ، وهو يشتمل على سفك الدماء ، وتملك الأنفس والأموال وغير ذلك ، وان كان خلافه جائزاً فكيف لعن المتخلف ؟

(١) الصراط المستقيم ٢ : ٢٩٦ - ٢٩٧ .

(٢) النجم : ٣ - ٤ .

(٣) الحشر : ٧ .

(٤) النساء : ٥٩ .

ويلزم من قول هذا الرجل المقيّد بقيد التقليد جواز مخالفة الرسول ﷺ في حياته أيضاً؛ لأنّ أسامة قال: لم أكن لأسأل عنك الركب حين حياته، أعوذ بالله من هذه العقيدة.

ومّا يدلّ على أنّ أبابكر وعمر كانا ممّن تخلّف عن جيش أسامة، واستحقّقا اللعن بالتخلّف ما نقله ابن أبي الحديد في الجزء السادس من شرحه، قال: قال أبو بكر: وحدّثنا أحمد بن اسحاق بن صالح، عن أحمد بن سائر، عن سعيد بن كثير الأنصاري، عن عبد الله بن عبد الرحمن، أنّ رسول الله ﷺ في مرض موته أمر أسامة بن زيد بن حارثة على جيش فيه جلة المهاجرين والأنصار، منهم: أبو بكر، وعمر، وأبو عبيدة بن الجراح، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة، والزبير، وأمره أن يغير على مؤتة حيث قتل أبوه زيد، وأن يغزو وادي فلسطين.

فتناقل أسامة وتناقل الجيش بتناقله، وجعل رسول الله ﷺ في مرضه يثقل ويخفّ، ويؤكد القول في تنفيذ ذلك البعث، حتّى قال له أسامة: بأبي أنت وأمي أتأذن لي أن أمكث أياماً حتّى يشفيك الله تعالى، فقال: أخرج وسر على بركة الله تعالى، فقال: يا رسول الله انّي ان خرجت وأنت على هذه الحال، خرجت وفي قلبي قرحة منك، فقال: سر على النصر والعافية، فقال: يا رسول الله انّي أكره أن أسأل عنك الركبان، فقال: انفذ لما أمرت به، ثمّ أغمي على رسول الله ﷺ، وقام أسامة فتجهّز للخروج.

فلما أفات رسول الله ﷺ سأل عن أسامة والبعث، فأخبر أنّهم يتجهّزون، فجعل يقول: أنفذوا بعث أسامة، لعن الله من تخلّف عنه ويكرّر ذلك، فخرج أسامة واللواء على رأسه والصحابة بين يديه حتّى اذا كان بالجرف نزل ومعه أبو بكر وعمر وأكثر المهاجرين، ومن الأنصار أسيد بن حضير وبشر بن سعد وغيرهم من الوجوه، فجاءه رسول أمّ أيمن يقول له: أدخل فإنّ رسول الله ﷺ يموت، فقام من

فوره فدخل المدينة واللواء معه ، فجاء به حتى ركزه بباب رسول الله ﷺ ورسول الله قد مات في تلك الساعة .

قال : فما كان أبوبكر وعمر يخاطبان أسامة الى أن ماتا إلا بالأمير (١) .

ومن ظلمه : عزل أسامة الأمير المنسوب من قبل الرسول عن الامارة .

ومن ظلمه : منعه عمر عن النفوذ مع الجيش .

ومن ظلمه : كشف بيت فاطمة عليها السلام وانفاذه عمر ليحرق بيتها ، ويحضر أمير

المؤمنين عليها السلام الذي حبّه ايمان وبغضه كفر ونفاق للبيعة قهراً من غير اختيار .

ومما يدلّ على ظلمه وعدم لياقته للخلافة قول عمر : كانت بيعة أبي بكر فلتة وقي

الله المسلمين شرّها ، فمن عاد الى مثلها فاقتلوه (٢) .

ووجه الدلالة : أنه لو كان عادلاً قابلاً للخلافة لما صحّ من عمر أن يعدّ بيعته شراً ،

ويقتل بقتل من عاد الى مثلها .

ومما يدلّ أيضاً على ظلمه : ما اتفق على نقله أهل السير ، أنه قال فوق المنبر : انّ

لي شيطاناً يعتريني ، فان استقمّت فأعينوني ، وان زغت فقوموني . وممن نقله

الطبري (٣) .

ووجه الدلالة : أن من يكون له شيطاناً يعتريه ، ويحتاج الى من يقومه ويسدّده ،

لا يصلح للخلافة العامّة ، ولا ينفك عن الظلم .

ومن ظلمه وبدعه : أنه تكلم في الصلاة قبل السلام ، وقال : لا يفعلنّ خالد ما

أمرته به ، ونقل عن جماعة من فقهاء العامّة أنّهم احتجّوا بذلك وجوّزوا التكلّم بعد

التشهد وقبل التسليم ، ولا يخفى أنّ هذه بدعة مقترنة بالكفر ؛ لما رواه مشايخنا عن

(١) شرح نهج البلاغة ٦ : ٥٢ .

(٢) صحيح البخاري ٤ : ١٧٩ باب رجم الحبلى ، والصراط المستقيم ٢ : ٣٠٢ .

(٣) تاريخ الطبري ٣ : ٣١٠ ، والصراط المستقيم ٢ : ٣٠٠ .

أُتْمِنَّا عَلَيْهِ ﷺ، فَانْتَهَم قَالُوا: إِنَّ أَبَابُكْرَ كَانَ قَدْ أَمَرَ خَالِدًا بِقَتْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ ﷺ إِذَا هُوَ سَلَّمَ عَنْ صَلَاةِ الْفَجْرِ، فَلَمَّا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ نَدِمَ عَلَى ذَلِكَ، وَخَشِيَ أَنْ يَسْبِيحَ عَلَيْهِ فِتْنَةً لَا يَقُومُ بِهَا، فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَسَلَّمَ: لَا يَفْعَلَنَّ خَالِدًا مَا أَمَرْتَهُ بِهِ.

وَمَا يَشْهَدُ بِصِحَّةِ هَذَا الْخَبَرِ: أَنَا إِذَا سَأَلْنَا الْمُخَالَفِينَ عَنْ سَبَبِ كَلَامِ أَبِي بَكْرٍ قَبْلَ السَّلَامِ، لَمْ يَعْرِفُوهُ وَكَانُوا فِي الْجَوَابِ صَمًّا وَبِكْمًا وَعَمِيًّا.

وَمَنْ ظَلَمَهُ وَبَدَعَهُ: أَنَّهُ أَوْصَى عِنْدَ وَفَاتِهِ أَنْ يَدْفَنَ عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَيْتِهِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ الْبَيْتَ لَا يَخْلُو: أَنْ يَكُونَ فِي جَمَلَةِ تَرَكَاتِهِ الْمُرُوثَةِ، أَوْ يَكُونَ صَدَقَةً، أَوْ يَكُونَ اسْتِخْلَافَهُ النَّبِيِّ ﷺ لِنَفْسِهِ خَاصَّةً دُونَ وَرَثَتِهِ، لَا حَكْمَ لِأَحَدٍ فِيهِ وَلَا حَقًّا، وَعَلَى كُلِّ تَقْدِيرٍ يَلْزَمُ ظَلْمَهُ.

أَمَّا عَلَى التَّقْدِيرِ الْأَوَّلِ، فَلِأَنَّ الْأَمْرَ بِالدَّفْنِ مِنْ غَيْرِ إِذْنِ الْوَارِثِ ظَلَمٌ، فَانْ أَدْعَى مَدَّعٍ بِأَنَّهُ دَفِنَ فِي حِصَّةِ عَائِشَةَ مِنْ مِيرَاثِهَا، قَلْنَا: الرَّسُولُ ﷺ مَاتَ عَنْ تِسْعِ نِسَاءٍ، وَالثَّمَنُ يَنْقَسِمُ بَيْنَ الْكُلِّ، فَحِصَّتُهَا لَا تَكُونُ يَبْلُغُهَا مَفْحَصُ قِطَاةٍ، مَعَ أَنَّهُ مَا كَانَ مَقْسُومًا.

وَأَمَّا عَلَى التَّقْدِيرِ الثَّانِي، فَلِأَنَّ صَدَقَةَ الرَّسُولِ ﷺ لَيْسَتْ لِوَاحِدٍ دُونَ الْآخَرَ، فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَقْبِضَهُ ^(١) مِنْ غَيْرِ رِضَا الْمُسْلِمِينَ.

وَعَلَى التَّقْدِيرِ الثَّلَاثِ، فَلِأَنَّهُ حَيْثُ لَا يَجُوزُ دُخُولُ غَيْرِهِ فِيهِ؛ لِإِخْتِصَاصِهِ بِهِ ﷺ وَلِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ ^(٢).

وَمَنْ ظَلَمَهُ وَظَلَمَ عَمْرٍ: مَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ أَهْلُ النُّقْلِ مِنْ فِرَارِهَا مِنَ الزَّحْفِ، مِثْلَ فِرَارِهَا يَوْمَ أُحُدٍ، وَفِرَارِهَا حِينَ بَعَثَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى بِلَادِ طَيْبِ التِّي تَسْمَى غَزَاةَ ذَاتِ السَّلَاسِلِ، وَمِثْلَ فِرَارِهَا يَوْمَ حَنْيْنٍ، وَمِثْلَ فِرَارِهَا يَوْمَ خَيْبَرَ، وَقَدْ

(١) فِي «ق»: يَغْصِبُهُ.

(٢) الْأَحْزَابُ: ٥٣.

تقدّم الأحاديث الواردة في خير الدالة على فرارهما .

وقد أشار النبي ﷺ في تلك الأحاديث بعدم إيمانها ، حيث قال بعد ما أعطى الراية أبابكر وعمر ورجعا فارّين : لأعطينّ الراية رجلاً يحبّ الله ورسوله ، ويحبّه الله ورسوله ، كزار غير فرار ، ولا شك أنّ أهل البصيرة يفهمون من توصيف البشر باعطاء الراية بهذه الأوصاف ، انتفاؤها عنّ أعطى الراية قبله ، والآلزم أن يكون التوصيف من غير فائدة .

ومّا يدلّ على ظلم أبي بكر وعدم لياقته للخلافة : كلماته عند خروجه من الدنيا . قال الغزالي في الاحياء : عن زيد بن أسلم قال : دخل الثاني على الأوّل وهو يجيل لسانه ، وفي موضع آخر يبضض بلسانه ، فقال : هذا الذي أوردني الموارد . وفي نفيس الكرايسي ، وزهرة البستي ، ومواعظ الكرامي : أنّ أبابكر قال عند موته : ياليتني كنت طيراً في القفار ، آكل من الثمار ، وأشرب من الأنهار ، وأوي الى الأشجار ، ولم أوّل على الناس ، فدخل عليه الثاني فقال : هذا الذي أوردني الموارد^(١) .

وقال في الصراط المستقيم : قد اشتهر أنّه قال : ياليتني كنت تبنة في لبنة ، أو شعرة في صدر مؤمن . وقال : حدّث الحسين بن كثير عن أبيه ، قال : دخل محمّد بن أبي بكر على أبيه وهو يتلو^(٢) ، فقال : ما حالك ؟ قال : مظلمة ابن أبي طالب ، فلو استحللتني لي ، فقال لعلي عليه السلام في ذلك ، فقال : قل ائت المنبر وأخبر الناس بظلامتي ، فبلّغه ، فقال : ما أراد أن يصليّ على أبيك اثنان^(٣) .

ونقل هذه الحكاية في كامل البهائي ، عن أبي غسان مالك بن اسماعيل مع أدنى

(١) الصراط المستقيم ٢ : ٢٩٩ .

(٢) في الصراط : يتلو شيئاً .

(٣) الصراط المستقيم للبيضاوي ٢ : ٢٩٩ - ٣٠٠ .

تغيير ، ثم نقل أنّ عليّاً عليه السلام سأل يوماً محمّداً : ما قال أبوك عند موته ؟ قال محمّد : كان يقرأ هذه الآية ﴿ وجاءت سكرة الموت بالحقّ ذلك ما كنت منه تحيد ﴾ (١) وقال عمر : احذر يا بنيّ أن يسمع منك ابن أبي طالب ما قاله أبوك ، فيشمت بنا . وفي الصراط المستقيم : قال محمّد : كنت عند أبي أنا وعمر وعائشة وأخي ، فدعا بالويل ثلاثاً وقال : هذا رسول الله يبشّرني بالنار ، وييده الصحيفة التي تعاقدنا عليها ، فخرجوا دوني ، وقالوا : يهجر ، فقلت : تهذي ، قال : لا والله لعن الله ابن صهّاك ، فهو الذي صدّني عن الذكر بعد اذ جاءني ، فما زال يدعو بالثبور حتّى غمّضته ، ثمّ أوصاني لا أتكلّم حذراً من الشماتة (٢) .

وروى الواقدي أنّه قال : قد علمت أنّي داخل النار أو واردها ، فليت شعري هل أخرج منها أم لا ؟ (٣) .

وذكر أهل التواريخ أنّه قال في مرضه : ليتني كنت تركت بيت فاطمة لم أكشفه ، وهو توبة عند معاينة العذاب فلا تنفعه ، لقوله تعالى ﴿ انّي تبت الآن ﴾ (٤) وقال : ليتني في ظلّة بني ساعدة ضربت يدي على يد أحد الرجلين ، فكان هو الأمير وكنّت الوزير (٥) .

ووجه دلالته على ظلمه في الخلافة : أنّها لو كانت حقّاً له لما كان يتمنّى خلفه .

(١) ق : ١٩ .

(٢) الصراط المستقيم ٢ : ٣٠٠ .

(٣) الصراط المستقيم ٢ : ٢٩٦ . وأقول : هيئات أن يخرج منها حتّى يلج الجمل في سمّ الحيايط .

(٤) النساء : ١٨ .

(٥) الصراط المستقيم ٢ : ٣٠١ .

تذنيب

في ذكر نسب أبي بكر وبيان دناءته وخساسته

في كتاب مشارق الأنوار نقلاً عن كتاب الملل والنحل وعن النسائيين : أن أباقحافة كان أجيراً لليهود يعلم لهم أولادهم ، فاشتهر عنه أنه كان يلوطهم ، فطرده ، فاستأجره ابن جذعان ينادي له الأضياف بأعلى صوته ، ويوقد النيران ، فاتفق ذات ليلة شتوية ذات مطر ، قلم تتقد النار في الحطب ، فسحوا الحطب بالسمن ، فجمد على الحطب ، فكان يقحفه ، فبلغ الخبر الى ابن جذعان ، فأنف من ذلك فطرده ، فسمي من أجل ذلك أباقحافة لقحفه السمن .

وفي كامل البهائي نقلاً عن أهل التواريخ : أن أباقحافة في قريش كان مشهوراً باللواط ، وكان ينادي فوق سطح ابن جذعان ، ويأخذ الأجرة درهماً مع ما يفضل في الأواني من الطعام ، وكان صياداً ، وكان له شريك اسمه سعيد ، فذهب ما في دار شريكه ولم يخل له فيها شيئاً ، فسموه أباقحافة ، يقال : اقتحف اقتحافاً ، أي : شرب شرباً شديداً جميع ما في الاناء من الماء وغيره .

وفي كتاب مشارق الأنوار نقلاً عن صاحب الملل والنحل والنسائيين : وأما أبابكر فإنه كان لقبه عبد اللات ، وكان يخدمها ، وكان عاكفاً على عبادتها والسجود لها أربعين سنة ، وكان خياطاً ، فأظهر الاسلام ، فسماه رسول الله ﷺ عبد الله ، وكان اسمه في الجاهلية عتيقاً ؛ لأنه كان قديم الهجرة في خدمة الأصنام ، وكان يطلها بالدهن ويطلي بفصيلتها حتى اسودّ فسمي عتيقاً .

واسم أبيه عامر بن عمير بن كعب بن سعيد بن تيم اللات ، وتيم دعي لمرة فتيبناه ، وكان اسمه في صغره حبر ، والحبر لغة القصير الغليظ .

وأمه سلمى من ذوات الأعلام في مكة ، وكانت لها راية في الأبطح ؛ لأن العرب كانوا يأنفون من أن تنازلهم البغايا ، فكانوا يبعدونها عن قرب منازلهم ، وكان

رايتها حمراء تدلّ على فجورها وعهرها .

وقد تعجّب منه أبوه يوم بويع للخلافة ، وقال له : كيف ارتضتكَ الناس يا بنيّ مع خمول بيتك ، وانحطاط منزلتك ، لا بقديم سابقة في فخر ، ولا بعلم ، ولا بشجاعة ، ولا بكرم ، ولا بعبادة ، مع حضور بني هاشم ، الأنوف الذين تسبق انافهم الى الماء قبل الشرب ، فقال : ارتضوني لكبر سنيّ ، فقال : أنا أكبر منك سنّاً^(١) .
 فيا أهل الاسلام فمن كان هذا أصله كيف يرجى صلاحه ويصلح للرئاسة العامّة في أمور الدين والدنيا .

الدليل الثامن والثلاثون

[بطلان امامة ثاني خلفائهم]

انّ عمر ثاني خلفائهم كان ظالماً فاسقاً لا يستحقّ الخلافة ؛ لقوله تعالى ﴿ لا ينال عهدي الظالمين ﴾^(٢) ولقوله تعالى ﴿ ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسّكم النار ﴾^(٣) ولقوله تعالى ﴿ ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ﴾^(٤) فاذا بطل امامة عمر بطل امامة أخويه ، وتتمّة الدليل على نحو ما ذكرناه في الدليل السابع والثلاثون ، ووجوه ظلمه وفسقه كثيرة :

منها : أنّه أعان أبابكر على غضب فذك ، وقد تقدّم تفصيله .

ومنها : أنّه أوصى أن يدفن في بيت الرسول كما أوصى أخوه أبو بكر .

وأيضاً قد دلّ على ائمه وفسقه وغدره ، ما قدّمناه من حكاية ارتفاع علي

(١) راجع بحار الأنوار ٨ : ٢٧٢ - ٢٧٣ الطبع الحجري .

(٢) البقرة : ١٢٤ .

(٣) هود : ١١٣ .

(٤) الحجرات : ٦ .

والعبّاس الى عمر ، وتخلّفه عن جيش أسامة .

ومنها : أنّه خالف النبي ﷺ عند احتضاره ، وحال بينه وبين أن يكتب الوصيّة ، ونسبه الى الهجرة والهذيان .

قال الحميدي في الجمع بين الصحيحين ، في الحديث الرابع من المتّفق على صحّته ، من مسند عبد الله بن العبّاس ، قال : لما احتضر النبي ﷺ وفي بيته رجال فيهم عمر بن الخطّاب ، فقال ﷺ : هلمّوا أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعدي أبداً ، فقال عمر بن الخطّاب : أنّه قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن حسبكم كتاب الله .

وفي رواية ابن عمر من غير كتاب الحميدي ، قال : إنّ الرجل لهجر ، وفي كتاب الحميدي : ما شأنه يهجر (١) .

وفي المجلّد الثاني من صحيح مسلم ، فقال عمر : إنّ رسول الله للهجر (٢) .

قال الحميدي : فاختلف الحاضرون عند النبي ﷺ ، فبعضهم يقول : القول ما قاله النبي ﷺ فقرّبوا له كتاباً يكتب لكم ، ومنهم من يقول : القول ما قاله عمر ، فلمّا كثّر اللغظ والاختلاف ، قال النبي ﷺ : قوموا عنيّ ولا ينبغي عندي التنازع .

فكان عبد الله بن عبّاس يبكي حتّى ابتلّ دموعه الحصى ويقول : يوم الخميس وما يوم الخميس ، فقال راوي الحديث : فقلت : با بن عبّاس وما يوم الخميس ؟ فذكر عبد الله بن عبّاس أنّه يوم منع رسول الله ﷺ عن ذلك الكتاب ، وكان ابن عبّاس يقول : الرزيّة كلّ الرزيّة ما حال بين رسول الله ﷺ وبين كتابه (٣) .

أقول : لقد صدق ابن عبّاس ، والله لو لبس المسلمون السواد ، وأقاموا المآتم ، وبلغوا أعظم الحزن لأجل ما فعل عمر بن الخطّاب ، لكان قليلاً . ولو بلغوا عداوة

(١) الطرائف ص ٤٣٢ عنه .

(٢) صحيح مسلم ٣ : ١٢٥٧ - ١٢٥٩ كتاب الوصيّة .

(٣) الطرائف ص ٤٣٢ - ٤٣٣ عنه ، وصحيح البخاري ١ : ٣٢ باب كتابة العلم .

عمر أقصى الغايات لكان يسيراً ، لما أدخل عليهم من المصيبات ، وما أوقعهم فيه من الضلالة والشبهات ، ولا ريب في أنه كان غرضه ﷺ تأكيد ما قال في حق علي ﷺ يوم الغدير ، فلما أحسَّ عمر بذلك منعه وقال : أنه يهجر .

والعجب كلَّ العجب من عقول أهل السنَّة كيف جمعوا بين حبِّ رسول الله ﷺ وحبِّ عمر ، ألم يعرفوا أنَّ من كان في قلبه مثقال ذرَّة من الايمان لا يجترىء أن يشتم رسول الله ﷺ وينسبه الى الهجر والهديان في وجهه حين مفارقتة وخروجه من دار الدنيا ، مع عظمته وأمر الله تعالى الخلق بتوقيره وتعظيمه ، وبطاعته في أوامره ونواهيه ، واخباره بأنه لا ينطق إلا بما يوحى اليه .

والعجب أنَّ بعض أهل السنَّة قالوا : أنما أراد أن يكتب خلافة أبي بكر ، اذ الحديث الذي أسرَّه النبي ﷺ الى حفصة هو أنَّ أبابكر وأباك يليان أمر أمّتي من بعدي .

قلنا : من أين لكم العلم بهذا المراد ؟ استفدتموه من عزله من برأسته ؟ أم من تأخيريه عن الصلاة ؟ أم من جعله أسامة أميراً عليه ؟ أم من فراره بالراية حين ولّاه ؟ ولو علم عمر النصَّ على أبي بكر لسارع الى فعله لا الى منعه ، والأخبار بأنهما يليان ذلك ان صحَّ ، فالمراد الولاية ظلماً كما أخبر عن ولاية غيرهم ظلماً من بني أمية وغيرهم .

وقد تقدّم نقل ابن أبي الحديد عن كتاب تاريخ بغداد : أنَّ عمر سأل ابن عباس : كيف خلفت علياً ؟ قال : يمتح بالدلو ، ويقرأ القرآن ، قال : ألقي في نفسه شيء من الخلافة يزعم أنَّ رسول الله ﷺ جعله له ؟ قلت : نعم ، قال : أراد في مرضه أن يصرِّح باسمه ، فنعت اشفاقاً على الاسلام ، وعلم رسول الله ﷺ أنني علمت ما في

نفسه فأمسك (١).

فدلّ هذا الحديث على أمور :

الأول : أنه نسب النبي ﷺ الى قلة الاشفاق على الاسلام .

والثاني : أنه علم خلافة علي عليه السلام .

والثالث : معاندته للنبي ﷺ ، وكونه مترقباً لموته ليغضب الحقّ من أهله ، وهذه

من أفحش المطاعن وأقبحها .

والرابع ، أنه لا اجماع في خلافة أبي بكر ، لمخالفة علي عليه السلام ومن في جانبه ، وقد

ورد في أخبارنا أنه حدّث علي عليه السلام طلحة بأنه لما خرج عمر حدّثه النبي ﷺ بما

أراد أن يكتب ، ومنه أنه سبلي الأمر اثنا عشر امام ضلالة ، عليهم مثل أوزار الأُمَّة

الى يوم القيامة ، وأوصى اليه بالامامة ، وأن يدفعها الى أولاده الى تحكّله اثني عشر

امام هدى .

وقال بعض أهل السنّة : أنه أشفق على النبي حيث كان مجهوداً وكثرت الغوغاء

عنده ، فقال : فينا كتاب الله يكفيننا .

قلنا : أولاً خالف النبي ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى ، ولم يتعظ بقوله تعالى

﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة ﴾ (٢) .

وثانياً : أن الغوغاء لم تكن بطلب الكتاب بل بالمخالفة ، كما أخرج البخاري

وغيره من قول بني هاشم : قربوا اليه كتاباً ، وقول عمر ومن معه : لا ندعه يكتب

وأنه قد هجر . فعندها قال : أخرجوا عني ، ولا ريب أن هذا أذى لرسول الله ﷺ

وقد قال الله عزّ وجلّ ﴿ انّ الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله ﴾ (٣) الآية .

(١) شرح نهج البلاغة ١٢ : ٢٠ - ٢١ .

(٢) الأحزاب : ٣٦ .

(٣) الأحزاب : ٥٧ . الصراط المستقيم ٣ : ٣ - ٦ .

والعجب كلّ العجب ما نقله ابن حجر العسقلاني في شرح صحيح البخاري عن النووي : اتفق العلماء على أنّ قول عمر « حسبنا كتاب الله » من قوّة فهمه ودقيق نظره ؛ لأنّه خشى أن يكتب أموراً ربما عجزوا فاستحقّوا العقوبة لكونها منصوصة ، وأراد أن لا ينسدّ باب الاجتهاد على العلماء . انتهى قوله (١) .

أنظر أيّها البصير الى هذا البليد كيف أعماه التقليد حتّى جوّز الاجتهاد بمحضرة النبي ﷺ ، وهو مخالف للكتاب والسنة والاجماع ، وكيف اعتقد أنّ رأي عمر أصوب من رأي النبي الناطق عن وحي الله ، وما شعر بأنّ مخالفة النبي ﷺ بعد وفاته ان كان سبباً للعقوبة ، ففي حال حياته بطريق الأولى ، فكأنّه قال : انّ عمر خالف النبي ﷺ في حال حياته ، ورضي بأن يكون معاقباً لثلاً يستحقّ غيره العقوبة .

أيّها الخبير العاقل أنظر الى عقل هذا الجاهل ، كيف اعتقد أنّ عمر المعترف بأنّ المخدّرات أفقه منه والصبّيان أعدل منه ، أفقه من سيّد المرسلين وأكمل الكاملين ، نعوذ برّب العالمين من نزغات الشياطين .

قالوا : ليس في قوله « يهجر » منقصة ؛ لأنّ المراد بالهجر الخارج عن حدّ الصحّة من حيث الكثرة والقلّة ، لانغمار قلبه بجهد المرض ، وقد سها في صحّته فسلمّ في العصر على ركعتين ، كما في خبر ذي اليمين .

قلنا : أمّا ما ذكرتم في تعريف الهجر ، فخارج عن اللغة ، قال الجوهري : الهجر الهذيان ، وروى أبو عبيدة في قوله ﴿ انّ قومي اتّخذوا هذا القرآن مهجوراً ﴾ (٢) أنّهم قالوا فيه غير الحقّ ، ألم تر الى المريض اذا هجر قال غير الحقّ (٣) وقال عكرمة

(١) راجع : شرح صحيح البخاري للكرماني ٢ : ١٢٧ - ١٢٨ .

(٢) الفرقان : ٣٠ .

(٣) صحاح اللغة ٢ : ٨٥١ .

ومجاهد نحو ذلك نصّ عليه الجوهري .

وجواز السهو على النبي ﷺ يرفع الثقة بقوله ، وحديث ذي اليمين عند علمائنا من الكذب والمين ، وكيف يجوز نسبة السهو والهجر اليه ؟ وقد صحّ أنّه ﷺ قال : تنام عيناى ولا ينام قلبي^(١) . وقوله تعالى ﴿ وما ينطق عن الهوى ﴾^(٢) الآية^(٣) . والعجب أنّهم تمسّكوا في خلافة أبي بكر أنّه قال في مرض موته : مروا بأبى بكر يصلي . ولم ينسبوه الى الهجر ، وتمسّكوا في خلافة عمر بنصّ أبي بكر في مرضه ولم يقولوا أنّه يهجر ، ولما أراد النبي ﷺ أن يجدّد النصّ على علي عليه السلام نسبوه الى الهجر ، ونعم ما قال الشاعر :

أوصى النبيّ فقال قائلهم قد ظلّ يهجر سيّد البشر
رووا أبابكر أصاب ولم يهجر وقد أوصى الى عمر^(٤)

لا يقال : إنّ هذا الخبر من الآحاد فلا اعتماد عليه .

لأنّا نقول : إنّ هذه حكاية متواترة مجمع عليها ، وممّن ذكرها مسلم ، والبخاري ، وأحمد بن حنبل في مسنده ، ورواها عبد الرزّاق عن الزهري عن ابن عبّاس ، والطبري ، والبلاذري ، ورووه عن سعيد بن جبير بطريقين ، وعن عكرمة بطريقين ، وعن جابر الأنصاري^(٥) .

ومنها : ما رواه مسلم في المجلّد الثاني من صحيحه ، باسناده الى سلمان بن ربيعة ، قال : قال عمر بن الخطّاب : قسم رسول الله قسماً ، فقلت : والله يا رسول الله لغير

(١) كنز العمال ١١ : ٤٠٧ : برقم : ٣١٩٠٠ .

(٢) النجم : ٣ .

(٣) الصراط المستقيم ٣ : ٦ - ٧ .

(٤) الصراط المستقيم ٣ : ٧ .

(٥) الصراط المستقيم ٣ : ٧ .

هؤلاء كان أحقّ منهم الخبر (١).

أنظر أيّهما العاقل الى امامهم الجاهل ، كيف يعارض النبي ﷺ العالم بالأسرار ، والحكيم الناطق عن الوحي ، ثمّ ما كفاه المعارضة والظعن في قسمته حتّى يحلف بالله على ذلك ، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم .

ومنها : أنّه مع أبي بكر خالفا النبي ﷺ حال صحّته ، فقد ذكر الموصلي في مسنده ، وأبو نعيم في حليته ، وابن عبد ربّه في عقده ، وأبو حاتم في زينته ، والشيرازي في التفسير المستخرج من الاثني عشر تفسيراً : أنّ الصحابة مدحوا رجلاً بكثرة العبادة ، فدفع النبي ﷺ سيفه الى أبي بكر وأمره بقتله ، فرآه يصلي فرجع ، فدفعه الى عمر وأمره بقتله ، فدخل ورجع ، فدفعه الى علي عليه السلام ، فدخل فلم يجده ، فقال ﷺ : لو قتل لم يقع بين اثنين من أمتي اختلاف أبداً ، وفي قول آخر : لو قتل لكان أوّل الفتنة وآخرها ، وقد تقدّمت الحكاية بتفصيلها في الفاتحة .

والعجب من الأوّل كيف تركه ؟ وقد وصفوا للنبي ﷺ عبادته ، وأعجب منه الثاني ، أفكانا أعلم من النبي ﷺ بباطنه ؟ وكانت تلك المخالفة سبب هلاك الأمة وضلالها .

وفي كتاب الصراط المستقيم : أنّ الرجل المأمور بقتله ذو الشدية رئيس الخوارج (٢).

وقال العلامة في كشف الحقّ : قال ابن عباس : والله ما قتل ذلك الرجل إلاّ أمير المؤمنين عليه السلام يوم صفين .

ومنها : ما في الحديث التاسع والسبعين بعد المائة من الجمع بين الصحيحين ، أنّه عليه السلام بعث أبا هريرة بنعليه يبشّر بالجنة من شهد لله بالوحدانية متيقناً ، فضربه

(١) صحيح مسلم ٢ : ٧٣٠ برقم : ١٠٥٦ .

(٢) الصراط المستقيم ٣ : ٨ .

عمر وردّه، وقال: خفت أن يتكلّموا عليها^(١). أفترأه أشفق من النبي ﷺ أو من الربّ تعالى.

ومنها: ما ذكره صاحب العقد الفريد في المجلّد الأوّل: أنّ عمر عزل أبا موسى الأشعري عن البصرة وشاطره ماله، وعزل الحارث بن وهب وشاطره ماله، وكتب الى عمرو بن العاص: بلغني أنّه قد فشّت لك فاشية من خيل وابل وبقر وعبيد، فمن أين لك هذا؟ فكتب: أنّي أعالج من الزراعة ما لا يعالجه الناس، فشاطره ماله حتّى أخذ احدي نعليه، فغضب ابن العاص وقال: قبيح الله زماناً عمل فيه ابن العاص لابن الخطّاب، والله أنّي لأعرف الخطّاب يحمل على رأسه حزمة من حطب وعلى ابنه مثلها^(٢).

ومنها: أنّه وضع الطلاق ثلاثاً في مجلس واحد، وقد ذكر الله الطلاق مرّتين^(٣)، واستفاض عن النبي ﷺ: أيّاكم والمطلّقات ثلاثاً فأنهنّ ذوات أزواج. وذكر الجاحظ في كتاب النساء: أنّ رجلاً طلق ثلاثاً جميعاً، فقام عليّ غضبان وقال: تلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم!؟

وفي سنن ابن ماجه، وأبي داود، ومسنّد أحمد، وأبي يعلى، والشافعي، واحياء الغزالي، وكشف الثعلبي: أنّ ابن عمر طلق ثلاثاً حائضاً، فأمره النبي ﷺ بمراجعتها وقال: ان أراد طلاقها طلقها للسنة^(٤).

ومنها: أنّه آذى عليّاً عليه السلام وأغضبه وعاداه، وقد تقدّم بيان معاداته في الفاتحة،

(١) صحيح مسلم ١: ٥٩ - ٦١، والطرائف ص ٤٣٧ - ٤٣٨ عن الجمع بين الصحيحين، والصرّاط المستقيم ٣: ٨ - ٩.

(٢) العقد الفريد ١: ٤٥ - ٤٦، والصرّاط المستقيم ٣: ٩.

(٣) البقرة: ٢٢٩.

(٤) الصرّاط المستقيم ٣: ٩ - ١٠.

مع أنه تواتر عن النبي ﷺ قوله « اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » وقد تقدّم نقله على سبيل التواتر في الفاتحة ، وقوله « حبّ علي إيمان وبغضه كفر ونفاق » وقد تقدّم ذكره في الدليل السادس والثلاثين ، فثبت أنه كان من المنافقين الذين يعرفهم حذيفة ، والمنافق لا يصلح للخلافة (١) .

ومنها : أنه آذى فاطمة عليها السلام بعد ما غضب حقّها باحضار النار ليحرق بيتها على من فيه من علي والحسين عليهما السلام وغيرهم من بني هاشم . روى البلاذري : واشتهر في الشيعة أنه حصر فاطمة عليها السلام في الباب حتى أسقطت محسناً ، مع قول أبيها صلى الله عليه وآله لها : فاطمة بضعة منّي من آذاها فقد آذاني . قال الحميري :

ضربت واهتضمت من حقّها وأذيعت بعده طعم السلع
قطع الله يدي ضاربها ويد الراضي بذاك المتبع
لا عفى الله له عنه ولا كفّ عنه هول يوم المطلع

ان قيل : يجوز للإمام تهديد مخالف الاجماع بذلك وغيره .

قلنا : لا خلاف أن ذلك كان قبل مبايعة علي عليه السلام وحينئذ لا اجماع .

قالوا : عائشة لم تكن ابنة محمد صلى الله عليه وآله حين عقر جملها حمت المسلمون محرمة زوجها ، فتطأيرت الرؤوس والأكفّ حولها ، وما فعل بفاطمة عليها السلام من النكير أعظم من عقر البعير ، فكيف له يتحمّ المسلمون لها ؟

قلنا : أين كانت حميّة المسلمون حيث قتل أصحاب عائشة رسول علي عليه السلام بكتاب الله يعظهم ، كما أخرجه ابن مسكويه وابن قتيبة وغيرهما ، وثنّوا بقتل حكيم مع سائر أصحابه ، وثنّوا بنتف لحية ابن حنيف وأجفانه ، وهو من شيوخ الأنصار وزهادهم ، وقد كانت عائشة وأصحابها أقلّ من قبيلة عمر وأتباعها ، على أن

عليّاً عليه السلام سبّ ألف شهر على المنابر ، ولم يوجد لذلك حميّة من البرّ والفاجر ، أمّا الأوّل فلعذره ، وأمّا الثاني فلعذره .

قالوا : قتاد^(١) عمر لسوقي من ملك غسان جبلة ، فكيف يتحمّل أذية فاطمة عليها السلام ؟

قلنا : فإله يحمل أذاها في بعلمها عند قوله له « نضرب عنقك » وقوله لأبي بكر « ألا تأمر فيه بأمرك » كما ذكره ابن قتيبة^(٢) .

وفي الاحياء للغزالي : أن عمر هو الذي سدّ باب الكلام والجدل . وفي تفسير النقاش ، وابن بطّة ، والأنباري : أنه ضرب رجلاً اسمه ضبيع حين سأله عن الذاريات والنازعات والمرسلات ، وحبسه طويلاً ، ثمّ نفاه الى البصرة وكتب لا تجالسوه^(٣) .

ومنها : أنه خرق كتاب فاطمة عليها السلام الذي أعطاها أبو بكر ، وقال : لا تعطها بغير بيّنة . أسنده ابراهيم الثقفي الى علي عليه السلام ، وذكره المرتضى في الشافي ، وقال : وروي من طرق مختلفة .

والعجب كلّ العجب أن عمر يطلب البيّنة من الصادقة التي طهرها الله بآية التطهير ، ويردّ سبي اليمن بعد أن شراه المسلمون بقول الأشعري أنه أعطاهم عهداً ، فن أين لعمر أن يخرج حقوق المسلمين من أيديهم بغير بيّنة؟! ^(٤)

ومن الروايات الدالّة على جهله المستلزمة للظلم والفسق ، ما ذكره الحميدي في فصل مفرد في آخر الجمع بين الصحيحين ، أنه منع المغالاة في المهور وقال : من

(١) في الصراط : فتأدّى .

(٢) الصراط المستقيم ٣ : ١٢ - ١٤ .

(٣) الصراط المستقيم ٣ : ١٥ .

(٤) الصراط المستقيم ٣ : ٢١ .

غالى في مهر ابنته جعلته في بيت المال ، بشبهة زواج النبي ﷺ لفاطمة ؓ بخمسة ، وفي كتاب الله ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ (١) فنبتته امرأة بقوله تعالى ﴿ وآتيتم احداهنّ قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً ﴾ (٢) فقال : كلّ أفقه من عمر حتّى المخدّرات . وفي رواية السمعاني : كلّ أفقه من عمر حتّى النسوان . وفي رواية : ألا تعجبوا من امام أخطأ وامرأة أصابت (٣) .

قالوا : طلب الاستحباب في ترك المغالاة .

قلنا : المرويّ أنّه حرّمه ومنعه حين قالت المرأة : لم تمنعنا ما أحلّه الله لنا في محكم كتابه .

فان قالوا : تواضع في قوله « كلّ أفقه من عمر » .

قلنا : لو كان ذلك حقّاً لكان هو المصيب دونها . ورووا أنّ عمر مرّ بصبيان يلعبون ، فقال : ما رأينا خيراً منذ فارقتاكم ، فقال واحد منهم : أتقول هذا وقد رأيت رسول الله ﷺ وهو الخير كلّهُ ، فأخذ تراباً فجعله في فيه وقال : كلّ أعقل من عمر حتّى الصبيان .

وروى أبو أيّوب السجستاني واسماعيل بن عليّة : حكم عمر بين خصمين ، فقال رجل : أصبت ، فقال : والله ما يدري زفر أصاب أم أخطأ .

وروى عاصم بن سمرة أنّ غلاماً ادّعى أمومة امرأة ، فأنكرته أمّه ، فأمر عمر بحده ، فصاح الى علي ؓ ، فطلب عليّ أن يزوّجها منه ، فأقرّت به ، فقال : لولا عليّ لهلك عمر .

الأصغر بن نباتة : أتى عمر بخمسة زنوا ، فأمر بجرهم ، فخطأهم عليّ ، فقتل

(١) المائدة : ٤٤ .

(٢) النساء : ٢٠ .

(٣) الطرائف ص ٤٧١ ، والصرط المستقيم ٣ : ١٥ - ١٦ .

واحداً، ورجم ثانياً، وحدّ ثالثاً، وحدّ الرابع منصفاً، وعزّر خامساً، فقال المردود: وكيف ذلك؟ فقال: الأوّل ذمّي زنا بمسلمة، والثاني محصن بكر، والثالث غير محصن بكر، والرابع عبد، والخامس مجنون، فقال زفر: لا عشت في أمة لست فيها يا أبا الحسن.

وأتي برجل قال لامرأته يا زانية، فقالت: أنت أزنى منّي، فأمر بجلدهما، فقال علي عليه السلام: بل تجلده هي دونه حدّين: احداهما لفريتها، والآخر لاقرارها. وادعى صبيّ مال أبيه، فزجره عمر وطرده، فصاح الى علي عليه السلام، فاستخرج من قبر أبيه ضلعة فأشمه آياه، فانبعث الدم من أنفه، فقال لعمر: سلّم اليه المال، ثمّ أشمّه الحاضرين فلم ينبعث دم، فأعاده اليه فانبعث، فقال: أنّه أبوه والله ما كذبت ولا كذّبت (١).

ومنها: ما ذكره الحميدي في كتاب الجمع بين الصحيحين في فصل منفرد في أواخر الكتاب المذكور، قال: إنّ عمر أمر برجم امرأة ولدت لستّة أشهر، فذكره علي عليه السلام قول الله تعالى ﴿ وحمله وفضاله ثلاثون شهرا ﴾ (٢) مع قوله تعالى ﴿ والوالدات يرضعن أولادهنّ حولين كاملين ﴾ (٣) فرجع عمر عن الأمر برجمها (٤).

ومنها: ما ذكره أحمد بن حنبل في مسنده عن قتادة، عن الحسن البصري: أنّ عمر بن الخطّاب أراد أن يرحم مجنونة، فقال له أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مالك ذلك أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتّى يستيقظ، وعن المجنون حتّى يبرأ ويعقل، وعن الطفل حتّى يحتلم، فدرأ عمر عنها

(١) الصراط المستقيم ٣: ١٦ - ١٧.

(٢) الأحقاف: ١٥.

(٣) البقرة: ٢٣٣.

(٤) الطرائف ص ٤٧٢ عنه، وسنن البيهقي ٧: ٤٤٢.

الحديث (١).

وذكر أحمد بن حنبل في مسنده عن سعيد بن المسيّب، قال: كان عمر يتعوّذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن يعني علياً (٢).

ومنها: ما في كتاب الجمع بين الصحيحين في مسند أبي سعيد الخدري، في الحديث الثامن والعشرون من المتفق عليه، ما معناه: أنّ أبا موسى استأذن على عمر ثلاثاً، فلم يأذن له فانصرف، فقال عمر: ما حملك على ما صنعت؟ قال: كنتا نؤمر بهذا، قال: لتقيمنّ على هذا بيّنة أو لأفعلنّ، فشهد له أبو سعيد الخدري بذلك عن النبي ﷺ، فقال عمر: خفي عليّ هذا من أمر رسول الله ﷺ ألهاني عنه الصفق في الأسواق (٣).

أنظر أيها الخبير الى امامهم الهادي كيف كان مشغولاً بالدنيا، وألهاه الصفق في الأسواق عن التفقه في الدين.

ومنها: ما في الكتاب المذكور أيضاً في مسند أبي أوفى من افراد مسلم، عن أبي أوفى، قال: سألتني عمر بن الخطاب عمّا قرأ به رسول الله ﷺ في يوم العيد، فقلت: اقتربت الساعة (٤).

وفي هذا الكتاب مسند آخر لأبي أوفى، وحاصله: أنّ عمر سأل أبا واقد عمّا قرأ

(١) مسند أحمد بن حنبل ١: ١٤٠.

(٢) كفاية الطالب ص ٩٥، وذخائر العقبى ص ٨٢، والصواعق المحرقة ص ٧٦، وتذكرة الخواص ص ١٥٤، والطرائف ص ٤٧٣.

(٣) صحيح مسلم ٣: ١٦٩٦، وصحيح البخاري ٧: ١٣٠، والطرائف ص ٤٧٦ عن الجمع بين الصحيحين.

(٤) الطرائف ص ٤٧٥ عنه.

رسول الله ﷺ في العيد ، فأجابه بما أجاب أبو أوفى (١) .

أنظر أيها اللبيب كيف غفل امام المسلمين عن كيفية الصلاة الشائعة ، وتعجب من عقول تابعيه ، وهذا كله يبطل ما رووه من قول النبي ﷺ : الحق ينطق على لسان عمر . على أن الحديث لو صح لصدق بفرد واحد ؛ لأنه مهمل في قوة الجزئي (٢) .

ومنها : أنه بلغ له الجهل الى انكار موت النبي ﷺ حتى قال له أبو بكر : ﴿ أتك ميت وأنتهم ميتون ﴾ (٣) ﴿ أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ﴾ (٤) فقال : الآن أيقنت بوفاته وكأني لم أسمعها .

ان قيل : كان ذلك سهواً .

قلنا : كيف يقع السهو في الأمور المحسوسة ؟ وخاصة في احترام خاتم النبوة ، ومتى جاز السهو في هذه مع ظهورها جاز في جميع الأحكام ، فلا يوثق بها ، وغلبة السهو توجب انزال قاضي الأمة فضلاً عن امام الأمة . وقد روى انكاره لموت النبي ﷺ جميع أهل السير ، منهم البخاري ، والشعبي ، والجرجاني ، والطبري ، والزنجشري .

قال أهل السنة : إنما أنكر موته استصلاحاً للرعية .

قلنا : هذا يبطله قوله « الآن تيقنت » وقوله لابن عباس « ما حملني على ذلك إلا قوله تعالى ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾ (٥) فظننت أنه يبق بعدنا حتى يشهد على آخرنا أعمالنا ، فاعترف

(١) صحيح مسلم ٢ : ٦٠٧ ، والطرائف ص ٤٧٥ .

(٢) الصراط المستقيم ٣ : ١٧ .

(٣) الزمر : ٣٠ .

(٤) آل عمران : ١٥٤ .

(٥) البقرة : ١٤٣ .

بأنه كان يعتقد ذلك حتى قال في انكاره: لا يموت حتى يقطع أيدي وأرجل ، ذكره في الجمع بين الصحيحين (١).

وقال ابن أبي الحديد في شرحه: وروى جميع أصحاب السيرة أن رسول الله ﷺ لما توفي كان أبوبكر في منزله بالسنع ، فقام عمر بن الخطاب فقال: ما مات رسول الله ولا يموت حتى يظهر على الدين كله ، وليرجعن فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم ممن أرجف بموته ، لا أسمع رجلاً يقول مات رسول الله الأضرته بسيفي ، فجاء أبوبكر فكشف عن وجه رسول الله ﷺ وقال: بأبي أنت وأمي طبت حيناً وميتاً ، والله لا يذيقك الموتين أبداً .

ثم خرج والناس حول عمر وهو يقول لهم: أنه لم يموت ويحلف ، فقال: أيها الحالف على رسلك ، ثم قال: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، وقال الله تعالى ﴿ أَنْكَ مَيِّتٌ وَأَنْتُمْ مَيِّتُونَ ﴾ وقال ﴿ أَفَأَنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ﴾ قال عمر: فوالله ما ملكت يقيني حيث سمعتها أن سقطت الى الأرض ، وعلمت أن رسول الله ﷺ قد مات .

وقد تكلمت الشيعة في هذا الموضوع وقالوا: أنه بلغ من قلة علمه أنه لم يعلم أن الموت يجوز على رسول الله ﷺ ، وأنه أسوة الأنبياء في ذلك ، وقال لما تلا أبوبكر الآيات: أيقنت الآن بوفاته كأنني لم أسمع هذه الآية . فلو كان يحفظ القرآن أو يتفكر فيه ما قال ذلك ، ومن هذه حاله لا يجوز أن يكون اماماً (٢) . انتهى كلامه .

أقول: الظاهر أن هذا كان من مكره وحيله ، فإنه لما حال بين النبي ﷺ وبين أن يكتب ما يرتفع الضلال عن الأمة ، ونسب الهجر الى النبي ﷺ ، خاف من السنة الناس وأذيتهم ولؤمهم وأن يكرهوه ، فلا يتمشى له أمر الخلافة ، أتى بهذا المكر

(١) الصراط المستقيم ٣: ١٨ - ١٩ .

(٢) شرح نهج البلاغة ٢: ٤٠ - ٤١ .

وأظهر الجهل بموته ، وكذب وافتري ولم يحكم بقوله تعالى ﴿ أَنْكَ مَيِّتٌ ﴾ وغيرها من الآيات الدالة على موت كلِّ أحد ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ (١) ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ﴾ (٢) ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ﴾ (٣).

ومما يدلُّ على أنَّ عمر كذب متعمداً وحلف كاذباً ، ما ذكره الحميدي في الجمع بين الصحيحين في سادس عشر حديثاً من افراد البخاري ، من رواية الزهري ، عن أنس : أنه سمع خطبة عمر بن الخطاب في الغد من يوم توفي رسول الله ﷺ وقال عمر : أمَّا بعد فاني قلت لكم أمس مقالة ، وأنها لم تكن كما قلت ، واني والله ما وجدت المقالة التي قلتها لكم في كتاب أنزله الله ، ولا في عهد عهده الي رسول الله ، ولكني كنت أرجو أن يعيى رسول الله حتى يدبرنا ، قال الراوي : حتى يكون آخرنا (٤) . انتهى .

أقول : الظاهر من هذا الكلام أنَّ حكمه بعدم موت النبي ﷺ لم يكن باذن من الله ورسوله ، وقد قال الله تعالى ﴿ آله أذن لكم أم على الله تفترون ﴾ (٥) . وفي الجمع بين الصحيحين من مسند المغيرة بن شعبة ، في الحديث الثامن من المتفق عليه ، قال : سمعت النبي ﷺ يقول : ان كذباً علي ليس ككذب على أحد ، من كذب علي متعمداً فليتبوء مقعده من النار .

ومن مسند طلحة بن عبد الله في الحديث الثالث ، قال : سمعت رسول الله ﷺ

(١) المائة : ٤٤ .

(٢) المائة : ٤٥ .

(٣) المائة : ٤٧ .

(٤) الطرائف ص ٤٥٣ عنه .

(٥) يونس : ٥٩ .

يقول : من كذب عليّ متعمداً فليتبوء مقعده من النار .

ورواه أيضاً في مسند سلمة بن الأكوع في الحديث الأوّل من افراد البخاري ، ورواه أيضاً في مسند علي بن أبي طالب في الحديث الرابع عشر ، ورواه أيضاً في مسند أبي سعيد الخدري في الحديث الرابع من افراد مسلم (١) .

فبمقتضى هذه الأحاديث عمر هو المفترى على الله ورسوله ، فهو من أهل النار . ومما يؤكّد ما بيّناه من جهل عمر وظلمه وفسقه ، ما ذكره ابن أبي الحديد المعتزلي في شرحه على نهج البلاغة ، قال : وكان عمر يفتي كثيراً بالحكم ، ثمّ ينقضه ويفتي بضده وخلافه ، قضى في المجدّ مع الاخوة قضايا كثيرة مختلفة ، ثمّ خاف عن الحكم في هذه المسألة ، فقال : من أراد أن يتقحم جرائم جهنّم فليقل في المجدّ برأيه .

وقال مرّة : لا يبلغني أنّ امرأة تجاوز صداقها صداق نساء النبي ﷺ إلاّ ارتجعت ذلك منها ، فقالت له امرأة : ما جعل الله لك ذلك أنّه تعالى قال ﴿ وآتيتم احداهنّ قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً تأخذونه بهتاناً واثماً مبيناً ﴾ (٢) فقال : كلّ الناس أफقه من عمر حتّى ربّات المجال ، ألا تعجبون من امام أخطأ وامرأة أصابت ، فاضلت امامكم ففضلته .

ومرّ يوماً بشباب من فتيان الأنصار وهو ظمآن ، فاستسقاها فجدح له ماء بعسل ، فلم يشربه وقال : إنّ الله يقول ﴿ أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا ﴾ (٣) فقال له الفتى : يا أمير المؤمنين أنّها ليست لك ولا لأحد من أهل القبلة ، اقرأ ما قبلها ﴿ ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا ﴾ فقال عمر : كلّ الناس أفقه من عمر .

(١) صحيح مسلم ١ : ١٠ ، والطرائف ص ٤٥٤ عن الجمع بين الصحيحين .

(٢) النساء : ٢٠ .

(٣) الأحقاف : ٢٠ .

قيل : أنه كان يعسّ بالليل ، فسمع صوت رجل وامرأة في بيت ، فارتاب ، فتسوّر الحائط ، فوجد امرأة ورجلاً وعندها زقّ خمر ، فقال : يا عدوّ الله أكنت ترى أنّ الله يسترك وأنت على معصية ؟ قال : يا أمير المؤمنين ان كنت أخطأت في واحدة فقد أخطأت في ثلاث ، قال الله تعالى ﴿ ولا تجسسوا ﴾ ^(١) وقد تجسّست ، وقال ﴿ وآتوا البيوت من أبوابها ﴾ ^(٢) وقد تسوّرت ، وقال ﴿ وإذا دخلتم بيوتاً فسلّموا ﴾ ^(٣) وما سلّمت .

وقال : متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ وأنا محرّمهما ومعاقب عليهما : متعة النساء ، ومتعة الحجّ . وهذا الكلام وان كان ظاهره منكرأ ، فله عندنا مخرج وتأويل ، وقد ذكره أصحابنا الفقهاء في كتبهم .

وكان في أخلاق عمر وألفاظه جفاء وعنجهية ظاهرة ، يحسب السامع لها أنه أراد بها ما لم يكن قد أراد ، ويتوهّم من تحكى له أنه قصد بها ما لم يقصده .

فنها : الكلمة التي قالها في مرض رسول الله ﷺ ، ومعاذ الله أن يقصد بها ظاهرها ، لكنّه أرسلها على مقتضى خشونة غريزية ولم يتحقّق منها ، وكان الأحسن أن يقول مغمور أو مغلوب بالمرض ، وحاشاه أن يعني بها غير ذلك ، ولجفاة الأعراب من هذا الفنّ كثير ، سمع سليمان بن عبد الملك أعرابياً يقول في سنة القحط :

ربّ العباد مالنا ومالكا

قد كنت تسقينا فما بدالكا

أنزل علينا القطر لا أبالكا

فقال سليمان : أشهد أنه لا أب له ولا صاحبة ولا ولد ، فأخرجه أحسن مخرج ،

(١) الحجرات : ١٢ .

(٢) البقرة : ١٨٩ .

(٣) النور : ٦١ .

وعلى نحو هذا حمل كلامه في صلح الحديبية لما قال للنبي ﷺ: ألم تقل لنا ستدخلونها، في ألفاظ نكره حكايتها، حتى شكاه النبي ﷺ الى أبي بكر، وحتى قال له أبو بكر: أئزم بغيره فوالله أنه لرسول الله.

وعمر هو الذي غلظ على جيلة بن الأيهم حتى اضطره الى مفارقة دار الهجرة بل مفارقة بلاد الاسلام كلها، وعاد مرتدداً داخلاً في دين النصرانية، لأجل لطمة لطمها وقال: جيلة بعد ارتداده متندماً على ما فعل:

تنصرت الأشراف من أجل لطمة وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
فيا ليت أمي لم تلدني وليتني رجعت الى القول الذي قاله عمر
انتهى كلامه (١).

أنظر أيها اللبيب الى هذا الرجل كيف أنطقه الله تعالى بذكر معائب امامه، وسخره في بيان مثالب خليفته، وغرضه من الأقرار أن يزيل عن عمر الكفر والزندقة، ولكن ما ذكره في نظر اللبيب تأكيد لكفره وزندقته.

العجب كل العجب من هؤلاء كيف يجمعون بين الاقرار بهذه القبائح لأئمتهم وبين الاقرار بامامتهم، أعاذنا الله تعالى من اتباع الهوى والتقليد، وجنبنا بعصمته من عذابه الشديد.

وحكاية الحديبية لغاية قبحها استحي أن يذكرها، فما نحن نذكرها، وقد رواه عبد الله بن عباس، وجابر، وسهل بن حنيف، وأبو وائل، والقاضي عبد الجبار، وأبو مسلم الاصفهاني، ويوسف القزويني، والثعلبي، والطبري، والواقدي، والزهري، والبخاري، وقد ذكر الحميدي في الجمع بين الصحيحين من مسند المسور بن مخرمة، في حديث الصلح بين سهيل بن عمرو وبين النبي ﷺ.

يقول فيه : فقال عمر بن الخطاب : فأتيت نبيَّ الله ﷺ فقلت : ألسنت نبيَّ الله حقاً؟ قال : بلى ، قلت ألسنا على الحقِّ وعدونا على الباطل ؟ قال : بلى ، قلت : فلم نعطي هذه الدنيَّة في ديننا اذن ؟ قال : اتى رسول الله ، ولست أعصيه ، وهو ناصرى ، قلت : أو ليس كنت تحدّثنا أنا سنأتى البيت ونطوف به ؟ قال : بلى ، قال : فأخبرتكَ أنك تأتيه العام ؟ فقلت : لا ، قال : فأنتك آتية وتطوف به .

قال : فأتيت أبا بكر ، فقلت : يا أبا بكر أليس هذا نبيَّ الله حقاً ؟ قال : بلى ، فقلت : ألسنا على الحقِّ وعدونا على الباطل ؟ قال : بلى ، فقلت : فلم نعطي هذه الدنيَّة في ديننا اذن ؟ قال : أيها الرجل أنه رسول الله ، وليس يعصي ربّه وهو ناصره ، فاستمسك بعروته ، فوالله أنه على الحقِّ ، قلت : أو ليس كان يحدّثنا أنه سنأتى البيت ونطوف به ؟ قال : فأخبرك أنه يأتيه العام ؟ قلت : لا ، قال : فأنتك آتية وتطوف به (١)

وزاد الثعلبي عند تفسير سورة الفتح : أن عمر بن الخطاب قال : ما شككت منذ يوم أسلمت الآ يومئذ (٢) .

أقول : ولا ريب أن هذه القصة دالة على أن عمر كان شاكاً في دينه ، ولا شك أن الشك في الدين كفر ، وأنظر أيها اللبيب ، كيف صحَّح هؤلاء المخالفون هذه الحكاية ؟ مع أنها صريحة في كفر امامهم ، وليس هذا الاّ تسخيراً من الله عزّ وجلّ ؛ ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيّ عن بينة .

ويمكن الاستدلال بهذا الحديث على بطلان امامة عمر ، بأنّه يدلّ على أنه شكّ في الدين ، والناس بين قائلين ، فقائل من المسلمين يقول : أنه ما ارتدّ منذ أسلم ، وقائل يقول : أنه ارتدّ بعد اسلامه ولم يعد الى الاسلام ، فالقول بأنّه ارتدّ وعاد خلاف

(١) صحيح مسلم ٣ : ١٤١١ .

(٢) الطرائف ص ٤٤٠ - ٤٤١ عنها .

اجماع المسلمين ، وقد شهدوا في روايتهم عنه أنه ارتدّ ، فليز مهم أنه ما عاد عن الارتداد .

ومما يؤيد هذا الحديث المتضمّن لشكّ عمر ، أنه في غزوة بدر التي قوي بها الاسلام ، لم يكن له ولأخيه أبي بكر قتيل ولا جريح .

والعجب كلّ العجب اعتذار أهل السنّة بأنّهما كانا في عريش مع النبيّ ﷺ يشاورهما ويستضيء برأيهما ، كيف يجوز عاقل أن يحتاج النبيّ ﷺ مع كمال عقله وصواب رأيه وكونه مستضيئاً بنور الوحي الى أبي بكر وعمر .

ومما يكذب قولهم في الاعتذار ما ذكره الحميدي في الجمع بين الصحيحين ، في الحديث السادس والعشرين من افراد مسلم في مسند أنس بن مالك ، قال : انّ رسول الله ﷺ شاور حين بلغه اقبال أبي سفيان ، قال : فتكلّم أبو بكر ، فأعرض عنه ، ثمّ تكلم عمر فأعرض عنه ، الخبر (١) .

ولا يخفى أنّ اعراضه ﷺ عنهما يدلّ على أنّه ﷺ لم يكن يستصلحهما للحديث والمشورة .

ومما يدلّ أيضاً على أنّ تركهما المحاربة لم يكن للمشورة ، بل كان للنفاق والشكّ في الدين فرارهما في خيبر وسائر الحروب ، على أن استشارة النبيّ ﷺ لم يكن للاستفادة ، بل كان لتأليف القلوب ، وليعرف المؤمنين والمنافقين من لحن القول .

ومما يؤيد ما قلناه أيضاً من كفر عمر ، ما قدّمناه في الفاتحة من ايذائه عليّاً ﷺ ، وقد تقدّم في الدليل السادس والعشرين ، النقل المتواتر الدالّ على أن حبّ عليّ ايمان وبغضه كفر ونفاق .

ومما يؤيد ما قلناه أيضاً ايذائه رسول الله ﷺ مراراً ، وايذائه فاطمة ، وقال

(١) صحيح مسلم ٣: ١٤٠٣ ، والطرائف ص ٤٤٧ عن الجمع بين الصحيحين .

رسول الله ﷺ : يؤذيني ما يؤذيها^(١) ، وقال الله تعالى : ﴿ انّ الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة ﴾^(٢) ولا يلعن الله تعالى إلا الكافر .

ومما يؤيد ما قلناه من كفر عمر ، ما رواه الحميدي في الجمع بين الصحيحين ، في مسند جابر بن عبدالله الأنصاري ، في الحديث الرابع عشر من المتفق على صحته ، قال جابر : انّ أباه قتل يوم أحد شهيداً ، فاشتدّت الغماء في طلب حقوقهم ، فأتيت رسول الله ﷺ ، فكلمته ، فسألته أن يقبلوا ثمن حائطي ، ويحللوا أبي ، فأبوا ، فلم يعطهم رسول الله ﷺ حائطي ولم يسكره لهم ، ولكن قال : سأغدو عليكم ، فغدا علينا حين أصبح ، فطاف في النخل ، ودعا في ثمرها بالبركة ، فجذذتها ، فقضيتهم حقوقهم ، وبقي لنا من ثمرها بقية ، ثم جئت رسول الله ﷺ ، فأخبرته بذلك ، قال رسول الله ﷺ لعمر ، وهو جالس : اسمع يا عمر ، فقال عمر : ان لا يكون نكن قد علمنا أنّك رسول الله ، فوالله أنّك رسول الله^(٣) .

ووجه دلالة على أنّ النبي ﷺ كان يعتقد أنّ عمر شكّ في نبوته ظاهر .
ومما يدلّ أيضاً على شكّه وجهله : ما قاله صاحب الكشاف في تفسير ﴿ وفاكهة وأبا ﴾^(٤) وعن أبي بكر ، أنّه سئل عن الأبّ ، فقال : أيّ سماء تظلّني ، وأيّ أرض تقلّني ، اذا قلت في كتاب الله ما لا علم لي به ، وعن عمر أنّه قرأ هذه الآية ، فقال : كلّ هذا قد عرفنا ، فما الأبّ ، ثمّ رفض عصا كانت بيده ، فقال : هذا لعمر الله التكليف ، وما عليك يا بن أمّ عمر أن لا تدري ما الأبّ؟^(٥) .

(١) راجع : احقاق الحق ١٠ : ١٨٧ - ١٩٩ و ٢٠٩ - ٢١١ .

(٢) الأحزاب : ٥٧ .

(٣) الطرائف ص ٤٤٦ عنه .

(٤) عبس ٣١ .

(٥) الكشاف ٤ : ٢٢٠ .

ووجه الدلالة أنّ قوله « كلّ هذا قد عرفنا » بمنزلة قولهم : تجاوزنا وسلّمنا كلّ هذا الكتاب ، ونسبة التكليف ورفض العصا شاهد به .

ومما يؤيدّه أيضاً ما تقدّم في الفاتحة في مقام ذكر المنافقين ، ما نقله الغزالي في الاحياء أنّ عمر قال لحذيفة عارف المنافقين : هل أنا من المنافقين أم لا ؟ (١) وهذا الكلام لا يصدر إلاّ عن الشاكّ في ايمانه ، والمتيقّن نفاقه ؛ لأجل أن يتعرّف أنّ حذيفة يكتّم عليه أم لا ، وقد ذكرنا هناك عدّة قرائن دالّة على نفاق عمر وأبي بكر .
ومما يؤيدّ ما قلناه أيضاً ما سيجيء من كلماته عند الموت .

ومن جملة فسوق عمر : انكاره على النبيّ ﷺ ، روى الحميدي في الجمع بين الصحيحين في الحديث الرابع والثلاثين من مسند عائشة من المتّق على صحته ، من حديث عروة عنها ، قالت : اعتم رسول الله بالعيشاء حتّى ناداه عمر للصلاة ، فقال : نام الناس والصبيان ، فخرج .

وفي رواية ابن شهاب : أنّ رسول الله ﷺ قال : ما كان لكم أن تنزروا رسول الله على الصلاة ، وذلك حين صاح عمر بن الخطّاب (٢) .

أنظر الى شهادات المخالفين في حقّ امامهم ، فتعجّب من عقولهم ، كيف يجوز العاقل امامة رجل لا يستحيي من الله ورسوله ، ولا ينزجر من نواهي الله ، قال الله عزّ وجلّ في كتابه العزيز : ﴿ لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبيّ ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ﴾ (٣) وقال تعالى : ﴿ انّ الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون * ولو أنّهم صبروا حتّى

(١) الصراط المستقيم ٣ : ٢٨ عن الاحياء .

(٢) الطرائف ص ٤٤٢ عنه ، وصحيح مسلم ١ : ٤٤١ .

(٣) الحجرات : ٢

تخرج اليهم لكان خيراً لهم ﴿^(١)﴾ وقال : ﴿ لا تقدّموا بين يدي الله ورسوله ﴾ ^(٢) .
ومنها : أن رسول الله ﷺ حين قام أن يصلي على عبدالله بن أبي سلول بالتماس
ابنه ، أخذ عمر ثوب رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله تصلي عليه وقد هناك
ربك أن تصلي عليه ، فقال رسول الله ﷺ : إنما خيرني الله ، قال « استغفر لهم أو لا
تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة » سأزيد على السبعين قال : أنه منافق ، فصلي
عليه رسول الله ﷺ ^(٣) .

وقد روى هذا الحميدي في الجمع بين الصحيحين في الحديث الخامس
والتسعين ^(٤) .

تعجبوا أيها المسلمون من جرأة امام المخالفين ، وجداله مع سيّد المرسلين منبع
الحكمة وعلم اليقين ، مع اقراره بأن مخدّرات الحجال أفته منه ، والصبيان أعقل منه .
ومنها : تحريمه متعة النساء بغير أمر الله ورسوله ، وقد تواتر عند شيعة أهل البيت
حليتها وترتب الثواب الجزيل عليها .

وفي الجمع بين الصحيحين في مسند عبدالله بن عباس ، قال : قال أبو نصر : كان
ابن عباس يأمر بالمتعة ، وكان ابن الزبير ينهى عنها ، قال : فذكرت ذلك لجابر بن
عبدالله ، فقال : على يدي دار الحديث ، تمتعنا مع رسول الله ﷺ ، فلمّا قام عمر قال :
إنّ الله كان يحلّ لرسوله ما يشاء بما يشاء ، وإنّ القرآن قد نزل منازل ، فأتموا الحجّ
والعمرة كما أمركم الله وأبتوا نكاح هذه النساء ، فان أوتى برجل نكح امرأة الى

(١) الحجرات : ٤ - ٥

(٢) الحجرات : ١

(٣) صحيح مسلم ٤ : ٢١٤ ، كتاب المناقير .

(٤) الطرائف ص ٤٤٣ - ٤٤٤ عنه .

أجل، الأرجمته بالحجار (١).

وروى في الجمع بين الصحيحين أيضاً هذا الحديث بألفاظه من مسند جابر بن عبدالله، في الحديث الخامس والعشرين من افراد مسلم (٢).

وفي الجمع بين الصحيحين أيضاً بسنده عن ابن شهاب، قال: أخبرني عروة بن الزبير: أن عبدالله بن الزبير قام بمكة، فقال: إن أناساً أعمى الله قلوبهم كما أعمى أبصارهم يفتون بالمتعة يعرض برجل، فناداه فقال: أنك لجلف جاف، فلعمري لقد كانت المتعة تفعل في عهد امام المتقين - يريد رسول الله ﷺ - فقال له ابن الزبير: فجرت نفسك، فوالله لان فعلتها لأرجمك بالأحجار (٣).

وفيه أيضاً من مسند جابر بن عبدالله من طريق آخر قال: كنّا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق الأيام على عهد رسول الله وأبي بكر، حتى نهى عنها عمر في شأن عمرو بن حريث (٤).

ونقل صاحب الطرائف عن جماعة، عن عبد الرزاق، وهو من أئمة أهل الحديث، عن ابن جريج، وهو من أئمة فقهاءهم، ونقله حديثهم، عن عطاء بن أبي رباح، وهو من سادات فقهاء التابعين، عن صفوان بن يعلى، عن أبيه: أن معاوية استمتع امرأة بالطائف، فدخلنا على ابن عباس، فذكرنا ذلك له، فقال: نعم، قال: ثم قدم علينا جابر بن عبدالله معتمراً فجنناه، فذكرنا له المتعة، فقال: استمتعنا على عهد رسول الله وعهد أبي بكر وعهد عمر، حتى إذا كان في خلافة عمر استمتع عمرو بن حريث بإمرأة، فسأله عمر من أشهدت؟ قال: أمي وأميها - أو قال أخاها - فقال:

(١) الطرائف ص ٤٥٧ عنه .

(٢) صحيح مسلم ٢: ٨٨٥.

(٣) صحيح مسلم ٢: ١٠٢٦، والطرائف ص ٤٥٨.

(٤) صحيح مسلم ٢: ١٠٢٣، والطرائف ص ٤٥٨.

فهلاً غيرها أخشى أن يكون ذلك دغلاً ونهى عنها يومئذ (١).

وروى عبد الرزاق عن ابن جريج أيضاً، عن عطاء بن أبي رباح، قال: سمعت
عبدالله بن عباس يقول ما كانت المتعة الأرحمة إلا رحمة رحم الله بها أمة محمد ﷺ، ولولا
أن عمر ينهى عنها ما احتاج إلى الزنا الآشقي (٢).

وفي الجمع بين الصحيحين أيضاً في مسند سلمة بن الأكوع في الحديث السادس
عشر من المتفق على صحته، عن الحسن بن محمد بن علي، عن سلمة وجابر، قالوا:
كنا في جيش، فأتانا رسول الله ﷺ وقال: أنه قد أذن لكم أن تستمتعوا،
فاستمتعنا، يعني متعة النساء (٣).

وفيه أيضاً هذا الحديث في مسند عمرو بن دينار (٤).

وفيه هذا في مسند عبدالله بن مسعود، قال: كنا تغزوا مع رسول الله ﷺ،
وليس معنا نساء، فقلنا: ألا نستخصي، فنهانا عن ذلك، ثم رخص لنا أن ننكح
المرأة بالثوب إلى أجل، ثم قرأ عبدالله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما
أحل الله لكم﴾ (٥).

وفي كتاب الحلية لأبي نعيم، ومسند أحمد بن حنبل، عن عمران بن الحصين
واللفظ له، قال: أنزلت المتعة في كتاب الله تعالى وعلمناها وفعلناها مع النبي ﷺ،
ولم ينزل قرآن بجرمة، ولم ينه منها حتى مات (٦).

(١) الطرائف ص ٤٥٨ - ٤٥٩.

(٢) الطرائف ص ٤٥٩.

(٣) صحيح مسلم ٢: ١٠٢٢، والطرائف ص ٤٥٩.

(٤) نفس المصدر.

(٥) صحيح مسلم ٢: ١٠٢٢، والطرائف ص ٤٥٩.

(٦) راجع: مسند أحمد بن حنبل ١: ٥٢، ٣: ٤٠٤ - ٤٠٦، والطرائف ص ٤٥٩.

وفي صحيح الترمذي عن ابن عمر ، وقد سأله رجل من أهل الشام عن متعة النساء ، فقال : هي حلال ، فقال : ان أباك قد نهى عنها ، فقال ابن عمر : رأيت ان كان أبي قد نهى عنها وصنعها رسول الله ﷺ يترك السنة وتتبع قول أبي (١) .

وفي تفسير الثعلبي ، عن حبيب بن أبي ثابت ، قال : أعطاني عبد الله بن عباس مصحفاً ، فقال : هذا على قراءة أبي بن كعب ، فرأيت في المصحف ﴿ فما استمتعتم به منهن الى أجل مسئى ﴾ ورواه الثعلبي أيضاً عن ابن جبير وأبي نصره (٢) .

وفي كتاب الأفضية لأبي علي الحسن (٣) بن علي بن زيد ، وهو من كبار رجال الأربعة المذاهب ، أن سنة من الصحابة وسنة من التابعين ذكرهم بأسمائهم كانوا يفتون باباحه متعة النساء في حياة النبي ﷺ وبعد وفاته .

وفي كتاب المجير لمحمد بن حبيب النحوي ، أن سنة من الصحابة وسنة من التابعين كانوا يفتون باباحه متعة النساء (٤) .

أنظر أيها اللبيب الى هذه الأحاديث الصحيحة الدالة على أن خليفتم عمر حرّم ما أحلّ الله وحكم بغير ما أنزل الله ، وقد قال الله تعالى ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ (٥) .

وما أحسن ما نقل عن بعض الجمهور ، أن رجلاً كان يفعل المتعة ، فقيل له : بمن أخذت حلّها ؟ فقال : عن عمر ، فقالوا له : كيف ذلك ؟ وعمر هو الذي نهى عنها وعاقب على فعلها ، فقال : لقوله : متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ ، فأنا

(١) الطرائف ص ٤٦٠ عنه .

(٢) الطرائف ص ٤٦٠ عنه .

(٣) في الطرائف : الحسين .

(٤) الطرائف ص ٤٦٠ عنها .

(٥) المائدة : ٤٤ .

أحرمها وأعاقب عليها : متعة الحج ، ومتعة النساء . وأنا أقبل روايته في شرعيتها على عهد رسول الله ﷺ ولا أقبل نهيه من قبل نفسه .

ومنها : أنه حرّم متعة الحج ، روى الحميدي في الجمع بين الصحيحين ، في مسند أبي موسى الأشعري ، في الحديث السادس والأربعين من المتفق على صحته ، عن ابراهيم بن أبي موسى الأشعري : أن أباه كان يفتي بالمتعة ، فقال له : رويدك ببعض فتياك ، فأنك لا تدري ما أحدث أمير المؤمنين عمر أنه أبطلها ، فليقه بعد فسأله فقال عمر : قد علمت أن النبي ﷺ قد فعله وأصحابه ، ولكن كرهت أن يظلّوا معرّسين بهنّ في الأراك ، ثم يروحوا في الحجّ تقطر رؤوسهم (١) .

وفيه أيضاً في الحديث السابع ، من مسند علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، عن مروان بن الحكم ، من رواية علي بن الحسين ، عن سعيد بن المسيّب ، أنه شهد عثمان بين مكّة والمدينة وعثمان ينهى عن المتعة وأن يجمع بينها ، فلمّا رأى ذلك أهلّ بها ليّيك بعمرة وحجّة ، فقال عثمان : تراني أنهي وأنت تفعله ، قال : ما كنت لأدع سنّة رسول الله ﷺ لقول أحد (٢) .

وروى أيضاً في الجمع بين الصحيحين ، من مسند عمران بن الحصين في متعة الحجّ ، قال : أنزلت آية المتعة في كتاب الله تعالى ، ففعلناها مع رسول الله ﷺ ، ولم ينزل قرآن بتحريم ذلك ، ولم ينه عنها حتّى مات وقال رجل برأيه ما شاء (٣) .

قال البخاري في صحيحه : يقال أنه عمر ، وقال مسلم في صحيحه في المجلد الثاني من ثلاث مجلّدات ما هذا لفظه : يعني أنه عمر (٤) .

(١) صحيح مسلم ٢ : ٨٩٦ ، والطرائف ص ٤٦١ .

(٢) صحيح مسلم ٢ : ٨٩٧ .

(٣) صحيح مسلم ٢ : ٨٩٨ - ٨٩٠ .

(٤) صحيح البخاري ٢ : ١٥٣ ، والطرائف ص ٤٦١ .

أنظر أيها اللبيب الى المخالفين كيف رضوا بخلافة من كره ما أنزل الله ولم يحكم به ، وقد قال الله تعالى في كتابه ﴿ وكرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم ﴾^(١) ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴿^(٢).

وكيف يجوز ذو بصيرة ترك العمل بكتاب الله والعمل بالرأي الفاسد وان جوزوا تغيير بعض الأحكام بالرأي ، فيلزم تجويز تغيير جميع الأحكام بالرأي ، فيصير خليفتهم شارعاً لهم ، وشرعه يصير ناسخاً لشرع النبي ﷺ .

ولا يخفى أنّ أمر النبي ﷺ بمتعة الحج متواتر عند شيعة أهل البيت الذين أمر النبي ﷺ بالتمسك بهم ، بل روايات أهل السنة أيضاً في هذا الباب متواترة .

وقد رواه الحميدي في الجمع بين الصحيحين ، في مسند جابر بن عبدالله ، في الحديث الخامس والعشرين من المتفق على صحته .

ورواه أيضاً في الحديث التاسع والثمانين من مسند جابر من افراد مسلم .
ورواه فيه أيضاً في مسند أبي سعيد الخدري ، في الحديث الثالث والثلاثين من افراد مسلم من مسند أسماء بنت عميس .

ورواه فيه أيضاً من مسند عبدالله بن عمر في الحديث الرابع عشر من المتفق عليه .

ورواه أيضاً في مسند عبدالله بن عباس في الحديث السادس والثلاثين .
ورواه أيضاً في مسند عائشة^(٣) .

أقول : العجب كلّ العجب من أهل السنة ، أنّهم تركوا شريعة نبيهم وأخذوا بشريعة عمر ، وان رأوا أحداً يعمل بشريعة النبي لا يرضون إلا بقتله ، ويعيرونه

(١) محمد «ص» : ٩ .

(٢) المائدة : ٤٤ .

(٣) الطرائف ص ٤٦٢ .

بالرفض والبدعة ، وما أحسن ما قال بعض العارفين في سبب اشتها ر سنن عمر : إن كثيراً من البلاد فتحت في خلافته ، ، وتلقن أصحاب البلاد سنن عمر من نوابه رغبة ورهبة ، كما تلقنوا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فنشأ عليها الصغير ، ومات عليها الكبير ، فأصل عمر نوابه ، وأصل نوابه من تبعهم من أهل البلاد ، وما أقرب وصفهم مما تضمنه كتاب الله عز وجل ﴿ اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب ﴾ وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار ﴿ (١) .

ومنها : أنه وضع الخراج على السواد .

ومنها : أنه أبدع التراويح جماعة في شهر رمضان ، وقال : نعمة البدعة ، وقد قال النبي ﷺ : كل بدعة ضلالة . وقد امتنع النبي ﷺ من أن يكون اماماً في نافلة رمضان ، كما أخرجه الحميدي في الجمع بين الصحيحين .

وسأل أهل الكوفة علياً عليه السلام أن ينصب لهم اماماً يصلّيها ، فزجرهم وعرفهم أن السنة خلافها ، فاجتمعوا ونصبوا لأنفسهم اماماً ، فبعث اليهم الحسن ليردّهم عنها ، فلما دخل المسجد تبادروا الى الأبواب وصاحوا واعمره ﴿ (٢) .

ومنها : ما ذكره الحميدي في الجمع بين الصحيحين عن عدّة طرق ، في مسند عبد الله بن عباس ، وفي مسند عمار بن ياسر ، في الحديث الثاني من المتفق عليه ، قال : إن رجلاً أتى عمر ، فقال : أتى أجنبت فلم أجد ماءً ، فقال : لا تصل ، فقال عمار : أما تذكر يا أمير المؤمنين اذ أنا وأنت في سرية ، فأجنبنا فلم نجد ماءً ، فأما أنت فلم تصل ، وأما أنا فتمعكت في التراب وصليت ، فقال رسول الله ﷺ : أما يكفيك

(١) البقرة : ١٦٦ - ١٦٧ ، الطرائف ص ٤٧٨ .

(٢) الصراط المستقيم ٣ : ٢٦ .

الصعيد أن تضرب بيدك على الأرض ، ثم ترفع^(١) ثم تمسح بها وجهك وكفّيك ، فقال عمر : اتق الله يا عمّار ، فقال : ان شئت لم أحدث به ، فقال عمر : نوّيك ماتولّيت^(٢) .

أقول : هذا الكلام صريح في أنّ عمر كان يعمل برأيه ، ولم يكن يعمل بالكتاب والسنة ، فالويل له ، ثم الويل لأتباعه .

ومنها في كتاب الأوائل لأبي هلال العسكري : أنّ أوّل من أعال الميراث عمر ، فقال ابن عبّاس : لو قدّموا من قدّمه الله ، وهو الذي أهبط من فرض الى فرض ، وأخروا من أخّره الله ، وهو الذي أهبط من فرض الى ما بقي ، ما عالت فريضة قطّ قال الزهري : فقلت : له من أوّل من أعال ؟ قال : عمر بن الخطّاب^(٣) .

ومنها : ما نقله صاحب القاموس من علماء السنة ، وهذه عبارته : المشركة كمعظمة ، ويقال : المشركة زوج وأمّ وأخوان لأبّ وأخوان لأبّ وأمّ ، حكم فيها عمر ، فجعل الثلث للأخوين لأبّ ، ولم يجعل للأخوين للأبّ والأمّ شيئاً ، فقالوا له : يا أمير المؤمنين هب أنّ أبانا كان حماراً فأشركنا بقراءة أمّنا ، فأشرك بينهم ، فسّميت مشركة ومشركة وحمارية^(٤) ، انتهى

أنظر أيّها العاقل الى مقدار عقل امامهم وعلمه وحكمه بغير ما أنزل الله .

ومنها : أنّه أوجب على جميع الخلق امامة أبي بكر ، ودعا اليها لا عن وحي من الله ، ولا خبر من رسول الله ، أتراه كان أعلم منها بمصالح العباد ؟ أو استناباه في

(١) في الصحيحين : ثمّ تنفخ .

(٢) صحيح مسلم ١ : ٢٨٠ ، وصحيح البخاري ١ : ٨٧ ، والظرائف ص ٤٦٤ .

(٣) الصراط المستقيم ٣ : ٢٧ عنه .

(٤) القاموس المحيط ٣ : ٣٠٩ .

نصب أبي بكر اماماً على البلاد؟^(١).

ومنها : أنه تجسّس على قوم في دارهم ، ذكره الطبري ، والرازي ، والشعبي ، والقزويني ، والبصري ، وفي محاضرات الراغب ، واحياء الغزالي ، وقوت القلوب المالكي ، فقال أصحاب الدار : أخطأت لقوله تعالى ﴿ ولا تجسسوا ﴾^(٢) ودخلت من غير باب لقوله تعالى ﴿ وآتوا البيوت من أبوابها ﴾^(٣) ودخلت من غير اذن لقوله تعالى ﴿ لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ﴾^(٤).

قالوا : له أن يجتهد في ازالة المنكر ؛ لآئه بلغه أنهم كانوا على منكر . قلنا : لا يجوز الاجتهاد في محرّم بغير علم ولا ظنّ ، ولهذا لما ظهر أنه أخطأ لحقه الخجل .

ومنها : أنه كان يعطي عائشة وحفصة كلّ سنة من بيت المال عشرة آلاف درهم ، ومنع أهل البيت خمسهم ، بعد ما منع فاطمة عليها السلام ارثها ونحلتها . قالوا : يجوز تفضيل النساء في العطاء . قلنا : لا بسبب خطأ^(٥).

ومنها : أنه ترك حيّ على خير العمل وقال : خفت أن يتكل الناس عليها وتدع غيرها . وأسند محمد بن منصور الكوفي في كتابه الجامع الى أبي محذورة : أنّ النبي صلى الله عليه وآله أمره بها ، وقال ابن عباس لعمر : ألقيتها من الأذان وبها أذن

(١) الصراط المستقيم ٣ : ١٩ .

(٢) الحجرات : ١٢ .

(٣) البقرة : ١٨٩ .

(٤) النور : ٢٧ .

(٥) الصراط المستقيم ٣ : ٢٠ .

رسول الله ﷺ (١).

وأبدع التكفير في الصلاة، وهو من فعل اليهود والنصارى، وحذف البسمله منها وزاد آمين فيها، وهي كلمة سريانية يهودية، ووضع في التشهد الأول تسليماً، مع أنهم رووا قوله ﷺ «تحليلها التسليم» ولا خلاف عندهم أن من سلم قبل التشهد عمداً فلا صلاة له (٢).

ومنها: أنه عطل حدّ الله لما شهدوا على المغيرة بن شعبه بالزنا، فلقن الرابع وتركها، فحدّ الثلاثة، فكيف يجوز له صرف الحدّ عن مستحقّه ويوقعه في ثلاثة بهوى نفسه؟ وكان كلما لني المغيرة قال: خفت أن يرميني الله بحجارة من السماء. ان قيل: فعلي عليه السلام لم يحدّ رجلاً أقرّ بالسرقه، بل أسقطه بحفظه سورة البقرة، فقال له الأشعث بن قيس: أتعطل حدّ الله؟ قلنا: قال له: ويحك انّ للامام الخيار في المقرّ أن يعفو، أمّا اليهود فليس له أن يعفو (٣).

ومنها: ما أسنده جعفر بن علي الخزاز الى سعيد بن المسيّب، ومحمد بن علي البصري، الى أبي سعيد الخدري، أنه كتب الى معاوية عهداً يذمّ فيه الاسلام، ومحمداً يجعله ساحراً، ويقسم باللات والعزى والأصنام والأوثان، ما جردها منذ عبدها، ويشكرها أنّها هي التي دلّت عتيقاً على أمته بحيلته، وشهادته بفضائله، وتسرعه الى بيعته، وادّعائه أنّ علياً عليه السلام بخلافته بعد أن جرّه الى سقيفة بجل في عنقه وأشاع القول ببيعته.

ثمّ قال: فمن يا معاوية فعل فعلي، واستثار أحقاد أسالفه غيري، وذكر له أنّه أمّا ولآه الشام ليتّم له هذا المرام، وذكر ذلك في شعره «معاوي انّ القوم ضلّت

(١) الصراط المستقيم ٣: ٢٠ - ٢١.

(٢) الصراط المستقيم ٣: ٢١.

(٣) الصراط المستقيم ٣: ٢١ - ٢٢.

حلومهم» الى آخره ، ولما قدم ابن عمر على يزيد منكرأ عليه قتل الحسين عليه السلام أوقفه على هذا العهد ، فرجع مستبشراً^(١) .

أقول : هذا الرواية الدالّة على كفر عمر وان كانت منقولة من طريقنا ، ولكن قد قدّمنا لها مؤيّدات كثيرة من رواياتهم المتواترة .

ومّا يدلّ على فسق عمر وبغضه لعلي عليه السلام جعله الخلافة شورى .

قال ابن ابي الحديد في شرحه على نهج البلاغة : وصورة هذه الواقعة : أنّ عمر لما طعنه أبو لؤلؤة ، وعلم أنّه ميّت ، استشار في من يولّيه الأمر بعده ، فأشير عليه بانه عبد الله ، فقال : لاها الله اذاً لا يليها رجلان من ولد الخطّاب ، حسب عمر ما حمل ، حسب عمر ما احتقب ، لاها الله ، لا أتحمّلها حيّاً ولا ميّتاً .

ثمّ قال : إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله مات وهو راض عن هذه السنّة من قريش : علي ، وعثمان ، وطلحة ، والزبير ، وسعد ، وعبد الرحمن بن عوف ، وقد رأيت أن أجعلها شورى بينهم ليختاروا لأنفسهم ، ثمّ قال : ان أستخلف فقد استخلف من هو خير منّي يعني أبابكر ، وان أترك فقد ترك من هو خير منّي يعني رسول الله صلّى الله عليه وآله .

ثمّ قال : أدعوهم لي ، فدعوهم ، فدخلوا وهو ملقى على فراشه يجود بنفسه ، فنظر اليهم ، فقال : أكلّكم يطعم في الخلافة بعدي ؟ فوجموا ، فقال لهم ثانية ، فأجابه الزبير قال : وما الذي يبعدنا منها ، وليتها أنت فقمت بها ولسنا دونك في قريش لا في السابقة ولا في القرابة .

قال الشيخ أبو عثمان الجاحظ : والله لولا علمه أنّ عمر يموت في مجلسه ذلك لم يقدم على أن يفوّه من هذا الكلام بكلمة ، ولا أن يتنفّس منه بلفظة .

فقال عمر : أفلا أخبركم عن أنفسكم ؟ قالوا : قل فإنّا لو استعفيناك لم تعفنا ،

فقال : أما أنت يا زبير فوقع لقس^(١) ، مؤمن الرضا كافر الغضب ، يوماً انسان ويوماً شيطان ، ولعلها لو أفضت اليك ظلت تلاطم بالبطحاء على مدّ من شعير ، فان أفضت اليك فليت شعري من يكون للناس يوم تكون شيطاناً ، ومن يكون يوم تغضب اماماً ، وما كان الله ليجمع لك أمر هذه الأمة وأنت على هذه الصفة .

ثم أقبل على طلحة وكان له مغضباً منذ قال لأبي بكر يوم وفاته ما قال في عمر ، فقال له : أقول أم أسكت ؟ قال : قل فأئك لا تقول من الخير شيئاً ، قال : أما أتى أعرفك منذ أصيبت اصبعك يوم أحد وائياً^(٢) بالذي حدث لك ، ولقد مات رسول الله ﷺ ساخطاً عليك للكلمة التي قلتها يوم أنزلت آية الحجاب .

قال شيخنا أبو عثمان الجاحظ : الكلمة المذكورة أن طلحة لما أنزلت آية الحجاب ، قال بمحضر من نقل عنه الى رسول الله ﷺ : ما الذي يعنيه حجابهنّ اليوم وسيموت غداً فنكحهنّ .

قال أبو عثمان أيضاً : لو قال قائل لعمر : أنت قلت ان رسول الله ﷺ مات وهو راض عن السنة ، فكيف تقول الآن لطلحة أنه مات ﷺ ساخطاً عليك للكلمة التي قلتها ، لكان قد رماه بمناقضة^(٣) ، ولكن من الذي يجسر على عمر أن يقول له ما دون هذا ، فكيف هذا !

قال : ثم أقبل على سعد بن أبي وقاص ، فقال : أما أنت صاحب مقنب^(٤) من هذه المقانب ، تقاتل به ، وصاحب قنص وقوس وأسهم ، وما زهرة^(٥) والخلافة

(١) الودع : الضجر المتبرّم . واللقس : من لا يستقيم على وجه .

(٢) وائياً : غاضباً .

(٣) في الشرح : بمشاقصه . جمع مشقص وهو نصل السهم اذا كان طويلاً .

(٤) المقنب : جماعة الخيل .

(٥) زهرة : قبيلة سعد بن أبي وقاص .

وأمر الناس .

ثم أقبل على عبد الرحمن بن عوف ، فقال : وأما أنت يا عبد الرحمن ، فلو وزن نصف إيمان المسلمين بإيمانك لرجح إيمانك به ، ولكن ليس يصلح هذا الأمر لمن فيه ضعف كضعفك ، وما زهرة وهذا الأمر .

ثم أقبل على علي بن أبي طالب فقال : لله أنت لولا دعاة فيك ، أما والله لئن وليتهم لتحملتهم على الحق الواضح والمحجة البيضاء .

ثم أقبل على عثمان فقال : هيباً اليك ، كأني بك وقد قلدتك قريش هذا الأمر لحبها إياك ، فحملت بني أمية وبني أبي معيط على رقاب الناس ، وآثرتهم بالنبي ، فسارت اليك عصابة من ذؤبان العرب ، فذبحوك على فراشك ذبحاً ، والله لئن فعلوا لتفعلن ، ولئن فعلت ليفعلن ، ثم أخذ بناصيته فقال : فإذا كان ذلك فاذا ذكر قولي فإنه كائن .

ذكر هذا الخبر شيخنا أبو عثمان في كتاب السفىانية ، وذكره جماعة في باب فراسة عمر ، وذكر أبو عثمان في هذا الكتاب عقيب رواية هذا الخبر قال : وروى معمر بن سليمان التيمي ، عن أبيه ، عن سعيد بن المسيب ، عن ابن عباس ، قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول لأهل الشورى : أنكم ان تعاونتم وتوازرتم وتناصحتم أكلتموها وأولادكم ، وان تحاسدتم وتقاعدتم وتدابرتم وتباغضتم ، غلبكم على هذا الأمر معاوية بن أبي سفيان ، وكان معاوية حينئذ أمير الشام .

ثم رجع بنا الكلام الى تمام قصة الشورى ، ثم قال : أدعوا لي أبا طلحة الأنصاري فدعوه له فقال : أنظر يا أبا طلحة اذا عدتم من حفرتي ، فكن في خمسين رجلاً من الأنصار حاملي سيوفكم ، فخذ هؤلاء نفر بامضاء الأمر وتعجيله ، وأجمعهم في بيت وقف بأصحابك على باب البيت ليتشاوروا ويختاروا واحداً منهم ، فان اتفق خمسة وأبى واحد فاضرب عنقه ، وان اتفق أربعة وأبى اثنان فاضرب أعناقها ، وان اتفق ثلاثة وخالف ثلاثة ، فانظر الثلاثة التي فيها عبد الرحمن ، فارجع الى ما

قد اتفقت عليه ، فان أصرت الثلاثة الأخرى على خلافها فاضرب أعناقهم ، وان مضت ثلاثة أيام ولم يتفقوا على أمر فاضرب أعناق الستة ودع المسلمين يختاروا لأنفسهم .

فلما دفن عمر جمعهم أبو طلحة ، ووقف على باب البيت بالسيف في خمسين رجلاً من الأنصار حاملي سيوفهم ، ثم تكلم القوم وتنازعوا ، فأول ما عمل طلحة أنه أشهدهم على نفسه أنه قد وهب حقه من الشورى لعثمان ، وذلك لعلمه أن الناس لا يعدلون به علياً وعثمان ، وأن الخلافة لا تخلص له وهذان موجودان ، فأراد تقوية أمر عثمان واضعاف جانب علي عليه السلام بهبة أمر لا انتفاع له به ولا تمكن له منه .

فقال الزبير في معارضته : وأنا أشهدكم على نفسي أنني قد وهبت حقي من الشورى لعلي ، وإنما فعل ذلك لأنه لما رأى علياً قد ضعف وانزل بهبة طلحة حقه لعثمان دخلته حمية النسب ؛ لأنه ابن عمّة أمير المؤمنين عليه السلام ، وهي صفيّة بنت عبد المطلب ، وأبو طالب خاله ، وإنما مال طلحة الى عثمان لانحرافه عن علي عليه السلام ، باعتبار أنه تيمي وابن عمّ أبي بكر ، وقد كان حصل في نفوس بني هاشم من بني تيم حنق شديد لأجل الخلافة ، وكذلك صار في صدور بني تيم على بني هاشم ، وهذا أمر مركوز في طبيعة البشر ، وخصوصاً طينة العرب وطباعتها ، والتجربة الى الآن تحقّق ذلك ، فبقي من الستة أربعة .

فقال سعد بن أبي وقاص : وأنا قد وهبت حقي من الشورى لابن عمّي عبد الرحمن ، وذلك لأنهما من بني زهرة ، ولعلم سعد أن الأمر لا يتم له .

فلما لم يبق الا الثلاثة ، قال عبد الرحمن لعلي وعثمان ، أيكما يخرج نفسه من الخلافة ، ويكون اليه الاختيار في الاثنين الباقيين ؟ فلم يتكلم منهما أحد ، فقال عبد الرحمن : أشهدكم أنني قد أخرجت نفسي من الخلافة على أن أختار أحدكما ، فأمسكا ، فبدأ بعلي عليه السلام فقال : أبأبيك على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة الشيخين

أبي بكر وعمر ، فقال : بل على كتاب الله وسنة رسوله واجتهاد رأيي ، فعدل عنه الى عثمان فعرض ذلك عليه ، فقال : نعم ، فأعاد الى علي عليه السلام فأعاد قوله ، ففعل ذلك عبد الرحمن ثلاثاً .

فلما رأى أن علياً عليه السلام غير راجع عما قاله ، وأن عثمان ينعم له بالاجابة ، صفق على يد عثمان وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فيقال : إن علياً عليه السلام قال له : والله ما فعلتها إلا لأنك رجوت منه ما رجا صاحبكما من صاحبه ، دق الله بينكما عطر منشم . قيل : ففسد بعد ذلك بين عثمان وعبد الرحمن ، فلم يكلم أحدهما صاحبه حتى مات عبد الرحمن ^(١) . انتهى .

أقول : لا يخفى أن في هذه الحكاية عدة عجائب :

أحدها : أنه قال : إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مات وهو راض عن السنة ، ثم قال : إن النبي مات وهو ساخط على طلحة .

وثانيها : أنه عاب علياً عليه السلام بالدعابة ، وهي من خصال الأنبياء عليهم السلام .

وثالثها : أنه أفتى بقتل من خالف منهم ظلماً وجوراً من غير دليل وبرهان ، ومن جملتهم أمير المؤمنين عليه السلام الذي حبه إيمان وبغضه كفر ونفاق ، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم مخبراً عنه : علي مع الحق والحق مع علي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض ^(٢) .

ورابعها : أنه رجح الثلاثة التي فيها عبد الرحمن مع علمه بأن عبد الرحمن لا يفارق عثمان للمصاهرة بينها ، فهذا الترجيح في الحقيقة حكم بخلافة عثمان الفاسق ، وبقتل أمير المؤمنين وسيد المتقين .

وخامسها : أن بني هاشم كانوا يبغضون بني تيم لأجل الخلافة ، وهو دليل على عدم الاجماع على خلافة أبي بكر ؛ لأن عدم رضا بني هاشم بخلافة أبي بكر ينافي

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ : ١٨٥ - ١٨٨ .

(٢) راجع : احقاق الحق ٥ : ٦٢٣ - ٦٣٨ .

الاجماع عليها .

وسادسها : أن بني تيم كانوا يبغضون بني هاشم ، وهذا دليل كفرهم ؛ لأنه تواتر عن النبي ﷺ : أن حبَّ علي إيمان وبغضه كفر . وقوله : اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله . ومعلوم من عدم رضاء علي ﷺ بسنة الشيخين وابائه ثلاث مرّات مع كمال اهتمامه بأمر الخلافة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أنه ﷺ كان يعتقد أنّهما من أهل البدعة ، وسنتها على خلاف الكتاب .

ولا يخفى على الخبير أن عمر بهذه الشورى أوقع الاختلاف بين أمة محمد ﷺ ؛ لأنه أوقع طلحة الزبير في طمع الخلافة ، ففعلوا ما فعلوا ، وأهرقوا من الدماء ما أهرقوا ، وجعل عثمان خليفة ، وفعل ما فعل ، وأحدث ما أحدث حتى قتل فصار ما صار من الفتن واهراق الدماء ، وهي باقية الى يوم القيامة ، نعم ما قال الشاعر الأعجمي :

بد كردن شمر هم زبد كردن اوست خون شهدا تمام در گردن اوست
ونقل ابن عبد ربّه في كتاب العقد في المجلد الرابع ، أن معاوية قال : لم يشئت بين المسلمين ولا فرق أهواءهم الآل الشورى التي جعلها عمر الى السنة ، ثم فسّر معاوية ذلك في آخر كلامه ، فقال ما هذا لفظه : لم يكن من السنة رجل الآرجاها لنفسه ، ورجاها له قومه ، وتطلّعت الى ذلك أنفسهم ، ولو أن عمر استخلف كما استخلف أبو بكر ما كان في ذلك اختلاف (١) .

أنظر أيها البصير كيف أجرى الله تعالى تخطأة عمر على لسان أوليائه وأعدائه . ومما يدلّ على ظلمه وفسقه : بعض الكلمات التي نقل عنه في حال حياته وحال

احتضاره . في الحلية : أنَّ عمر قال : لو نادى مناد من السماء : أنكم داخلون الجنةَ الآحاداً ، لحفت أن أكون هو (١) .

وفي الفصل الرابع من الجزء الأوَّل من الاحياء ما تقدّم آنفاً : أنَّ عمر سأل حذيفة هل هو من المنافقين أم لا ؟ (٢) وليس هذا السؤال الآ لشكّه في دينه ، أو ليقينه في نفاقه ولكن مراده بالسؤال أن يتعرّف أن حذيفة يكتّم عليه نفاقه أو يذيعه .

وأسند الواقدي الى ابن عبّاس ، أنّه دخل عليه حين طعن وقال : مضى النبيّ وهو عنك راض ، فقال : المغرور من غرّرتوه ، أما والله لو أن لي ما طلعت عليه الشمس لا فتديت به من هول المطلع (٣) ، فأين هذا من قول عليّ عليه السلام : اني للقاء ربيّ لمشتاق ، ولحسن ثوابه لمنتظر ، واني لعلّ طريق مستقيم من أمري وبينت من ربيّ (٤) .

وفي كتاب الجمع بين الصحيحين في مسند أبي موسى الأشعري ، قال : قال أبو عامر بن أبي موسى : قال لي عبدالله بن عمر : هل تدري ما قال أبي لأبيك ؟ قال : قلت : لا ، قال : انّ أبي قال لأبيك : يا أبا موسى هل يسرك أنّ اسلامنا مع رسول الله ، وهجرتنا معه ، وجهادنا معه ، وعملنا كلّ معه ، ويرد لنا كلّ عمل عملناه بعده ، نجونا منه كفافاً رأساً برأس ، فقال أبوك لأبي : لا والله قد جاهدنا بعد رسول الله ، وصلينا ، وصمنا ، وعملنا خيراً كثيراً ، وأسلم على أيدينا بشر كثير ، وأنا أرجو ذلك ، قال أبي : لكن أنا والذي نفس عمر بيده لو ددت أن ذلك يرد لنا كلّ شيء عملناه ، وبعده نجونا منه كفافاً رأساً برأس ، فقال : انّ أباك والله كان خيراً من أبي (٥) .

(١) حلية الأولياء ١ : ٥٣ ، والصرط المستقيم ٣ : ٢٥ .

(٢) الصراط المستقيم ٣ : ٢٨ ، عنه . واحياء العلوم للغزالي ١ : ١٢٤ .

(٣) العقد الفريد ٥ : ٢٧ .

(٤) الصراط المستقيم ٣ : ٢٤ .

(٥) الطرائف ص ٤٧٩ عنه .

وفي الحلية : وفي مواضع الكرامي : أنّ عمر قال عند احتضاره : ليتني كنت كبشا لأهلي فأكلوا لحمي وفرّقوا عظمي ولم أرتكب اثمي ^(١) .

وفي الحديث الأوّل من افراد البخاري من الجمع بين الصحيحين ، أنّ ابن عبّاس دخل عليه لما طعن وهو يتألّم ، فقال : جزعي من أجلك وأجل صاحبك ، والله لو أنّ لي طلاع الأرض ذهباً لافتديت به من عذاب الله قبل أن أراه ^(٢) .

وفي كامل البهائي عن الواقدي من النواصب ، أنّ عمر حين طعن رفع عثمان رأسه عن التراب ، فقال عمر : ويل لي ، ويل لي من النار ، الآن لو كانت لي الدنيا لافتديت بها من النار ولم أرها .

هذه روايات المخالفين في ظلم امامهم وكفره ونفاقه ، وأما رواياتنا في هذا الباب ، فكثر جداً بالغه حدّ التواتر .

ومنها : أنّ ابن عمر قال لابن أبي : أكتّم عليّ ما أقول إنّ أبي لما حضرته الوفاة بكى ، فقلت : ممّ ؟ فقال : آت عليّاً ليحلّني وأرد عليه الأمر ، فلما جاء قال له ذلك ، قال : أجيئك على أن تشهد رجلين من الأنصار ورجلين من المهاجرين أنّك وصاحبك ظلمتاني ، فحوّل أبي وجهه ، فخرج عليّ ، فقلت : قد أجابك فأعرضت عنه ، فقال : يا أحمق أراد أن لا يصليّ عليّ أحد ^(٣) .

ومنها : الصحيفة التي تعاقد عليها عمر وأبو بكر وسالم الأبيكم ومعاذ بن جبل ، على أن لا يورثوا أحداً من أهل النبيّ ، ولا يولّوهم مقامه .

وروي أنّ عمر أودعها أبا عبيدة ، فقال النبيّ ﷺ له : أصبحت أمين هذه الأمة ورواه العامة أيضاً ، وقال عمر عند موته : ليتني خرجت من الدنيا كفافاً لا عليّ ولا

(١) حلية الاولياء ١ : ٥٢ ، والصرط المستقيم ٣ : ٢٥ .

(٢) الطرائف ص ٤٧٩ عنه .

(٣) راجع : بحار الانوار ٨ : ٢٠٤ الطبع الحجري ، والصرط المستقيم ٣ : ٢٤ .

لي ، فقال ابنه : تقول هذا ؟ فقال : دعني ، نحن أعلم بما صنعنا أنا وصاحبي وأبو عبيدة ومعاذ (١) .

ومما يؤيد هذا ما في الصراط المستقيم ، قال : أسند سليم ، الى معاذ بن جبل : أنه عند وفاته دعا عليّ نفسه بالويل والثبور ، قلت : أنك تهذي ؟ قال : لا والله ، قلت : فلم ذلك ؟ قال : لموالتي عتيقاً وعمر ، عليّ أن أزوي خلافة رسول الله عن عليّ ، وقال : وروى مثل ذلك عن عبدالله بن عمر ، أن أباه قاله .

وروي عن محمد بن أبي بكر أن أباه قال له ، وزاد فيه : أن أبابكر قال : هذا رسول الله ومعه عليّ بيده الصحيفة التي تعاهدنا عليها في الكعبة ، وهو يقول : لقد وفيت بها وتظاهرت عليّ وليّ الله أنت وأصحابك ، فأبشر بالنار في أسفل السافلين ، ثم لعن ابن صهّاك ، ثم قال : هو الذي صدّني عن الذكر بعد اذ جاءني .

وروت العامة ، أن عمر لما كفن قال عليّ عليه السلام : وددت أن ألقى الله بصحيفة هذا المسجى (٢) .

والمراد الصحيفة التي ذكرناها لا صحيفة أعمال عمر كما توهم المخالفون ، وكيف يكون ذلك ؟ وقد تقدّم أن عليّاً عليه السلام كان يعتقد أن عمر ظالم آثم غادر ، ولم يرض أن يبايعوه بالخلافة ، حيث شرطوا أن يعمل بسيرة أبي بكر وعمر .

وفي الصراط المستقيم ، قال العباس بن الحارث ، لما تعاقدوا عليّ الصحيفة نزلت : ﴿ ان الذين ارتدوا على أديبارهم ﴾ (٣) الآية ، وقد ذكرها أبو اسحاق في كتابه ، وابن حنبل في مسنده ، والمحافظ في حليته ، والزمخشري في فائقه (٤) .

(١) الصراط المستقيم ٣ : ١٥٤ .

(٢) الصراط المستقيم ٣ : ١٥٣ .

(٣) محمد صلى الله عليه وآله : ٢٥ .

(٤) الصراط المستقيم ٣ : ١٥٣ .

تذنيب

في بيان دناءة عمر وقلّة حياته وسوء مولده

ذكر الحنبلي في كتاب نهاية الطلب: أنّ عمر بن الخطّاب كان قبل الاسلام نحّاس الحمير (١).

وذكر أبو عبيدة القاسم بن سلام في كتاب الشهاب: أنّ الخطّاب بن نفيل بن عبد العزّي، أبو عمر بن الخطّاب، قطعت يده في سرق عكاظ، وتماّم عبارته في كتاب الطرائف.

وروى ابن عبد ربّية في كتاب العقد وهو من علماء الجمهور عن عمرو بن العاص أنّه قال: قيّح الله زماناً عمل فيه عمرو بن العاص لعمر بن الخطّاب، والله أنّي لأعرف الخطّاب يحمل فوق رأسه حزمة من حطب، وعلى ابنه عمر حزمة مثلها، وما مشيا الآ في مضرة (٢)، وما مشيا في منفعة قطّ (٣).

ثمّ قال: قيّح الله قوماً هم سادات العرب وملوك الجاهليّة، والاسلام تسوّد عبدهم عليهم.

ومن عجائب رواياتهم أنّ عمر فسئ على المنبر، وأخبر به المسلمون؛ لقلّة حياته وعدم انفعاله، ذكر عبدالله بن مسلم من روايتهم المتعصّيين في المجلّد الأوّل من كتاب عيون الأخبار، أنّ عمر قال على المنبر: ألاّ أنّي قد فسوت، وها أنزل لأعيد الوضوء.

اعلم أنّه لم يسبقه في هذا العمل أحد من الخطباء إلاّ أبو بكر، فأنّه روى أبو جعفر

(١) الطرائف ص ٤٦٨ عنه، والصرائط المستقيم ٣: ٢٨.

(٢) في العقد: وما منها الآ في نمرة.

(٣) العقد الفريد ١: ٤٦ ط بيروت.

محمد بن عبدالله بن سليمان من أعيان رجالهم ، في المجلد الأول ، من مسند علي بن أبي طالب عليه السلام أن أحدث أبو بكر على المنبر ، فزول وقدّم أباذرّ ، فصلى بالناس ركعتين ، ولم يلحقه أحد إلا معاوية ، فأنه أورد صاحب كتاب الحياوية أنه أحدث على المنبر وفضحه صعصعة .

وفي المجلد الثاني من كتاب العقد ، قالت له امرأة من قريش : يا عمر ، فوقف فقالت : كنّا نعرفك مدّة عميراً ، ثمّ صرت عمر ، ثمّ صرت أمير المؤمنين ، فاتق الله وانظر في أمور الناس ^(١) .

وفي البخاري والاحياء : أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وآله : من أبي ؟ قال : حذافة ، فسأله آخر : من أبي ؟ قال : سالم ، فبرك عمر على ركبتيه وقال بعد كلام : لا تبدين علينا سوء تنّا ^(٢) .

ونقل صاحب كتاب مطالع الأنوار ، وهو علي بن عبد النبي الطائي القطيفي ، عن كتاب الملل والنحل ، قال : كانت صهّاء أمّ عمر أمة لهاثم ، وقيل : أمة لعبد المطلب ، انتقلت الى هشام بن المغيرة ، وكان هشام هذا يتهمها بالمسافحة ، فيلبسها سراويل من الجلود ويقفل على تكّة السراويل قفلاً من حديد ، وكانت ترعى له ابلاً ، فنظر اليها فقيل عبد من عبيد قريش ، وراودها عن نفسها ووقع عليها ، فطاوعته واعتذرت عليه بالسراويل ، فخلاها في مرعى الابل ، وعلّقها بشجرة حتّى ارتخى لحمها ، وجرّ السراويل قليلاً قليلاً بعد مشقّة ، وأقام معها مدّة هكذا يفعل ومولاها لا يعلم ، فحملت منه الخطّاب ووضعت سرّاً .

فلما أدرك البلوغ نظر الى أمّه صهّاء ، فأعجبه عجيزتها ، فوثب عليها وفجر بها مراراً ، فحملت منه ووضعت بنتاً ، فلما ولدتها خافت من مولاها ، فلقتها في ثوب

(١) العقد الفريد ٢ : ٢٠١ .

(٢) الصراط المستقيم ٣ : ٢٩ .

وألقتهما بين أحشام مكة ، فوجدها هشام بن المغيرة ، قيل : أنه مولاه ، وقيل غيره ، فحملها الى منزله ورمها عند خدمه ، فربتها وسميت حنتمة ، فلما بلغت نظر اليها الخطاب ، فسافحها فأولدها عمر ، فكان الخطاب أباه وجدّه وخاله ، وكانت حنتمة أمّه وأخته وعمته .

وتقل صاحب الطرائف عن هشام بن محمد الكلبي من علماء الجمهور ، عن كتاب المثالب ما هذا لفظه : كانت صهّاك أمة حبشيّة لهاشم بن عبد مناف ، فوقع عليها نضلة بن هاشم ، ثم وقع عليها عبد العزّي بن رياح ، فجاءت بنفيل جدّ عمر بن الخطاب (١) .

أنظر أيها اللبيب الى نسبه وحسبه ، وتعجّب من عقول القائلين بامامته ووجوب متابعتة ، واشكر الله تعالى على هدايته لك الى اتّباع صفوته وخيرته رسول الله ﷺ وأهل بيته وخيار ذريّته .

تذنيب

في سبب اظهاره الاسلام ومهاجرته الى

المدينة نقلاً عن أهل البيت عليهم السلام

أنهم قالوا : انّ عمر كان معاضداً لأبي جهل في قصد رسول الله ﷺ بالأذى الشديد ، وكان عمر يحرص على قتل رسول الله ﷺ ، ولم تكن قريش تجد الى ذلك سبيلاً ؛ لاستعمال رسول الله ﷺ الصبر على الأذى ، وكفه لأصحابه من منابذتهم . قالوا : فلما رأى عمر ذلك واطأ أبا جهل على أن يظهر الاسلام ، والدخول في دين الله ، ثمّ يحملهم على المنابذة لتجد قريش الى قتله سبيلاً عند وقوع المنابذة .

(١) الطرائف في معرفة المذاهب ص ٤٦٩ المطبوع سنة ١٣٩٩ هـ بتحقيقنا .

فصار عمر الى رسول الله ﷺ، فأعلمه الله أنه قد رغب في دينه والدخول فيه ، وأظهر الاسلام ، ثم قال : يا رسول الله فما بالنا نعبد الله سرّاً ، وقال للذين كانوا أسلموا مع رسول الله ﷺ: أخرجوا حتى نقاتل المشركين ، وسلّ سيفه وقال : من يعرض لنا قتلناه بسيفونا .

وقد رأى أنّ الرسول سيعينه على ذلك ، فاذا رأت قريشاً سيفاً مسلولاً وجدت السبيل الى سلّ السيوف ، فيكون ذلك السبيل الى قتل رسول الله ﷺ، كان سبيل كلّ من سلّ سيفاً فقد أوجد عدوّه الى سلّ سيفه أيضاً عمداً .

فلما فعل عمر ذلك ، قال له الرسول ﷺ: يا عمران كنت جئت راغباً في الدين بما رضي اخوانك المسلمون من الصبر على الأذى والكفّ عن المنازعة ، فاني لم أومر بشيء من هذا الى أن يقدر الله ما يشاء ، وان كنت طالباً غير الدين فلسنا من أصحابك .

فلما لم يجد عمر الفرصة ممّا قصد له ، بقي متحيراً مدهاناً لقريش ، يخاف أن لا يكون للرسول دولة فيهلك معه ان لم يظهر لقريش الرغبة في الدين ، ويخاف أيضاً أن يكون للرسول دولة من بعد ، فلا يكون له من دولته نصيب ، فبقى عند ذلك مدهاناً للجميع .

قال : ومن الدليل على ذلك أنّ رسول الله ﷺ لما حوَصر في شعب عبد المطلب مع بني هاشم ، لم يتحاصر معه ولا أبو بكر ، وأصلحاً جميعاً على المداهنة والانتظار . وسلّ سيفه في تلك الحال كان من أعظم الكفر ؛ لأنّه كان حيلة منه أراد أن ينقض على رسول الله ﷺ تديبره .

والعجب كلّ العجب أنّ أهل السنّة عدّوا من فضائل عمر أنّه قال حين أسلم : لا نعبد الله سرّاً بعد هذا اليوم ، ولعمري لو كان يطلعون على ما ذكرناه لجحدوه وكنتموه ، لكن الله قد أعمى قلوبهم ، وختم على سمعهم ، كما قال تعالى ﴿ أم يحسب

أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ﴿١﴾ الْآيَةَ .
 ومما يدل أيضاً على أَنَّ إِسْلَامَ عَمْرِ وَقَوْلَهُ « لَا نَعْبُدُ اللَّهَ سِرّاً » كَانَ عَلَى سَبِيلِ
 الْمَخَادَعَةِ ، أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ الشَّجَاعَةِ ، وَعَظَمَ الْقَدْرَ ، وَمِنَ الرُّؤَسَاءِ الْمَطَاعِينَ فِي
 قَرِيشٍ وَالْعَرَبِ ، فَلَا وَجْهَ لِمَنْعِهِ عِبَادَةَ اللَّهِ سِرّاً إِلَّا مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْمَخَادَعَةِ وَنَقَضَ مَا
 أُبْرِمَ الرَّسُولَ ﷺ .

الدليل التاسع والثلاثون [بطلان امامة ثالث خلفائهم]

إِنَّ عَثْمَانَ الْمَلَّبَّ بِـ « نَعْتَلُ » الَّذِي هُوَ ثَالِثُ خُلَفَاءِ الْمُخَالِفِينَ كَانَ ظَالِماً فَاسِقاً ، وَمَنْ
 كَانَ كَذَلِكَ لَا يَصِلِحُ لِلْخِلَافَةِ بِالْإِجْمَاعِ ، فَبَطُلَ إِمَامَةُ الْأَوَّلِينَ أَيْضاً ؛ لِعَدَمِ الْقَائِلِ
 بِالْفَصْلِ ، فَثَبَتَ حَقِّيَّةُ مَذْهَبِنَا وَأَمْتُنَا الْإِثْنِي عَشَرَ ؛ لِبَطْلَانِ سَائِرِ الْفِرَقِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَلَى
 مَا بَيَّنَّاهُ ، وَأَمَّا كَوْنُهُ ظَالِماً فَنَحْنُ نَبِيَّتُهُ .

اعلم أَنَّ فِي تَسْمِيَّتِهِ بِنَعْتَلٍ أَقْوَالاً ، فِي حَدِيثِ شَرِيكَ : أَنَّ عَائِشَةَ وَحَفْصَةَ قَالَتَا
 لَهُ : سَمَّاكَ رَسُولَ اللَّهِ نَعْتِلاً تَشْبِيهاً لَكَ بِيَهُودِي . وَقَالَ الْكَلْبِيُّ : أَمَّا قِيلَ نَعْتِلاً تَشْبِيهاً
 بِرَجُلٍ لِحَيَاتِيٍّ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ ، وَقِيلَ مِنْ خِرَاسَانَ .

وقال الواقدي : شبّه بذكر الضباع ؛ فإنه نعتل لكثرة شعره ، وقال : أمّا شبّه
 بالضبع لأنه إذا صاد صيداً قاربته ثمّ أكله ، وإنه أتى بامرأة لتحدد ، فقاربها ثمّ أمر
 برجمها ، ويقال النعتل للئيس الكبير العظيم اللحية . قاله الكلبي في كتاب المثالب :
 كان عَفَّانٌ مَمَّنْ يَلْعَبُ بِهِ وَيَتَخَسَّنُ ، وَكَانَ يَضْرِبُ بِالْدَفِّ (٢) .

وقد أحدث عثمان أموراً :

(١) الفرقان : ٤٤ .

(٢) الصراط المستقيم ٣ : ٣٠ .

منها : أنه ولى أمر المسلمين من لا يؤمن عليه ولا علم به ، التفاتاً عن حرمة الدين الى حرمة القرابة ، فولى الوليد بن عقبة ، فظهر منه شرب الخمر والفساد ، وفيه نزل ﴿ أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً ﴾ (١) قال المفسرون ومنهم الثعلبي والواقدي: المؤمن علي والفاسق الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، وهو أخو عثمان لأُمّ ، وفيه نزل ﴿ ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ﴾ (٢) وصلى بالناس في أمارته سكراناً ، فقال : أزيدكم ؟ قالوا : لا .

وولى سعيد بن العاص الكوفة ، فقال : أما السواد بستان لقريش تأخذ منه ما شاءت ، فنعوه دخولها ، وتكلموا فيه وفي عثمان حتى كادوا يخلعونه فعزله قهراً (٣) . وأجاب قاضي القضاة بما حاصله : أن عثمان لم يكن عالماً بفسق من ولّاه . فأجاب سيّدنا المرتضى بما حاصله : أن عثمان لم يولّ هؤلاء النفر الأبّ وحالهم مشهورة في الفسق والفجور ، ولم يختلف اثنان في أنّ شرب الخمر والاستخفاف بالدين كان سنّة للوليد بن عقبة ، وطريقته القديمة المعروفة .

ولذا قال له سعد في رواية الواقدي وقد دخل مروان الكوفة : يا أبا وهب أميراً أم زائراً ؟ فقال : بل أميراً ، فقال سعد : أحمت بعدك أم كيست ؟ قال : ما حمقت ولا كيست ولكن القوم ملكوا فاستأثروا . وفي رواية أبي مخنف : أن وليداً لما دخل الكوفة مرّ على مجلس عمرو بن زرارة فوقف ، فقال عمرو : يا معشر بني أسد بش ما استقبلنا أخوكم عثمان بن عفّان ، أمن عدله أن يزرع عنا ابن أبي وقاص الهين اللين السهل القريب ، ويبعث بدله أخاه الوليد الأحمق الماجن الفاجر قديماً وحديثاً . وقالوا : أراد عثمان كرامة أخيه بهوان أمة محمد ﷺ .

(١) السجدة : ١٨ .

(٢) الحجرات : ٦ .

(٣) الصراط المستقيم ٣ : ٣٠ .

وقال السيّد عليه السلام بعد ذكره الآيتين في جواب قولي قاضي القضاة : انّ عثمان لما عرف شرب الوليد جلده الحدّ ولم يعزله الاّ بعد أن دافع ومانع ، ولولم يقهره أمير المؤمنين عليه السلام لما عزله ولا مكّن من جلده ، وقد روى الواقدي أنّ عثمان لما جاءه الشهود يشهدون على الوليد بشرب الخمر ، أوعدهم وهدّدهم .

قال الواقدي : ويقال أنّه ضرب بعض الشهود أسواطاً ، فأتوا أمير المؤمنين عليه السلام ، فشكوا اليه ، فأتى عثمان فقال : عطّلت الحدود ، وضربت قوماً شهدوا على أخيك ، الى قوله : وقالوا أقوالاً شديدة ، وأخذته الألسن من كلّ جانب ، فحينئذ عزله ومكّن من اقامة الحدّ عليه .

وقد روى الواقدي : أنّ الشهود لما شهدوا عليه في وجهه ، وأراد عثمان أن يحده ، ألبسه جبّة خزّ وأدخله بيتاً ، فجعل اذا بعث اليه رجلاً من قريش ليضربه قال له الوليد : أنشدك الله أن تقطع رحمي وتغضب أمير المؤمنين فيكفّ ، فلمّا رأى علي عليه السلام أخذ السوط ودخل عليه فجلده به ^(١) . انتهى ما اختصرناه من كلام السيّد .

وولّى عبد الله بن أبي سرح مصر ، فتكلّموا فيه ، فولّى محمّد بن أبي بكر ، وكتبه أنّك تقتل ابن أبي بكر وكلّ من يرد عليك وتستمرّ ، فلمّا ظفر بالكتاب كان سبب حصره وقتله .

قالوا : فعل ذلك مروان لا عثمان .

قلنا : فكان يجب على عثمان تعزيره والتبرّي منه ، فلمّا لم يفعل دلّ على خبثه وكذبه وظلمه ، ومن هذا حاله لا يصلح لأدنى ولاية ، مع اجماع الصحابة على قتله ، وترك دفنه ثلاثاً لما تحقّقوا من أحداثه .
قالوا : فالحسين جرى له مثل ذلك .

قلنا: لا قياس؛ لاجتماع المسلمين على أنه قتل ظلماً ولم يحدث حدثاً بخلاف عثمان، فقد روى الواقدي أن أهل المدينة منعوا من الصلاة عليه، وحمل ليلاً ليُدفن فأحسّوا به فرجموه بالحجارة، وذكروه بأسوء الذكر، وقد روى الجوزي في زاد المسير أن عثمان من الشجرة الملعونة في القرآن (١).

ومنها: أنه أوى الحكم بن أبي العاص طريد رسول الله ﷺ من المدينة. قالوا: ذكر أنه استأذن النبي ﷺ في رده.

قلنا: لم ينقل ذلك في كتاب بل المرويّ خلافه. قال الواقدي من طرق مختلفة وغيره: إن الحكم قدم المدينة بعد الفتح، فطرده النبي ﷺ ولعنه؛ لتظاهرة بعداوته، والوقية فيه، والعيب بمشيته، وصار اسم الطريد علماً عليه، فكلّمه عثمان فيه فأبى عنه، وكلّم الشيخين في زمن ولايتهما فيه، فأغلظ القول عليه، وقال له عمر: يخرجك رسول الله وتأمري أن أدخله؟ والله لو أدخلته لم آمن من قائل غير عهد رسول الله، فإياك أن تعاودني فيه، فلو كان النبي ﷺ أذن له لاعتذر عثمان اليهباه. ولما لامه علي عليه السلام وعمار وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن، قال: أنه قرابتي وفي الناس من هو شرّ منه، قال علي عليه السلام: لا أحد شرّ منه، قال: لو نال أحد من القدرة ما نلت فكان قرابته لأدخله، فغضب علي عليه السلام وقال: لتأتينا بشرّ من ذلك إن سلمت وسترى غبّ ما تفعل (٢).

وذكر قاضي القضاة فيما ذكر، وقد قال الشيخ أبو الحسين الخياط: أنه لو لم يكن في رده أذن من رسول الله ﷺ، لجاز أن يكون طريقه الاجتهاد؛ لأنّ النفي إذا كان صلاحاً في الحال، فلا يمتنع أن يتغير حكمه باختلاف الأوقات، وتغير حال المنفي، وإذا كان لأبي بكر أن يستردّ عمر من جيش أسامة للحاجة إليه، وإن كان قد أمر

(١) الصراط المستقيم ٣: ٣٠ - ٣١.

(٢) الصراط المستقيم ٣: ٣١.

رسول الله بنفوذه من حيث تغيّرت الحال ، فغير ممتنع مثله في الحكم .
وأجاب سيّدنا المرتضى بأنّ الرسول ﷺ اذا حظر شيئاً أو أباحه ، لم يكن لأحد أن يجتهد في اباحة المحظور أو حظر المباح ، ومن يجوز الاجتهاد في الشريعة لا يقدم على مثل هذا ؛ لأنّه إنّما يجوز عندهم فيما لا نصّ فيه ، ولو سوّغنا الاجتهاد في مخالفة ما تناوله النصّ ، لم نأمن من أن يؤدّي اجتهاد المجتهد الى تحليل الخمر واسقاط الصلاة بأن يتغيّر الحال ، وهذا هدم للشريعة .

وأما استشهاده باسترداد عمر من جيش أسامة ، فالكلام في الأمرين واحد (١) .
وقد روى صاحب كتاب الشفا من الجمهور قول النبي ﷺ : من أحدث في المدينة حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله . وأسنده البخاري في أوّل الكراس الثاني من الجزء الرابع ، وزاد : والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً .
ومثل هذا أورد الحميدي في الحديث الثامن عشر من الجمع بين الصحيحين ، ومثله أيضاً في الحديث الثامن والأربعين من افراد مسلم (٢) .

ومنها : أنّه آثر أهله بأموال المسلمين ، فدفع الى أربعة زوّجهم بيناته أربعمئة ألف دينار ، والى مروان مائة ألف دينار عند فتح افريقية (٣) . وفي رواية الكلبي : مائة ألف دينار ومائتا ألف درهم . وفي رواية الواقدي : أعطاه جميع غنائم افريقية (٤) .

قالوا : ربّما كان ذلك من ماله .

قلنا : روى الواقدي أنّ عثمان قال : إنّ أبابكر وعمر كانا يناولان من هذا المال

(١) الشافي في الامامة ٤ : ٢٦٦ و ٢٧٢ .

(٢) الصراط المستقيم ٣ : ٣١ - ٣٢ .

(٣) الصراط المستقيم ٣ : ٣٢ .

(٤) الشافي ٤ : ٢٧٥ - ٢٧٦ .

ذوي قرابتها ، وأني ناولت منه صلة رحمي . وروى الواقدي أنه قسّم مال البصرة بين ولده وأهله بالصحاف . وروى الواقدي أيضاً أنّ ابلاً من الصدقة وهبها عثمان للحارث بن الحكم بن أبي العاص . وولّى الحكم بن أبي العاص على صدقات قضاة ، فبلغت ثلاثمائة ألف ، فوهبها له . وأعطى سعيد بن العاص مائة ألف دينار ، فأنكر الناس عليه (١) .

ونقل سيّدنا المرتضى عن أبي مخنف من علماء الجمهور : أنّ عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية قدم على عثمان من مكّة ومعه ناس ، فأمر لعبد الله بثلاثمائة ألف ، ولكلّ واحد من القوم بمائة ، وصكّ بذلك على عبد الله بن الأرقم وكان خازن بيت المال ، فاستكثره وردّ الصكّ به ، ويقال : أنّه سأل عثمان أن يكتب عليه بذلك كتاباً ، فأبى ، وامتنع ابن الأرقم أن يدفع المال الى القوم ، فقال له عثمان : إنّما أنت خازن لنا فما حملك على ما فعلت ؟ قال ابن الأرقم : كنت أرى أنّي خازن المسلمين ، وأنّما خازنك غلامك ، والله لا ألي بيت المال أبداً ، وجاء بالمفاتيح فعلقها على المنبر ، ويقال : بل ألقاها الى عثمان ، فدفعها عثمان الى نائل مولاه .

وروى الواقدي أنّ عثمان أمر زيد بن ثابت أن يحمل من بيت مال المسلمين الى عبد الله بن الأرقم في عقيب هذا الفعل ثلاثمائة ألف درهم ، فلمّا دخل عليه بها قال له : مه يا أبا محمّد إنّ أمير المؤمنين أرسل اليك يقول : أنّا قد شغلناك عن التجارة ولك ذو رحم أهل حاجة ففرّق هذا المال فيهم ، واستعن به على عيالك ، فقال عبد الله بن الأرقم : مالي اليه حاجة ، وما عملت لأنّ يثيني عثمان ، والله ان كان هذا من بيت مال المسلمين ما بلغ قدر عملي على أن أعطى ثلاثمائة ألف درهم ، ولئن كان من مال عثمان ما أحبّ أن أرزاه من ماله شيئاً (٢) .

(١) الصراط المستقيم ٣ : ٣٢ .

(٢) الشافي ٤ : ٢٧٣ - ٢٧٤ .

وقسم بيت المال على المقاتلة وغيرهم .

قالوا : ذلك بالاجتهاد . قلنا : الله ورسوله أعلم بمصالح العباد ، فاذا عينا لبيت المال جهة مخصوصة لم يجز العدول عنها بالاجتهاد ^(١) .

قال ابن أبي الحديد في الجزء التاسع من شرحه : وروى الزبير بن بكار ، عن الزهري ، قال : لما أتى عمر بجوهر كسرى ، وضع في المسجد ، فطلعت عليه الشمس فصار كالجمر ، فقال لخازن بيت المال : ويحك أرحني من هذا واقسمه بين المسلمين ، فإن نفسي تحدّثني أنه سيكون في هذا بلاء وفتنة بين الناس ، فقال : يا أمير المؤمنين انّ قسمته بين المسلمين لم يسعهم ، وليس أحد يشتره ؛ لأنّ ثمنه عظيم ، ولكن ندعه الى قابل ، فعسى الله أن يفتح على المسلمين بمال ، فيشتره منهم من يشتره ، قال : ارفعه فأدخله بيت المال ، وقتل عمر وهو بحاله ، فأخذه عثمان لما ولى الخلافة فحلّ به بناته .

ثمّ قال : قال الزبير : وحدّثنا محمد بن حرب قال : حدّثنا سفيان بن عيينة ، عن اسماعيل بن أبي خالد ، قال : جاء رجل الى علي عليه السلام يستشفع به الى عثمان ، فقال : حمّال الخطايا ، لا والله لا أعود اليه أبداً ، فأيسه منه ^(٢) .

تذنيب :

قال أهل التواريخ وصاحب الاستيعاب منهم : لما مات خلف ثلاث زوجات ، فأصاب كلّ واحدة منهنّ ثلاثة وثمانون ألف دينار ، فجملة المتروك أضعافها ^(٣) . فمن له هذا التكالب على الدنيا ، فكيف يمكن انفكاكه عن الغفلة والظلم ؟ وكيف يليق أن يكون اماماً للأتقياء ؟ وكيف يصلح لخلافة الأنبياء ؟

(١) الصراط المستقيم ٣ : ٣٢ .

(٢) شرح نهج البلاغة ٩ : ١٦ - ١٧ .

(٣) الصراط المستقيم ٣ : ٣٢ ، والاستيعاب ٢ : ٣٩٦ .

ومنها : ما ذكره عبدالله بن طاهر في كتاب لطائف المعارف أنه كسر ضلع ابن مسعود لما أبى أن يأتيه بمصحفه ليحرقه ، ومنعه العطاء ، وكان يطعن على عثمان وينكر عليه كثيراً .

وفي مسلم والبخاري قيل لابن مسعود : صلى عثمان بمبنى أربع ركعات ، فاسترجع وقال : صليت مع النبي ومع أبي بكر وعمر ركعتين ، ونحوه في مسند أحمد ، وفي تاريخ الطبري قال له علي عليه السلام : لقد عهدت نبيك يصلي ركعتين وأبأبكر وعمر فما أدرى ما ترجع اليه ، قال : رأي رأيت ، وعاده عثمان في مرضه وسأله الاستغفار له ، فقال : أسأل الله أن يأخذ لي منك بحقي ، وأوصى أن لا يصلي عليه عثمان .

ولما مرّ ابن مسعود من العراق معتمراً ، وجد أباذرّ على الطريق ميتاً مكفناً فدفعه فصره عثمان أربعين سوطاً ، ذكر ذلك ابن طاهر في لطائف المعارف ، وقد كان عثمان نفاه الى الشام ، فكان يخطيء معاوية في الأحكام ويتحسر على الاسلام . وكان عثمان الذي نصب معاوية مع علمه عدم استحقاقه ، فولاه بغضاً لمن جعله الله مولاه ، فبعث الى عثمان يشكوه ، فبعث اليه أن يحمله اليه مهاناً ، فحمله على قتب حتى سقط لحم فخذه .

وروى الواقدي أنه لما دخل على عثمان قال له : لا أنعم الله بك عيشاً يا جندب ، أنت الذي تزعم أنا نقول : يد الله مغلولة ، وأن الله فقير ونحن أغنياء ؟ فقال : لو كنتم لا تزعمون ذلك لأنفقتم مال الله على عباده ، أشهد لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : اذا بلغ بنوا أبي العاص ثلاثين رجلاً جعلوا مال الله دولاً ، وعباد الله خولاً ، ودين الله دخلاً ، فقال للجباة : هل سمعتم هذا من النبي ؟ فقال علي عليه السلام والحاضرون : سمعناه يقول : ما أظلت الخضرء ولا أقلت الغبراء ذا لهجة أصدق من أبي ذرّ ، فنفاه الى الربذة ، وقال لعلي عليه السلام : بفيك التراب ، فقال علي عليه السلام : بل بفيك التراب وسيكون ، قال جماعة : فلقد رأينا عثمان مقتولاً وبفيه التراب .

وروى الواقدي أن النبي ﷺ رآه نائماً في المسجد ، فقال : كيف تصنع اذا أخرجوك منه ؟ قلت : ألحق بالشام ، قال : فاذا أخرجوك منها ؟ قلت : أرجع الى المسجد ، قال : فاذا أخرجوك منه ؟ قلت : أضرب بسيفي ، قال : هل أدلك على خير من ذلك انسق معهم حيث ساقوك ، وتسمع وتطيع ، فسمعت وأطعت .

فهذه الروايات تردّ قول القاضي أنه خرج باختياره (١).

ومنها : أنه ضرب عمّاراً حتى أحدث به فتقاً ، ولما قتل قال عمّار : قتلناه كافراً ، وابن مسعود وعمّار مع كونهما صدرين عظيمين ، كانا لعثمان في حياته وبعد موته مكفّرين ، وباقي الصحابة لم يدفعوا القتل عنه حيث علموا بموجبه ، وترك بغير غسل ولا كفن ، ملقى على المذبة ثلاثاً ، وأمير المؤمنين عليه السلام الذي هو مع الحقّ والحقّ معه لم يمه عن ذلك ، فدلّ على تكفيره ؛ لأنّ الفاسق لا يجوز التخلف عن دفنه مع مكنته (٢) ، وكان لعلي عليه السلام المكنته حيث أنه كان في ذلك الوقت بالاجماع خليفة ، قال البرقي :

ألم يدس بطن عمّار بحضرته ودقّ للشيخ عبد الله ضلعان

وقد نفى جندياً فرداً الى بلد ناء المحلّة من أهل وجيران

وقد روى أحمد في مسنده عن أنس ، أنه لما ماتت رقية بنت النبي ﷺ بضرب زوجها عثمان ، لعنه النبي ﷺ خمس مرّات ، وقال : لا يتبعنا أحد ألمّ بجاريته البارحة ، لأجل أنه كان ألمّ بجارية رقية ، فرجع جماعة وشكى عثمان بطنه ورجع ، ولعنه الجماعة حيث حرّموا الصلاة عليها بسببه (٣) .

ومنها : أنه لم يحضر بدراناً ولا بيعة الرضوان .

(١) الصراط المستقيم ٣ : ٣٢ - ٣٣ .

(٢) في الصراط : تكفّنه .

(٣) الصراط المستقيم ٣ : ٣٣ - ٣٤ .

قالوا : شغله عن بدر مرض زوجته بنت رسول الله ﷺ باذنه ، وضرب له بسهم من غنائمها ، وكان حكمه حكم حاضرها ، ووضع النبي ﷺ في بيعة الرضوان احدى يديه على الأخرى وقال : هذه عن عثمان .
قلنا : هذه الاعتذارات خالية من دليل ، إلا أن يسلمها الخصم ، وليس الى ذلك من سبيل .

ومنها : أنه هرب يوم أحد ، ولم يرجع الى ثلاثة أيام ، وقد حَكَم عليه الشيطان كما نطق به القرآن ﴿ ان الذين تولّوا منكم يوم التقي الجمعان إنما استزهم الشيطان ﴾ (١) وقد شرط المخالف شجاعة الامام والمؤالف عصمته ، فدلّ على عدم صلاحه فراره وخطيئته .

قالوا : نطق القرآن بالعفو عنه .

قلنا : فيه التزام بالذنب منه ، على أن العفو قد يراد به أكثره مثل ﴿ قرآناً عربياً ﴾ (٢) فلا يتعيّن العفو عن عثمان ، ولجاز كون العفو في الدنيا عن تعجيل المعاقبة ، ولأنه لا يلزم من العفو عن ذنب العفو عن كلّ ذنب (٣) .

ومنها : أنه كان يستهزىء بالرابع ويتجرىء عليه بالمخالفة له ، وفي صحيح مسلم : ولدت امرأة لستة أشهر : فأمر برجمها ، فقال له علي عليه السلام ﴿ وحمله وفصاله ثلاثون شهراً ﴾ (٤) ﴿ وفصاله عامين ﴾ (٥) فعانده فرجمها ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله

(١) آل عمران : ١٥٥ .

(٢) يوسف : ٢ .

(٣) الصراط المستقيم ٣ : ٣٤ .

(٤) الأحقاف : ١٥ .

(٥) لقمان : ١٤ .

فأولئك هم الفاسقون - هم الظالمون - هم الكافرون ﴿ (١) . في آيات ، وقتلها (٢) فحقّ عليها قوله تعالى ﴿ ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدّ له عذاباً عظيماً ﴾ (٣) .

وفي الجمع بين الصحيحين : أنّ عثمان نهى عن عمرة التمتع ، وفعلها علي عليه السلام فقال : أنا أنهي عنها وتفعلها ؟ فقال : ما كنت لأدع سنة رسول الله ﷺ لقول أحد (٤) . وفيه : أنّ النبي ﷺ صلى في السفر دائماً ركعتين وأبوبكر وعمر وعثمان في صدر خلافته ، ثمّ صلى عثمان أربعاً (٥) . فكيف جاز له تبديل الشريعة ؟

وفي صحيح مسلم : أنّ رجلاً مدح عثمان ، فحثى المقداد مع عظم شأنه الحصى في وجهه ، لما كبر عليه من مدحه ، وأنّ الذمّ أولى به ، فقال له عثمان : ما شأنك ؟ فروى أنّ النبي ﷺ قال : إذا رأيتم المادحين فأحثوا في وجوههم التراب (٦) .

ومن المعلوم مدح الصحابة بعضهم بعضاً ، ولم يحث أحد في وجوههم تراباً ، فلولا بلوغ عثمان الى حدّ استوجب ذلك لم يفعل بما دحه ذلك ، والمقداد من أجلاء الصحابة ولم ينكر أحد عليه ، ويكون الخبر الذي ذكره المقداد مخصوصاً بمن يستحقّ الذمّ ؛ لأنّ المدح كذب حينئذ ، والعقل قاض بقبحه ، فمن يمدح الآن عثمان ينبغي في الاقتداء بالمقداد في حثو التراب (٧) .

(١) النساء : ٤٤ و ٤٥ و ٤٧ .

(٢) الطرائف ص ٤٨٧ عن مسلم ، والصرط المستقيم ٣ : ٣٥ عنه .

(٣) النساء : ٩٣ .

(٤) صحيح مسلم ٢ : ٨٩٧ ، وصحيح البخاري ٢ : ١٥١ .

(٥) صحيح مسلم ١ : ٤٨٢ - ٤٨٣ ، وصحيح البخاري ٢ : ٣٤ - ٣٥ .

(٦) صحيح مسلم ٤ : ٢٢٩٧ .

(٧) الصراط المستقيم ٣ : ٣٥ .

ومنها : جرأته على رسول الله ﷺ ، فروى الحميدي أنّ السدي قال : لما توفي أبو سلمة وخنيس بن صداقة ، وتزوج النبي زوجته حفصة وأم سلمة ، قال طلحة وعثمان : ينكح محمد نساءنا ولا ننكح نساءه ، والله لومات لأجلنا عليهنّ بالسهم ، وكان طلحة يريد عائشة ، وعثمان يريد أم سلمة ، فأنزل الله : ﴿ وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً ﴾ (١) وأنزل : ﴿ إنّ الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة ﴾ (٢) .

ومنها : أنّ عثمان باع علياً أرضاً وأنكره ، فقال : حاكمني فيه (٣) النبي ، فقال : أنّه ابن عمك ويحاييك ، فنزل فيه : ﴿ في قلوبهم مرض ﴾ (٤) أي كفر .

وفي تفسير الثعلبي قضى النبي عليه لهودي ، فغضب ، فنزل فيه : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾ (٥) .

ومنها : ما ذكره عكرمة ، ومجاهد ، والسدي ، والفرّاء ، والزجاج ، والجبائي ، وابن عباس ، وأبو جعفر عليه السلام ، أنّه كان يكتب الوحي ويغيّره ، فكتب موضع « غفور » رحيم « سميع » عليم ، وموضع « عزيز » حكيم ، فأنزل الله فيه : ﴿ ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ﴾ (٦) حين ارتدّ ولحق بكّة وقال ذلك .

وروا أنّه كان يخطب ، فرفعت عائشة قيص النبي ، وقالت : قد أبلت سنّته ،

(١) الأحزاب : ٥٣ .

(٢) الأحزاب : ٥٧ ، الطرائف ص ٤٩٣ ، والصراط المستقيم ٣ : ٣٥ - ٣٦ .

(٣) في الصراط : الى .

(٤) البقرة : ١٠ .

(٥) النساء : ٦٥ ، الصراط المستقيم ٣ : ٣٦ .

(٦) الأنعام : ٩٣ .

فقال : اسكتي أنت كامرأة نوح وامرأة لوط (١) .

تذنيب :

روى أبو وائل أنّ عمّاراً قال : ما كان لعثمان اسم في أفواه الناس إلا الكافر حتّى ولى معاوية .

وروى حذيفة أنّه لا يموت رجل يرى أنّ عثمان قتل مظلوماً إلاّ لقي الله يوم القيامة يحمل من الأوزار أكثر ممّا يحمل أصحاب العجل ، وقال : ولينا الأوّل قطعن في الاسلام طعنة ، والثاني فحمل الأوزار ، والثالث فخرج منه عريانا ، وقد دخل حفرته وهو ظالم لنفسه ، وقد اجتمع خمسة وعشرون ألفا لقتله (٢) .

ومنها : ما رواه السديّ أنّه لما غم النبي ﷺ بني النضير ، وقسم أموالهم ، قال عثمان لعليّ : ايت النبي ﷺ وسله كذا ، فان أعطاك فأنا شريكك ، وأنا أسأله فان أعطاني فأنت شريكي ، فسأله عثمان أولاً فأعطاه ، فأبى أن يشرك عليّاً ، ففاضاه الى النبي ﷺ ، فأبى ، وقال : أنّه ابن عمه فأخاف أن يقضي له ، فنزلت : ﴿ واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون ﴾ الى قوله : ﴿ بل اولئك هم الظالمون ﴾ (٣) فلما بلغه ما أنزل الله جاء الى النبي ﷺ وأقرّ بالحقّ لعليّ عليه السلام (٤) .

ومنها : ما رواه السديّ في تفسيره ﴿ لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ﴾ (٥) لما أصيب النبي ﷺ بأحد ، قال عثمان : لأحقنّ بالشام ، فان لي بها صديقاً يهودياً فأخذ منه أماناً ، فاني أخاف أن يدال علينا ، وقال طلحة : ان لي بها صديقاً نصرانياً

(١) الصراط المستقيم : ٣ : ٣٦ .

(٢) الصراط المستقيم : ٣ : ٣٦ .

(٣) النور : ٤٨ - ٥٠ .

(٤) الصراط المستقيم : ٣ : ٣٧ ، والطرائف ص ٤٩٣ - ٤٩٤ .

(٥) المائدة : ٥١ .

فأخذ منه أماناً قال السدي : فأراد أحدهما أن يتهود والآخر يتنصر ، فاستأذن طلحة النبي ﷺ في المسير الى الشام معتلاً أن له بها مالاً ، فقال : نخذلنا ونخرج وتدعنا ؟ فألح عليه ، فغضب عليّ عليه السلام وقال : ائذن له فوالله لا عزّ من نصره ، ولا ذلّ من خذله ، فنزل : ﴿ ويقول الذين آمنوا هؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم أنّهم لمعكم حبطت أعمالهم ﴾ (١) .

ومنها : ما في تفسير الثعلبي في قوله : ﴿ ان هذان لساحران ﴾ (٢) قال : إنّ في المصحف لحنا ، وستقيمه العرب بألسنتها ، فقيل : ألاّ تغيّره ؟ فقال : دعوه فإنه لا يحلّ حراما ولا يحرم حلالاً (٣) .

وفي كتاب المشكل لابن قتيبة مثله (٤) .

فان كان مراد عثمان أنّ هذا اللحن من الله ، وهو الظاهر من قوله ، فهو كفر واضح ، وان كان مراده أنّ اللحن من غيره ، فكان الواجب عليه أن يغيّره ويقيمه ، فلما لم يغيّره وترك اللحن بحاله فهو فاسق ، وأما توّهم ذلك لجهله باللغة فأنّها لغة كنانة ، وقيل : لغة بني الحارث ، فأنهم يشبتون ألف التثنية في النصب والجرّ ، فيقولون من يشتري الخفان ، ومررت بالزيدان (٥) .

ومما يدلّ على ظلم عثمان بل على عدم إيمانه ما نقله ابن أبي الحديد في الجزء التاسع من شرحه على نهج البلاغة ، عن الزبير بن بكار في الموقوفات عن ابن عباس ، قال : قال لي عثمان بعد كلام ذكره : فما لي ولابن عمك وابن خالي ؟ قلت :

(١) المائدة : ٥٣ ، الصراط المستقيم ٣ : ٣٧ ، والطرائف ص ٤٩٤ .

(٢) طه : ٦٣ .

(٣) الصراط المستقيم ٣ : ٣٧ .

(٤) الطرائف ص ٤٩٠ - ٤٩١ عنه .

(٥) الصراط المستقيم ٣ : ٣٧ - ٣٨ .

أي بني عمومتي وبني أخوالك؟ قال: اللهم اغفر أَسْأَلَ مسألة الجاهل؟ قلت: إنَّ بني عمومتي من بني خؤولتك كثير، فأَيُّهم تعني؟ قال: أعني عليّاً لا غيره، فقلت: لا والله يا أمير المؤمنين، ما أعلم منه إلاّ خيراً، ولا أعرف له إلاّ حسناً، قال: والله بالبحري أن يستردونك ما يظهره لغيرك، ويقبض عنك ما ينبسط به الى سواك.

قال: ورمينا بعمار بن ياسر، فسلم، فرددت عليه سلامه، ثمّ قال: من معك؟ قلت: أمير المؤمنين عثمان، قال: نعم، وسلم بكنيته، ولم يسلم عليه بالخلافة، فردّ عليه، ثمّ قال عمار: ما الذي كنتم فيه، فقد سمعت ذرواً منه؟ قلت: هو ما سمعت، فقال عمار: ربّ مظلوم غافل وظالم متجاهل، قال عثمان: أما أنّك من شتائنا وأتباعهم، وإيم الله، إنّ اليد عليك لمنبسطة، وإنّ السبيل اليك لسهلة، ولولا إثارة العافية، ولمّ الشعث لزجرتك زجرة تكفي ما مضى، وتمنع ما بقي.

فقال عمار: والله ما أعتذر من حجّي عليّاً، وما اليد بمنبسطة، ولا السبيل بسهولة، إنّني لازم حجّة، ومقيم على سنّة، وأما إثارة العافية ولمّ الشعث، فلازم ذلك، وأما زجري فأمسك عنه، فقد كفاك معلّمي تعليمي، فقال عثمان: أما والله أنّك ما علمت من أعوان الشرّ الحاصّين عليه، الخذلة عند الخير، والمثبطين عنه.

فقال عمار: مهلاً يا عثمان، فقد سمعت رسول الله ﷺ يصفني بغير ذلك، قال عثمان: ومتى؟ قال: يوم دخلت عليه منصرفه عن الجمعة، وليس عنده غيرك، وقد ألقى ثيابه، وقعد في فضله، فقبلت صدره ونحره وجهته، فقال: يا عمار، أنّك لتحبنا وأنا لنحبك، وأنّك لمن الأعوان على الخير المثبطين عن الشرّ، فقال عثمان: أجل ولكنك غيرت وبدلت، قال: فرفع عمار يده يدعو، وقال: آمن يا ابن عباس، اللهم من غير فغير به، ثلاث مرّات (١).

ووجه الدلالة: أنّ عمّاراً الذي يدور الحقّ معه شهد بظلمه ، والمستفاد أيضاً من كلامه أنّ عثمان كان مبغضاً لعلّي عليه السلام ، ومبغضه لاريب في كفره ونفاقه ، لما تقدّم من الأخبار .

ومما يدلّ على ظلمه بل على عدم ايمانه ، ما في تاريخ أعمّ ، وقد تقدّم في بحث الاجماع ، وهو أنّ عمّاراً حين سأله عمرو بن العاص في صفّين عمّن قتل عثمان ، قال : قتله الله ، ونقله أيضاً ابن أبي الحديد في حكاية طويلة من أخبار عمّار في صفّين ، ولاشتمال هذه الحكاية على عدّة فوائد نذكرها هنا أكثرها .

قال ابن أبي الحديد : قال نصر : فحدّثنا عمر بن سعد ، قال : فبينما علي عليه السلام واقفاً بين جماعة من همدان وحمير وغيرهم من أفناء قحطان ، اذ نادى رجل من أهل الشام : من دلّ على أبي نوح الحميري ؟ فقيل له : قد وجدته فماذا تريد ؟ قال : فحسر عن لثامة فاذا هو ذو الكلاع الحميري ، ومعه جماعة من أهله ورهطه ، فقال لأبي نوح : سر معي ، قال : الى أين ؟ قال : الى أن نخرج عن الصفّ ، قال : وما شأنك قال : إنّ لي اليك حاجة ، فقال أبو نوح : معاذ الله أن أسير اليك الآ في كتيبة ، قال ذو الكلاع : بلى فسر فلك ذمّة الله وذمّة رسوله وذمّة ذي الكلاع حتّى ترجع الى خيلك ، فأنما أريد أن أسألك عن أمر فيكم تمارينا فيه .

فسار أبو نوح وسار ذو الكلاع ، فقال : أنما دعوتك أهدتني حديثاً حدّثناه عمرو بن العاص قديماً في خلافة عمر بن الخطّاب ، ثمّ أذكرناه الآن به فأعاده ، أنّه يزعم أنّه سمع رسول الله ﷺ قال : يلتقي أهل الشام وأهل العراق ، وفي أحد الكتيبين الحقّ وامام الهدى ومعه عمّار بن ياسر .

فقال أبو نوح : نعم والله أنّه لفينا ، قال : نشدتك الله أجادّ هو على قتالنا ؟ قال : أبو نوح : نعم وربّ الكعبة هو أشدّ على قتالكم منّي ، ولوددت أنّكم خلق واحد ، فذبحته وبدأت بك قبلهم وأنت ابن عمّي .

قال ذو الكلاع : ويليكَ علامَ تَمَنَّى ذلكَ مِنَّا ؟ فوالله ما قطعتك فيما بيني وبينك قطً ، وإنَّ رحمك لقريبة ، وما يسرّني أن أقتلك . قال أبو نوح : إنَّ الله قطع بالاسلام أرحاماً قريبة ، ووصل به أرحاماً متباعدة ، وإنِّي أقاتلك وأصحابك لأننا على الحقِّ وأنتم على الباطل .

قال ذو الكلاع : فهل تستطيع أن تأتي معي صفَّ أهل الشام فأنا لك جار منهم حتّى تلتقي عمرو بن العاص ، فتخبره بحال عمّار وجدّه في قتالنا لعلّه يكون صلح بين هذين الجندين ؟.

قال ابن أبي الحديد : قلت : واعجبا من قوم يعترهم الشكُّ في أمرهم لمكان عمّار ، ولا يعترهم الشكُّ لمكان عليٍّ عليه السلام ، ويستدلّون على أنَّ الحقَّ مع أهل العراق بكون عمّار بين أظهرهم ، ولا يعبؤون بمكان عليٍّ عليه السلام ، ويحذرون من قول النبي صلى الله عليه وآله « تقتلك الفئة الباغية » ويرتاعون لذلك ، ولا يرتاعون لقوله صلى الله عليه وآله « اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » ولا لقوله « لا يحبُّك الآمؤ من ولا يبغضك الآ منافق » وهذا يدلُّك على أنَّ عليّاً عليه السلام اجتهدت قريش كلّها من مبدأ الأمر في إخمال ذكره ، وستر فضائله ، وتغطئة خصائصه ، حتّى محي فضله ومرتبته من صدور الناس كآفة الآ قليلاً منهم .

ثمَّ قال : قال نصر : فقال له أبو نوح : أنّك رجل غادر ، وأنت في قوم غدر ، وإن لم ترد الغدر أغدروك ، وإنِّي لا أموت أحبّ إليّ من أن أدخل مع معاوية ، فقال ذو الكلاع : أنا جار لك من ذلك ، أن لا تقتل ولا تسلب ولا تكره على بيعته ، ولا تحبس عن جندك ، وأنما هي كلمة تبلّغها عمرو بن العاص ، لعلَّ الله أن يصلح بذلك بين هذين الجندين ، ويضع عنهم الحرب .

فقال أبو نوح : إنِّي أخاف غدراتك وغدرات أصحابك ، فقال ذو الكلاع : أنا لك بما قلت زعيم ، قال أبو نوح ، اللهم أنّك ترى ما أعطاني ذو الكلاع ، وأنت تعلم ما في

نفسى ، فاعصمني واختر لي وانصرني وادفع عني .

ثم سار مع ذي الكلاع حتى أتى عمرو بن العاص وهو عند معاوية ، وحوله الناس وعبد الله بن عمرو يحرّض الناس على الحرب ، فلما وقفا على القوم قال ذو الكلاع لعمرو : يا أبا عبد الله هل لك في رجل ناصح لبيب مشفق ، يخبرك عن عمّار بن ياسر فلا يكذب ؟ قال : ومن هو ؟ قال : هو ابن عمّي هذا وهو من أهل الكوفة . فقال عمرو : أرى عليك سياء أبي تراب ، فقال أبو نوح : عليّ سياء محمّد وأصحابه ، وعليك سياء أبي جهل وسياء فرعون ، فقام أبو الأعور فسلّ سيفه وقال : لا أرى هذا الكذاب اللئيم يسبّنا بين أظهرنا وعليه سياء أبي تراب .

فقال ذو الكلاع : أقسم بالله لئن بسطت يدك إليه لأحطمنّ أنفك بالسيف ، ابن عمّي وجاري عقدت له ذمّتي ، وجئت به اليكم ليخبركم عمّا تماريتم فيه .

فقال له عمرو بن العاص : يا أبا نوح أذكرك بالله الآ ما صدّقتنا ولم تكذبنا أفيكم عمّار بن ياسر ؟ قال أبو نوح : ما أنا بمخبرك حتى تخبرني لم تسأل عنه ومعنا من أصحاب محمّد ﷺ عدّة غيره وكلّهم جادّ على قتالكم ؟ فقال عمرو : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنّ عمّاراً تقتله الفئة الباغية ، وأنّه ليس لعمّار أن يفارق الحقّ ، ولم تأكل النار من عمّار شيئاً .

فقال أبو نوح : لا اله الاّ الله والله أكبر ، والله أنّه لقينا جادّ على قتالكم ، فقال عمرو : والله الذي لا اله الاّ هو أنّه لجادّ على قتالنا ؟ قال : نعم والله الذي لا اله الاّ هو ، ولقد حدّثني يوم الجمل : أنا سنظهر على أهل البصرة ، ولقد قال لي أمس : أنكم لو ضربتمونا حتى تبلغوا بنا سفات هجر ، لعلمنا أنّا على الحقّ وأنكم على الباطل ، ولكانت قتالنا في الجنّة وقتلاكم في النار ، قال عمرو : فهل تستطيع أن تجمع بيني وبينه ؟ قال : نعم .

فركب عمرو بن العاص وابناه ، وعتبة بن أبي سفيان ، وذو الكلاع ، وأبو الأعور

السلمي ، وحوشب ، والوليد بن عقبة ، وانطلقوا وسار أبو نوح ومعه شرحبيل بن ذي الكلاع يحميه ، حتى انتهى الى أصحابه ، فذهب أبو نوح الى عمّار ، فوجده قاعداً مع أصحاب له ، منهم الأشتر ، وهاشم ، وابنا بديل ، وخالد بن معمر ، وعبد الله بن حجل ، وعبد الله بن العباس ، فقال لهم أبو نوح : انه دعاني ذو الكلاع وهو ذو رحم ، فقال : أخبرني عن عمّار بن ياسر أفيكم هو ؟ قلت : لم تسأل ؟ فقال : أخبر عمرو بن العاص في امرة عمر بن الخطاب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : يلتقي أهل الشام وأهل العراق ، وعمّار مع أهل الحق ، وتقتله الفئة الباغية ، فقلت : نعم ان عمّاراً فينا ، فسألني أجاد هو على قتالنا ؟ فقلت : نعم والله انه لأجدّ مني في ذلك ، ولوددت أنكم خلق واحد فذبحته وبدأت بك يا ذا الكلاع ، فضحك عمّار وقال : أيسرّك ذلك ؟ قال : نعم . .

ثم قال أبو نوح : أخبرني الساعة عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : تقتل عمّاراً الفئة الباغية ، قال عمّار : أقرّته بذلك ؟ قال : نعم لقد قرّرت به بذلك فأقرّ ، فقال عمّار : صدق وليضرّنه ما سمع ولا ينفعه ، قال أبو نوح : فأنه يريد أن يلقاك ، فقال عمّار لأصحابه : اركبوا ، فركبوا وساروا .

قال : فبعث اليهم فارساً من عبد القيس يسمّى عوف بن بشر ، فذهب حتى اذا كان قريباً منهم نادي : أين عمرو بن العاص ؟ قالوا : ها هنا ، فأخبره بمكان عمّار وخيله ، قال عمرو : قل فليسرّ لنا ، قال عوف : انه يخاف غدارتك وفجراتك ، قال عمرو : ما أجراك عليّ وأنت على هذه الحال ؟ قال عوف : جرّأني عليك بصري فيك وفي أصحابك ، وان شئت نابذتك الآن على سواء .

فقال عمرو : أنك لسفيه وانّي باعث اليك رجلاً من أصحابي يوافقك ، فقال : ابعث من شئت فلست بالمستوحش ، وأنت لا تبعث الاّ شقيّاً ، فرجع عمرو وأنفذ اليه أبا الأعور ، فلما تواقفا تعارفا ، فقال عوف : انّي لأعرف الجسد وأنكر القلب ،

واني لا أراك مؤمناً ولا أراك الآمن أهل النار .

قال أبو الأعور : يا هذا أعطيت لساناً يكذبك الله به على وجهك في النار ، قال عوف : كلاً والله اني لأتكلم بالحقّ وتتكلم بالباطل ، واني أدعوك الى الهدى ، وأقاتلك على الضلال ، وأفرّ من النار ، وأنت بنعمة الله ضالّ تنطق بالكذب ، وتقاتل على ضلالة ، وتشترى العقاب بالمغفرة والضلالة بالهدى ، أنظر الى وجوهنا ووجوهكم ، وسيانا وسيامكم ، واسمع دعوتنا ودعوتكم ، فليس أحد منا الآ وهو أولى بالحقّ وبمحمد ﷺ ، وأقرب اليه منكم .

فقال أبو الأعور : لقد أكثرت الكلام وذهب النهار ، ويحك ادع أصحابك وأدع أصحابي ، وليأت أصحابك في قلّة ان شاؤوا أو كثرة ، فاني أجيء بعدّتهم ، فسار عمّار في اثني عشر فارساً ، حتّى اذا كانوا بالمنصف سار عمرو بن العاص في اثني عشر فارساً ، حتّى اختلفت أعناق الخيل خيل عمرو وخيل عمّار ، ونزل القوم واحتبوا بمجائل سيوفهم ، فتشهد عمرو بن العاص .

فقال له عمّار : أسكت فلقد تركتها وأنا لأحقّ بهما منك ، فان شئت كانت خصومة ، فيدفع حقنا باطلك ، وان شئت كانت خطبة ، فنحن أعلم بفصل الخطاب عنك ، وان شئت أخبرتك بكلمة تفصل بيننا وبينكم وتكفرك قبل القيام ، وتشهد بها على نفسك ، ولا تستطيع أن تكذّبي فيها .

فقال عمرو : يا أبا اليقظان ليس لهذا جئت ، إنما جئت لأنني رأيتك أطوع أهل هذا العسكر فيهم ، أذكرك الله الأكففت سلاحهم ، وحقنت دماءهم ، وحرصت على ذلك ، فعلام تقاتلوننا أولسنا نعبدهم واحداً ونصلّي الى قبلتكم ، وندعو دعوتكم ، ونقرأ كتابكم ، ونؤمن بنبّيكم ؟

فقال عمّار : الحمد لله الذي أخرجها من فيك ، أمها لي ولأصحابي : القبلة ، والدين ، وعبادة الرحمن ، والنبّي والكتاب ، من دونك ودون أصحابك ، الحمد لله

الذي قرّرك لنا بذلك ، وجعلك ضالاً مضلاً أعمى ، وسأخبرك على ما أقاتلك عليه وأصحابك ، إنّ رسول الله ﷺ أمرني أن أقاتل الناكثين فقد فعلت ، وأمرني أن أقاتل الفاسقين وأنتم هم ، وأمّا المارقون فلا أدري أدرهم أم لا ، أيها الأبرأست تعلم أنّ رسول الله ﷺ قال : من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، فأنا مولاي الله ورسوله ، وعلي عليّ مولاي بعدهما .

قال عمرو : لم تشتمني يا أبا اليقظان ولست أشتمك ؟ قال : وبم تشتمني ؟ أتستطيع أن تقول : اني عصيت الله ورسوله يوماً قطّ ؟ قال عمرو : إنّ فيك لمسأب سوى ذلك ، قال عمّار : إنّ الكريم من أكرمه الله ، كنت وضعياً فرفعني الله ، ومملوكاً فأعتقني الله ، وضعيفاً فقوّاني الله ، وفقيراً فأغناني الله ، فما ترى في قتل عثمان ؟ قال : فتح لكم باب كلّ سوء ، قال عمرو : فعلي قتله ، قال عمّار : بل الله ربّ علي قتله وعلي معه ، قال عمرو : أفكنت في من قتله ؟ قال : كنت مع من قتله وأنا اليوم أقاتل معهم ، قال عمرو : فلم قتلتموه ؟ قال عمّار : أنّه أراد أن يغيّر ديننا قتلناه ، فقال عمرو : ألا تسمعون قد اعترف بقتل امامكم ؟ فقال عمّار : قد قالها فرعون قبلك لقومه ﴿ ألا تستمعون ﴾ .

فقام أهل الشام وهم زجل ، فركبوا خيولهم ورجعوا ، وقام عمّار وأصحابه فركبوا خيولهم ورجعوا ، وبلغ معاوية ما كان بينهم ، فقال : هلكت العرب ان حرّكتهم خفّة العبد الأسود يعني عمّاراً^(١) .

ثمّ قال بعد نقل بعض الحكايات ، قال نصر : وحدثنا عمر بن سعد قال : وفي هذا اليوم قتل عمّار بن ياسر ، أصيب في المعركة ، وقد كان نظر الى راية عمرو بن العاص قال : والله أنّها لراية قد قاتلتها ثلاث عركات وما هذه بأرشدهنّ ، ثمّ قال :

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٨ : ١٦ - ٢٢ .

نحن ضربناكم على تأويله كما ضربناكم على تنزيله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليه

أو يرجع الحق إلى سبيله

ثم استسقى وقد اشتد عطشه ، فأتته امرأة طويلة اليدين ، ما أدري أعسّ معها أم اداوة ، فيها ضياح من لبن ، فقال حين شرب : الجنة تحت الأسنّة ، اليوم ألقى الأحبة ، محمداً وحزبه ، والله لو ضربونا حتى يبلغونا سعفات هجر لعلمنا أننا على الحق وأنهم على الباطل ، ثم حمل وحمل عليه ابن حوى السكسكي وأبو العادية ، فأما أبو العادية فطعنه ، وأما ابن حوى فاحتز رأسه .

وقد كان ذوالكلاع يسمع عمرو بن العاص يقول : إن النبي ﷺ يقول لعمار : تقتلك الفئة الباغية ، وآخر شريك ضياح من لبن ، فقال ذوالكلاع لعمرو : ويحك ما هذا ، قال عمرو : انه سيرجع الينا ويفارق أبا تراب ، وذلك قبل أن يصاب عمار ، فلما أصيب عمار في هذا اليوم أصيب ذوالكلاع ، فقال عمرو لمعاوية : والله ما أدري بقتل أيهما أنا أشد فرحاً ، والله لو بقي ذوالكلاع حتى يقتل عمار لمال بعامة قومه إلى عليّ ، ولأفسد علينا أمرنا .

قال نصر : وحدثنا عمر بن سعد ، قال : كان لا يزال رجل يجيء فيقول لمعاوية وعمرو : أنا قتلت عمّاراً ، فيقول له عمرو : فما سمعته يقول ؟ فيخط ، حتى أقبل ابن حوى ، فقال : أنا قتلته ، فقال عمرو : فما كان آخر منطقته ؟ قال : سمعته يقول : اليوم ألقى الأحبة محمداً وحزبه ، فقال : صدقت ، أنت صاحبه ، أما والله ما ظفرت يدك ، ولقد أسخطت ربك .

قال نصر : حدثنا عمرو بن شمر ، قال : حدثني اسماعيل السديّ ، عن عبد خير الهمداني ، قال : نظرت إلى عمّار بن ياسر يوماً من أيام صفين ، قد رمي رمية فأغمي عليه ، فلم يصل الظهر ولا العصر ولا المغرب ولا العشاء ولا الفجر ، ثم أفاق

فقضاهنّ جميعاً ، يبدأ بأوّل شيء فاته ، ثمّ بالتّي تليها .

قال نصر : وحدثنا عمرو بن شمر ، عن السديّ ، عن أبي حريث ، قال : أقبل غلام لعمار بن ياسر ، اسمه راشد ، يحمل اليه يوم قتل بشرية من لبن ، فقال عمار : أما أنّي سمعت خليلي رسول الله ﷺ يقول : إنّ آخر زادك من الدنيا شربة لبن .

قال نصر : وروى عمرو بن شمر عن السديّ ، أنّ رجلين بصفين اختصما في سلب عمار وفي قتله ، فأتيا عبدالله بن عمرو بن العاص ، فقال : ويحكما أخرجنا عني ، فإنّ رسول الله ﷺ قال : مالفريش ولعمار يدعوهم الى الجنّه ويدعونه الى النار ، قاتله وسالبه في النار .

قال السديّ : فبلغني أنّ معاوية قال لما سمع ذلك : أنّما قتله من أخرجه ، يخذع بذلك طعام أهل الشام .

قال نصر : وحدثنا عمرو ، عن جابر ، عن أبي الزبير ، قال : أتني حذيفة بن اليمان رهط من جهينة ، فقالوا له : يا أبا عبدالله ، إنّ رسول الله ﷺ استجار من أن تصطم أمّته ، فأجير من ذلك ، واستجار من أن يذيق أمّته بعضها بأس بعض ، فنع من ذلك ، فقال حذيفة : أنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنّ ابن سميّة لم يخير بين أمرين قطّ إلاّ اختار أشدهما - يعني عماراً - فألزموا سمته .

قال نصر : وحدثنا عمرو بن شمر ، قال : حمل عمار ذلك اليوم على صفّ أهل الشام وهو يرتجز :

كلاً وربّ البيت لا أبرح أجي	حتىّ أموت أو أرى ما أشتهي
لا أفتأ الدهر أحامي عن علي	صهر الرسول ذي الأمانات الوفي
ينصرنا ربّ السماوات العلي	ويقطع الهام بحدّ المشرفي
يمنحنا النصر على من يبتغي	ظلماً علينا جاهداً ما يأتي

قال : فضرب أهل الشام حتىّ اضطّرهم الى الفرار .

قال نصر: وقد كان عبدالله بن سويد الحميري من آل ذي الكلاع، قال لذي الكلاع: ما حديث سمعته من ابن العاص في عمار؟ فأخبره، فلما قتل عمار خرج عبدالله ليلاً يمشي، فأصبح في عسكر عليّ عليه السلام، وكان عبدالله من عبّاد أهل زمانه، وكاد أهل الشام أن يضطربوا لولا أنّ معاوية قال لهم: إنّ عليّاً قتل عماراً؛ لأنّه أخرجه الى الفتنة.

ثمّ أرسل معاوية الى عمرو: لقد أفسدت عليّ أهل الشام، أكلّ ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله تقوله؟ فقال عمرو: قلتها ولست أعلم الغيب، ولا أدري أنّ صفين تكون، قلتها وعمار يومئذ لك وليّ، وقد رويت أنت فيه مثل ما رويت، فغضب معاوية وتنمّر لعمرو، وعزم على منعه خيره، فقال عمرو لابنه وأصحابه: لا خير في جوار معاوية، ان تجلّت هذه الحرب عنه الأفارقتّه، وكان عمرو حمي الأنف قال: تعاتبني أن قلت شيئاً سمعته وقد قلت لو أنصفتني مثله قبلي الى آخر الأبيات (١).

نقل ابن أبي الحديد عن أبي بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري، في كتاب السقيفة، عن عبد الرزاق، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لما أخرج أبوذرّ الى الربذة أمر عثمان، فنودي في الناس أن لا يكلم أحد أباذرّ ولا يشيعه، وأمر مروان بن الحكم أن يخرج به، فخرج به، وتحمّاه الناس الأعلى بن أبي طالب عليه السلام وعقيلاً أخاه وحسناً وحسيناً عليه السلام وعماراً، فاتهم خرجوا معه يشيّعونه.

فجعل الحسن عليه السلام يكلم أباذرّ، فقال له مروان: ايها يا حسن ألا تعلم أنّ أمير المؤمنين قد نهى عن كلام هذا الرجل، فان كنت لا تعلم فاعلم ذلك، فحمل

عليّ عليه السلام على مروان ، فضرب بالسوط بين أذني راحلته وقال : تنح لحاك الله الى النار ، فرجع مروان مغضباً الى عثمان ، فأخبره الخبر فتلطّى على عليّ عليه السلام ، ووقف أبوذرّ فودّعه القوم ، ومعه ذكوان مولى أمّ هاني بنت أبي طالب .

قال ذكوان : فحفظت كلام القوم ، وكان حافظاً ، فقال عليّ عليه السلام : يا أباذرّ أنك غضبت لله انّ القوم خافوك على دنياهم ، وخفتهم على دينك ، فامتحنوك بالقلبي ، ونفوك الى الفلا ، والله لو كانت السماوات والأرض على عيبرتقاً ، ثم اتقى الله لجعل له منها مخرجاً ، يا أباذرّ لا يؤنسك الاّ الحقّ ، ولا يوحشك الاّ الباطل ، ثم قال لأصحابه : ودّعوا عمّكم ، وقال لعقيل : ودّع أخاك .

فتكلّم عقيل ، فقال : ما عسى أن نقول يا أباذرّ وأنت تعلم أننا نحبك ، وأنت تحبنا ، فاتق الله ، فإنّ التقوى نجاة ، واصبر فإنّ الصبر كرم ، واعلم أنّ استثقالك الصبر من الجزع ، واستبطاءك العافية من اليأس فدع اليأس والجزع .

ثمّ تكلّم الحسن عليه السلام ، فقال : يا عمّاه لولا أنّه لا ينبغي للمودّع أن يسكت ، وللمشيّع أن ينصرف ، لقصر الكلام وان طال الأسف ، وقد أتى القوم اليك ما ترى ، فضع عنك الدنيا بتذكّر فراغها ، وشدة ما اشتدّ منها برجاء ما بعدها ، واصبر حتى تلقى نبيك صلى الله عليه وآله وهو عنك راض .

ثمّ تكلّم الحسين عليه السلام ، فقال : يا عمّاه انّ الله تعالى قادر أن يغيّر ما قد ترى ، والله كلّ يوم هو في شأن ، وقد منعك القوم دنياهم ، ومنعتهم دينك ، فما أغناك عمّا منعوك ، وأحوجهم الى ما منعتهم ، فاسأل الله الصبر والنصر ، واستعذبه من الجشع والجزع ، فإنّ الصبر من الدين والكرّم ، وانّ الجشع لا يقدم رزقاً ، والجزع لا يؤخر أجلاً .

ثمّ تكلّم عمّار رحمه الله مغضباً ، فقال : لا آنس الله من أوحشك ، ولا آمن من أخافك ، أما والله لو أردت دنياهم لأمنوك ، ولو رضيت أعمالهم لأحبّوك ، وما منع الناس أن يقولوا بقولك الاّ الرضا بالدنيا ، والجزع من الموت ، ومالوا الى ما سلطان

جماعتهم عليه ، والملك لمن غلب ، فوهبوا لهم دينهم ، ومنحهم القوم دنياهم ، فخسروا الدنيا والآخرة ، ألا ذلك هو الخسران المبين .

فبكى أبو ذرٍّ رضي الله عنه وكان شيخاً كبيراً ، وقال : رحمكم الله يا أهل بيت الرحمة ، اذا رأيتمكم ذكرت بكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مالي بالمدينة سكن ولا شجن غيركم ، اني ثقلت على عثمان بالحجاز ، كما ثقلت على معاوية بالشام ، وكره أن أجاور أخاه وابن خاله بالمصرين فأفسد الناس عليهما ، فسيرني الى بلد ليس لي به ناصر ولا دافع الا الله ، والله ما أريد الا الله صاحباً ، وما أخشى مع الله وحشة .

ورجع القوم الى المدينة ، فجاء علي عليه السلام الى عثمان ، فقال له : ما حملك على ردّ رسولي وتصغير أمري ؟ فقال علي عليه السلام : أما رسولك فأراد أن يردّ وجهي فرددته ، وأما أمرك فلم أصغره .

قال : أما بلغك نهيي عن كلام أبي ذرٍّ ؟ قال : أوكلها أمرت بأمر معصية أطعناك فيه ؟ قال عثمان : أقدم مروان من نفسك ، قال : ممّ ذا ؟ قال : من شتمه وجذب راحلته ، قال : أمّا راحلته فراحلتي بها ، وأمّا شتمه ايّاي فوالله لا يشتمني شتمة الاّ شتمتك مثلها لا أكذب عليك ، فغضب عثمان وقال : لم لا يشتمك كأنك خير منه ؟ قال علي عليه السلام : اي والله ومنك ، ثمّ قام فخرج .

ثمّ قال ابن أبي الحديد بعد اتمام الحكاية : واعلم أنّ الذي عليه أكثر أرباب السير وعلماء الأخبار والنقل أنّ عثمان نقي أباذرٍّ أولاً الى الشام ، ثمّ استقدمه الى المدينة لما شكى منه معاوية ، ثمّ نفاه من المدينة الى الربذة لما عمل بالمدينة نظير ما كان يعمل بالشام .

أصل هذه الواقعة : أنّ عثمان لما أعطى مروان بن الحكم وغيره بيوت الأموال ، واختصّ زيد بن ثابت بشيء منها ، جعل أبو ذرٍّ يقول بين الناس في الطرقات والشوارع : بشر الكافرين بعذاب أليم ، ويرفع بذلك صوته ، ويتلو قوله تعالى

﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ﴾^(١) فرجع ذلك الى عثمان مراراً وهو ساكت .

ثم أنه أرسل اليه مولى من مواليه أن انته عما بلغني عنك ، فقال أبوذرّ : أويها في عثمان عن قراءة كتاب الله تعالى وعيب من ترك أمر الله ، فوالله لئن أَرْضَى اللهُ بسخط عثمان أحبّ اليّ وخير لي من أسخط الله برضا عثمان .

فأغضب عثمان ذلك وأحفظه ، فتصابر وتماسك ، الى أن قال عثمان يوماً والناس حوله : أيجوز للامام أن يأخذ من المال شيئاً قرضاً فاذا أيسر قضى ؟ فقال كعب الأحبار : لا بأس بذلك ، فقال أبوذرّ : يابن اليهوديين أتعلّمنا ديننا ؟ فقال عثمان : قد كثر أذاك لي وتولّعك بأصحابي الحق بالشام ، فأخرجه اليها .

فكان أبوذرّ ينكر على معاوية أشياء يفعلها ، فبعث اليه معاوية يوماً ثلاثمائة دينار ، فقال أبوذرّ لرسوله : ان كانت من عطائي الذي حرمتومنيه عامي هذا أقبلها ، وان كانت صلة فلا حاجة لي فيها وردّها عليه .

ثم بنى معاوية الخضراء بدمشق ، فقال أبوذرّ : يا معاوية ان كانت هذه من مال الله فهي الخيانة ، وان كانت من مالك فهي الاسراف ، وكان أبوذرّ يقول بالشام : والله لقد حدثت أعمال ما أعرفها ، والله ماهي في كتاب الله ولا سنة نبيّه ، والله اني لا أرى حقاً يظفأ ، وباطلاً يحيي ، وصادقاً مكذباً ، وأثرة بغير تقى ، وصالحاً مستأثراً عليه ، فقال حبيب بن مسلمة الفهري لمعاوية : انّ أبادرّ لمفسد عليكم بالشام ، فتدارك أهله ان كان لك فيه حاجة .

وروى شيخنا أبو عثمان الجاحظ في كتاب السفياينة ، عن جلام بن جندب الغفاري ، قال : كنت عاملاً لمعاوية على قنّسرين والعواصم في خلافة عثمان ، فجئت

اليه يوماً أسأله عن حال عملي اذ سمعت صارخاً على باب داره يقول : أتتكم القطار يحمل النار ، اللهم العن الآمرين بالمعروف التاركين له ، اللهم العن الناهين عن المنكر المرتكبين له ، فإزباراً معاوية وتغير لونه وقال : يا جلام أتعرف الصارخ ؟ فقلت : اللهم لا ، قال : من عذيري من جندب ؟ يأتينا كل يوم فيصرخ على باب قصرنا بما سمعت ، ثم قال : ادخلوه عليّ ، فجيء بأبي ذرّ بين قوم يقودونه حتى وقف بين يديه ، فقال له معاوية : يا عدوّ الله وعدوّ رسوله تأتينا في كل يوم فتصنع ما تصنع ، أما أنّي لو كنت قاتل رجل من أصحاب محمّد من غير اذن أمير المؤمنين عثمان لقتلتك ، ولكيّ أستاذن فيك .

قال جلام : وكنت أحبّ أن أرى أباذرّ ؛ لأنّه رجل من قومي ، فالتفتّ اليه فإذاً رجل أسمر ضرب من الرجال ، خفيف العارضين ، في ظهره جناً . فأقبل على معاوية فقال : ما أنا بعدوّ الله ولا لرسوله ، بل أنت وأبوك عدوّان لله ولرسوله ، أظهرتما الاسلام وأبطنتما الكفر ، ولقد لعنك رسول الله ﷺ ودعا عليك مرّات أن لا تشبع ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : اذا ولي الأمة الأعين الواسع البلعوم الذي لا يأكل ولا يشبع ، فتأخذ الأمة حذرهما منه .

فقال معاوية : ما أنا ذاك الرجل ، قال أبوذرّ : بل أنت ذلك الرجل ، أخبرني بذلك رسول الله ﷺ وسمعته يقول ومررت به : اللهم العنه ولا تشبعه إلا بالتراب ، وسمعت رسول الله ﷺ يقول : است معاوية في النار ، فضحك وأمر بحبسه ، وكتب الى عثمان فيه .

فكتب عثمان الى معاوية : أن احمل جندباً اليّ على أغلظ مركب وأوعره ، فوجّه به من ساربه الليل والنهار ، وحمله على شارف^(١) ليس عليها الأقتب حتى قدم به

(١) الشارف : الناقة المستنة .

المدينة ، وقد سقط لحم فخذه من الجهد .
 فلما قدم بعث اليه عثمان : أن الحق بأيّ أرض شئت ، قال : بمكة ، قال : لا ، قال :
 بيت المقدس ، قال : لا ، قال : بأحد المصريين ، قال : لا ولكي مسيرك الى الربذة ،
 فسيّره اليها ، فلم يزل بها الى أن مات . وفي رواية الواقدي : أنّ أباذرّ لما دخل على
 عثمان قال له :

لا أنعم الله بقين عينا نعم ولا لقاء يوماً زينا

تحية السخط اذا التقينا

فقال أبوذرّ : ما عرفت اسمي قيناً قطّ . وفي رواية أخرى : لا أنعم الله بك عينا يا
 جنيدب ، فقال أبوذرّ : أنا جنذب وسماي رسول الله ﷺ عبد الله ، فاخترت اسم
 رسول الله ﷺ الذي سماي به على اسمي .

فقال له عثمان : أنت الذي تزعم أنا نقول : يد الله مغلوله ، وإنّ الله فقير ونحن
 أغنياء ؟ فقال أبوذرّ : لو كنتم لا تقولون هذا لأنفقتم مال الله على عباد الله ، ولكي
 أشهد أنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول : اذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً جعلوا
 مال الله دولاً ، وعباده خولاً ، ودينه دخلاً .

فقال عثمان لمن حضر : أسمعتوها من رسول الله ؟ قالوا : لا ، قال عثمان : ويملك يا
 أباذرّ أتكذب على رسول الله ؟ فقال أبوذرّ لمن حضر : أما تدرّون أنّي صدقت ؟
 قالوا : لا والله ما ندري ، فقال عثمان : أدعوا لي علياً ، فلما جاء قال عثمان لأبي ذرّ :
 أقصص عليه حديثك في بني أبي العاص ، فأعاده ، فقال عثمان لعلي عليه السلام : أسمعت
 هذا من رسول الله ﷺ ؟ قال : لا وقد صدق أبوذرّ ، فقال : كيف عرفت صدقه ؟
 قال : لأنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من
 ذي لهجة أصدق من أبي ذرّ ، فقال من حضر : أمّا هذا فسمعناه كلنا من
 رسول الله ﷺ .

فقال أبوذرّ: أُحدّثكم أنّي سمعت هذا من رسول الله ﷺ فتّهموني ، ما كنت أظنّ أعيش حتى أسمع هذا من أصحاب محمد ﷺ .

وروى الواقدي في خبر آخر باسناده عن صهبان مولى الأسلميين ، قال : رأيت أباذرّ يوم دخل به على عثمان ، فقال له : أنت الذي فعلت وفعلت ؟ فقال أبوذرّ : نصحتك فاستغششتني ، ونصحت صاحبك فاستغشّني ، قال عثمان : كذبت ولكنك تريد الفتنة وتحبّها ، قد انغلت (١) الشام علينا .

فقال له أبوذرّ: أتبع سنّة صاحبيك لا يكن لأحد عليك كلام ، فقال عثمان : مالك وذلك لا أمّ لك ؟ قال أبوذرّ : ما وجدت لي عذراً إلاّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فغضب عثمان وقال : أشيروا عليّ في هذا الشيخ الكذّاب : إمّا أن أضربه ، أو أحبسّه ، أو أقتله ، فإنّه قد فرّق جماعة المسلمين ، أو أنفيه من أرض الاسلام .

فتكلّم عليّ عليه السلام وكان حاضراً ، فقال : أشير عليك بما قال مؤمن آل فرعون ﴿ فان يك كاذباً فعليه كذبه وان يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم ان الله لا يهدي من هو مسرف كذّاب ﴾ (٢) فأجابه عثمان بجواب غليظ ، وأجابه عليّ عليه السلام بمثله ، والجوابان لم يذكرهما ابن أبي الحديد .

قال الواقدي : ثمّ انّ عثمان حظر على الناس أن يقاعدوا أباذرّ أو يكلموه ، فكث ذلك أيّاماً ، ثمّ أتى به فوقف بين يديه ، فقال أبوذرّ : ويحك يا عثمان أما رأيت رسول الله ﷺ ورأيت أبا بكر وعمر هل هديك كهديهم ؟ أما أنّك لتبتطش بي بطش جبّار .

فقال عثمان : أخرج من بلادنا ، فقال أبوذرّ : ما أبغض اليّ جوارك فالى أين أخرج ؟ قال : حيث شئت ، قال : أخرج الى الشام أرض الجهاد ، قال : أنّما جلبتك

(١) النغل : الافساد بين القوم .

(٢) غافر : ٢٨ .

من الشام لما قد أفسدتها فأردك إليها؟ قال: فأخرج الى العراق؟ قال: لا أنك ان تخرج اليها تقدم على قوم أولي شبه وطعن على الأئمة والولاة، قال: فأخرج الى مصر؟ قال: لا، قال: فالى أين أخرج؟ قال: الى البادية، قال أبوذر: أصير بعد الهجرة أعرابياً؟ قال: نعم.

قال أبوذر: فأخرج الى بادية نجد؟ قال عثمان: بل الى الشرق الأبعد أقصى فأقصى، امض على وجهك هذا فلا تعدون الربذة، فخرج اليها.

وروى الواقدي أيضاً عن مالك بن أبي الرجال، عن موسى بن ميسرة، أن أبا الأسود الدؤلي قال: كنت أحب لقاء أبي ذرّ لأسأله عن سبب خروجه الى الربذة، فجئته، فقلت له: ألا تخبرني أخرجت من المدينة طائعاً أم أخرجت كرهاً؟ فقال: كنت في ثغر من ثغور المسلمين أغني عنهم، فأخرجت الى المدينة، فقلت: دار هجرتي وأصحابي، فأخرجت من المدينة الى ما ترى.

ثم قال: بينا أنا ذات ليلة نائم في المسجد على عهد رسول الله ﷺ إذ مرّ بي عليّ، فضربني برجله وقال: لا أراك نائماً في المسجد، فقلت: بأبي أنت وأمي غلبتني عيني فنمت فيه، قال: فكيف تصنع اذا أخرجوك منه؟ قلت: اذا ألحق بالشام فأنها أرض مقدّسة وأرض جهاد، قال: فكيف تصنع اذا أخرجوك منها، قلت: أرجع الى المسجد، قال: فكيف تصنع اذا أخرجوك منه؟ قلت: آخذ سيفي فأضربهم به.

فقال: ألا أدلك على خير من ذلك؟ انسق معهم حيث ساقوك، وتسمع وتطيع، فسمعت وأطعت، وأنا أسمع وأطيع، والله ليلقيّن الله عثمان وهو آثم في جنبي^(١).

أقول: الظاهر من آثار عثمان وسائر بني أمية أنهم كانوا دهريين منكرين للشواب والعقاب. ومما يشهد به ما رواه ابن أبي الحديد في شرحه، قال أبو بكر أحمد بن عبد

العزير: انّ أباسفيان قال لما بويح عثمان: كان هذا الأمر في تيم وأنى لتيم هذا الأمر، ثم صار الى عدي فأبعد وأبعد، ثم رجعت الى منازلها واستقرّ الأمر قراره، فتلقّفوها تلقّف الكرة.

قال أحمد بن عبد العزيز: وحدثني المغيرة بن محمّد المهلبى، قال: ذاكرت اسماعيل بن اسحاق القاضي بهذا الحديث، وأنّ أباسفيان قال لعثمان: بأبي أنت أنفق ولا تكن كأبي حجر، وتداولوها يا بني أميّة تداول الولدان الكرة، فوالله ما من جنة ولا نار، وكان الزبير حاضراً، فقال عثمان لأبي سفيان، أعزب، فقال: يا بني أهاهنا أحد؟ قال الزبير: نعم والله ولا كنتمتها عليك. قال فقال اسماعيل: هذا باطل، قلت: وكيف ذلك؟ قال: ما أنكر هذا من أبي سفيان ولكن أنكر أن يكون سمعه عثمان ولم يضرب عنقه^(١). انتهى.

أقول: هذا دليل واضح على كفر عثمان؛ لأنّه لو كان مسلماً مؤمناً لم يكن يرضى بالتغافل عن أبي سفيان، بل لم يقل له أعزب إلاّ لحضور الزبير، والعقل حاكم بأنّه لو لم يكن أبوسفيان عارفاً بموافقة عثمان له في الاعتقاد لما اجترأ باظهار كفره، ويشهد به قول أبي سفيان لما سمع من عثمان أعزب تعجباً: يا بني أهاهنا أحد؟ ومما يدلّ أيضاً على كفره واباحه دمه، ما نقله ابن أبي الحديد في شرحه، عن أمير المؤمنين عليه السلام حين قتل عثمان، قوله: ماسرّني ولا أساءني. وقوله حين قيل له؟ أراضيت بقتل عثمان؟ قال: لم أرض، فقيل له: أسخطت قتله؟ فقال: لم أسخط. وقوله، الله قتله وأنا معه.

ويدلّ أيضاً على ما ادّعيناه، كلامه عليه السلام في خطبته: لو أمرت به لكنت قاتلاً، أو نهيت عنه لكنت ناصراً، غير أنّ من نصره لا يستطيع أن يقول: خذله من أنا خير

منه ، ومن خذله لا يستطيع أن يقول : نصره من هو خير مني ، وأنا جامع لكم أمره ، استأثر الأثرة ، وجزعتم فأسألتهم الجزع ، والله حكم واقع في المستأثر والمجازع^(١) .

قال ابن أبي الحديد في شرحه : هذا الكلام بظاهره يقتضي أنه ما أمر بقتله ولا نهى عنه ، فيكون دمه عنده في حكم الأمور المباحة التي لا يؤمر بها ولا ينهى عنها^(٢) .

أقول : كفانا معشر الشيعة اباحة دمه ؛ لأنّ اباحة دمه دليل على بطلان خلافته وبيعته ، وعلى أنّ الشورى العمريّة لم يكن صواباً ، بل يدلّ على أنّ عثمان لم يكن مؤمناً ؛ لأنه عليه السلام كان ناصرًا للمؤمنين ، فلو كان عثمان مؤمناً لم يكن يخذله .

ويدلّ أيضاً على عدم إيمان عثمان وحسن قتله قوله عليه السلام : قد طلع طالع ، ولمع لامع ، ولاح لائح ، واعتدل مائل ، واستبدل الله بقوم قوماً ، ويوم يوماً ، وانتظرنا الغير انتظار المجدب المطر ، وأما الأئمة قوام الله على خلقه ، وعرفاؤه على عباده ، ولا يدخل الجنة الآ من عرفهم وعرفوه ، ولا يدخل النار الآ من أنكرهم وأنكروه ، الى آخر الخطبة^(٣) .

قال ابن أبي الحديد في الشرح : هذه خطبة خطب بها بعد قتل عثمان حين أفضت الخلافة اليه « قد طلع طالع » يعني : عود الخلافة اليه ، وكذلك قوله « لمع لامع ، ولاح لائح » كلّ هذا يراد به معنى واحد « واعتدل مائل » اشارة الى ما كانت الأمور عليه من الاعوجاج في أواخر أيام عثمان ، واستبدل الله بعثمان وشيعته علياً عليه السلام وشيعته ، وبأيام ذاك أيام هذا . ثمّ قال « وانتظرنا الغير انتظار المجدب المطر » وهذا الكلام يدلّ على أنه قد كان يتربّص بعثمان الدوائر ، ويتربّص حلول الخطوب

(١) نهج البلاغة ص ٧٣ برقم : ٣٠ .

(٢) شرح نهج البلاغة ٢ : ١٢٦ .

(٣) نهج البلاغة ص ٢١٢ برقم : ١٥٢ .

بساحته ليلى الخلافة .

فان قلت : أليس هو الذي طلق الدنيا ، فأين هذا القول من طلاقها ؟
قلت : أنه طلق أن ينال منها حظاً دنيوياً ، ولم يطلقها أن ينهى فيها عن المنكرات
التي أمره تعالى بالنهي عنها ، ويقوم فيها الدين الذي أمره باقامته ، ولا سبيل له الى
النهي عن المنكرات والأمر بالمعروف الآ بولاية الخلافة .

فان قلت أيجوز على مذهب المعتزلة أن يقال : أنه عليه السلام كان ينتظر قتل عثمان
انتظار المجدب المطر ؟ وهل هذا إلا محض مذهب الشيعة ؟

قلت : أنه عليه السلام لم يقل وانتظرنا قتله ، وإنما انتظر الغير ، فيجوز أن يكون أراد
انتظار خلعه وعزله عن الخلافة ، فإن علياً عليه السلام كان يذهب الى أن عثمان استحق
الخلع بأحداثه ولم يستحق القتل ، وهذا الكلام اذا حمل على انتظار الخلع كان موافقاً
لمذهب أصحابنا .

فان قلت : أتقول المعتزلة : ان علياً عليه السلام كان يذهب الى فسق عثمان المستوجب
لأجله الخلع ؟

قلت : كلاً ، حاش لله أن تقول المعتزلة ذلك ، وإنما تقول : ان علياً عليه السلام كان يرى
أن عثمان يضعف عن تدبير الخلافة ، وأن أهله غلبوا عليه ، واستبدوا بالأمر دونه ،
واستعجزه المسلمون واستسقطوا رأيه ، فصار حكمه حكم الامام اذا عمي أو أسره
العدو ، فإنه ينخلع عن الامامة^(١) . انتهى كلامه .

أقول : ما ذكره الشارح في تأويل كلام أمير المؤمنين عليه السلام مع مخالفته لما نقلنا عنه
أنفاً من أن عثمان كان مباح الدم على رأي أمير المؤمنين عليه السلام غير موجه ؛ لأن
كلامه عليه السلام ظاهر في الشتمة ، واطهار السرور والشكر ، فلو لم يكن عثمان كافراً أو

(١) شرح نهج البلاغة ٩ : ١٥٣ - ١٥٤ .

فاسقاً لم يتكلم عليه السلام بمثل هذا الكلام ، ويؤيده قوله عليه السلام « قتله الله وأنا معه » وقوله عليه السلام « ماسرني ولا أساءني » وما في معناه لا ينافي ما ذكرناه ؛ لأن قتله من حيث كان مستلزماً لحروب الناكثين والقاسطين والمارقين لم يسره سروراً تاماً ، وان كان في نفسه حسناً موجباً للسرور .

على أن قوله عليه السلام « أنا الأئمة » يقتضي حصر الأئمة في من يكون معرفته موجباً للجنة ، وانكاره موجباً للنار ، وهذه الصفات ليست الآ صفة المعصومين ، ولم يكن صفة عثمان بالاجماع ؛ لأن باجماع أهل السنة جميع قاتلي عثمان من المهاجرين والأنصار عدول ، ولم يخرجهم قتل عثمان من العدالة ، فلو كان عثمان من الأئمة لكان قتله موجباً للنار ؛ لأن القتل أشد من الانكار .

على أن ما ذكره على خلاف ظاهر كلامه عليه السلام من جهة أخرى ، وهي أنه عليه السلام وان لم يقل انتظرنا قتله ولكن قوله « انتظرنا الغير » مفيد للمطلوب أيضاً ؛ لأن الظاهر من اللام في الغير للعهد الخارجي والمعهود هو القتل . وان سلمنا أنه للجنس فالمطلوب أيضاً حاصل ؛ لأن الظاهر حينئذ أنه عليه السلام كان منتظراً لماهية الغير ، سواء كان في ضمن القتل أو الخلع .

أنظر أيها البصير بحب آل العباء الى هؤلاء الفضلاء كيف يخبطون خبط العشواء ، الحمد لله على ما هداانا ودلنا على المحجة البيضاء .

ومما يدل أيضاً على كفره ما في الصراط المستقيم ، عن أبي وائل ، أن عمراً قال : ما كان لعثمان اسم في أفواه الناس الا الكافر حتى ولي معاوية ^(١) .

ومما يدل أيضاً ما في الصراط المستقيم ، وروي عن حذيفة أنه قال : لا يموت رجل يرى أن عثمان قتل مظلوماً الا لقي الله يوم القيامة يحمل من الأوزار أكثر

مما يحمل أصحاب العجل (١).

ومما يدل أيضاً على كفر عثمان منع المهاجرين والأنصار أن يدفن الآ بعد ثلاثة أيام بغير غسل وكفن .

قال ابن أبي الحديد في شرحه : وروى المدائني في كتاب مقتل عثمان : أن طلحة منع من دفنه ثلاثة أيام ، وأن علياً عليه السلام لم يبايعه الناس الآ بعد قتل عثمان بخمسة أيام ، وأن حكيم بن حزام أحد بني أسد بن عبد العزى وجبير بن مطعم بن الحارث بن نوفل استنجدا بعلي عليه السلام على دفنه ، فأقعد طلحة لهم في الطريق ناساً بالحجارة ، فخرج به نفر يسير من أهله وهم يريدون به حائطاً بالمدينة يعرف بحش كوكب (٢) كانت اليهود تدفن فيه موتاهم ، فلما صار هناك رجم سريره وهموا بطرحه ، فأرسل علي عليه السلام الى الناس يعزم عليهم فكفوا عنه ليكفوا ، فانطلقوا به حتى دفنوه في حش كوكب .

وروى الطبري نحو ذلك ، الآ أنه لم يذكر طلحة بعينه ، وزاد فيه بأن معاوية لما ظهر على الناس أمر بذلك الحائط ، فهدم حتى أفضى به الى البقيع ، وأمر الناس أن يدفنوا موتاهم حول قبره حتى اتصل بمقابر المسلمين (٣) .

ومما يدل على ما ذكرناه (٤) من كفره ونفاقه : غيبته عن بدر ، وبيعة الرضوان ، وفراره يوم أحد .

قال ابن أبي الحديد في شرحه : وقال أبو هلال العسكري في كتاب الأوائل : أستجيب دعوة علي عليه السلام في عثمان وعبد الرحمن ، فاماتا الأ متهاجرين متعادين ،

(١) الصراط المستقيم ٣ : ٣٦ .

(٢) حش كوكب : موضع عند بقيع الفرقد ، اشتراه عثمان وزاده في البقيع .

(٣) شرح نهج البلاغة ١٠ : ٦ - ٧ .

(٤) في «ق» : ومما يؤيد ما ذكرناه .

أرسل عبد الرحمن الى عثمان يعاتبه وقال لرسوله : قل له : لقد وليتك من أمر الناس وإن لي لأمر ما هي لك ، شهدت بدرأً وما شهدتها ، وشهدت بيعة الرضوان وما شهدتها ، وفقرت يوم أحد وصبرت ، فقال عثمان لرسوله : قل له : أمّا يوم بدر فإن رسول الله ﷺ ردني الى ابنته لما بها من المرض ، وقد كنت خرجت للذي خرجت له ، ولقيته عند منصرفي ، فبشّرني بأجر مثل أجوركم ، وأعطاني سهماً مثل سهامكم . وأمّا بيعة الرضوان ، فإنه ﷺ بعثني أستأذن قريشاً في دخوله مكّة ، فلمّا قيل له : أنّي قتلت بايع المسلمين على الموت لما سمعه عني ، وقال : ان كان حيّاً فأنا أبايع عنه ، وصدّق باحدى يديه على الأخرى ، وقال : يساري خير من يمين عثمان ، فيدك أفضل أم يد رسول الله ﷺ .

وأما صبرك يوم أحد وفراري ، فلقد كان ذلك فأنزل الله تعالى العفو عني في كتابه ، فعيرتني بذنب غفره الله لي ، ونسيت من ذنوبك ما لا تدري أغفر لك أم لم يغفر (١) .

أقول : غيبة عثمان عن بدر وعن بيعة الرضوان وفراره يوم أحد ثابت باقراره ، وأمّا ادّعاءه في الاعتذار فلا يثبت عليه ولا شاهد .

الدليل الأربعون

[ما ورد في مثالب أعداء أهل البيت عليهم السلام]

مما يدلّ على امامة أئمتنا الاثني عشر ، أنّ عائشة كافرة مستحقّة للنار ، وهو مستلزم لحقيّة مذهبنا وحقيّة أئمتنا الاثني عشر ؛ لأنّ كلّ من قال بخلافة الثلاثة اعتقد ايمانها وتعظيمها وتكريمها ، وكلّ من قال بامامة الاثني عشر قال باستحقاقها

اللعن والعذاب ، فإذا ثبت كونها كذلك ثبت المدعى ؛ لأنه لا قائل بالفصل .

وأما الدليل على كونها مستحقة للعن والعذاب ، فأنها حاربت أمير المؤمنين عليه السلام وقد تواتر عن النبي صلى الله عليه وآله « حربك حربى » ^(١) ولا ريب في أن حرب النبي صلى الله عليه وآله كفر .

وفي صحيح البخاري في باب ما ينهى من السابّ واللعن ، باسناده قال رسول الله صلى الله عليه وآله : سباب المسلم فسوق وقتاله كفر ^(٢) .

وأنها عادت علياً أمير المؤمنين عليه السلام وقد تواتر عن النبي صلى الله عليه وآله : اللهم وال من والاه وعاد من عاداه . وأنها كانت مبغضة لأمير المؤمنين عليه السلام ، وقد تواتر عن النبي صلى الله عليه وآله « انّ بغضه نفاق » وقد تقدّم الأخبار المتواترة المتفق عليها في هذا المعنى . وأما بغضها لأمير المؤمنين عليه السلام ، ففي غاية الظهور .

ومما يدلّ على بغضها قوله عليه السلام مخاطباً لأهل البصرة : فاني حاملكم ان شاء الله على سبيل الجنة ، وان كان ذا مشقة شديدة ومذاقة مريرة ، وأما فلانة فأدرکہا رأي النساء وضغن غلا في صدرها كمرجل القين ، الى آخر الكلام ^(٣) .

ثم أقول : تكلم ابن أبي الحديد المعتزلي في بيان ضغنها ، وطول الكلام فيها ، ثم ادعى توبتها من غير برهان عقليّ ودليل نقليّ ، ومختصر كلامه في بيان أسباب ضغنها نقلاً عن أستاذه أبي يعقوب المعتزلي .

انّ أوّل ما بدأ الضغن كان بينها وبين فاطمة عليها السلام ، وذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله تزوّجها عقيب موت خديجة فأقامها مقامها ، وفاطمة هي ابنة خديجة ، ومن المعلوم أنّ ابنة الرجل اذا ماتت أمّها وتزوّج أبوها امرأة أخرى ، كان بين الابنة وبين المرأة

(١) راجع : احقاق الحق ٩ : ١٦١ - ١٧٤ .

(٢) صحيح مسلم ١ : ٨١ برقم : ٦٤ .

(٣) نهج البلاغة ص ٢١٨ برقم : ١٥٦ .

كدر وشنتان ، وهذا لا بدّ منه ؛ لأنّ الزوجة تنفس عليها ميل الأب ، والبنت تكره ميل أبيها الى امرأة غريبة كالضرة لأمتها ، بل ضرة على الحقيقة .

ثمّ قال بعد كلام : وأكرم رسول الله ﷺ فاطمة عليها السلام اكراماً عظيماً أكثر ممّا كان الناس يظنّونه ، وأكثر من اكرام الرجال لبناتهم حتّى خرج بها عن حدّ حبّ الآباء للأولاد ، فقال بمحضر الخاصّ والعامّ مراراً لا مرّة واحدة ، وفي مقامات مختلفة لا في مقام واحد : أنّها سيّدة نساء العالمين ، وأنّها عديلة مريم بنت عمران ، وأنّها اذ مرّت في الموقف نادى مناد من جهة العرش : يا أهل الموقف غضوا أبصاركم لتعبر فاطمة بنت محمّد ﷺ ، وهذا من الأخبار الصحيحة وليس من الأخبار المستضعفة .

وانّ انكاحه عليّاً عليها السلام ما كان الآ بعد أن أنكحه الله تعالى أيّاه في السماء بشهادة الملائكة ، وكم قال لا مرّة : يؤذيني ما يؤذيها ، ويغضبني ما يغضبها ، وأنّها بضعة منّي يرييني ما راها . فكان هذا وأمثاله يوجب زيادة الضغن عند الزوجة حسب زيادة هذا التعظيم والتبجيل ، والنفوس البشريّة تعيظ على ما هو دون هذا فكيف هذا .

ثمّ حصل عند بعلمها ما هو حاصل عندها ، أعني : عليّاً عليها السلام ، فإنّ النساء كثيراً ما يحصلن^(١) الأحقاد في قلوب الرجال ، وكانت تكثر الشكوى من عائشة ، وتغشاها نساء المدينة وجيران بيتها ، فينقلن اليها كلمات عن عائشة ثمّ يذهبن الى بيت عائشة فينقلن اليها كلمات عن فاطمة ، وكما كانت فاطمة تشكو الى بعلمها ، كانت عائشة تشكو الى أبيها ، لعلمها أنّ بعلمها لا يشكها على ابنته ، فحصل في نفس أبي بكر من ذلك أثر ما ، ثمّ تزايد تقريظ رسول الله ﷺ لعليّ عليها السلام وتقريبه واختصاصه ، فأحدث ذلك حسداً له ، وغبطة في نفس أبي بكر عنه وهو أبوها ، وفي

(١) في الشرح : يجعلن .

نفس طلحة وهو ابن عمّها ، وهي تجلس اليها وتسمع كلامها ، وهما يجلسان اليها ويحادثانها ، فأعدى اليها منها كما أعدتها .

قال : ولست أبرئ علياً من مثل ذلك ، فأنه كان ينفس على أبي بكر سكون النبي ﷺ اليه وتناؤه عليه ، ويحبّ أن ينفرد هو بهذه المزايا والخصائص دونه ودون الناس أجمعين ، ومن انحرف عن انسان انحرف عن أهله وأولاده ، فتأكّدت البغضة بين هذين الفريقين .

ثمّ قال بعد كلام : ثمّ كان بينها وبين علي عليه السلام في حياة رسول الله ﷺ أحوال وأقوال كلّها تقتضي تهيبح ما في النفوس ، ثمّ قال : ونحو ما روي أنّ رسول الله ﷺ سايره - يعني : علياً عليه السلام - يوماً وأطال مناجاته ، فجاءت وهي سائرة خلفها حتّى دخلت بينها وقالت ، فيم أنتم ؟ فقد أطلتما ، فيقال : ان رسول الله ﷺ غضب ذلك اليوم .

فقال : ثمّ اتفق أنّ فاطمة عليها السلام ولدت أولاداً كثيرة بنين وبنات ، ولم تلدهي ولداً ، وأنّ رسول الله ﷺ كان يقيم بني فاطمة مقام بنيه ، ويسمّي الواحد منها ابني ، ويقول : دعوا لي ابني ، ولا تزرموا على ابني ، وما فعل ابني . فاطنك بالزوجة اذا حرمت الولد من البعل ثمّ رأت البعل يتبنّى بني ابنته من غيرها ، ويجنو عليهم حنو الوالد المشفق ، هل تكون محبة لأولئك البنين ولأمّهم ولأبيهم أم مبغضة ؟ وهل تودّ دوام ذلك واستمراره أم زواله وانقضاءه ؟

ثمّ اتفق أنّ رسول الله ﷺ سدّ باب أبيها الى المسجد وفتح باب صهره ، ثمّ بعث أباها براءة الى مكة ثمّ عزله عنها بصهره ، ففدح ذلك أيضاً في نفسها ، وولد لرسول الله ﷺ ابراهيم بن مارية ، فأظهر علي عليه السلام بذلك سروراً كثيراً ، وكان يتعصّب لمارية ، ويقوم بأمرها عند رسول الله ﷺ ميلاً على غيرها ، وجرت لمارية نكبة مناسبة لنكبة عائشة ، فبرأها علي عليه السلام وكشف بطلانها ، أو كشفه الله تعالى على

يده، وكان ذلك كشفاً محسباً بالبصر، لا يتهيأ للمنافقين أن يقولوا فيه ما قالوه في القرآن المنزّل ببراءة عائشة، وكلّ ذلك ممّا كان يوغر صدر عائشة عليه، ويؤكد ما في نفسها منه. ثمّ مات ابراهيم، فأبطنت شماته وان أظهرت كآبة، ووجم علي عليه السلام من ذلك وكذلك فاطمة، وكانا يؤثران ويريدان أن تتميزّ مارية عليها بالولد، فلم يقدّر لهما ولا مارية ذلك.

وبقيت الأمور على ما هي عليه وفي النفوس ما فيها، حتّى مرض رسول الله ﷺ المرض الذي توفّي فيه، فكانت فاطمة وعلي يريدان أن يمّرضاه في بيتهما، وكذلك كان أزواجه كلّهنّ، فال الى بيت عائشة بمقتضى المحبة القلبية التي كانت لها دون نساءه، وكره أن يزاحم فاطمة وبعلمها في بيتهما، فلا يكون عنده من الانبساط لوجودهما ما يكون اذا خلى بنفسه في بيت من يميل اليه بطبعه، وعلم أنّ المريض يحتاج الى فضل مداراة ونوم وبقظة وانكشاف وخروج حدث، فكانت نفسه الى بيته أسكن منها الى بيت صهره وبنته، فأنه اذا تصوّر حياءهما منه استحيا هو أيضاً منها، وكلّ أحد يحبّ أن يخلو بنفسه، ويحتشم الصهر والبنّت، ولم يكن له الى غيرها من الزوجات مثل ذلك الميل اليها، فتمرّض في بيتهما، فغبطت على ذلك.

ولم يمرض رسول الله ﷺ منذ قدم المدينة مثل هذا المرض، وأنما كان مرضه الشقيقة يوماً أو بعض يوم ثمّ يبرأ، فتطاول هذا المرض، وكان علي عليه السلام لا يشكّ أنّ الأمر له، وأنّه لا ينازعه فيه أحد من الناس.

ثمّ قال بعد كلام: فلما ثقل رسول الله ﷺ أنفذ جيش أسامة، وجعل فيه أبابكر وغيره من أعلام المهاجرين والأنصار، فكان علي عليه السلام حينئذ بوصوله الى الأمر - ان حدث برسول الله ﷺ حدث - أوثق، وتغلّب على ظنّه أنّ المدينة لو مات لخلت من منازع ينازعه الأمر بالكليّة، فيأخذه صفواً عفواً وتمّ له البيعة، فلا يتهيأ فسخها لو رام ضدّ منازعته عليها، فكان من عود أبي بكر من جيش أسامة

بارسائها إليه ، واعلامه بأن رسول الله ﷺ يموت ما كان ، ومن حديث الصلاة بالناس ما عرف ، فنسب علي عليه السلام عائشة أنها أمرت بلالاً مولى أبيها أن يأمره فليصل بالناس ؛ لأن رسول الله ﷺ كما روي قال : ليصل بهم أحدهم ولم يعين وكانت صلاة الصبح .

فخرج رسول الله ﷺ وهو في آخر رمق يتهادي بين علي عليه السلام والفضل بن العباس حتى قام في المحراب ، كما ورد في الخبر ، ثم دخل فمات ارتفاع الضحى ، فجعل يوم صلاته حجة في صرف الأمر اليه ، وقال : أيكم يطيب نفساً أن يتقدم قدمين قدمهما رسول الله ﷺ ، ولم يحملوا خروج رسول الله ﷺ الى الصلاة ، لصرفه عنها ، بل لمحافظة على الصلاة مهما أمكن ، فبويع على هذه النكتة التي أتمها علي عليه السلام على أنها ابتدأت منها .

وكان علي عليه السلام يذكر هذا لأصحابه في خلواته كثيراً ، ويقول : أنه لم يقل ﷺ : أنكن لصويحبات يوسف ، إلا أنكاراً لهذه الحال وغضباً منها ؛ لأنها وحفصة تبادرتا الى تعيين أبيهما ، وأنه استدركها بخروجه وصرفه عن المحراب ، فلم يجد ذلك ، ولا أثر مع قوة الداعي الذي كان يدعوا الى أبي بكر ويمهد له قاعدة الأمر ، وتقرّر حاله في نفوس الناس ومن اتبعه على ذلك من أعيان المهاجرين والأنصار .

ولما ساعد على ذلك من الحظّ الفلكي والأمر السمائي ، الذي جمع عليه القلوب والأهواء ، فكانت هذه الحال عند علي عليه السلام أعظم من كلّ عظيم ، وهي الطامة الكبرى ، والمصيبة العظمى ، ولم ينسبها إلا الى عائشة وحدها ، ولا علق الأمر الواقع الآبها ، فدعا عليها في خلواته وبين خواصّه ، وتظلم الى الله منها ، وجرى له في تخلفه عن البيعة ما هو مشهور حتى بايع .

وكان يبلغه وفاطمة عليها السلام عنها كل ما يكرهانه منذمات رسول الله ﷺ الى أن توقّيت فاطمة ، وهما صابران على مريض ومريض ، واستظهرت بولاية أبيها ،

واستطالت وعظم شأنها ، وانخذل عليّ وفاطمة وقهرا ، وأخذت فدىك وخرجت فاطمة تجادل في ذلك مراراً فلم تظفر بشيء ، وفي كل ذلك تبلّغها النساء والداخلات والخارجات عن عائشة كلّ كلام يسوئها ، ويبلّغن عائشة عنها وعن بعلمها مثل ذلك ، إلاّ أنّه شتان ما بين الحالين ، وبعد ما بين الفريقين ، هذه غالبية وهذه مغلوبة ، وهذه آمرة وهذه مأمورة ، وظهر التشقيّ والشماتة ، ولا شيء أعظم مرارة ومشقّة من شماتة العدو .

فقلت له رحمه الله : أفقول أنت : إنّ عائشة عيّنت أباها للصلاة ورسول الله ﷺ لم يعيّنّه ؟ فقال : أمّا أنا ، فلا أقول ذلك ، ولكن عليّاً عليه السلام كان يقوله ، وتكليف غير تكليفه ، كان حاضراً ولم أكن حاضراً ، فأنا محجوج بالأخبار التي اتّصلت بي ، وهي تتضمّن تعيين النبيّ عليه السلام لأبي بكر في الصلاة ، وهو محجوج بما كان قد علمه ، أو يغلب على ظنّه من الحال التي كان حضرها .

قال : ثمّ ماتت فاطمة عليها السلام ، فجاءت نساء رسول الله ﷺ كلهنّ الى بني هاشم في العزاء إلاّ عائشة ، فإنّها لم تأت وأظهرت مرضاً ، ونقل الى علي عليه السلام عنها كلام يدلّ على السرور .

ثمّ بايع علي عليه السلام أباها ، فسرتّ بذلك وأظهرت من الاستبشار بتمام النعمة واستقرار الخلافة ، وبطلان منازعة الخصم ما قد نقله الناقلون فأكثرُوا ، واستمرتّ الأمور على هذا مدّة خلافة أبيها وخلافة عمر وعثمان ، والقلوب تغلي والأحقاد تذيب الحجارة .

وكلّمنا طال الزمان على علي عليه السلام تضاعفت همومه وغمومه ، وباح بما في نفسه ، الى أن قتل عثمان ، وقد كانت عائشة أشدّ الناس عليه تأليباً وتحريضاً ، فقالت : أبعدّه الله ، لما سمعت قتله ، وأمّلت أن تكون الخلافة في طلحة ، فتعود الامرة تيمية كما كانت أولاً ، فعدل الناس عنه الى علي بن أبي طالب عليه السلام ، فلمّا سمعت ذلك صرخت

واعثماناه ، قتل عثمان مظلوماً ، وثار في الأنفس ، حتى تولد من ذلك يوم الجمل وما بعد .

ثم قال ابن أبي الحديد : هذه خلاصة كلام الشيخ أبي يعقوب ، ولم يتشيع ، وكان شديداً في الاعتزال (١) .

ومما يدل على أنها كانت عدوةً لأمر المؤمنين عليه السلام ما رواه سعيد بن المسيب عن وهب : أن فاطمة عليها السلام لما زفت الى علي عليه السلام ، قالت نسوة الأنصار ، أبوها سيد الناس ، فقال النبي صلى الله عليه وآله : وبع لها ذو الشدة والبأس ، فلم يذكرن علياً عليه السلام ، فقال في ذلك فقلن : منعنا عائشة ، فقال : ما تدع عائشة عداوتنا أهل البيت (٢) .

ومما يدل على ظلمها وعصيانها وكفرها ، ما ذكره صاحب الصراط المستقيم ، وهذا مختصر من كلامه : فصل في أم الشرور ، أكثر اعتقاد القوم على رواياتها ، وقد خالفت ربها ونبيها في قوله تعالى ﴿ وقرن في بيوتكن ﴾ الآية (٣) قال ابن عباس : لما علم الله حرب الجمل قال لנساء النبي صلى الله عليه وآله ﴿ وقرن في بيوتكن ﴾ الآية .

وفي أعلام النبوة للماوردي ، وفردوس الديلمي ، عن ابن عباس ، قال النبي صلى الله عليه وآله لسنائه : أيتكن صاحبة الجمل الأدب ؟ تخرج فتفضحها كلاب الحوآب ، يقتل عن يمينها ويسارها كثير .

وفي تاريخ البلاذري ، وأربعين الخوارزمي ، وفي الفضائل لابن مردويه ، قال سالم بن الجعد : ذكر النبي صلى الله عليه وآله خروج بعض نساته ، فضحكت الحميراء ، فقال : أنظري أن تكون هي ، والنفت الى علي عليه السلام وقال : اذا وليت من أمرها شيئاً فافرق بها . ان قيل : هذا دليل محبة النبي صلى الله عليه وآله لها مع علمه بمحاربتها ، فلم تنته المحاربة لها الى

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩ : ١٩٢ - ١٩٩ .

(٢) الصراط المستقيم ٣ : ١٦٦ - ١٦٧ .

(٣) الأحزاب : ٣٣ .

تكفيرها كما تزعمون فيها .

قلنا : كيف ذلك وقد اجتمعنا وإياكم على قوله « يا علي حريك حربي » و حرب النبي ﷺ كفر . وقد نقل ابن البطريق في عمدته عن الجمع بين الصحيحين قول النبي ﷺ « من سلّ علينا السيف فليس منا » وقال النبي ﷺ في موضع آخر : علي منّي بمنزلة الرأس من الجسد . ولم يرد بقوله « ليس منا » نفي الجنسية ولا القرابة ولا الزوجية ؛ لأنّ ذلك لا تنفيه المحاربة ، فالمراد ليس من ديننا .

وأما وصيته له عليه السلام بالارفاق ، فأنما هو حصون ^(١) لعرض علي عليه السلام من أهل النفاق . وقد أخرج أبو نعيم في كتاب الفتن وغيره حديث ماء الحوآب . وأخرج صاحب المراصد قول النبي ﷺ لعائشة : أما تستحين أما تحارين من رضي الله عنه ؟ أنه لعهد اليّ أنه من خرج علي في فهو في النار . وقد رويتم قول النبي ﷺ لعلي عليه السلام « بغضك سيئة لا ينفع معها حسنة » فحرب الجمل أكان عن حبّ أو بغض ؟ وفي تاريخ الطبري : روي أنّها كانت تركب الجمل وتحمل السلاح وترتجز :

شكوت رأساً قد مللت حملة وقد مللت دهنه وغسله

ألا فتىّ يحمل عنّا كلّهُ

وقطع على خطام جملها أربعائة يد وهي مسرورة .

وروي الواقدي أنّ عمّاراً قال لها : كيف رأيت ضرب بنيك عن أديانهم ؟ فقالت : لستم لي ببنين ، قال : صدقت أمّهاتنا من نساء النبي ﷺ ذوات الحجاب المطيعات لله ولرسوله وأنت مخالفة لهما . وقد رويت أنّ النبي ﷺ لعن المرأة المشبهة للرجال ، والرجل المشبهة بالنساء .

وفي رواية الشعبي : استشارت أمّ سلمة في الخروج ، فنهتها وقالت : ألا تذكرين

قول النبي ﷺ: لا تذهب الأيام والليالي حتى تنابح كلاب الحوآب على امرأة من نسائي في فئة طاغية فضحكت أنت ، فقال : اني لأحسبك هيه ، فلما تهيات للخروج أنشأت أم سلمة تقول شعراً :

نصحت ولكن ليس للنصح قابل
ولو قبلت ما عتفتها العواذل
إذا عرفت هذا فالقوم اذعوا توبتها ليزيلوا بها جريمتها ، وهي رواية من طرقهم ،
فليس حجة على خصمهم ، ومع ذلك فالتوبة رواية والمحاربة دراية ، والرواية لا
تعارض الدراية ، وأين التوبة والنزوع عن بغضها امام العصر ؟ وقد قالت حين
بلغها قتله ﷺ ما ذكره ابن مسكويه وفي تاريخ الطبري :

فألقت عصاها واستقرّ بها النوى
كما قرّ عيناً بالاياب المسافر
وذكروا أنّ عليّاً ﷺ ندم على ذلك . وهذا زور وبهت ، كيف ذلك ؟ وقد أخبره
النبي ﷺ أنها تقاتله ظالمة له ، وفي صحيح البخاري : الفتنة تخرج من هاهنا من
حيث يطلع قرن الشيطان ، وأشار الى مسكن عائشة .

وقد نقل ابن أعثم صاحب الفتوح ، أنها كانت قبل ذلك تقول : أقتلوا نعتلاً قتل
الله نعتلاً ، فلقد أبلى سنّة النبيّ وثيابه لم تبل ، ولما قتل قالت : قتل مظلوماً وأنا طالبة
بدمه ، فقال لها عبيد : أول من طمّع الناس فيه أنت فقلت : أقتلوا نعتلاً فقد فجر ،
قالت : قتلته وقاله الناس ، فأنشأ :

ومنك البداء ومنك الغير
ومنك الرياح ومنك المطر
وأنت أمرت بقتل الامام
وقلت لنا أنّه قد فجر
ونحن أطعنك في قتله
وقاتله عندنا من أمر

قالوا : أذهب الرجس عنها . قلنا : وأيّ رجس أعظم من محاربة امامها ، فهذه
أعظم فاحشة ، وقد قال تعالى ﴿ يا نساء النبيّ من يأت منكنّ بفاحشة مبينة

يضاعف لها العذاب ضعفين ﴿^(١)﴾ وقد أخبر الله تعالى عن امرأتي نوح ولو طأتها لن يغنيا عنها من الله شيئاً، وكان ذلك تعريضاً من الله لعائشة وحفصة في فعلها، وتسيهاً على أنها لا يتكلمان على رسوله، فإنه لم يغن عنها.

هذا وقد شككت في نبوته ﷺ، فذكر الغزالي في الاحياء أنها قالت: أنك أنت الذي تزعم أنك نبي؟ ولم ينقل أحد أنها تيقنت بعد ذلك. وفي الاحياء أيضاً: كان بينه وبينها كلام، فأدخل أباه حاكماً، فقالت: قل ولا تقل الآ حقاً، فلطمها أبوها وقال: يا عدوة الله النبي يقول غير الحق؟

وفي مجمع البيان: لما نزلت ﴿ وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ﴾ ^(٢) قالت عائشة: ما أرى الله إلا يسارع في هواك، وفي هذا تهمة لرسول الله ﷺ وعدم الرضا بقضائه.

ولقد افترت على نبيها ما رواه الزهري عنها أنها قالت: قال النبي ﷺ: ان علياً والعباس ميوتان على غير ملي، وقالت: قال ﷺ: ان سرك أن تنظري الى رجلين من أهل النار فانظري اليهما. ففتح الله قوماً يروون ذلك في وصي نبيهم، وقد تواترت فيه محبة الله ورسوله، وغيرها من فضائله.

وروى سعيد بن المسيب عن وهب أن فاطمة ﷺ لما زقت الى علي ﷺ، قالت نسوة الأنصار: أبوها سيد الناس، فقال النبي ﷺ: قلن وبعلهما ذو الشدة والبأس، ولم يذكروا علياً، فقال في ذلك، قلن منعنا عائشة، فقال: ما تدع عائشة عداوتنا أهل البيت.

وفي الجمع بين الصحيحين من افراد البخاري، أن ابن الزبير أراد أن يحجر عليها، فهذه شهادة منه وممن سمع حديثه ولم ينكره: أنها أتت ما يوجب الحجر كالسفه

(١) الأحزاب: ٣٠.

(٢) الأحزاب: ٥٠.

والجنون^(١). انتهى كلامه في عائشة .

ومما يدل على كفرها وكفر حفصة : أنهما تظاهرها على رسول الله ﷺ ، وشبهها الله بامرأة نوح وامرأة لوط ، وهما كافرتان . وقد تضمن ما ذكرناه سورة التحريم . وفي صحيح البخاري في باب قوله ﴿ واذا أسر النبي إلى بعض أزواجه ﴾^(٢) بإسناده عن عبيد بن حنين ، قال : سمعت ابن عباس يقول : أردت أن أسأل عمر ، فقلت : يا أمير المؤمنين من المرأتان اللتان تظاهرتا على رسول الله ﷺ؟ فما أتممت كلامي حتى قال : عائشة وحفصة .

وفي باب قوله ﴿ ان تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما ﴾ بإسناده عن ابن عباس ، كنت أريد أن أسأل عمر عن المرأتين اللتين تظاهرتا ، فكثت سنة لم أجد له موضعاً حتى خرجت معه حاجاً ، فلما كنا بظهران ذهب عمر لحاجته ، فقال : أدركني بالوضوء ، فأدركته بالأداة ، فجعلت أسكب عليه ورأيت موضعاً فقلت : يا أمير المؤمنين من المرأتان اللتان تظاهرتا؟ فقال ابن عباس : فما أتممت كلامي حتى قال : عائشة وحفصة^(٣) .

فصل

في بيان أختها في الشقاوة حفصة

طلقها النبي ﷺ في حديث أنس وخيرة الزجاج ، فسأله أبوها عن طلاقها ، فقال : انطلق عني أما والله إن قلبك لوعر ، وإن لسانك لقدر ، وإن دينك لعور ، ثم أنك لأضلّ مضلّ ذكر ، وأنك من قوم غدر ، أما والله لولا ما أمرني من تألف عباده لأبدين للناس أمركم ، أغرب عني ، فوالله ما يؤمن أحدكم حتى يكون النبي أحبّ

(١) الصراط المستقيم ٣ : ١٦١ - ١٦٧ .

(٢) التحريم : ٣ .

(٣) صحيح البخاري ٦ : ٧٠ - ٧١ .

إليه من أبيه وأمه وولده وماله ، فقال : والله أنت أحبّ إليّ من نفسي ، فأنزل الله ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾ (١) .

وفي حديث ابن علوان والديلمي ، عن الصادق عليه السلام : في قوله ﴿ واذا أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً ﴾ هي حفصة ، قال الصادق عليه السلام : كفرت في قولها ﴿ من أنباك هذا ﴾ وقال الله فيها وفي أختها ﴿ ان تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما ﴾ أي : زاغت ، والزبغ الكفر .

وفي رواية : أنه أعلم حفصة أن أباه وأب بكر يلبان الأمر ، فأفشت إلى عائشة ، فأفشت إلى أبيها ، فأفشى إلى صاحبه ، فاجتمعا إلى أن يستعجلا ذلك يسقينه سماً ، فلما أخبره الله بفعلها همّ بقتلها ، فحلفا له أنّهما لم يفعلا ، فنزل ﴿ يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم ﴾ (٢) .

وكتبت عائشة إلى حفصة : نزل علي بذي قار ، ان تقدّم نحر ، وان تأخّر عقر ، فجمعت حفصة النساء وضربن المزامير وقلن : ما الخبر ما الخبر ، علي في سفر ، ان تقدّم نحر ، وان تأخّر عقر ، فدخلت أم سلمة وقالت : ان تظاهرا عليه فقد تظاهرتما على أخيه من قبل (٣) .

تذنيب

في مثالب معاوية رأس الزنادقة

وهو الذي سمّاه النواصب كاتب الوحي وخال المؤمنين ، بغضاً لأمر المؤمنين عليه السلام وعديله ونظيره في كفره والزندقة عمرو بن العاص وطلحة والزبير .
والدليل على كفر هؤلاء الأربعة في غاية الوضوح ؛ لأنّ الأمة بين قائلين : قائل

(١) يوسف : ١٠٦ ، الصراط المستقيم ٣ : ١٦٨ .

(٢) التحريم : ٧ .

(٣) الصراط المستقيم ٣ : ١٦٨ - ١٦٩ .

بكفر هؤلاء ، وهم القائلون بامامة أمير المؤمنين عليه السلام من غير فصل وكفر الخلفاء الثلاثة ، وقائل بايمان هؤلاء ، وهم أكثر القائلين بامامة الخلفاء الثلاثة ، فلما أثبتنا بطلان خلافة الثلاثة ، ثبت كفر هؤلاء ؛ لعدم القائل بالفصل .

على أنه قد تواتر وصح عن النبي صلى الله عليه وآله قوله لعلي عليه السلام : حربك حربي ، وحبك ايمان وبغضك كفر ونفاق ، وقد أوردنا الأحاديث الكثيرة في هذا المعنى في الفاتحة وفي الدليل الثامن والثلاثين المشتملة على مثالب عمر ، وهؤلاء حاربوا علياً عليه السلام ، وأبغضوه فكفروا ونافقوا .

وأيضاً قد تواتر عن النبي صلى الله عليه وآله : اللهم وال من والاه وعاد من عاداه الى آخر الكلام ، فهؤلاء من الذين عاداهم الله وخذلهم ، والله لا يعادي إلا الكافرين والمنافقين .

ومما يدل على بغي معاوية وضلالة ما تواتر عن النبي صلى الله عليه وآله أن عمّاراً تقتله الفئة الباغية ، وقد قتله أصحاب معاوية وهو من أصحاب علي عليه السلام ، وممن روى هذا الخبر الحميدي في كتاب الجمع بين الصحيحين في مسند أبي سعيد الخدري في الحديث السادس عشر من أفراد البخاري ، قال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : ويح عمّار تقتله الفئة الباغية لأنها الله شفاعتي ، يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار ^(١) .

ونقل عن محمود الخوارزمي في كتاب الفائق في باب سائر معجزات النبي صلى الله عليه وآله ، أنه قال : قال النبي صلى الله عليه وآله لعمّار : ستقتلك الفئة الباغية ، فقتله أصحاب معاوية ، ثم قال : ولشهرة الحديث ما أنكره معاوية وما ردّه ، بل قال : قتله من جاء به ، فقال ابن عباس : فقد قتل رسول الله حمزة لأنه جاء به الى الكفار فقتلوه ^(٢) .

(١) صحيح البخاري ١ : ١١٥ ، وصحيح مسلم ٤ : ٢٢٣٦ ، والصراف المستقيم ٣ : ١٧٥ ، والطرائف ص ٥٠٠ عن الحميدي .

(٢) الطرائف ص ٥٠٠ - ٥٠١ عنه .

قال ابن أبي الحديد في شرحه على نهج البلاغة : ومعاوية مطعون في دينه عند شيوخنا يرمى بالزندقة ، وقد ذكرنا في نقض السفينية على شيخنا أبي عثمان الجاحظ ، ما رواه أصحابنا في كتبهم الكلامية عنه من الالحاد والتعرض لرسول الله ﷺ ، وما تظاهر به من الجبر والارجاء ، ولولم يكن شيء من ذلك ، لكان في محاربه الامام ما يكفي في فساد حاله ، لا سيما على قواعد أصحابنا ، وكونهم بالكبيرة الواحدة يقطعون على المصير الى النار والخلود فيها ان لم تكفرها التوبة^(١) ، انتهى .

ونقل في شرحه عن حبيب بن أبي ثابت ، قال : لما كان قتال صفين ، قال رجل لعمار : يا أبا اليقظان ألم يقل رسول الله ﷺ : قاتلوا الناس حتى يسلموا ، فاذا أسلموا عصموا مني دماءهم وأموالهم ؟ قال : بلى ، ولكن والله ما أسلموا ، ولكن استسلموا وأسروا الكفر حتى وجدوا عليه أعواناً^(٢) .

وفيه أيضاً : عن منذر الثوري ، قال : قال محمد بن الحنفية : لما أتاهم رسول الله ﷺ من أعلى الوادي ومن أسفله ، وملاً الأودية كئائب - يعني يوم فتح مكة - استسلموا حتى وجدوا أعواناً^(٣) .

وفيه عن عبدالله بن مسعود ، قال : قال رسول الله ﷺ : اذا رأيت معاوية بن أبي سفيان يخطب على منبري فاضربوا عنقه ، فقال الحسن : فوالله ما فعلوا ولا أفلحوا^(٤) .

وفي تاريخ أعم الكوفي ، قال عمار لعمر بن العاص : وقد أمرني رسول الله ﷺ

(١) شرح نهج البلاغة ١ : ٣٤٠ .

(٢) شرح نهج البلاغة ٤ : ٣١ .

(٣) شرح نهج البلاغة ٤ : ٣١ - ٣٢ .

(٤) شرح نهج البلاغة ٤ : ٣٢ .

أن أقاتل الناكثين وقد فعلت ، وأمرني أن أقاتل القاسطين فأنتم هم وأما المارقون ، فلا أدري أدركهم أم لا ، أيها الأبتَر أَلست تعلم أن النبي ﷺ قال : من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله ، فأنا مولى الله ورسوله وعليّ (١) .

وفي كتاب حلية الأولياء ، أن سعيد بن المسيّب سبّ معاوية برده قضاء رسول الله ﷺ بأن الولد للفراش وللعاهر الحجر (٢) .

وفي تفسير الثعلبي : أن معاوية صلّى بالمدينة ، ولم يقرأ البسملة في الفاتحة ، رواه عن جماعة ، ونحوه في مسند الشافعي (٣) .

قال صاحب المصالت : كان على المنبر يأخذ البيعة ليزيد ، فقالت عائشة ، هل استدعى الشيوخ لبيهم البيعة ؟ قال : لا ، قالت : فبمن تقتدي ؟ فخلج ، وهيأ لها حفرة ، فوقعت فيها ، فماتت (٤) .

وروي أنه كان يهدّد الناس لأخذ البيعة ليزيد ، فبلغه عنها كلام ، فدخلت بعد عماها راكبة حماراً ، فبال وراث على بساطه ، فقال : لا طاقة لي بكلام هذه الفاجرة ، ثم دبّر لها الحافر ، وكان عبدالله بن الزبير يعرض به .

لقد ذهب الحمار بأمر عمرو فلا رجعت ولا رجع الحمار

وفي الحديث الثاني من أفراد البخاري من الجمع بين الصحيحين ، أنه نازع عمر في الخلافة ، وقال : من أراد أن يتكلّم في الأمر فليطلع لنا قرنه ، فنحن أحقّ به منه

(١) تاريخ اعثم الكوفي الموسوم بالفتوح ٣ : ٧٧ .

(٢) الصراط المستقيم ٣ : ٤٥ عنه .

(٣) الصراط المستقيم ٣ : ٤٥ عنه .

(٤) الصراط المستقيم ٣ : ٤٥ عنه .

ومن أبيه (١)، فاذا كان لعمر فيها منازعاً ولعليّ عليه السلام مقاتلاً، فقد كفر بخروجه عن اجماع أهل الاسلام .

وسأني في حرب صفين ما لا يخفى على الناظرين .

وذكر الكلبي منهم في المثالب أن معاوية كان لأربعة ؛ لعامة ، ولمسافر ، ولأبي سفيان ، ولرجل آخر سمّاه ، قال : وكانت أمه هند من المعتلمات تحبّ السود ، الى أن قال : وكانت حمامة بعض جدّاته لها راية بذى الجواز لأجل الزنا ، وكان يكتب عن نفسه كاتب الوحي ، وقد صحّ في التاريخ أنه أظهر الاسلام سنة ثمان من الهجرة ، وقيل : قبل وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله بخمسة أشهر ، فكيف يثق النبيّ صلى الله عليه وآله بكتبه مع قرب عهد اسلامه ، ولو سلّم ذلك فبدعه تسقط تلك الفضيلة .

وقد ذكروا في كتبهم أن أبي سرح كان منهم ، فارتدّ فمات ، فدفن ، فلم تقبله الأرض (٢) .

وفي الثامن والأربعين بعد المائة من المتّق عليه في الجمع بين الصحيحين ، أن رجلاً من بني النجّار قرأ البقرة وآل عمران ، وكان يكتب الوحي ، فارتدّ فمات عند أهل الكتاب ، فدفن فدفنته الأرض ثلاث مرّات ، فترك منبوذاً على وجهها ، وقد ظهر من معاوية من مخالفة الدين ومن قتل الصالحين ما يزيد على أفعال المرتدّين . ان قيل : فإبال الأرض لم تقدّفه ؟

قلنا : هذا ليس بواجب ، فإن كثيراً من المرتدّين لم تقدّفهم الأرض ، وكذا قاتلي الحسين عليه السلام وغيرهم ، فإن العقوبة والفضيحة بما يشاء (٣) .

وفي المجلّد الثالث من صحيح مسلم ، أن النبيّ صلى الله عليه وآله أرسل ابن عبّاس يدعو له

(١) الصراط المستقيم ٣ : ٤٦ عنه .

(٢) الصراط المستقيم ٣ : ٤٦ .

(٣) الصراط المستقيم ٣ : ٤٦ .

معاوية ، فدعاه فلم يأتيه وقال : أَنَّهُ يَأْكُل ، فقال : لا أشبع الله بطنه (١) .
 فلو كان عنده من المؤمنين لكان به رؤوفاً ، كما جاء في قوله تعالى ﴿ عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾ (٢) وقد نطق الذكر الحكيم بكونه على خلق عظيم ، وكان يدعو بهداية قومه من الكافرين ، فلو لا أَنَّهُ كان من المنافقين الهاباطين عن الكافرين في قوله ﴿ ان المنافقين في الدرك الأسفل من النار ﴾ (٣) والدعاء أَنما هو بأمر شديد القوي ؛ لعموم ﴿ وما ينطق عن الهوى ﴾ (٤) فلو لا أَن علمه الله بنفاقه لم يأمر نبيّه بدعائه عليه وشقائه .

وفي المجلد الثالث من صحيح مسلم : المؤمن يأكل في معاً واحد ، والكافر في سبعة أمعاء (٥) . وذكره في الجمع بين الصحيحين في الثاني والتسعين من المتفق عليه .

وروا في كتبهم : لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه وأهله وماله ، وأكل معاوية أحب إليه من النبي ﷺ ، وكان هو مع أقاربه أعداء للنبي ﷺ ، ولأقاربه أسلم طمعاً في الملك ، وقيل : لما سمع من كعب الأبحار وسطيح : كيف لا تؤمن بمحمد وأنت ولي الثارات من أولاده ، وفرحت هند بذلك وأسلمها .

وفي صفوة التاريخ لأبي الحسن الجرجاني ، أَنَّهُ لعن علياً عليه السلام على المنبر وكتب الى عماله بذلك ، فلعنوه (٦) .

وروى الأعمش أَنَّهُ لما قدم الكوفة ، قال : ما قاتلتكم على أن لم تصلوا أو لم

(١) صحيح مسلم ٤ : ٢٠١٠ كتاب البر والصلة ب ٢٥ .
 (٢) التوبة : ١٢٨ .
 (٣) النساء : ١٤٥ .
 (٤) النجم : ٣ .
 (٥) صحيح مسلم ٣ : ١٦٣١ كتاب الأشربة ب ٣٤ .
 (٦) الصراط المستقيم ٣ : ٤٧ .

تصوموا ، فإني أعلم أنكم تفعلون ذلك ، بل لأتأمر عليكم ، فقال الأعمش : هل رأيتم رجلاً أقلّ حياءً منه ؟ قتل سبعين ألفاً فيهم عمّار ، وخزيمة ، وحجر ، وعمرو بن الحمق ، ومحمد بن أبي بكر ، والأشتر ، وأويس ، وابن صوحان ، وابن التيهان ، وعائشة ، وأبي حسان ، ثم يقول هذا ^(١) . لا يخفى على من تتبّع كتب السير والأخبار ، أن ما نقلناه من فضائح معاوية الغدار قليل من كثير وقطرات من بحار .

فائدة

في بيان جواز اللعن على من يستحقّه وترتب الثواب عليه

اعلم أنّ اللعن لغة هو الطرد والابعاد عن رحمة الله ، وكيف لا يحسن اللعن على من يستحقّه ؟ وقد لعن الله تعالى في محكم كتابه على المجاحدين والظالمين والمنافقين ، وأشار على متابعتة في ذلك بقوله ﴿ أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ﴾ ^(٢) وبقوله ﴿ أولئك جزاؤهم أنّ عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ﴾ ^(٣) .

وقيل في وجه الدلالة على جواز اللعن : أنّ الآية وإن وقعت في صورة الاخبار ، ولكن المراد بها الانشاء والأمر ، واستدلّ على جوازه وحسنه أيضاً بأنّه قد صحّ عن النبي ﷺ أنّه قد لعن أباسفيان عند هجوه للنبي ﷺ في بعض أشعاره ، فقال ﷺ : اللهم اني لا أحسن الشعر ولا ينبغي لي ، اللهم العنه بكلّ حرف ألف لعنة . وأنّه قد صحّ عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه لعن معاوية وعمرو بن العاص وأبا موسى الأشعري وأبا الأعور السلمي .

فلولا أنّ اللعن على من يستحقّه كان موجبا للثواب لما بادر اليه سيّد الأنبياء

(١) الصراط المستقيم ٣ : ٤٨ .

(٢) البقرة : ١٥٩ .

(٣) آل عمران : ٨٧ .

وسيد الأوصياء وكذا تواتر عن سائر الأئمة المعصومين لعن أعادي الدين ، وفعلهم حجة على العالمين ، ورغبوا الشيعة في لعن أعداء أهل البيت بأسمائهم ، وذكروا لهم ثواباً عظيماً ، كما لا يخفى على من تتبّع آثارهم عليهم السلام .

وممن جوّز اللعن من المخالفين سعد الدين التفتازاني ، فإنه قال في شرح المقاصد : ما وقع بين الصحابة من المحاربات والمشاجرات على الوجه المسطور في كتب التواريخ ، والمذكور على السنة الثقات ، يدلّ بظاهره على أنّ بعضهم قد حاد عن طريق الحقّ ، وبلغ حدّ الظلم والفسق ، وكان الباعث عليه الحقد والعناد ، والحسد واللداد ، وطلب الملك والرئاسات ^(١) ، والميل الى اللذات والشهوات ؛ اذ ليس كلّ صحابيّ معصوماً ، ولا كلّ من لقي النبيّ صلّى الله عليه وآله بالخير موسوماً ، إلا أنّ العلماء لحسن ظنّهم بأصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله ذكروا لها محامل وتأويلات بها تليق ، وذهبوا الى أنّهم محفوظون عمّا يوجب التضليل والتفسيق ، صوناً لعقائد المسلمين من الزيغ والضلالة في حقّ كبار الصحابة ، سيّما المهاجرين منهم ، والأنصار المبشرين بالثواب في دار القرار .

وأما ما جرى بعدهم من الظلم على أهل بيت النبيّ صلّى الله عليه وآله ، فمن الظهور بحيث لا مجال للإخفاء ومن الشناعة بحيث لا اشتباه على الآراء ، ويكاد تشهد به الجهاد والعجاء ، ويبيكي له من في الأرض والسماء ، وتهدّد منه الجبال ، وتنشقّ منه الصخور ، ويبقى سوء عمله على كثر الشهور وممرّ الدهور ، فلعنة الله على من باشر أورضي أوسعى ، ولعذاب الآخرة أشدّ وأبقى .

فان قيل : فمن علماء المذهب من لا يجوز اللعن على يزيد ، مع علمهم بأنّه يستحقّ ما يربو على ذلك ويزيد .

(١) في المصدر : الرياسة .

قلنا : تحامياً على أن يرتقى الى الأعلى فالأعلى ، كما هو شعار الروافض ، على ما يروى في أدعيتهم ، ويجري في أنديتهم ، فرأى المعتنون بأمر الدين الجمام العوام بالكليّة طريقاً الى الاقتصاد في الاعتقاد ، بحيث لا تنزل الأقدام عن السواء ، ولا تضلّ الأفهام بالأهواء ، والآمن خفي عليه الجواز والاستحقاق ، وكيف لا يقع عليها الاتّفاق ؟ وهذا هو السرّ فيما نقل عن السلف من المبالغة في مجانية أهل الضلال ، وسدّ طريق لا يؤمن أن يجر الى الغواية في المآل ، مع علمهم بحقيقة الحال وجليّة المقال ^(١) . انتهى .

أقول : أنظر الى هؤلاء كيف يجوّزون تحريم ما حلّل الله من لعن من يستحقّ اللعن من غير اذن من الله ، وقد قال الله تعالى ﴿ الله أذن لكم أم على الله تفترون ﴾ ^(٢) وسخافة عذر التفتازاني من قبل المانعين من اللعن السائغ شرعاً لا يخفى عن اللييب المنصف .

ان قيل : هل اللعن على مذهب الاماميّة واجب متمم للايمان أم مستحبّ مكمل للايمان ؟

قلنا : على مذهب الاماميّة بغض أعداء أهل البيت واجب ؛ لأنّ به يتمّ حبّ أهل البيت الذي أمرنا الله به ، وجعله أجر الرسالة ، وتواتر عن النبي ﷺ وجوبه علينا ، فإنّ حبهم وحبّ أعدائهم لا يجتمعان ، ونعم ما قال الشاعر :

تودّ عدوّي وتزعم أنّي أحبّك انّ الرأي عنك لعازب

وأما اللعن فغير واجب ، بل مستحبّ مكمل للايمان ، وتحديث بنعمة الربّ ، وأيّ نعمة أعظم من بغض أعداء أهل البيت .

ومن أعذار الاماميّة في سبّ أعداء أهل البيت ، أنّ أهل السنّة يحكمون على قتلة

(١) شرح المقاصد ٥ : ٣١٠ - ٣١١ .

(٢) يونس : ٥٩ .

عثمان ومحاربي علي عليه السلام من طلحة والزبير وعائشة و معاوية ، الذين قتل في حربهم نحو مائة ألف من المهاجرين والأنصار وتابعيهم ، من العلماء والعباد والزهاد ، وأن كل ذلك كان منهم بالاجتهاد ، وهم غير مؤاخذين بل مثابون ، واذا جاز الاجتهاد في قتال أخي النبي صلى الله عليه وآله ووصيه والخليفة اجماعاً ، وفي قتلة عثمان والأنصار والمهاجرين والتابعين ، جاز الاجتهاد في لعن بعض الصحابة ، مع وفور الأحاديث والآثار الدالة على مخالفتهم للنبي صلى الله عليه وآله وعداوتهم للوصي ، بل هو أولى بالجواز ؛ لأنّ السبّ الذي جوّزه الشيعة انما هو دعاء عليهم ، والباري تعالى ان شاء لم يستجبه ، وليس مثل سفك دماء المهاجرين والأنصار وتابعيهم .

وهذا معاوية مع ما فعل من قتل المؤمنين ونهيمهم ، سنّ لعن علي وأهل بيته عليهم السلام ، واستمرّ ذلك في زمن بني أمية ثمانين سنة ، ولم ينقص ذلك من شأنه عندهم ، ولم يخرج من العدالة فضلاً من الايمان ، فكيف يفسقوا الشيعة بلعن بعض الصحابة ؟ مع ظهور الدليل على استحقاتهم اللعن .

وكيف يجوز للمخالف أن يقول بجواز اجتهاد معاوية وأمثاله في قتال علي عليه السلام ولعنه ، وقتل المهاجرين والأنصار مع عدم الدليل والشبهة ، وبعدم جواز اجتهاد الشيعة في لعن أعداء أهل البيت ، مع وفور الأدلة من الكتاب والسنة المتواترة .
ومن العجب أن المتأخرين من المخالفين قد بالغوا في المنع عن لعن أعداء أهل البيت ، حتّى حكم بعضهم لفرط عصبيّتهم وعدم ديانتهم بكفر من سبّ الشيخين ، بعد ما زعموا أنّ سباب أمير المؤمنين عليه السلام لم يخرج من العدالة والايمان ، وحكم بعضهم بأنّ سبّ الشيخين كفر وسبّ المختنين فسق .

أنظر أيها اللبيب المنصف الى هؤلاء الجهلة كيف خطّوا مرتبة أمير المؤمنين عليه السلام ؟ وخالفوا الله ورسوله في قوله صلى الله عليه وآله « يا علي حربك حربي وسلمك سلمتي » وفي قوله « من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه » وفي قوله « يا

علي حبك إيمان وبغضك نفاق» وامثالها من الأحاديث المتواترة الثابتة الصحيحة عند المخالف والمؤلف .

وينبغي أن نذكر عبارات جماعة من علمائهم القريبين من الانصاف والتحقيق ، ليتبين بطلان قول جاهلهم الذين حكموا بكفر الشيعة بلعن الشيخين .

نقل عن الغزالي في كتاب المستظهرية ، أنه قال بعد جملة من الكلام : فان قيل : لو اعتقد معتقد فسق أبي بكر وعمر وطائفة من الصحابة ولم يعتقد كفرهم فهل يحكمون بكفره ؟

قلت : لا يحكم بكفره وإنما يحكم بفسقه وضلالته ومخالفته اجماع الأمة ، ونحن نعلم أن الله تعالى لم يوجب على من كذب بالزنا الاثمانين جلدة ، وأن هذا الحكم يشمل كافة الخلق ويعمهم على وتيرة واحدة ، وأنه لو كذب قاذف أبابكر وعمر بالزنا ما زادوا على اقامة حد الله المنصوص عليه في كتابه ، ولم يدعوا لأنفسهم التمييز بخصوصية في الخروج عن مقتضى العموم .

فان قيل : فلو صرح مصرح بكفر أبي بكر وعمر ، ينبغي أن ينزل منزلة ما لو كفر شخصاً آخر من آحاد المسلمين والقضاة والأئمة من بعدهم ؟

قلنا : هكذا نقول ، فلا نفارق تكفيرهم تكفير غيرهم من آحاد الأئمة والقضاة ، بل أفراد المسلمين المعروفين بالاسلام الا في شيئين : أحدهما : أنه مخالفة الاجماع وخرقه ، فان تكفير غيره ربما لا يكون خارجاً لاجماع معتد به . الثاني : أنه ورد في حقهم من الوعد بالجنة والثناء عليهم ، والحكم بصحة دينهم وثبات يقينهم ، وتقدمهم على الخلق ، أخبار كثيرة .

فقال ذلك ان بلغه الأخبار ثم اعتقد مع ذلك كفرهم فهو كافر ، لا بتكفيره اياهم ولكن بتكذبه رسول الله ﷺ ، فن كذبه في كلمة من أقاويله فهو كافر بالاجماع ، ومهما قطع النظر عن التكذيب في هذه الأخبار وعن خرق الاجماع ، نزل تكفيرهم

منزلة تكفير القضاة والأئمة وآحاد المسلمين . انتهى .

ونقل بعض شارحي الشفاء للقاضي عياض المالكي ، أنه قال في شرح فصل بيان فرق المعتقدين غير اعتقاد أهل السنة من المشبهة والمجنّمة والمعتزلة والشيعة : أنه يفهم من كلام المصنّف في هذا المقام أنه لمالك وأصحابه أقوالاً بالتكفير والقتل ان لم يقع لهم توبة ، وهو مشكل ؛ لأنّ القول بالتكفير في مثل هذا المقام - أعني : مقام التأويل والاجتهاد - يتعيّن عنه الابعاد ؛ لأنه أمر عظيم الخطر ، مهول في الدين القويم ، تحسبونه هيئاً وهو عند الله عظيم ، اذ هو عبارة عن الاخبار عن شخص أنّ عاقبته في الآخرة العقوبة الدائمة ، وأنه في الدنيا مباح الدم والمال لا يمكن من نكاح مسلمة ، ولا يجري عليه أحكام الاسلام في حياته وبعد مماته ، والخطأ في ترك ألف كافر أهون عند الله تعالى من الخطأ في سفك محجمة من دم مسلم .

ثمّ انّ هذه المسائل الاجتهادية التي نحكم فيها هذا الحكم في غاية الدقّة والعموض ؛ لكثرة شبهها ، واختلاف قرائن أحوالها ، وتفاوت دواعيها ، والاستقصاء في معرفة الخطأ ، مع كثرة صنوف وجوهه ، والاطّلاع على حقيقة التأويل وشرائطه في الأماكن ، ومعرفة الألفاظ المحتملة للتأويل وغير المحتملة تستدعي معرفة طرق أهل لسان العربية في حقائقها ومجازاتها واستعارتها ، ومعرفة دقائق علم التوحيد وغوامضه الى غير ذلك ، وهذا متعذّر جداً .

على أنّ ذلك مع انضمام الأغراض واختلاف التعصّبات وتفاوت دواعي الخاصّة والعامّة في الأزمنة المختلفة الى تلك الفتوى ، وقال عليه أفضل الصلاة والسلام : أجرأكم على الفتوى أجرأكم على النار ، فإنّ المفتي على شفير جهنّم . هذا هو التحقيق في هذا المقام .

ثمّ قال : ولهذا تردّدت أقوال الأئمة المحقّقين في ذلك ، فقال الامام أبو القاسم الأنصاري ، والقاضي أبوبكر ، والاستاذ أبو اسحاق الاسفرائيني : ذكروا أقوالاً

لأبي الحسن الأشعري في تكفير المتأولين متعارضة ، فالظاهر أنه قد تردّد في ذلك .
وروى عبد الجبار البيهقي الخوارزمي ، عن الامام أحمد بن الحسين البيهقي ، عن
أبي حازمة العبدي ، عن الامام أبي علي زيد بن أحمد السرخسي ، أنه سمعه يقول : لما
قرب حضور أجل الامام أبي الحسن الأشعري في داري ببغداد دعاني وقال : أشهد
عليّ أنّي لا أكفر أحداً من أهل القبلة ؛ لأنهم يستوون الى معبود واحد .

وقال الامام أبو الحسن أيضاً في صدر كتاب المقالات : اختلف المسلمون في
أشياء كثيرة ضلّل فيها بعضهم بعضاً ، وتبرأ بعضهم من بعض ، إلا أنّ الاسلام
يشملهم ويعمّمهم ، ألا ترى كيف سمّاهم مسلمين وان كانوا مختلفين .
وقال الامام الشافعي : أقبل شهادة من قال بالوعيد والخوارج الا الخطيئة ،
وهم قوم يشهد بعضهم لبعض من غير تفرقة في المذهب ، ووافقهم الامام أبو حنيفة
في ذلك .

وحكى القاضي عن أبي حازم عن المزني ، أنه كان يجعل أهل القبلة مع اختلافهم
في مذاهبهم مسلمين ، وقال : نمنع عن تكفيرهم ؛ لأنّ المسائل التي اختلفوا فيها
لطاف دقاق يدقّ النظر فيها .

وقال امام الحرمين أبو المعالي الجويني في غياث الأمم : ان قيل لنا : فعلوا ما
يقتضي التكفير وما يوجب التزليل والتبديع ، قلنا : هذا طمع غير مطمع ، فإن هذا
بعيد المدرك عزيز المسلك ، يشتمل من تيار بحار التوحيد ، ولم يحط علماء بهيئات
الحقائق ولم يحصل من التكفير على وثائق ، ولو أوغلت في جميع ما يتعلّق بأذيال
الكلام في هذا الباب لبلغ مجلّدات ، ثمّ لا يبلغ الغايات .

وقال الأنصاري في نكت الأدلّة : سمعت الأستاذ أبا القاسم القشيري يقول :
راجعت الأستاذ أبا بكر بن فورك في هذه المسألة مراراً ، فلم يجر جواباً ، وقال : حتّى
أنظر فأنه دين .

وقال أبو المحاسن الروياني في الحلية : ولا ينبغي أن يصلي خلف المتبدع ، فان صلى لا يلزمه الاعادة ؛ لأننا لا نكفر أحداً من أهل المذاهب المختلفة ، وقال عليه السلام : من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا ، فله مالنا وعليه ما علينا ، ولهذا يناكحون ويقرون عليه مع وجوب الاحتياط .

فهؤلاء هم العلماء أعضاد الدين ، وأعلام الاسلام ، تراهم كيف يحترزون من اطلاق التكفير ، وإياك والاعتزاز بقول مجازف يوهمك التعصب للدين ، وقصده استتباع العوام ، واجتذاب الحطام ، والأغراض الدنيوية ، الى آخر كلامه .

وقال صاحب المواقف : المقصد الخامس في أن المخالف للحق من أهل القبلة هل يكفر أم لا ؟ جمهور المتكلمين والفقهاء على أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة .

قال الشارح : فإن الشيخ أبا الحسن قال في أول كتاب مقالات الاسلاميين : اختلف المسلمون بعد نبيهم صلى الله عليه وآله في أشياء ، ضلل بعضهم بعضاً ، وتبرأ بعضهم عن بعض ، فصاروا فرقتاً متباينين ، إلا أن الاسلام يجمعهم ويعمهم ، فهذا مذهبه وعليه أكثر أصحابنا .

وقد نقل عن الشافعي أنه قال : لا أردّ شهادة أحد من أهل الأهواء الأخطائية ، فإنهم يعتقدون حلّ الكذب ، وحكى الحاكم صاحب المختصر في كتاب المنتقى عن أبي حنيفة ، أنه لم يكفر أحداً من أهل القبلة ، وروى أبو بكر الرازي مثل ذلك عن الكرخي ^(١) . انتهى .

حكاية لطيفة مناسبة :

قد اتفق لي صحبة في مكة المشرفة مع بعض فضلاء أهل السنة ، وكان مفتي الحنفية ، وكان يتوهم أي على مذهبه وعقيدته ، فجرى بيني وبينه مكالمات هذا

مضمونها وحاصلها :

قلت له ، هل يرجى النجاة للشيعة ؟ وهم يقولون : ليس دليل يدل على عدم جواز اتباع غير الأربعة ، ونحن نعمل بقول جعفر بن محمد الصادق عليه السلام .

فأجاب : بأن جعفر بن محمد كان من المجتهدين الكبار ويجوز أتباعه ، ولكن ما يدعي الشيعة من المسائل بأنه قول جعفر بن محمد غير ثابت .

فقلت له : ان الشيعة يقولون : انا اذا سألنا الحنيفة والشافعية والمالكية والحنبلية وقلنا لهم : من أين عرفتم أن ما تعملون به قول هؤلاء المجتهدين ؟ قال كل واحد من هذه الطوائف الأربعة : ان مشايخنا نقلوا عن مشايخهم ، وهكذا الى المجتهد الذي نعمل برأيه ، فثبت بالنقل المشهور مذهب المجتهد الذي نعمل برأيه ، وهكذا نحن عملنا بالنقل المشهور عن مشايخنا طبقة عن طبقة أن ما نعمل به قول جعفر بن محمد عليه السلام . فقال : اذا كان هذا فهم من أهل النجاة .

فقلت له : ان الشيعة يلعبون الخلفاء الثلاثة ، فهل يكفرون بهذا اللعن أم يفسقون ؟ فقال : العلماء في ذلك مختلفون .

فقلت : الشيعة يقولون : انا كما علمنا بالنقل المشهور مذهب الصادق عليه السلام في أحكام العبادات ، هكذا علمنا أن مذهبه بغض الخلفاء الثلاثة وعداوتهم .

فقال متغيراً : هذا خلاف الاجماع ، فصدقته خوفاً وتقية ، ولم أجترأ أن أقول له : أي اجماع انعقد على ترك بغض الخلفاء الثلاثة ولعنهم ؟ وقد ظهر بغض أهل البيت عليهم السلام وعداوتهم للخلفاء ظهور شمس الضحى .

خاتمة

في أحوال الأئمة الأربعة لأهل السنة وبعض

فتاويهم الركيكة وعقائدهم السخيفة

اعلم أن أكبر أئمتهم وأعظمهم أبو حنيفة ، فقال علماء وهم في كتب الرجال : ان اسمه

نعمان وأبوه ثابت ، وجدّه زوطى من أهل كابل ، وكان مملوكاً لبني تيم الله بن ثعلبة فأعتق ، وعدّوه من تلاميذ جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام (١) .

وقتل أنّه دخل على الصادق عليه السلام ، فقال : من أنت ؟ قال : مفتي العراق ، قال : بم تفتي ؟ قال : بكتاب الله ، قال : هل علمت ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ؟ قال : نعم ، قال : فقله تعالى ﴿ وقدّرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين ﴾ (٢) أيّ موضع هي ؟ قال : بين مكّة والمدينة ، قال ﴿ ومن دخله كان آمناً ﴾ (٣) ما هو ؟ قال : البيت الحرام ، فأنشد جلساءه وقال : وهل تعلمون عدم الأمن على النفس والمال بين مكّة والمدينة وعدم أمن ابن الزبير وابن جبير في البيت ؟ قالوا : نعم ، قال أبو حنيفة : ليس لي علم بالكتاب أنّما أنا صاحب قياس .

قال له : أيّما أعظم القتل أو الزنا ؟ قال : القتل ، قال : فقتن الله فيه بشاهدين ولم يقع في الزنا إلاّ بأربعة ؟ أيّما أفضل الصوم أو الصلاة ؟ قال : الصلاة ، قال : فلم أوجب على الحائض قضاء الصوم دون الصلاة ؟ قال : أيّما أقدر المني أو البول ؟ قال : البول ، قال : فما بال الله أوجب الغسل منه دون البول ؟ قال : أنّما أنا صاحب رأي .

قال : فما ترى في امرأة انسان وامرأة عبد سافرا عنها ، فسقط البيت عليهما ، فماتا وتركنا ولدين لا يدرى أيّهما المالك من المملوك ؟ قال : أنا صاحب حدود ، قال : فأعور فقاً عين صحيح وأقطع قطع يد رجل كيف حدّهما ؟ قال : أنّما أنا عالم بمباعث الأنبياء ، فقال عليه السلام : فقله سبحانه ﴿ لعلّه يتذكّر أو يخشى ﴾ (٤) أهذا شكّ من الله ؟ قال : لا علم لي .

(١) تهذيب التهذيب ١٠ : ٤٤٩ .

(٢) سبأ : ١٨ .

(٣) آل عمران : ٩٧ .

(٤) طه : ٤٤ .

فقال عليه السلام: أتعلم أنك تعمل بكتاب الله ولست ممن ورثه، وأنتك قياس وأول من قاس ابليس، ولم بين دين الاسلام على القياس، وأنتك صاحب رأي، وخصّ الله نبية بالرأي في قوله ﴿ فاحكم بينهم بما أراك الله ﴾^(١) فكان رأيه صواباً ومن دونه خطأ، ومن أنزلت عليه الحدود أولى منك بعلمها، وأعلم منك بمباعت الأنبياء، ولخاتم الأنبياء أعلم بمباعتهم منك، ولولا أن يقال دخل أبو حنيفة على جعفر ابن رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يسأله عن شيء لما سألتك، فقس ان كنت مقيساً، فقال: والله لا تكلمت به بعدها، فقال عليه السلام: كلاً أن حب الرئاسة غير تاركك كما لم يترك من كان قبلك^(٢). انتهى كلامه عليه السلام.

ونقل^(٣) أنه أتاه رجل من الشرق بكتاب سمعه منه، فرجع عنه، فنادى: عام أول أفتاني بهذا، فأهرقت به الدماء وأبجت به النساء، قال أبو حنيفة: هذا رأي رجعت عنه، قال: أفيجوز أن ترى من قابل غيره أيضاً؟ قال: لا أدري، قال: لكني أدري ان من أخذ عنك فهو ضالّ.

قال الغزالي: أجاز أبو حنيفة وضع الحديث على وفق مذهبه.

قال يوسف بن أسباط: قال أبو حنيفة: لو أدركني رسول الله لأخذ بكثير من أقوالي.

قال الحكم بن هشام قلت لأبي حنيفة: ما تقول هو الحق بعينه؟ قال: ما أدري، ولعله الباطل بعينه.

(١) اقتباس من قوله تعالى ﴿ انا أنزلنا اليك الكتاب بالحقّ لتحكم بين الناس بما أراك الله ﴾ النساء: ١٠٥.

(٢) الاحتجاج للطبرسي ٢: ٢٦٧ - ٢٧١، وعلل الشرايع ص ٨٩، والبحار ٢: ٢٨٧، والصرط المستقيم ٣: ٢١١ - ٢١٢.

(٣) ما نقله هاهنا فهو منقول عن كتاب الصراط المستقيم ٣: ٢١٣ - ٢١٧.

وفي تاريخ بغداد ، قال شعبة : كفّ من تراب خير من أبي حنيفة .
وقال الشافعي : نظرت في كتب أصحاب أبي حنيفة ، فإذا فيها مائة وثلاثون
ورقة خلاف الكتاب والسنة .
قال سفيان ومالك وحمّاد والأوزاعي والشافعي : ما ولد في الاسلام أشأم من
أبي حنيفة .

قال مالك : فتنة أبي حنيفة أضرّ على الأمة من فتنة ابليس .
قال ابن مهدي : ما فتنة على الاسلام بعد الدجال أعظم من رأي أبي حنيفة .
قال له الأصمعي : توصّأت وقال : وصلّأت ، قال : أفسدت الفقه فلا تفسد اللغة .
قال له ابن ليلى : أيحلّ النيذ والغناء ؟ قال : نعم ، قال : أفسرّك أن تكون أمّك
تباذة أو مغنّية ؟

في مجالس ابن مهدي : كان أبو حنيفة يشرب مع مساور ، فلما تنسك عاب
مساوراً ، فكتب إليه :

ان كان فقهم لا يتمّ	بغير شتمي وانتقاصي
فاعدد وقم بي حيث شئت	من الأداني والأقاصي
فلطال ما زكّيتني و	أنا المقيم على المعاصي
أيام تعطيني وتأ	خذ في أباريق الرصاص

فأنفذ إليه أبو حنيفة بمال فكفّ عنه .

وقال : يظهر جلد الميتة والكلب بالدباغ . وفي سنن ابن ماجة وأما لي ابن شبيبة
قول النبي ﷺ : لا تنتفعوا من الميتة باهاب ولا عصب .
وقال : لو ماتت فأرة في بئر نزع منها عشرون دلوأ ، ولو وقع فيها ذنبه نزحت
كلها .

وقال : انّ الاستنجاء من البول والغائط غير واجب .

وقال النبي ﷺ: من أدرك ركعة من العصر فقد أدركها، ومن الصبح فقد أدركها وقال أبو حنيفة: يكون العصر مدركاً، وللصبح ليس مدركاً، فأخذ بنصف الخبر وألقى نصفه.

وقال: يملك المسلم الخمر بشراء وكيله الذمي.

وقال: يصح إبراء الوكيل بغير إذن الموكل.

وقال: لو زرع بيده الأرض المغصوبة فلا أجره عليه، ولو آجرها فالأجر له. وقال: لو غير المغصوب عن صفته ملكه.

وقال: إذا وجب البيع فلا خيار للمجلس بعده، وقد قال النبي ﷺ: البيعان بالخيار ما لم يفترقا.

وجوز أن يجعل الخمر ثمناً للأشياء، وقال: إذا اشترى المسلم عبداً من ذمي بخمر ثم أعتقه، إن العتق جائز وعليه قيمة الخمر، وقال: ثمن الكلب حلال. مع أنهم رووا عن النبي ﷺ أنه قال: ثمن الكلب سحت.

وقال نضر بن شميل في كتاب الحيل: ثلاثمائة وثلاثون حيلة، قال الشافعي: كلها كفر، منها: من قتل حماته^(١) أنسخ نكاح زوجته، ومن حلف ليتزوجن برىء بالعقد على كافرة أو إحدى محارمه، ومن حلف ليصومن أو ليصلين، فصام بعض يوم أو سجد سجدة لم يحث في يمينه. ومن حلف ليطأن زوجته صائمين من غير عذر، يلف حريرة ويطأ ولا يقضي صومه. ومن طلق ثلاثاً فأراد زوجها ارجاعها أمرها بالردة، فإذا فعلت نكحها.

أحلّ حرامه بأبي حنيفة

تجهّمها بآراء سخيّة

كم من فرج محصنة عفيفة

وكم من كلّ مسألة ظريفة

(١) يريد بالحماة أقارب الزوجة ممن لا يجمع بين نكاحها ونكاح الزوجة.

فصيرَ حسنهما في الناس قبلاً وصيرَ طيبهما فيهم كجيفة
وجوزَ الطلاق قبل النكاح وحديث النبي ﷺ بخلافه .

وقال بصحة سائر العقود من المكرهين ، وروت عائشة « لا طلاق ولا عتاق في
اغلاق » والاغلاق هنا الاكراه والسكر .

وقال : لو تزوجَ وطلقَ عقيب العقد بلا فصل ولا دخول لحق به الولد لسنة أشهر .
وقال : لو عقد عليها بمصر وهي ببغداد لحق به الولد .

وقال : لو غاب عن زوجته مدةً طويلة ولم يفارق أصحابه فجاءت بولد لحقه .

وقال : لا قود على من قتل بغير حديد ، من خنق ورض رأس وغيره ، حتى قيل
له في رجل رمي بجرفقتله ، فقال : لو رماه بأبي قبيس لم أقتله به .

وقال : الجنائيات الموجبة للحدود اذا تقادم عهدها سقطت .

وقال : الشارب اذا زال سكره سقط حده .

وقال : المثلث الذي لا يسكر حلال ، وشربه سنةً وتحريمه بدعة .

وقال : كان النبي قال : كلُّ سكر حرام ، فزاد الميم وقالوا :

كلُّ مسكر ، قال أبو نواس :

أحلُّ العراقي التبيذ وشربه وقال رويانا أنه حرّم السكر

وقال المعري :

وما قاله الكوفي في الفقه مثلما تغنّا به البصري في صفة الخمر

يعني : أبا نواس . وقال : لو سرق بعض الجماعة قطع الجميع ، حكاها المفيد في

الحماسن ، فأسقط الحدّ مع وجوبه ، وأوجبه مع سقوطه . وأسقط النبي ﷺ الزكاة

عن الأوقاص والحيل والرقيق والخضراوات والناقص عن خمسة أوسق من

الغلات ، وأوجها أبو حنيفة في ذلك كله (١).

وفي كتاب مطالع الأنوار : أنه أجاز الوضوء بالنيذ للصلاة ، فيبدأ بغسل رجليه ورأسه ثم يديه ، ويلبس جلد كلب ميّت مدبوغاً ، ويفرش تحته جلد كلب ميّت مدبوغاً ، ويسجد على عذرة انسان يابسة ، ويكبر بالهندية ، ويقراً فاتحة الكتاب بالفارسية ، ويقول عوض السورة دو برگ سبز يعني مد هامتان ، ثم يركع ولا يرفع رأسه ولا يقيم ظهره ، ثم يسجد ويفصل بين السجدين بمقدار حدّ السيف ، وقبل التسليم يضطرب متعمداً ، فإنّ صلاته صحيحة ، وان شرط ساهياً بطلت صلاته .

ثم قال : وأعظم من هذا قوله : إنّ نكاح الأمّ وان علت ، والبت وان نزلت ، والأخت وبت الأخت والعمّة والحالة ، جائز بشرط لفّ الحريرة . واذا اشترى الرجل أمّه وأخته وقربته ، جاز له نكاحهنّ ، والأجير اذا استأجره جاز له أن يلوّط بلفّ الحرقة ، وقال في المشتري بأنّه لا يجوز له ذلك الآ بشرط كونه غير محصن ، وقال ناظهم :

وجائز نيك الغلام الأمرد مجوّز للرجل المجرّد

هذا اذا كان وحيداً في السفر ولم يجد أنثى يفيء الى الذكر

قال : ومن بدع أبي حنيفة أنّه اذا شهد أربعة رجال بالزنا ، فان صدّقهم سقط عنه ، وان كذّبهم ثبت الحدّ عليه . وقال : لو لاط رجل بصبيّ ولم يوقبه ، فلا حدّ عليه بل يعزّر . وقال : لو قتل المسلم التقي العالم كافراً قتل به . وقال : لو قتل الحرّ عبداً قيمته عشرة دراهم قتل الحرّ به .

مذهب الشافعي

الثاني : من أتمتهم الشافعي ، حكى الربيع في كتابه أنه قال : لا بأس بصلاة الجمعة والعيدين خلف كل أمير وان كان متغلباً ، صلى علي بالناس وعثمان محصور - صرح بتغلب علي عليه السلام - والمتغلب على أمر الأمة فاسق . وقال : صلى الحسنان خلف مروان وما كانا يعيدان .

قال أبو بكر بن عيَّاش : سوّد الله وجه ابن ادريس .

وقال عمّار بن زريق : ذكر الشافعي عند الثوري ، فقال : غير فقيه ولا مأمون . وقال : حكمني في أصحاب الكلام أن يضربوا بالجرائد ، ويطاف بهم في العشائر ، ويقال : هذا جزء من ترك الكتاب والسنة وأخذ الكلام ، وقال أصحابه المختلفون في المذاهب ثلاثة : نكفّر المعتزلة ، ونفسق السبابة للسلف ، والمخالفون في الفروع لا ولا .

وفي الاحياء : أخذ الشافعي من الرشيد ألف دينار دفعة .

وفي منية النفس ، قال القاضي ابن شهري : كان الشافعي لا يحدث الآ وبجانبه غلام أمرد حسن الوجه ، فأنشد أصحابه لنفسه :

يقولون لا تنظر وتلك بليّة ألا كلّ ذي عينين لا بدّ ناظر

وليس اكتحال العين بالعين ريبة اذا عفّ فيما بينهنّ الضمائر

وحكم بطهارة المنى ، وقال : منه خلقت الأنبياء ، ونسي خلقهم من العلقه وهي دم نجس . وقد سمى أثر المنى رجس الشيطان في قوله ﴿ ويذهب عنكم رجس الشيطان ﴾ ^(١) فأوجب نجاسته والتطهير منه .

قال : اذا مسّ المؤمن فرجه ، أو فرج كلب أو خنزير ، أو فرج بهيمة أو صغير ،

أو بدن امرأة أجنبية ، انتقض وضوؤه .

ونقل الفقيه العراقي الحنفي ، أن الشافعي جوّز التشهد والتسليم بالفارسيّة ، وجوّز بدل فاتحة الكتاب في الصلاة آية طويلة بمقدارها ، مع أنهم نقلوا عن النبي ﷺ : كلّ صلاة لا يقرأ فيها أمّ الكتاب فهي خداج .

وجوّز أن يبيع المسلم أهل الحرب السلاح ، وكذا جوّز مبايعة قاتلي الأنفس ، وقاطعي الطريق ، ومخيفي السبيل السلاح الذي يتوصّلون به الى حتف أهل الاسلام ، وحكم بنجاسة الشعر اذا بان من الحيّ . وسنّ مسح الرأس ثلاثاً ، وجوّز أكل دود الطعام معه . وقال : كلّ حيوان طاهر في حياته يظهر جلده اذا مات بدباغة .

وقال : لا بأس بالصلاة خلف الخوارج لأنهم متألّون ، وخلف الفاسق والمبدع ، وأبطل الصلاة في السفينة اذا كان حبلها مشدوداً في موضع نجس .

وقال : لو تشهد بالفارسيّة أجزاء ، ولم ير النبي ﷺ تلفظ بها في حال فضلاً عن أن يؤدّي بها فرضاً .

وقال : لو جمع بين الظهرين في وقت العصر جاز أن يبدأ بالعصر ، وجوّز الاعتكاف بغير صوم ، ولم يعتكف النبي ﷺ إلاّ صائماً .

وقال : من أفطر في رمضان عمداً لا لعذر قضى ولا كفارة .

وقال : من أسلم في بعض يوم ولم يصمه قضاء .

وقال : صرف المال الى النكاح أولى من الحجّ .

وقال : للأبوين منع الولد من حجّ الاسلام . وقال : لو ذبح الهدى ذميّ أجزاء .

وقال : اللواط وإيتاء البهيمة لا يفسد الحجّ . قال ابن الحجّاج :

فرعون لم يحكم بهذا ولا جرت بن سنّة هامان

وقال : للسلطان أن يقطع شيئاً من الشوارع ورحبات الجوامع .

وقال : العجم ليسوا أكفاء العرب ، ولا العرب لقريش ، ولا قريش لبني هاشم .

وقال : يجوز نكاح البنت من الزنا .

وقال : اذا أبصر النبي ﷺ امرأة وأعجبته وجب على زوجها طلاقها .

وفي شرح كشاف المازني : أحلّ أكل الطين الأبيض مع قول النبي ﷺ : الطين

حرام على أمتي . قال الخورازمي :

دع الطين معتقداً مذهبي فقد صحّ لي من حديث النبيّ

من الطين ربّي براً آدمياً فأكله آكل للأب

وأجاز سماع الغنا بالقصب وشبهه ، وفي القرآن ﴿ اجتنبوا قول الزور ﴾ (١) .

وقال : الجلاد لا عهدة عليه عند جهله بالحال .

وقال : اذا تغلّب الفسقة على الولاية ، فكلّ من ولّوه نفذ حكمه (٢) .

وفي كتاب مطالع الأنوار : أنّه أجاز لعب الشطرنج . وقال : لو نسي الصلاة فيه لم

يكن عليه اثم . ثمّ قال : ومن بدعه أنّه أباح الرقص والدفّ والقصب الذي تسمّيه

العامة الشباب ، وفضل الدفّ المسلسل وجعله عبادة ، وحكم باستحباب قراءة

آخر الجمعة أمام اللعب بالدفّ .

ثمّ قال : ومن بدعه أنّه أباح نكاح الأمّ من الزنا ، وكذا العمّة والحالة والأخت

والبنت ، قال الآمدي :

علمكم وان كثرت هبأً بلا أصل وفضلكم فضول

أتعتقدون قاتل آل طه غداً في الحشر ينجو والقَتِيل

ودينكم القياس فهل بهذا متى أنصفتم تقضى العقول

(١) الحجّ : ٣٠ .

(٢) الصراط المستقيم ٣ : ٢١٧ - ٢٢٠ .

مذهب مالك

الثالث : من أتمتهم الأربعة مالك ، وفي كامل المبرّد وعقد ابن عبد ربّه ، كان مالك يذكر عليّاً وعمّان وطلحة والزبير ، ويقول : والله ما اقتتلوا إلا على الثريد الأعفر . ودخل محمّد بن الحسن على مالك يسمع منه الحديث ، فسمع في داره المزمار والأوتار ، فأنكر عليه فقال : أنا لا أرى به بأساً .

وفي حلية الأولياء وغيرها ، عن ابن حنبل ، وأبي داود ، أنّ جعفر بن سليمان ضرب مالكاً وحلقه وحمله على بعير ، وروي أنّه كان على رأي الخوارج ، فسئل عنهم ، فقال : ما أقول في قوم ولونا فعدلوا فينا . وقتل شخص أخاه ، فقال أبوه : أنا الوارث وقد عفوت عنه ، قال مالك : ليس لك ذلك ، وكان الأب إذا سئل يقول : أحدهما قتل صاحبه والآخر قتله مالك .

وقال : لو تيقن الطهارة وشكّ في الحدث بنى على الشكّ . وعن الشافعي لا يجلّ للمالك أن يفتي .

وقال : سور الكلب والخنزير من المايعات مباح ، ومن الماء مكروه .

وقال : من لم يجد الماء ولغ فيه كلب توضع منه . وقال : لعاب الكلب طاهر .

وقال : كره التسمية في الصلاة الآ في رمضان ، وجعل الاستعاذة بعد القراءة أخذه من ظاهر ﴿ فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله ﴾ ^(١) وجميع أهل المعاني قالوا : معناه إذا أردت أن تقرأ .

وجوزّ هو والشافعي تقدّم المأموم على الامام . وقال : لو حلف لا يأكل لحمًا ، فأكل شحمًا حنت ، ولو عكس لم يحنت ، وهذا تناقض . وقال : البحرى كلّه حلال ولو طفا . وقال : سائر سباع الطير ذي الخلاب وغيره لا بأس بأكله ، وكذا الوحشي

كله إلا الخنزير . وفي كتاب ابن ماجه : نهى النبي ﷺ عن كل ذي ناب أو مخلاب .
وفي سننه أيضاً : ما تقول يا رسول الله في الثعلب والضبع ؟ فقال : من يأكلهما ؟ قلت :
فالذئب ، قال : هل يأكل الذئب أحد فيه خير .

وقال : لو قال : أنت طالق يوم أموت أو تموتين أو يموت زيد طلقت في الحال .
وقال : لو اعتقد الطلاق بقلبه وقع . وقال : لو قال : أنت علي كظهر أمي أو ظهر
زيد أو ظهر الدابة وقع . وقال : لو قال : كل من أتزوجها فهي طالق فتزوج واحدة
طلقت ، فلو عاد وتزوجها طلقت أيضاً . وقال : أكثر الحمل سبع سنين أو خمس أو
أربع . وقال : من قطع ذنب حمار القاضي لزمه كمال قيمته . وقال : للمخنث أن
يستعمل ؛ لأنه مالك نفسه (١) .

وفي كتاب مطالع الأنوار : أنه جوز نيك الغلام ، فلو امتنع كان له رده لأنه عيب .
ومن بدعه : أنه أباح لحم الكلب وقال : أنه أطيب من لحم النعم . وقال : أنه يجب
علينا إذا توضأنا أن لا نباشر الراضي برطوبة الوضوء ، فيجب علينا الطهارة بمسه .
وقال هو والحنفي : ان سرقين البقر نجس لو وقع على ثوب المصلئ أو بدنه قطرة
بطلت وجسم الباري وقال بالجهر .

ومن بدعه : أنه ادعى أن رسول الله ﷺ صلى بجانبه ، وأنه لم يعلم فأخبرته
عائشة ، ففركها بيده ولم يقض ، نعوذ بالله من هذه العقائد .

مذهب ابن حنبل

الرابع : ابن حنبل ، قال الكشي : هو من أولاد ذي الشدية ، جاهل ، شديد
النصب ، يستعمل الحياكة لا يعد من الفقهاء . وهجر الحارث المحاسبي في رده على

(١) الصراط المستقيم ٣ : ٢٢٠ - ٢٢٢ .

المتدعة ، وقال : ان تردّ عليهم فقد حكيت قولهم .

وفي قوت القلوب أنّه قال : علماء أهل الكلام زنادقه ، وقال : لا يفلح صاحب الكلام أبداً .

وفي فضائل الصحابة ، قال صالح بن أحمد بن حنبل لأبيه : لم لا تلعن يزيد ؟ فقال : ومتى رأيتني لعنت أحداً ؟ فقال : ألا تلعن من لعنه الله في كتابه ؟ قال : أين ؟ قال : في قوله ﴿ فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم ﴾ أولئك الذين لعنهم الله فأصمّهم وأعمى قلوبهم ﴿ ^(١) فهل قطيعة أعظم من القتل ؟ وفي مسند جعفر قال أحمد : لا يكون الرجل سنياً حتى يبغض علياً ولو قليلاً .

وفي كتاب منتحل الجدل للغزالي : أفتى أحمد بوجوب قتل رجل قال بخلق القرآن ، فروجع فيه فقال : ان رجلاً رأى في منامه أنّ ابليس مرّ على دار ذلك الرجل ، فقيل : لم لا تدخلها ؟ فقال : فيها رجل يقول بخلق القرآن ، أغناني عن دخولها ، فقام الرجل وقال : لو أفتى ابليس بقتلي في اليقظة قتلتموني ؟ قالوا : لا ، قال : في النوم أولى .

وقال : لله جوارح من عين ويد وجنب وقدم ، وينزل من السماء كل ليلة ، وأفعال العباد منه . قال : من زعم أنّ محمداً وعلياً خير البشر فهو كافر . وقال : من لا يرى الترحّم على معاوية فهو ضالّ مبتدع . قال : يجزىء المسح على العمامة ، كاسحاق والأوزاعي والثوري . وقال : يجوز مسح الرأس بيد غيره وبآلة ومطرير على رأسه . وصنّف عبد الله الهروي منهم كتاباً في اعتقادهم ، وفيه : انّ الله عاب الأصنام في قوله ﴿ ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيدي يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها ﴾ ^(٢) فدلّ هذا على أنّ له ذلك .

(١) محمّد «ص» : ٢٢ - ٢٣ .

(٢) الأعراف : ١٩٥ .

قلنا هذا خروج على وجه الاستعظام لعبادة الأصنام ، حيث عدلوا عنه تعالى ، مع ظهور آياته الى من لا ينفع من عبده ، ولا يضُرُّ من جده ، فلا آله له يدفع بها عن نفسه فهذا موضع العجب والانسلاخ من القرآن في قوله ﴿ ليس كمثلته شيء ﴾ (١) .

وفي كتاب مطالع الأنوار عن بعض الحنابلة : اسألوني عن كل شيء أُجيبكم عنه في ربكم الآللحية، ثم قال : وقالوا : أنه ينزل في كل ليلة جمعة على حمار على سطوح المساجد قد أرخى ذوائبه على كتفيه ، ذو بهاء وجمال ، فيجعلون كل ليلة جمعة على سطوح مساجدهم طعاماً وعلفاً لحماره .

وقد اشتهر أن رجلاً من الحنابلة الزهّاد والعبّاد صعد الى سطح الجامع يرجو أن ينزل ربه بحماره اليه ، فاتفق أنه كان على سطح الجامع غلام أجرد أمرد جميل الصورة مليح الوجه ققط الشعر ، فلما وقع بصر الحنبلي عليه لم يشك أنه ربه ، فوقع على قدميه يقبلها ويعفّر وجهه بين يديه ويقول : سيّدي ومولاي وربّي وخالقي ارحمني ولا تعذبني ، ويشكو ويتضرّع ، فهبت الغلام وظنّ أنه يريد منه فعلاً قبيحاً فصاح الغلام بالحاضرين الذين كانوا فوق السطح ، وقال لهم : انّ هذا يريد أن يفسق بي على سطح الجامع ، فأتى اليه جمع من النفاطين وأوجعوه ضرباً ، ومضوا به الى الحاكم ، ثم ذهبت جماعة من الحنابلة الى الحاكم وأقسموا بالله أنّ هذا الرجل لا يظنّ فيه هذا الفعل ، وأتماظنّ أنه ربه وأراد أن يقبل قدميه .

أنظروا أيها الفرقة الناجية الى هذه المذاهب الأربعة ، واشكروا الله على ما أنتم عليه من العقائد الحقّة ، ونعم ما قال شاعر الشيعة :

إذا شئت أن تخترنفسك مذهباً وتعلم أنّ الناس في نقل أخبار

فدع عنك قول الشافعي ومالك وأحمد والمروزي عن كعب أخبار
ووال أناساً قولهم وحديثهم روى جدنا عن جبرئيل عن الباري

قبائح فتاويهم التي أجمع فقأؤهم عليها

الأول: أجازوا غسل الرأس بدلاً من مسحه في الوضوء، وأوجبوا غسل
الرجلين، فخالفوا نصّ الكتاب في الموضوعين.

الثاني: أجازوا مسح الخفّين، وقد نطق القرآن بالرجلين.

الثالث: استحَبُّوا صلاة الضحى، وقد رووا في كتبهم بدعتها، ففي الجمع بين
الصحيحين للحميدي، عن مرزوق العجلي، قال: قلت: أكان عثمان يصلّي الضحى؟
قال: لا، قلت: فعمر؟ قال: لا، قلت: فأبوبكر؟ قال: لا، قلت: فالنبي ﷺ؟ قال:
لا أخاله (١).

وفيه في مسند عائشة، قالت: ما صلّى النبي ﷺ صلاة الضحى (٢).
وفيه عن ابن عمر: صلاة الضحى بدعة (٣).

وفي مسند ابن حنبل: أن أبا سعيد وأبا بشير رأيا رجلاً يصلّيها، فعتبها عليها
ونهاها عنها (٤).

وسبب ابتداعها أن معاوية لما بلغه نعي أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وقت الضحى قام
فصلّى ستّ ركعات، ثم أمر بني أمية بالأحاديث في فضلها عن النبي ﷺ حتى رووا
أن الله كتبها عليه (٥).

(١) الطرائف ص ٥٤٤ عنه.

(٢) الطرائف ص ٥٤٤ عنه، وصحيح مسلم ١: ٤٩٦.

(٣) الطرائف ص ٥٤٥ عنه.

(٤) الطرائف ص ٥٤٥ عنه.

(٥) الصراط المستقيم ٣: ١٨٥.

الرابع : خيروا المسافر بين الصوم والفطر ، فخالقوا قوله تعالى ﴿ فعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخْرٍ ﴾ (١) وفي الجمع بين الصحيحين أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَفْطَرَ فِي سَفَرِهِ إِلَى مَكَّةَ . وَفِيهِ أَيْضاً : أَنَّهُ أَفْطَرَ فِي خُرُوجِهِ إِلَى خَيْبَرَ (٢) .

الخامس : اكتفوا في صلاة الموقوت بتكبيرات أربع ، وفي الجمع بين الصحيحين عن زيد بن أرقم : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَكْبُرُ خَمْساً ، وَكَبَّرَ عَلَى سَهْلِ بْنِ حَنِيفٍ خَمْساً ، وَقَالَ : أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ أَيْضاً أَنَّ الْخَمْسَ لِلْمُؤْمِنِ ، وَالْأَرْبَعَ لِلْمُنَافِقِ ، وَوَأَقْنَأَ ابْنَ لَيْلَى ، وَرثَا أَبُو تَمَامٍ شَيْعِيّاً ، فَقَالَ :

وتكبيره خمساً عليه دلائل وان كان تكبير المضلين أربعاً

وروى الخطيب والديلمي : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَصَلِّي عَلَى الْمَيْتِ خَمْساً ، وَأَسْنَدَ الْخُطْبِ التَّارِيخِي : أَنَّ عَيْسَى مَوْلَى حَذِيفَةَ بْنِ الْيَمَانِ صَلَّى عَلَى جَنَازَةِ فَكَبَّرَ خَمْساً ، ثُمَّ التَفَّتْ وَقَالَ : مَا وَهَمْتُ وَلَا نَسِيتُ ، وَلَكِنْ تَبِعْتُ مَوْلَايَ حَذِيفَةَ ، فَأَنَّهُ كَبَّرَ خَمْساً . وَفِي الْفَرْدُوسِ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ : كَبَّرَتِ الْمَلَائِكَةُ عَلَى آدَمَ خَمْساً ، وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ بَطَّةَ صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ عَلَى حَمْرَةَ بِخَمْسِ تَكْبِيرَاتٍ ، وَصَحَّحَهُ صَاحِبُ الْمُنْتَظَمِ ، وَذَكَرَهُ الْهَمْدَانِيُّ فِي عُنْوَانِ السَّنَنِ .

وقال العسكري في كتاب الأوائل : من كبر أربعاً عمر بن الخطاب ، وقد روي أَنَّ الله كتب خمس فرائض : الصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، والولاية ، فجعل للميت من كل فريضة تكبيرة ، والعامه تركوا الولاية ، فتركوا تكبيرها (٣) .

السادس : أنهم لم يستحبوا الجريدتين ، مع أنه ورد في الجمع بين الصحيحين أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِقَبْرَيْنِ يَعْذِبَانِ : أَحَدُهُمَا مِنَ النَّيْمَةِ ، وَالْآخَرُ لِعَدَمِ التَّنَزُّهِ مِنَ الْبَوْلِ ،

(١) البقرة : ١٨٤ .

(٢) الطرائف ص ٥٢٨ - ٥٢٩ ، الصراط المستقيم ٣ : ١٨٥ .

(٣) الصراط المستقيم ٣ : ١٨٦ - ١٨٧ .

فشقّ عسيباً رطباً باثنين وغرس على كلّ واحد واحد ، ثمّ قال : لعلّه أن يخفّف عنها ما لم يببسا . وفي حديث سفيان : أنّه عليه السلام قال للأنصار : خضّروا صاحبكم بجرديتين خضراوين يوضعان من أصل الترقوة الى أصل اليدين ^(١) .

ومن جملة تعصّبات فقهاءهم في غير الحقّ وعدوهم من السنّة الى البدعة : أن ذكر الغزالي والمتوكّل ^(٢) وكانا امامين للشافعيّة ، أنّ تسطيح القبور هو المشروع ، لكنّ لما اتّخذ الرافضة شعاراً لهم ، عدلنا عنه الى التسنيم ^(٣) .

وذكر الزمخشري في كشّافه وهو من أئمّة الحنفيّة ، في تفسير قوله تعالى ﴿ هو الذي يصلي عليكم وملائكته ﴾ ^(٤) جواز الصلاة بمقتضى هذه الآية على آحاد المسلمين ، لكنّ لما اتّخذ الرافضة ذلك في أمّتهم منعاه .

وقال مصنّف الهداية من الحنفيّة أيضاً : المشروع التختّم باليمين ، لكنّ لما اتّخذ الرافضة عادة جعلنا التختّم في اليسار . وقال الكنجي في كفاية الطالب : إنّ عليّاً عليه السلام كان يتختّم باليمين . وقال الترمذي والسجستاني وابن حنبل وابن ماجه وأبو يعلى والمحتسب والسلمي والبيهقي ، وهو في صحيح مسلم والبخاري : إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله والعترة والصحابة تختّموا في أيّمانهم . وعدّ الجاحظ في كتاب نقوش الخواتيم أنّ الانبياء من آدم الى النبيّ صلى الله عليه وآله تختّموا في أيّمانهم ، وخلعه ابن العاص من يمينه ولبسه في شماله وقت التحكيم .

وذكر الراغب في المحاضرات : أنّ أول من تختّم في اليسار معاوية ، فلبس المخالف في شماله ، علامة ضلّالته باستمراره على خلع علي عليه السلام من امامته .

(١) الصراط المستقيم ٣ : ١٨٧ .

(٢) في الصراط : والمزني .

(٣) الصراط المستقيم ٣ : ٢٠٦ .

(٤) الأحزاب : ٤٣ .

وفي التذكرة: قال الشافعي وأحمد والحكم وإسحاق: المسح على الخفين أولى من الغسل لما فيه من مخالفة الشيعة. وقال عبد الله المغربي المانكي في كتابه المعلم بفوائد مسلم: إن زيداً كبر على جنازة قال: وكان رسول الله ﷺ يكبرها، وهذا المذهب الآن متروك؛ لأنه صار علماً على القول بالرفض.

فلينظر العاقل الى من يذهب الى ضد الصواب، ويترك ما جاء في السنة والكتاب، ويبدل أحكام الشريعة لأجل العمل بها من الشيعة، وهلاً بدّلوا الصلاة والصيام وغيرهما من الأحكام لأجل عمل القائلين بعصمة الامام عليّ، أما نحن فبحمد الله لم نعتمد إلا ما ثبت صحته وصحة روايته، فأخرجناه من سنة نبينا لأجل من يعمل به من غيرنا (١).

ومن عقائد المخالفين في أصول الدين: أن الأشاعرة المسمّين أنفسهم بأهل السنة والجماعة ذهبوا الى أن القدماء كثيرون مع الله، وهي المعاني التي يشبونها موجودة في الخارج، كالقدرة والعلم وغير ذلك، ولم يجعلوا الله قادراً لذاته، ولا عالماً لذاته، ولا حياً لذاته، ولا مدركاً لذاته، بل بمعاني قديمة، يفتقر في هذه الصفات إليها، فجعلوه محتاجاً ناقصاً في ذاته كاملاً بغيره، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

واعترض عليهم شيخهم وامامهم فخر الدين الرازي بأن قال: إن النصراري كفروا لأنهم قالوا: إن القدماء ثلاثة، والأشاعرة أثبتوا قدماء تسعة، وذهبوا الى أنه تعالى يرى بالأبصار، مع كونه غير جسم وتنزّهه عن المكان والجهة، بل جوّزوا رؤية كلّ موجود من الأعراض وغيرها، حتى جوّزوا رؤية الأصوات والطعوم والروائح، وجوّزوا رؤية أعمى العين.

وذهبوا الى تجويز أن يكون بين أيدينا جبلاً شاهقة من الأرض الى السماء مختلفة

الألوان ولا نشاهدها ، وأصوات هائلة لا نسمعها ، وعساكر مختلفة متحاربة بأنواع الأسلحة ، بحيث تماس أجسامهم بأجسامهم ولا نشاهد صورهم وحركاتهم ، ولا نسمع أصواتهم .

وذهبوا الى أنه تعالى متكلم أزلاً ، وكلامه تعالى قديم ، والله سبحانه في الأزل قبل أن يخلق مخلوق متكلم بقوله ﴿ يا أيها النبي اتق الله ﴾ ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم ﴾ وكذا متكلم في الأزل قبل خلق العالم بجميع القصص والأخبار التي في القرآن .

وذهبوا الى تجويز ما لا يطاق ، بأن يأمر الله عبداً بما لا يقدر عليه ، ثم يعذبه على تركه . وذهبوا الى أن أفعال الله ليست معللة بالأغراض . وقولهم هذا مخالف للكتاب والسنة . ومما يلزمهم في هذا القول افحام الأنبياء ، لأن النبي إذا ادعى النبوة وأظهر المعجزة يقال له : لم يبعثك الله لهداية الناس ، ولم يظهر المعجزة لتصديقك ؛ لأن أفعال الله ليست معللة بالأغراض ، فلا يثبت نبوتك فينقطع النبي ، ولا ريب أن هذه الأقوال عين السفسطة .

والمعتزلة من المخالفين أيضاً لهم آراء سخيفة ، ومن آرائهم السخيفة القول بثبوت المدومات ، وهذا القول خلاف البديهية ؛ لأن الثابت بالضرورة لا يكون إلا موجوداً ، وهؤلاء يعتقدون أن جميع الأمصار مع أهلها وحركاتها وسكناتهم وأطعمتهم وأكسيثهم كانت ثابتة متميزة في الأزل قبل وجودها ، ثم كساها الله كسوة الوجود .

وذهب الحشوية والمجسمة من المخالفين الى أن الله تعالى جسم له طول وعرض وعمق ، وأنه يجوز عليه المصافحة ، وأن المخلصين من المسلمين يعانقونه . وحكى الكعبي عن بعضهم أنه كان يجوز رؤيته في الدنيا ، وأن يزورهم ويزورونه .

وحكى أبو القاسم البلخي عن داود الظاهري أنه قال : اعفوني عن الفرج

واللحية وتسالوني عما وراء ذلك . وقال : انَّ معبوده جسم ولحم ودم ، وله جوارح ويد ورجل ولسان وعين وأذن .

وحكي أنه قال : هو أجوف من أعلاه الى صدره مصمت ما سوى ذلك وله شعر ققط ، وقالوا : اشتكت عيناه فعاده الملائكة ، وبكى على طوفان نوح حتى رمدت عيناه ، وأنه تفضل عن العرش من كلِّ جانب أربع أصابع .

وذهب بعضهم الى أنه تعالى ينزل في كلِّ ليلة الجمعة على شكل أمرد حسن الوجه ، راكباً على حمار ، حتى أن بعضهم وضع على سطح داره معلقاً ، وكان يضع كلِّ ليلة جمعة فيه شعيراً وتبناً ، لتجوز أن ينزل الله على حماره على ذلك السطح ، فيشتغل الحمار بالأكل ، ويشتغل الربَّ بالنداء : هل من تائب ، هل من مستغفر يستغفر وأنا أتوب عليه وأغفر له ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

وحكي عن بعض التاركين المنقطين من شيوخ الحشوية ، أنه اجتاز عليه في بعض الأيام نفاط ، ومعه أمرد حسن الصورة ، ققط الشعر ، على الصفات التي يصفون ربهم بها ، فألح الشيخ في النظر اليه ، فتوهم فيه النفاط فجاء اليه ليلاً ، وقال : أيها الشيخ رأيتك تلح بالنظر الى هذا الغلام وقد أتيت به اليك ، فان كان لك فيه نيّة فأنت الحاكم ، فردّ الشيخ عليه ، وقال : إنما كرّرت النظر اليه لأنّ مذهبي أن الله تعالى ينزل على صورة هذا الغلام فتوهمت أنه تعالى ، فقال له النفاط : ما أنا عليه من النفاطية أجود ممّا أنت عليه من الزهد مع هذه المقالة .

وقال الكراميّة من المخالفين : انَّ الله تعالى في جهة الفوق .

ومن قبائح مذاهب المخالفين أنهم ذهبوا الى أن الأنبياء والأئمّة غير معصومين ، وجوزوا عليهم الكذب والسهو والخطأ والنسيان والسرقه ، فأبي وثوق يسبق بقولهم ؟ وكيف يحصل الانقياد اليهم ؟ ولم يجعلوا الأئمّة المحصورين في عدد معين ، بل من بويح انعدت امامته اذا كان مستور الحال ، وان كان على غاية من الفسوق

والكفر والنفاق ، وقد تقدّم اختلافهم في عدد المبايعين ، واختلافهم في أنّ القرشيّة هل هي شرط في الامام أم لا ؟

ولا يخفى أنّ ما ذكرناه بعض أقاويلهم السخيفة ، ومن أراد الاستقصاء فعليه بالكتب المطوّلة ، ولا ريب أنّ من له أدنى شعور وانصاف اذا نظر الى ما نقلناه من قبائح مذاهب المخالفين لا يختار من المذاهب الاّ مذهب الاماميّة ، بشرط أن لا يكون قلبه مريضاً بمرض التقليد وحبّ اتباع الآباء والأمّهات .

عقائدهم في الجبر والتفويض

ومن قبائح عقائد المخالفين قولهم بالجبر والتفويض .

اعلم أنّ المخالفين : إمّا قائلون بالجبر ، وهم ذاهبون الى أنّ الفعل والترك بقضاء الله والقدر ، وأنّه لا مؤثّر في الوجود الاّ الله ، وهو مذهب أكثر المخالفين ، ولكن طائفة منهم وهم الجهميّة لا يفرقون بين حركة المرتعش وغيرها من الحركات .

وطائفة منهم فرّقوا بين الحركتين ، بأنّه لا كسب للمرتعش في حركته ، وغير المرتعش له كسب في حركاته ، وفسّروا الكسب بأنّ للعبد في أفعاله قدرة ضعيفة غير مؤثّرة ، مع قدرة الله القاهر المؤثّرة . ولا ريب أنّ هؤلاء لا ينفعهم اثبات الكسب ، ولا يخرجهم من مفاصد الجبر ؛ لأنّ القدرة الضعيفة التي لا تأثير لها مع قدرة الله القاهرة المؤثّرة وجودها كعدمها .

وإمّا قائلون بالتفويض ، وهم المعتزلة ، وهؤلاء اعتقدوا أنّ الله تعالى فوّض الأمر الى العبد بحيث يفعل ويترك من غير قضاء الله وقدره ومشيئته . وهذا المذهب أيضاً خارج عن الصواب ومخالف للسنة والكتاب .

والمذهب الذي هو الصواب والحقّ ، ما أشار اليه الصادق المصدّق صلوات الله

عليه بقوله « لا جبر ولا تفويض ولكن أمرين أمرين »^(١) وتفسيره: أن العبد يفعل ويترك بقضاء الله وقدره ومشيتته، ولكن لا بقضاء وقدر لازم ومشيتة، بل الفاعل مع القضاء والقدر والمشيتة قادر على الترك، والتارك معها قادر على الفعل .

وسخافة القول بالجبر واضحة، بحيث لا يخفى على من لطبعه أدنى استقامة، وكيف يجوز عاقل أن الله الرؤوف الرحيم يجبر العباد على المعاصي، ثم يعذبهم بها، والأشقياء المجبرة ملعونون على السنة الأنبياء والأوصياء .

ونقل عن كتاب الفائق قول النبي ﷺ: لعنت القدرية والمرجئة على لسان سبعين نبياً، قيل: ومن القدرية؟ قال: قوم يزعمون أن الله قدر المعاصي عليهم وعذبهم عليها^(٢). وقال في الفائق: وأما المجبرة فإن شيوخنا كفروهم^(٣).

وحكى قاضي القضاة عن الشيخ أبي علي أن المجبر كافر، ومن شك في كفره فهو كافر . وروى أبو الحسن، عن محمد بن علي المكي باسناده، أن فارسياً قدم إلى النبي ﷺ فقال: ما أعجب ما رأيت! قال: رأيت قوماً ينعكسون محارمهم، ثم يقولون قضاء الله وقدره، قال النبي ﷺ: سيكون في أمتي مثلهم أولئك مجوس أمتي^(٤).

وذكر ابن مسكويه في كتاب تجارب الأمم في رواية الأصعب: أن شيخاً سأل علياً عليه السلام بعد انصرافه من صفين: أكان سيرنا إلى الشام بقضاء وقدر؟ قال: نعم، قال: عند الله أحتمسب عنائي ما أرى لي من الأجر شيئاً، قال: لعلك ظننت قضاءً لازماً وقدرًا حتمًا، تلك مقالة عبدة الأوثان وجنود الشيطان وشهود الزور، وأهل

(١) أصول الكافي ١: ١٦٠ ح ١٣ .

(٢) الطرائف ص ٣٤٤ عنه .

(٣) الصراط المستقيم ٣: ٦٤ .

(٤) الصراط المستقيم ٣: ٦٤ .

العمى عن الصواب ، وهم قدرية هذه الأمة ومجوسها ، فهض الشيخ مسروراً^(١) .
وعن الحسن البصري : بعث الله محمداً والعرب قدرية مجبرة ؛ لقوله تعالى فيهم
﴿ واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ﴾^(٢) ولقوله ﴿ سيقول
الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ﴾^(٣) .

وعنه أيضاً : إن من المخالفين قوماً يقصرون في أمر دينهم ، ويحملونه على القدر ،
ولو أمرتهم فيه بشيء قالوا : لا نستطيع قد جفت الأقلام وقضي الأمر ، ولا يرضون
في أمر دنياهم إلا بالاجتهاد والحذر ، ولو قلت لهم : لا تشقوا نفوسكم ولا تخاطروا
في الأسفار بها في طلب رزقكم ، ولا تسقوا زروعكم ، واتركوا أنعامكم من
حراستها ، فإنه لا يأتيكم إلا ما قدر لكم ، لأنكروا ذلك ولم يرضوه لأنفسهم ، وقد
كان ذلك في الدين أولى بهم^(٤) .

وقال عدليّ لمجبر : تقول بالقدرة اذا ناظرت أحداً ، واذا رجعت الى منزلك
فوجدت جاريتك قد كسرت كوزاً يساوي فلساً ، شتمتها وضربتها وتركت لأجل
فلس واحد مذهبك .

وقال مجبر لعدليّ : خمس بنات لا أخاف على فسادهنّ غير الله .
ورأى مجبر علامة يفجر بجاريتيه ، فضربه ، فقال : القضاء ساقنا فرضي .
ورأى شيخ باصهبان رجلاً يفجر بأهله ، فضربها ، فقالت : القضاء ساقنا ، تركت
السنة وأخذت مذهب ابن عبّاد ، فتنّبته وألقى السوط واعتذر اليها وأكرمها .
وأدخل عدليّ على محمّد بن سليمان ، فأمر بضرب عنقه ، فضحك ، فقال : كيف

(١) الصراط المستقيم ٣ : ٦٤ عنه .

(٢) الأعراف : ٢٨ .

(٣) الأنعام : ١٤٨ .

(٤) الصراط المستقيم ٣ : ٦٥ .

تضحك في هذه الحالة ؟ قال : لو قال رجل : محمد بن سليمان يقضي بالجور ويفعل الظلم ويريد الفساد ، فقال آخر : كذبت بل يفعل ضدّ ذلك ، أيهما أحبّ اليك ؟ قال : الذي يدفع عني وأحسن الثناء عليّ ، قال : فلا أبالي اذا أحسنت الثناء على ربّي ، فانقطع القدريّة وخلّى سبيله ^(١) .

اعلم أنّ الشيطان اعترف في القيامة بأنّه أضلّهم في قوله : ﴿ وعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الاّ أن دعوتكم فاستجبتم لي ﴾ ^(٢) وشهد الله عليه بذلك في قوله : ﴿ الشيطان سوّل لهم وأملى لهم ﴾ ^(٣) فردّوا اعترافه باضلاله وشهادة ربّهم بتسويله ، وسيترفون بأفعالهم ، كما حكاها القرآن عنهم في قوله : ﴿ أطعنا سادتنا وكبرائنا فأضلّونا السيلا ربّنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم ﴾ ^(٤) .

ولو عرفوا أنّ الله أضلّهم فلمن كانوا يطلبون العذاب واللعن ، وقالوا : ﴿ ربّنا أرنا الذين أضلّونا من الجنّ والانس نجعلها تحت أقدامنا ﴾ ^(٥) فان علموا يوم كشف الأسرار وعلم الأشياء بالاضطرار أنّ الله أضلّهم ، فلمن يجعلون تحت أقدامهم ؟

ومن أكبر المكابرات أنّ منهم من ينكر الشرك في القيامة ، كما حكاها الله عنهم في قوله : ﴿ والله ربّنا ما كنّا مشركين ﴾ ^(٦) فلو علموا أنّ شركهم منه لكانت أضافته اليه أقطع وأولى من كذبهم على أنفسهم ، حتّى تعجّب الله منهم في قوله : ﴿ أنظر كيف

(١) الصراط المستقيم ٣ : ٦٥ - ٦٦ .

(٢) ابراهيم : ٢٢ .

(٣) محمد ﷺ عليه وآله : ٢٥ .

(٤) الأحزاب : ٦٧ - ٦٨ .

(٥) فصلت : ٢٩ .

(٦) الأنعام : ٢٣ .

كذبوا على أنفسهم ﴿ (١) ولو كان هو أضلهم وأجأهم الى انكار الشرك لم يتعجب منهم (٢)

ولا يخفى أن القول بالجبر خارج عن طور العقل ، ومخالف للبدئية ، وكيف يجوز عاقل أن يخلق الله في العبد المعصية ثم يعاقبه عليها ؟

ونعم ما قال مولانا وسيدنا موسى بن جعفر عليه السلام وقد سأله أبو حنيفة وهو صبي حين خرج من عند الصادق عليه السلام فقال : يا غلام ممن المعصية ؟ قال : لا تخلو من ثلاث : إما أن تكون من الله عز وجل وليست منه ، فلا ينبغي للكريم أن يعذب عبده بما لا يكتسبه ، وإما أن تكون من الله عز وجل ومن العبد ، فلا ينبغي للشريك القوي أن يظلم الشريك الضعيف ، وإما أن تكون من العبد وهي منه ، فان عاقبه فبذنبه ، وان عفى عنه فبكرمه وجوده (٣)

مفاسد القول بالجبر

ولا يخفى أن مفاسد القول بالجبر في الدين كثيرة عظيمة ونحن نقتصر على بعضها : منها : أنه لا يصح أن يوصف الله تعالى بأنه غفور رحيم وعفو حلیم ؛ لأن الوصف بهذه إنما يثبت لو كان الله مسقطاً للعقاب الذي استحقه العباد ، والعبد لا يستحق العقاب إلا إذا فعل المعصية باختياره .

ومنها : أنه يلزم نسبة السفه الى الله تعالى ؛ لأنه يأمر الكافر بالايان ولا يريد منه ، وينهاه عن المعصية وقد أرادها منه ، وكل عاقل ينسب من يأمر بما لا يريد منه وينهى عما يريد الى السفه ، تعالى الله عن ذلك .

(١) الأنعام : ٢٤ .

(٢) الصراط المستقيم ٣ : ٦٦ - ٦٧ .

(٣) الاحتجاج للطبرسي ٢ : ٣٣٢ وتوحيد الصدوق ص ٩٦ والبحار ٥ : ٢٧ و ٧٨ : ٣٢٣ .

ومنها : أنه يلزم قبح قوله ﴿ فاستعد بالله من الشيطان الرجيم ﴾ ^(١) لأنهم نزّهوا ابليس والكافر .

ومنها : أنه يلزم تكليف مالا يطاق ؛ لأنه يكلف الكافر بالايان ولا قدرة له عليه ، وهو قبيح والسمع قد منع منه قال الله تعالى ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾ ^(٢) .

ومنها : أنه يلزم أن لا يكون عندنا فرق بين من أحسن اليانا أو أساءنا ، ولا يحسن أن نشكر الأوّل ونذمّ الثاني .

ومنها : أنه يلزم افحام الأنبياء وانقطاع حجّتهم ؛ لأنّ النبي ﷺ اذا قال للكافر : آمن بي لما أظهره الله من المعجزة في يدي ، قال له الكافر : اذا جاز أن يخلق الله في الكفر ويعذبني من غير جرم ، فلم لا يجوز أن يظهر المعجزة في يدك وأنت كاذب ؟ فينقطع النبيّ .

ويلزم افحام النبيّ على وجه آخر ، بأنه اذا قال للكافر آمن بي وصدّقني يقول : قل للذي بعثك يخلق في الايمان ، أو القدر المؤثّر فيه ، حتّى أن أتمكّن من الايمان وأؤمن بك ، والآ فكيف تكلفني الايمان ولا قدرة لي عليه ، بل خلق في الكفر ، وأنما لا أتمكّن من مقاهرة الله تعالى ، فينقطع النبيّ ولا يتمكّن من جوابه .

ومن مذاهبهم السخيفة : انكارهم الحسن والقبح العقليّين . وحاصل كلامهم : أنّ الفعل في نفسه لا له حسن ولا قبح ، بل هما تابعان للشرع ، فما أمر به الشارع فهو حسن ، وما نهى عنه فهو قبيح .

ويلزم على هذا القول تجويز أن يعذب الله تعالى سيّد المرسلين على طاعته ، ويشيب ابليس على معصيته ، فيكون فاعل الطاعة سفيهاً ؛ لأنه يتعجّل بالتعب في

(١) النحل : ٩٨ .

(٢) البقرة : ٢٨٦ .

الاجتهاد في العبادة ، واخراج ماله في عمارة المساجد والربط والصدقات من غير نفع يحصل له ؛ لأنه قد يعاقبه على ذلك ، ولو فعل عوض ذلك ما يتلذذ به ويشتهيهِ من أنواع المعاصي فقد يشبهه ، فباختيار الأول يكون سفيهاً عند كلِّ عاقل .
ومما يلزمهم أيضاً في القول : افحام الأنبياء ؛ لأنَّ النبوة لا تثبت إلا بالمعجزة وبالعلم بأنَّ المعجزة لا يظهرها الله سبحانه في يد الكاذب ؛ لأنَّ تصديق الكاذب عقلاً قبيح ، والقبيح عقلاً لا يصدر منه تعالى ، فعلى قوهم بانكار الحسن والقبيح العقلين لا يتأتَّى تصديق الأنبياء ؛ لأنه كلما أتى بمعجزة قلنا له : المعجزة لا تدلُّ على صدقك ؛ لأنَّ العقل لا يستقبح تصديق الكاذب ، فربما صدَّقك الله بالمعجزة وأنت كاذب ، فلا يصحُّ الاستدلال على صدق أحد من الأنبياء ولا التدين بشيء من الشرائع .

وجاء في آخر نسخة « ن » : تمَّ بعون الله وحسن تأييده تعالى حامداً لله مصلياً مسلماً على نبيِّه وآله عليهم السلام قد اتفق الفراغ من كتابة هذا الكتاب عصر أوائل يوم السبت السادس عشر في شهر ربيع الثاني من شهور سنة خمس وتسعين بعد الألف من الهجرة النبوية المصطفوية ، وأنا المذنب الضعيف ابن محمد سعيد محمد رضا الشريف حامداً لله مصلياً على نبيِّه محمد وآله عليهم السلام .

وجاء في آخر نسخة « ق » : تمَّ والحمد لله أولاً وآخراً ، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين المعصومين ، قد فرغ من تسويد هذا الكتاب العبد الحقير المحتاج الى رحمة الله ميرزا محمد الفراهاني يوم التاسع من شهر ذي الحجة الحرام من شهور سنة (١٢٧٤) هـ .

وتمَّ استنساخ الكتاب تصحيحاً وتحقيقاً وتعليقاً عليه في اليوم العاشر من شهر رمضان المبارك سنة (١٤١٤) هـ على يد العبد الفقير السيّد مهدي الرجائي في بلدة قم المقدسة حرم أهل البيت وعش آل محمد عليهم السلام .

فهرس مطالب الكتاب

٣	مقدّمة المحقّق
٣	الشيعة الاماميّة
٤	الامامة في نظر الشيعة
٥	شبهة وجوابها
٦	دعوة مغلصة
٧	المؤلّف والمؤلّف
٨	مزايا الكتاب وخصائصه
١١	اسمه ونسبه، مكانته العلميّة والعملية
١٥	مشايخه وتلاميذه
١٧	اجازته للعلامة المجلسي
١٩	تأليفه القيمة
٢١	أشعاره الرائعة
٢٥	ولادته ووفاته
٢٦	في طريق التحقيق
٢٧	نمازج النسخ
٣١	مقدّمة المؤلّف
	النصوص الواردة في كتب المخالفين على امامة أمير المؤمنين <small>عليه السلام</small> مع الأجوبة عن
٣٢	شبه المعاندين

- ما ورد في كتب المخالف من أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وصي رسول الله صلى الله عليه وآله وخليفته ٣٦
- الأخبار المنفرقة الدالة على امامة أمير المؤمنين عليه السلام ووجوب أتباعه وفرض طاعته ٧٣
- ما ورد من الأحاديث من طرق المخالفين في أن علي بن أبي طالب أمير المؤمنين ٨١
 ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله أن علياً مع الحق والحق معه ٩٢
- حديث المنزلة ٩٨
- ما ورد في تفسير آية المودّة ١٠٤
- حديث من كنت مولاه فعلي مولاه ١٠٩
- تزييف الاجماع على خلافة أبي بكر ١٣٠
- علة عدم مبايعة القوم لعلي عليه السلام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله ٢٤٦
- ذكر بعض ما يدل على عدم الاعتماد والوثوق بالأحاديث المنقولة في كتب النواصب على خلاف عقائد الامامية ٢٨٥
- لابد في كل زمان من عالم رباني مؤيد من عند الله ٣٣٨
- لابد في كل زمان من امام معصوم مبيّن لكتاب الله تعالى ٣٤٤
- لابد من امام معصوم لفصل الدعاوي بين الناس واقامة الحدود ٣٤٥
- دلالة آية الاكمال على تعيين الخليفة والامام ٣٤٨
- تواتر النص على الأئمة الاثني عشر ٣٤٩
- اتفاق الأمة على عدالة الأئمة الاثني عشر وسعة علومهم وقدرهم ٣٤٩
- تنصيب الرسول صلى الله عليه وآله على أن الخلفاء بعده اثنا عشر ٣٥٠
- حديث الثقلين ٣٦٢
- ظهور المعجزات من الأئمة الاثني عشر ٣٨٠

- ٣٨٣ ظهور جلالهم وشوكتهم عليهم السلام مع كثرة أعدائهم ومخالفهم
- ٣٨٧ اقرار جميع المذاهب بفضلهم وجلالتهم عليهم السلام
- ٣٨٩ اجتماع جميع العلوم والفنون عند آل محمد عليهم السلام
- ٣٩٠ لا تثبت الامامة بالاختيار
- ٣٩٤ أمر الامامة بيد الله تعالى
- ٣٩٥ لا يجوز التقدّم على الله والرسول والاقراء عليها
- ٣٩٨ قوله تعالى ﴿ وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة ﴾
- ٣٩٩ قوله تعالى ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾
- ٤٠٠ الآيات الدالّة على شفقة الله بخلقه
- ٤٠١ الآيات المتضمّنة للاستمرار على حقّ اليقين
- ٤٠٢ الآيات التي نهى فيها عن المعاصي
- ٤٠٣ قوله تعالى ﴿ انّ عبادي ليس لك عليهم سلطان ﴾
- ٤٠٤ الآيات المتضمّنة للتقوى
- ٤٠٥ الآيات المتضمّنة للرحمة
- ٤٠٥ الآيات المتضمّنة للخوف والوعيد
- ٤٠٦ الآيات الناطقة بما يوجب الهلاك
- ٤٠٦ الآيات الناهية عن التفرّق والاختلاف
- ٤٠٧ الآيات الدالّة على اتّباع الصراط المستقيم
- ٤٠٩ أئمة المخالف لا يجوز اتّباع قولهم وقبول شهادتهم
- ٤٠٩ اختلاف الأئمة في شأن أئمة المخالفين
- ٤١٠ الآيات والروايات الدالّة على اشتغال الصحابة على المنافقين
- ٤١١ قوله تعالى ﴿ تعاونوا على البرّ والتقوى ﴾

- ٤١١ الآيات التي فيها الحثّ على الطاعات والأعمال الصالحات
- ٤١١ الآيات الدالّة على عدم وجود الحرج في الدين
- ٤١٢ قوله تعالى ﴿ وكونوا مع الصادقين ﴾
- ٤١٣ أفضليّة أئمّتنا عليهم السلام على جميع من ادّعي الامامة في حقّه
- ٤٨٣ فضائل خديجة
- ٤٨٥ فضائل فاطمة الزهراء عليهم السلام
- ٤٨٧ مناقب جعفر بن أبي طالب
- ٤٨٨ مناقب أبي طالب واثبات ايمانه
- ٥٠٤ أدلّة المخالفين على أفضليّة أبي بكر
- ٥٠٩ بطلان امامة أوّل خلفائهم
- ٥٢١ حكاية لطيفة
- ٥٣٣ بطلان امامة ثاني خلفائهم
- ٥٧٩ بطلان امامة ثالث خلفائهم
- ٦١٥ ما ورد في مثالب أعداء أهل البيت عليهم السلام
- ٦٢٧ مثالب معاوية
- ٦٣٣ جواز اللعن على من يستحقّه وترتب الثواب عليه
- ٦٤١ أحوال الأئمّة الأربعة لأهل السنّة
- ٦٥٥ قبائح فتاويهم التي أجمع فقهاؤهم عليها
- ٦٦١ عقائدهم في الجبر والتفويض
- ٦٦٥ مفساد القول بالجبر
- ٦٦٩ فهرس مطالب الكتاب